الموسوعة الكبرى الثانية

من

كليات رسائل النور

مجموعة المكتوبات

تأليف

الإمام الجليل العلامة الشهير مولانا الإمام بديع الزمان

سعيد النورسي ذي النور والفيض القدسي

رضي الله تعالى عنه

١٢٩٢-١٣٧٩هـ/١٨٧٣-١٩٦٠م

عُني بترجمتها عن التركية وتبييضها وتصحيحها

الملا محمد زاهد الملازكردي

عفا الله تعالى عنه

١٣٥٤-١٤٢٩هـ/١٩٣٦-٢٠٠٨م

شركة رسائل النور ناشرون

١

مَجْمُوعَةُ الْمَكْتُوبَاتِ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

إِنَّ هٰذِهِ الْمَوْسُوعَاتِ النَّيِّرَةَ ، مُتَرْجَمَةٌ بِفَضْلِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، عَلٰى نَصِّ كَلَامِ الْإِمَامِ الْمُؤَلِّفِ ؛ (رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ) ، بِدُونِ تَغْيِيرٍ وَتَصَرُّفٍ ، إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ ضَرُورَةُ النَّقْلِ مِنْ لُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ ، إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ . .

اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

نَعَمْ . .　نَعَمْ . .　نَعَمْ . .　نَعَمْ . .　نَعَمْ . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ ـ مُحَمَّدٌ غَالِبٌ ـ عُمَرُ عِرَاجِي ـ عَبْدُ اللّٰهِ الْخَطِيبُ ـ أَحْمَدُ زَيْدٌ

اَلنَّاشِرُونَ :

شَرِكَةُ رَسَائِلِ النُّورِ . .

اَلْعَنَاوِينُ :

- اَلْكِتَابُ : مَجْمُوعَةُ الْمَكْتُوبَاتِ مِنْ كُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ . .
- اَلْمُؤَلِّفُ : اَلْإِمَامُ بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ؛ (رضي الله تعالى عنه) . .
- اَلْمُتَرْجِمُ وَالْمُحَقِّقُ وَالْمُدَقِّقُ : اَلْمَلاَّ مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلاَزْكَرْدِيُّ ؛ (عفا الله تعالى عنه) . .
- كَاتِبُ الصَّفِّ : مُحَمَّدٌ غَالِبٌ الْفَارِسُ . .
- اَلْمُحَرِّكُ لِلْكَلِمَاتِ وَالْمُنَسِّقُ : أَحْمَدُ زَيْدٌ . .
- اَلْمُرَاقِبُ وَالْمُرَاجِعُ : حُسَامٌ وَاكِدٌ . .
- اَلْمُسَاعِدُونَ : مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ ، أَحْمَدُ الْحَاجُ . . (وَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِمَرْضَاتِهِ ؛ وَغَفَرَ لَهُمْ) . .
- نَوْعُ الْخَطِّ : اَلْعَرَبِيُّ النَّسْخِيُّ الْمُعَدَّلُ بِحُرُوفِ النُّورِ . .
- عَدَدُ السِّلْسِلَةِ : ـ ٢ ـ
- اَلطَّبْعَةُ الْأُولَى الْمُشَكَّلَةُ : سَنَةَ / ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م . .
- اَلْعُنْوَانُ[١] : كَامِدُ اللَّوْزِ ـ الْبِقَاعُ ـ لُبْنَانُ . . اَلْهَاتِفُ : ٠٠٩٦١/٧٠/٤٧١٨٣١
- اَلْعُنْوَانُ[٢] : اَلْمِيَّةُ وَمِيَّةُ ـ صَيْدَا ـ لُبْنَانُ . . اَلْهَاتِفُ : ٠٠٩٦١/٧٠/٧٦٨٧٧٤
- اَلْمَوْقِعُ الْإِلِكْتُرُونِيُّ : www.nour-arabic.com
- اَلْبَرِيدُ الْإِلِكْتُرُونِيُّ : nour@nour-arabic.com

حُقُوقُ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ ، وَالتَّسْجِيلِ وَالتَّصْوِيرِ ، وَالتَّنْمِيقِ وَالتَّزْيِينِ ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْحِفْظِ وَالتَّخْزِينِ ، مَحْفُوظَةٌ لِشَرِكَةِ رَسَائِلِ النُّورِ . .

اَلْمَوْسُوعَةُ الْكُبْرَى الثَّانِيَةُ

مِنْ

كُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ

﴿ مَجْمُوعَةُ الْمَكْتُوبَاتِ ﴾

تَأْلِيفُ

الْإِمَامِ الْجَلِيلِ، الْعَلَّامَةِ الشَّهِيرِ، مَوْلَانَا الْإِمَامِ بَدِيعِ الزَّمَانِ،
سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ، ذِي النُّورِ وَالْفَيْضِ الْقُدُسِيِّ؛
رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

١٢٩٢ - ١٣٧٩هـ / ١٨٧٣ - ١٩٦٠م.

عُنِيَ بِتَرْجَمَتِهَا عَنِ التُّرْكِيَّةِ، وَبِتَبْيِيضِهَا وَتَصْحِيحِهَا،
الْمَلَّا مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ؛
عَفَا عَنْهُ اللهُ الْمُبْدِئُ.

١٣٥٤ ـ ١٤٢٩هـ / ١٩٣٦ ـ ٢٠٠٨م.

مُحْتَوَيَاتُ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْمُبَارَكَةِ الثَّانِيَةِ :

تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ مَكْتُوباً نَيِّراً ، فِيهَا أَبْحَاثٌ آتِيَةٌ :

١ ـ أَجْوِبَةٌ مُقْنِعَةٌ وَحَدْسِيَّةٌ ، عَلٰى أَسْئِلَةٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا دِينِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ وَرَسْمِيَّةٌ . .

٢ ـ مَعَارِفُ إِسْلاَمِيَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاسُ ، وَخَاصَّةً الْعَوَامَّ . .

٣ ـ إِيقَاظَاتٌ وَتَنْبِيهَاتٌ نُورَانِيَّةٌ ، ضِدَّ دَسَائِسَ شَيْطَانِيَّةٍ إِنْسِيَّةٍ وَجِنِّيَّةٍ . .

٤ ـ مَزَايَا رَسَائِلِ النُّورِ ، فِي ثَنَايَا أَجْزَاءِ النُّورِ . .

٥ ـ بَعْضُ أَدْوِيَةٍ إِيمَانِيَّةٍ ، وَعَلاَئِجَ رُوحَانِيَّةٍ . .

٦ ـ بَعْضُ حَقَائِقَ إِيمَانِيَّةٍ ، وَأَسْرَارٍ نُورَانِيَّةٍ ، بِاكْتِشَافَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ . .

اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

اَلْمَكْتُوبُ الْأَوَّلُ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

جَوَابٌ مُخْتَصَرٌ عَلٰى أَرْبَعَةِ أَسْئِلَةٍ :

اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : هَلِ الْخِضْرُ (عليه السلام) عَلٰى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، أَمْ لَا ؟ وَإِذَا كَانَ عَلٰى قَيْدِ الْحَيَاةِ ؛ فَلِمَاذَا لَا يَقْبَلُ حَيَاتَهُ ، بَعْضٌ مُهِمٌّ مِنَ الْعُلَمَاءِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ (عليه السلام) عَلٰى قَيْدِ الْحَيَاةِ ؛ وَلٰكِنَّ مَرَاتِبَ الْحَيَاةِ خَمْسٌ ؛ وَهُوَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْهَا . فَمِنْ هٰذَا السَّبَبِ اشْتَبَهَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ، فِي حَيَاتِهِ . .

فَالطَّبَقَةُ الْأُولٰى مِنْ مَرَاتِبِ الْحَيَاةِ :

هِيَ حَيَاتُنَا الْمُقَيَّدَةُ بِقُيُودٍ كَثِيرَةٍ . .

وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ مِنْهَا :

هِيَ حَيَاةُ الْخِضْرِ وَإِلْيَاسَ (عليهما السلام) الْمُطْلَقَةُ عَنِ الْقُيُودِ بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ أَيْ أَنَّهُمَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يُوجَدَا فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ ، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ؛ وَلَيْسَا مُقَيَّدَيْنِ مِثْلَنَا بِاللَّوَازِمِ الْبَشَرِيَّةِ دَائِماً ؛ فَقَدْ يَأْكُلَانِ وَيَشْرَبَانِ مِثْلَنَا ، مَتٰى شَاءَا ؛ وَلٰكِنَّهُمَا لَيْسَا مُضْطَرَّيْنِ مِثْلَنَا . .

وَإِنَّ وَقَائِعَ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الشُّهُودِ وَالْكَشْفِ مَعَ الْخِضْرِ (عليه السلام) فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ ،

تَنَوُّرُ هٰذِهِ الطَّبَقَةَ الثَّانِيَةَ مِنَ الْحَيَاةِ وَتُثْبِتُهَا ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُوجَدُ فِي مَقَامَاتِ الْوِلَايَةِ مَقَامٌ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِمَقَامِ الْخِضْرِ . فَمَنْ وَصَلَ إِلٰى ذٰلِكَ الْمَقَامِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ؛ يَتَلَقَّى الدَّرْسَ عَنِ الْخِضْرِ ؛ وَيَجْتَمِعُ بِهِ ؛ وَلٰكِنْ يُظَنُّ أَحْيَاناً صَاحِبُ ذٰلِكَ الْمَقَامِ ، عَيْنَ الْخِضْرِ خَطَأً . .

وَالطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الْحَيَاةِ :

هِيَ طَبَقَةُ حَيَاةِ إِدْرِيسَ وَعِيسٰى (عليهما السلام) ؛ فَيَدْخُلَانِ فِي حَيَاةٍ مِثْلِ حَيَاةِ الْمَلَكِ ، بِالتَّجَرُّدِ عَنْ لَوَازِمِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ وَيَكْسِبَانِ لَطَافَةً نُورَانِيَّةً ؛ وَيُوجَدَانِ فِي السَّمَاوَاتِ بِأَجْسَامِهِمَا الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي لَطَافَةِ الْبَدَنِ الْمِثَالِيِّ ، وَنُورَانِيَّةِ الْبَدَنِ النَّجْمِيِّ بِعَيْنِهِ . .

وَإِنَّ سِرَّ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي هٰذَا الْمَآلِ ، مِنْ ﴿أَنَّ عِيسٰى (عليه السلام) يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ فَيَعْمَلُ بِالشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ﴾ هُوَ : أَنَّ الدِّينَ الْعِيسَوِيَّ يَتَصَفّٰى وَيَتَجَرَّدُ عَنِ الْخُرَافَاتِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، إِزَاءَ إِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَالتَّيَّارِ الْكُفْرِيِّ الْمُتَوَلِّدِ عَنِ الْفَلْسَفَةِ الطَّبِيعِيَّةِ ؛ فَيَنْقَلِبُ إِلَى الْإِسْلَامِيَّةِ . فَفِي ذٰلِكَ الْحِينِ ؛ كَمَا أَنَّ الشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ لِلْعِيسَوِيَّةِ يَقْتُلُ بِسَيْفِ الْوَحْيِ السَّمَاوِيِّ ، الشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ لِذٰلِكَ الْإِلْحَادِ الْهَائِلِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ عِيسٰى (عليه السلام) يُمَثِّلُ الشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ لِلْعِيسَوِيَّةِ ؛ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ الْمُمَثِّلَ لِلشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِلْإِلْحَادِ : يَعْنِي أَنَّهُ (عليه السلام) يَقْتُلُ فِكْرَهُ الَّذِي هُوَ إِنْكَارُ الْأُلُوهِيَّةِ . .

وَالطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ مِنْهَا :

هِيَ حَيَاةُ الشُّهَدَاءِ . وَإِنَّ لِلشُّهَدَاءِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، طَبَقَةً مِنَ الْحَيَاةِ فَوْقَ حَيَاةِ أَهْلِ الْقُبُورِ . نَعَمْ : إِنَّ اللهَ تَعَالٰى يُحْسِنُ إِلَى الشُّهَدَاءِ مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ ، فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ ، بِحَيَاةٍ تُشْبِهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ؛ وَلٰكِنَّهَا بِلَا كَدَرٍ وَلَا أَلَمٍ . وَذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ فَدَوْا بِحَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ . وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مَاتُوا ؛ وَلٰكِنْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمُ ارْتَحَلُوا إِلٰى عَالَمٍ أَحْسَنَ ؛ فَيَتَنَعَّمُونَ بِكَمَالِ السَّعَادَةِ ؛ وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَا فِي الْمَوْتِ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ . وَإِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ وَإِنْ كَانَتْ أَرْوَاحُهُمْ بَاقِيَةً ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مَاتُوا ؛ فَلَا يَصِلُ مَا يَذُوقُونَ مِنَ اللَّذَّةِ

وَالسَّعَادَةِ فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ إِلَىٰ دَرَجَةِ لَذَّةِ الشُّهَدَاءِ . فَكَمَا أَنَّ شَخْصَيْنِ يَدْخُلاَنِ فِي الرُّؤْيَا ، قَصْراً جَمِيلاً كَالْجَنَّةِ ؛ فَوَاحِدٌ مِنْهُمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي الرُّؤْيَا ؛ فَمَا يَسْتَفِيدُهُ مِنَ الذَّوْقِ وَاللَّذَّةِ ، نَاقِصٌ جِدّاً ؛ إِذْ يَتَفَكَّرُ قَائِلاً : «إِنِّي إِذَا اسْتَيْقَظْتُ تَفُوتُ هٰذِهِ اللَّذَّةُ» ؛ وَالْآخَرُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي الرُّؤْيَا ؛ فَيَصِيرُ مَظْهَراً لِسَعَادَةٍ حَقِيقِيَّةٍ بِلَذَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ اسْتِفَادَةَ الْأَمْوَاتِ ، وَتَنَعُّمَ الشُّهَدَاءِ ، فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ ، مِنَ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ ، بَيْنَهُمَا فَرْقٌ كَذٰلِكَ . .

وَمِنَ الثَّابِتِ الْقَطْعِيِّ بِمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنَ الْوَقَائِعِ وَالرِّوَايَاتِ : أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ بِهٰذَا الْوَجْهِ مِنَ الْحَيَاةِ ؛ وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنْفُسَهُمْ أَحْيَاءً ؛ حَتّٰى إِنَّ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ (رضي الله عنه) حَفِظَ مَنْ لَجَؤُوا إِلَيْهِ ؛ وَقَضَىٰ أُمُورَهُمُ الدُّنْيَوِيَّةَ ؛ وَذٰلِكَ بِوَقَائِعَ مُكَرَّرَةٍ . فَقَدْ نَوَّرَتْ هٰذِهِ الطَّبَقَةُ مِنَ الْحَيَاةِ ؛ وَأُثْبِتَتْ بِكَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْوَقَائِعِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ كَانَ لِي تِلْمِيذٌ وَابْنُ أُخْتِي يُسَمّٰى بِعُبَيْدٍ ؛ رَأَيْتُ فِي رُؤْيَا صَادِقَةٍ لَدَيَّ ، بَعْدَ مَا اسْتُشْهِدَ عِنْدِي بَدَلاً عَنِّي : أَنِّي دَخَلْتُ قَبْرَهُ بِصُورَةِ مَنْزِلٍ تَحْتَ الْأَرْضِ ؛ وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ مَحَلَّ دَفْنِهِ ؛ وَقَدْ كُنْتُ فِي الْأَسْرِ عَلَىٰ مَسَافَةِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ؛ فَرَأَيْتُهُ فِي طَبَقَةِ حَيَاةِ الشُّهَدَاءِ ؛ وَكَانَ يَعْلَمُنِي مَيِّتاً ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُ بَكَىٰ مِنْ أَجْلِي كَثِيراً ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ نَفْسَهُ فِي الْحَيَاةِ ؛ وَلٰكِنَّهُ بَنَىٰ لِنَفْسِهِ مَنْزِلاً جَمِيلاً تَحْتَ الْأَرْضِ ، تَحَذُّراً عَنِ احْتِلَالِ الرُّوسِ . فَهٰذِهِ الرُّؤْيَا الْجُزْئِيَّةُ أَوْرَثَتْنِي قَنَاعَةً فِي دَرَجَةِ الشُّهُودِ ، بِالْحَقِيقَةِ السَّابِقَةِ ، بِبَعْضِ الشَّرَائِطِ وَالْأَمَارَاتِ . .

وَالطَّبَقَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ الْحَيَاةِ :

هِيَ الْحَيَاةُ الرُّوحَانِيَّةُ لِأَهْلِ الْقُبُورِ . نَعَمْ : إِنَّ الْمَوْتَ تَبْدِيلُ مَكَانٍ ، وَإِطْلَاقُ رُوحٍ ، وَتَسْرِيحٌ عَنِ الْوَظِيفَةِ ؛ وَلَيْسَ إِعْدَاماً وَعَدَماً وَفَنَاءً . .

وَإِنَّ دَلَائِلَ كَثِيرَةً مِثْلَ تَمَثُّلِ أَرْوَاحِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَتَظَاهُرِهَا لِأَهْلِ الْكَشْفِ ، وَتَنَاسُبِ سَائِرِ أَهْلِ الْقُبُورِ بِنَا ، وَإِخْبَارِهِمْ لَنَا أَخْبَاراً مُطَابِقَةً لِلْوَاقِعِ ، يَقَظَةً وَمَنَاماً ، بِوَقَائِعَ لَا حَدَّ لَهَا ، تُنَوِّرُ هٰذِهِ الطَّبَقَةَ مِنَ الْحَيَاةِ وَتُثْبِتُهَا . وَإِنَّ الْمَقَالَةَ التَّاسِعَةَ وَالْعِشْرِينَ الْبَاحِثَةَ عَنْ بَقَاءِ

الرُّوحِ، قَدْ أَثْبَتَتْ هٰذِهِ الطَّبَقَةَ مِنَ الْحَيَاةِ، بِدَلَائِلَ قَطْعِيَّةٍ..

﴿اَلسُّؤَالُ الثَّانِي:﴾ أَنَّهُ يُفْهَمُ مِنْ آيَاتِ الْفُرْقَانِ الْحَكِيمِ، مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالٰى: ﴿اَلَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾: أَنَّ الْمَوْتَ أَيْضاً مَخْلُوقٌ؛ وَأَنَّهُ نِعْمَةٌ كَالْحَيَاةِ؛ مَعَ أَنَّ الْمَوْتَ فِي الظَّاهِرِ، انْحِلَالٌ وَعَدَمٌ وَتَفَسُّخٌ، وَانْطِفَاءُ الْحَيَاةِ، وَهَادِمُ اللَّذَّاتِ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ مَخْلُوقاً وَنِعْمَةً ؟.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمَوْتَ ـ كَمَا ذُكِرَ فِي آخِرِ جَوَابِ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ ـ تَسْرِيحٌ وَتَعْطِيلٌ عَنْ وَظِيفَةِ الْحَيَاةِ، وَتَبْدِيلُ مَكَانٍ، وَتَحْوِيلُ وُجُودٍ، وَدَعْوَةٌ إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، وَمَبْدَأٌ وَمُقَدِّمَةٌ لَهَا..

فَكَمَا أَنَّ مَجِيءَ الْحَيَاةِ إِلَى الدُّنْيَا، بِخَلْقٍ وَتَقْدِيرٍ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ ذَهَابَهَا عَنِ الدُّنْيَا، بِخَلْقٍ وَتَقْدِيرٍ، وَبِحِكْمَةٍ وَتَدْبِيرٍ؛ إِذْ إِنَّ مَوْتَ الْحَيَاةِ النَّبَاتِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَدْنٰى طَبَقَاتِ الْحَيَاةِ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ أَثَرُ صُنْعٍ أَعْلَى انْتِظَاماً مِنَ الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّ مَوْتَ الثَّمَرَاتِ وَالنَّوٰى وَالْبُذُورِ، يُرٰى بِتَفَسُّخٍ وَتَمَزُّقٍ وَبِلًى؛ مَعَ أَنَّهُ تَخْمِيرٌ عِبَارَةٌ عَنْ مُعَامَلَةٍ كِيمَاوِيَّةٍ مُنْتَظِمَةٍ، وَامْتِزَاجَاتٍ عُنْصُرِيَّةٍ مَوْزُونَةٍ، وَتَشَكُّلَاتٍ ذَرِّيَّةٍ حَكِيمَةٍ لِلْغَايَةِ؛ فَيَتَظَاهَرُ مَوْتُهَا هٰذَا الْحَكِيمُ الْمُنْتَظِمُ غَيْرُ الْمَشْهُودِ، بِحَيَاةِ السُّنْبُلَةِ. فَإِذاً إِنَّ مَوْتَ النَّوَاةِ، مَبْدَأُ حَيَاةِ السُّنْبُلَةِ؛ بَلْ هُوَ بِمَثَابَةِ عَيْنِ حَيَاتِهَا. فَلِذٰلِكَ يَكُونُ هٰذَا الْمَوْتُ أَيْضاً، مَخْلُوقاً وَمُنْتَظِماً بِقَدْرِ الْحَيَاةِ. وَكَذَا إِنَّ مَوْتَ الثَّمَرَاتِ ذَاتِ الْحَيَاةِ، أَوِ الْحَيَوَانَاتِ، فِي الْمَعِدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، يَكُونُ مَنْشَأً لِارْتِقَائِهَا إِلٰى دَرَجَةِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ. فَلِذٰلِكَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: «إِنَّ ذٰلِكَ الْمَوْتَ مَخْلُوقٌ؛ وَإِنَّهُ أَعْلَى انْتِظَاماً مِنْ حَيَاتِهَا». فَإِذَا كَانَ مَوْتُ الْحَيَاةِ النَّبَاتِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَدْنٰى طَبَقَاتِ الْحَيَاةِ، مَخْلُوقاً ذَا حِكْمَةٍ وَانْتِظَامٍ هٰكَذَا؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي يُصِيبُ الْحَيَاةَ الْإِنْسَانِيَّةَ الَّتِي هِيَ أَعْلٰى طَبَقَاتِ الْحَيَاةِ، يَكُونُ كَمَوْتِ نَوَاةٍ دَخَلَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ؛ فَصَارَتْ شَجَرَةً فِي عَالَمِ الْهَوَاءِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ إِنْسَاناً دَخَلَ تَحْتَ الْأَرْضِ، يُسَنْبِلُ حَيَاةً بَاقِيَةً، فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ أَيْضاً..

أَمَّا جِهَةُ كَوْنِ الْمَوْتِ نِعْمَةً ؛ فَنُشِيرُ مِنْ وُجُوهِهَا الْكَثِيرَةِ ، إِلٰى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ . .

أَوَّلُهَا : أَنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ ؛ لِأَنَّهُ يُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ عَنْ وَظِيفَةِ الْحَيَاةِ ، وَتَكَالِيفِهَا الْمُتَثَاقِلَةِ عَلَيْهِ ؛ فَيَكُونُ بَابَ وِصَالٍ ، فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ ، لِلْوُصُولِ إِلٰى تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنْ أَحْبَابِهِ . .

ثَانِيهَا : أَنَّهُ يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ عَنْ سِجْنِ الدُّنْيَا الضَّيِّقِ الْمُضَايِقِ الْمُتَحَوِّلِ الْمُتَزَلْزِلِ ؛ فَيَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ رَحْمَةِ الْمَحْبُوبِ الْبَاقِي ، بِمَظْهَرِيَّتِهِ لِحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ وَاسِعَةٍ سَارَّةٍ غَيْرِ مُضْطَرِبَةٍ . .

ثَالِثُهَا : أَنَّهُ تُوجَدُ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ الشَّيْبِ ، تُثْقِلُ شَرَائِطَ الْحَيَاةِ ؛ فَتَجْعَلُ الْمَوْتَ نِعْمَةً فَوْقَ الْحَيَاةِ بِكَثِيرٍ . فَمَثَلاً لَوْ وُجِدَ الْآنَ أَمَامَكَ ، أَجْدَادُ جَدِّكَ ، بِسَفَالَةِ أَحْوَالِهِمْ ، مَعَ وَالِدَيْكَ الْهَرِمَيْنِ جِدّاً اللَّذَيْنِ يُورِثَانِكَ الِاضْطِرَابَ وَالْأَلَمَ ؛ لَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَيَاةَ أَيُّ نِقْمَةٍ ؛ وَأَنَّ الْمَوْتَ أَيُّ نِعْمَةٍ . وَأَيْضاً يُفْهَمُ أَنَّ حَيَاةَ الذُّبَّانِ الْجَمِيلَةِ مَثَلاً ، الْعَاشِقَةِ لِلْأَزْهَارِ الْجَمِيلَةِ ، أَيُّ مِحْنَةٍ بَيْنَ شَدَائِدِ الشِّتَاءِ ؛ وَأَنَّ مَوْتَهَا فِيهَا ، رَحْمَةٌ أَيُّمَا رَحْمَةٍ . .

رَابِعُهَا : أَنَّهُ كَمَا أَنَّ النَّوْمَ رَاحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَاسْتِرَاحَةٌ وَلَاسِيَّمَا لِذَوِي الْمَصَائِبِ ، وَلِلْجَرْحٰى وَالْمَرْضٰى ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ أَخٌ كَبِيرٌ لِلنَّوْمِ ، عَيْنُ النِّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ، لِلْمُصَابِينَ وَالْمُبْتَلَيْنَ بِبَلَايَا تَسُوقُهُمْ إِلٰى الِانْتِحَارِ . .

وَأَمَّا الْمَوْتُ لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، فَهُوَ كَالْحَيَاةِ ، نِقْمَةٌ فِي نِقْمَةٍ ، وَعَذَابٌ عَلٰى عَذَابٍ ؛ كَمَا أُثْبِتَ قَطْعاً فِي مَقَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ فَذٰلِكَ خَارِجٌ عَنْ بَحْثِنَا . .

﴿اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ :﴾ أَيْنَ جَهَنَّمُ ؟ .

وَالْجَوَابُ : أَنَّهُ قِيلَ بِبَعْضِ الرِّوَايَاتِ : «إِنَّ جَهَنَّمَ تَحْتَ الْأَرْضِ» . ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ﴾ وَ ﴿لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ . .

إِنَّ الْمُرَادَ : أَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ تَخُطُّ بِحَرَكَتِهَا السَّنَوِيَّةِ ، دَائِرَةً حَوْلَ مَيْدَانٍ يُصْبِحُ مَحْشَراً فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ أَمَّا جَهَنَّمُ ، فَتَحْتَ ذٰلِكَ الْمَدَارِ السَّنَوِيِّ ؛ كَمَا بَيَّنَّا فِي مَوَاضِعَ أُخْرٰى ؛ وَإِنَّمَا

لَا تُرٰى وَلَا يُحَسُّ بِهَا ، لِكَوْنِهَا نَاراً مَغْطِيَّةً ، بِلَا نُورٍ . وَإِنَّ فِي الْمَسَافَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَسِيرُ فِيهَا كُرَةُ الْأَرْضِ ، مَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةً لَا تُشَاهَدُ لِكَوْنِهَا بِدُونِ النُّورِ . وَإِنَّ أَمَامَ أَبْصَارِنَا كَثِيراً مِنْ مَخْلُوقَاتٍ وَكُرَاتٍ بِغَيْرِ نُورٍ لَا نَرَاهَا ؛ كَمَا أَنَّ الْقَمَرَ كُلَّمَا مُحِقَ نُورُهُ ؛ يَفْقِدُ وُجُودَهُ . .

وَإِنَّ جَهَنَّمَ اثْنَتَانِ . إِحْدَاهُمَا صُغْرٰى ؛ وَالْأُخْرٰى كُبْرٰى . وَإِنَّ الصُّغْرٰى بِمَثَابَةِ نَوَاةِ الْكُبْرٰى ؛ وَسَتَنْقَلِبُ إِلَيْهَا ؛ كَمَا تَكُونُ مَنْزِلاً مِنْهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ . فَجَهَنَّمُ الصُّغْرٰى تَحْتَ الْأَرْضِ : أَيْ فِي مَرْكَزِهَا ؛ فَإِنَّ تَحْتَ الْكُرَةِ ، مَرْكَزَهَا . .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ لَدٰى عِلْمِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ : أَنَّهُ يَتَزَايَدُ غَالِباً فِي كُلِّ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مِتْراً مِنَ الْحَفْرِيَّاتِ ، دَرَجَةٌ مِنَ الْحَرَارَةِ . فَإِذاً إِنَّهُ تُوجَدُ إِلَى الْمَرْكَزِ ، نَارٌ جَامِعَةٌ لِمِئَتَيْ أَلْفِ دَرَجَةٍ مِنَ الْحَرَارَةِ : أَيْ أَشَدُّ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا مِئَتَيْ دَفْعَةٍ ، وَمُوَافِقَةٌ لِرِوَايَةِ الْحَدِيثِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ نِصْفَ قُطْرِ الْأَرْضِ ، سِتَّةُ آلَافِ كِيلُومِتْرٍ تَقْرِيباً . وَقَدْ أَدَّتْ جَهَنَّمُ الصُّغْرٰى هٰذِهِ ، فِي الدُّنْيَا وَفِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ ، وَظَائِفَ كَثِيرَةً عَائِدَةً إِلٰى جَهَنَّمَ الْكُبْرٰى . وَأُشِيرَ إِلٰى ذٰلِكَ بِالْأَحَادِيثِ . وَإِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ كَمَا تَصُبُّ سُكَّانَهَا فِي مَيْدَانِ الْحَشْرِ الْمَوْجُودِ فِي مَدَارِهَا السَّنَوِيِّ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّهَا تُسَلِّمُ بِأَمْرِ اللهِ ، مَا فِي جَوْفِهَا مِنْ جَهَنَّمَ الصُّغْرٰى ، إِلٰى جَهَنَّمَ الْكُبْرٰى ، فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ . فَقَوْلُ بَعْضِ أَئِمَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ : «إِنَّ جَهَنَّمَ سَتُخْلَقُ مِنْ بَعْدُ» غَلَطٌ وَغَبَاوَةٌ ؛ وَذٰلِكَ لِعَدَمِ انْبِسَاطِهَا بِتَمَامِهَا ، وَلِعَدَمِ انْكِشَافِهَا عَلٰى وَجْهٍ مُنَاسِبٍ لِسَكَنَتِهَا تَمَامَ الْمُنَاسَبَةِ ، فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ . وَأَيْضاً أَنَّهُ لَا بُدَّ لِإِرَاءَةِ الْمَنَازِلِ الْعَائِدَةِ إِلٰى عَالَمِ الْآخِرَةِ الْمَوْجُودِ فِي حِجَابِ الْغَيْبِ ، وَلِرُؤْيَتِهَا بِأَبْصَارِنَا الدُّنْيَوِيَّةِ ، إِمَّا أَنْ تُصَغَّرَ الْكَائِنَاتُ إِلٰى أَنْ تَأْتِيَ إِلٰى دَرَجَةِ وِلَايَتَيْنِ ، وَإِمَّا أَنْ تُكَبَّرَ أَعْيُنُنَا فَتَكُونَ كَالنُّجُومِ ؛ حَتّٰى نَرٰى مَوَاضِعَهَا فَنُعَيِّنَهَا . .

وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ : أَنَّ الْمَنَازِلَ الْعَائِدَةَ إِلٰى عَالَمِ الْآخِرَةِ ، لَا تُرٰى بِأَبْصَارِنَا الدُّنْيَوِيَّةِ هٰذِهِ ؛ وَلٰكِنْ يُفْهَمُ بِإِشَارَاتِ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : أَنَّ جَهَنَّمَ الْمَوْجُودَةَ فِي الْآخِرَةِ مُتَنَاسِبَةٌ مَعَ دُنْيَانَا هٰذِهِ ؛ فَإِنَّهُ قِيلَ فِيهَا : ﴿إِنَّ شِدَّةَ حَرَارَةِ الصَّيْفِ ، مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ﴾ ؛ فَإِذاً إِنَّ جَهَنَّمَ

تِلْكَ النَّارَ الْعَظِيمَةَ ، لا تُرى بِعَيْنِ الْعَقْلِ الدُّنْيَوِيَّةِ الصَّغِيرَةِ الطَّفِيفَةِ هٰذِهِ ؛ وَلٰكِنْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَيْهَا بِنُورِ اسْمِ الْحَكِيمِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ جَهَنَّمَ الْكُبْرَى الْمَوْجُودَةَ تَحْتَ الْمَدَارِ السَّنَوِيِّ لِلأَرْضِ ، كَأَنَّهَا وَكَّلَتْ جَهَنَّمَ الصُّغْرَى الْمَوْجُودَةَ فِي مَرْكَزِ الأَرْضِ ؛ فَأَدَّتْ بِهَا بَعْضَ وَظَائِفِهَا ؛ وَأَنَّ مُلْكَ الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ وَاسِعٌ جِدّاً ؛ فَأَيُّ مَكَانٍ عَيَّنَتْهُ الْحِكْمَةُ الإِلٰهِيَّةُ ، تَسْتَقِرُّ جَهَنَّمُ الْكُبْرى هُنَالِكَ . .

نَعَمْ : إِنَّ قَدِيراً ذَا جَلالٍ ، وَحَكِيماً ذَا كَمَالٍ ، مَالِكاً لِأَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، الَّذِي رَبَطَ الْقَمَرَ بِالأَرْضِ ، أَمَامَ أَعْيُنِنَا ، بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالانْتِظَامِ ؛ وَرَبَطَ الأَرْضَ بِالشَّمْسِ ، بِعَظَمَةِ الْقُدْرَةِ وَالانْتِظَامِ ؛ وَسَيَّرَ الشَّمْسَ مَعَ سَيَّارَاتِهَا ، بِحِشْمَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ، إِلٰى جَانِبِ شَمْسِ الشُّمُوسِ ، عَلَى احْتِمَالٍ ، بِسُرْعَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ سُرْعَةِ الأَرْضِ ، السَّنَوِيَّةِ ؛ وَجَعَلَ النُّجُومَ شَوَاهِدَ نَيِّرَةً عَلٰى سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ، كَمَصَابِيحِ الابْتِهَاجِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ ؛ فَأَظْهَرَ بِهَا سَلْطَنَةَ رُبُوبِيَّتِهِ وَعَظَمَةَ قُدْرَتِهِ ، لَيْسَ بَعِيداً عَنْ كَمَالِ حِكْمَةِ هٰذَا الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ ، وَعَنْ عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ وَسَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ أَنْ يَجْعَلَ جَهَنَّمَ الْكُبْرى ، بِمَثَابَةِ خِزَانَةِ مَصْنَعِ السُّرُجِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ ؛ فَيُشْعِلَ بِهَا نُجُومَ السَّمَاءِ النَّاظِرَةَ إِلَى الآخِرَةِ ؛ وَيُعْطِيَهَا الْحَرَارَةَ وَالْقُوَّةَ مِنْهَا : أَيْ يُعْطِي النُّجُومَ ، النُّورَ ، مِنَ الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ عَالَمُ النُّورِ ؛ وَيَبْعَثَ إِلَيْهَا النَّارَ وَالْحَرَارَةَ مِنْ جَهَنَّمَ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ، بَعْضاً مِنْ جَهَنَّمَ تِلْكَ ، مَسْكَناً وَمَحْبَساً لِأَهْلِ الْعَذَابِ . .

وَكَذَا أَنَّ فَاطِراً حَكِيماً يَحْفَظُ شَجَرَةً جَسِيمَةً كَالْجَبَلِ ، فِي نَوَاةٍ صَغِيرَةٍ كَالظُّفْرِ ، لَيْسَ بَعِيداً عَنْ قُدْرَةِ ذٰلِكَ الْفَاطِرِ الْجَلِيلِ ، وَعَنْ حِكْمَتِهِ ؛ أَنْ يَحْفَظَ جَهَنَّمَ الْكُبْرى ، فِي نَوَاةِ جَهَنَّمَ الصُّغْرى الْمَوْجُودَةِ فِي قَلْبِ كُرَةِ الأَرْضِ . .

الْحَاصِلُ : أَنَّ الْجَنَّةَ وَجَهَنَّمَ ، ثَمَرَتَا غُصْنٍ يَمْتَدُّ مِنْ شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ ؛ فَيَذْهَبُ مُنْعَطِفاً إِلٰى جَانِبِ الأَبَدِ . فَمَوْضِعُ الثَّمَرَةِ ، فِي مُنْتَهَى الْغُصْنِ . وَكَذَا أَنَّهُمَا نَتِيجَتَانِ لِسِلْسِلَةِ الْكَائِنَاتِ هٰذِهِ . فَمَحَلُّ النَّتَائِجِ ، فِي طَرَفَيِ السِّلْسِلَةِ . فَسُفْلِيُّهَا وَثَقِيلُهَا ، فِي

طَرَفِهَا الْأَسْفَلِ ؛ وَعُلْوِيُّهَا وَلَطِيفُهَا ، فِي طَرَفِهَا الْأَعْلٰى . وَكَذَا أَنَّهُمَا مَخْزَنَانِ لِسَيْلِ هٰذِهِ الشُّؤُونَاتِ وَالْمَحْصُولاَتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْأَرْضِيَّةِ . فَمَكَانُ الْمَخْزَنِ ، حَسَبَ أَنْوَاعِ الْمَحْصُولاَتِ . فَسَيِّئُهَا تَحْتَهَا ؛ وَطَيِّبُهَا فَوْقَهَا . وَكَذَا أَنَّهُمَا حَوْضَانِ لِلْمَوْجُودَاتِ السَّيَّالَةِ الْمُتَمَوِّجَةِ الْجَارِيَةِ إِلَى الْأَبَدِ . فَمَحَلُّ الْحَوْضِ ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَقِفُ السَّيْلُ وَيَجْتَمِعُ فِيهِ : أَيْ أَنَّ خَبِيثَاتِهِ وَمُزَخْرَفَاتِهِ فِي الْأَسْفَلِ ؛ وَطَيِّبَاتِهِ وَصَافِيَاتِهِ ، فِي الْأَعْلٰى . وَكَذَا أَنَّهُمَا مَوْضِعَانِ لِتَجَلِّي اللُّطْفِ وَالْقَهْرِ ، وَالرَّحْمَةِ وَالْعَظَمَةِ . فَمَوْضِعُ التَّجَلِّي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَأَيْنَمَا شَاءَ الرَّحْمٰنُ الْجَمِيلُ ، وَالْقَهَّارُ الْجَلِيلُ ؛ يَفْتَحُ فِيهِ مَعْرِضَ تَجَلِّيهِ . .

أَمَّا وُجُودُ الْجَنَّةِ وَجَهَنَّمَ : فَقَدْ أُثْبِتَ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ فِي (الْمَقَالاَتِ الْعَاشِرَةِ ، وَالثَّامِنَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَالتَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ) . وَنَقُولُ هٰهُنَا هٰذَا الْقَدْرَ فَقَطْ ؛ وَهُوَ : أَنَّ وُجُودَ الثَّمَرَةِ قَطْعِيٌّ وَيَقِينِيٌّ بِقَدَرِ الْغُصْنِ ؛ وَوُجُودَ النَّتِيجَةِ ، بِقَدَرِ السِّلْسِلَةِ ؛ وَوُجُودَ الْمَخْزَنِ ، بِقَدَرِ الْمَحْصُولاَتِ ؛ وَوُجُودَ الْحَوْضِ ، بِقَدَرِ النَّهَرِ ، وَوُجُودَ مَعْرِضِ التَّجَلِّي ، بِقَدَرِ وُجُودِ الرَّحْمَةِ وَالْقَهْرِ ، قَطْعِيٌّ وَيَقِينِيٌّ . .

﴿ اَلسُّؤَالُ الرَّابِعُ : ﴾ هَلِ الْعِشْقُ الْمَجَازِيُّ فِي أَكْثَرِ النَّاسِ لِلدُّنْيَا ، يَنْقَلِبُ إِلَى الْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ ؛ كَمَا يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْعِشْقُ الْمَجَازِيُّ لِلْمَحْبُوبَاتِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : نَعَمْ : إِنَّ الْعِشْقَ الْمَجَازِيَّ لِلْوَجْهِ الْفَانِي مِنَ الدُّنْيَا ، إِذَا رَأَى ذٰلِكَ الْعَاشِقُ مَا عَلَى ذٰلِكَ الْوَجْهِ ، مِنْ قُبْحِ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ؛ فَحَوَّلَ وَجْهَهُ مِنْهُ ؛ وَطَلَبَ مَحْبُوباً بَاقِياً ؛ وَوُفِّقَ لِلنَّظَرِ إِلَى الْوَجْهَيْنِ الْآخَرَيْنِ الْجَمِيلَيْنِ جِدّاً مِنَ الدُّنْيَا ، اللَّذَيْنِ هُمَا مِرْآةُ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَمَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَتَوَجَّهُ ذٰلِكَ الْعِشْقُ الْمَجَازِيُّ غَيْرُ الْمَشْرُوعِ ، إِلَى الاِنْقِلاَبِ بِالْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ ؛ وَلٰكِنْ بِشَرْطِ أَنْ لاَ يُلَبِّسَ دُنْيَاهُ الزَّائِلَةَ غَيْرَ الْمُسْتَقِرَّةِ ، الْمَرْبُوطَةَ بِحَيَاتِهِ ، بِالدُّنْيَا الْخَارِجِيَّةِ . فَإِنْ نَسِيَ نَفْسَهُ كَأَهْلِ الضَّلاَلَةِ ؛ وَخَاضَ فِي الْآفَاقِ ؛ وَظَنَّ دُنْيَاهُ الْخُصُوصِيَّةَ ، الدُّنْيَا الْعُمُومِيَّةَ ؛ فَعَشِقَهَا ؛ فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي وَحَلِ الطَّبِيعَةِ ؛ فَيَغْرَقُ

إِلّا أَنْ تُنْقِذَهُ يَدٌ مِنَ الْعِنَايَةِ ، بِوَجْهٍ خَارِقٍ . .

فَانْظُرْ إِلٰى هٰذَا التَّمْثِيلِ ، لِتَنْوِيرِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ إِذَا وُجِدَتْ لَنَا نَحْنُ الْأَرْبَعَةَ ، أَرْبَعُ مَرَايَا عَلٰى قَدَرِ الْقَامَةِ ، فِي الْجُدْرَانِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ هٰذِهِ الْغُرْفَةِ الْجَمِيلَةِ الْمُزَيَّنَةِ ؛ تَصِيرُ الْغُرْفَةُ حِينَئِذٍ خَمْسَ غُرَفٍ . فَوَاحِدَةٌ مِنْهَا حَقِيقِيَّةٌ وَعُمُومِيَّةٌ ؛ وَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا مِثَالِيَّةٌ وَخُصُوصِيَّةٌ . فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَدِّلَ شَكْلَ غُرْفَتِهِ الْخُصُوصِيَّةِ ، وَهَيْئَتَهَا وَلَوْنَهَا بِوَاسِطَةِ مِرْآتِهِ . فَإِذَا صَبَغْنَا مَرَايَانَا بِالصِّبْغِ الْأَحْمَرِ ؛ تُرِي الْأَشْيَاءَ حَمْرَاءَ ؛ أَوْ صَبَغْنَاهَا بِالْأَخْضَرِ ؛ تُرِيهَا خَضْرَاءَ . وَهٰكَذَا يُمْكِنُنَا أَنْ نُعْطِيَ غُرُفَاتِنَا أَوْضَاعاً كَثِيرَةً ، بِالتَّصَرُّفِ فِي الْمَرَايَا ؛ وَأَنْ نَضَعَهَا فِي أَشْكَالٍ كَثِيرَةٍ تُقَبِّحُهَا أَوْ تُزَيِّنُهَا ؛ وَلٰكِنْ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُغَيِّرَ الْغُرْفَةَ الْخَارِجِيَّةَ الْعُمُومِيَّةَ ؛ وَنَتَصَرَّفَ فِيهَا بِسُهُولَةٍ . فَالْغُرْفَتَانِ الْخُصُوصِيَّةُ وَالْعُمُومِيَّةُ مُخْتَلِفَتَانِ فِي الْأَحْكَامِ ؛ وَهُمَا مُتَّحِدَتَانِ فِي الْحَقِيقَةِ . فَلَكَ أَنْ تَهْدِمَ غُرْفَتَكَ الْخَاصَّةَ ، بِإِصْبَعٍ ؛ مَعَ أَنَّكَ لَا تُحَرِّكُ حَجَراً مِنَ الْأُخْرَى الْعَامَّةِ . هٰذَا فَالدُّنْيَا مَنْزِلٌ مُزَخْرَفٌ ؛ وَحَيَاةُ كُلٍّ مِنَّا مِرْآةٌ عَلٰى قَدَرِ الْقَامَةِ ؛ وَلِكُلٍّ مِنَّا دُنْيَا وَعَالَمٌ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ وَلٰكِنَّ عَمُودَهَا وَمَرْكَزَهَا وَبَابَهَا ، هِيَ حَيَاتُنَا ؛ بَلْ إِنَّ دُنْيَانَا وَعَالَمَنَا الْخُصُوصِيَّ ذٰلِكَ ، صَحِيفَةٌ ؛ وَحَيَاتَنَا قَلَمٌ تُكْتَبُ بِهِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ تَدْخُلُ صَحِيفَةَ أَعْمَالِنَا . فَإِنْ أَحْبَبْنَا دُنْيَانَا ؛ ثُمَّ رَأَيْنَا أَنَّ دُنْيَانَا زَائِلَةٌ فَانِيَةٌ لَا قَرَارَ لَهَا كَحَيَاتِنَا ؛ لِأَنَّهَا بُنِيَتْ عَلٰى حَيَاتِنَا ؛ فَشَعَرْنَا بِذٰلِكَ وَعَلِمْنَاهُ ؛ تَتَحَوَّلُ مَحَبَّتُنَا لَهَا إِلٰى نُقُوشِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، تِلْكَ النُّقُوشِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا دُنْيَانَا الْخُصُوصِيَّةُ تِلْكَ ؛ وَصَارَتْ مِرْآةً لَهَا ؛ وَتَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلٰى جَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ . وَكَذَا إِذَا أَدْرَكْنَا أَنَّ دُنْيَانَا تِلْكَ الدُّنْيَا الْخُصُوصِيَّةَ ، مَزْرَعَةٌ مُؤَقَّتَةٌ لِلْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ ؛ فَحَوَّلْنَا حِسِّيَّاتِنَا الشَّدِيدَةَ لَهَا ، مِثْلَ الْحِرْصِ وَالْحُبِّ وَالطَّلَبِ ، إِلٰى فَوَائِدِهَا الْأُخْرَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ نَتَائِجُهَا وَثِمَارُهَا وَسَنَابِلُهَا ؛ يَنْقَلِبُ حِينَئِذٍ ذٰلِكَ الْعِشْقُ الْمَجَازِيُّ ، إِلَى الْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ . وَإِلّا فَإِنْ نَسِيَ نَفْسَهُ ؛ وَصَارَ مَظْهَراً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسٰيهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولٰٓئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝﴾ ؛ فَلَمْ يَتَصَوَّرْ زَوَالَ حَيَاتِهِ ؛ وَعَلِمَ دُنْيَاهُ الْخَاصَّةَ غَيْرَ الْمُسْتَقِرَّةِ ، ثَابِتَةً كَالدُّنْيَا الْعَامَّةِ بِعَيْنِهَا ؛ فَخَاضَ

فِي الدُّنْيَا ؛ وَاعْتَنَقَهَا بِحِسِّيَّاتٍ شَدِيدَةٍ ، فَارِضاً أَنَّهُ لَا يَمُوتُ ؛ فَإِنَّهُ يَغْرَقُ فِيهَا وَيَفُوتُ . فَتِلْكَ الْمَحَبَّةُ بَلَاءٌ وَعَذَابٌ لَهُ بِلَا حَدٍّ ؛ لِأَنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْهَا شَفَقَةٌ يُتْمِيَّةٌ وَرِقَّةٌ آيِسَةٌ ؛ فَيَتَأَلَّمُ لِجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُحِسُّ بِفُرْقَةٍ وَرِقَّةٍ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْجَمِيلَةِ الْمَعْرُوضَةِ لِلزَّوَالِ ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ شَيْئاً ؛ فَيُقَاسِي الْأَلَمَ فِي يَأْسٍ مُطْلَقٍ ؛ وَلٰكِنَّ الشَّخْصَ الْأَوَّلَ الَّذِي خَلُصَ عَنِ الْغَفْلَةِ ، يَجِدُ تِرْيَاقاً عَالِياً ، إِزَاءَ أَلَمِ الشَّفَقَةِ ذٰلِكَ الْأَلَمِ الشَّدِيدِ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ يَرٰى فِي مَوْتِ جَمِيعِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَتَأَلَّمُ لَهَا ، وَفِي زَوَالِهَا ، أَنَّ مَرَايَا أَرْوَاحِهَا الْمُمَثِّلَةَ لِلْجَلَوَاتِ الدَّائِمَةِ ، مِنْ جَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْبَاقِيَةِ لِلذَّاتِ الْبَاقِي ، بَاقِيَةٌ ؛ فَتَنْقَلِبُ شَفَقَتُهُ إِلَى السُّرُورِ . وَكَذَا أَنَّهُ يَرٰى وَرَاءَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْجَمِيلَةِ الْمَعْرُوضَةِ لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ، نَقْشاً وَتَحْسِيناً ، صَنْعَةً وَتَزْيِيناً ، إِحْسَاناً وَتَنْوِيراً ، دَائِمَةً تُشْعِرُ بِجَمَالٍ مُنَزَّهٍ وَحُسْنٍ مُقَدَّسٍ ؛ وَيَرٰى ذٰلِكَ الزَّوَالَ وَالْفَنَاءَ ، عَلٰى شَكْلِ تَجْدِيدٍ لِتَزْيِيدِ الْحُسْنِ ، وَتَجْدِيدِ اللَّذَّةِ ، وَتَشْهِيرِ الصَّنْعَةِ ؛ فَيَزِيدُ لَذَّتَهُ وَشَوْقَهُ وَحَيْرَتَهُ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي

هُوَ جُزْءٌ مِنَ الْجَوابِ الْمُقابِلِ لِهَدِيَّةِ تِلْميذِهِ الْمَذْكُورِ الْمَعْلُومِ ذٰلِكَ..

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

... ثَالِثاً: أَنَّكَ بَعَثْتَ لِي بِهَدِيَّةٍ؛ فَتُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ أَهَمَّ قَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ حَيَاتِي. وَإِنِّي لَا أَقُولُ: إِنِّي كَمَا لَمْ أَقْبَلِ الْهَدِيَّةَ مِنْ شَقِيقِي عَبْدِ الْمَجِيدِ، وَابْنِ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، لَا أَقْبَلُ مِنْكَ أَيْضاً؛ ذٰلِكَ لِأَنَّكَ أَسْبَقُ وَأَقْرَبُ مِنْهُمَا إِلَى رُوحِي. فَلِذٰلِكَ إِذَا رُدَّتْ هَدِيَّةُ كُلِّ أَحَدٍ؛ فَإِنَّ هَدِيَّتَكَ لَا تُرَدُّ؛ عَلَى أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ مَخْصُوصاً بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَلٰكِنِّي أَذْكُرُ بِهٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ، سِرَّ قَاعِدَتِي تِلْكَ؛ وَهُوَ: أَنَّ السَّعِيدَ الْقَدِيمَ كَانَ لَا يَقْبَلُ الْمِنَّةَ؛ وَكَانَ يُرَجِّحُ الْمَوْتَ عَلَى الدُّخُولِ تَحْتَ الْمِنَّةِ؛ وَلَمْ يُفْسِدْ قَاعِدَتَهُ؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُقَاسِي الْمِحْنَةَ وَالْمَشَقَّةَ. فَهٰذِهِ الْخَصْلَةُ الْمَوْرُوثَةُ مِنَ السَّعِيدِ الْقَدِيمِ، لِأَخِيكَ الْبَائِسِ هٰذَا، لَيْسَتْ تَزَهُّداً وَاسْتِغْنَاءً مُصْطَنَعاً؛ بَلْ إِنَّهَا تَسْتَنِدُ إِلَى أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةِ أَسْبَابٍ جِدِّيَّةٍ..

اَلْأَوَّلُ: أَنَّ أَهْلَ الضَّلَالِ يَتَّهِمُونَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعِلْمَ وَاسِطَةَ الْجَرِّ؛ وَيُهَاجِمُونَهُمْ بِاعْتِسَافٍ؛ بِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعِلْمَ وَالدِّينَ مَدَارَ الْمَعِيشَةِ لَهُمْ؛ فَلَزِمَ أَنْ تُكَذَّبَ هٰؤُلَاءِ تَكْذِيباً فِعْلِيّاً..

اَلثَّانِي : أَنَّنَا مُكَلَّفُونَ بِاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ ، لِنَشْرِ الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ نَشَرُوا الْحَقَّ ، أَظْهَرُوا الِاسْتِغْنَاءَ عَنِ النَّاسِ ؛ فَقَالُوا فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ : ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلَى اللهِ . . إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلَى اللهِ﴾ . وَإِنَّ جُمْلَةَ ﴿اِتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۞﴾ فِي سُورَةِ يٰسٓ ، ذَاتُ مَغْزًى جِدّاً ، فِي حَقِّ مَسْأَلَتِنَا هٰذِهِ . .

اَلثَّالِثُ : أَنَّهُ يَلْزَمُ الْإِعْطَاءُ وَالْأَخْذُ بِاسْمِ اللهِ تَعَالٰى ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي الْمَقَالَةِ الْأُولٰى ؛ مَعَ أَنَّ الْغَالِبَ إِمَّا أَنَّ الْمُعْطِيَ غَافِلٌ يُعْطِي بِاسْمِ نَفْسِهِ ؛ فَيَمُنُّ ضِمْناً ؛ أَوْ أَنَّ الْآخِذَ غَافِلٌ يُخْطِئُ ؛ فَيُعْطِي الْأَسْبَابَ الظَّاهِرِيَّةَ ، مَا يَعُودُ إِلَى الْمُنْعِمِ الْحَقِيقِيِّ ، مِنَ الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ . .

اَلرَّابِعُ : أَنَّ التَّوَكُّلَ وَالْقَنَاعَةَ وَالِاقْتِصَادَ ، خَزِينَةٌ وَثَرْوَةٌ لَا تُبَدَّلُ بِأَيِّ شَيْءٍ . وَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ آخُذَ الْمَالَ عَنِ النَّاسِ ؛ فَأَسُدَّ تِلْكَ الْخَزَائِنَ وَالدَّفَائِنَ الَّتِي لَا تَفْنٰى ؛ وَأَشْكُرُ الرَّزَّاقَ الْجَلِيلَ ، مِئَاتِ آلَافِ شُكْرٍ ، حَيْثُ لَمْ يُكْرِهْنِي مُنْذُ صِغَرِي ، عَلَى الدُّخُولِ تَحْتَ الْمِنَّةِ وَالذِّلَّةِ ؛ وَأَرْجُو مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالٰى ، مُسْتَنِداً إِلٰى كَرَمِهِ ، أَنْ يَقْضِيَ بَقِيَّةَ عُمُرِي أَيْضاً ، بِتِلْكَ الْقَاعِدَةِ . .

اَلْخَامِسُ : أَنِّي اقْتَنَعْتُ قَنَاعَةً قَطْعِيَّةً ، مُنْذُ سَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ ، بِأَمَارَاتٍ وَتَجَارِبَ كَثِيرَةٍ : أَنِّي لَسْتُ مَأْذُوناً لِأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ ، لَاسِيَّمَا هَدَايَا الْأَغْنِيَاءِ وَالْمُوَظَّفِينَ ؛ فَيَضُرُّنِي بَعْضُهَا ؛ بَلْ يُجْعَلُ ضَرَراً لِي ؛ فَلَا يُؤْذَنُ بِأَكْلِهِ ؛ وَأَحْيَاناً يُحَوَّلُ إِلٰى صُورَةٍ تَضُرُّنِي . فَإِذاً إِنَّهُ أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ بِتَرْكِ قَبُولِ أَمْوَالِ الْآخَرِينَ ، وَنَهْيٌ عَنْ قَبُولِهَا . وَكَذَا أَنَّ فِيَّ تَوَحُّشاً ؛ فَلَا أَقْبَلُ كُلَّ أَحَدٍ كُلَّ وَقْتٍ . وَكَذَا أَنِّي أَسْتَحِبُّ أَكْلَ قِطْعَةِ خُبْزٍ يَابِسٍ ، وَلُبْسَ ثَوْبٍ مُرَقَّعٍ مِئَةَ رُقْعَةٍ ، مِمَّا يُنْقِذُنِي عَنِ التَّصَنُّعِ وَالتَّمَلُّقِ ؛ وَلَا أَسْتَحِبُّ أَكْلَ أَجْوَدِ حُلْوِيَّاتِ الْآخَرِينَ ، وَلُبْسَ أَجْمَلِ مَلَابِسِهِمْ ؛ وَأُضْطَرُّ لِصِيَانَةِ قُلُوبِهِمْ . .

اَلسَّادِسُ : وَهُوَ السَّبَبُ الْأَهَمُّ لِلِاسْتِغْنَاءِ ؛ هُوَ : أَنَّ ابْنَ حَجَرٍ الَّذِي هُوَ أَرْجَحُ اعْتِمَاداً فِي مَذْهَبِنَا ، يَقُولُ : «يَحْرُمُ قَبُولُ مَا يُعْطَى لَكَ بِنِيَّةِ الصَّلَاحِ ؛ إِنْ لَمْ تَكُنْ صَالِحاً» .

فَأَهْلُ هٰذَا الزَّمَانِ يَبِيعُونَ هَدِيَّةً صَغِيرَةً مِنْ هَدَايَاهُمْ ، بِثَمَنٍ غَالٍ ، مِنْ أَجْلِ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ بَائِساً عَاصِياً مِثْلِي ، صَالِحاً أَوْ وَلِيّاً ؛ ثُمَّ يُعْطُونَهُ خُبْزاً . فَإِنْ عَلِمْتُنِي صَالِحاً – حَاشَايَ – فَذٰلِكَ عَلَامَةُ الْغُرُورِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الصَّلَاحِ . وَإِنْ لَمْ أَعْلَمْنِي صَالِحاً ؛ فَلَا يَجُوزُ قَبُولُ ذٰلِكَ الْمَالِ . وَكَذَا أَنَّ قَبُولَ الصَّدَقَاتِ وَالْهَدَايَا ، مُقَابِلَ الْأَعْمَالِ الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى الْآخِرَةِ ، يَكُونُ بِمَثَابَةِ أَكْلِ الثَّمَرَاتِ الْبَاقِيَةِ مِنْ ثَمَرَاتِ الْآخِرَةِ ، بِصُورَةٍ فَانِيَةٍ فِي الدُّنْيَا . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ

هُوَ جُزْءٌ مِنَ الْمَكْتُوبِ الْمُرْسَلِ إِلٰى تِلْمِيذِهِ الْمَعْلُومِ ذٰلِكَ . .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ . .

اَلسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ أَبَداً دَائِماً . .

. . . خَامِساً : أَنَّكَ كَتَبْتَ فِي رِسَالَةٍ ، رَجَاءَ أَنْ تَكُونَ ذَا حِصَّةٍ مِنْ حِسِّيَّاتِي هٰهُنَا . فَاسْمَعْ مِنَ الْأَلْفِ وَاحِداً مِنْهَا ؛ وَهُوَ : أَنِّي نَظَرْتُ لَيْلَةً إِلٰى وَجْهِ السَّمَاءِ الْجَمِيلِ الْمُذَهَّبِ بِالنُّجُومِ ، فِي الْوَكْرِ عَلٰى رَأْسِ شَجَرَةِ قِطْرَانٍ رَفِيعَةٍ بِقَدَرِ مِئَةِ ذِرَاعٍ ؛ فَرَأَيْتُ نُوراً عَالِياً مِنَ الْإِعْجَازِ ، وَسِرّاً لاَمِعاً مِنَ الْبَلاَغَةِ ، فِي قَسَمِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، فِي آيَةِ ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝﴾ . .

نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى النُّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وَإِلَى اسْتِتَارِهَا وَانْتِشَارِهَا ، تَعْرِضُ لِنَظَرِ الْعِبْرَةِ ، نَقْشاً عَالِياً مِنَ الصَّنْعَةِ ، وَلَوْحاً سَامِياً مِنَ الْعِبْرَةِ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ السَّيَّارَاتِ يَخْرُجْنَ عَنْ دَائِرَةِ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ قَائِدَتُهُنَّ ؛ فَيَدْخُلْنَ فِي دَائِرَةِ النُّجُومِ الثَّوَابِتِ ؛ فَيُظْهِرْنَ فِي السَّمَاءِ ، نُقُوشاً وَصَنَائِعَ مُتَجَدِّدَةً ؛ فَقَدْ تَتَكَاتَفُ أَحْيَاناً وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ ، كَوْكَباً مُشْرِقاً مِثْلَهَا ؛ فَتُظْهِرَانِ كَيْفِيَّةً جَمِيلَةً ؛ وَقَدْ تَدْخُلُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا ، بَيْنَ كَوَاكِبَ صَغِيرَةٍ ؛ فَتُظْهِرُ صُورَةَ الْقَائِدِ ؛ وَلاَسِيَّمَا أَنَّ نَجْمَةَ الزُّهْرَةِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَنَجْمَةً لاَمِعَةً أُخْرٰى رَفِيقَةً لَهَا قَبْلَ الْفَجْرِ ، فِي هٰذَا الْفَصْلِ تُظْهِرَانِ فِي الْأُفُقِ وَضْعاً جَمِيلاً حُلْواً لِلْغَايَةِ . ثُمَّ بَعْدَ مَا يُؤَدِّينَ وَظِيفَتَهُنَّ

التَّفْتِيشِيَّةَ ؛ وَيُوفِينَ خِدْمَةَ الْمَكُّوكِيَّةِ فِي نَقْشِ الصَّنْعَةِ ؛ يَرْجِعْنَ إِلٰى سُلْطَانِهِنَّ الشَّمْسِ ؛ فَيَدْخُلْنَ فِي دَائِرَتِهَا الْمُحْتَشِمَةِ ؛ فَيَسْتَتِرْنَ فِيهَا . فَهٰذِهِ السَّيَّارَاتُ الْمُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْخُنَّسِ الْكُنَّسِ ، مَعَ أَرْضِنَا هٰذِهِ ، تَدُلُّ عَلٰى حِشْمَةِ رُبُوبِيَّةِ مَنْ يُجْرِيهَا وَيُدِيرُهَا بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ؛ وَيُسَيِّرُهَا عَلٰى صُورَةِ سُفُنٍ وَطَائِرَاتٍ فِي فَضَاءِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَتَدُلُّ عَلٰى شَعْشَعَةِ سَلْطَنَةِ أُلُوهِيَّتِهِ ، بِإِشْرَاقِهَا مِثْلَ الشَّمْسِ . فَانْظُرْ إِلٰى حِشْمَةِ سَلْطَنَةٍ يُوجَدُ بَيْنَ سَفَائِنِهَا وَطَائِرَاتِهَا ، مَا هِيَ فِي جَسَامَةٍ مِقْدَارَ كُرَةِ الْأَرْضِ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَفِي سُرْعَةٍ تَقْطَعُ فِي ثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ ، مَسَافَةَ ثَمَانِي سَاعَاتٍ . فَالِانْتِسَابُ بِالْإِيمَانِ وَالْعُبُودِيَّةِ ، إِلٰى سُلْطَانٍ كَذٰلِكَ ، وَالتَّضَيُّفُ لَهُ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، أَيَّةُ سَعَادَةٍ عَالِيَةٍ ، وَأَيُّ شَرَفٍ عَظِيمٍ . فَقِسْ عَلَيْهِ . .

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الْقَمَرِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ آيَةَ ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتّٰى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞﴾ تُفِيدُ نُوراً مُشْرِقاً مِنَ الْإِعْجَازِ . .

نَعَمْ : إِنَّ تَقْدِيرَ الْقَمَرِ وَتَدْوِيرَهُ ، وَتَدْبِيرَهُ وَتَنْوِيرَهُ ، وَأَوْضَاعَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ ، بِحِسَابٍ دَقِيقٍ لِلْغَايَةِ ، مُحَيِّرَةٌ وَخَارِقَةٌ بِحَيْثُ تُدَرِّسُ كُلَّ ذِي شُعُورٍ مُتَفَرِّجٍ : أَنَّ قَدِيراً نَظَّمَهُ وَقَدَّرَهُ كَذٰلِكَ ، لَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَصْلاً ؛ وَأَنَّ مَنْ صَنَعَهُ كَذٰلِكَ ، يَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ . وَكَذَا أَنَّهُ يُتَابِعُ الشَّمْسَ بِحَيْثُ لَا يَضِلُّ طَرِيقَهُ بِقَدَرِ ثَانِيَةٍ ؛ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْ وَظِيفَتِهِ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ ؛ فَيُنْطِقُ النَّاظِرَ بِالْإِمْعَانِ ، بِقَوْلِ : «سُبْحَانَ مَنْ تَحَيَّرَ فِي صُنْعِهِ الْعُقُولُ» ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّهُ حِينَمَا يَدْخُلُ مَنْزِلَ الثُّرَيَّا ، عَلٰى شَكْلِ هِلَالٍ دَقِيقٍ ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ؛ كَمَا فِي آخِرِ شَهْرِ «أَيَّارَ» ؛ يُظْهِرُ الْقَمَرُ صُورَةَ جِذْعِ نَخْلٍ ، أَبْيَضَ مُتَقَوِّسٍ ؛ وَتُظْهِرُ الثُّرَيَّا صُورَةَ عُنْقُودٍ . فَلِذٰلِكَ يُخَيِّلُ لِلْخَيَالِ ، وُجُودَ شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ نُورَانِيَّةٍ ، وَرَاءَ حِجَابِ السَّمَاءِ الْأَزْرَقِ ؛ فَكَأَنَّ رَأْسَ غُصْنٍ دَقِيقٍ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، قَدْ ثَقَبَ ذٰلِكَ الْحِجَابَ ؛ فَخَرَجَ بِرَأْسِهِ مَعَ عُنْقُودٍ مِنْ عَنَاقِيدِهِ ؛ فَصَارَا الثُّرَيَّا وَالْهِلَالَ ؛ وَيُلَقِّنُ الْخَيَالَ أَنَّ سَائِرَ الْكَوَاكِبِ ثَمَرَاتُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْغَيْبِيَّةِ . فَأَبْصِرْ لَطَافَةَ تَشْبِيهِ (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) وَبَلَاغَتَهُ . .

ثُمَّ وَرَدَتْ بِبَالِي ، آيَةُ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾

حَيْثُ تُشِيرُ إِلٰى أَنَّ الْأَرْضَ مَرْكُوبَةٌ وَسَفِينَةٌ مُسَخَّرَةٌ . فَمِنْ تِلْكَ الْإِشَارَةِ رَأَيْتُ نَفْسِي عَلٰى مَوْضِعٍ رَفِيعٍ ، مِنْ سَفِينَةٍ عَظِيمَةٍ تَسْبَحُ بِسُرْعَةٍ فِي فَضَاءِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَقَرَأْتُ آيَةَ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الَّتِي تُسَنُّ قِرَاءَتُهَا حِينَ يُرْكَبُ مَرْكُوبٌ مِثْلُ الْفَرَسِ وَالسَّفِينَةِ . وَكَذَا رَأَيْتُ أَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ اتَّخَذَتْ بِهٰذِهِ الْحَرَكَةِ ، كَيْفِيَّةَ جِهَازٍ يُظْهِرُ أَلْوَاحَ السِّينَمَا ؛ فَحَرَّكَتْ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ ؛ وَشَرَعَتْ فِي سَوْقِ جَمِيعِ الْكَوَاكِبِ ، كَجَيْشٍ مُحْتَشِمٍ ؛ وَأَظْهَرَتْ مَنَاظِرَ عَالِيَةً لَذِيذَةً تُدْهِشُ أَصْحَابَ الْفِكْرِ وَتُحَيِّرُهُمْ . فَقُلْتُ : «سُبْحَانَ اللّٰهِ» كَيْفَ تُؤَدّٰى بِإِنْفَاقٍ قَلِيلٍ ، أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ ، عَجِيبَةٌ وَغَرِيبَةٌ ، عَالِيَةٌ وَغَالِيَةٌ . فَمِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ خَطَرَتْ بِالْبَالِ نُكْتَتَانِ إِيمَانِيَّتَانِ . .

الْأُولٰى : أَنَّ ضَيْفاً مِنْ ضُيُوفِي سَأَلَنِي سُؤَالاً ، قَبْلَ عِدَّةِ أَيَّامٍ . وَأَسَاسُ ذٰلِكَ السُّؤَالِ الْمُشْتَبِهِ هُوَ : أَنَّ الْجَنَّةَ وَجَهَنَّمَ بَعِيدَتَانِ جِدّاً . فَهَبْ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَمْضُونَ عَنِ الْمَحْشَرِ ؛ وَيَذْهَبُونَ إِلَى الْجَنَّةِ طَائِرِينَ كَالْبَرْقِ وَالْبُرَاقِ ، بِاللُّطْفِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَلٰكِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ كَيْفَ يَذْهَبُونَ تَحْتَ أَجْسَامِهِمُ الثَّقِيلَةِ ، وَأَحْمَالِ الذُّنُوبِ الْعَظِيمَةِ الثَّقِيلَةِ ؟ . وَبِأَيِّ وَاسِطَةٍ يَذْهَبُونَ ؟ .

فَالَّذِي وَرَدَ بِالْبَالِ ، هُوَ : أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الشُّعُوبَ جَمِيعاً ، إِذَا دُعُوا إِلٰى مُؤْتَمَرٍ عَامٍّ فِي أَمْرِيكَا مَثَلاً ، يَرْكَبُ كُلُّ شَعْبٍ ، سَفِينَتَهُ الْكَبِيرَةَ ؛ فَيَذْهَبُ إِلٰى هُنَالِكَ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ الَّتِي اعْتَادَتْ سِيَاحَةً طَوِيلَةً بِمِقْدَارِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي بَحْرِ الْكَائِنَاتِ الْمُحِيطِ ، تَحْمِلُ أَهَالِيَهَا وَتَذْهَبُ ؛ فَتُفْرِغُهُمْ فِي مَيْدَانِ الْحَشْرِ ؛ وَكَذَا تَصُبُّ فِي جَهَنَّمَ ، نَارَهَا الْمَوْجُودَةَ فِي مَرْكَزِهَا ، الْمُتَضَمِّنَةَ لِمِئَتَيْ أَلْفِ دَرَجَةٍ مِنَ الْحَرَارَةِ ، بِدَلَالَةِ تَزَايُدِ دَرَجَةٍ مِنَ الْحَرَارَةِ ، فِي كُلِّ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مِتْراً ، وَالْمُوَافِقَةَ لِدَرَجَةِ حَرَارَةِ جَهَنَّمَ ، الْمُبَيَّنَةِ بِالْحَدِيثِ ، وَالَّتِي تُؤَدِّي فِي الدُّنْيَا وَالْبَرْزَخِ ، بَعْضَ وَظَائِفِ جَهَنَّمَ الْكُبْرٰى ، عَلٰى مَا فِي رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ ؛ ثُمَّ تَتَبَدَّلُ بِأَمْرِ اللّٰهِ ، بِصُورَةٍ بَاقِيَةٍ أَجْمَلَ ؛ وَتَصِيرُ مَنْزِلاً مِنْ عَالَمِ الْآخِرَةِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي وَرَدَتْ عَلَى الْبَالِ :

أَنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيرَ ، وَالْفَاطِرَ الْحَكِيمَ ، وَالْوَاحِدَ الْأَحَدَ ، قَدْ سَنَّ أَدَاءَ أَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ ، بِشَيْءٍ قَلِيلٍ جِدّاً ، وَتَأْدِيَةَ وَظَائِفَ كَبِيرَةٍ ، بِشَيْءٍ صَغِيرٍ جِدّاً ؛ وَذٰلِكَ لِإِظْهَارِ كَمَالِ قُدْرَتِهِ ، وَجَمَالِ حِكْمَتِهِ ، وَدَلِيلِ وَحْدَتِهِ . وَلَقَدْ قُلْتُ فِي بَعْضِ الْمَقَالَاتِ : إِنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، إِنْ أُسْنِدَتْ إِلٰى وَاحِدٍ أَحَدٍ ؛ يَحْصُلُ سُهُولَةٌ وَيُسْرٌ فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَإِنْ أُسْنِدَتِ الْأَشْيَاءُ إِلٰى أَسْبَابٍ وَصُنَّاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ تَقَعُ صُعُوبَاتٌ وَمُشْكِلَاتٌ فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ؛ لِأَنَّ شَخْصاً وَاحِداً مِثْلَ ضَابِطٍ أَوْ بَانٍ ، يُعْطِي أَفْرَاداً وَأَحْجَاراً كَثِيرَةً ، وَضْعاً ، بِفِعْلٍ وَاحِدٍ ، وَبِحَرَكَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِسُهُولَةٍ ؛ فَيُحَصِّلُ نَتِيجَةً بِالسُّهُولَةِ ، بِحَيْثُ لَوْ أُحِيلَ اتِّخَاذُ ذٰلِكَ الْوَضْعِ ، وَاسْتِحْصَالُ تِلْكَ النَّتِيجَةِ ، إِلٰى مَنْ فِي ذٰلِكَ الْجَيْشِ مِنَ الْأَفْرَادِ ، وَإِلٰى مَا فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ الْمُعَقَّدَةِ مِنَ الْأَحْجَارِ ؛ لَمَا حَصَلَ ذٰلِكَ إِلَّا بِأَفْعَالٍ وَمُشْكِلَاتٍ وَاخْتِلَاطَاتٍ كَبِيرَةٍ جِدّاً . .

فَمَا فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ مِنَ الرَّقْصِ وَالدَّوَرَانِ ، وَالسَّيْرِ وَالْجَوَلَانِ ، وَالتَّنَزُّهِ الَّذِي يَفُوحُ تَسْبِيحاً ، وَمَا فِي الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، مِنَ الْأَفْعَالِ كَالتَّحَوُّلِ وَالسَّيَرَانِ ، إِنْ أُسْنِدَتْ إِلَى الْوَحْدَةِ ؛ فَإِنَّ آمِراً وَاحِداً ، يَسْتَحْصِلُ بِأَمْرٍ وَاحِدٍ ، بِتَحْرِيكِ كُرَةٍ وَاحِدَةٍ ، تِلْكَ الْكَيْفِيَّاتِ الْعَالِيَةَ ، وَالنَّتَائِجَ الْغَالِيَةَ ، مِثْلَ إِظْهَارِ عَجَائِبِ الصَّنْعَةِ فِي تَبَدُّلِ الْفُصُولِ ، وَغَرَائِبِ الْحِكْمَةِ فِي دَوَرَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَلْوَاحِ التَّنَزُّهِ اللَّذِيذَةِ فِي الْحَرَكَاتِ الصُّورِيَّةِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ جَيْشُهُ ؛ فَإِنْ شَاءَ ، يُعَيِّنُ مُجَنَّداً مِثْلَ الْأَرْضِ ، قَائِداً عَلٰى جَمِيعِ النُّجُومِ ؛ وَيَجْعَلُ الشَّمْسَ الْعَظِيمَةَ ، سِرَاجاً مُضِيئاً مُدْفِئاً لِأَهَالِيهِ ؛ وَيَجْعَلُ الْفُصُولَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي هِيَ أَلْوَاحُ نُقُوشِ الْقُدْرَةِ ، مَكُّوكاً ؛ وَيَجْعَلُ اللَّيَالِيَ وَالْأَيَّامَ الَّتِي هِيَ صَحَائِفُ كِتَابَةِ الْحِكْمَةِ ، نَابِضاً ؛ وَيُظْهِرُ لِكُلِّ يَوْمٍ ، قَمَراً عَلٰى شَكْلٍ آخَرَ ؛ فَيَجْعَلُهُ تَقْوِيماً لِحِسَابِ الْأَوْقَاتِ ؛ وَيُعْطِي النُّجُومَ صُورَةَ مَصَابِيحَ لَطِيفَةٍ طَيِّبَةٍ ، وَمُتَلَأْلِئَةٍ مُتَزَيِّنَةٍ تَرْقُصُ بِنَفْسِهَا ، فِي أَيْدِي مَلَآئِكَةٍ رَاقِصِينَ مِنَ الْجَذْبَةِ . وَهٰكَذَا يُظْهِرُ حِكَماً كَثِيرَةً عَائِدَةً إِلَى الْأَرْضِ ، مِثْلَ هٰذِهِ

الْحِكَمِ . وَإِنْ لَمْ تُطْلَبْ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّاتُ ، مِنْ مَوْلًى مُتَوَجِّهٍ حُكْمُهُ وَنِظَامُهُ ، وَقَانُونُهُ وَتَدْبِيرُهُ ، إِلٰى كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ أَنْ تَقْطَعَ جَمِيعُ الشُّمُوسِ وَالنُّجُومِ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، مَسَافَةً بِلَا حَدٍّ ، بِحَرَكَةٍ حَقِيقِيَّةٍ ، وَبِسُرْعَةٍ لَا حَدَّ لَهَا . .

فَفِي الْوَحْدَةِ سُهُولَةٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَفِي الْكَثْرَةِ صُعُوبَةٌ لَا حَدَّ لَهَا . فَلِذٰلِكَ يُعْطِي أَهْلُ الصَّنْعَةِ وَالتِّجَارَةِ ، وَحْدَةً لِلْكَثْرَةِ ؛ حَتّٰى يَكُونَ السُّهُولَةُ وَالْيُسْرُ : أَيْ أَنَّهُمْ يُشَكِّلُونَ شَرِكَاتٍ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ فِي طَرِيقِ الضَّلَالَةِ ، مُشْكِلَاتٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَفِي طَرِيقِ الْهِدَايَةِ وَالْوَحْدَةِ ، سُهُولَةً بِلَا نِهَايَةٍ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

سَلاَمُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ ، عَلَيْكُمْ وَعَلٰى إِخْوَانِكُمْ ، لاَسِيَّمَا . . إِلٰى آخِرِهِ . .

إِخْوَانِيَ الْأَعِزَّةَ ! إِنَّنِي الْآنَ فِي مَنْزِلٍ عَلٰى ذُرْوَةِ شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الصَّنَوْبَرِ ، فِي قِمَّةٍ شَاهِقَةٍ فِي جَبَلِ الصَّنَوْبَرِ . لَقَدْ تَوَحَّشْتُ عَنِ الْإِنْسِ ؛ وَآنَسْتُ بِالْوُحُوشِ ؛ وَحِينَمَا أَشْتَهِي الْمُصَاحَبَةَ مَعَ النَّاسِ ؛ أَجِدُكُمْ عِنْدِي خَيَالاً ؛ فَأُحَاوِرُكُمْ وَأَتَسَلّٰى بِكُمْ . وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْقٰى هُنَا وَحِيداً ، شَهْراً أَوْ شَهْرَيْنِ ؛ إِنْ لَمْ يُوجَدْ مَانِعٌ . فَإِذَا رَجَعْتُ إِلٰى «بَارْلَا» ؛ نَتَحَرّٰى وَسِيلَةَ مُصَاحَبَةٍ شَفَهِيَّةٍ اشْتَقْتُ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْكُمْ ؛ وَذٰلِكَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تُرِيدُونَهُ . .

وَالْآنَ أَكْتُبُ بَعْضَ خَوَاطِرَ وَرَدَتْ بِالْبَالِ ، عَلٰى شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ هٰذِهِ :

اَلْأُولٰى : سِرٌّ مُحَرَّمٌ جُزْئِيّاً ؛ وَلٰكِنَّ السِّرَّ لاَ يُحْجَبُ عَنْكَ ؛ وَهُوَ : كَمَا أَنَّ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، يَكُونُونَ مَظْهَراً لِاسْمِ الْوَدُودِ ؛ وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، بِنَوَافِذِ الْمَوْجُودَاتِ ، بِجَلَوَاتِ ذٰلِكَ الِاسْمِ ، بِمَرْتَبَةٍ عُظْمٰى ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ أَخَاكُمْ هٰذَا الْمَعْدُومَ الْمَحْضَ ، أُعْطِيَ كَيْفِيَّةً تَكُونُ وَسِيلَةً لِمَظْهَرِيَّةِ اسْمَيِ الرَّحِيمِ وَالْحَكِيمِ ؛ وَذٰلِكَ فِي حَالِ اسْتِخْدَامِهِ لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَحِينَمَا يَكُونُ دَلاَّلاً لِتِلْكَ الْخَزِينَةِ الْغَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، فَقَطْ . وَجَمِيعُ الْمَقَالاَتِ ، جَلَوَاتُ تِلْكَ الْمَظْهَرِيَّةِ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ الْمَقَالاَتِ ، مَظَاهِرُ لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالٰى . .

اَلثَّانِيَةُ: أَنَّ الْفِقْرَةَ اللَّطِيفَةَ الْمُنْشَدَةَ فِي حَقِّ الطَّرِيقَةِ النَّقْشِيَّةِ(١): (يَلْزَمُ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشِيَّةِ أَرْبَعَةُ تُرُوكٍ، هِيَ تَرْكُ الدُّنْيَا وَتَرْكُ الْعُقْبَى وَتَرْكُ الْوُجُودِ وَتَرْكُ تَصَوُّرِ هٰذِهِ التُّرُوكِ، لِئَلَّا يَقَعَ فِي الْعُجْبِ)؛ وَرَدَتْ فَجْأَةً بِالْبَالِ؛ فَطَلَعَتْ هٰذِهِ الْفِقْرَةُ فَجْأَةً، مَعَ تِلْكَ الْخَاطِرَةِ؛ وَهِيَ (يَلْزَمُ فِي طَرِيقِ الْعَجْزِ؛ وَهُوَ مَسْلَكُ النُّورِ، أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ، أَيُّهَا الْعَزِيزُ! وَهِيَ الْفَقْرُ وَالْعَجْزُ وَالشُّكْرُ وَالشَّوْقُ الْمُطْلَقَاتُ(٢))..

ثُمَّ خَطَرَ ببَالِي، مَا كَتَبْتُهُ مِنَ الشِّعْرِ الْفَنِّيِّ الْمُلَوَّنِ؛ وَهُوَ: (أُنْظُرْ إِلَى الصَّفْحَةِ الْمُلَوَّنَةِ مِنْ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ(٣)) إِلٰى آخِرِهِ.. فَنَظَرْتُ بِذٰلِكَ الشِّعْرِ، إِلَى النُّجُومِ فِي وَجْهِ السَّمَاءِ؛ فَقُلْتُ: لَيْتَنِي كُنْتُ شَاعِراً؛ فَأُكْمِلَ هٰذَا الشِّعْرَ؛ فَشَرَعْتُ فِيهِ؛ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ لِيَ اسْتِعْدَادُ الشِّعْرِ وَالنَّظْمِ؛ وَلٰكِنْ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ نَظْماً وَشِعْراً؛ فَكَتَبْتُ كَمَا خَطَرَ. وَإِنْ شِئْتَ أَنْتَ الَّذِي تَرِثُنِي؛ فَنَظِّمْهُ وَحَوِّلْهُ إِلَى النَّظْمِ..

وَهٰذِهِ هِيَ مَا خَطَرَتْ فَجْأَةً:

(اِسْتَمِعْ إِلَى الْكَوَاكِبِ تِلْكَ الْخُطْبَةِ اللَّذِيذَةِ، وَكِتَابِ الْحِكْمَةِ النَّيِّرَةِ؛ وَانْظُرْ مَاذَا قَرَّرَتْ؟ ❀ فَبَدَأَتْ بِالنُّطْقِ جَمِيعاً؛ وَتَقُولُ مَعاً بِلِسَانِ الْحَقِّ: نَحْنُ بَرَاهِينُ نَوَّارَةٌ لِحِشْمَةِ سَلْطَنَةِ قَدِيرٍ ذِي جَلالٍ ❀ وَشَوَاهِدُ عَلٰى وُجُودِ الصَّانِعِ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ وَقُدْرَتِهِ ❀ وَنَحْنُ آلافُ عُيُونٍ(٤) مُدَقِّقَةٍ، مِنْ عُيُونِ هٰذِهِ السَّمَاءِ؛ تَنْظُرُ بِدِقَّةٍ، إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلَى الْأَرْضِ،

---

(١) أَصْلُ الْفِقْرَةِ الْفَارِسِيَّةِ: دَرْ طَرِيقِ نَقْشَبَنْدِي لاَزِمْ آمَدْ چَارِ تَرْكْ ❀ تَرْكِ دُنْيَا، تَرْكِ عُقْبَا، تَرْكِ هَسْتِي، تَرْكِ تَرْكْ .. اَلْمُتَرْجِمُ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ)..

(٢) أَصْلُ الْفِقْرَةِ الْفَارِسِيَّةِ: دَرْ طَرِيقِ عَجْزَ مَنْدِي لاَزِمْ آمَدْ چَارِچِيزْ ❀ فَقْرِ مُطْلَقْ، عَجْزِ مُطْلَقْ، شُكْرِ مُطْلَقْ، شَوْقِ مُطْلَقْ، أَيْ عَزِيزْ.. اَلْمُتَرْجِمُ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ)..

(٣) أَصْلُ الْفِقْرَةِ الْفَارِسِيَّةِ: بَاقْ كِتَابِ كَائِنَاتِكْ صَفْحَهٔ رَنْكِينِنَه ❀.. اَلْمُتَرْجِمُ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ)..

(٤) يَعْنِي: كَمَا أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ فِي عَالَمِ السَّمَاوَاتِ، تَتَفَرَّجُ عَلٰى مُعْجِزَاتِ الْقُدْرَةِ وَخَوَارِقِهَا، حَيْثُ تُعْرَضُ مَا لاَ حَدَّ لَهَا مِنْ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ وَالْخَوَارِقِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مَزْرَعَةُ أَزْهَارٍ =

لِلتَّفرُّجِ عَلٰى مُعْجِزاتٍ لَطِيفَةٍ ذَهَّبَتْ وَجهَ هٰذِهِ الْأَرْضِ ؛ كَمَا يَتفَرَّجُ عَلَيْهَا الْمَلآئِكَةُ ❁ وَنَحْنُ ثَمَرَاتٌ جَمِيلَةٌ عُلِّقَتْ بِيَدِ حِكْمَةِ جَمِيلٍ ذِي جَلالٍ ، عَلٰى شَطْرِ السَّمَاوَاتِ ، وَعَلٰى أَغْصَانِ الْمَجَرَّةِ ، مِنْ طُوبَى الْخِلْقَةِ ❁ وَنَحْنُ مَسَاجِدُ سَيَّارَةٌ ، وَبُيُوتٌ دَوَّارَةٌ ، وَأَوْكَارٌ عَالِيَةٌ ، وَمَصَابِيحُ نَوَّارَةٌ ، وَطَائِرَاتٌ وَسُفُنٌ جَبَّارَةٌ ، لِأَهْلِ هٰذِهِ السَّمَاوَاتِ ❁ وَنَحْنُ مُعْجِزَاتُ الْقُدْرَةِ ، وَخَوَارِقُ الصَّنْعَةِ ، وَنَوَادِرُ الْحِكْمَةِ ، وَدَوَاهِي الْخِلْقَةِ ، وَعَوَالِمُ النُّورِ ، لِقَدِيرٍ ذِي كَمَالٍ وَحَكِيمٍ ذِي جَلالٍ ❁ وَهٰكَذَا نُظْهِرُ مِئَةَ أَلْفِ بُرْهَانٍ ، بِمِئَةِ أَلْفِ لِسَانٍ ؛ وَنُسْمِعُهَا مَنْ هُوَ إِنْسَانٌ ❁ عَمِيَتْ عَيْنُ الْمُلْحِدِ ؛ لَا تَرٰى وُجُوهَنَا ؛ وَلَا تَسْمَعُ أَقْوَالَنَا ؛ وَنَحْنُ آيَاتٌ نَاطِقَةٌ بِالْحَقِّ ❁ سِكَّتُنَا وَاحِدَةٌ ؛ وَطُرَّتُنَا مُتَّحِدَةٌ ؛ نَحْنُ مُسَخَّرَاتٌ وَمُسَبِّحَاتٌ لِرَبِّنَا ؛ وَنَذْكُرُهُ عَابِدَاتٍ ؛ وَنَحْنُ مَجْذُوبَاتٌ مَنْسُوبَاتٌ إِلٰى حَلْقَةِ الْمَجَرَّةِ الْكُبْرٰى ❁) . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

= الْجَنَّةِ ، وَمَزْهَرَتُهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْكَوَاكِبَ الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ عُيُونِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ كَأَنَّهَا كُلَّمَا تَرَى الْمَصْنُوعَاتِ اللَّطِيفَةَ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ تَنْظُرُ إِلٰى عَالَمِ الْجَنَّةِ ؛ وَتُشَاهِدُ فِي الْجَنَّةِ تِلْكَ الْخَوَارِقَ الْمُؤَقَّتَةَ ، عَلٰى صُورَةٍ بَاقِيَةٍ ؛ فَتَنْظُرُ مَرَّةً إِلَى الْأَرْضِ ؛ وَأُخْرٰى إِلَى الْجَنَّةِ : أَيْ إِنَّ لَهَا نَظَارَةً لِكِلَا الْعَالَمَيْنِ ، كَالْمَلآئِكَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

إنَّ الْإمَامَ الرَّبَّانِيَّ بَطَلَ السِّلْسِلَةِ النَّقْشِيَّةِ وَشَمْسَهَا ، قَالَ فِي مَكْتُوبَاتِهِ : «إنِّي أُرَجِّحُ انْكِشَافَ مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَقَائِقِ الْإيمَانِيَّةِ ، عَلٰى آلَافِ أَذْوَاقٍ وَمَوَاجِدَ وَكَرَامَاتٍ» . . وَقَالَ أَيْضاً : «إنَّ مُنْتَهٰى جَمِيعِ الطَّرَائِقِ ، هُوَ وُضُوحُ الْحَقَائِقِ الْإيمَانِيَّةِ وَانْكِشَافُهَا» . . وَقَالَ أَيْضاً : «إنَّ الْوِلَايَةَ عَلٰى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ؛ الْأَوَّلُ : الْوِلَايَةُ الصُّغْرٰى ؛ وَهِيَ الْوِلَايَةُ الْمَشْهُورَةُ ؛ وَالثَّانِي : الْوِلَايَةُ الْوُسْطٰى ؛ وَالثَّالِثُ : الْوِلَايَةُ الْكُبْرٰى . فَالْوِلَايَةُ الْكُبْرٰى هِيَ فَتْحُ السَّبِيلِ إلَى الْحَقِيقَةِ مُبَاشَرَةً ، بِطَرِيقِ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، مِنْ غَيْرِ دُخُولٍ فِي بَرْزَخِ التَّصَوُّفِ» . . وَقَالَ أَيْضاً : «إنَّ السُّلُوكَ فِي الطَّرِيقِ النَّقْشِيِّ يَكُونُ بِجَنَاحَيْنِ ـ أَيْ بِاعْتِقَادِ الْحَقَائِقِ الْإيمَانِيَّةِ بِصُورَةٍ صَحِيحَةٍ ، وَامْتِثَالِ الْفَرَائِضِ الدِّينِيَّةِ ـ ؛ فَإنْ عَرَضَ نَقْصٌ فِي هٰذَيْنِ الْجَنَاحَيْنِ ؛ لَا يُسْلَكُ فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ» . فَإذاً إنَّ لِلطَّرِيقِ النَّقْشِيِّ ، ثَلَاثَةَ حُجُبٍ . .

أَوَّلُهَا وَأَعْلَاهَا وَأَعْظَمُهَا : خِدْمَةُ الْحَقَائِقِ الْإيمَانِيَّةِ مُبَاشَرَةً . وَالْإمَامُ الرَّبَّانِيُّ أَيْضاً ، سَلَكَ عَلَيْهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . .

ثَانِيهَا : خِدْمَةُ الْفَرَائِضِ الدِّينِيَّةِ ، وَالسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، تَحْتَ حِجَابِ الطَّرِيقَةِ . .

ثَالِثُهَا : الْعَمَلُ لِإزَالَةِ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ ، بِطَرِيقِ التَّصَوُّفِ ، وَالسُّلُوكُ بِقَدَمِ الْقَلْبِ . .

فَالْأَوَّلُ فَرْضٌ ؛ وَالثَّانِي وَاجِبٌ ؛ وَهٰذَا الثَّالِثُ بِمَثَابَةِ السُّنَّةِ . .

فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ هٰكَذَا ؛ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ أَمْثَالَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ ، وَالشَّاهِ النَّقْشَبَنْدِيِّ ، وَالْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ ، مِنَ الْأَكَابِرِ ، لَوْ كَانُوا فِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ لَصَرَفُوا جَمِيعَ هِمَمِهِمْ ، لِتَقْوِيَةِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَالْعَقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَدَارُ لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ . فَإِنْ قَصَّرَ فِيهَا ؛ يُنْتِجُ الشَّقَاوَةَ الْأَبَدِيَّةَ . فَمَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؛ وَلٰكِنَّ الدَّاخِلِينَ فِي الْجَنَّةِ بِدُونِ التَّصَوُّفِ ، كَثِيرُونَ جِدّاً . وَالْإِنْسَانُ لَا يَعِيشُ بِدُونِ الْغِذَاءِ ؛ وَلٰكِنْ يَعِيشُ بِلَا فَاكِهَةٍ . فَالتَّصَوُّفُ فَاكِهَةٌ ؛ وَحَقَائِقُ الْإِسْلَامِ غِذَاءٌ . . وَمُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ لَا يُطْلَعُ إِلٰى بَعْضِ حَقَائِقَ إِيمَانِيَّةٍ ، إِلَّا بِسَيْرٍ وَسُلُوكٍ ، مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، إِلٰى أَرْبَعِينَ عَاماً . . وَأَمَّا الْآنَ ؛ فَإِذَا وُجِدَ طَرِيقٌ يُرْقٰى بِهِ إِلٰى تِلْكَ الْحَقَائِقِ ، فِي أَرْبَعِينَ دَقِيقَةً ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ ، أَنْ يَبْقٰى غَيْرَ مُبَالٍ بِذٰلِكَ الطَّرِيقِ . فَالْقَارِئُونَ بِالتَّأَمُّلِ يَحْكُمُونَ بِأَنَّ الْمَقَالَاتِ الثَّلَاثَ وَالثَّلَاثِينَ ، قَدْ فَتَحَتْ طَرِيقاً كَذٰلِكَ . فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ هِيَ هٰذِهِ ؛ فَإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ الْمَقَالَاتِ الْمُؤَلَّفَةَ فِي حَقِّ الْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ هِيَ أَنْسَبُ عِلَاجٍ وَمَرْهَمٍ لِجُرُوحِ هٰذَا الْعَصْرِ ، وَأَنْفَعُ نُورٍ لِلْهَيْئَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الْمَعْرُوضَةِ لِتَهَاجُمِ الظُّلُمَاتِ ، وَأَقْوَمُ مُرْشِدٍ لِمَنْ وَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ فِي أَوْدِيَةِ الضَّلَالَةِ . وَلَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الضَّلَالَةَ إِنْ نَشَأَتْ عَنِ الْجَهَالَةِ يَسْهُلُ إِزَالَتُهَا ؛ وَلٰكِنْ إِذَا نَشَأَتِ الضَّلَالَةُ عَنِ الْفَنِّ وَالْعِلْمِ يَشْكُلُ إِزَالَتُهَا . وَكَانَ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ وَاحِدٌ مِنَ الْمِئَةِ ، مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي ؛ وَلَا يَهْتَدِي مِنْهُمْ بِالْإِرْشَادِ ، إِلَّا وَاحِدٌ مِنَ الْأَلْفِ ؛ لِأَنَّ أَمْثَالَ هٰؤُلَاءِ يُعْجَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ ؛ وَلَا يَعْلَمُونَ ؛ وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ . وَإِنِّي أَتَصَوَّرُ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى قَدْ مَنَحَ الْمَقَالَاتِ الْمَعْلُومَةَ الَّتِي هِيَ مِنَ اللَّمَعَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، خَاصِّيَّةَ تِرْيَاقٍ لِزَنْدَقَةِ هٰذِهِ الضَّلَالَةِ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

سَلَامُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ ، عَلَيْكُمَا وَعَلَى إِخْوَانِكُمَا ؛ مَا دَامَ الْمَلَوَانِ ؛ وَتَعَاقَبَ الْعَصْرَانِ ؛ وَمَا دَامَ الْقَمَرَانِ ؛ وَاسْتَقْبَلَ الْفَرْقَدَانِ..

يَا إِخْوَانِي أَهْلَ الْغَيْرَةِ ، وَرُفَقَائِي أَصْحَابَ الْحَمِيَّةِ ، وَمَدَارَ تَسْلِيَتِي فِي الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ دَارُ الْغُرْبَةِ ! . لَمَّا جَعَلَكُمُ اللهُ تَعَالَى ، أَصْحَابَ حِصَصٍ مِنْ مَعَانٍ أَحْسَنَ بِهَا عَلَى فِكْرِي ؛ فَإِنَّ مِنْ حَقِّكُمُ التَّحَصُّصَ مِنْ حِسِّيَّاتِي أَيْضاً . وَإِنِّي أَطْوِي الْقِسْمَ الْأَلِيمَ مِنْ فُرْقَتِي فِي غُرْبَتِي ؛ لِئَلَّا أَجْعَلَكُمْ مُتَأَثِّرِينَ كَثِيراً ؛ فَأَحْكِي لَكُمْ بَعْضاً مِنْهَا : وَهُوَ أَنَّهُ صَارَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ؛ بَقِيتُ وَحِيداً جِدّاً ؛ فَقَدْ يُوجَدُ عِنْدِيَ الضَّيْفُ ، فِي خَمْسَةَ عَشَرَ أَوْ عِشْرِينَ يَوْماً ، مَرَّةً وَاحِدَةً ؛ وَإِنِّي وَحِيدٌ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ . وَأَيْضاً يَقْرُبُ مِنْ عِشْرِينَ يَوْماً أَنَّ الْجَبَلِيِّينَ لَا يُوجَدُونَ فِي الْقُرْبِ مِنِّي ؛ فَقَدْ تَفَرَّقُوا . وَإِنِّي رَأَيْتُ نَفْسِي فِي خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمُتَدَاخِلَةٍ مِنَ الْغُرْبَةِ ، فِي اللَّيْلِ ، فِي هٰذِهِ الْجِبَالِ الْغَرِيبَةِ ، بِدُونِ صِيَاحٍ وَنِدَاءٍ ، بَيْنَ دَوِيِّ الْأَشْجَارِ الْحَزِينِ..

اَلْأُولَى : أَنِّي بَقِيتُ بِسِرِّ الشَّيْبِ ، وَحِيداً وَغَرِيباً مِنْ أَقْرَانِي وَأَحْبَابِي وَأَقَارِبِي بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ تَرَكُونِي ؛ وَارْتَحَلُوا إِلَى عَالَمِ الْبَرْزَخِ . فَأَحْسَسْتُ غُرْبَةً حَزِينَةً نَاشِئَةً عَنْ ذٰلِكَ ؛ وَانْفَتَحَتْ دَائِرَةٌ أُخْرَى مِنَ الْغُرْبَةِ فِي ضِمْنِ هٰذِهِ الْغُرْبَةِ : وَهِيَ أَنَّ أَكْثَرَ

الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي لِي صِلَةٌ بِهَا ، كَالرَّبِيعِ الْمَاضِي ؛ فَارَقَتْنِي مُرْتَحِلَةً ؛ فَحَسَسْتُ غُرْبَةً ذَاتَ فُرْقَةٍ ، حَاصِلَةً مِنْ ذٰلِكَ الْفِرَاقِ ؛ وَانْفَتَحَتْ دَائِرَةٌ أُخْرَى مِنَ الْغُرْبَةِ فِي هٰذِهِ الْغُرْبَةِ : وَهِيَ أَنِّي فَارَقْتُ وَطَنِي وَأَقَارِبِي ؛ فَبَقِيتُ وَحِيداً ؛ فَشَعَرْتُ بِغُرْبَةٍ ذَاتِ فِرَاقٍ ، مُتَوَلِّدَةٍ عَنْ ذٰلِكَ . وَقَدْ أَشْعَرَنِي هٰذَا الْوَضْعُ الْغَرِيبُ مِنْ أَحْوَالِ اللَّيْلِ وَالْجِبَالِ ، بِغُرْبَةٍ ذَاتِ رِقَّةٍ ، بَيْنَ هٰذِهِ الْغُرْبَةِ . وَمِنْ هٰذِهِ الْغُرْبَةِ رَأَيْتُ رُوحِيَ الْمُشْرِفَةَ عَلَى الرَّحِيلِ عَنْ هٰذَا الْمَضِيفِ الْفَانِي ، إِلٰى جَانِبِ أَبَدِ الْآبَادِ ، فِي غُرْبَةٍ فَائِقَةٍ عَلَى الْعَادَةِ ؛ فَتَفَكَّرْتُ ؛ وَقُلْتُ فَجْأَةً : سُبْحَانَ اللّٰهِ ، كَيْفَ تُقَاوِمُ هٰذِهِ الظُّلُمَاتُ وَأَنْوَاعُ الْغُرْبَةِ . فَاسْتَغَاثَ قَلْبِي ؛ وَقَالَ : (يَا رَبِّ ! إِنِّي غَرِيبٌ وَحِيدٌ ، ضَعِيفٌ غَيْرُ مُقْتَدِرٍ ، عَلِيلٌ عَاجِزٌ ، كَهْلٌ غَيْرُ مُخْتَارٍ ؛ فَأَقُولُ : الْأَمَانَ ؛ وَأَرْجُو الْعَفْوَ ؛ وَأَطْلُبُ الْمَدَدَ ، مِنْ بَابِكَ يَا إِلٰهِي !(١)) ؛ فَإِذَا بِنُورِ الْإِيمَانِ ، وَفَيْضِ الْقُرْآنِ ، وَلُطْفِ الرَّحْمٰنِ أَمَدَّتْنِي ؛ وَحَوَّلَتْ تِلْكَ الْأَنْوَاعَ الْخَمْسَةَ مِنَ الْغُرْبَةِ الْمُظْلِمَةِ ، إِلٰى خَمْسِ دَوَائِرَ نُورَانِيَّةٍ مِنْ دَوَائِرِ الْأُنْسِ . فَذَكَرَ لِسَانِي : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ وَتَلَا قَلْبِي آيَةَ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ؛ وَقَالَ عَقْلِي أَيْضاً ، مُخَاطِباً لِنَفْسِيَ الْمُسْتَغِيثَةِ مِنِ اضْطِرَابِهَا وَدَهْشَتِهَا : «دَعِ الْجَزَعَ ، أَيُّهَا الْبَائِسُ ! وَتَوَكَّلْ عَنِ الْبَلَاءِ ۞ لِأَنَّ الْجَزَعَ بَلَاءٌ عَلَى بَلَاءٍ ، فِي خَطَإٍ ؛ فَاعْلَمْ ۞ فَإِنْ وَجَدْتَ مُعْطِيَ الْبَلَاءِ ؛ فَهُوَ بَلَاءٌ فِي صَفَاءٍ وَوَفَاءٍ وَعَطَاءٍ ؛ فَاعْلَمْ ۞ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَاتْرُكِ الشَّكْوَى ؛ وَاشْكُرْ مِثْلَ الْبَلَابِلِ ، حِينَمَا يَتَبَسَّمُ عَنْ سُرُورِهَا ، الْوَرْدُ وَالْأَزْهَارُ جَمِيعاً ۞ وَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بَلَاءٌ فِي جَفَاءٍ وَفَنَاءٍ وَهَبَاءٍ ۞ فَمَاذَا تَصِيحُ عَنْ بَلَاءٍ صَغِيرٍ ؛ وَقَدْ كَانَ الْبَلَاءُ نَازِلاً عَلَى رَأْسِكَ ، مِلْءَ الدُّنْيَا ؟ تَعَالَ تَوَكَّلْ عَنِ الْبَلَاءِ ۞ وَاضْحَكْ فِي وَجْهِهِ بِالتَّوَكُّلِ ؛ حَتَّى يَضْحَكَ هُوَ أَيْضاً ؛ فَهُوَ كُلَّمَا ضَحِكَ ، يَتَصَاغَرُ وَيَتَبَدَّلُ ۞» . .

---

(١) أَصْلُ النَّصِّ الْفَارِسِيِّ : يَا رَبِّ ! غَرِيبَمْ بِي كَسَمْ ضَعِيفَمْ نَاتُوَانَمْ ۞ عَلِيلَمْ عَاجِزَمْ إِخْتِيَارَمْ ، بِي إِخْتِيَارَمْ ۞ أَلْأَمَانْ گُويَمْ ، عَفْوْ جُويَمْ مَدَدْخُواهَمْ زِدَرْگَاهَتْ إِلٰهِي ! . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللّٰهُ عَنْهُ) . .

وَكَذَا قُلْتُ كَمَا قَالَ مَوْلاَنَا جَلاَلُ الدِّينِ الرُّومِيُّ ، مِنْ أَسَاتِذَتِي ، لِنَفْسِهِ : (إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ؛ فَقُلْتَ أَنْتَ : (بَلَى) . فَمَا هُوَ شُكْرُ قَوْلِكَ : (بَلَى) ؟ إِنَّهُ مُقَاسَاةُ الْبَلاَءِ ؛ وَمَا هُوَ سِرُّ الْبَلاَءِ ؟ هُوَ قَوْلُكَ : إِنِّي طَارِقٌ لِحَلْقَةِ بَابِ الْفَقْرِ وَالْفَنَاءِ . .[1]) فَحِينَئِذٍ قَالَتْ نَفْسِي : نَعَمْ نَعَمْ : يُفْتَحُ بَابُ النُّورِ ؛ وَتَتَفَرَّقُ الظُّلُمَاتُ ، بِالْعَجْزِ وَالتَّوَكُّلِ ، وَبِالْفَقْرِ وَالاِلْتِجَاءِ ؛ الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلاَمِ . . وَرَأَيْتُ هٰذِهِ الْفِقْرَةَ مِنَ الْحِكَمِ الْعَطَائِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ ، حَقِيقَةً عَالِيَةً ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ : «مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَهُ ؟ وَمَاذَا فَقَدَ مَنْ وَجَدَهُ ؟» ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَنْ وَجَدَ اللّٰهَ تَعَالَى يَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَمَنْ لَمْ يَجِدْهُ ، لاَ يَجِدُ شَيْئاً ؛ وَإِنْ وَجَدَهُ ؛ يَجِدُهُ بَلاَءً عَلَى رَأْسِهِ ؛ وَفَهِمْتُ سِرَّ حَدِيثِ (طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) ؛ فَشَكَرْتُ اللّٰهَ . .

فَيَا إِخْوَتِي ! إِنَّ أَنْوَاعَ هٰذِهِ الْغُرْبَةِ الْمُظْلِمَةِ ؛ وَإِنْ تَنَوَّرَتْ بِنُورِ الْإِيمَانِ ؛ إِلاَّ أَنَّهَا أَجْرَتْ عَلَيَّ أَحْكَامَهَا ، بَعْضَ إِجْرَاءٍ ؛ وَأَوْرَثَتْنِي فِكْرَةً هٰكَذَا : وَهِيَ أَنِّي إِذَا كُنْتُ غَرِيباً ؛ وَسَأَذْهَبُ إِلَى الْغُرْبَةِ ؛ فَيَا عَجَباً ! هَلِ انْتَهَتْ وَظِيفَتِي فِي هٰذِهِ الْمَضِيفَةِ ؟ حَتّٰى أُوَكِّلَكُمْ وَأُوَكِّلَ الْمَقَالاَتِ ؛ وَأَقْطَعَ عَلاَقَتِي عَنِ الدُّنْيَا كُلِّيّاً : هٰكَذَا وَرَدَتْ هٰذِهِ الْفِكْرَةُ بِبَالِي . فَلِذٰلِكَ سَأَلْتُكُمْ : هَلِ الْمَقَالاَتُ الْمُؤَلَّفَةُ كَافِيَةٌ ؟ وَهَلْ لَهَا نَقْصٌ ؟ أَعْنِي هَلِ انْتَهَتْ وَظِيفَتِي ؟ كَيْ أُلْقِيَ نَفْسِي بِرَاحَةِ الْقَلْبِ ، إِلَى غُرْبَةٍ نُورَانِيَّةٍ لَذِيذَةٍ حَقِيقِيَّةٍ ؛ وَأَنْسَى الدُّنْيَا ؛ فَأَقُولَ كَمَا قَالَ مَوْلاَنَا جَلاَلُ الدِّينِ : (هَلْ تَعْلَمُ مَا هُوَ السَّمَاعُ ؟ هُوَ أَنْ تَفْنَى عَنِ الْوُجُودِ ؛ وَتَذُوقَ الْبَقَاءَ ، فِي الْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ . .[2]) . وَهَلْ لِي أَنْ أَطْلُبَ غُرْبَةً عُلْوِيَّةً ؟ . هٰكَذَا صَدَّعْتُكُمْ بِتِلْكَ الْأَسْئِلَةِ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

---

(١) أَصْلُ الْبَيْتِ الْفَارِسِيِّ : أُو گُفْت : «أَلَسْتُ» ؟ تُوگُفْتْ : بَلَى ❁ شُكْرِ «بَلَى» چِيسْتْ ؟ كَشِيدَنِ بَلاَ . سِرِّ بَلاَ چِيسْتْ . يَعْنِي : (مَنَمْ حَلْقَه زَنِ دَرْگَهِ فَقْرُو فَنَا) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رحمه الله تعالى) . .

(٢) أَصْلُ الْبَيْتِ الْفَارِسِيِّ : دَانِي سَمَاعْ چِه بُودَ ؟ بِي خُودْ شُدَنْ زِهَسْتِي ❁ أَنْدَرْفَنَاي مُطْلَقْ ذَوْقِ بَقَاء چَشِيدَنْ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رحمه الله تعالى) . .

اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ أَبَداً دَائِماً ..

إِخْوَانِي الْأَعِزَّاءَ ! إِنَّكُمْ ذَكَرْتُمْ أَمْرَيْنِ ، لِلْحَافِظِ (الشَّامِيِّ) ، عَلَى أَنْ يَذْكُرَهُمَا لِي ..

أَحَدُهُمَا : أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : إِنَّ أَهْلَ الضَّلَالَةِ مِنْ هٰذَا الْعَصْرِ الْجَدِيدِ ، كَالْمُنَافِقِينَ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، يَجِدُونَ تَزَوُّجَ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) بِزَيْنَبَ ، مَدَارَ انْتِقَادٍ ؛ وَيَتَلَقَّوْنَهُ زَوَاجاً نَفْسِيّاً شَهْوَانِيّاً ..

فَالْجَوَابُ : كَلَّا ! إِنَّ يَدَ مِثْلِ هٰذِهِ الشُّبُهَاتِ الدَّنِيئَةِ ، لَا تَنَالُ إِلَى ذٰلِكَ الذَّيْلِ الْعَالِي ؛ حَاشَاهُ عَنْ ذٰلِكَ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ .. نَعَمْ : إِنَّ شَخْصاً اكْتَفَى بِامْرَأَةٍ مُسِنَّةٍ فَقَطْ ، مِثْلِ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى ؛ وَاقْتَنَعَ بِهَا بِعِفَّةٍ كَامِلَةٍ ، وَعِصْمَةٍ تَامَّةٍ ، بِاتِّفَاقِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ ، فِي زَمَنِ الْتِهَابِ الشَّهَوَاتِ النَّفْسِيَّةِ ، وَأَوَانِ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ ، مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً ، إِلَى أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ ازْدِوَاجِهِ وَتَزَوُّجِهِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَاماً : أَيْ فِي حِينِ تَوَقُّفِ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ ، وَفِي زَمَنِ سُكُونِ الشَّهَوَاتِ النَّفْسِيَّةِ ، حُجَّةٌ تُثْبِتُ لِمَنْ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِنْصَافِ ، أَنَّهَا لَيْسَتْ نَفْسَانِيَّةً ؛ وَأَنَّهَا مُسْتَنِدَةٌ إِلَى حِكَمٍ أَهَمَّ أُخْرَى ، بِالضَّرُورَةِ وَبِالْبَدَاهَةِ ..

فَمِنْ تِلْكَ الْحِكَمِ : أَنَّ أَفْعَالَ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ ، وَأَحْوَالَهُ وَأَطْوَارَهُ وَحَرَكَاتِهِ أَيْضاً ،

مَنَابِعُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ ، وَمَآخِذُ الْأَحْكَامِ ، كَأَقْوَالِهِ . فَكَمَا أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا حَمَلَةَ الشَّطْرِ الظَّاهِرِ مِنْهَا ؛ فَإِنَّ الْأَزْوَاجَ الطَّاهِرَاتِ أَيْضاً ، كَانَتْ حَمَلَةَ أَسْرَارِ الدِّينِ ، وَرُوَاةَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْمُتَظَاهِرَةِ مِنْ أَحْوَالِهِ الْمَسْتُورَةِ فِي دَائِرَتِهِ الْخَاصَّةِ . وَإِنَّهُنَّ أَدَّيْنَ تِلْكَ الْوَظِيفَةَ بِالْفِعْلِ ؛ فَإِنَّ نِصْفَ أَسْرَارِ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ تَقْرِيباً ، يَرِدُ عَنْهُنَّ . فَإِذاً يَلْزَمُ لِهٰذِهِ الْوَظِيفَةِ الْعَظِيمَةِ ، أَزْوَاجٌ طَاهِرَاتٌ كَثِيرَةٌ مُخْتَلِفَةُ الْمَشَارِبِ . .

وَلْنَعُدْ إِلَى التَّزَوُّجِ بِزَيْنَبَ : فَقَدْ كُتِبَ فِي حَقِّ آيَةِ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَمْثِلَةِ الشُّعَاعِ الثَّالِثِ مِنَ الشُّعْلَةِ الْأُولٰى مِنَ الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ : أَنَّ آيَةً وَاحِدَةً تُفِيدُ مَعَانِيَ حَسَبَ طَبَقَاتِ النَّاسِ ، بِوُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، لِكُلِّ طَبَقَةٍ ، مَعْنًى حَسَبَ فَهْمِهَا . .

فَحِصَّةُ فَهْمِ طَبَقَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ : هِيَ أَنَّ زَيْداً خَادِمَ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عليه الصلاة والسلام) ، وَالْمُظْهَرَ لِخِطَابِ «يَا ابْنِي» ، طَلَّقَ زَوْجَتَهُ الْعَزِيزَةَ ؛ حَيْثُ لَمْ يَجِدْهَا كُفُؤاً لَهُ مَعْنًى ، بِنَاءً عَلَى اعْتِرَافِهِ ، بِالرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ : أَيْ أَنَّ زَيْداً فَهِمَ بِالْفِرَاسَةِ أَنَّ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ خُلِقَتْ عَلٰى أَخْلَاقٍ عَالِيَةٍ أُخْرٰى ؛ وَأَنَّهَا عَلٰى فِطْرَةٍ تَلِيقُ أَنْ تَكُونَ زَوْجاً لِنَبِيٍّ ؛ وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ نَفْسَهُ عَلٰى فِطْرَةٍ يَكُونُ زَوْجاً وَكُفُؤاً لَهَا ؛ فَأَنْتَجَ ذٰلِكَ عَدَمَ امْتِزَاجٍ مَعْنَوِيٍّ . فَلِذٰلِكَ طَلَّقَهَا ؛ وَتَزَوَّجَ بِهَا الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ (عليه الصلاة والسلام) ، بِأَمْرِ اللهِ تَعَالٰى : أَيْ أَنَّ ذٰلِكَ الزَّوَاجَ كَانَ خَارِقاً لِلْعَادَةِ ، وَبِمَحْضِ حُكْمِ الْقَدَرِ ، وَفَوْقَ الْعُرْفِ وَالْمُعَامَلَاتِ الظَّاهِرِيَّةِ ، بِدَلَالَةِ أَنَّ ذٰلِكَ النِّكَاحَ كَانَ عَقْداً سَمَاوِيّاً ؛ وَذٰلِكَ بِإِشَارَةِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ . فَانْقَادَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ (عليه الصلاة والسلام) لِذٰلِكَ الْحُكْمِ الْقَدَرِيِّ ؛ وَاضْطُرَّ لَهُ ؛ وَلَيْسَ بِهَوَى النَّفْسِ . وَحُكْمُ هٰذَا الْقَدَرِ هُوَ : أَنَّ قَوْلَ الْأَكَابِرِ لِلْأَصَاغِرِ : «يَا ابْنِي !» ، لَيْسَ كَمَسْأَلَةِ الظِّهَارِ : أَيْ لَيْسَ ذٰلِكَ حَرَاماً ؛ كَمَا لَوْ قَالَ لِزَوْجَتِهِ : أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي ؛ حَتّٰى يَتَبَدَّلَ بِهِ الْأَحْكَامُ ؛ وَذٰلِكَ بِإِشَارَةِ آيَةِ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ تِلْكَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ حُكْماً شَرْعِيّاً أَهَمَّ ، وَحِكْمَةً عَامَّةً مُهِمَّةً ، وَمَصْلَحَةً عُمُومِيَّةً شَامِلَةً ؛ وَأَيْضاً أَنَّ نَظَرَ الْأَكَابِرِ لِرَعَايَاهُمْ ،

وَالْأَنْبِيَاءِ لِأُمَمِهِمْ ، وَخِطَابَهُمْ لَهُمْ عَلٰى وَجْهِ الْأُبُوَّةِ ؛ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ وَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ وَالرِّئَاسَةِ ؛ وَلَيْسَ بِاعْتِبَارِ الشَّخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ حَتّٰى لَا يُنَاسِبَهُمُ التَّزَوُّجُ مِنْهُمْ . .

وَحِصَّةُ فَهْمِ طَبَقَةٍ ثَانِيَةٍ مِنْهَا : هِيَ أَنَّ آمِراً عَظِيماً يَنْظُرُ إِلٰى رَعِيَّتِهِ ، بِشَفَقَةِ الْأُبُوَّةِ . فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ الْآمِرُ سُلْطَاناً رُوحَانِيّاً ، ظَاهِراً وَبَاطِناً ؛ يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَفْرَادُ رَعِيَّتِهِ ، بِنَظَرِ الْأَبِ ، كَأَوْلَادِهِ الْحَقِيقِيِّينَ ؛ إِذْ مَرْحَمَتُهُ تَفُوقُ شَفَقَةَ الْأَبِ مِئَةَ مَرَّةٍ . فَنَظَرُ الْأَبِ لَا يَنْقَلِبُ إِلٰى نَظَرِ الزَّوْجِ ؛ وَنَظَرُ الْبِنْتِ لَا يَتَبَدَّلُ بِنَظَرِ الزَّوْجَةِ بِسُهُولَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يُنَاسِبُ تَزَوُّجُ النَّبِيِّ بَنَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، هٰذَا السِّرَّ ، فِي أَفْكَارِ الْعَامَّةِ ؛ فَيَقُولُ الْقُرْآنُ بِقَصْدِ دَفْعِ ذٰلِكَ الْوَهْمِ : إِنَّ النَّبِيَّ يُشْفِقُ عَلَيْكُمْ ؛ وَيُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ الْوَالِدِ ، بِحِسَابِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَإِنَّكُمْ كَأَوْلَادِهِ بِاسْمِ الرِّسَالَةِ ؛ وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ أَبَاكُمْ بِاعْتِبَارِ الشَّخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ حَتّٰى لَا يُنَاسِبَهُ التَّزَوُّجُ مِنْكُمْ ؛ وَإِنَّهُ إِذَا قَالَ لَكُمْ : «يَا أَبْنَائِي ؛ لَا تَكُونُونَ أَوْلَاداً لَهُ ، بِاعْتِبَارِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ» . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

إِنَّ لِدُخُولِ اسْمَي (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) فِي ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، وَلِذِكْرِهِمَا فِي أَوَّلِ كُلِّ شَيْءٍ مُبَارَكٍ ، حِكَماً كَثِيرَةً. وَأَذْكُرُ الْآنَ حِسّاً عَائِداً إِلَيَّ ، تَعْلِيقاً لِبَيَانِهَا بِوَقْتٍ آخَرَ..

أَخِي ! إِنِّي أَرَى اسْمَي (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) نُوراً أَعْظَمَ قَدْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإِنَّهُمَا لَيُشَاهَدَانِ نَيِّرَيْنِ وَقَوِيَّيْنِ ، بِحَيْثُ يُؤَمِّنَانِ جَمِيعَ الْحَاجَاتِ الْأَبَدِيَّةِ ، مِنْ حَوَائِجِ كُلِّ رُوحٍ ؛ وَيُأْمِنَانِهِ عَنْ أَعْدَائِهِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا. وَإِنَّ أَهَمَّ وَسِيلَةٍ وَجَدْتُهَا لِلْوُصُولِ إِلَى هٰذَيْنِ الِاسْمَيْنِ ذَيْنِكَ النُّورَيْنِ الْأَعْظَمَيْنِ ، هِيَ الْفَقْرُ مَعَ الشُّكْرِ ، وَالْعَجْزُ مَعَ الشَّفَقَةِ : أَيِ الْعُبُودِيَّةُ وَالِافْتِقَارُ. وَإِنِّي لَأَذْكُرُ مَا خَطَرَ بِبَالِي ، بِمُنَاسَبَةِ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ وَأَقُولُ مُخَالِفاً لِلْمُحَقِّقِينَ ، حَتَّى لِأُسْتَاذِي الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ : إِنَّ حِسِّيَّاتِ يَعْقُوبَ (عليه السلام) إِزَاءَ يُوسُفَ (عليه السلام) ، الشَّدِيدَةَ الْمُشْرِقَةَ ، لَيْسَتْ مَحَبَّةً وَعِشْقاً ؛ بَلْ هِيَ شَفَقَةٌ ؛ لِأَنَّ الشَّفَقَةَ أَقْطَعُ وَأَلْمَعُ ، وَأَعْلَى وَأَنْزَهُ بِكَثِيرٍ ، مِنَ الْحُبِّ وَالْعِشْقِ ، وَلَائِقَةٌ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ ؛ لٰكِنَّ الْحُبَّ وَالْعِشْقَ الْمَجَازِيَّ لِلْمَحْبُوبَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، إِذَا كَانَا فِي دَرَجَةِ الشِّدَّةِ ؛ لَا يَلِيقَانِ بِذٰلِكَ الْمَقَامِ الْمُعَلَّى مِنَ النُّبُوَّةِ. فَإِذاً إِنَّ مَا بَيَّنَهُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، بِإِعْجَازٍ مُشْرِقٍ ، وَوَجْهٍ لَامِعٍ ، مِنَ الْحِسِّيَّاتِ الْيَعْقُوبِيَّةِ الَّتِي هِيَ وَسِيلَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَى اسْمِ الرَّحِيمِ ، هِيَ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ

مِنَ الشَّفَقَةِ ؛ وَأَمَّا الْعِشْقُ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَى اسْمِ الْوَدُودِ ؛ فَهُوَ فِي مَسْأَلَةِ حُبِّ زَلِيخَا لِيُوسُفَ (عليه السلام) . فَإِذاً بِأَيِّ دَرَجَةٍ بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، حِسِّيَّاتِ يَعْقُوبَ (عليه السلام) أَسْمٰى مِنْ حِسِّيَّاتِ زَلِيخَا ؛ فَالشَّفَقَةُ أَيْضاً تُشَاهَدُ أَعْلٰى مِنَ الْعِشْقِ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ . وَإِنَّ أُسْتَاذِيَ الْإِمَامَ الرَّبَّانِيَّ لَمْ يَرَ الْعِشْقَ الْمَجَازِيَّ ، مُنَاسِباً جِدّاً بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ قَالَ : إِنَّ الْمَحَاسِنَ الْيُوسُفِيَّةَ كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الْمَحَاسِنِ الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ فَالْمَحَبَّةُ لَهَا لَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ الْمَحَبَّةِ الْمَجَازِيَّةِ ؛ حَتّٰى تَصِيرَ نَقْصاً . .

وَأَنَا أَقُولُ : أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ ! إِنَّ ذٰلِكَ تَأْوِيلٌ مُتَكَلَّفٌ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْحَقِيقَةُ هٰكَذَا : وَهِيَ أَنَّ تِلْكَ الْحِسِّيَّاتِ لَيْسَتْ مَحَبَّةً ؛ بَلْ هِيَ مَرْتَبَةٌ مِنَ الشَّفَقَةِ ، أَعْلٰى وَأَوْسَعُ وَأَلْمَعُ مِنَ الْمَحَبَّةِ ، مِئَةَ مَرَّةٍ . .

نَعَمْ : إِنَّ الشَّفَقَةَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا لَطِيفَةٌ وَنَزِيهَةٌ ؛ وَأَمَّا الْعِشْقُ وَالْحُبُّ فَلَا يُتَنَازَلُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَنْوَاعِهِمَا . وَأَيْضاً إِنَّ الشَّفَقَةَ وَاسِعَةٌ جِدّاً ؛ فَإِنَّ مَنْ يُشْفِقُ عَلٰى أَوْلَادِهِ ، تُحِيطُ شَفَقَتُهُ بِجَمِيعِ الْأَطْفَالِ ، حَتّٰى ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، بِمُنَاسَبَةِ تِلْكَ الشَّفَقَةِ ؛ وَيُظْهِرُ نَوْعَ انْعِكَاسٍ لِإِحَاطَةِ اسْمِ الرَّحِيمِ ؛ مَعَ أَنَّ الْعِشْقَ يَحْصُرُ النَّظَرَ عَلٰى مَحْبُوبِهِ ؛ فَيَفْدِي بِكُلِّ شَيْءٍ لِمَحْبُوبِهِ ؛ أَوْ يُنَزِّلُ غَيْرَ مَحْبُوبِهِ عَنِ الْقِيمَةِ ؛ وَيَذُمُّهُ مَعْنًى ؛ وَيَنْقُصُ شَرَفَهُ ، إِعْلَاءً لِمَحْبُوبِهِ ، وَثَنَاءً عَلَيْهِ . مَثَلاً : قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : «إِنَّ الشَّمْسَ تَرىٰ حُسْنَ مَحْبُوبَتِي ؛ فَتَخْجَلُ ؛ فَتُغَطِّي رَأْسَهَا بِحِجَابِ السَّحَابِ ؛ لِئَلَّا تُرىٰ» . فَيَا أَيُّهَا الْعَاشِقُ الْعَزِيزُ ! أَيُّ حَقٍّ لَكَ تُخْجِلُ هٰكَذَا ، الشَّمْسَ الَّتِي هِيَ صَحِيفَةٌ نُورَانِيَّةٌ ، لِثَمَانِيَةِ أَسْمَاءٍ عُظْمٰى ؟ .

وَكَذَا أَنَّ الشَّفَقَةَ خَالِصَةٌ لَا تَطْلُبُ الْمُقَابَلَةَ ؛ وَأَنَّهَا صَافِيَةٌ وَبِدُونِ عِوَضٍ ؛ حَتّٰى إِنَّ شَفَقَةَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي هِيَ فِي أَدْنَى الْمَرَاتِبِ ، عَلٰى أَطْفَالِهَا ، وَفِدَاءَهَا لَهَا بِدُونِ عِوَضٍ ، دَلِيلٌ عَلٰى هٰذَا ؛ مَعَ أَنَّ الْعِشْقَ يَقْتَضِي الْأُجْرَةَ ؛ وَيَطْلُبُ الْعِوَضَ . وَإِنَّ أَنْوَاعَ بُكَاءِ الْعِشْقِ ، نَوْعٌ مِنَ الطَّلَبِ ، وَسُؤَالٌ لِلْأَجْرِ . .

فَإِذاً إِنَّ شَفَقَةَ يَعْقُوبَ (ﷺ) الَّتِي هِيَ أَشْرَقُ نُورٍ، مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ، الَّتِي هِيَ أَشْرَقُ سُوَرِ الْقُرْآنِ، تُظْهِرُ اسْمَي (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم)؛ وَتُعْلِنُ أَنَّ طَرِيقَ الشَّفَقَةِ، هِيَ طَرِيقُ الرَّحْمَةِ؛ وَتُنْطِقُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ دَوَاءً لِأَلَمِ تِلْكَ الشَّفَقَةِ..

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي..

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ، (رضي الله عنه)..

اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ

هُوَ أَيْضاً جُزْءٌ مِنَ الرِّسَالَةِ الَّتِي بَعَثَهَا إِلٰى تِلْمِيذِهِ الْخَالِصِ ذٰلِكَ . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

. . . ثَانِياً : أَنَّ شَوْقَكَ وَجُهْدَكَ وَنَجَاحَكَ فِي نَشْرِ الْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، إِنَّمَا هُوَ إِكْرَامٌ إِلٰهِيٌّ ؛ بَلْ هِيَ كَرَامَةٌ قُرْآنِيَّةٌ ، وَعِنَايَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ؛ فَأُهَنِّئُكَ . وَلْأَذْكُرْ بِمُنَاسَبَةِ بَحْثِ الْكَرَامَةِ وَالْإِكْرَامِ وَالْعِنَايَةِ ، فَرْقاً بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْإِكْرَامِ ؛ وَهُوَ : أَنَّ إِظْهَارَ الْكَرَامَةِ بِدُونِ الضَّرُورَةِ ، ضَرَرٌ ؛ وَأَمَّا إِظْهَارُ الْإِكْرَامِ فَتَحْدِيثُ نِعْمَةٍ . فَإِنْ صَارَ شَخْصٌ مُشَرَّفٌ بِالْكَرَامَةِ ، مَظْهَراً لِأَمْرٍ خَارِقٍ ، عَنْ عِلْمٍ ؛ وَكَانَتْ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بَاقِيَةً ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ الْأَمْرُ اسْتِدْرَاجاً ، فِي جِهَةِ الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ ، وَالِاعْتِمَادِ عَلٰى نَفْسِهِ وَكَشْفِهِ ، وَالْوُقُوعِ فِي الْغُرُورِ . وَإِنْ صَارَ مَظْهَراً لِأَمْرٍ خَارِقٍ ، بِدُونِ عِلْمٍ مِنْهُ ؛ فَمَثَلاً كَانَ فِي قَلْبِ أَحَدٍ سُؤَالٌ ؛ فَأَجَابَ مُوَافِقاً لَهُ ، مِنْ قَبِيلِ الْإِنْطَاقِ بِالْحَقِّ ؛ ثُمَّ تَفَطَّنَ ؛ وَبَعْدَ مَا فَهِمَ ، لَمْ يَعْتَمِدْ عَلٰى نَفْسِهِ ؛ بَلِ ازْدَادَ اعْتِمَادُهُ عَلٰى رَبِّهِ ؛ وَقَالَ : إِنَّ لِي حَافِظاً يُرَبِّينِي أَزْيَدَ مِنِّي ؛ فَزَادَ تَوَكُّلُهُ . فَهٰذَا الْقِسْمُ ، كَرَامَةٌ بِدُونِ خَطَرٍ ؛ وَلَيْسَ مُكَلَّفاً بِإِخْفَائِهِ ؛ لٰكِنْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسْعٰى لِإِظْهَارِهِ عَمْداً لِلْفَخْرِ ؛ لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَنْسِبَهُ إِلٰى نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ مَدْخَلاً لِكَسْبِ

الْإِنْسَانِ ظَاهِراً . وَأَمَّا الْإِكْرَامُ ، فَهُوَ أَسْلَمُ وَأَعْلَى عِنْدِي ، مِنَ النَّوْعِ الثَّانِي السَّالِمِ مِنَ الْكَرَامَةِ ؛ وَإِنَّ إِظْهَارَهُ تَحْدِيثُ نِعْمَةٍ ؛ وَلَا دَخْلَ لِلْكَسْبِ فِيهِ ؛ فَلَا تُسْنِدُهُ نَفْسُهُ إِلَيْهَا . .

فَيَا أَخِي ! إِنَّ مَا كَتَبْتُهُ وَرَأَيْتُهُ مِنَ الْإِحْسَانَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مُنْذُ زَمَنٍ قَدِيمٍ ، فِي حَقِّي وَحَقِّكَ ، وَلَاسِيَّمَا فِي حَقِّ خِدْمَتِنَا لِلْقُرْآنِ ، هُوَ إِكْرَامٌ ؛ وَإِظْهَارُهُ تَحْدِيثُ نِعْمَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ أَكْتُبُ لَكَ النَّجَاحَاتِ الْعَائِدَةَ إِلَى خِدْمَتِنَا ، مِنْ قَبِيلِ التَّحْدِيثِ بِالنِّعْمَةِ إِزَاءَكَ ؛ فَكُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهَا تُحَرِّكُ فِيكَ عَصَبَ الشُّكْرِ ، لَا الْفَخْرِ . .

ثَالِثاً : أَنِّي أَرَى أَنَّ الْأَسْعَدَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، هُوَ مَنْ يَتَلَقَّى الدُّنْيَا مَضِيفَةً عَسْكَرِيَّةً ؛ وَيُذْعِنُهَا كَذٰلِكَ ؛ وَيَعْمَلُ حَسَبَ ذٰلِكَ ؛ فَيَحْصُلُ فَوْراً بِذٰلِكَ التَّلَقِّي ، عَلَى مَرْتَبَةِ الرِّضَا ، تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْعُظْمَى ؛ فَلَا يَدْفَعُ ثَمَنَ الْأَلْمَاسِ الْبَاقِي ، لِلزُّجَاجِ الْمُنْكَسِرِ ؛ فَيَقْضِي حَيَاتَهُ بِالِاسْتِقَامَةِ وَاللَّذَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ الْأُمُورَ الْعَائِدَةَ إِلَى الدُّنْيَا ، بِمَثَابَةِ الزُّجَاجَاتِ الْقَابِلَةِ لِلْكَسْرِ ؛ وَأَمَّا الْأُمُورُ الْأُخْرَوِيَّةُ الْبَاقِيَةُ ، فَهِيَ فِي قِيمَةِ الْأَلْمَاسَاتِ الرَّصِينَةِ ؛ وَإِنَّ الْحِسِّيَّاتِ الشَّدِيدَةَ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ ، مِثْلَ الْغَمِّ الشَّدِيدِ ، وَالْحُبِّ الْحَارِّ ، وَالْحِرْصِ الْهَائِلِ ، وَالطَّلَبِ الْعَنِيدِ ، وَهٰكَذَا ؛ قَدْ مُنِحَتْ لِتَحْصِيلِ الْأُمُورِ الْأُخْرَوِيَّةِ . فَتَوْجِيهُ تِلْكَ الْحِسِّيَّاتِ إِلَى الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْفَانِيَةِ ، بِصُورَةٍ شَدِيدَةٍ ، هُوَ كَدَفْعِ ثَمَنِ الْمَاسَاتِ الْبَاقِيَةِ ، لِلزُّجَاجَاتِ الْمُنْكَسِرَةِ الْفَانِيَةِ . .

وَقَدْ وَرَدَتْ عَلَى الْبَالِ نُقْطَةٌ ، بِهٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ ؛ فَأَذْكُرُهَا ؛ وَهِيَ : أَنَّ الْعِشْقَ حُبٌّ شَدِيدٌ ؛ فَحِينَمَا يَكُونُ مُتَوَجِّهاً إِلَى الْمَحْبُوبَاتِ الْفَانِيَةِ ؛ فَإِمَّا يَتْرُكُ ذٰلِكَ الْعِشْقُ صَاحِبَهُ ، فِي عَذَابٍ وَأَلَمٍ دَائِمٍ ؛ أَوْ يُوَجِّهُهُ إِلَى طَلَبِ مَحْبُوبٍ بَاقٍ ؛ حَيْثُ لَا يُسَاوِي ذٰلِكَ الْمَحْبُوبُ الْمَجَازِيُّ ، ثَمَنَ ذٰلِكَ الْحُبِّ الشَّدِيدِ ؛ فَيَنْقَلِبُ الْعِشْقُ الْمَجَازِيُّ ، إِلَى الْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ . فَيُوجَدُ فِي الْإِنْسَانِ حِسِّيَّاتٌ بِآلَافٍ ؛ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، مَرْتَبَتَانِ كَالْعِشْقِ ؛ إِحْدَاهُمَا مَجَازِيَّةٌ ؛ وَالْأُخْرَى حَقِيقِيَّةٌ . .

فَمَثَلاً : يُوجَدُ فِي كُلِّ أَحَدٍ ، حِسُّ خَوْفِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَحِينَمَا يَخَافُ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ شَدِيدَةٍ ؛ يَرى أَنَّهُ لا سَنَدَ بِيَدِهِ ، لِلْبُلُوغِ إِلٰى ذٰلِكَ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَخَافُ عَلَيْهِ ؛ وَيَرى أَيْضاً أَنَّ مُسْتَقْبَلاً قَصِيراً تَحْتَ تَعَهُّدٍ ، فِي جِهَةِ الرِّزْقِ ، لا يُسَاوِي ذٰلِكَ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ ؛ فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْهُ ؛ وَيَتَوَجَّهُ إِلٰى مَا بَعْدَ الْقَبْرِ ، مِنْ مُسْتَقْبَلٍ حَقِيقِيٍّ مَدِيدٍ ، لَيْسَ تَحْتَ التَّعَهُّدِ ، فِي حَقِّ الْغَافِلِينَ . .

وَكَذَا يُظْهِرُ حِرْصاً شَدِيداً ، لِلْمَالِ وَالْجَاهِ ؛ فَيَرى أَنَّ ذٰلِكَ الْمَالَ الْفَانِيَ الْمُفَوَّضَ إِلٰى نَظَارَتِهِ مُوَقَّتاً ، وَذٰلِكَ الْجَاهَ الْخَطِيرَ الْبَاعِثَ لِلرِّيَاءِ ، وَتِلْكَ الشُّهْرَةَ ذَاتَ الْآفَةِ ، لا تُوَازِي ذٰلِكَ الْحِرْصَ الشَّدِيدَ ؛ فَيَتَوَجَّهُ عَنْهَا إِلَى الْمَرَاتِبِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَدَرَجَاتِ الْقُرْبِ ، وَزَادِ الْآخِرَةِ ، الَّتِي هِيَ الْجَاهُ الْحَقِيقِيُّ ، وَإِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي هِيَ الْأَمْوَالُ الْحَقِيقِيَّةُ ؛ فَيَنْقَلِبُ ذٰلِكَ الْحِرْصُ الْمَجَازِيُّ الَّذِي هُوَ خَصْلَةٌ سَيِّئَةٌ ، إِلَى الْحِرْصِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ خَصْلَةٌ عَالِيَةٌ . .

وَكَذَا يَصْرِفُ حِسِّيَّاتِهِ ، لِلْأُمُورِ الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ الَّتِي لا قِيمَةَ لَهَا ، بِعِنَادٍ شَدِيدٍ مَثَلاً ؛ فَيَرى أَنَّهُ يُعَانِدُ سَنَةً ، لِأَمْرٍ لا يُسَاوِي عِنَادَ دَقِيقَةٍ . .

وَأَيْضاً يَتَثَبَّتُ بِاسْمِ الْعِنَادِ ، عَلٰى شَيْءٍ ضَارٍّ سَامٍّ ؛ فَيَرى أَنَّ هٰذَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ لَمْ يُمْنَحْ لِمِثْلِ هٰذِهِ الْأُمُورِ ؛ وَأَنَّ صَرْفَهَا فِيهَا مُنَافٍ لِلْحِكْمَةِ وَالْحَقِيقَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ لا يَصْرِفُ ذٰلِكَ الْعِنَادَ الشَّدِيدَ ، فِي تِلْكَ الْأُمُورِ الزَّائِلَةِ غَيْرِ اللَّازِمَةِ ؛ وَيَصْرِفُهُ لِلْخَدَمَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، وَالْأَسَاسَاتِ الْإِسْلامِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ الْعَالِيَةِ الْبَاقِيَةِ ؛ فَيَنْقَلِبُ ذٰلِكَ الْعِنَادُ الْمَجَازِيُّ الَّذِي هُوَ خَصْلَةٌ رَذِيلَةٌ ، إِلَى الْعِنَادِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ سَجِيَّةٌ حَمِيدَةٌ ؛ وَهِيَ الثَّبَاتُ الشَّدِيدُ فِي الْحَقِّ . هٰذَا فَالْإِنْسَانُ ، إِنِ اسْتَعْمَلَ مَا أُعْطِيَهُ مِنَ الْجِهَازَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، عَلٰى حِسَابِ النَّفْسِ وَالدُّنْيَا ؛ وَعَمِلَ غَافِلاً كَأَنَّهُ يَبْقٰى خَالِداً فِي الدُّنْيَا ؛ تُصْبِحُ تِلْكَ الْجِهَازَاتُ مَدَاراً لِلْأَخْلاقِ الرَّذِيلَةِ وَالْإِسْرَافِ وَالْعَبَثِ . وَلَوْ صَرَفَ الْخَفِيفَ مِنْهَا ، لِأُمُورِ الدُّنْيَا ؛ وَالشَّدِيدَ

مِنْهَا لِلْوَظَائِفِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ؛ تَصِيرُ مَنْشَأً لِلْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ؛ وَتَكُونُ مُوَافِقَةً لِلْحِكْمَةِ وَالْحَقِيقَةِ ، وَمَدَاراً لِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْمَذْكُورَةِ . .

وَأَظُنُّ أَنَّ سَبَباً لِبَقَاءِ نَصَائِحِ النَّاصِحِينَ ، بِدُونِ تَأْثِيرٍ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ هُوَ : أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِمَنْ لَا أَخْلَاقَ لَهُمْ : لَا تَحْسُدُوا ؛ وَلَا تَحْرِصُوا ؛ وَلَا تُعَادُوا ؛ وَلَا تُعَانِدُوا ؛ وَلَا تُحِبُّوا الدُّنْيَا : أَيْ يُكَلِّفُونَهُمْ بِمَا لَا يُطَاقُ عِنْدَهُمْ ظَاهِراً ؛ كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : بَدِّلُوا فِطْرَتَكُمْ . فَإِنْ قَالُوا : حَوِّلُوا وُجُوهَ هٰذِهِ الْخِصَالِ ، إِلَى الْأُمُورِ الْخَيْرِيَّةِ ؛ وَغَيِّرُوا مَجَارِيَهَا ؛ تُؤَثِّرُ النَّصِيحَةُ ؛ وَيَكُونُ تَكْلِيفاً بِمَا فِي دَائِرَةِ اخْتِيَارِهِمْ . .

رَابِعاً : أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، صَارَ مَدَارَ الْبَحْثِ كَثِيراً ، بَيْنَ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُمَا مُتَّحِدَانِ ؛ وَقَالَ بَعْضٌ آخَرُ : لَيْسَا مُتَّحِدَيْنِ ؛ وَلٰكِنْ لَا يُوجَدُ أَحَدُهُمَا بِدُونِ الْآخَرِ ؛ وَبَيَّنُوا مِثْلَ هٰذَا ، أَفْكَاراً كَثِيرَةَ الِاخْتِلَافِ . .

وَإِنِّي عَلِمْتُ فَرْقاً هٰكَذَا ؛ وَهُوَ : أَنَّ الْإِسْلَامَ الْتِزَامٌ ؛ وَالْإِيمَانَ إِذْعَانٌ . وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ : أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْوَلَاءُ وَالتَّسْلِيمُ وَالِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ ؛ وَأَمَّا الْإِيمَانُ ، فَهُوَ قَبُولُ الْحَقِّ وَتَصْدِيقُهُ . وَقَدْ رَأَيْتُ فِيمَا مَضَى ، بَعْضَ الْمُلْحِدِينَ ، كَانُوا يُظْهِرُونَ وَلَاءً شَدِيداً لِلْأَحْكَامِ الْقُرْآنِيَّةِ . فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الْمُلْحِدَ كَانَ مَظْهَراً لِلْإِسْلَامِ فِي جِهَةٍ مَّا ، بِالْتِزَامِهِ لِلْحَقِّ ؛ فَيُقَالُ لَهُ : الْمُسْلِمُ الْمُلْحِدُ . ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا يُظْهِرُونَ الِالْتِزَامَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ؛ وَلَا يَلْتَزِمُونَهَا ؛ فَيُصْبِحُونَ مَظْهَراً لِتَعْبِيرِ «الْمُؤْمِنِ غَيْرِ الْمُسْلِمِ» . .

فَيَا عَجَباً ! هَلْ يَكُونُ الْإِيمَانُ بِدُونِ الْإِسْلَامِ ، مَدَارَ النَّجَاةِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : كَمَا أَنَّ الْإِسْلَامَ بِدُونِ الْإِيمَانِ ، لَا يَكُونُ سَبَبَ النَّجَاةِ ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِدُونِ الْإِسْلَامِ ، لَا يَكُونُ مَدَارَ النَّجَاةِ أَيْضاً . .

فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ : أَنَّ مَوَازِينَ رِسَالَةِ النُّورِ بَيَّنَتْ ثَمَرَاتِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَحَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، وَنَتَائِجَهُمَا بِفَيْضِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ بِحَيْثُ لَوْ فَهِمَهَا الْمُلْحِدُ ؛ لَمَا أَمْكَنَهُ

عَدَمُ الالْتِزَامِ . وَكَذَا أَظْهَرَتْ دَلائِلَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلامِ وَبَرَاهِينَهُمَا قَوِيَّةً ، بِحَيْثُ إِنْ فَهِمَهُمَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ ؛ يُصَدِّقُ بِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ وَيُؤْمِنُ بِهَا ، مَعَ بَقَائِهِ غَيْرَ مُسْلِمٍ . نَعَمْ : إِنَّ الْمَقَالاتِ قَدْ بَيَّنَتْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلامِ ، الْجَمِيلَةَ اللَّذِيذَةَ مِثْلَ ثِمَارِ طُوبَى الْجَنَّةِ ؛ وَبَيَّنَتْ نَتَائِجَهُمَا الْيَانِعَةَ الطَّيِّبَةَ كَمَحَاسِنِ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، بِحَيْثُ تُورِثُ مَنْ رَآهَا وَعَرَفَهَا ، حِسَّ وَلاءٍ وَالْتِزَامٍ وَتَسْلِيمٍ بِلا نِهَايَةٍ ؛ وَإِنَّهَا قَدْ أَظْهَرَتْ بَرَاهِينَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلامِ ، الْقَوِيَّةَ كَسِلْسِلَةِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَالْكَثِيرَةَ كَالذَّرَّاتِ ، بِحَيْثُ تُنْتِجُ إِذْعَاناً بِلا نِهَايَةٍ ، وَقُوَّةَ إِيمَانٍ ؛ حَتّى إِنِّي حِينَمَا أَتَشَهَّدُ أَحْيَاناً ، فِي أَوْرَادِ الشَّاهِ النَّقْشَبَنْدِيِّ ؛ وَأَقُولُ : (عَلَى ذٰلِكَ نَحْيَا ؛ وَعَلَيْهِ نَمُوتُ ؛ وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ غَداً) ؛ أُحِسُّ بِالْتِزَامٍ لا نِهَايَةَ لَهُ ؛ فَإِنْ أُعْطِيتُ الدُّنْيَا كُلَّهَا ؛ فَلَنْ أَفْدِيَهَا حَقِيقَةً إِيمَانِيَّةً وَاحِدَةً ؛ وَإِنَّ فَرْضَ عَكْسِ حَقِيقَةٍ ، دَقِيقَةً وَاحِدَةً ، يُؤْلِمُنِي جِدّاً ؛ وَإِنِّي حِينَمَا أَقُولُ : (وَآمَنَّا بِمَا أَرْسَلْتَ مِنْ رَسُولٍ ؛ وَآمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ مِنْ كِتَابٍ ؛ فَصَدَّقْنَا) ؛ أَشْعُرُ بِقُوَّةِ إِيمَانٍ لا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَأَتَلَقَّى عَكْسَ كُلِّ حَقِيقَةٍ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، مُحَالاً عَقْلِيّاً ؛ وَأَرَى أَهْلَ الضَّلالِ ، بُلْهاً وَمَجَانِينَ بِلا نِهَايَةٍ . .

وَأُسَلِّمُ عَلَى وَالِدَيْكَ ؛ وَأُقَدِّمُ كَثِيرَ احْتِرَامٍ ؛ وَلْيَدْعُوا لِي ؛ وَإِنَّكَ أَخِي ؛ فَهُمَا بِمَثَابَةِ وَالِدَيَّ ؛ وَأُسَلِّمُ أَيْضاً عَلَى أَهْلِ قَرْيَتِكُمْ جَمِيعاً ، وَلاسِيَّمَا مَنْ يَسْتَمِعُونَ مِنْكَ الْمَقَالاتِ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلْمَكْتُوبُ الْعَاشِرُ

بَاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

جَوابٌ عَلَى سُؤَالَيْنِ :

اَلْأَوَّلُ : هُوَ حَاشِيَةُ الْجُمْلَةِ الطَّوِيلَةِ، فِي تَعْرِيفِ تَحَوُّلاتِ الذَّرَّاتِ، مِنَ الْمَقْصَدِ الثَّانِي مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّلاثِينَ..

لَقَدْ ذُكِرَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ، فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، فِي مَوَاضِعَ مُكَرَّرَةٍ. فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ: إِنَّهُمَا مُتَّحِدَانِ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُمَا مُخْتَلِفَانِ. وَبَيَانَاتُهُمْ فِي حَقِّهِمَا مُخْتَلِفَةٌ؛ وَخُلاصَتُهَا: أَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّهُمَا عُنْوَانَانِ لِلْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ»؛ وَلٰكِنِّي تَيَقَّنْتُ بِفَيْضِ الْقُرْآنِ: أَنَّ الْإِمَامَ الْمُبِينَ، عُنْوَانٌ لِنَوْعٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ وَأَمْرِهِ؛ يَنْظُرُ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ، أَزْيَدَ مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ؛ يَعْنِي أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الزَّمَانِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، أَزْيَدَ مِنْ زَمَانِ الْحَالِ؛ يَعْنِي أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى أَصْلِ كُلِّ شَيْءٍ وَنَسْلِهِ، وَإِلَى جُذُورِهِ وَبُذُورِهِ، أَزْيَدَ مِنْ وُجُودِهِ الظَّاهِرِيِّ؛ فَهُوَ دَفْتَرٌ لِلْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ. وَقَدْ أُثْبِتَ وُجُودُ هٰذَا الدَّفْتَرِ، فِي الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ، وَفِي حَاشِيَةِ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ..

نَعَمْ: إِنَّ هٰذَا الْإِمَامَ الْمُبِينَ، عُنْوَانٌ لِنَوْعٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ وَأَمْرِهِ تَعَالَى؛ يَعْنِي أَنَّ مَبَادِئَ الْأَشْيَاءِ وَعُرُوقَهَا وَأُصُولَهَا، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُنْتِجُ وُجُودَ الْأَشْيَاءِ بِغَايَةِ الصُّنْعِ، وَبِكَمَالِ

الِانْتِظَام ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلٰى أَنَّهَا تُنَظَّمُ بِدَفْتَرٍ مِنْ دَسَاتِيرِ الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَأَنَّ نَتَائِجَ الْأَشْيَاءِ وَأَنْسَالَهَا وَبُذُورَهَا ، لِكَوْنِهَا تَتَضَمَّنُ بَرَامِجَ الْمَوْجُودَاتِ الْآتِيَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَفَهَارِسَهَا ، تُعْلِنُ قَطْعاً أَنَّهَا مَجْمُوعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الْأَوَامِرِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَإِنَّ نَوَاةً مَثَلاً يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهَا أَمْرٌ مُجَسَّمٌ صَغِيرٌ ، مِنَ الْأَوَامِرِ التَّكْوِينِيَّةِ الَّتِي تُعَيِّنُ الْبَرَامِجَ وَالْفَهَارِسَ الَّتِي تُنَظِّمُ تَشْكِيلَاتِ جَمِيعِ الشَّجَرَةِ . .

الْحَاصِلُ : أَنَّ الْإِمَامَ الْمُبِينَ ، فِي حُكْمِ بَرْنَامَجٍ وَفِهْرِسٍ لِشَجَرَةِ الْخِلْقَةِ الَّتِي نَشَرَتِ الْأَغْصَانَ وَالْفُرُوعَ ، فِي أَطْرَافِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ وَعَالَمِ الْغَيْبِ . فَالْإِمَامُ الْمُبِينُ بِهٰذَا الْمَعْنٰى ، دَفْتَرٌ لِلْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ ، وَمَجْمُوعَةُ دَسَاتِيرَ لَهُ ؛ فَتُسَاقُ الذَّرَّاتُ بِإِمْلَاءِ تِلْكَ الدَّسَاتِيرِ وَبِحُكْمِهَا ، إِلٰى حَرَكَاتِهَا وَخِدَمَاتِهَا فِي وُجُودِ الْأَشْيَاءِ . .

أَمَّا الْكِتَابُ الْمُبِينُ ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلٰى عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، أَزْيَدَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ، أَزْيَدَ مِنَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَأَنَّهُ عُنْوَانٌ وَدَفْتَرٌ وَكِتَابٌ لِلْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، أَزْيَدَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَمْرِ . فَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ دَفْتَرَ الْقَدَرِ ؛ فَالْكِتَابُ الْمُبِينُ دَفْتَرُ الْقُدْرَةِ ؛ يَعْنِي أَنَّ كَمَالَ الصُّنْعِ وَالِانْتِظَامِ ، فِي وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَفِي مَاهِيَّتِهِ وَصِفَاتِهِ وَشُؤُونَاتِهِ ، يَدُلَّانِ عَلٰى أَنَّهُ يُلْبَسُ الْوُجُودُ عَلَيْهِ ، بِدَسَاتِيرِ قُدْرَةٍ كَامِلَةٍ ، وَبِقَوَانِينِ إِرَادَةٍ نَافِذَةٍ ؛ فَتُعَيَّنُ صُورَتُهُ وَتُشَخَّصُ ؛ وَتُعْطٰى مِقْدَاراً مُعَيَّناً ، وَشَكْلاً مَخْصُوصاً . فَإِذاً إِنَّ لِتِلْكَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ، دَفْتَراً أَكْبَرَ ، وَمَجْمُوعَةَ قَوَانِينَ كُلِّيَّةٍ وَعُمُومِيَّةٍ ، يُقَصُّ الْوُجُودُ الْخَاصُّ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالصُّورَةُ الْمَخْصُوصَةُ بِهِ ؛ وَيُخَاطَانِ وَيُلْبَسَانِ عَلَيْهِ حَسَبَ ذٰلِكَ الدَّفْتَرِ الْأَكْبَرِ . وَقَدْ أُثْبِتَ وُجُودُ هٰذَا الدَّفْتَرِ ، كَالْإِمَامِ الْمُبِينِ ، فِي مَسَائِلِ الْقَدَرِ ، وَجُزْءِ الِاخْتِيَارِ . فَانْظُرْ إِلٰى حُمْقِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالْفَلْسَفَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ أَحَسُّوا جِلْوَةَ لَوْحِ الْقُدْرَةِ الْفَاطِرَةِ ، ذٰلِكَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَانْعِكَاسَ كِتَابِ الْحِكْمَةِ وَالْإِرَادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، ذٰلِكَ الْكِتَابِ الْبَصِيرِ ؛ وَأَحَسُّوا تِمْثَالَهَا فِي الْأَشْيَاءِ ؛ فَسَمَّوْهَا بِالطَّبِيعَةِ ؛ وَحَرَّفُوهَا ؛ حَاشَاهَا . .

هٰذَا ؛ فَالْقُدْرَةُ الْإِلٰهِيَّةُ تُحَرِّكُ الذَّرَّاتِ ، فِي إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ ؛ وَتُوجِدُ سِلْسِلَةَ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي كُلٌّ مِنْهَا آيَةٌ ؛ وَتَكْتُبُهَا فِي صَحِيفَةِ الزَّمَانِ ، الْمِثَالِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِلَوْحِ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ ، بِإِمْلَاءِ الْإِمَامِ الْمُبِينِ : أَيْ بِحُكْمِ الْقَدَرِ وَبِدُسْتُورِهِ . فَإِذاً إِنَّ حَرَكَاتِ الذَّرَّاتِ ، اهْتِزَازٌ وَتَحَرُّكٌ ، فِي مُضِيِّ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، إِلٰى عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، وَمِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْقُدْرَةِ ، مِنْ تِلْكَ الْكِتَابَةِ ، وَذٰلِكَ الِاسْتِنْسَاخِ . .

وَأَمَّا لَوْحُ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ ؛ فَهُوَ دَفْتَرٌ مُتَبَدِّلٌ ، وَلَوْحَةُ كِتَابَةٍ وَمَحْوٍ ، فِي دَائِرَةِ الْمُمْكِنَاتِ : أَيْ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَعْرُوضَةِ دَائِماً لِلْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، وَالْوُجُودِ وَالْفَنَاءِ ، مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الْأَعْظَمِ الثَّابِتِ الدَّائِمِ . وَذٰلِكَ الدَّفْتَرُ ، هُوَ حَقِيقَةُ الزَّمَانِ . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ النَّهَرِ الْعَظِيمِ الْجَارِي فِي الْكَائِنَاتِ ، الَّذِي نَقُولُ لَهُ : الزَّمَانُ ؛ هِيَ : أَنَّهُ فِي حُكْمِ صَحِيفَةِ كِتَابِ الْقُدْرَةِ ، وَمِدَادِهِ ، فِي لَوْحِ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ . . (لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ) . .

اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : أَيْنَ مَيْدَانُ الْحَشْرِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْحِكْمَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي يُظْهِرُهَا الْخَالِقُ الْحَكِيمُ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُعَلِّقُ بِشَيْءٍ حَقِيرٍ ، حِكَماً عَظِيمَةً جِدّاً ، تُشِيرُ بِذٰلِكَ فِي دَرَجَةِ الصَّرَاحَةِ ، إِلٰى أَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ لَا تَخُطُّ دَائِرَةً عَظِيمَةً ، هُيَاماً وَهَبَاءً ؛ بَلْ إِنَّهَا تَدُورُ حَوْلَ شَيْءٍ مُهِمٍّ ؛ وَتَخُطُّ الدَّائِرَةَ الْمُحِيطَةَ بِالْمَيْدَانِ الْأَكْبَرِ ؛ وَتُعَيِّنُهَا ؛ وَتَسِيرُ حَوْلَ مَشْهَرٍ عَظِيمٍ ؛ وَتُسَلِّمُ مَحْصُولَاتِهَا الْمَعْنَوِيَّةَ إِلَيْهِ ؛ فَسَتُعْرَضُ تِلْكَ الْمَحْصُولَاتُ ، أَمَامَ أَنْظَارِ النَّاسِ ، فِي ذٰلِكَ الْمَشْهَرِ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ . فَإِذاً إِنَّهُ سَيُبْسَطُ فِي دَائِرَةٍ مُحِيطَةٍ ، تَقْرُبُ مِنْ مَسَافَةِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، مَيْدَانُ حَشْرٍ يَمْلَأُ تِلْكَ الدَّائِرَةَ ؛ وَتَكُونُ بُقْعَةُ الشَّامِ الشَّرِيفَةُ ، فِي حُكْمِ نَوَاةٍ ، بِنَاءً عَلَى الرِّوَايَةِ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ الْمَحْصُولَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِكُرَةِ الْأَرْضِ ، تُبْعَثُ إِلٰى دَفَاتِرِ ذٰلِكَ الْمَيْدَانِ الْمَسْتُورِ الْآنَ تَحْتَ حِجَابِ الْغَيْبِ ، وَإِلٰى أَلْوَاحِهِ ؛ وَتَصُبُّ سُكَّانَهَا أَيْضاً ، إِلٰى ذٰلِكَ

الْمَيْدَانِ ؛ حِينَمَا يُفْتَحُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَتَمْضِي تِلْكَ الْمَحْصُولاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ ، مِنَ الْغَيْبِ إِلَى الشَّهَادَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ كُرَةَ الأَرْضِ ، فِي حُكْمِ مَزْرَعَةٍ وَيَنْبُوعٍ وَكَيْلٍ ، قَدْ أَنْتَجَتْ مَحْصُولاتٍ تَمْلأُ ذٰلِكَ الْمَيْدَانَ الْأَكْبَرَ ؛ وَسَالَتْ مِنْهَا مَخْلُوقَاتٌ تَسْتَوْعِبُهُ ؛ وَخَرَجَتْ مِنْهَا مَصْنُوعَاتٌ تَمْلَأُهُ . فَإِذاً إِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ نَوَاةٌ ؛ وَمَيْدَانَ الْحَشْرِ مَعَ مَا فِيهِ ، شَجَرٌ وَسُنْبُلٌ وَمَخْزَنٌ . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ نُقْطَةً نُورَانِيَّةً ، تَصِيرُ بِسُرْعَةِ حَرَكَتِهَا ، خَطّاً نُورَانِيّاً ؛ أَوْ تَكُونُ دَائِرَةً نُورَانِيَّةً ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ، مَدَارٌ لِتَمْثِيلِ دَائِرَةٍ مِنَ الْوُجُودِ ، بِحَرَكَتِهَا السَّرِيعَةِ الْحَكِيمَةِ . وَتِلْكَ الدَّائِرَةُ الْوُجُودِيَّةُ ، مَدَارٌ لِتَشَكُّلِ مَيْدَانٍ لِلْحَشْرِ الأَكْبَرِ . . ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ﴾ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِيَ عَشَرَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

إِنَّ هٰذَا الْمَكْتُوب عِلاَجٌ مُهِمٌّ ، يُشِيرُ إِلٰى أَرْبَعَةِ جَوَاهِرَ صَغِيرَةٍ ، مِنْ خَزِينَةِ أَرْبَعِ آيَاتٍ . .

أَخِيَ الْعَزِيزَ ! إِنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ دَرَّسَ نَفْسِي ، هٰذِهِ الْمَسَائِلَ الْأَرْبَعَ الْمُخْتَلِفَةَ ، فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَكَتَبْتُهَا لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا دَرْساً أَوْ نَصِيباً ، مَنْ يُرِيدُ مِنْ إِخْوَانِي أَيْضاً . وَقَدْ بُيِّنَتْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نَمَاذِجُ جَوَاهِرَ صَغِيرَةٍ ، مِنْ خَزِينَةِ حَقَائِقِ أَرْبَعِ آيَاتٍ كَرِيمَةٍ مُخْتَلِفَةٍ بِاعْتِبَارِ الْمَبَاحِثِ . وَلِكُلِّ مَبْحَثٍ مِنْ تِلْكَ الْمَبَاحِثِ الْأَرْبَعَةِ ، صُورَةٌ وَفَائِدَةٌ أُخْرٰى . .

اَلْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾

يَا نَفْسِيَ الْآيِسَةَ مِنْ جَرَّاءِ سُوءِ الْوَسْوَسَةِ ! . إِنَّ تَدَاعِيَ الْخَيَالاَتِ ، وَتَخَطُّرَ الْفَرَضِيَّاتِ ، نَوْعُ ارْتِسَامٍ غَيْرُ اخْتِيَارِيٍّ . وَالِارْتِسَامُ إِنْ كَانَ مِنَ الْخَيْرِ وَالنُّورَانِيِّ ؛ يَنْتَقِلُ حُكْمُ حَقِيقَتِهِ ، إِلٰى صُورَتِهِ وَمِثَالِهِ نَوْعاً مَّا ؛ كَمَا يَنْتَقِلُ ضِيَاءُ الشَّمْسِ وَحَرَارَتُهَا ، إِلٰى مِثَالِهَا فِي الْمِرْآةِ ؛ وَإِنْ كَانَ مِنَ الشَّرِّ وَالْكَثِيفِ ؛ لاَ يَنْتَقِلُ حُكْمُ الْأَصْلِ ، وَخَاصَّتُهُ إِلٰى صُورَتِهِ ؛ وَلاَ تَسْرِي إِلٰى تِمْثَالِهِ . فَمَثَلاً : إِنَّ صُورَةَ شَيْءٍ نَجِسٍ أَوْ مَيِّتٍ فِي الْمِرْآةِ ، لَيْسَ نَجِساً وَلاَ مَيِّتاً ؛ وَإِنَّ تِمْثَالَ الْحَيَّةِ لاَ يَلْدَغُ . فَعَلٰى هٰذَا السِّرِّ لَيْسَ تَصَوُّرُ الْكُفْرِ كُفْراً ؛ وَلاَ تَخَيُّلُ

الشَّتْمِ شَتْماً ؛ وَلاسِيَّمَا إِذَا كَانَ غَيْرَ اخْتِيَارِيٍّ ؛ وَكَانَ تَخَطُّراً فَرَضِيّاً ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ ضَارٍّ كُلِّيّاً . وَأَيْضاً إِنَّ قُبْحَ شَيْءٍ وَخُبْثَهُ شَرْعاً ، إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ النَّهْيِ الْإِلٰهِيِّ ، فِي مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْحَقِّ . فَمَا دَامَ أَنَّهُ تَخَطُّرٌ فَرَضِيٌّ ، وَتَدَاعٍ خَيَالِيٌّ ، بِدُونِ اخْتِيَارٍ وَلَا رِضاً ؛ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ النَّهْيُ . وَهُوَ وَإِنْ كَانَ صُورَةَ أَيِّ شَيْءٍ قَبِيحٍ وَخَبِيثٍ ؛ لَا يَكُونُ قَبِيحاً وَخَبِيثاً . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ :

ثَمَرَةٌ لِلصَّنَوْبَرِ وَالْقَطِرَانِ وَالْبَانِ الْأَسْوَدِ ، فِي أَكَمَةِ مَصِيفِ «بَارْلَا» : كُنْتُ فِي وَقْتٍ مِنْ أَسْرِي ، عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ ؛ أَتَفَرَّجُ عَلَى صُوَرِ الْأَشْجَارِ الْمَهِيبَةِ ، وَهَيْئَاتِهَا الْمُحَيِّرَةِ ، مِنْ أَشْجَارِ الصَّنَوْبَرِ وَالْقَطِرَانِ وَالْأَرْزِ الْعَظِيمَةِ ؛ إِذْ هَبَّتْ رِيحٌ لَطِيفَةٌ جِدّاً ؛ فَحَوَّلَتْ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةَ ، إِلَى صُورَةِ حَرَكَاتٍ رَاقِصَةٍ مُتَرَنِّمَةٍ ، وَتَسْبِيحَاتٍ جَاذِبَةٍ مُحْتَشِمَةٍ وَلَذِيذَةٍ . فَلِذٰلِكَ عَادَ نَظَرُ التَّفَرُّجِ ، إِلَى نَظَرِ الْعِبْرَةِ ، وَسَمْعِ الْحِكْمَةِ ؛ فَإِذَا بِهٰذِهِ الْفِقْرَةِ الْكُرْدِيَّةِ لِأَحْمَدَ الْجَزِيرِيِّ ، خَطَرَتْ بِبَالِي ؛ وَهِيَ : ﴿هَرْكَسْ بِتَمَاشَاگَه حُسْنَاتَه زِهَرْجَا ❁ تَشْبِيهِ نِگَارَانْ بِجَمَالَاتَه دِنَازِنْ﴾ . . فَبَكَى قَلْبِي هٰكَذَا ، إِفَادَةً لِمَعَانِي الْعِبْرَةِ : (يَا رَبِّ ! هَرْ حَيٌّ بِتَمَاشَاگَه صُنْعِ تُو ، زِهَرْجَا بِتَازِي ❁ زِنْشِيبُ وَازْفَرَازِي ، مَانَنْدِ دَلَالَانْ ، بِنِدَاءُ وبِآوَازِي ❁ دَمْ دَمْ زِجَمَالِ نَقْشِ تُو[1] ، دَرْ رَقْصِ وبَازِي ❁ زِكَمَالِ صُنْعِ تُو ، خُوشْ خُوشْ بِگَازِي ❁ زِشِيرِينِي آوَازِ خُودْ ، هِي هِي دِنَازِي ❁ ازْوَيْ رَقْصَه آمَدْ ؛ جَذْبَهْ خَوَازِي ❁ ازِينْ آثَارِ رَحْمَتْ ، يَافْتْ هَرْ حَيٌّ ، دَرْسِ تَسْبِيحُ ونَمَازِي ❁ اِيسْتَادَه سْتْ هَرْ يَكِي ، بَرْ سَنْكِ بَالَا ، سَرْ فِرَازِي ❁ دِرَازْ كَرْدَه سْتْ دَسْتَهَارَا ، بِدَرْگَاهِ إِلٰهِي ، هَم چُو شَهْبَازِي ❁ بِجُنْبِيدَه سْتْ زُلْفَهَارَا ، بِشَوْقْ انْگِيزِ شَهْنَازِي ❁ بِبَالَا مِيزَنَدْ ازْ پَرْدَه هَايِ هَايْهُوِي عَشْقْبَازِي[2] مِي دِهَدْ هُوشَه گِرِينْهَايِ دِرِينْهَا ، نَغْمَه هَايِ زَوَالِي ازْ حُبِّ مَجَازِي ❁ بَرْ سِرِ مَحْمُودَهَا ،

(١) زِهَوَايِ شَوْقِ تُو . . نُسْخَةٌ . .   (٢) چَرْخْبَازِي . . نُسْخَةٌ . .

حُزْنْ اَنْگيزِ ايَازي ❁ رُوحه مِي آيَدْ اَزُو ، زَمْزَمَةً نَازْ ونيَازي ❁ قَلْبْ مِي خٰوانَدْ اَزِينْ آيَاتْهَا ، سِرِّ تَوْحِيدْ ، زِعُلُوِّ نَظْمِ إعْجَازِي ❁ نَفْسْ مِي خٰواهَدْ دَراينْ وَلْوَلَهَا زَلْزَلَه هَا ، ذَوْقِ بَاقِي ، دَرْفَنَاي دُنْيَابَازي ❁ عَقْلْ مِي بِينَدْ اَزِينْ زَمْزَمَه هَا ، دَمْدَمَه هَا ، نَظْمِ خِلْقَتْ ، نَقْشِ حِكْمَتْ ، كَنْزِ رَازِي ❁ آرْزُو مِي دَارَدْ هَوَا ، اَزِينْ هَمْهَمَهَا ، هُوهُوهَا ، مَرْكِ خُودْ ، دَرْ تَرْكِ اَذْوَاقِ مجَازِي ❁ خيَالْ بِينَدْ ازِينْ أَشْجَارْ ، مَلاَئِكْ رَا جَسَدْ آمَدْ ، سَمَاوِي بَاهَزَارَانْ نَيْ ❁ اَزِينْ نَيْهَا شُنِيدَتْ هُوشْ ، سِتَايِشْهَايِ ذَاتِ حَيٍّ ❁ وَرَقْهَا رَا زَبَانْ دَارَنْدْ هَمَه هُوهُو ، ذِكْرِ آرَنْدْ بَدَرْ مَعْنَاي حَيٍّ حَيٍّ ❁ چُو ﴿لَآ إلٰهَ إلّا هُوَ﴾ بَرابَرْ مِي زَنَدْ هَرْ شَيْ ❁ دَمَادَمْ جُو يَدَنْدْ يَا حَقّ ! سَرَا سَرْ گُويَدَنْدْ يَا حَيّ ! بَرَابَرْ مِي زَنَنْدْ ﴿اَللهْ﴾ ❁ فَيَا حَيُّ وَيَا قَيُّومْ ! بِحَقِّ اسْمِ حَيُّ وقَيُّومْ ❁ حَيَاتِي دِهْ بَإِينْ قَلْبِ پَرِيشَانْ رَا ؛ اِسْتِقَامَتْ دِهْ بَإِينْ عَقْلِ مُشَوَّش رَا ❁ آمِينْ . .

مَعانِي الْأَبْيَاتِ الْفَارِسِيَّةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي حَقِّ ثَمَرَةِ الصَّنَوْبَرِ وَالْقِطْرَانِ وَالْأَرْزِ وَالْبَانِ الْأَسْوَدِ . .

لَقَدْ خَطَرَ بِبَالِي هٰذَا الْبَيْتُ :

(هَرْكَسْ بِتَمَاشَاكَهِ حُسْنَاتَه زِهَرْجَا ❁ تَشْبِيهِ نِگَارَانْ بجَمَالاَتَه دِنَازِنْ) يَعْنِي : أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ ، أَتَى عَادِياً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، إلَى مَعْرِضِ حُسْنِكَ ؛ فَيَتَدَلَّلُونَ بِجَمَالِكَ . . فَبَكَى قَلْبِي هٰكَذَا ، إفَادَةً لِمَعَانِي الْعِبْرَةِ :

(١) (يَا رَبِّ ! . هَرْ حَيٍّ بِتَمَاشَاگَه صُنْعِ تُو ، زِهَرْجَا بِتَازِي ❁) : إنَّ كُلَّ حَيٍّ يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَيَنْظُرُونَ إلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مَعْرِضُ صُنْعِكَ . .

(٢) (زِنَشِيبُ وَازْفِرَازِي ، مَانَنْدِ دَلاَلاَنْ ، بِنِدَاءُ وبِآوَازِي ❁) : يَخْرُجُونَ مِنَ السَّافِلِ وَالْعَالِي ؛ فَيُنَادُونَ كَالدَّلّالِينَ . .

(٣) (دَمْ دَمْ زِجَمَالِ نَقْشِ تو ، دَرْ رَقْصْ وبَازِي ❁) : تَرْقُصُ تِلْكَ الْأَشْجَارُ الشَّبِيهَةُ بِالدَّلَّالَاتِ ، فَرِحَاتٍ عَنْ نَقْشِ جَمَالِكَ . .

(٤) (زِكَمَالِ صُنْعِ تو ، خُوشْ خُوش بَگَازِي ❁) : تَنْشَى عَنْ كَمَالِ صُنْعِكَ ، مُتَرَنِّمَاتٍ بِأَصْوَاتٍ طَيِّبَةٍ . .

(٥) (زِشِيرِينِي اَوَازِ خُودْ ، هِي هِي دِنَازِي ❁) : كَأَنَّ حَلَاوَةَ أَصْوَاتِهَا تُطْرِبُهَا أَيْضاً ؛ فَتَغَنَّجُهَا غَنَجاً لَطِيفاً . .

(٦) (اَزِينْ آثَارِ رَحْمَتْ ، يَافْتْ هَرْ حَيٌّ ، دَرْسِ تَسْبِيحُ ونَمَازِي ❁) : فَمِنْ آثَارِ هٰذِهِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ يَدْرُسُ كُلُّ حَيٍّ ، مَا يَخُصُّهُ مِنْ دَرْسِ التَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ . .

(٧) (اِيسْتَادَه سْتْ هَرْ يَكِي ، بَرْ سَنْكِ بَالَا ، سَرْ فِرَازِي ❁) : فَبَعْدَ تَلَقِّي الدَّرْسِ وَقَفَتْ كُلُّ شَجَرَةٍ عَلٰى صَخْرَةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، رَافِعَةً رَأْسَهَا إِلَى الْعَرْشِ . .

(٨) (دِرَازْ كَرْدَه سْتْ دَسْتَهَارَا ، بَدَرْگَاهِ إِلٰهِي ، هَم چُو شَهْبَازِي[1] ❁) : وَمَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، مِئَاتٍ مِنْ أَيْدِيهَا ، إِلٰى بَابِ اللهِ تَعَالٰى ، كَشَهْبَازِ قَلَنْدَرْ ؛ وَاتَّخَذَتْ هَيْئَةً مُحْتَشِمَةً مِنَ الْعِبَادَةِ . .

(٩) (بَجُنْبِيدَه سْتْ زُلْفِهَارَا ، بَشَوْقْ اَنْگِيزِ شَهْنَازِي[2] ❁) : وَتُحَرِّكُ أَغْصَانَهَا الصَّغِيرَةَ شِبْهَ الْعُذُرِ ؛ وَبِذٰلِكَ تُذَكِّرُ النَّاظِرِينَ أَيْضاً ، أَشْوَاقَهَا اللَّطِيفَةَ ، وَأَذْوَاقَهَا الْعُلْوِيَّةَ . .

(١٠) (بَبَالَا مِيزَنَدْ اَزْ پَرْدَه هَايِ هَايْهُوِي عَشْقْبَازِي ❁) : وَتَزْمُرُ مِنْ طَبَقَاتِ أَنْغَامِ الْعِشْقِ ؛ كَأَنَّهَا تُصِيبُ أَرَقَّ الْأَوْتَارِ وَالْأَعْصَابِ الْحَسَّاسَةِ . .

(١١) (مِي دِهَدْ هُوشَه كِرِينْهَايِ دِرِينْهَا ، زَوَالِي اَزْحُبِّ مَجَازِي ❁) : يَرِدُ عَلَى

---

(١) شَهْبَازِ قَلَنْدَرْ : بَطَلٌ مَشْهُورٌ اِلْتَجَأَ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، بِإِرْشَادِ الشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ ؛ فَارْتَقٰى إِلٰى مَرْتَبَةِ الْوِلَايَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(٢) شَهْنَازَا چِلْ كَرِي : حَسْنَاءُ شَهِيرَةٌ فِي الْعَالَمِ ، بِأَرْبَعِينَ غَدِيرَةً مِنَ الشَّعْرِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الْفِكْرِ مِنْ هٰذِهِ الْحَالَةِ ، مَعْنًى هٰكَذَا : وَهُوَ أَنَّهَا تُذَكِّرُ الْبُكَاءَ الْوَارِدَ بِأَلَمِ زَوَالِ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ الْمَجَازِيَّةِ ؛ وَتُذَكِّرُ أَنِيناً حَزِيناً غَائِراً . .

(١٢) (بَرْ[1] سَرِ مَحْمُودهَا ، نَغْمَه هَايِ حُزْنْ اَنْگِيزِ اَيَازِي ﷺ) : وَأَنَّهَا تُسْمِعُ عَلَى رُؤُوسِ الْمَحْمُودِينَ – أَيْ جَمِيعِ الْعُشَّاقِ الْمُفَارِقِينَ عَنْ مَحْبُوبَاتِهِمْ ، **كَالسُّلْطَانِ مَحْمُودٍ** – نَسَقَ أَنْغَامِهَا الْحَزِينَةِ . .

(١٣) (رُوحَه مِي آيَدْ اَزُو ، زَمْزَمَهٔ نَازْ وَنِيَازِي ﷺ) : وَالرُّوحُ فَهِمَتْ مِنْ هٰذِهِ الْحَالَةِ : أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَسْتَقْبِلُ بِالتَّسْبِيحَاتِ ، تَجَلِّيَاتِ أَسْمَاءِ الصَّانِعِ الْجَلِيلِ . فَمَا يُسْمَعُ ، هِيَ زَمْزَمَةُ تَذَلُّلٍ وَتَضَرُّعٍ . .

(١٤) (قَلْبْ مِي خَوانَدْ اَزِينْ آيَاتْهَا ، سِرِّ تَوْحِيدْ ، زِعُلُوِّ نَظْمِ إِعْجَازِي ﷺ) : وَالْقَلْبُ يَتْلُو مِنْ عُلُوِّ نَظْمِ هٰذَا الْإِعْجَازِ ، سِرَّ التَّوْحِيدِ ، مِنْ هٰذِهِ الْأَشْجَارِ الَّتِي كُلٌّ مِنْهَا فِي حُكْمِ آيَةٍ مُجَسَّمَةٍ . **يَعْنِي** : أَنَّ فِي خِلْقَتِهَا ، انْتِظَاماً وَصَنْعَةً وَحِكْمَةً خَارِقَةً ، بِحَيْثُ لَوْ فُرِضَتْ جَمِيعُ أَسْبَابِ الْكَائِنَاتِ ، فَاعِلَةً مُخْتَارَةً ؛ وَاجْتَمَعَتْ ؛ لَمَا قَلَّدَتْهَا . .

(١٥) (نَفْسْ مِي خَواهَدْ دَرِاينْ وَلْوَلَهَا زَلْزَلَهَا ، ذَوْق بَاقِي ، دَرْفَنَايِ دُنْيَابَازِي ﷺ) : وَالنَّفْسُ لَمَا رَأَتْ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةَ ؛ رَأَتْ وَجْهَ الْأَرْضِ جَمِيعاً ؛ كَأَنَّهُ يَتَدَحْرَجُ فِي زِلْزَالِ فِرَاقٍ نَائِحٍ ؛ فَطَلَبَتْ ذَوْقاً بَاقِياً ؛ فَتَلَقَّتْ هٰذَا الْمَعْنَى ؛ وَهُوَ : أَنَّكِ تَجِدِينَ فِي تَرْكِ حُبِّ الدُّنْيَا . .

(١٦) (عَقْلْ مِي بِينَدْ اَزِينْ زَمْزَمِهَا ، دَمْدَمِهَا ، نَظْمِ خِلْقَتْ ، نَقْشِ حِكْمَتْ ، كَنْزِ رَازِي ﷺ) : وَالْعَقْلُ يَجِدُ مِنْ زَمْزَمَةِ الْحَيَوَانِ وَالْأَشْجَارِ ، وَمِنْ دَمْدَمَةِ النَّبَاتِ وَالْهَوَاءِ هٰذِهِ ، انْتِظَامَ خِلْقَةٍ ، وَنَقْشَ حِكْمَةٍ ، وَخَزِينَةَ أَسْرَارٍ مُفِيدَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَيَفْهَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يُسَبِّحُ

---

(١) مُرْدَهَارَا نَغْمَهَايِ أَزَلِي ، أَزْحُزْنْ أَنْگِيزِ نَوَازِي : يُشَاهَدُ أَنَّ لَهَا وَظِيفَةً ؛ كَأَنَّهَا تُسْمِعُ الْأَمْوَاتَ الْمُنْقَطِعِينَ عَنْ سَمَاعِ الْأَصْوَاتِ وَالْأَقْوَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، أَنْغَاماً أَزَلِيَّةً ، وَأَصْوَاتاً حَزِينَةً . . وَهٰذِهِ النُّسْخَةُ تَنْظُرُ إِلَى مَا فِي الْمَقْبَرَةِ ، مِنْ شَجَرِ الْأَرْزِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الصَّانِعَ الْجَلِيلَ ، بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ . .

(١٧) (آرْزُو مِي دَارَدْ هَوَا ، اَزِينْ هَمْهَمَهَا ، هُوهُوهَا ، مَرْكِ خُودْ ، دَرْ تَرْكِ اَذْوَاقِ مَجَازِي ❁) : وَهَوَى النَّفْسِ تَأْخُذُ عَنْ هَمْهَمَةِ الْهَوَاءِ ، وَهَوْهَوَةِ الْأَوْرَاقِ ، لَذَّةً تُنْسِيهَا جَمِيعَ الْأَذْوَاقِ الْمَجَازِيَّةِ ؛ فَتُرِيدُ أَنْ تَمُوتَ فِي ذَوْقِ الْحَقِيقَةِ هٰذَا ، بِتَرْكِ الذَّوْقِ الْمَجَازِيِّ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ ذٰلِكَ الْهَوٰى . .

(١٨) (خِيَالْ بِينَدْ اَزِينْ أَشْجَارْ ، مَلَائِكْ رَا جَسَدْ آمَدْ ، سَمَاوِي بَاهَزَارَانْ نَيْ ❁) : وَالْخَيَالُ يَرٰى كَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُوَكَّلِينَ عَلٰى هٰذِهِ الْأَشْجَارِ ، دَخَلُوهَا وَلَبِسُوا الْأَشْجَارَ الَّتِي عُلِّقَتْ بِكُلِّ غُصْنٍ مِنْهَا ، مَزَامِيرُ كَثِيرَةٌ ، جَسَداً ؛ فَكَأَنَّ السُّلْطَانَ السَّرْمَدِيَّ أَلْبَسَهَا عَلَيْهِمْ ، فِي عَرْضٍ مُحْتَشِمٍ ، بِأَصْوَاتِ آلَافِ الْمَزَامِيرِ ؛ فَلَيْسَتْ تِلْكَ الْأَشْجَارُ ، أَجْسَاماً جَامِدَةً بِغَيْرِ شُعُورٍ ؛ بَلْ إِنَّهَا تُظْهِرُ كَيْفِيَّاتٍ مُفِيدَةً شُعُورِيَّةً لِلْغَايَةِ . .

(١٩) (اَزِينْ نَيْهَا شُنِيدَتْ هُوش ، سِتَايِشْهَايِ ذَاتِ حَيّْ ❁) : فَتِلْكَ الْمَزَامِيرُ خَالِصَةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ ؛ كَأَنَّهَا تَرِدُ عَنْ مُوسِيقٰى سَمَاوِيَّةٍ عُلْوِيَّةٍ . وَالْفِكْرُ لَا يَسْمَعُ عَنْ تِلْكَ الْمَزَامِيرِ ، تَشَكِّيَاتِ الْفِرَاقِ الْأَلِيمَةَ الَّتِي يَسْمَعُهَا كُلُّ الْعُشَّاقِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمْ مَوْلَانَا جَلَالُ الدِّينِ الرُّومِيُّ ؛ بَلْ يَسْمَعُ مِنْهَا تَشَكُّرَاتٍ رَحْمَانِيَّةً ، وَتَحْمِيدَاتٍ رَبَّانِيَّةً ، تُقَدَّمُ لِلذَّاتِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ . .

(٢٠) (وَرَقْهَا رَا زَبَانْ دَارَنْدْ هَمَه هُوهُو ، ذِكِرْ آرَنْدْ بَدَرْ مَعْنَايِ حَيٌّ حَيٌّ ❁) : فَإِذَا صَارَتِ الْأَشْجَارُ أَجْسَاداً ؛ وَأَصْبَحَتِ الْأَوْرَاقُ أَلْسِنَةً ؛ فَإِذاً إِنَّ كُلّاً مِنْهَا يُكَرِّرُ بِآلَافِ أَلْسِنَةٍ ، ذِكْرَ «هُو هُو» بِتَمَاسِّ الْهَوَاءِ ؛ وَتُعْلِنُ بِتَحِيَّاتِ حَيَاتِهَا ، أَنَّ صَانِعَهَا حَيٌّ قَيُّومٌ . .

(٢١) (چُو ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُو﴾ بَرَابَرْ مِي زَنَدْ هَرْ شَيْ ❁) : إِذِ الْأَشْيَاءُ جَمِيعاً تَعْمَلُ ذَاكِرَةً فِي حَلْقَةِ ذِكْرِ الْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةِ ، قَائِلَةً : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُو﴾ . .

(٢٢) (دَمَادَمْ جُو يَدَنْدْ يَا حَقّْ ! سَرَا سَرْ گُويَدَنْدْ يَا حَيّْ ! بَرَابَرْ مِي زَنَنْدْ ﴿اللهْ﴾ ❁) : وَهِيَ تَطْلُبُ مِنَ اللهِ تَعَالٰى ، حُقُوقَ حَيَاتِهَا ، عَنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، بِلِسَانِ اسْتِعْدَادِهَا ، وَقْتاً

فَوَقْتاً ، قَائِلَةً (يَا حَقُّ !) ؛ وَتَذْكُرُ اسْمَ الْحَيِّ ، بِلِسَانِ مَظْهَرِيَّتِهَا لِلْحَيَاةِ ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا . .

(٢٣) (فَيَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ! بِحَقِّ اسْمِ حَيٍّ وقَيُّومْ ❁ حَيَاتِي دِهْ بَايِنْ قَلْبِ پَرِيشَانْ رَا ؛ اِسْتِقَامَتْ دِهْ بَايِنْ عَقْلِ مُشَوَّشْ رَا[1] ❁) آمِينَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ :

أَنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَالْمَسْأَلَةَ الرَّابِعَةَ بَعْدَهَا ، بَعْضٌ مِنْ أَمْثِلَةِ الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ، الَّتِي أَظْهَرَتْ عَجْزَ الْمَدَنِيَّةِ إِزَاءَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَمِثَالاَنِ مِنْ آلاَفِ أَمْثِلَتِهَا الَّتِي أَثْبَتَتْ مَدٰى بُطْلاَنِ حُقُوقِ الْحَضَارَةِ الْمُخَالِفَةِ لِلْقُرْآنِ . فَالْحُكْمُ الْقُرْآنِيُّ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ عَيْنُ الرَّحْمَةِ ؛ كَمَا أَنَّهُ مَحْضُ الْعَدَالَةِ . نَعَمْ : إِنَّهُ عَدَالَةٌ ؛ لِأَنَّ رَجُلاً يَنْكِحُ امْرَأَةً ؛ فَيَتَكَفَّلُ نَفَقَتَهَا بِاعْتِبَارِ الْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَأَنَّ امْرَأَةً تَتَزَوَّجُ بِرَجُلٍ ؛ وَتَحْمِلُ نَفَقَتَهَا عَلَيْهِ ؛ فَتَتَلاَفٰى نَقْصَهَا فِي الْإِرْثِ . وَكَذَا أَنَّهُ رَحْمَةٌ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْبِنْتَ الضَّعِيفَةَ مُحْتَاجَةٌ كَثِيراً إِلَى الشَّفَقَةِ مِنْ أَبِيهَا ، وَإِلَى الرَّحْمَةِ مِنْ أَخِيهَا ؛ فَتَجِدُ تِلْكَ الْبِنْتُ مِنْ أَبِيهَا شَفَقَةً بِلاَ حَذَرٍ ، حَسَبَ حُكْمِ الْقُرْآنِ ؛ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَبُوهَا مُتَحَذِّراً ، بِنَظَرِ وَلَدٍ ضَارٍّ سَيَكُونُ سَبَباً لِوُصُولِ نِصْفِ ثَرْوَتِي إِلٰى أَيْدِي الْأَجَانِبِ وَالْغُرَبَاءِ ؛ فَلاَ يَخْتَلِطُ الْحَذَرُ وَالْغَضَبُ بِتِلْكَ الشَّفَقَةِ . وَأَيْضاً أَنَّهَا تَرٰى مِنْ أَخِيهَا رَحْمَةً وَحِمَايَةً بِلاَ حَسَدٍ وَلاَ حِقْدٍ ؛ فَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَخُوهَا بِنَظَرِ رَقِيبٍ سَيُفْسِدُ نِصْفَ أُسْرَتِنَا ؛ وَيُعْطِي قِسْماً مُهِمّاً مِنْ أَمْوَالِنَا بِأَيْدِي الْأَجَانِبِ ؛ فَلاَ يَمْزُجُ حِقْداً وَاغْبِرَاراً ، بِتِلْكَ الرَّحْمَةِ وَالْحِمَايَةِ . فَتِلْكَ الْبِنْتُ اللَّطِيفَةُ الرَّقِيقَةُ فِطْرَةً ، وَالضَّعِيفَةُ النَّحِيفَةُ خِلْقَةً ، تَفْقِدُ فِي هٰذَا الْحَالِ شَيْئاً قَلِيلاً ، فِي الظَّاهِرِ ؛ وَلٰكِنَّهَا تَفُوزُ بِثَرْوَةٍ لاَ تَنْفَدُ ، مِنْ شَفَقَةِ أَقَارِبِهَا وَرَحْمَتِهِمْ ، بَدَلاً عَنْ ذٰلِكَ . وَإِلاَّ فَإِنَّ إِعْطَاءَ الْحَقِّ

---

(١) فَيَا حَيُّ وَيَا قَيُّومُ ! بِحَقِّ اسْمِ الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ ، أَعْطِ هٰذَا الْقَلْبَ الْكَلِيلَ حَيَاةً ؛ وَهٰذَا الْعَقْلَ الْمُشَوَّشَ اسْتِقَامَةً . آمِينَ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ) . .

لَهَا أَزْيَدَ مِنْ حَقِّهَا زَاعِمِينَ أَنَّنَا نَرْحَمُهَا أَكْثَرَ مِنْ رَحْمَةِ الْحَقِّ تَعَالٰى ، لَيْسَ رَحْمَةً بِهَا ، بَلْ ظُلْمٌ شَدِيدٌ عَلَيْهَا ؛ بَلْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَفْتَحَ الْحِرْصُ الْوَحْشِيُّ مِنْ حِرْصِ هٰذَا الزَّمَانِ ، سَبِيلاً إِلٰى خَصْلَةٍ شَنِيعَةٍ ظَالِمَةٍ تُذَكِّرُ ظُلْماً غَدَّاراً مِثْلَ وَأْدِ بَنَاتِهِمْ حَيَّةً ، بِنَاءً عَلٰى غَيْرَتِهِمُ الْوَحْشِيَّةِ فِي عَصْرِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَجَمِيعُ الْأَحْكَامِ الْقُرْآنِيَّةِ مِثْلُ هٰذَا الْحُكْمِ ، تُصَدِّقُ قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ :

قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ . فَالْمَدَنِيَّةُ الْمَطْرُوحَةُ الْمِيمِ ؛ كَمَا تَكُونُ سَبَباً لِظُلْمٍ كَذٰلِكَ ، فِي حَقِّ الْبِنْتِ ، مِنْ إِعْطَائِهَا الْحَقَّ أَزْيَدَ مِنْ حَقِّهَا ؛ كَذٰلِكَ تَظْلِمُ فِي حَقِّ الْأُمِّ ظُلْماً أَشَدَّ ، بِقَطْعِ حَقِّهَا . نَعَمْ : إِنَّ شَفَقَةَ الْوَالِدَةِ شَفَقَتَهَا الَّتِي هِيَ جِلْوَةُ رَحْمَةٍ رَبَّانِيَّةٍ أَحْلٰى وَأَلْطَفُ وَأَلَذُّ وَأَلْيَقُ بِالاِحْتِرَامِ ، هِيَ أَعْلٰى حَقِيقَةٍ مُحْتَرَمَةٍ وَمُكَرَّمَةٍ بَيْنَ حَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإِنَّ الْوَالِدَةَ هِيَ أَكْرَمُ وَأَرْحَمُ صَدِيقَةٍ فَادِيَةٍ ، بِحَيْثُ تَفْدِي وَالِدَةٌ جَمِيعَ دُنْيَاهَا وَحَيَاتِهَا وَرَاحَتِهَا ، لِوَلَدِهَا ، بِسَائِقَةِ تِلْكَ الشَّفَقَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ الدَّجَاجَةَ الْجَبَانَةَ الَّتِي هِيَ فِي أَدْنٰى وَأَبْسَطِ دَرَجَاتِ الْوَالِدَةِ ؛ تَهْجُمُ عَلَى الْكَلْبِ ؛ وَتَصُولُ عَلَى الْأَسَدِ ، بِسَبَبِ لَمْعَةٍ ضَئِيلَةٍ مِنْ تِلْكَ الشَّفَقَةِ ، لِلدِّفَاعِ عَنْ فَرْخِهَا . فَحِرْمَانُ الْوَالِدَةِ الْمُتَّصِفَةِ بِمِثْلِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمُحْتَرَمَةِ الْمُعَزَّزَةِ ، مِنْ تَرِكَةِ وَلَدِهَا ، ظُلْمٌ رَهِيبٌ ، وَعَمَلٌ وَحْشِيٌّ ، وَتَحْقِيرٌ جَانٍ ، وَكُفْرَانُ نِعْمَةٍ ، إِزَاءَ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْمُحْتَرَمَةِ ؛ يَهُزُّ عَرْشَ الرَّحْمَةِ ، وَمَزْجُ سُمٍّ بِالتِّرْيَاقِ الْمُشْرِقِ النَّافِعِ لِلْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ . فَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ ذٰلِكَ ، سِبَاعُ الْبَشَرِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ خِدْمَةَ الْبَشَرِيَّةِ ؛ فَإِنَّ كُمَّلَ النَّاسِ يَفْهَمُونَهُ ؛ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ حُكْمَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ عَيْنُ الْحَقِّ ، وَمَحْضُ الْعَدْلِ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِيَ عَشَرَ

باسْمِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلٰى رُفَقَائِكُمْ..

إِخْوَانِي الْأَعِزَّةَ! لَقَدْ سَأَلْتُمُونِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ؛ فَمَا أَجَبْتُهُ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْبَحْثَ عَنِ الْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ، بِصُورَةِ النِّقَاشِ، غَيْرُ جَائِزٍ؛ وَأَنَّكُمْ تَبَاحَثْتُمْ بِصُورَةِ النِّقَاشِ. وَالْآنَ أَكْتُبُ جَوَاباً مُخْتَصَراً غَايَةَ الِاخْتِصَارِ، عَلٰى أَسْئِلَتِكُمُ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ أُسُسُ نِقَاشِكُمْ هٰذَا. وَإِنَّكُمْ تَجِدُونَ تَفَاصِيلَهَا فِي الْمَقَالَاتِ الَّتِي كَتَبَ أَسْمَاءَهَا الصَّيْدَلِيُّ الْمُحْتَرَمُ؛ وَلٰكِنْ مَا خَطَرَتْ بِبَالِيَ الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ الْبَاحِثَةُ عَنِ الْقَدَرِ وَجُزْءِ الِاخْتِيَارِ؛ فَمَا ذَكَرْتُهَا لَكُمْ. فَانْظُرُوا إِلَيْهَا أَيْضاً؛ وَلٰكِنْ لَا تَقْرَؤُوهَا كَالْجَرَائِدِ. وَسِرُّ إِرْجَاعِي لِلصَّيْدَلِيِّ الْمُحْتَرَمِ، إِلٰى مُطَالَعَةِ تِلْكَ الْمَقَالَاتِ، هُوَ: أَنَّ الشُّبُهَاتِ فِي ذٰلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْمَسَائِلِ، تَنْشَأُ عَنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ بِتِلْكَ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْمَقَالَاتِ تُثْبِتُ الْأَرْكَانَ الْإِيمَانِيَّةَ بِتَمَامِهَا..

فَسُؤَالُكُمُ الْأَوَّلُ:

مَا هِيَ حِكْمَةُ إِخْرَاجِ آدَمَ (عليه السلام) عَنِ الْجَنَّةِ، وَإِدْخَالِ بَعْضِ بَنِيهِ فِي جَهَنَّمَ؟.

اَلْجَوَابُ: أَنَّ حِكْمَتَهُ هِيَ التَّوْظِيفُ؛ فَقَدْ بُعِثَ مُوَظَّفاً بِوَظِيفَةٍ بِحَيْثُ إِنَّ انْكِشَافَ

جَمِيعِ التَّرَقِّيَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَانْبِسَاطَ الِاسْتِعْدَادَاتِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا ، وَصَيْرُورَةَ الْمَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، مِرْآةً جَامِعَةً لِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، هِيَ مِنْ نَتَائِجِ تِلْكَ الْوَظِيفَةِ . فَلَوْ بَقِيَ آدَمُ (عليه السلام) فِي الْجَنَّةِ ؛ لَبَقِيَ مَقَامُهُ ثَابِتاً كَالْمَلَكِ ؛ وَلَمَا انْكَشَفَتْ الِاسْتِعْدَادَاتُ الْبَشَرِيَّةُ ؛ مَعَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْمَقَامَاتِ الْمُتَنَاسِقَةِ كَثِيرُونَ ؛ وَلَا حَاجَةَ إِلَى الْإِنْسَانِ ، لِذٰلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ ؛ بَلِ اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، دَارَ تَكْلِيفٍ مُوَافِقَةً لِاسْتِعْدَادِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْطَعَ مَقَامَاتٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ أُخْرِجَ آدَمُ عَنِ الْجَنَّةِ ، بِالذَّنْبِ الْمَعْلُومِ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَى فِطْرَةِ الْبَشَرِ ، خِلَافَ الْمَلَائِكَةِ . فَإِذاً إِنَّ إِخْرَاجَ آدَمَ (عليه السلام) عَنِ الْجَنَّةِ ، عَيْنُ الْحِكْمَةِ ، وَمَحْضُ الرَّحْمَةِ ؛ كَمَا أَنَّ إِدْخَالَ الْكُفَّارِ فِي جَهَنَّمَ ، حَقٌّ وَعَدْلٌ ؛ كَمَا قِيلَ فِي الْإِشَارَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ : «إِنَّ الْكَافِرَ ؛ وَإِنْ عَمِلَ ذَنْباً فِي عُمُرٍ يَسِيرٍ ؛ إِلَّا أَنَّ فِي ذٰلِكَ الذَّنْبِ ، جِنَايَةً لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ تَحْقِيرٌ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، وَتَنْزِيلٌ لِقِيمَتِهَا ، وَتَكْذِيبٌ لِشَهَادَاتِ جَمِيعِ الْمَصْنُوعَاتِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَتَزْيِيفٌ لِلْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ الْمَشْهُودَةِ جَلَوَاتُهَا فِي مَرَايَا الْمَوْجُودَاتِ» . فَلِذٰلِكَ يُلْقِي الْقَهَّارُ الْجَلِيلُ سُلْطَانُ الْمَوْجُودَاتِ ، الْكُفَّارَ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ ، لِأَخْذِ حُقُوقِ الْمَوْجُودَاتِ مِنْهُمْ ؛ فَإِلْقَاؤُهُمْ فِي جَهَنَّمَ أَبَداً ، عَيْنُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ؛ لِأَنَّ جِنَايَةً بِلَا نِهَايَةٍ تَقْتَضِي عَذَاباً بِلَا نِهَايَةٍ . .

وَسُؤَالُكُمُ الثَّانِي :

أَنَّ خَلْقَ الشَّيَاطِينِ وَإِيجَادَهُمْ ، لِأَيِّ شَيْءٍ ؟ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الشُّرُورَ وَالشَّيَاطِينَ ؛ فَمَا هِيَ حِكْمَتُهَا ؟ فَإِنَّ خَلْقَ الشَّرِّ شَرٌّ ؛ وَخَلْقَ الْقَبِيحِ قَبِيحٌ . .

وَالْجَوَابُ عَلَيْهِ : حَاشَاهُ ؛ فَإِنَّ خَلْقَ الشَّرِّ لَيْسَ بِشَرٍّ ؛ بَلْ كَسْبُ الشَّرِّ شَرٌّ ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ وَالْإِيجَادَ يَنْظُرُ إِلَى جَمِيعِ النَّتَائِجِ ؛ وَالْكَسْبُ لِكَوْنِهِ مُبَاشَرَةً خَاصَّةً ، يَنْظُرُ إِلَى النَّتَائِجِ الْخَاصَّةِ . فَمَثَلاً : إِنَّ لِنُزُولِ الْمَطَرِ آلَافَ نَتَائِجَ ؛ وَكُلُّهَا حَسَنٌ ؛ فَإِنْ تَضَرَّرَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْمَطَرِ ، بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ ؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ إِيجَادَ الْمَطَرِ لَيْسَ رَحْمَةً ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يَحْكُمَ بِأَنَّ خَلْقَ الْمَطَرِ شَرٌّ ؛ بَلْ صَارَ شَرّاً فِي حَقِّهِ ، بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ وَكَسْبِهِ . وَكَذَا أَنَّ فِي خَلْقِ النَّارِ فَوَائِدَ كَثِيرَةً ؛ وَكُلُّهَا خَيْرٌ ؛ وَلٰكِنْ إِذَا تَضَرَّرَ بَعْضُهُمْ عَنِ النَّارِ ، بِسُوءِ كَسْبِهِ ، وَبِسُوءِ الاسْتِعْمَالِ ؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ خَلْقَ النَّارِ شَرٌّ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ لِإِحْرَاقِهِ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي النَّارِ الَّتِي تَطْبُخُ طَعَامَهُ ؛ وَجَعَلَ ذٰلِكَ الْخَادِمَ لَهُ ، عَدُوّاً لَهُ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الشَّرَّ الْقَلِيلَ يُقْبَلُ لِأَجْلِ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ . فَإِنْ تُرِكَ شَرٌّ مُنْتِجٌ لِلْخَيْرِ الْكَثِيرِ ؛ لِئَلَّا يُوجَدَ الشَّرُّ الْقَلِيلُ ؛ يُرْتَكَبُ حِينَئِذٍ شَرٌّ كَثِيرٌ . فَمَثَلاً : يُوجَدُ فِي سَوْقِ الْجُنْدِ إِلَى الْجِهَادِ ، بَعْضُ أَضْرَارٍ وَشُرُورٍ جُزْئِيَّةٍ مَادِّيَّةٍ وَبَدَنِيَّةٍ ؛ وَلٰكِنْ يُوجَدُ فِي ذٰلِكَ الْجِهَادِ ، خَيْرٌ كَثِيرٌ ؛ حَيْثُ يَنْجُو الْإِسْلَامُ عَنِ اسْتِيلَاءِ الْكُفَّارِ ؛ فَإِنْ تُرِكَ الْجِهَادُ ، لِذٰلِكَ الشَّرِّ الْقَلِيلِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَأْتِي الشَّرُّ الْكَثِيرُ ، بَعْدَ مَا يَذْهَبُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ ؛ فَذٰلِكَ عَيْنُ الظُّلْمِ . وَكَذَا أَنَّ قَطْعَ إِصْبَعٍ مَثَلاً أَصَابَهُ السَّرَطَانُ ؛ وَوَجَبَ قَطْعُهُ ، خَيْرٌ وَحَسَنٌ ؛ مَعَ أَنَّهُ شَرٌّ ظَاهِراً ؛ فَإِذَا لَمْ يُقْطَعِ الْإِصْبَعُ ؛ تُقْطَعُ الْيَدُ ؛ فَيَقَعُ شَرٌّ كَثِيرٌ . فَمَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنَ الشُّرُورِ وَالْأَضْرَارِ وَالْبَلَايَا وَالشَّيَاطِينِ وَالْمُضِرَّاتِ ، لَيْسَ خَلْقُهَا وَإِيجَادُهَا شَرّاً وَقَبِيحاً ؛ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ لِنَتَائِجَ مُهِمَّةٍ كَثِيرَةٍ . فَمَثَلاً : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَيْسَ لَهُمْ تَرَقِّيَاتٌ ؛ وَإِنَّ مَقَامَاتِهِمْ ثَابِتَةٌ لَا تَتَبَدَّلُ ؛ لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَمْ يُسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ ؛ وَكَذَا أَنَّ مَرَاتِبَ الْحَيَوَانَاتِ ثَابِتَةٌ وَنَاقِصَةٌ أَيْضاً ، حَيْثُ لَمْ يُسَلَّطِ الشَّيَاطِينُ عَلَيْهَا ؛ وَأَمَّا فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، فَلَا نِهَايَةَ لِمَرَاتِبِ التَّرَقِّيَاتِ وَالتَّدَنِّيَاتِ ؛ فَيُوجَدُ فِيهِ مَسَافَةُ تَرَقٍّ طَوِيلَةٌ جِدّاً ، مِنَ النَّمَارِدَةِ وَالْفَرَاعِنَةِ ، إِلَى الصِّدِّيقِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ .

فَلِتَمْيِيزِ الْأَرْوَاحِ السَّافِلَةِ الشَّبِيهَةِ بِالْفَحْمِ ، وَتَفْرِيقِهَا عَنِ الْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ الشَّبِيهَةِ بِالْأَلْمَاسِ ، فُتِحَ مَيْدَانُ امْتِحَانٍ وَتَجْرِبَةٍ وَجِهَادٍ وَمُسَابَقَةٍ ، بِخَلْقِ الشَّيَاطِينِ ، وَبِسِرِّ التَّكْلِيفِ وَبِعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ . فَلَوْلَا الْمُجَاهَدَةُ وَالْمُسَابَقَةُ ؛ لَبَقِيَتِ الِاسْتِعْدَادَاتُ الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ الْأَلْمَاسِ وَالْفَحْمِ ، فِي مَعْدِنِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، مُتَسَاوِيَةً ؛ وَلَبَقِيَ رُوحُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ الَّذِي هُوَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ ، فِي سَوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ رُوحِ أَبِي جَهْلٍ الَّذِي هُوَ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ . فَإِذاً إِنَّ

إِيجَادَ الشَّيَاطِينِ وَالشُّرُورِ ، لَيْسَ شَرّاً وَلاَ قَبِيحاً ؛ لِأَنَّ إِيجَادَهَا يَنْظُرُ إِلَى نَتَائِجَ كُلِّيَّةٍ كَبِيرَةٍ ؛ بَلْ إِنَّ الشُّرُورَ وَالْقَبَائِحَ النَّاشِئَةَ عَنْ سُوءِ الِاسْتِعْمَالاَتِ ، وَالْمُبَاشَرَةِ الْخَاصَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْكَسْبِ ، عَائِدَةٌ إِلَى كَسْبِ الْإِنْسَانِ ؛ وَلَيْسَتْ عَائِدَةً إِلَى الْإِيجَادِ الْإِلٰهِيِّ . .

فَإِنْ سَأَلْتُمْ : أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَصِيرُ كَافِراً ؛ وَيَسْلُكُ عَلَى الْكُفْرِ ؛ وَيَتَضَرَّرُ مِنْ وُجُودِ الشَّيَاطِينِ ، مَعَ بِعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ . فَإِذَا وَجَدَ الْأَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ شَرّاً ؛ يَصِيرُ حِينَئِذٍ خَلْقُ الشَّرِّ شَرّاً ، بِقَاعِدَةِ أَنَّ الْحُكْمَ لِلْأَكْثَرِ ؛ حَتّٰى يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ بِعْثَةَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَتْ رَحْمَةً . .

فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنَّ الْكَمِّيَّةَ لاَ أَهَمِّيَّةَ لَهَا ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَيْفِيَّةِ ؛ وَالْأَصْلُ الْأَكْثَرُ يَنْظُرُ إِلَى الْكَيْفِيَّةِ . فَمَثَلاً : إِذَا وُجِدَتْ مِئَةُ نَوَاةٍ مِنْ نَوَى النَّخِيلِ ، لَمْ تُوضَعْ تَحْتَ التُّرَابِ ؛ فَلَمْ تُسْقَ بِالْمَاءِ ؛ وَلَمْ تَجِدِ الْمُعَامَلَةَ الْكِيمَوِيَّةَ ؛ وَلَمْ تَصِرْ مَظْهَراً لِمُجَاهَدَةٍ حَيَوِيَّةٍ ؛ فَإِنَّهَا تَبْقَى مِئَةَ نَوَاةٍ بِقِيمَةِ مِئَةِ دِرْهَمٍ ؛ وَلٰكِنْ إِذَا سُقِيَتْ وَعُرِضَتْ لِلْمُجَاهَدَةِ الْحَيَوِيَّةِ ؛ فَفَسَدَتْ ثَمَانُونَ مِنْهَا ، مِنْ سُوءِ مِزَاجِهَا ؛ وَصَارَتْ عِشْرُونَ مِنْهَا نَخِيلاً مُثْمِراً ؛ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ السَّقْيَ صَارَ شَرّاً ؛ وَأَفْسَدَ أَكْثَرَهَا ؟ فَلاَ شَكَّ أَنَّكَ لاَ تَقُولُ كَذٰلِكَ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ النَّوَى الْعِشْرِينَ صَارَتْ بِمَثَابَةِ عِشْرِينَ أَلْفاً ؛ فَمَنْ فَقَدَ الثَّمَانِينَ ؛ وَفَازَ بِعِشْرِينَ أَلْفاً ؛ لاَ يَخْسَرُ ؛ وَلاَ يَكُونُ ذٰلِكَ شَرّاً . . وَكَذَا إِذَا وُجِدَتْ مِئَةُ بَيْضَةٍ مِنْ بَيْضِ الطَّاوُوسِ مَثَلاً ، تُسَاوِي خَمْسَمِئَةِ قِرْشٍ ، بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا بَيْضاً ؛ وَلٰكِنْ إِذَا حَضَنَتِ الطَّاوُوسَةُ عَلَى تِلْكَ الْبَيْضِ الْمِئَةِ ؛ فَفَسَدَتْ مِنْهَا ثَمَانُونَ ؛ وَأَصْبَحَتْ عِشْرُونَ مِنْهَا ، عِشْرِينَ طَاوُوساً ؛ فَهَلْ يُقَالُ : إِنَّ ذٰلِكَ صَارَ ضَرَراً كَبِيراً ؛ وَإِنَّ هٰذِهِ الْمُعَامَلَةَ صَارَتْ شَرّاً ؛ وَإِنَّ حَضَانَةَ الطَّاوُوسَةِ عَلَى الْبَيْضِ ، أَصْبَحَ قَبِيحاً وَشَرّاً ؟ . كَلاَّ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؛ بَلْ هُوَ خَيْرٌ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ أُمَّةَ ذٰلِكَ الطَّاوُوسِ ، وَطَائِفَةَ تِلْكَ الْبَيْضِ ، فَقَدَتَا ثَمَانِينَ بَيْضَةً فِي قِيمَةِ أَرْبَعِمِئَةِ قِرْشٍ ؛ وَقَدْ فَازَتَا بِعِشْرِينَ طَائِراً مِنَ الطَّاوُوسِ ؛ قِيمَتُهَا ثَمَانُونَ لِيرَةً . . فَنَوْعُ الْبَشَرِ فَقَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ قَبِيلِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُضِرَّةِ الْكَثِيرَةِ الْعَدَدِ ، وَالْعَدِيمَةِ الْقِيمَةِ ، إِزَاءَ شُمُوسِ عَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَأَقْمَارِهِ وَنُجُومِهِ ، مِثْلِ مِئَاتِ آلاَفِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَلاَيِينِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَمِلْيَارَاتِ الْأَصْفِيَاءِ ، الَّذِينَ فَازَ بِهِمْ بِبِعْثَةِ

الْأَنْبِيَاءِ ، وَبِسِرِّ التَّكْلِيفِ ، وَبِالْمُجَاهَدَةِ وَالْمُحَارَبَةِ مَعَ الشَّيَاطِينِ . .

وَسُؤَالُكُمُ الثَّالِثُ :

أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي الْمَصَائِبَ ؛ وَيُسَلِّطُ الْبَلَايَا ، لَاسِيَّمَا عَلَى الْمَعْصُومِينَ ، حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ ؛ أَلَيْسَ هٰذَا ظُلْماً ؟ .

وَالْجَوَابُ : حَاشَاهُ عَنْ ذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ الْمُلْكَ لَهُ ؛ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ . وَكَذَا أَنَّ صَانِعاً كَرِيماً يَجْعَلُكَ مِقْيَاساً ، مُقَابِلَ أَجْرٍ ؛ فَيُلْبِسُ عَلَيْكَ مَا صَنَعَهُ مِنْ لِبَاسٍ مُرَصَّعٍ ؛ فَيُقَصِّرُهُ وَيُطَوِّلُهُ وَيَقُصُّهُ وَيَقْطَعُهُ لِإِظْهَارِ أَثَرِهِ وَمَهَارَتِهِ ؛ فَيُقْعِدُكَ وَيُقِيمُكَ ؛ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ شَوَّهْتَ مَا زَيَّنَنِي مِنَ اللِّبَاسِ ؛ وَأَتْعَبْتَنِي بِالْإِقْعَادِ وَالْإِنْهَاضِ ؟ فَلَا شَكَّ أَنَّكَ لَا تَقُولُ ذٰلِكَ . وَإِنْ قُلْتَهُ فَعَلْتَ فِعْلَةَ جُنُونٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ الصَّانِعَ الْجَلِيلَ أَلْبَسَكَ وُجُوداً مُصَنَّعاً غَايَةَ الصُّنْعِ ، وَمُرَصَّعاً بِالْحَوَاسِّ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ ؛ فَيُمْرِضُكَ وَيُبْلِيكَ ؛ وَيُجِيعُكَ وَيُشْبِعُكَ وَيُظْمِئُكَ ؛ وَيُقَلِّبُكَ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْأَحْوَالِ ، لِإِظْهَارِ نُقُوشِ أَسْمَائِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ ؛ وَيُسَيِّرُكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْأَطْوَارِ ؛ لِيُقَوِّيَ مَاهِيَّةَ الْحَيَاةِ ؛ وَيُظْهِرَ جَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ . فَإِنْ قُلْتَ : لِمَاذَا تُبْلِينِي بِهٰذِهِ الْمَصَائِبِ ؛ أَفْحَمَكَ مِئَاتُ الْحِكَمِ ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي التَّمْثِيلِ ؛ عَلَى أَنَّ السُّكُونَ وَالسُّكُونَةَ وَالْعَطَالَةَ وَالتَّنَاسُقَ وَالتَّوَقُّفَ ، نَوْعٌ مِنَ الْعَدَمِ وَالضَّرَرِ ؛ وَأَنَّ الْحَرَكَةَ وَالتَّبَدُّلَ ، وُجُودٌ وَخَيْرٌ ؛ وَأَنَّ الْحَيَاةَ تَتَكَامَلُ بِالْحَرَكَاتِ ؛ وَتَتَرَقَّى بِوَاسِطَةِ الْبَلِيَّاتِ ؛ وَتَتَبَدَّلُ فِي مُخْتَلَفِ الْحَرَكَاتِ بِجَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ ؛ فَتَتَصَفَّى وَتَتَقَوَّى وَتَنْكَشِفُ وَتَنْبَسِطُ وَتَصِيرُ قَلَماً مُتَحَرِّكاً لِكِتَابَةِ مُقَدَّرَاتِهَا ؛ وَتُؤَدِّي وَظِيفَتَهَا ؛ فَتَسْتَحِقُّ الْأَجْرَ الْأُخْرَوِيَّ . فَهٰذَا الْقَدَرُ ، هُوَ الْجَوَابُ الْمُخْتَصَرُ ، لِأَسْئِلَتِكُمُ الثَّلَاثَةِ فِي نِقَاشِكُمْ ؛ وَإِيضَاحُهَا فِي الْمَقَالَاتِ الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ . .

أَخِي الْعَزِيزَ ! اِقْرَأْ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، لِلصَّيْدَلِيِّ وَلِمَنْ تَرَاهُمْ مُنَاسِبِينَ ، مِمَّنْ سَمِعُوا النِّقَاشَ ؛ وَسَلِّمْ عَنْ طَرَفِي ، عَلَى الصَّيْدَلِيِّ الَّذِي هُوَ تِلْمِيذِيَ الْجَدِيدُ ؛ وَقُلْ لَهُ : إِنَّ مُبَاحَثَةَ

الْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ الدَّقِيقَةِ كَالْمَسَائِلِ الْمَذْكُورَةِ ، بَيْنَ الْجَمَاعَةِ ، بِصُورَةِ الْجِدَالِ بِلَا مِيزَانٍ ، غَيْرُ جَائِزَةٍ ؛ وَإِنَّهَا تَصِيرُ سُمّاً ؛ وَهِيَ تِرْيَاقٌ ؛ لِكَوْنِهَا جِدَالاً بِلَا مِيزَانٍ ؛ فَتَضُرُّ بِالْمُتَكَلِّمِينَ وَالسَّامِعِينَ ؛ بَلْ إِنَّمَا يَجُوزُ بَحْثُ مِثْلِ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ ، بِالْإِنْصَافِ وَاعْتِدَالِ الدَّمِ ، وَبِصُورَةِ تَدَاوُلِ الْأَفْكَارِ ؛ وَقُلْ لَهُ : إِنْ وَرَدَتِ الشُّبُهَاتُ عَلٰى قَلْبِكَ ، فِي مِثْلِ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْمَسَائِلِ ؛ وَلَمْ تَجِدْ جَوَابَهَا فِي الْمَقَالَاتِ ؛ فَاكْتُبْ لِي خَاصَّةً ؛ وَقُلْ لِلصَّيْدَلِيِّ أَيْضاً : إِنَّهُ خَطَرَ بِبَالِي ، لِلرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا فِي حَقِّ وَالِدِهِ ، مَعْنًى هٰكَذَا ؛ وَهُوَ : أَنَّ وَالِدَهُ الْمَرْحُومَ أَفَادَ كَثِيرِينَ مِنَ الصُّلَحَاءِ بَلِ الْأَوْلِيَاءِ ، لِكَوْنِهِ طَبِيباً ؛ فَتَرَاءَتْ أَرْوَاحُ أُولٰئِكَ الصُّلَحَاءِ الَّذِينَ انْتَفَعُوا مِنْهُ ؛ وَرَضُوا عَنْهُ ، لِابْنِهِ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ أَقَارِبِهِ ، بِصُورَةِ الطُّيُورِ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ ؛ وَإِنَّهُمُ اسْتَقْبَلُوهُ مِنْ قَبِيلِ تَرْحِيبٍ بِهِ شَفَاعَةً لِرُوحِهِ . وَأُسَلِّمُ وَأَدْعُو لِجَمِيعِ الْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا هُنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

اَلسَّلَامُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى ؛ وَالْمَلَامُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهَوٰى . .

إِخْوَانِيَ الْأَعِزَّاءَ ! إِنَّكُمْ تَسْأَلُونَ كَثِيراً عَنْ حَالِي وَرَاحَتِي ، وَعَنْ عَدَمِ طَلَبِيَ الْوَثِيقَةَ عَنِ الْحُكُومَةِ ، وَعَدَمِ مُبَالَاتِي بِسِيَاسَةِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ . وَإِنَّ أَسْئِلَتَكُمْ هٰذِهِ تَكَرَّرَتْ كَثِيراً ؛ وَتُسْأَلُ عَنِّي مَعْنًى أَيْضاً . فَلِذٰلِكَ اضْطُرِرْتُ لِلْإِجَابَةِ عَلٰى هٰذِهِ الْأَسْئِلَةِ الثَّلَاثَةِ ، لَا بِلِسَانِ سَعِيدٍ الْجَدِيدِ ، بَلْ بِلِسَانِ سَعِيدٍ الْقَدِيمِ . .

﴿فَسُؤَالُكُمُ الْأَوَّلُ :﴾ كَيْفَ رَاحَتُكَ ؟ وَمَا هِيَ حَالُكَ ؟ .

فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنِّي أَشْكُرُ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، مِئَاتِ آلَافِ شُكْرٍ ؛ حَيْثُ حَوَّلَ أَنْوَاعَ الظُّلْمِ الَّذِي فَعَلَ بِي أَهْلُ الدُّنْيَا ، إِلٰى أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ . .

وَذٰلِكَ أَنِّي تَرَكْتُ السِّيَاسَةَ ؛ وَتَجَرَّدْتُ عَنِ الدُّنْيَا ؛ وَكُنْتُ مُتَفَكِّراً فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ ، بِغَارِ جَبَلٍ ؛ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْهُ أَهْلُ الدُّنْيَا ؛ وَنَفَوْنِي ظُلْماً ؛ فَحَوَّلَ الْخَالِقُ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ ، ذٰلِكَ النَّفْيَ ، إِلٰى رَحْمَةٍ بِي ؛ وَحَوَّلَ الْعُزْلَةَ فِي ذٰلِكَ الْجَبَلِ غَيْرِ الْمَأْمُونِ ، وَالْمُعَرَّضِ لِأَسْبَابٍ مُبْطِلَةٍ لِلْإِخْلَاصِ ، إِلَى الْخَلْوَةِ فِي جِبَالِ «بَارْلَا» ، الْأَمِينَةِ الْمُخْلِصَةِ . وَقَدْ نَوَيْتُ إِذْ كُنْتُ فِي الْأَسْرِ بِرُوسِيَّا ، وَتَضَرَّعْتُ إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى : أَنْ أَتَخَلّٰى إِلٰى غَارٍ ، فِي آخِرِ عُمُرِي ؛ فَجَعَلَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ «بَارْلَا» ، لِي ذٰلِكَ الْغَارَ ؛ وَأَعْطٰى فَوَائِدَ الْغَارِ ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يَحْمِلْ عَلٰى

وُجُودِيَ الضَّعِيفِ ، مَشَقَّةَ الْغَارِ الْمُضَايِقِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَشْخَاصِ بِـ«بَارْلَا» ، تَوَهُّمٌ ؛ فَأُوذِيتُ بِذٰلِكَ التَّوَهُّمِ ؛ حَتّٰى إِنَّ أَصْدِقَائِي أُولٰئِكَ ؛ كَأَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ فِي رَاحَتِي ؛ مَعَ أَنَّهُمْ أَضَرُّوا بِقَلْبِي وَبِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، بِذٰلِكَ التَّوَهُّمِ . .

وَأَيْضاً أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا أَعْطَوْا كُلَّ الْمَنْفِيِّينَ وَثَائِقَ ؛ وَعَفَوْا عَنِ الْمُجْرِمِينَ ؛ فَأَخْرَجُوهُمْ عَنِ السِّجْنِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُعْطُونِيَ الْوَثِيقَةَ ظُلْماً بِي ؛ فَتَرَكَنِي رَبِّيَ الرَّحِيمُ ، فِي هٰذِهِ الْغُرْبَةِ ، بِصُورَةٍ صَافِيَةٍ ، لِزِيَادَةِ اسْتِخْدَامِي فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، وَإِكْثَارِ تَأْلِيفِ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ **بِالْمَقَالَاتِ** ؛ فَحَوَّلَ ذٰلِكَ ، إِلٰى رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ . .

وَأَيْضاً أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا تَرَكُوا فِي الْأَقْضِيَةِ وَالْمُدُنِ ، جَمِيعَ الْمَشَايِخِ وَالرُّؤَسَاءِ الْأَقْوِيَاءِ ذَوِي النُّفُوذِ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ التَّدَخُّلَ فِي دُنْيَاهُمْ ؛ وَأَذِنُوا لَهُمْ الاتِّصَالَ بِأَقَارِبِهِمْ وَبِكُلِّ أَحَدٍ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ جَرَّدُونِي وَبَعَثُونِي إِلٰى قَرْيَةٍ ؛ وَلَمْ يَأْذَنُوا لِأَقْرِبَائِي وَأَصْدِقَائِي سِوٰى وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ ، أَنْ يَأْتُوا إِلَيَّ ؛ فَحَوَّلَ خَالِقِيَ الرَّحِيمُ ، ذٰلِكَ التَّجْرِيدَ ، إِلٰى رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ ، فِي حَقِّي ؛ وَتَرَكَ ذِهْنِي صَافِياً وَمُطْلَقاً عَنِ الْغِلِّ وَالْغِشِّ ؛ فَجَعَلَ ذٰلِكَ وَسِيلَةً لِقَبُولِ فَيْضِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ كَمَا كَانَ . .

وَكَذَا أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا اسْتَكْثَرُوا فِي الْبِدَايَةِ كِتَابَتِي لِرِسَالَتَيْنِ عَادِيَّتَيْنِ خِلَالَ سَنَتَيْنِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيبُوا الْآنَ مَجِيءَ ضَيْفٍ أَوْ ضَيْفَيْنِ إِلَيَّ ، لِمُجَرَّدِ الْآخِرَةِ ، فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ أَوْ عِشْرِينَ يَوْماً ، أَوْ فِي شَهْرٍ ؛ فَظَلَمُونِي ؛ فَحَوَّلَ رَبِّيَ الرَّحِيمُ ، وَخَالِقِيَ الْحَكِيمُ ، ذٰلِكَ الظُّلْمَ ، إِلٰى رَحْمَةٍ بِي ؛ حَيْثُ حَوَّلَ ذٰلِكَ إِلٰى إِقَامَتِي فِي خَلْوَةٍ مَرْغُوبَةٍ ، وَعُزْلَةٍ مَقْبُولَةٍ ، فِي هٰذِهِ الْأَهِلَّةِ الثَّلَاثَةِ . فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ . فَهٰذَا هُوَ حَالِي وَرَاحَتِي . .

﴿ وَسُؤَالُكُمُ الثَّانِي : ﴾ لِمَاذَا لَا تُطَالِبُ الْحُكُومَةَ ، لِلْحُصُولِ عَلَى الْوَثِيقَةِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّنِي فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، مَحْكُومٌ لِلْقَدَرِ ؛ وَلَسْتُ مَحْكُوماً لِأَهْلِ الدُّنْيَا ؛ فَأُرَاجِعُ الْقَدَرَ . فَمَتٰى أَذِنَ ؛ وَقَطَعَ رِزْقِي مِنْ هُنَا ؛ أَذْهَبُ حِينَئِذٍ . .

وَحَقِيقَةُ هٰذَا الْمَعْنَى ، هِيَ : أَنَّ فِي كُلِّ مُصِيبَةٍ سَبَبَيْنِ : أَحَدُهُمَا ظَاهِرِيٌّ ؛ وَالْآخَرُ حَقِيقِيٌّ. فَأَهْلُ الدُّنْيَا صَارَ سَبَباً ظَاهِرِيّاً ؛ فَأَتَى بِي إِلَى هٰهُنَا ؛ وَأَمَّا الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ ، فَهُوَ السَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ ؛ فَحَكَمَ عَلَيَّ بِهٰذِهِ الْعُزْلَةِ . فَظَلَمَ السَّبَبُ الظَّاهِرِيُّ ؛ وَعَدَلَ السَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ. فَالظَّاهِرِيُّ مِنْهُمَا تَفَكَّرَ هٰكَذَا ؛ وَهُوَ أَنَّ هٰذَا الرَّجُلَ يَخْدُمُ الْعِلْمَ وَالدِّينَ كَثِيراً ؛ فَلَعَلَّهُ يَضُرُّ بِدُنْيَانَا ؛ فَنَفَانِي بِهٰذَا الِاحْتِمَالِ ؛ وَظَلَمَنِي ظُلْماً مُضَاعَفاً ، بِثَلَاثِ جِهَاتٍ ؛ وَأَمَّا الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ فَقَدْ رَأَى أَنِّي لَا أَخْدُمُ الْعِلْمَ وَالدِّينَ ، بِحَقِّهِمَا وَبِإِخْلَاصٍ ؛ فَحَكَمَ عَلَيَّ بِهٰذَا النَّفْيِ ؛ وَحَوَّلَ ظُلْمَهُمُ الْمُضَاعَفَ هٰذَا ، إِلَى رَحْمَةٍ مُضَاعَفَةٍ . فَإِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَاكِماً فِي نَفْيِي ؛ وَهُوَ عَادِلٌ ؛ فَإِنِّي أُرَاجِعُهُ . وَالسَّبَبُ الظَّاهِرِيُّ لَهُمْ ، بَعْضُ أُمُورٍ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَائِلِ . فَإِذاً إِنَّ الرُّجُوعَ إِلَيْهِمْ لَا مَعْنَى لَهُ . فَلَوْ كَانَ بِأَيْدِيهِمْ حَقٌّ أَوْ أَسْبَابٌ قَوِيَّةٌ ؛ لَرُوجِعَ إِلَيْهِمْ ؛ فَقَدْ تَرَكْتُ دُنْيَاهُمْ تَمَاماً – تَبّاً لَهَا – وَتَرَكْتُ سِيَاسَتَهُمْ كُلِّيّاً – تَعْساً لَهَا – مَعَ أَنَّ مَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنَ الْوَسَائِلِ وَالْأَوْهَامِ ، لَا أَصْلَ لَهَا قَطْعاً . فَلِذٰلِكَ لَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ تِلْكَ الْأَوْهَامَ ، حَقِيقَةً ، بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ ؛ فَلَوْ كَانَ لِي رَغْبَةٌ فِي الِاخْتِلَاطِ بِسِيَاسَةِ الدُّنْيَا الَّتِي رُؤُوسُهَا بِأَيْدِي الْأَجَانِبِ ؛ لَمَا بَقِيَ ثَمَانِي سِنِينَ ، وَلَا ثَمَانِي سَاعَاتٍ ، إِلَّا وَرَشَحَ وَأَظْهَرَ نَفْسَهُ ؛ مَعَ أَنَّهُ صَارَ ثَمَانِيَ سَنَوَاتٍ ؛ لَمْ يَكُنْ لِي تَشَهِّي قِرَاءَةِ جَرِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَلَمْ أَقْرَأْهَا ؛ وَصَارَ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ ؛ وَأَنَا تَحْتَ الْمُرَاقَبَةِ ؛ فَلَمْ يُرَ رَشْحَةٌ مِنْ ذٰلِكَ أَصْلاً . فَإِذاً إِنَّ لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، عُلُوّاً فَوْقَ جَمِيعِ السِّيَاسَاتِ ؛ فَلَا تَفْسَحُ الْمَجَالَ لِلتَّنَزُّلِ إِلَى سِيَاسَةِ الدُّنْيَا الَّتِي أَكْثَرُهَا عِبَارَةٌ عَنِ الْكَذِبِ . .

وَالسَّبَبُ الثَّانِي لِعَدَمِ مُرَاجَعَتِي لِلْحُكُومَةِ : هُوَ أَنَّ ادِّعَاءَ الْحَقِّ إِزَاءَ مَنْ يَظُنُّونَ الْحَقَّ بَاطِلاً ، نَوْعٌ مِنَ الْبَاطِلِ ؛ فَلَا أُرِيدُ ارْتِكَابَ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْبَاطِلِ . .

﴿ وَسُؤَالُكُمُ الثَّالِثُ : ﴾ لِمَاذَا لَا تُبَالِي بِسِيَاسَةِ الدُّنْيَا ، بِهٰذَا الْقَدَرِ ؟ وَلَا تُغَيِّرُ طَوْرَكَ أَصْلاً ، إِزَاءَ هٰذَا الْمِقْدَارِ مِنْ صَفَحَاتِ الْعَالَمِ ؟ . فَهَلْ تَسْتَحْسِنُ هٰذِهِ الصَّفَحَاتِ ؛ أَمْ تَخَافُ ؛ فَتَسْكُتُ ؟ .

وَالْجَوَابُ : أَنَّ خِدْمَةَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، مَنَعَتْنِي بِصُورَةٍ شَدِيدَةٍ ، عَنْ عَالَمِ السِّيَاسَةِ ؛ حَتّٰى أَنْسَتْنِي تَصَوُّرَهُ ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ جَمِيعَ مَا مَضٰى مِنْ حَيَاتِي ، شَاهِدٌ عَلٰى أَنَّ الْخَوْفَ لَمْ يُمْسِكْ بِيَدِي ؛ فَلَمْ يَمْنَعْنِي ؛ وَلَنْ يَمْنَعَنِي عَنِ السُّلُوكِ فِي مَسْلَكٍ رَأَيْتُهُ حَقّاً . وَأَيْضاً مِمَّ يَكُونُ خَوْفِي ؟ فَإِنَّهُ لَا صِلَةَ لِي بِالدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ أَجَلِي ؛ وَلَيْسَ لِي أَهْلٌ وَعِيَالٌ أَتَفَكَّرُهَا ؛ وَلَا أَمْوَالٌ أَتَصَوَّرُهَا ؛ وَلَا عِزَّةُ أُسْرَةٍ أُلَاحِظُهَا . وَالرَّحْمَةُ عَلٰى مَنْ يُعِينُ عَلٰى نَقْضِ شَأْنٍ وَشَرَفٍ دُنْيَوِيٍّ عِبَارَةٍ عَنْ شُهْرَةٍ كَاذِبَةٍ مُرَائِيَةٍ ، لَا عَلٰى حِفْظِهِ . فَبَقِيَ أَجَلِي ؛ وَهُوَ بِيَدِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ . فَمَنْ لَهُ حَدٌّ أَنْ يَمَسَّهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ وَقْتُهُ ؟ عَلٰى أَنَّنَا مِمَّنْ يُرَجِّحُونَ الْمَوْتَ بِالْعِزَّةِ ، عَلَى الْحَيَاةِ بِالذِّلَّةِ . وَقَالَ أَحَدُهُمْ «كَالسَّعِيدِ الْقَدِيمِ» : (وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا تَوَسُّطَ بَيْنَنَا ۞ لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ ، أَوِ الْقَبْرُ) ؛ بَلْ إِنَّ خِدْمَةَ الْقُرْآنِ تَمْنَعُنِي عَنْ تَصَوُّرِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ الْحَيَاةَ الْبَشَرِيَّةَ سَفَرٌ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِنُورِ الْقُرْآنِ : أَنَّ ذٰلِكَ الطَّرِيقَ قَدْ غَارَ فِي وَحَلٍ ؛ وَأَنَّ قَافِلَةَ الْبَشَرِ تَسِيرُ سَاقِطَةً وَقَائِمَةً ، فِي طِينٍ مُلَوَّثٍ مُتَعَفِّنٍ ؛ وَأَنَّ بَعْضَهَا يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ سَلِيمٍ ؛ وَبَعْضَهَا وَجَدَ بَعْضَ وَسَائِطَ لِلنَّجَاةِ عَنِ الطِّينِ وَالْوَحَلِ ، بِقَدَرِ الْإِمْكَانِ ؛ وَأَنَّ الْقِسْمَ الْأَكْثَرَ مِنْهَا يَسِيرُ فِي الظَّلَامِ ، فِي ذٰلِكَ الْوَحَلِ الْعَفِنِ الْخَبِيثِ . فَعِشْرُونَ فِي الْمِئَةِ مِنْهُ ، يُلَطِّخُ وَجْهَهُ وَبَصَرَهُ بِذٰلِكَ الطِّينِ الْقَذِرِ ، ظَانّاً أَنَّهُ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ ، بِسَبَبِ السُّكْرِ ؛ فَيَسِيرُ سَاقِطاً وَقَائِماً ؛ حَتّٰى يَغْرَقَ فِيهِ . وَأَمَّا الثَّمَانُونَ فِي الْمِئَةِ ، فَإِنَّهُمْ يَفْهَمُونَ الْوَحَلَ ؛ وَيُحِسُّونَ أَنَّهُ نَجِسٌ عَفِنٌ ؛ وَلٰكِنَّهُمْ حَيَارٰى ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجِدُوا السَّبِيلَ السَّلِيمَ . وَتُوجَدُ إِزَاءَ هٰؤُلَاءِ وَسِيلَتَانِ :

إِحْدَاهُمَا : إِيقَاظُ أُولٰئِكَ الْعِشْرِينَ السُّكَارٰى ، بِالْهِرَاوَةِ . .

وَثَانِيَتُهُمَا : إِرَاءَةُ طَرِيقِ السَّلَامَةِ ، لِلْحَيَارٰى ، بِإِظْهَارِ نُورٍ . . وَإِنِّي أَرٰى أَنَّ ثَمَانِينَ يُمْسِكُونَ بِأَيْدِيهِمُ الْهِرَاوَةَ ، إِزَاءَ الْعِشْرِينَ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يُظْهَرُ النُّورُ بِحَقٍّ ، لِأُولٰئِكَ الثَّمَانِينَ الْبَائِسِينَ الْحَيَارٰى ؛ وَإِنْ أُظْهِرَ ؛ فَقَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَأْمُونٍ ؛ لِأَنَّ بِإِحْدٰى يَدَيْهِ ، الْهِرَاوَةَ وَالنُّورَ مَعاً ؛ فَيَخَافُ الْمُتَحَيِّرُ أَنَّهُ هَلْ يُرِيدُ أَنْ يَجْذِبَنِي بِالنُّورِ ؛ فَيَضْرِبَنِي

بِالْهِرَاوَةِ. وَكذَا أَنَّ الْهِرَاوَةَ قَدْ تَنْكَسِرُ بِبَعْضِ الْعَوَارِضِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَطِيرُ النُّورُ أَيْضاً ؛ أَوْ يَنْطَفِئُ..

هٰذَا فَأَمَّا ذٰلِكَ الْوَحلُ : فَهُوَ الْحَيَاةُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ الْبَشَرِيَّةُ السَّفِيهَةُ الْغَافِلَةُ الضَّالَّةُ ؛ وَأُولاَئِكَ السُّكَارٰى، هُمُ الْمُتَمَرِّدُونَ الْمُتَمَتِّعُونَ بِالضَّلاَلَةِ ؛ وَأُولاَئِكَ الْحَيَارٰى، هُمُ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الضَّلاَلَةَ ؛ وَلٰكِنْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ عَنْهَا ؛ وَيُرِيدُونَ النَّجَاةَ ؛ فَلاَ يَجِدُونَ السَّبِيلَ ؛ وَأَمَّا تِلْكَ الْهِرَاوَاتُ، فَهِيَ التَّيَّارَاتُ السِّيَاسِيَّةُ ؛ وَأَمَّا تِلْكَ الْأَنْوَارُ، فَهِيَ الْحَقَائِقُ الْقُرْآنِيَّةُ. فَالنُّورُ لاَ يُحَارَبُ وَلاَ يُعَادٰى ؛ وَلاَ يَكْرَهُهُ سِوَى الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَطْ ؛ فَلِذٰلِكَ أَلْقَيْتُ هِرَاوَةَ السِّيَاسَةِ، قَائِلاً : «أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالسِّيَاسَةِ» ؛ لِأُحَافِظَ عَلٰى نُورِ الْقُرْآنِ ؛ فَعَانَقْتُ النُّورَ بِيَدَيَّ ؛ وَرَأَيْتُ أَنَّ فِي تَيَّارَاتِ السِّيَاسَةِ، يُوجَدُ الْعُشَّاقُ لِتِلْكَ الْأَنْوَارِ، فِي الْمُوَافِقِينَ وَفِي الْمُعَارِضِينَ ؛ فَلاَ بُدَّ أَنْ لاَ يَتَّهِمَ جِهَةٌ ؛ وَلاَ يَتَجَنَّبَ فِئَةٌ، عَنْ دُرُوسٍ وَأَنْوَارٍ قُرْآنِيَّةٍ تَفُوقُ جَمِيعَ التَّحَزُّبَاتِ وَالتَّيَّارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ كَثِيراً ؛ وَتُلْقٰى وَتُعْلَنَ فِي مَقَامٍ صَافٍ بَرِيءٍ عَنْ أَغْرَاضِ أَفْكَارِهِمْ ؛ إِلّا أَنْ تَكُونَ حَيَوَانَاتٍ بِزِيِّ الْبَشَرِ، أَوْ شَيَاطِينَ عَلٰى صُورَةِ الْإِنْسَانِ ؛ يَظُنُّونَ الْإِلْحَادَ وَالزَّنْدَقَةَ سِيَاسَةً ؛ فَيَلْتَزِمُونَهَا..

فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ أَنَّنِي، بِسَبَبِ التَّجَرُّدِ عَنِ السِّيَاسَةِ، لَمْ أُنَزِّلْ قِيمَةَ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ الشَّبِيهَةِ بِالْأَلْمَاسِ، إِلٰى دَرَجَةِ قِيمَةِ الزُّجَاجِ، تَحْتَ اتِّهَامِ دِعَايَةِ السِّيَاسَةِ ؛ بَلْ إِنَّ تِلْكَ الْأَلْمَاسَاتِ تَزِيدُ قِيمَتُهَا، آناً فَآناً، فِي نَظَرِ كُلِّ طَائِفَةٍ، بِوَجْهٍ مُشْرِقٍ..

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾..

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي..

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ، (رضي الله عنه)..

اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ

لَمْ يُؤَلَّفْ بَعْدُ . .

اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسَ عَشَرَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ..﴾

أَخِي الْعَزِيزَ ! إِنَّ سُؤَالَكَ الْأَوَّلَ : هُوَ أَنَّهُ لِمَاذَا لَمْ يَكْتَشِفِ الصَّحَابَةُ (رضي الله عنهم) بِنَظَرِ الْوِلَايَةِ ، الْمُفْسِدِينَ ؟ حَتّٰى أَنْتَجَ ذٰلِكَ ، شَهَادَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الثَّلَاثَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ صِغَارَ الصَّحَابَةِ ، أَعْظَمُ مِنْ كِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ ..

فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنَّ فِي هٰذَا ، مَقَامَيْنِ :

اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ :

أَنَّ السُّؤَالَ يُحَلُّ بِبَيَانِ سِرٍّ دَقِيقٍ مِنْ أَسْرَارِ الْوِلَايَةِ . وَذٰلِكَ : أَنَّ وِلَايَةَ الصَّحَابَةِ ، وِلَايَةٌ تَرِدُ عَنْ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، الْمُسَمَّاةِ بِالْوِلَايَةِ الْكُبْرٰى ؛ وَلَا تَمُرُّ بِبَرْزَخِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَتَمْضِي مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْحَقِيقَةِ مُبَاشَرَةً ؛ وَتَنْظُرُ إِلَى انْكِشَافِ الْأَقْرَبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ . وَطَرِيقُ تِلْكَ الْوِلَايَةِ رَفِيعٌ لِلْغَايَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ قَصِيرٌ جِدّاً ؛ وَخَوَارِقُهَا قَلِيلَةٌ ؛ وَلٰكِنَّ مَزَايَاهَا كَثِيرَةٌ ؛ وَقَلَّمَا يُشَاهَدُ الْكَشْفُ وَالْكَرَامَاتُ هُنَاكَ . وَأَيْضاً أَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، أَكْثَرُهَا لَيْسَ اخْتِيَارِيّاً ؛ فَقَدْ يَظْهَرُ مِنْهُ خَارِقَةٌ ، إِكْرَاماً إِلٰهِيّاً لَهُ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ وَأَكْثَرُ هٰذَا الْكَشْفِ وَالْكَرَامَاتِ يَظْهَرُ فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ ، حِينَمَا يَمُرُّونَ عَنْ بَرْزَخِ الطَّرِيقَةِ ؛ فَيَتَجَرَّدُونَ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ الْعَادِيَّةِ نَوْعاً مَّا . فَلِذٰلِكَ يَصِيرُونَ مَظْهَراً لِحَالَاتٍ مُخَالِفَةٍ لِلْعَادَةِ . وَأَمَّا

الصَّحابَةُ فَلَيْسُوا مُضْطَرِّينَ إِلٰى طَيِّ الدَّائِرَةِ الْعَظِيمَةِ ، مِنَ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ فِي الطَّرِيقَةِ ؛ وَذٰلِكَ بِانْعِكَاسِ صُحْبَةِ النُّبُوَّةِ ، وَانْجِذَابِهَا وَإِكْسِيرِهَا ؛ فَيَمُرُّونَ مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، فِي قَدَمٍ وَفِي صُحْبَةٍ وَاحِدَةٍ. فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ لِلْوُصُولِ إِلٰى لَيْلَةِ الْقَدْرِ الْبَارِحَةِ ، طَرِيقَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : هُوَ أَنْ يَسِيرَ وَيَطُوفَ سَنَةً ، إِلٰى أَنْ يَأْتِيَ إِلٰى تِلْكَ اللَّيْلَةِ. وَيَلْزَمُ لِتَحْصِيلِ هٰذِهِ الْقُرْبِيَّةِ ، طَيُّ مَسَافَةِ سَنَةٍ. وَهٰذَا هُوَ مَسْلَكُ أَهْلِ السُّلُوكِ. فَيَسْلُكُ أَكْثَرُ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ بِهٰذَا الطَّرِيقِ . .

اَلثَّانِي : هُوَ أَنْ يَتَجَرَّدَ عَنْ غِلافِ الْجِسْمِ الْمَادِّيِّ الْمُقَيَّدِ بِالزَّمَانِ ؛ فَيَرْتَقِيَ رُوحاً ؛ وَيَرٰى لَيْلَةَ الْقَدْرِ الْبَارِحَةَ ، مَعَ لَيْلَةِ الْعِيدِ الْآتِيَةِ ، حَاضِرَتَيْنِ كَهٰذَا الْيَوْمِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الرُّوحَ لَيْسَ مُقَيَّداً بِالزَّمَانِ. فَإِذَا رَقِيَتِ الْحِسِّيَّاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ ، إِلٰى دَرَجَةِ الرُّوحِ ؛ يَتَوَسَّعُ ذٰلِكَ الزَّمَانُ الْحَاضِرُ ؛ فَتَصِيرُ الْأَزْمِنَةُ الْمَاضِيَةُ وَالْمُسْتَقْبَلَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِينَ ، فِي حُكْمِ الْحَاضِرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. فَالطَّرِيقُ لِلْوُصُولِ إِلٰى لَيْلَةِ الْقَدْرِ الْبَارِحَةِ ، حَسَبَ هٰذَا التَّمْثِيلِ ، هُوَ أَنْ يَرْقٰى إِلٰى مَرْتَبَةِ الرُّوحِ ؛ فَيَرَى الْمَاضِيَ فِي دَرَجَةِ الْحَاضِرِ. وَأَسَاسُ هٰذَا السِّرِّ الْغَامِضِ : هُوَ انْكِشَافُ الْأَقْرَبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ. فَمَثَلاً : أَنَّ الشَّمْسَ قَرِيبَةٌ مِنَّا ؛ لِأَنَّ ضِيَاءَهَا وَحَرَارَتَهَا وَمِثَالَهَا ، فِي مِرْآتِنَا وَبِأَيْدِينَا ؛ وَلٰكِنَّنَا بَعِيدُونَ عَنْهَا. فَإِنْ أَحْسَسْنَا أَقْرَبِيَّتَهَا فِي جِهَةِ النُّورَانِيَّةِ ؛ وَفَهِمْنَا مُنَاسَبَتَنَا بِتِمْثَالِهَا الْمِثَالِيِّ فِي مِرْآتِنَا ؛ وَعَرَفْنَاهَا بِتِلْكَ الْوَاسِطَةِ ؛ وَعَلِمْنَا مَا هِيَ ضِيَاؤُهَا وَحَرَارَتُهَا وَهَيْئَتُهَا ؛ يَنْكَشِفُ لَنَا أَقْرَبِيَّتُهَا ؛ وَنَعْرِفُهَا وَنَتَنَاسَبُ مَعَهَا فِي قُرْبِنَا . . وَإِنْ أَرَدْنَا مَعْرِفَتَهَا وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهَا ، مِنْ نُقْطَةِ بُعْدِيَّتِنَا ؛ نُضْطَرُّ إِلَى السَّيْرِ الْفِكْرِيِّ ، وَالسُّلُوكِ الْعَقْلِيِّ كَثِيراً ؛ فَنَطْلَعُ فِكْراً إِلَى السَّمَاوَاتِ ؛ وَنَتَصَوَّرُ مَا فِي السَّمَاءِ مِنَ الشَّمْسِ ، بِالْقَوَانِينِ الْفَنِّيَّةِ ؛ ثُمَّ نَفْهَمُ مَا فِي مَاهِيَّتِهَا مِنَ الضِّيَاءِ وَالْحَرَارَةِ ، وَمَا فِي الضِّيَاءِ مِنَ الْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ ، بِالتَّدْقِيقَاتِ الْفَنِّيَّةِ الْبَعِيدَةِ الْمَدٰى. فَبَعْدَ ذٰلِكَ يُمْكِنُنَا أَنْ نُحَصِّلَ قُرْبِيَّةً مَعْنَوِيَّةً كَانَ الشَّخْصُ الْأَوَّلُ يُحَصِّلُهَا بِتَفَكُّرٍ قَلِيلٍ فِي مِرْآتِهِ. فَالنُّبُوَّةُ وَمَا فِي وَرَاثَتِهَا مِنَ الْوَلَايَةِ ، تَنْظُرَانِ إِلَى انْكِشَافِ سِرِّ الْأَقْرَبِيَّةِ ، كَهٰذَا التَّمْثِيلِ ؛ وَأَمَّا سَائِرُ الْوَلَايَاتِ فَيَسْلُكُ أَكْثَرُهَا عَلٰى أَسَاسِ الْقُرْبِيَّةِ ؛ فَيُضْطَرُّ إِلَى السَّيْرِ

وَالسُّلُوكِ فِي مَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ . .

اَلْمَقَامُ الثَّانِي :

أَنَّهُ قِيلَ : إِنَّ الْمُسَبِّبَ لِتِلْكَ الْأَحْدَاثِ ، وَالْمُدَبِّرَ لِذٰلِكَ الْفَسَادِ ، لَيْسَ عِبَارَةً عَنْ بَعْضِ الْيَهُودِ فَقَطْ ؛ حَتّٰى يُسَدَّ أَمَامَ الْفَسَادِ ، بِكَشْفِهِمْ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ تَيَّارَاتٍ وَأَفْكَاراً كَثِيرَةً مُتَخَالِفَةً وَمُتَضَادَّةً ، اخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، بِدُخُولِ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فِي الْإِسْلَامِ ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانُوا يَتَرَبَّصُونَ الْفُرْصَةَ لِلانْتِقَامِ ، حَسَبَ سَجِيَّتِهِمْ ؛ لِأَنَّ غُرُورَهُمُ الْقَوْمِيَّ جُرِحَ جُرْحاً هَائِلاً ، بِضَرَبَاتِ سَيِّدِنَا عُمَرَ (رضي الله عنه) ؛ إِذْ أُبْطِلَ دِينُهُمُ الْقَدِيمُ ؛ وَهُدِّمَتْ سَلْطَنَتُهُمْ وَحُكُومَتُهُمُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ مَدَارَ شَرَفِهِمْ ؛ فَاتَّخَذُوا بِمُقْتَضَى الْحِسِّ ، صُورَةً مُوَالِيَةً لِلثَّأْرِ عَنِ الْحَاكِمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، عِلْماً أَوْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . فَلِذٰلِكَ اسْتَفَادَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ الْأَذْكِيَاءِ الدَّسَّاسِينَ كَالْيَهُودِ ، عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ . فَإِذاً إِنَّ إِقَامَةَ السَّدِّ أَمَامَ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ ، إِنَّمَا كَانَ بِإِصْلَاحِ الْأَفْكَارِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ وَإِلَّا فَلَمْ يُمْكِنْ بِكَشْفِ بَعْضِ الْمُفْسِدِينَ . .

فَإِنْ قُلْتَ : «إِنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ (رضي الله عنه) قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، لِقَائِدِهِ الْمُسَمّٰى بِسَارِيَةَ ، فِي مَسَافَةِ شَهْرٍ : يَا سَارِيَةُ ! الْجَبَلَ الْجَبَلَ ؛ وَأَسمَعَهُ سَارِيَةَ ؛ وَسَبَّبَ لِنَصْرِهِ ، فِي جِهَةِ سَوْقِ الْجَيْشِ . فَنِدَاؤُهُ هٰذَا عَلٰى وَجْهِ الْكَرَامَةِ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ كَانَ ذَا نَظَرٍ حَادٍّ ؛ فَلِمَاذَا لَمْ يَرَ قَاتِلَهُ الْفَيْرُوزِيَّ عِنْدَهُ ، بِنَظَرِ وَلَايَتِهِ ، ذٰلِكَ النَّظَرِ الْحَادِّ ؟» . .

فَنُجِيبُ : بِمَا أَجَابَ بِهِ(١) يَعْقُوبُ (عليه السلام) : وَذٰلِكَ أَنَّهُ سُئِلَ : لِمَاذَا شَمِمْتَ رَائِحَةَ قَمِيصِهِ الْوَارِدِ عَنْ مِصْرَ ؛ وَلَمْ تَرَ يُوسُفَ بِقُرْبِكَ فِي جُبِّ كَنْعَانَ ؟ . فَقَالَ جَوَاباً عَلَيْهِ : إِنَّ

---

(١) زِمِصْرَشْ بُويِ پِيرَاهَنْ شُنِيدِي ❁ چِرَادَرْ چَاهِ كَنْعَانَشْ نَدِيدِي .
بِگُفْتْ أَحْوَالِ مَا بَرْقِ جِهَانَسْتْ ❁ دَمِي پَيْدَا وُدِيگَرْدَمْ نِهَانَسْتْ .
گَهِي بَرْطَارِمِ أَعْلٰى نُشِينَمْ ❁ گَهِي بَرْپُشْتِ پَايِ خُودْ نَبِينَمْ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

أَحْوَالَنَا كَالْبَرْقِ ؛ قَدْ يُرى وَقَدْ يَخْفى . فَنَكُونُ أَحْيَاناً ؛ كَأَنَّنَا جَالِسُونَ عَلى مَكَانٍ عَالٍ ؛ فَنَرى كُلَّ جَانِبٍ ؛ وَأَحْيَاناً لَا نَرى ظَهْرَ أَقْدَامِنَا . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْإِنْسَانَ مَهْمَا كَانَ فَاعِلاً مُخْتَاراً ؛ فَإِنَّ الْمَشِيئَةَ الْإِلٰهِيَّةَ أَصْلٌ ؛ وَالْقَدَرَ حَاكِمٌ ؛ وَذٰلِكَ بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ اللهُ﴾ . فَتُؤَخِّرُ الْمَشِيئَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، الْمَشِيئَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ ؛ وَتُجْرِي حُكْمَ قَوْلِهِ : (إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ ؛ عَمِيَ الْبَصَرُ) ؛ وَإِذَا تَكَلَّمَ الْقَدَرُ ؛ لَا يَنْطِقُ اقْتِدَارُ الْبَشَرِ ؛ وَيَسْكُتُ الاِخْتِيَارُ الْجُزْئِيُّ . .

سُؤَالُكُمُ الثَّانِي :

فَحْوَاهُ : مَا هِيَ مَاهِيَّةُ الْمَعَارِكِ الَّتِي بَدَأَتْ فِي عَهْدِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ (رضي الله عنه) ؟ وَبِمَاذَا نُسَمِّي الْمُحَارِبِينَ وَالْقَاتِلِينَ وَالْمَقْتُولِينَ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ الْقِتَالَ الْوَاقِعَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ ؛ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، الْمُسَمّٰى بِوَقْعَةِ الْجَمَلِ ، هُوَ جِدَالُ الْعَدَالَةِ الْمَحْضَةِ ، وَالْعَدَالَةِ الْإِضَافِيَّةِ . وَذٰلِكَ : أَنَّ عَلِيّاً (رضي الله عنه) اتَّخَذَ الْعَدَالَةَ الْمَحْضَةَ أَسَاساً ؛ فَاجْتَهَدَ لِلسُّلُوكِ عَلٰى ذٰلِكَ الْأَسَاسِ ؛ كَمَا فِي زَمَنِ الشَّيْخَيْنِ . وَأَمَّا مُعَارِضُوهُ فَإِنَّهُمْ اجْتَهَدُوا أَنَّ الصَّفْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي عَهْدِ الشَّيْخَيْنِ ، كَانَتْ مُسَاعِدَةً لِلْعَدَالَةِ الْمَحْضَةِ ؛ وَلٰكِنَّ أَقْوَاماً مُخْتَلِفَةً ضَعِيفَةَ الْإِسْلَامِ ، دَخَلَتِ الْحَيَاةَ الاِجْتِمَاعِيَّةَ ، بِمُرُورِ الزَّمَانِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُشْكِلُ تَطْبِيقُ الْعَدَالَةِ الْمَحْضَةِ ؛ فَاجْتَهَدُوا عَلٰى أَسَاسِ الْعَدْلِ النِّسْبِيِّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : اخْتِيَارُ أَهْوَنِ الشَّرِّ . وَلَمَّا دَخَلَ نِزَاعُ الاِجْتِهَادِ ، فِي السِّيَاسَةِ ؛ أَنْتَجَ الْقِتَالَ . فَمَا دَامَ أَنَّهُ اجْتُهِدَ لِرِضَاءِ اللهِ ، وَلِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ ؛ وَنَشَأَ الْقِتَالُ عَنْ الاِجْتِهَادِ ؛ فَنَقُولُ : إِنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ كِلَيْهِمَا ، أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ الثَّوَابِ ؛ وَلَيْسُوا مُسْتَحِقِّينَ لِلْعَذَابِ ؛ وَإِنْ كَانَ اجْتِهَادُ عَلِيٍّ مُصِيباً ؛ وَاجْتِهَادُ مُعَارِضِيهِ خَطَأً ؛ لِأَنَّ الْمُجْتَهِدَ إِذَا أَصَابَ الْحَقَّ ، لَهُ أَجْرَانِ ؛ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ ، يَأْخُذُ ثَوَاباً وَاحِداً ، وَهُوَ أَجْرُ الاِجْتِهَادِ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ وَيُعْذَرُ عَنْ خَطَئِهِ . وَقَدْ قَالَ مُحَقِّقٌ

شَهِيرٌ ، قَوْلُهُ حُجَّةٌ فِينَا ، بِاللُّغَةِ الْكُرْدِيَّةِ : (زْشَرِّ صَحَابَانْ مَكه قَالُ وقِيلْ ❁ بِهِشْتِينَه هَمْ قَاتِلُ وهَمْ قَتِيلْ) : أَيْ لَا تَذْكُرِ النِّقَاشَ فِي قِتَالِ الصَّحَابَةِ ؛ لِأَنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ كِلَيْهِمَا ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . .

وَإِيضَاحُ الْعَدَالَةِ الْمَحْضَةِ مَعَ الْعَدَالَةِ الْإِضَافِيَّةِ ، هُوَ : أَنَّ حَقَّ مَعْصُومٍ وَاحِدٍ ، لَا يُهْدَرُ ؛ وَلَوْ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ؛ وَأَنَّ فَرْداً وَاحِداً ، لَا يُفْدَى أَيْضاً لِسَلَامَةِ عُمُومِ النَّاسِ ؛ وَأَنَّ الْحَقَّ فِي نَظَرِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى حَقٌّ ؛ فَلَا يُنْظَرُ إِلَى صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ ؛ وَلَا يُهْدَرُ الْحَقُّ الصَّغِيرُ لِلْحَقِّ الْكَبِيرِ ؛ وَلَا يُفْدَى بِحَيَاةِ فَرْدٍ وَبِحَقِّهِ ، لِسَلَامَةِ جَمَاعَةٍ ، بِدُونِ رِضَاهُ ؛ وَإِنْ كَانَ بِرِضَاهُ بِاسْمِ الْحَمِيَّةِ ؛ فَتِلْكَ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى ؛ وَذَلِكَ بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ لِآيَةِ : ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ . .

وَأَمَّا الْعَدَالَةُ الْإِضَافِيَّةُ : فَإِنَّهَا تَفْدِي الْجُزْءَ لِسَلَامَةِ الْكُلِّ ؛ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى حَقِّ الْفَرْدِ ، لِأَجْلِ الْجَمَاعَةِ . فَيَسْعَى لِتَطْبِيقِ نَوْعِ عَدَالَةٍ إِضَافِيَّةٍ ، بِأَنَّهُ أَهْوَنُ الشَّرِّ ؛ وَلَكِنْ إِذَا أَمْكَنَ تَطْبِيقُ الْعَدَالَةِ الْمَحْضَةِ ، لَا يُسَارُ إِلَى الْعَدَالَةِ الْإِضَافِيَّةِ ؛ وَإِنْ سَارَ إِلَيْهَا ؛ فَذَلِكَ ظُلْمٌ . .

فَالْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) حَكَمَ بِأَنَّ الْعَدَالَةَ الْمَحْضَةَ ، قَابِلَةٌ لِلتَّطْبِيقِ ؛ كَمَا فِي زَمَنِ الشَّيْخَيْنِ ؛ فَبَنَى الْخِلَافَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، عَلَى ذَلِكَ الْأَسَاسِ . وَأَمَّا مُعَارِضُوهُ وَمُخَالِفُوهُ ، فَادَّعَوْا أَنَّهَا لَيْسَتْ قَابِلَةً لِلتَّطْبِيقِ ؛ وَلَهَا مَشَاكِلُ كَثِيرَةٌ ؛ فَاجْتَهَدُوا عَلَى الْعَدَالَةِ الْإِضَافِيَّةِ . وَأَمَّا سَائِرُ الْأَسْبَابِ الَّتِي بَيَّنَهَا التَّأْرِيخُ ، فَلَيْسَتْ أَسْبَاباً حَقِيقِيَّةً ؛ بَلْ هِيَ وَسَائِلُ . .

فَإِنْ قُلْتَ : لِمَاذَا لَمْ يُوَفَّقِ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَسْلَافِهِ ، مَعَ لَيَاقَتِهِ الْعَالِيَةِ ، وَذَكَائِهِ الْخَارِقِ ، وَاقْتِدَارِهِ الْفَائِقِ عَلَى الْعَادَةِ ، فِي جِهَةِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْمُبَارَكَ ، كَانَ أَلْيَقَ مِنَ السِّيَاسَةِ وَالسَّلْطَنَةِ ، بِوَظَائِفَ أُخْرَى أَهَمَّ كَثِيراً . فَلَوْ وُفِّقَ لِلسِّيَاسَةِ وَالسَّلْطَنَةِ تَوْفِيقاً كَامِلاً ؛ لَمَا فَازَ حَقّاً بِعُنْوَانِ «سُلْطَانِ الْوِلَايَةِ» ذَلِكَ الْعُنْوَانِ الْعَالِي . وَالْحَالُ أَنَّهُ فَازَ بِسَلْطَنَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ تَفُوقُ كَثِيراً الْخِلَافَةَ السِّيَاسِيَّةَ

وَالظَّاهِرِيَّةَ ؛ وَصَارَ فِي حُكْمِ «أُسْتَاذِ الْكُلِّ» ؛ حَتّى بَقِيَتْ سَلْطَنَتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . .

وَأَمَّا مُحَارَبَةُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) مَعَ أَتْبَاعِ مُعَاوِيَةَ (رضي الله عنه) فِي وَقْعَةِ صِفِّينَ : فَهِيَ مُحَارَبَةُ الْخِلاَفَةِ وَالسَّلْطَنَةِ : أَيْ أَنَّ **الْإِمَامَ عَلِيّاً (رضي الله عنه)** اتَّخَذَ الْآخِرَةَ وَأَحْكَامَ الدِّينِ ، وَحَقَائِقَ الْإِسْلاَمِ ، أَسَاساً ؛ فَكَانَ يَفْدِي لَهَا بَعْضَ قَوَانِينِ السَّلْطَنَةِ ، وَمُقْتَضِيَاتِ السِّيَاسَةِ الظَّالِمَةِ . وَأَمَّا **مُعَاوِيَةُ** وَأَتْبَاعُهُ ؛ فَإِنَّهُمْ تَرَكُوا الْعَزِيمَةَ ، لِتَقْوِيَةِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ ، بِسِيَاسَةِ السَّلْطَنَةِ ؛ فَالْتَزَمُوا الرُّخْصَةَ ؛ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُضْطَرِّينَ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ ؛ فَرَجَّحُوا الرُّخْصَةَ ؛ فَوَقَعُوا فِي الْخَطَأِ . .

وَأَمَّا مُجَادَلَةُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ضِدَّ الْأُمَوِيِّينَ : فَكَانَتْ مُحَارَبَةَ الدِّينِ وَالْقَوْمِيَّةِ . **وَذٰلِكَ** : أَنَّ الْأُمَوِيِّينَ كَانُوا يَبْنُونَ الدَّوْلَةَ الْإِسْلاَمِيَّةَ ، عَلَى الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَيُؤَخِّرُونَ الرَّابِطَةَ الْإِسْلاَمِيَّةَ ، عَنِ الرَّابِطَةِ الْقَوْمِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَضَرُّوا بِجِهَتَيْنِ :

إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُمْ أَوْجَعُوا سَائِرَ الشُّعُوبِ ؛ وَأَوْحَشُوهُمْ . .

وَالْأُخْرَى : أَنَّ أُسُسَ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ ، لاَ تُرَاعِي الْعَدْلَ وَالْحَقَّ ؛ وَلاَ تَسِيرُ عَلَى الْعَدْلِ ؛ لِأَنَّ حَاكِماً عُنْصُرِيّاً ، يُرَجِّحَ أَبْنَاءَ جِنْسِهِ ؛ فَلاَ يَعْدِلُ . وَإِنَّ الرَّابِطَةَ الْقَوْمِيَّةَ لاَ تُقَامُ مُقَامَ الرَّابِطَةِ الدِّينِيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ بِالْحُكْمِ الْقَاطِعِ بِـ **«أَنَّ الْإِسْلاَمِيَّةَ جَبَّتِ الْعَصَبِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ ؛ لاَ فَرْقَ بَيْنَ عَبْدٍ حَبَشِيٍّ ، وَسَيِّدٍ قُرَيْشِيٍّ ؛ إِذَا أَسْلَمَا»** . وَإِذَا أُقِيمَتْ مُقَامَهَا لاَ يَعْدِلُ ؛ فَيَضِيعُ الْحَقُّ . .

فَسَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ (رضي الله عنه) اتَّخَذَ الرَّابِطَةَ الدِّينِيَّةَ أَسَاساً ؛ فَجَادَلَ ضِدَّهُمْ مُحِقّاً ؛ حَتّى أَحْرَزَ مَقَامَ الشَّهَادَةِ . .

فَإِنْ قِيلَ : لِمَاذَا لَمْ يُوَفَّقْ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، بِهٰذَا الْقَدَرِ ؟ وَلِمَاذَا أَذِنَ الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ ، وَالرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، بِلِقَائِهِمْ لِعَاقِبَةٍ فَجِيعَةٍ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ وُجُودَ فِكْرَةِ انْتِقَامٍ ، ضِدَّ قَوْمِ الْعَرَبِ ، لاَ فِي خَوَاصِّهِ الْمُقَرَّبِينَ ، بَلْ

فِي سَائِرِ شُعُوبٍ الْتَحَقُوا بِجَمَاعَتِهِ ، بِجِهَةِ عَصَبِيَّتِهِمُ الْمَجْرُوحَةِ ؛ أَخَلَّ بِمَسْلَكِ الْحُسَيْنِ وَأَتْبَاعِهِ ، الْخَالِصِ الْمُشْرِقِ ؛ فَصَارَ سَبَباً لِانْهِزَامِهِمْ . .

وَأَمَّا حِكْمَةُ تِلْكَ الْعَاقِبَةِ الْفَجِيعَةِ ، فِي نَظَرِ الْقَدَرِ ، فَهِيَ : أَنَّ الْحَسَنَ (رضي الله عنه) وَالْحُسَيْنَ (رضي الله عنه) ، وَأُسْرَتَهُمَا وَأَنْسَالَهُمَا ، كَانُوا مُرَشَّحِينَ لِسَلْطَنَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ . وَالْجَمْعُ بَيْنَ السَّلْطَنَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ، مُشْكِلٌ جِدّاً . فَلِذٰلِكَ أَسْخَطَهُمُ اللهُ تَعَالَى ، عَنِ الدُّنْيَا ؛ وَأَرَاهُمُ الْوَجْهَ الْقَبِيحَ مِنَ الدُّنْيَا ؛ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ صِلَةٌ قَلْبِيَّةٌ بِهَا . فَتَخَلَّتْ أَيْدِيهِمْ عَنْ سَلْطَنَةٍ صُورِيَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ ؛ وَلٰكِنَّهُمْ عُيِّنُوا لِسَلْطَنَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ دَائِمَةٍ وَمُشْرِقَةٍ ؛ فَصَارُوا مَرْجِعاً لِأَقْطَابِ الْأَوْلِيَاءِ ، بَدَلاً عَنِ الْوُلَاةِ . .

سُؤَالُكُمُ الثَّالِثُ :

أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا هِيَ حِكْمَةُ تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ الْفَجِيعَةِ الْغَدَّارَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِأُولَائِكَ السَّادَاتِ الْمُبَارَكِينَ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ كَانَ فِي سَلْطَنَةِ الْأُمَوِيِّينَ الْمُعَارِضِينَ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ، ثَلَاثَةُ أُسُسٍ تُنْتِجُ غَدْراً ظَالِماً ؛ كَمَا بَيَّنَّا سَابِقاً . .

أَحَدُهَا : أَنَّ مِنْ دَسَاتِيرِ السِّيَاسَةِ الظَّالِمَةِ ، أَنَّ الْأَفْرَادَ تُفْدَى لِسَلَامَةِ الْحُكُومَةِ ، وَدَوَامِ الْأَمْنِ . .

ثَانِيهَا : أَنَّ سَلْطَنَتَهُمْ كَانَتْ مُسْتَنِدَةً إِلَى الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ . وَمِنْ دَسَاتِيرِ الْقَوْمِيَّةِ الْغَدَّارَةِ ، أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُفْدَى لِسَلَامَةِ الشَّعْبِ . .

ثَالِثُهَا : أَنَّ مَا فِي سَجَايَا الْأُمَوِيِّينَ ، مِنَ الْعَصَبِيَّةِ ضِدَّ الْهَاشِمِيِّينَ ، كَانَ يُوجَدُ فِي بَعْضِهِمْ كَيَزِيدَ . فَلِذٰلِكَ أَظْهَرَ اسْتِعْدَادَ غَدْرٍ بِدُونِ شَفَقَةٍ . .

وَالسَّبَبُ الرَّابِعُ : كَانَ يُوجَدُ فِي أَتْبَاعِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (رضي الله عنه) . وَهُوَ أَنَّ سَائِرَ الشُّعُوبِ الْتَحَقُوا بِجَمَاعَةِ الْحُسَيْنِ ، بِنِيَّةٍ فَاسِدَةٍ ، عَلَى وَجْهِ الِانْتِقَامِ ؛ حَيْثُ اتَّخَذَ الْأُمَوِيُّونَ قَوْمِيَّةَ

الْعَرَبِ أَسَاساً لَهُمْ ؛ فَكَانُوا يُعَبِّرُونَ عَنْ أَفْرَادِ سَائِرِ الْمِلَلِ ، بِالْمَمَالِيكِ ؛ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ بِنَظَرِ الْعَبِيدِ ؛ وَيَكْسِرُونَ عَصَبِيَّتَهُمْ . فَمَسَّ ذٰلِكَ الِالْتِحَاقُ ، عَصَبِيَّةَ الْأُمَوِيِّينَ مَسّاً شَدِيداً ؛ فَسَبَّبُوا لِتِلْكَ الْفَاجِعَةِ الْمَشْهُورَةِ ، عَلٰى وَجْهِ الْغَدْرِ وَالظُّلْمِ لِلْغَايَةِ . . وَهٰذِهِ الْأَسْبَابُ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ ظَاهِرِيَّةٌ . فَإِذَا نُظِرَ إِلَيْهَا مِنْ نُقْطَةِ الْقَدَرِ ؛ فَإِنَّ النَّتَائِجَ الْأُخْرَوِيَّةَ ، وَالسَّلْطَنَةَ الرُّوحَانِيَّةَ ، وَالتَّرَقِّيَاتِ الْمَعْنَوِيَّةَ الْحَاصِلَةَ لِسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ وَأَقَارِبِهِ ، بِسَبَبِ تِلْكَ الْفَاجِعَةِ ، قَيِّمَةٌ بِحَيْثُ تُصْبِحُ الْمِحْنَةُ الَّتِي قَاسُوهَا بِتِلْكَ الْفَاجِعَةِ ، هَيِّنَةً وَرَخِيصَةً لِلْغَايَةِ . فَكَمَا أَنَّ جُنْدِيّاً إِذَا اسْتُشْهِدَ تَحْتَ سَاعَةٍ مِنَ التَّعْذِيبِ ؛ يَجِدُ مَرْتَبَةً لَا يَجِدُهَا غَيْرُهُ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ عَشْرَ سِنِينَ ؛ فَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يُسْأَلَ ذٰلِكَ الْجُنْدِيُّ ، بَعْدَمَا اسْتُشْهِدَ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنِّي حَصَّلْتُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، بِشَيْءٍ يَسِيرٍ . .

سُؤَالُكُمُ الرَّابِعُ :

فَحْوَاهُ : أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي الدِّينِ الْحَقِّ ، بَعْدَمَا يَقْتُلُ سَيِّدُنَا عِيسَى (عليه السلام) الدَّجَّالَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ مَعَ أَنَّهُ جَاءَ فِي رِوَايَاتٍ : أَنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ؛ وَعَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ : اَللّٰهُ اَللّٰهُ . فَكَيْفَ يَعُودُونَ إِلَى الْكُفْرِ عَامَّةً ، بَعْدَ أَنْ آمَنُوا جَمِيعاً ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ ضِعَافَ الْإِيمَانِ يَسْتَبْعِدُونَ مَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : أَنَّ عِيسَى (عليه السلام) سَيَنْزِلُ وَيَعْمَلُ بِشَرْعِ الْإِسْلَامِ ؛ وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ . وَلَوْ أُوضِحَتْ حَقِيقَتُهُ ؛ لَمْ يَبْقَ مَحَلٌّ لِلِاسْتِبْعَادِ أَصْلاً . .

وَذٰلِكَ : أَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي يُفِيدُهُ ذٰلِكَ الْحَدِيثُ ، وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي حَقِّ السُّفْيَانِيِّ وَالْمَهْدِيِّ ، هُوَ : أَنَّ تَيَّارَيْنِ مِنَ الْإِلْحَادِ ، يَتَقَوَّيَانِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : أَنَّ شَخْصاً هَائِلاً يُقَالُ لَهُ السُّفْيَانِيُّ ؛ وَيُنْكِرُ الرِّسَالَةَ الْأَحْمَدِيَّةَ ، تَحْتَ غِطَاءِ النِّفَاقِ ؛ يَرْأَسُ أَهْلَ النِّفَاقِ ؛ فَيَسْعٰى لِتَخْرِيبِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَإِنَّ شَخْصاً نُورَانِيّاً يُسَمّٰى بِمُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ ، مِنْ آلِ الْبَيْتِ ؛ وَيَرْأَسُ ضِدَّهُ ، أَهْلَ الْوِلَايَةِ ، وَأَصْحَابَ

الْكَمَالِ ، الْمُتَّصِلِينَ بِالسِّلْسِلَةِ النُّورَانِيَّةِ مِنْ آلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ ، يَقْتُلُ التَّيَّارَ النِّفَاقِيَّ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِذٰلِكَ السُّفْيَانِيِّ ؛ وَيُمَزِّقُهُ . .

وَأَمَّا التَّيَّارُ الثَّانِي : فَهُوَ تَيَّارٌ نَمْرُودِيٌّ يَنْشَأُ عَنْ فَلْسَفَةِ الْمَادِّيِّينَ الطَّبِيعِيِّينَ ؛ فَيَنْتَشِرُ وَيَتَقَوّى شَيْئاً فَشَيْئاً ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، بِوَاسِطَةِ الْفَلْسَفَةِ الْمَادِّيَّةِ ؛ فَيَنْتَهِي إِلٰى دَرَجَةِ يُنْكِرُ الْأُلُوهِيَّةَ . فَكَمَا أَنَّ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً لَا يَعْرِفُ السُّلْطَانَ ؛ وَلَا يَقْبَلُ أَنْ يَكُونَ الضُّبَّاطُ وَالْأَفْرَادُ فِي الْجَيْشِ ، جُنُودَهُ ؛ يُسْنِدُ إِلٰى كُلِّ أَحَدٍ وَكُلِّ عَسْكَرٍ ، نَوْعاً مِنَ السَّلْطَنَةِ ، وَشَكْلاً مِنَ الْحُكْمِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ أَفْرَادَ ذٰلِكَ التَّيَّارِ الْمُنْكِرِينَ لِلّٰهِ ؛ يُسْنِدُونَ إِلٰى نُفُوسِهِمْ ، أَنْوَاعَ أُلُوهِيَّةٍ ، بِمَثَابَةِ نَمَارِدَةٍ صِغَارٍ . وَأَمَّا الدَّجَّالُ الَّذِي هُوَ رَئِيسُهُمُ الْأَكْبَرُ ، وَالْمُظْهِرُ لِخَوَارِقَ هَائِلَةٍ ، مِنْ قَبِيلِ حَادِثَاتِ قُوَى التَّسْخِيرِ وَالتَّطْوِيعِ ، فَهُوَ يَسْبِقُهُمْ ؛ فَيَتَصَوَّرُ حُكُومَتَهُ الصُّورِيَّةَ الْجَبَّارَةَ ، نَوْعَ رُبُوبِيَّةٍ ؛ وَيُعْلِنُ أُلُوهِيَّتَهُ . . وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ ادِّعَاءَ إِنْسَانٍ لِلْأُلُوهِيَّةِ ؛ وَهُوَ عَاجِزٌ مَغْلُوبٌ أَمَامَ ذُبَابٍ ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ إِيجَادَ جَنَاحٍ مِنْهُ ، مَسْخَرَةٌ عَلٰى وَجْهِ الْحُمْقِ . فَحِينَمَا يُرٰى ذٰلِكَ التَّيَّارُ قَوِيّاً جِدّاً ؛ يَظْهَرُ الدِّينُ الْعِيسَوِيُّ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِعِيسٰى (عليه السلام) : أَيْ يَنْزِلُ مِنْ سَمَاءِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَيَتَصَفّٰى دِينُ النَّصْرَانِيَّةِ الْحَاضِرَةِ ، أَمَامَ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ ؛ وَيَتَجَرَّدُ عَنِ الْخُرَافَاتِ وَالْمُحَرَّفَاتِ ؛ وَيَتَّحِدُ بِحَقَائِقِ الْإِسْلَامِ ؛ فَيَنْقَلِبُ الدِّينُ النَّصْرَانِيُّ ، إِلٰى نَوْعٍ مِنَ الْإِسْلَامِ مَعْنًى ؛ وَيَقْتَدِي بِالْقُرْآنِ ؛ وَيَبْقٰى ذٰلِكَ الشَّخْصُ الْمَعْنَوِيُّ لِلْعِيسَوِيَّةِ تَابِعاً ؛ وَيَبْقَى الْإِسْلَامُ فِي مَقَامِ الْمَتْبُوعِ ؛ فَيَجِدُ الدِّينُ الْحَقُّ ، قُوَّةً عَظِيمَةً ، فِي نَتِيجَةِ هٰذَا الْالْتِحَاقِ . فَبَيْنَمَا الْعِيسَوِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ الْمَغْلُوبَتَانِ أَمَامَ تَيَّارِ الْإِلْحَادِ ، مُفْتَرِقَتَيْنِ ؛ تَسْتَعِدَّانِ فِي نَتِيجَةِ الْاتِّحَادِ ، أَنْ تَغْلِبَا عَلٰى تَيَّارِ الْإِلْحَادِ ؛ وَأَنْ تُمَزِّقَاهُ ؛ يَنْزِلُ شَخْصُ عِيسٰى (عليه السلام) الْمَوْجُودِ بِجِسْمِهِ الْبَشَرِيِّ ، فِي عَالَمِ السَّمَاوَاتِ ؛ فَيَرْأَسُ تَيَّارَ ذٰلِكَ الدِّينِ الْحَقِّ . أَخْبَرَ بِذٰلِكَ مُخْبِرٌ صَادِقٌ ، مُسْتَنِداً إِلٰى وَعْدِ قَدِيرٍ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ . فَإِذَا كَانَ أَخْبَرَ بِهِ ؛ فَهُوَ حَقٌّ ؛ وَإِذَا كَانَ الْقَدِيرُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَعَدَ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُهُ . .

نَعَمْ : إنَّ حَكِيماً ذَا جَلالٍ يُرْسِلُ الْمَلائِكَةَ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَيَضَعُهُمْ أَحْيَاناً فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ ، كَوُقُوعِ جِبْرِيلَ (عليه السلام) فِي صُورَةِ دِحْيَةَ ؛ وَيُرْسِلُ الرُّوحَانِيِّينَ مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ؛ وَيُمَثِّلُهُمْ بِصُورَةِ الْبَشَرِ ؛ حَتّى إِنَّهُ يُرْسِلُ أَرْوَاحَ كَثِيرِينَ مِنْ أَمْوَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، إِلَى الدُّنْيَا ، بِأَجْسَادِهِمُ الْمِثَالِيَّةِ ، لَيْسَ بَعِيداً مِنْ حِكْمَتِهِ ، أَنْ يُرْسِلَ عِيسَى الَّذِي هُوَ حَيٌّ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِجَسَدِهِ ، لِأَهَمِّ حُسْنِ خَاتِمَةٍ عَائِدَةٍ إِلَى دِينِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ؛ بَلْ لَوْ ذَهَبَ إِلَى أَبْعَدِ أَقْطَارِ الْآخِرَةِ ؛ وَمَاتَ حَقِيقَةً ؛ لَأَلْبَسَهُ الْجَسَدَ ؛ وَأَرْسَلَهُ لِمِثْلِ هٰذِهِ النَّتِيجَةِ الْعَظِيمَةِ ؛ بَلْ إِنَّ حِكْمَتَهُ اقْتَضَتْ كَذٰلِكَ ؛ فَوَعَدَ بِهِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَيُرْسِلُهُ لِوَعْدِهِ بِذٰلِكَ . وَإِذَا نَزَلَ ، لَا يَلْزَمُ أَنْ يَعْلَمَ كُلُّ أَحَدٍ ، أَنَّهُ هُوَ عِيسَى الْحَقِيقِيُّ ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ ، خَوَاصُّهُ وَالْمُقَرَّبُونَ مِنْهُ ؛ وَإِلَّا فَلَا يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ . .

سُؤَالٌ : جَاءَ فِي الرِّوَايَاتِ : أَنَّ لِلدَّجَّالِ جَنَّةً كَاذِبَةً يُلْقِي إِلَيْهَا أَتْبَاعَهُ ؛ وَلَهُ جَهَنَّمُ كَاذِبَةٌ أَيْضاً ؛ يَطْرَحُ فِيهَا غَيْرَ أَتْبَاعِهِ ؛ حَتّى إِنَّهُ جَعَلَ فِي مَرْكَبِهِ ، أُذُناً مِنْهُ كَالْجَنَّةِ ؛ وَأُذُناً مِنْهُ كَجَهَنَّمَ ؛ وَأَنَّ عَظَمَتَهُ الْبَدَنِيَّةَ كَذَا وَكَذَا . . هٰكَذَا يُوجَدُ فِيهَا أَوْصَافٌ . فَمَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْهَا ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ شَخْصَ الدَّجَّالِ الصُّورِيَّ ، هُوَ كَالْإِنْسَانِ ؛ وَأَنَّهُ شَيْطَانٌ أَحْمَقُ ، وَإِنْسَانٌ دَسَّاسٌ ، سَمّى حَاكِمِيَّتَهُ الْجَبَّارَةَ الصُّورِيَّةَ ، بِالْأُلُوهِيَّةِ ؛ حَيْثُ اغْتَرَّ وَتَفَرْعَنَ وَنَسِيَ اللهَ تَعَالَى ؛ وَلٰكِنَّ تَيَّارَهُ الْإِلْحَادِيَّ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ شَخْصُهُ الْمَعْنَوِيُّ ، جَسِيمٌ جِدّاً . وَإِنَّ الْأَوْصَافَ الْهَائِلَةَ الْعَائِدَةَ إِلَى الدَّجَّالِ ، فِي الرِّوَايَاتِ ، تُشِيرُ إِلَى ذٰلِكَ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ . وَفِي زَمَنٍ مَا صُوِّرَ رَسْمُ الْقَائِدِ الْأَعْلَى لِلْقُوَّاتِ الْيَابَانِيَّةِ ؛ فَجُعِلَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ؛ وَرِجْلُهُ الْأُخْرَى ، عَلَى قَلْعَةِ «پُورَاتُورَ» ، بِمَسَافَةِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ ؛ فَأُظْهِرَ بِتَصْوِيرِ ذٰلِكَ الْقَائِدِ الْيَابَانِيِّ الصَّغِيرِ ، بِهٰذَا الرَّسْمِ ، الشَّخْصُ الْمَعْنَوِيُّ لِجَيْشِهِ . .

أَمَّا الْجَنَّةُ الْكَاذِبَةُ لِلدَّجَّالِ ؛ فَهِيَ زَخَارِفُ الْحَضَارَةِ ، وَمَلَاهِيهَا الْجَذَّابَةُ ؛ وَأَمَّا

مَرْكَبُهُ فَهُوَ مَرْكَبَةٌ مِثْلُ الْقِطَارِ ، فِي رَأْسٍ مِنْهَا مَوْقِدُ النَّارِ ؛ فَيُلْقِي أَحْيَاناً مَنْ لَمْ يَتْبَعْهُ ، فِي النَّارِ . وَأَنَّ أُذُناً مِنْ تِلْكَ الْمَرْكَبَةِ : أَيْ رَأْسَهَا الْآخَرَ ، فُرِشَ كَالْجَنَّةِ ؛ فَيُجْلِسُ أَتْبَاعَهُ هُنَاكَ . فَالْقِطَارُ الَّذِي هُوَ مَرْكَبَةٌ هَامَّةٌ لِلْمَدَنِيَّةِ السَّفِيهَةِ الْغَدَّارَةِ ، يَأْتِي بِجَنَّةٍ كَاذِبَةٍ ، لِأَهْلِ السَّفَاهَةِ وَالدُّنْيَا ؛ وَيَأْتِي لِلْبَائِسِينَ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، بِخَطَرٍ ؛ وَيُلْقِيهِمْ تَحْتَ الْأَسْرِ وَالسَّفَالَةِ ، كَزَبَانِيَةِ جَهَنَّمَ ، فِي يَدِ الْحَضَارَةِ . فَالدِّينُ الْعِيسَوِيُّ الْحَقِيقِيُّ ، وَإِنْ كَانَ يَنْشُرُ نُورَهُ فِي الْعَالَمِ ، لِلْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، بِظُهُورِهِ وَانْقِلَابِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ إِلَّا أَنَّ تَيَّاراً إِلْحَادِيّاً آخَرَ يَظْهَرُ ثَانِياً أَيْضاً ؛ فَيَتَغَلَّبُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ ؛ وَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، مَنْ يَقُولُ : «اللّٰهُ اللّٰهُ» ، حَسَبَ قَاعِدَةِ أَنَّ الْحُكْمَ لِلْغَالِبِ : أَيْ لَا تَبْقَى جَمَاعَةٌ مُهِمَّةٌ تَكُونُ ذَاتَ شَأْنٍ مُهِمٍّ ، فِي كُرَةِ الْأَرْضِ ، تَقُولُ : «اللّٰهُ اللّٰهُ» . وَإِلَّا فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ الَّذِينَ بَقُوا فِي الْأَقَلِّيَّةِ ؛ أَوْ صَارُوا مَغْلُوبِينَ ، يَبْقَوْنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ إِلَّا أَنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تُقْبَضُ أَوَّلاً ، أَثَراً مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللّٰهِ ؛ لِئَلَّا يَرَوْا أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ ، وَقْتَ قِيَامِهَا ؛ فَتَقُومُ الْقِيَامَةُ عَلَى رُؤُوسِ الْكَافِرِينَ . .

سُؤَالُكُمُ الْخَامِسُ :

مَآلُهُ : هَلْ تَتَأَثَّرُ الْأَرْوَاحُ الْبَاقِيَةُ ، مِنْ أَحْدَاثِ الْقِيَامَةِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهَا تَتَأَثَّرُ مِنْهَا حَسَبَ دَرَجَاتِهَا ؛ كَمَا تَتَأَثَّرُ الْمَلَائِكَةُ فِي التَّجَلِّيَاتِ الْقَهْرِيَّةِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ . فَكَمَا أَنَّ إِنْسَاناً فِي مَكَانٍ دَافِئٍ ، إِذَا شَاهَدَ مَنْ يَرْتَجِفُ بَيْنَ الثُّلُوجِ وَالْعَوَاصِفِ ؛ يَتَأَثَّرُ بِاعْتِبَارِ الْعَقْلِ وَالْوِجْدَانِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْإِشَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ الْبَاقِيَةَ ، مِنْ ذَوَاتِ الشُّعُورِ ، تَتَأَثَّرُ حَسَبَ دَرَجَاتِهَا ، مِنَ الْحَادِثَاتِ الْعَظِيمَةِ لِلْكَائِنَاتِ ؛ لِأَنَّهَا ذَاتُ صِلَةٍ بِهَا ؛ وَأَنَّ لَهَا تَأَثُّرَاتٍ أَلِيمَةً ؛ إِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ ، وَتَأَثُّرَاتٍ مُحَيِّرَةً وَمُسْتَغْرِبَةً ؛ بَلْ مُسْتَبْشِرَةً مِنْ جِهَةٍ ؛ إِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ . فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ يَذْكُرُ عَجَائِبَ الْقِيَامَةِ ، عَلَى صُورَةِ التَّهْدِيدِ ؛ وَيَقُولُ دَائِماً : إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَهَا ؛ مَعَ أَنَّ الَّذِينَ يَرَوْنَهَا

بِالْجِسْمِ الْإِنْسَانِيِّ ، هُمُ الَّذِينَ يُدْرِكُونَ الْقِيَامَةَ . فَإِذاً إِنَّ لِلْأَرْوَاحِ الرَّمِيمَةِ أَجْسَادُهَا فِي الْقُبُورِ ، حِصَّةً مِنْ ذٰلِكَ التَّهْدِيدِ الْقُرْآنِيِّ أَيْضاً . .

سُؤَالُكُمُ السَّادِسُ :

فَحْوَاهُ : هَلْ لِآيَةِ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ شُمُولٌ عَلَى الْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَجَهَنَّمَ وَأَهْلِهَا ؟ . أَمْ لَا ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ صَارَتْ مَدَارَ بَحْثٍ ، لِكَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، وَأَصْحَابِ الْكَشْفِ ، وَأَهْلِ الْوَلَايَةِ ؛ فَالْكَلَامُ ، لَهُمْ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ لِهٰذِهِ الْآيَةِ وُسْعَةً وَمَرَاتِبَ كَثِيرَةً ؛ فَقَالَ قِسْمٌ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ : لَا شُمُولَ لَهَا عَلٰى عَالَمِ الْبَقَاءِ . وَالْقِسْمُ الْآخَرُ مِنْهُمْ قَالُوا : إِنَّ تِلْكَ الْعَوَالِمَ أَيْضاً تَصِيرُ مَظْهَراً لِنَوْعٍ مِنَ الْهَلَاكِ ، فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ ، آنِيّاً بِحَيْثُ لَا تَشْعُرُ بِذَهَابِهَا إِلَى الْفَنَاءِ وَعَوْدَتِهَا مِنْهُ . وَأَمَّا الْفَنَاءُ الْمُطْلَقُ الَّذِي حَكَمَ بِهِ بَعْضٌ مُفْرِطٌ مِنْ أَهْلِ الْكَشْفِ ؛ فَلَيْسَ بِحَقِيقَةٍ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الذَّاتُ الْأَقْدَسُ الْإِلٰهِيُّ ، سَرْمَدِيّاً وَدَائِماً ؛ فَإِنَّ صِفَاتِهِ وَأَسْمَاءَهُ ، سَرْمَدِيَّةٌ وَدَائِمَةٌ أَيْضاً . وَإِذَا كَانَتْ صِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ دَائِمَةً وَسَرْمَدِيَّةً ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْبَقَاءِ ، وَالْبَاقِيَاتِ الْمَوْجُودَةَ فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ ، الَّتِي هِيَ مَرَايَا وَجَلَوَاتٌ وَنُقُوشٌ وَمَظَاهِرُ لَهَا ، لَا تَذْهَبُ بِالضَّرُورَةِ ، إِلَى الْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ قَطْعاً . .

وَالْآنَ وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ نُقْطَتَانِ ، مِنْ فَيْضِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ فَنَكْتُبُهُمَا إِجْمَالاً . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، قَدِيرٌ مُطْلَقٌ كَذٰلِكَ ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ الْعَدَمُ وَالْوُجُودُ ، كَمَنْزِلَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ فَيُرْسِلُ الْأَشْيَاءَ إِلَى الْعَدَمِ ؛ وَيَأْتِي بِهَا مِنْهُ ، بِوَجْهٍ سَهْلٍ لِلْغَايَةِ . فَإِنْ شَاءَ ، يَرْجِعُ بِهَا مِنْ هُنَالِكَ ، فِي يَوْمٍ أَوْ فِي آنٍ . وَأَيْضاً لَا يُوجَدُ الْعَدَمُ الْمُطْلَقُ بِذَاتِهِ ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ عِلْمٌ مُحِيطٌ ؛ وَأَيْضاً لَا خَارِجَ لِدَائِرَةِ الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ؛ حَتّٰى يُلْقٰى إِلَيْهِ شَيْءٌ . وَالْعَدَمُ فِي دَائِرَةِ الْعِلْمِ ، عَدَمٌ خَارِجِيٌّ ، وَعُنْوَانٌ صَارَ حِجَاباً عَلَى الْوُجُودِ الْعِلْمِيِّ ؛ حَتّٰى

إِنَّ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ عَبَّرُوا عَنْ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْعِلْمِيَّةِ ، بِالْأَعْيَانِ الثَّابِتَةِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَالذَّهَابُ إِلَى الْفَنَاءِ ، هُوَ أَنْ تَخْلَعَ الْأَشْيَاءُ ، لِبَاسَهَا الْخَارِجِيَّ مُؤَقَّتاً ؛ فَتَدْخُلَ فِي الْوُجُودِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ : أَيْ أَنَّ الْهَوَالِكَ وَالْفَانِيَاتِ تَتْرُكُ الْوُجُودَ الْخَارِجِيَّ ؛ فَتَلْبَسُ مَاهِيَّاتُهَا ، وُجُوداً مَعْنَوِيّاً ؛ وَتَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ الْقُدْرَةِ ؛ فَتَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ الْعِلْمِ . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مَعْدُومٌ لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ مُسْتَقِلٌّ فِي ذَاتِهِ ، وَثَابِتٌ بِنَفْسِهِ ؛ وَلَا حَقِيقَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا ، بِمَعْنَاهُ الِاسْمِيِّ ، وَفِي الْوَجْهِ النَّاظِرِ إِلَى نَفْسِهِ ؛ كَمَا أَوْضَحْنَا فِي مَقَالَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَلٰكِنَّهُ فِي الْوَجْهِ النَّاظِرِ إِلَى اللهِ تَعَالٰى : أَيْ إِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ الْحَرْفِيِّ ، فَلَيْسَ عَدَماً ؛ لِأَنَّ فِيهِ أَسْمَاءً بَاقِيَةً تُرَى جَلَوَاتُهَا ؛ وَلَيْسَ مَعْدُوماً ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ ظِلَّ وُجُودٍ سَرْمَدِيٍّ ؛ وَلَهُ حَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ وَعَالِيَةٌ ؛ لِأَنَّهُ نَوْعُ ظِلٍّ ثَابِتٍ ، مِنْ ظِلَالِ اسْمٍ بَاقٍ صَارَ مَظْهَراً لَهُ . وَأَيْضاً أَنَّ قَوْلَهُ تَعالٰى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ سَيْفٌ لِقَطْعِ يَدِ الْإِنْسَانِ ، عَمَّا سِوَى اللهِ تَعالٰى ؛ فَيَنْظُرُ حُكْمُهُ إِلَى مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْفَانِيَاتِ ، لِقَطْعِ الْعَلَائِقِ بِأَشْيَاءٍ فَانِيَةٍ ، فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، مِمَّا لَيْسَ بِحِسَابِ اللهِ تَعَالٰى . فَإِذاً ، إِنْ كَانَ بِحِسَابِ اللهِ تَعَالٰى ، وَبِمَعْنَاهُ الْحَرْفِيِّ ، وَلِوَجْهِ اللهِ ؛ لَا يَدْخُلُ فِيمَا سِوَاهُ ؛ حَتّٰى يُقْطَعَ رَأْسُهُ ، بِسَيْفِ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ إِنْ كَانَ لِلّٰهِ ؛ وَوَجَدَ اللهَ ؛ لَا يَبْقَى الْغَيْرُ ؛ حَتّٰى يُقْطَعَ رَأْسُهُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ اللهَ ؛ وَلَمْ يَنْظُرْ بِحِسَابِ اللهِ ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ غَيْرٌ ؛ فَلْيَسْتَعْمِلْ سَيْفَ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ؛ وَلْيُمَزِّقِ الْحِجَابَ ؛ حَتّٰى يَرَاهُ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

إِنَّ هٰذَا الْمَكْتُوبَ صَارَ مَظْهَراً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً﴾ ؛ فَلَمْ يُكْتَبْ بِشِدَّةٍ . .

جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالٍ مِنْ جَانِبِ الْكَثِيرِينَ ، صَرِيحاً وَمَعْنًى . وَتَقْدِيمُ هٰذَا الْجَوَابِ لَيْسَ مُسْتَحَبّاً إِلَيَّ ؛ وَلاَ أَشْتَهِيهِ ؛ فَإِنِّي عَلَّقْتُ كُلَّ أُمُورِي ، بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ تَعَالٰى ؛ وَلٰكِنِّي لاَ أُتْرَكُ فِي حَالِي وَفِي عَالَمِي مُسْتَرِيحاً ؛ وَيُحَوِّلُونَ وَجْهِيَ إِلَى الدُّنْيَا . فَلِذٰلِكَ أُبَيِّنُ خَمْسَ نِقَاطٍ بِاضْطِرَارٍ ، بِلِسَانِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، لاَ «السَّعِيدِ الْجَدِيدِ» ، لِبَيَانِ حَقِيقَةِ الْحَالِ ، لِأَصْدِقَائِي وَلِأَهْلِ الدُّنْيَا ، وَلِلْحُكَّامِ ، لاَ لِإِنْقَاذِ نَفْسِي ، بَلْ لِإِنْقَاذِ أَحْبَابِي وَأَقْوَالِي ، عَنْ أَوْهَامِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَأَذَاهُمْ . .

اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى :

أَنَّهُ قِيلَ : لِمَاذَا أَعْرَضْتَ عَنِ السِّيَاسَةِ ؛ فَلاَ تُقَارِبُهَا أَصْلاً ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ «السَّعِيدَ الْقَدِيمَ» قَبْلَ تِسْعِ أَوْ عَشْرِ سِنِينَ ، دَخَلَ فِي السِّيَاسَةِ مِقْدَاراً ؛ وَقَالَ : لَعَلِّي أَخْدُمُ الدِّينَ وَالْعِلْمَ ، بِوَاسِطَةِ السِّيَاسَةِ ؛ فَتَعِبَ بِلاَ طَائِلٍ ؛ وَرَأٰى

أَنَّ ذٰلِكَ الطَّرِيقَ، طَرِيقٌ مَشْكُوكٌ وَمُشْكِلٌ، خَطِرٌ وَمَانِعٌ لِأَهَمِّ الْخَدَمَاتِ، وَفُضُولِيٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ؛ وَأَكْثَرُهُ أَكَاذِيبُ؛ وَأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَدَاةً لِإِصْبَعِ الْأَجْنَبِيِّ، بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَأَيْضاً أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ فِي السِّيَاسَةِ، إِمَّا يَكُونُ مُوَافِقاً أَوْ مُعَارِضاً؛ فَإِنْ كُنْتُ مُوَافِقاً؛ وَلَسْتُ مُوَظَّفاً وَنَائِباً؛ فَالسِّيَاسَةُ حِينَئِذٍ شَيْءٌ فُضُولِيٌّ وَغَيْرُ مَعْنِيٍّ لِي؛ وَلَا حَاجَةَ إِلَيَّ؛ حَتّٰى أُخَالِطَهَا بِدُونِ فَائِدَةٍ. وَإِنْ أَدْخُلِ السِّيَاسَةَ الْمُعَارِضَةَ؛ فَإِمَّا أُخَالِطُهَا بِالْفِكْرِ أَوْ بِالْقُوَّةِ. فَإِنْ كَانَ بِالْفِكْرِ؛ فَلَا احْتِيَاجَ إِلَيَّ؛ لِأَنَّ الْمَسَائِلَ تَوَضَّحَتْ؛ فَيَعْلَمُهَا كُلُّ أَحَدٍ مِثْلِي؛ فَلَا مَعْنٰى لِلتَّشَدُّقِ بِلَا طَائِلٍ. وَإِنْ عَارَضْتُ بِالْقُوَّةِ وَبِإِثَارَةِ الْحَادِثَةِ؛ فَيُحْتَمَلُ الْوُقُوعُ فِي آلَافِ الْمَعَاصِي، لِمَقْصِدٍ مَشْكُوكِ الْحُصُولِ؛ وَيَقَعُ الْكَثِيرُونَ فِي الْبَلَاءِ، مِنْ جَرَّاءِ شَخْصٍ وَاحِدٍ. وَأَيْضاً إِنَّ وِجْدَانِي لَا يَقْبَلُ الْوُقُوعَ فِي الْمَعَاصِي، وَإِلْقَاءَ الْمَعْصُومِينَ فِيهَا، بِنَاءً عَلَى احْتِمَالٍ أَوِ احْتِمَالَيْنِ مِنْ عَشَرَةِ احْتِمَالَاتٍ؛ فَتَرَكَ «السَّعِيدُ الْقَدِيمُ»، الْجَرَائِدَ وَالسِّيَاسَةَ، وَالْمُحَادَثَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ السِّيَاسِيَّةَ، مَعَ التَّبَغِ. وَالشَّاهِدُ الْقَاطِعُ عَلٰى هٰذَا، أَنِّي مَا قَرَأْتُ جَرِيدَةً وَاحِدَةً؛ وَلَا اسْتَمَعْتُهَا مُنْذُ ذٰلِكَ الْوَقْتِ؛ وَقَدْ صَارَ ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ. فَلْيَخْرُجْ أَحَدٌ؛ وَلْيَذْكُرْ قِرَاءَتِي لِهَا، أَوِ اسْتِمَاعِي إِلَيْهَا؛ مَعَ أَنَّ «السَّعِيدَ الْقَدِيمَ» لَعَلَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْيَوْمِ ثَمَانِيَ جَرَائِدَ، قَبْلَ ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ. وَأَيْضاً أَنَّهُ صَارَ خَمْسَ سِنِينَ؛ وَقَدْ يُرَاقَبُ حَالِي بِكُلِّ دِقَّةٍ؛ فَلْيَذْكُرْ مَنْ رَأٰى حِسّاً سِيَاسِيّاً؛ مَعَ أَنَّ إِنْسَاناً عَصَبِيّاً مِثْلِي، لَا مُبَالَاةَ وَلَا صِلَةَ لَهُ بِشَيْءٍ؛ وَوَجَدَ أَكْبَرَ حِيلَةٍ، فِي تَرْكِ الْحِيَلِ، بِدُسْتُورِ «إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيَلِ» لَا يَبْقٰى فِكْرٌ مِنْ أَفْكَارِهِ مَخْفِيّاً ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، لَا ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ. فَلَوْ كَانَ لَهُ اشْتِهَاءٌ وَطَمَعٌ فِي السِّيَاسَةِ؛ لَصَوَّتَ صَوْتَ قَذِيفَةِ الْمِدْفَعِ، بِدُونِ أَنْ يَتْرُكَ الْحَاجَةَ إِلَى التَّدْقِيقَاتِ وَالتَّحَرِّيَاتِ..

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ:

لِمَاذَا يَتَجَنَّبُ «السَّعِيدُ الْجَدِيدُ»، عَنِ السِّيَاسَةِ بِهٰذَا الْقَدْرِ مِنَ الشِّدَّةِ؟.

اَلْجَوَابُ: أَنَّهُ يَفِرُّ عَنِ السِّيَاسَةِ بِشِدَّةٍ؛ لِئَلَّا يَجْعَلَ سَعْيَهُ وَتَحْصِيلَهُ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ

الَّتِي تَزِيدُ عَلٰى مِلْيَارَاتِ السِّنِينَ ، فِدَاءً لِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْمَشْكُوكَةِ ؛ وَذٰلِكَ بِالتَّدَخُّلِ فِيهَا بِوَجْهٍ غَيْرِ لَازِمٍ ، وَبِدُونِ طَائِلٍ ؛ وَيَفِرُّ عَنْهَا أَيْضاً لِخِدْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، الَّتِي هِيَ أَهَمُّ وَأَلْزَمُ وَأَصْفٰى وَأَحَقُّ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنِّي أَكْتَهِلُ ؛ وَلَا أَعْلَمُ كَمْ سَنَةً أَعِيشُ بَعْدَ هٰذَا الْعُمُرِ ؛ فَإِذاً إِنَّ الْأَهَمَّ لِي ، أَنْ أَعْمَلَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ . وَمِفْتَاحُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْوَاسِطَةُ الْأُولٰى فِي تَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، هُوَ الْإِيمَانُ ؛ فَيَلْزَمُ السَّعْيُ لَهُ ؛ وَلٰكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْدُمَ النَّاسَ أَيْضاً ، بِاعْتِبَارِ الْعِلْمِ ؛ لِأَنِّي مُكَلَّفٌ شَرْعاً بِالْخِدْمَةِ ؛ لِأُفِيدَهُمْ نَفْعاً ؛ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ الْخِدْمَةَ ، إِمَّا أَنْ تَعُودَ إِلَى الْحَيَاةِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ؛ وَهِيَ لَا تَتَأَتّٰى مِنِّي ؛ وَأَيْضاً لَا تُؤَدّٰى خِدْمَةٌ سَلِيمَةٌ ، فِي زَمَنٍ عَاصِفٍ . فَلِذٰلِكَ تَرَكْتُ تِلْكَ الْجِهَةَ ؛ وَرَجَّحْتُ جِهَةَ خِدْمَةِ الْإِيمَانِ ، الَّتِي هِيَ أَهَمُّ وَأَلْزَمُ وَأَسْلَمُ ؛ وَأَتْرُكُ الْبَابَ مَفْتُوحاً لِوُصُولِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي كَسَبْتُهَا لِنَفْسِي ، وَالْأَدْوِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي جَرَّبْتُهَا فِي نَفْسِي ، إِلٰى أَيْدِي سَائِرِ النَّاسِ ؛ لَعَلَّ اللّٰهَ تَعَالٰى ، يَقْبَلُ هٰذِهِ الْخِدْمَةَ ؛ وَيَجْعَلُهَا كَفَّارَةً لِذُنُوبِيَ الْقَدِيمَةِ . وَلَا حَقَّ لِأَحَدٍ أَنْ يُعَارِضَ هٰذِهِ الْخِدْمَةَ ، مُؤْمِناً كَانَ أَوْ كَافِراً ، صِدِّيقاً كَانَ أَوْ زِنْدِيقاً ، سِوَى الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؛ لِأَنَّ عَدَمَ الْإِيمَانِ لَا يُشْبِهُ أُمُوراً أُخْرٰى ؛ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ فِي الظُّلْمِ وَالْفِسْقِ وَالْكَبَائِرِ ، لَذَائِذُ شَيْطَانِيَّةٌ مَنْحُوسَةٌ ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ فِي عَدَمِ الْإِيمَانِ ، جِهَةُ لَذَّةٍ أَصْلاً ؛ فَإِنَّهُ أَلَمٌ فِي أَلَمٍ ، وَظُلْمَةٌ فِي ظُلْمَةٍ ، وَعَذَابٌ فِي عَذَابٍ . فَتَرْكُ السَّعْيِ لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَتَرْكُ الْخِدْمَةِ لِنُورٍ قُدُسِيٍّ مِثْلِ الْإِيمَانِ ، وَالْاِشْتِغَالُ فِي زَمَنِ الشَّيْبِ ، بِمَلَاهِي السِّيَاسَةِ الْخَطِرَةِ وَغَيْرِ اللَّازِمَةِ ، جُنُونٌ وَخِلَافُ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ ، فِي إِنْسَانٍ وَحِيدٍ مِثْلِي ، مُضْطَرٍّ لِطَلَبِ الْكَفَّارَةِ لِذُنُوبِهِ الْقَدِيمَةِ ؛ لَا صِلَةَ لَهُ بِشَيْءٍ . يَفْهَمُ ذٰلِكَ الْمَجَانِينُ أَيْضاً . .

فَأَمَّا إِنْ قُلْتَ : لِمَاذَا تَمْنَعُكَ خِدْمَةُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ، عَنِ السِّيَاسَةِ ؟ .

فَأَقُولُ : إِنَّ الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ وَالْقُرْآنِيَّةَ ، هِيَ فِي حُكْمِ الْجَوَاهِرِ ؛ مَعَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ مُشْتَغِلاً بِالسِّيَاسَةِ ؛ لَقِيلَ لِتِلْكَ الْجَوَاهِرِ الَّتِي بِيَدِي ، مِنْ جَانِبِ الْعَوَامِّ الَّذِينَ يُخْدَعُونَ : أَلَيْسَتْ دِعَايَةً لِلسِّيَاسَةِ ، لِجَلْبِ الْأَتْبَاعِ ؟ فَيَتَفَكَّرُونَ كَذٰلِكَ ؛ وَيَنْظُرُونَ إِلٰى تِلْكَ الْجَوَاهِرِ ،

بِنَظَرِ الزُّجَاجَاتِ الْعَادِيَّةِ ؛ فَحِينَئِذٍ أَظْلِمُ تِلْكَ الْجَوَاهِرَ ، بِتَمَاسِّ تِلْكَ السِّيَاسَةِ ؛ وَيَكُونُ ذٰلِكَ بِمَثَابَةِ تَنْزِيلِ قِيمَتِهَا . .

فَيَا أَهْلَ الدُّنْيَا ! لِمَ تَشْتَغِلُونَ بِي ؛ وَلَا تَتْرُكُونَنِي فِي حَالِي ؟ .

فَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّ الْمَشَايِخَ قَدْ يَتَدَخَّلُونَ فِي شُؤُونِنَا ؛ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ لَكَ : **«الشَّيْخُ»** . .

فَأَقُولُ : أَيُّهَا السَّادَةُ ! إِنِّي لَسْتُ شَيْخاً ؛ وَإِنَّمَا أَنَا عَالِمٌ ؛ وَالدَّلِيلُ عَلٰى هٰذَا أَنَّهُ صَارَ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ ؛ وَأَنَا هٰهُنَا ؛ فَلَوْ أَعْطَيْتُ الطَّرِيقَةَ شَخْصاً وَاحِداً ؛ لَكَانَ لَكُمْ حَقٌّ فِي الشُّبْهَةِ ؛ بَلْ إِنِّي قُلْتُ لِكُلِّ مَنْ أَتَانِي : إِنَّهُ يَلْزَمُ الْإِيمَانُ ؛ وَيَلْزَمُ الْإِسْلَامُ ؛ وَلَيْسَ زَمَنَ الطَّرِيقَةِ . .

فَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَكَ : «سَعِيدٌ الْكُرْدِيُّ» ؛ فَلَعَلَّ فِيكَ فِكْرَةَ الْعُنْصُرِيَّةِ ؛ وَهِيَ لَا تَتَّفِقُ وَشَأْنَنَا . .

فَأَنَا أَقُولُ : أَيُّهَا السَّادَةُ ! إِنَّ مَا كَتَبَهُ **«السَّعِيدُ الْقَدِيمُ»** وَ **«السَّعِيدُ الْجَدِيدُ»** ، فِي مُتَنَاوَلِ الْيَدِ ؛ فَأُشْهِدُهَا عَلٰى أَنِّي نَظَرْتُ مُنْذُ الْقَدِيمِ ، إِلَى الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، بِأَنَّهَا سُمٌّ قَاتِلٌ ؛ لِأَنَّهَا نَوْعُ عِلَّةٍ إِفْرَنْجِيَّةٍ ، مِنْ عِلَلِ أُورُوبَّا ؛ وَأَتَفَكَّرُ أَنَّ أُورُوبَّا أَلْقَتْ تِلْكَ الْعِلَّةَ الْإِفْرَنْجِيَّةَ ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَتّٰى يَتَفَرَّقُوا وَيَتَمَزَّقُوا فَيَسْتَعِدُّوا لِابْتِلَاعِهَا لَهُمْ . وَإِنَّ تَلَامِيذِي وَأَصْدِقَائِي الَّذِينَ يَتَّصِلُونَ بِي ، يَعْلَمُونَ أَنِّي سَعَيْتُ مُنْذُ الْقَدِيمِ لِلتَّدَاوِي ، ضِدَّ تِلْكَ الْعِلَّةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ بِالْحُكْمِ الْقَاطِعِ بِـ **«أَنَّ الْإِسْلَامِيَّةَ جَبَّتِ الْعَصَبِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ»** . . فَإِذَا كَانَ هٰكَذَا ؛ فَمَا هُوَ السَّبَبُ لِتَضْيِيقِكُمْ عَلَيَّ ، بِاتِّخَاذِكُمْ كُلَّ حَادِثَةٍ ، وَسِيلَةً لِذٰلِكَ ، أَيُّهَا السَّادَةُ ! .

فَيَا عَجَباً ! إِنَّ تَضْيِيقَكُمْ عَلَيَّ ، فِي كُلِّ حَادِثَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ ، الَّذِي هُوَ مِنْ قَبِيلِ إِدَانَةِ جُنْدِيٍّ وَتَعْذِيبِهِ فِي الْغَرْبِ ، بِمُنَاسَبَةِ التَّجَنُّدِ ؛ إِذَا أَخْطَأَ جُنْدِيٌّ فِي الشَّرْقِ ، أَوْ مِنْ قَبِيلِ الْحُكْمِ عَلٰى حَانُوتِيٍّ فِي بَغْدَادَ ، بِجِنَايَةِ حَانُوتِيٍّ فِي إِسْطَنْبُولَ ، بِمُنَاسَبَةِ كَوْنِهِ حَانُوتِيّاً ، بِأَيِّ قَانُونٍ هُوَ ؟ وَأَيُّ وِجْدَانٍ يَحْكُمُ بِذٰلِكَ ؟ وَأَيَّةُ مَصْلَحَةٍ تَقْتَضِيهِ ؟ .

اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :

أَنَّ أَصْدِقَائِي الَّذِينَ يُلاحِظُونَ حَالِي وَاسْتِرَاحَتِي ؛ وَيَسْتَغْرِبُونَ سُكُوتِي مَعَ الصَّبْرِ إِزَآءَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، لَهُمْ سُؤَالٌ هٰكَذَا ؛ وَهُوَ : أَنَّكَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلٰى مَا يَنْزِلُ بِكَ مِنَ الْمَشَاقِّ وَالْمُضَايَقَاتِ ؛ مَعَ أَنَّكَ كُنْتَ مُنْذُ الْقَدِيمِ غَضُوباً وَمُعْتَزّاً ؛ لا تَحْمِلُ أَدْنٰى تَحْقِيرٍ ؟ .

فَأَقُولُ : اسْتَمِعُوا إِلٰى حِكَايَتَيْنِ وَحَادِثَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ ؛ فَخُذُوا مِنْهُمَا جَوَابَهُ . .

اَلْحِكَايَةُ الْأُولٰى : أَنَّ مُدِيراً تَكَلَّمَ فِي حَقِّي قَبْلَ سِنِينَ ، بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، بِدُونِ سَبَبٍ ، أَقْوَالاً مُزَيِّفَةً وَمُهِينَةً ؛ ثُمَّ ذَكَرُوهَا لِي ؛ فَتَأَثَّرْتُ مِنْهَا مِقْدَارَ سَاعَةٍ ، بِعَصَبِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ؛ ثُمَّ وَرَدَتْ عَلٰى قَلْبِي ، بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالٰى ، حَقِيقَةٌ أَزَالَتْ مَا بِي مِنَ الضِّيقِ ؛ وَحَمَلَتْنِي عَلٰى أَنْ سَامَحْتُ ذٰلِكَ الشَّخْصَ . وَهِيَ : أَنِّي قُلْتُ لِنَفْسِي : إِنْ كَانَ تَحْقِيرُهُ وَمَا بَيَّنَهُ مِنَ الْمَسَاوِي ، عَائِدَةً إِلٰى نَفْسِي ؛ فَسَامَحَهُ اللهُ ، حَيْثُ يَذْكُرُ عُيُوبَ نَفْسِي . فَإِنْ صَدَقَ ؛ فَإِنَّهُ يَدْفَعُنِي إِلٰى تَرْبِيَةِ نَفْسِي ؛ وَذٰلِكَ إِعَانَةٌ لِإِنْقَاذِي مِنَ الْغُرُورِ . فَإِنْ كَذَبَ ؛ فَذٰلِكَ مَعُونَةٌ لِنَجَاتِي مِنَ الرِّيَاءِ وَالشُّهْرَةِ الَّتِي هِيَ أَسَاسُهَا . نَعَمْ : إِنِّي مَا صَالَحْتُ نَفْسِي ؛ لِأَنِّي مَا أَدَّبْتُهَا ؛ فَإِنْ كَانَ فِي رَقَبَتِي أَوْ فِي عُنُقِي عَقْرَبٌ ؛ فَذَكَرَهَا أَحَدٌ ؛ أَوْ أَرَاهَا ؛ يَلْزَمُ الشُّكْرُ لَهُ ، لَا السَّخَطُ عَنْهُ . وَإِنْ كَانَتْ تَحْقِيرَاتُ ذٰلِكَ الشَّخْصِ ، عَائِدَةً إِلٰى صِفَتِي الَّتِي هِيَ خِدْمَتِي لِلْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ؛ فَلَيْسَتْ عَائِدَةً إِلَيَّ ؛ وَإِنِّي أُحِيلُ ذٰلِكَ الشَّخْصَ ، عَلٰى صَاحِبِ الْقُرْآنِ ، صَاحِبِهِ الَّذِي يَسْتَخْدِمُنِي ؛ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الشَّتْمِ وَالتَّحْقِيرِ وَالتَّزْيِيفِ عَلَيَّ ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ عَائِدَةً إِلَيَّ أَيْضاً ؛ فَإِنِّي مَنْفِيٌّ وَأَسِيرٌ وَغَرِيبٌ وَمَغْلُولُ الْأَيْدِي ؛ فَلَيْسَ لِي أَنْ أَعْمَلَ لِإِصْلاحِ عِزَّتِي بِيَدِي ؛ بَلْ ذٰلِكَ عَائِدٌ إِلٰى هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الَّتِي تَضَيَّفْتُهَا وَالَّتِي تُرَاقِبُنِي ، ثُمَّ عَائِدٌ إِلٰى حُكَّامِ الْقَضَاءِ ، ثُمَّ إِلٰى حُكَّامِ الْوِلايَةِ ؛ فَإِنَّ تَحْقِيرَ مَنْ بِيَدِ إِنْسَانٍ ، مِنْ أَسِيرِهِ ، يَعُودُ إِلٰى مَالِكِهِ ؛ وَهُوَ يُدَافِعُ عَنْهُ . وَلَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ هٰذِهِ ، هِيَ الْحَقِيقَةُ ؛ اسْتَرَاحَ قَلْبِي ؛ وَقُلْتُ : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞﴾ ؛ فَحَسِبْتُ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ ؛

كَأَنَّهَا لَمْ تَقَعْ ؛ وَنَسِيتُهَا ؛ وَلٰكِنْ ثُمَّ عُلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَعْفُ عَنْهُ ، مَعَ الْأَسَفِ . .

﴿ اَلْحِكَايَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنِّي سَمِعْتُ فِي هٰذِهِ السَّنَةِ ، أَنَّهُ وَقَعَتْ حَادِثَةٌ ؛ فَلَقِيتُ مُعَامَلَةً كَأَنِّي كُنْتُ ذَا صِلَةٍ جِدِّيَّةٍ بِتِلْكَ الْوَاقِعَةِ ؛ مَعَ أَنِّي سَمِعْتُهَا إِجْمَالاً فَقَطْ ، بَعْدَ وُقُوعِهَا . هٰذَا ، عَلٰى أَنَّنِي كُنْتُ لَا أُرَاسِلُ . فَإِنْ أُرَاسِلْ ؛ فَإِنَّمَا كُنْتُ أَكْتُبُ إِلٰى صَدِيقٍ لِي مَسْأَلَةً إِيمَانِيَّةً ؛ وَذٰلِكَ نَادِرٌ جِدّاً ؛ حَتّٰى إِنِّي كَتَبْتُ إِلٰى شَقِيقِي ، فِي أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ ، رِسَالَةً وَاحِدَةً ؛ فَكُنْتُ أَمْنَعُ نَفْسِي عَنِ الِاخْتِلَاطِ ؛ وَكَانَ يَمْنَعُنِي أَهْلُ الدُّنْيَا أَيْضاً . وَإِنَّمَا كُنْتُ أَجْتَمِعُ مَعَ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ مِنَ الْأَحْبَابِ ، فِي الْأُسْبُوعِ مَرَّةً وَاحِدَةً . وَأَمَّا الضُّيُوفُ الْقَادِمُونَ إِلَى الْقَرْيَةِ ؛ فَكَانَ يَجْتَمِعُ بِي فِي الشَّهْرِ ، وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ مِنْهُمْ ، لِمَسْأَلَةٍ أُخْرَوِيَّةٍ ، لِمُدَّةِ دَقِيقَةٍ أَوْ دَقِيقَتَيْنِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . فَكَانُوا مَنَعُونِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَعَنْ كُلِّ أَحَدٍ ، فِي حَالِ غُرْبَتِي هٰذِهِ ؛ وَأَنَا غَرِيبٌ وَوَحِيدٌ وَبِدُونِ قَرِيبٍ ، فِي قَرْيَةٍ لَا تُوَافِقُ أَمْثَالِي لِلسَّعْيِ مِنْ أَجْلِ النَّفَقَةِ ؛ حَتّٰى إِنِّي عَمَّرْتُ مَسْجِداً كَانَ مُنْهَدِماً ، قَبْلَ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ ؛ فَأَمَمْتُ فِي ذٰلِكَ الْمَسْجِدِ أَرْبَعَ سِنِينَ – تَقَبَّلَ اللهُ – لِأَنَّ وَثِيقَةَ الْإِمَامَةِ وَالْوَعْظِ فِي وَطَنِي ، كَانَتْ بِيَدِي ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ مَا اسْتَطَعْتُ الذَّهَابَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فِي رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ هٰذَا الْمَاضِي ؛ فَصَلَّيْتُ أَحْيَاناً مُنْفَرِداً ؛ فَحُرِمْتُ عَنْ ثَوَابِ الصَّلَاةِ الْمُؤَدَّاةِ بِالْجَمَاعَةِ ، خَمْسَةً وَعِشْرِينَ أَجْراً ؛ فَصَبَرْتُ وَتَحَمَّلْتُ هَاتَيْنِ الْحَادِثَتَيْنِ ؛ كَمَا صَبَرْتُ عَلٰى مُعَامَلَةِ ذٰلِكَ الْمُوَظَّفِ ، قَبْلَ سَنَتَيْنِ . وَإِنِّي سَأُدَاوِمُ عَلَيْهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . فَأَتَفَكَّرُ وَأَقُولُ : إِنَّ مَا نَزَلَ بِي مِنْ هٰذَا الْأَذٰى وَالضِّيقِ وَالتَّضْيِيقِ مِنْ جَانِبِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، إِنْ كَانَ مِنْ أَجْلِ نَفْسِي ذَاتِ الْعَيْبِ وَالْقُصُورِ ؛ فَإِنِّي أَعْفُو عَنْهُ ؛ فَلَعَلَّ نَفْسِي تَصْلُحُ بِهٰذَا ؛ وَيَصِيرُ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهَا . وَقَدْ رَأَيْتُ صَفَاءَ مَضِيفِ هٰذِهِ الدُّنْيَا كَثِيراً ؛ فَإِنْ أَجِدْ قَلِيلاً مِنْ جَفَائِهَا ؛ أَشْكُرِ اللهَ أَيْضاً . وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا يَضْطَهِدُونَنِي مِنْ جِهَةِ خِدْمَتِي لِلْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّ الدِّفَاعَ عَنْ ذٰلِكَ لَيْسَ عَائِداً إِلَيَّ ؛ فَإِنِّي أُحِيلُهُ إِلَى الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ . وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ نَقْضَ تَوَجُّهِ الْعَامَّةِ فِي حَقِّي ، لِهَضْمِ شُهْرَةٍ كَاذِبَةٍ لَا أَصْلَ لَهَا ؛ تُنْتِجُ الرِّيَاءَ ؛ وَتَنْقُضُ الْإِخْلَاصَ ؛ فَعَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ ؛ لِأَنَّ الْحُصُولَ عَلٰى تَوَجُّهِ الْعَامَّةِ ، وَكَسْبَ

الشُّهْرَةِ فِي نَظَرِ النَّاسِ ، ضَرَرٌ لِأَشْخَاصٍ مِثْلِي . وَأَظُنُّ أَنَّ الَّذِينَ يَتَّصِلُونَ بِي ؛ يَعْلَمُونَ أَنِّي لا أَطْلُبُ الِاحْتِرَامَ لِشَخْصِي ؛ بَلْ أَكْرَهُهُ ؛ حَتّى إِنَّ أَهَمَّ صَدِيقٍ قَيِّمٍ مِنْ أَصْدِقَائِي ، لَعَلِّي زَجَرْتُهُ خَمْسِينَ مَرَّةً ، لِمُبَالَغَتِهِ فِي احْتِرَامِي . وَإِنْ كَانَ مُرَادُهُمْ مِنْ تَزْيِيفِي وَإِسْقَاطِي وَتَنْزِيلِي عَنِ الْأَفْكَارِ الْعَامَّةِ ، عَائِداً إِلَى الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي أُتَرْجِمُهَا ؛ فَذٰلِكَ هَبَاءٌ ؛ لِأَنَّ نُجُومَ الْقُرْآنِ لا تُغَطّى . فَمَنْ أَغْمَضَ بَصَرَهُ ؛ فَلا يَرى وَحْدَهُ ؛ وَلَنْ يَجْعَلَ ذٰلِكَ لَيْلاً عَلى غَيْرِهِ . .

اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ : جَوَابٌ لِعِدَّةِ أَسْئِلَةٍ مُوهِمَةٍ :

اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : يَقُولُ لِي أَهْلُ الدُّنْيَا : بِمَاذَا تَعِيشُ ؟ وَكَيْفَ تَعِيشُ بِدُونِ عَمَلٍ ؟ وَإِنَّنَا لا نُرِيدُ الْقَاعِدِينَ كَسَلاً ، وَالْمُتَعَيِّشِينَ بِسَعْيِ غَيْرِهِمْ ، فِي بِلادِنَا . .

فَالْجَوَابُ : أَنِّي أَعِيشُ بِالْبَرَكَةِ وَالِاقْتِصَادِ ؛ وَلا أَقْبَلُ مِنَّةَ أَحَدٍ سِوى رَزَّاقِي ؛ وَقَدْ قَرَّرْتُ عَدَمَ قَبُولِهَا . . **نَعَمْ** : إِنَّ مَنْ يَعِيشُ فِي الْيَوْمِ بِمِئَةِ بَارَةٍ(١) ، بَلْ أَرْبَعِينَ بَارَةً ، لا يَحْمِلُ مِنَّةَ غَيْرِهِ . وَكُنْتُ لا أَشْتَهِي إِيضَاحَ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَصْلاً ؛ فَلَعَلَّهُ يُشْعِرُ بِغُرُورٍ وَتَكَبُّرٍ ؛ فَبَيَانُهَا غَيْرُ مُسْتَحَبٍّ إِلَيَّ جِدّاً ، بِسَبَبِ هٰذَا الْفِكْرِ ؛ وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا ، يَسْأَلُونَهَا بِشَكْلٍ مُوهِمٍ ؛ فَأَقُولُ : إِنَّ مِنْ دَسَاتِيرِ حَيَاتِي ، عَدَمَ قَبُولِ أَمْوَالِ النَّاسِ ؛ وَلَوْ كَانَتْ زَكَاةً ، مُنْذُ صِبَايَ ، وَعَدَمَ قَبُولِ الرَّاتِبِ – إِلّا أَنِّي اضْطُرِرْتُ لِقَبُولِهِ بِإِجْبَارِ أَصْدِقَائِي ، سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ ، فِي **دَارِ الْحِكْمَةِ الْإِسْلامِيَّةِ** – وَعَدَمَ الدُّخُولِ تَحْتَ الْمِنَّةِ ، لِلْمَعِيشَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ . وَأَهْلُ بِلادِي ، وَمَنْ يَعْرِفُونَنِي فِي أَمَاكِنَ أُخْرى ، يَعْلَمُونَ هٰذَا . وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَصْدِقَاءِ اجْتَهَدُوا كَثِيراً لِقَبُولِ هَدَايَاهُمْ ، فِي هٰذِهِ السِّنِينَ الْخَمْسِ مِنْ نَفْيِي ؛ فَلَمْ أَقْبَلْهَا . **فَإِذَا قِيلَ : فَإِذاً كَيْفَ تَعِيشُ ؟ أَقُولُ : إِنِّي أَعِيشُ بِالْبَرَكَةِ وَالْإِكْرَامِ الْإِلٰهِيِّ . فَإِنَّ نَفْسِي ، وَإِنْ كَانَتْ**

---

(١) اَلْبَارَةُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ الْقِرْشِ ؛ فَأَرْبَعُونَ بَارَةً ، قِرْشٌ وَاحِدٌ ؛ وَمِئَةُ بَارَةٍ ، قِرْشَانِ وَنِصْفٌ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله عنه) . .

تَسْتَحِقُّ كُلَّ حَقَارَةٍ وَإِهَانَةٍ ؛ إِلَّا أَنِّي أَصِيرُ مَظْهَراً لِلْبَرَكَةِ الَّتِي هِيَ الْإِكْرَامُ الْإِلٰهِيُّ ، فِي خُصُوصِ الرِّزْقِ ؛ وَذٰلِكَ كَرَامَةٌ لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ. وَأَذْكُرُ بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ مِنَ الْإِحْسَانَاتِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ تَعَالٰى ، بِهَا عَلَيَّ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ قَبِيلِ شُكْرٍ مَعْنَوِيٍّ . وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُشْعِرَ بِالْغُرُورِ وَالرِّيَاءِ ، مَعَ كَوْنِهَا شُكْراً مَعْنَوِيّاً ؛ فَتَنْقَطِعَ تِلْكَ الْبَرَكَةُ الْمُبَارَكَةُ ؛ لِأَنَّ إِظْهَارَ الْبَرَكَةِ الْخَفِيَّةِ ، عَلٰى وَجْهِ الْفَخْرِ ، يُؤَدِّي إِلٰى قَطْعِهَا ؛ وَلٰكِنْ مَا الْحِيلَةُ ؟ فَقَدِ اضْطُرِرْتُ لِذِكْرِهَا . .

فَمِنْهَا : أَنَّ كَيْلَةَ قَمْحٍ ؛ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ رَغِيفاً ، كَفَتْنِي هٰذِهِ الْأَشْهُرَ السِّتَّةَ ؛ وَلَمْ تَنْفَدْ بَعْدُ ؛ وَلَا أَدْرِي مَا سَتَكْفِينِي . .[(١)]

وَثَانِيهَا : أَنَّهُ أَتَانِي الطَّعَامُ ، مِنْ بَيْتَيْنِ فَقَطْ ، فِي رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ هٰذَا ؛ فَأَمْرَضَنِي كِلَاهُمَا ؛ فَعَلِمْتُ أَنِّي مَمْنُوعٌ عَنْ أَكْلِ طَعَامِ الْغَيْرِ ؛ وَكَفَانِي فِي جَمِيعِ مَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ ، ثَلَاثَةُ أَرْغِفَةٍ ، وَأُوقِيَّةٌ مِنَ الرُّزِّ ، بِشَهَادَةِ (عَبْدِ اللهِ شَاوِيش) رَفِيقِي الصَّادِقِ ، وَصَاحِبِ الدَّارِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي كَفَلَتْ مُؤْنَتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ حَتّٰى إِنَّ الْأَرُزَّ نَفِدَ بَعْدَ رَمَضَانَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً . .

وَثَالِثُهَا : أَنَّ أُوقِيَّةً مِنْ سَمْنِ الزُّبْدِ كَفَتْنِي وَكَفَتْ ضُيُوفِي بِالْجَبَلِ ، ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، مَعَ أَكْلِهِ بِالْخُبْزِ كُلَّ يَوْمٍ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ كَانَ لِيَ ضَيْفٌ مُبَارَكٌ ، اسْمُهُ سُلَيْمَانُ ؛ وَكَانَ خُبْزِي وَخُبْزُهُ يَنْتَهِي ؛ وَالْيَوْمُ أَرْبِعَاءُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : اِذْهَبْ وَائْتِ بِالْخُبْزِ ؛ فَقَالَ : لَا يُوجَدُ أَحَدٌ فِي كُلِّ جَوَانِبِنَا ، مُنْذُ سَاعَتَيْنِ ؛ حَتّٰى يُشْتَرٰى مِنْهُ الْخُبْزُ ؛ وَإِنِّي أَوَدُّ أَنْ نَدْعُوَ مَعاً عِنْدَكَ فِي هٰذَا الْجَبَلِ ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ؛ فَقُلْتُ : اِبْقَ ؛ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ . ثُمَّ مَشَيْنَا ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا مُنَاسَبَةَ ؛ وَلَا يُوجَدُ سَبَبٌ لِلْمَشْيِ ، إِلٰى أَنْ صَعَدْنَا عَلٰى ذُرْوَةِ جَبَلٍ . وَكَانَ فِي الْإِبْرِيقِ قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ ؛ وَمَعَنَا شَيْءٌ قَلِيلٌ مِنَ الشَّايِ وَالسُّكَّرِ ؛ فَقُلْتُ : أَخِي ! اطْبُخْ قَلِيلاً مِنَ الشَّايِ ؛ فَشَرَعَ هُوَ

---

(١) وَقَدْ دَامَتْ سَنَةً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

بِذٰلِكَ ؛ وَجَلَسْتُ أَنَا تَحْتَ شَجَرَةِ قَطِرَانٍ تُشْرِفُ عَلٰى وَادٍ عَمِيقٍ ؛ فَفَكَّرْتُ مُتَأَسِّفاً : أَنَّ مَعَنَا قِطْعَةَ خُبْزٍ عَتِيقٍ ، تَكْفِينَا هٰذَا الْمَسَاءَ ، فَقَطْ . فَكَيْفَ نُدَبِّرُ الْيَوْمَيْنِ ؟ وَمَاذَا أَقُولُ لِهٰذَا الرَّجُلِ الصَّافِي الْقَلْبِ ؟ . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أُفَكِّرُ فِي ذٰلِكَ ، إِذْ حَوَّلْتُ رَأْسِي ؛ كَأَنَّهُ تَحَوَّلَ بِدُونِ اخْتِيَارِي ؛ فَرَأَيْتُ رَغِيفاً كَبِيراً فَوْقَ شَجَرَةِ الْقَطِرَانِ ؛ يَنْظُرُ إِلَيْنَا بَيْنَ أَغْصَانِهَا ؛ فَقُلْتُ أَبْشِرْ يَا سُلَيْمَانُ ! لَقَدْ أَعْطَانَا اللهُ الرِّزْقَ . فَأَخَذْنَا ذٰلِكَ الرَّغِيفَ ؛ وَنَظَرْنَا إِلَيْهِ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَمَسَّهُ أَحَدٌ مِنَ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ ؛ وَقَدْ مَضٰى عِشْرُونَ أَوْ ثَلَاثُونَ يَوْماً ؛ وَلَمْ يَطْلَعْ أَيُّ إِنْسَانٍ إِلٰى تِلْكَ الذُّرْوَةِ ؛ فَكَفَانَا ذٰلِكَ الرَّغِيفُ يَوْمَيْنِ ؛ وَكُنَّا نَأْكُلُهُ ؛ وَأَوْشَكَ عَلَى النَّفَادِ ، إِذْ طَلَعَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَقِيمُ صَدِيقِيَ الصَّادِقُ مُنْذُ أَرْبَعِ سِنِينَ ، مِنَ السَّافِلِ مَعَ الْخُبْزِ . .

وَرَابِعُهَا : أَنَّ هٰذَا الْمِعْطَفَ الَّذِي عَلَيَّ ، قَدِ اشْتَرَيْتُهُ عَتِيقاً ، قَبْلَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ ؛ وَقَدْ مَضٰى خَمْسُ سِنِينَ ؛ وَاكْتَفَيْتُ بِأَرْبَعِ لَيْرَاتٍ وَنِصْفٍ ، لِلدِّثَارِ وَالشِّعَارِ وَالنَّعْلِ وَالْجَوْرَبِ ؛ فَكَفَتْنِيَ الْبَرَكَةُ وَالِاقْتِصَادُ وَالرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ . فَمِثْلُ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ تُوجَدُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَلِلْبَرَكَةِ الْإِلٰهِيَّةِ جِهَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ يَعْرِفُ أَهْلُ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ كَثِيراً مِنْهَا ؛ وَلٰكِنْ إِيَّاكُمْ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي أَذْكُرُ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةَ لِلْفَخْرِ ؛ بَلِ اضْطُرِرْتُ إِلٰى ذِكْرِهَا ؛ وَلَا تَفَكَّرُوا أَنَّهَا مَدَارُ فَضْلٍ لِي ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ الْبَرَكَاتِ ، إِمَّا إِحْسَانٌ مِنَ اللهِ لِأَحْبَابِيَ الْمُخْلِصِينَ الْقَادِمِينَ إِلَيَّ ، وَإِمَّا إِكْرَامٌ لِلْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَإِمَّا فَائِدَةٌ مُبَارَكَةٌ مِنْ فَوَائِدِ الِاقْتِصَادِ ، وَإِمَّا أَنَّهَا أَرْزَاقُ السَّنَانِيرِ الْأَرْبَعَةِ عِنْدِي الَّتِي تَذْكُرُ اللهَ بِـ **(يَا رَحِيمُ ، يَا رَحِيمُ !)** ؛ فَتَأْتِي أَرْزَاقُهَا عَلٰى صُورَةِ الْبَرَكَةِ ؛ فَأَسْتَفِيدُ مِنْهَا . **نَعَمْ : إِنِ اسْتَمَعْتَ بِدِقَّةٍ إِلٰى خَرْخَرَتِهَا الْحَزِينَةِ ؛ تَفْهَمُ أَنَّهَا تَذْكُرُ (يَا رَحِيمُ ، يَا رَحِيمُ) .**

وَقَدْ أَتٰى بَحْثُ السِّنَّوْرِ ؛ فَذَكَّرَ الدَّجَاجَةَ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ لِي دَجَاجَةٌ ، كَجِهَازِ الْبَيْضِ فِي هٰذِهِ الشِّتَاءِ ؛ تَأْتِي لِي كُلَّ يَوْمٍ ، بِبَيْضَةٍ مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، مَعَ فَاصِلَةٍ قَلِيلَةٍ جِدّاً ؛ وَإِنَّهَا أَتَتْ يَوْماً بِبَيْضَتَيْنِ ؛ فَبَقِيتُ فِي الْحَيْرَةِ ؛ وَسَأَلْتُ أَصْدِقَائِي : هَلْ يَحْدُثُ مِثْلُ هٰذَا ؟ فَقَالُوا : لَعَلَّهُ إِحْسَانٌ إِلٰهِيٌّ . وَكَانَ لِهٰذِهِ الدَّجَاجَةِ فَرْخٌ صَغِيرٌ أَفْرَخَتْهُ فِي الصَّيْفِ ؛ فَشَرَعَ فِي الْبَيْضِ ، فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ؛ وَدَامَ إِلٰى أَرْبَعِينَ يَوْماً . فَلَمْ يَبْقَ لِي وَلَا لِمَنْ يَخْدُمُونَنِي ، شُبْهَةٌ : أَنَّ

حَالَهُ الْمُبَارَكَ هٰذَا ، فِي الشِّتَاءِ ، وَفِي رَمَضَانَ ، إِكْرَامٌ إِلٰهِيٌّ . وَأَيْضاً مَتَى قَطَعَتْ وَالِدَتُهُ ؛ شَرَعَ عَقِبَهَا ؛ فَلَمْ يَتْرُكْنِي بِلَا بَيْضٍ . .

اَلسُّؤَالُ الْمُوهِمُ الثَّانِي :

يَقُولُ أَهْلُ الدُّنْيَا : كَيْفَ نَأْمَنُ بِكَ أَنَّكَ لَا تُخَالِطُ دُنْيَانَا ؟ فَلَعَلَّكَ تُخَالِطُهَا ؛ إِنْ أَطْلَقْنَاكَ ؛ وَكَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَحْتَالُ ؟ فَتُظْهِرُ أَنَّكَ تَارِكُ الدُّنْيَا ؛ وَلَا تَأْخُذُ أَمْوَالَ النَّاسِ ظَاهِراً ؛ وَتَقْبَلُهَا سِرّاً ؛ وَكَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ خَدِيعَةً ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ حَالِي وَوَضْعِي قَبْلَ الْحُرِّيَّةِ ، وَفِي دِيوَانِ الْحَرْبِ الْعُرْفِيِّ ، قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً ، الْمَعْلُومَيْنِ لِكَثِيرِينَ ، وَدِفَاعَاتِي فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، فِي دِيوَانِ الْحَرْبِ ، الْمُسَمَّاةِ «بِشَهَادَةِ مَدْرَسَتَيِ الْمُصِيبَةِ» ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلٰى أَنِّي قَضَيْتُ الْحَيَاةَ بِشَكْلٍ لَمْ أَتَنَزَّلْ إِلٰى خَدِيعَةٍ ، بَلْ إِلٰى أَدْنٰى حِيلَةٍ . فَلَوْ كَانَتِ الْحِيَلُ ؛ لَالْتَجَأْتُ إِلَيْكُمُ الْتِجَاءَ الْمُتَمَلِّقِ ، خِلَالَ هٰذِهِ السِّنِينَ الْخَمْسِ ؛ فَإِنَّ الْمُحْتَالَ ؛ يُحَبِّبُ نَفْسَهُ ؛ وَلَا يَحْفَظُ وَقَارَهُ ؛ فَيَعْمَلُ دَائِماً لِلْإِغْفَالِ وَالْخِدَاعِ ؛ مَعَ أَنِّي لَمْ أَتَنَزَّلْ إِلَى التَّذَلُّلِ لَكُمْ ، رَغْمَ أَهَمِّ هَجَمَاتٍ وَانْتِقَادَاتٍ عَلَيَّ ؛ فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ؛ وَحَوَّلْتُ ظَهْرِي إِلٰى أَهْلِ الدُّنْيَا . وَإِنَّ مَنْ عَلِمَ الْآخِرَةَ ؛ وَكَشَفَ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا ؛ لَا يَنْدَمُ وَلَا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا ؛ فَلَا يَشْتَغِلُ بِهَا مِنْ جَدِيدٍ ؛ وَإِنَّ إِنْسَاناً وَحِيداً لَا صِلَةَ لَهُ بِشَيْءٍ ، بَعْدَ خَمْسِينَ عَاماً مِنْ عُمُرِهِ ، لَا يَفْدِي بِحَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ ، لِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ ، مِنْ أَقَاوِيلِ الدُّنْيَا وَأَكَاذِيبِهَا ؛ وَإِنْ فَدٰى بِهَا ؛ لَا يَكُونُ حَيَّالاً ؛ بَلْ يَكُونُ مَجْنُوناً أَبْلَهَ ؛ وَمَاذَا يَصْدُرُ عَنْ يَدِ مَجْنُونٍ أَبْلَهَ ؟ حَتّٰى يُعَارِضَ مَعَهُ . .

وَأَمَّا شُبْهَةُ كَوْنِي تَارِكَ الدُّنْيَا ظَاهِراً ، وَطَالِبَ الدُّنْيَا بَاطِناً ؛ فَإِنِّي لَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ﴾ ؛ فَإِنَّ نَفْسِي تَطْلُبُ كُلَّ سُوءٍ ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْعَقْلِ ، أَنْ يُفْسِدَ حَيَاتَهُ الدَّائِمَةَ ، وَسَعَادَتَهُ الْأَبَدِيَّةَ ، لِلَذَّةٍ قَلِيلَةٍ ، فِي عُمُرٍ قَصِيرٍ ، فِي وَقْتِ الشَّيْبِ ، فِي هٰذِهِ الْمَضِيفَةِ الْمُؤَقَّتَةِ ، وَالدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ؛ فَاتَّبَعَتْ

نَفْسِيَ الْأَمَّارَةُ ، الْعَقْلَ بِالضَّرُورَةِ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْعَقْلِ وَذَوِي الشُّعُورِ . .

اَلسُّؤَالُ الْمُوهِمُ الثَّالِثُ :

يَقُولُ أَهْلُ الدُّنْيَا : هَلْ تُحِبُّنَا وَتُعْجَبُ بِنَا ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّنَا ؛ فَلِمَاذَا غَضِبْتَ عَلَيْنَا ؛ فَلَا تُخَالِطُنَا ؟ . وَإِنْ لَمْ تُعْجَبْ بِنَا ؛ فَإِنَّكَ مُعَارِضٌ لَنَا ؛ وَإِنَّنَا نَسْحَقُ مَنْ يُعَارِضُنَا . .

اَلْجَوَابُ : أَنِّي لَوْ أَحْبَبْتُ دُنْيَاكُمْ ، فَضْلاً عَنْكُمْ ؛ لَمَا أَعْرَضْتُ عَنِ الدُّنْيَا ؛ وَأَنِّي لَا أُعْجَبُ بِكُمْ وَلَا بِدُنْيَاكُمْ ؛ وَلٰكِنْ لَا أَمَسُّكُمْ ؛ لِأَنِّي فِي مَطْلَبٍ آخَرَ . وَقَدْ أَشْغَلَتْ قَلْبِي نِقَاطٌ أُخْرَى ؛ فَلَمْ تَتْرُكْ فِي قَلْبِي مَحَلاً لِتَفَكُّرِ أُمُورٍ أُخْرَى . **وَإِنَّ وَظِيفَتَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى الْيَدِ ، لَا إِلَى الْقَلْبِ ؛ لِأَنَّكُمْ إِنْ تُرِيدُوا أَمْنَكُمْ وَإِدَارَةَ شُؤُونِكُمْ ؛ فَأَيُّ حَقٍّ لَكُمْ أَنْ تُخَالِطُوا الْقَلْبَ ؛ إِذَا لَمْ تُخَالِطِ الْيَدُ شُؤُونَكُمْ ؛ وَأَنْ تَقُولُوا : فَلْيُحِبَّنَا الْقَلْبُ أَيْضاً ؛ وَأَنْتُمْ لَا تَلِيقُونَ بِهِ أَصْلاً . . نَعَمْ :** إِنِّي كَمَا أَتَمَنَّى الرَّبِيعَ ؛ وَأَوَدُّهُ فِي هٰذِهِ الشِّتَاءِ ؛ وَلٰكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرِيدَهُ وَأُبَاشِرَ بِإِتْيَانِهِ فِعْلاً ؛ كَذٰلِكَ أَتَمَنَّى صَلَاحَ حَالِ الْعَالَمِ ؛ وَأَدْعُو لَهُ ؛ وَأَتَمَنَّى إِصْلَاحَ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ وَلٰكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرِيدَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُنِي ؛ وَلَا أُبَاشِرُ بِهِ فِعْلاً ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ وَظِيفَتِي ؛ وَلَا طَاقَةَ لِي . .

اَلسُّؤَالُ الرَّابِعُ الْمُشْتَبِهُ :

يَقُولُ أَهْلُ الدُّنْيَا : لَقَدْ لَقِينَا بَلَايَا كَثِيرَةً ، بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ لَنَا أَمْنٌ بِأَحَدٍ ؛ فَكَيْفَ نَأْمَنُ بِكَ أَنَّكَ لَا تُخَالِطُ شُؤُونَنَا كَمَا تَشَاءُ ؛ إِذَا سَنَحَتْ لَكَ الْفُرْصَةُ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ النِّقَاطَ السَّابِقَةَ تُعْطِيكُمُ الْأَمْنَ ؛ مَعَ أَنِّي مَا خَالَطْتُ دُنْيَاكُمْ ، فِي وَطَنِي ، وَبَيْنَ تَلَامِيذِي وَأَقَارِبِي وَمَنْ يُصْغُونَ إِلَيَّ ، وَبَيْنَ حَوَادِثَ مُثِيرَةٍ . فَمَعَ ذٰلِكَ أَنَّ إِنْسَاناً وَحِيداً وَغَرِيباً ، ضَعِيفاً وَعَاجِزاً ، فِي دِيَارِ الْغُرْبَةِ ، تَوَجَّهَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَمُنِعَ عَنْ الِاخْتِلَاطِ وَالْمُرَاسَلَةِ ؛ وَوَجَدَ بَعْضَ أَهْلِ الْآخِرَةِ صَدِيقاً ، مِنْ بَعِيدٍ ، بِمُنَاسَبَةِ الْإِيمَانِ وَالْآخِرَةِ ؛ وَيَنْظُرُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ غَيْرِهِمْ ، بِنَظَرِ الْأَجْنَبِيِّ ؛ وَكُلُّ أَحَدٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِنَظَرِ الْأَجَانِبِ ؛

إِنْ خَالَطَ دُنْيَاكُمُ الْخَطِرَةَ ، بِلا ثَمَرَةٍ ؛ فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَجْنُوناً مُضَاعَفاً جُنُونُهُ . .

اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ : تَدُورُ حَوْلَ خَمْسِ مَسَائِلَ صَغِيرَةٍ :

﴿ اَلْأُولٰى : ﴾ أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَقُولُونَ لِي : لِمَاذَا لا تُطَبِّقُ عَلٰى نَفْسِكَ ، آدَابَ مَدَنِيَّتِنَا ، وَأُسْلُوبَ حَيَاتِنَا ، وَنَمَطَ لُبْسِنَا ؟ فَإِذاً أَنَّكَ مُعَارِضٌ لَنَا . .

فَأَقُولُ : أَيُّهَا السَّادَةُ ! بِأَيِّ حَقٍّ تُكَلِّفُونَنِي بِآدَابِ مَدَنِيَّتِكُمْ ؟ وَقَدْ أَجْبَرْتُمُونِي بِغَيْرِ حَقٍّ ، عَلَى الْإِقَامَةِ بِقَرْيَةٍ ، خَمْسَ سِنِينَ ، فِي وَضْعٍ مَمْنُوعٍ عَنِ الْمُرَاسَلَةِ وَالِاخْتِلاطِ ؛ فَكَأَنَّكُمْ أَسْقَطْتُمُونِي عَنْ حُقُوقِ الْحَضَارَةِ ؛ وَأَنَّكُمْ سَرَّحْتُمْ كُلَّ مَنْفِيٍّ ، فِي الْمُدُنِ مَعَ أَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ ، ثُمَّ أَعْطَيْتُمُوهُمُ الْوَثِيقَةَ ؛ مَعَ أَنَّكُمْ جَرَّدْتُمُونِي بِدُونِ سَبَبٍ ؛ وَلَمْ تَسْمَحُوا بِالِاتِّصَالِ مَعَ أَبْنَاءِ وَطَنِي ، سِوٰى وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ . فَإِذاً إِنَّكُمْ لا تَعُدُّونَنِي مِنْ أَفْرَادِ الشَّعْبِ وَالرَّعِيَّةِ ؛ فَكَيْفَ تُكَلِّفُونَنِي بِتَطْبِيقِ قَانُونِ مَدَنِيَّتِكُمْ ؟ وَأَنَّكُمْ جَعَلْتُمُ الدُّنْيَا سِجْناً لِي ؛ فَلَا يُكَلَّفُ مَنْ فِي السِّجْنِ ، بِمِثْلِ هٰذِهِ الْأُمُورِ ؛ وَأَنَّكُمْ سَدَدْتُمْ عَلَيَّ بَابَ الدُّنْيَا ؛ فَقَرَعْتُ بَابَ الْآخِرَةِ ؛ فَفَتَحَتْهُ الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ . فَمَنْ كَانَ عَلٰى بَابِ الْآخِرَةِ ، كَيْفَ يُكَلَّفُ بِآدَابِ الدُّنْيَا وَأَسَالِيبِهَا الرَّدِيئَةِ ؟ فَمَتٰى أَطْلَقْتُمُونِي وَأَرْجَعْتُمُونِي إِلٰى وَطَنِي ؛ وَأَعْطَيْتُمُونِي حُقُوقِي ؛ فَلَكُمْ حِينَئِذٍ أَنْ تَطْلُبُوا تَطْبِيقَ آدَابِكُمْ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ :

يَقُولُ أَهْلُ الدُّنْيَا : إِنَّ لَنَا دَائِرَةً رَسْمِيَّةً تُعَلِّمُنَا أَحْكَامَ الدِّينِ ، وَحَقَائِقَ الْإِسْلامِ . فَبِأَيِّ اخْتِصَاصٍ تَقُومُ بِنَشَرَاتٍ دِينِيَّةٍ ؟ وَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ مَحْكُوماً عَلَيْهِ بِالنَّفْيِ ؛ فَلا حَقَّ لَكَ أَنْ تُخَالِطَ هٰذِهِ الْأُمُورَ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ لا يُحَاطُ بِهِمَا تَحْتَ الْحَصْرِ ؛ فَكَيْفَ يُقَيَّدُ الْإِيمَانُ وَالْقُرْآنُ تَحْتَ الْحَصْرِ ؟ وَأَنَّكُمْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا أَسَالِيبَ دُنْيَاكُمْ وَقَوَانِينَهَا تَحْتَ

الْحَصْرِ ؛ وَلٰكِنَّ الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ ، وَالْأُسُسَ الْقُرْآنِيَّةَ ، لَا تُحْصَرُ فِي صُورَةِ مُعَامَلَاتِ الدُّنْيَا ، مُقَابِلَ الْأُجْرَةِ ، بِشَكْلٍ رَسْمِيٍّ ؛ بَلْ إِنَّ تِلْكَ الْأَسْرَارَ وَالْفُيُوضَاتِ الَّتِي هِيَ مَوْهِبَةٌ إِلٰهِيَّةٌ ، إِنَّمَا تَرِدُ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ ، وَبِوَسِيلَةِ التَّجَرُّدِ عَنِ الدُّنْيَا وَعَنْ حُظُوظَاتِ النَّفْسِ . وَأَيْضاً أَنَّ تِلْكَ الدَّائِرَةَ الرَّسْمِيَّةَ قَبِلَتْنِي وَعَيَّنَتْنِي وَاعِظاً ، حِينَمَا كُنْتُ فِي بِلَادِي ؛ وَأَنِّي قَبِلْتُ تِلْكَ الْوَظِيفَةَ ؛ وَلٰكِنْ تَرَكْتُ رَاتِبَهَا ؛ وَأَنَّ وَثِيقَتِي بِيَدِي ؛ فَلِيَ أَنْ أَعْمَلَ بِوَثِيقَةِ الْوَعْظِ وَالْإِمَامَةِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ لِأَنَّ نَفْيِي كَانَ بِغَيْرِ حَقٍّ . وَأَيْضاً أَنَّ الْمَنْفِيِّينَ أُعِيدُوا إِلٰى بِلَادِهِمْ ؛ فَحُكْمُ وَثِيقَتَيَّ الْقَدِيمَتَيْنِ بَاقٍ . .

وَثَانِياً : أَنِّي خَاطَبْتُ نَفْسِي مُبَاشَرَةً ، بِمَا كَتَبْتُهُ مِنَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَلَا أَدْعُو كُلَّ أَحَدٍ إِلَيْهَا ؛ بَلْ إِنَّ الَّذِينَ كَانَتْ أَرْوَاحُهُمْ مُحْتَاجَةً ؛ وَقُلُوبُهُمْ مَجْرُوحَةً ؛ يَطْلُبُونَ تِلْكَ الْأَدْوِيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ ؛ فَيَجِدُونَهَا ؛ وَلٰكِنِّي طَبَعْتُ رِسَالَةً فِي بَيَانِ الْحَشْرِ ، مِنْ رَسَائِلِي ، قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ الْحُرُوفُ الْجَدِيدَةُ ؛ لِتَكُونَ مَدَارَ مَعِيشَتِي . وَهٰذِهِ الرِّسَالَةُ تَفَحَّصَهَا الْوَالِي الْقَدِيمُ الْمُتَعَسِّفُ ضِدِّي ؛ فَلَمْ يَجِدْ جِهَةً يَنْتَقِدُهَا ؛ فَلَمْ يَمَسَّهَا . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ :

أَنَّ بَعْضَ أَحْبَابِي يَتَبَرَّؤُونَ عَنِّي ؛ بَلْ يَنْتَقِدُونَ عَلَيَّ ؛ لِيَسْتَحْسِنَهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا ؛ حَيْثُ يَنْظُرُ إِلَيَّ أَهْلُ الدُّنْيَا نَظْرَةَ شُبْهَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا الْحَيَّالِينَ لَا يَحْمِلُونَ تَبَرُّؤَ هٰؤُلَاءِ ، وَاجْتِنَابَهُمْ عَنِّي ، عَلَى الصَّدَاقَةِ لَهُمْ ، بَلْ عَلٰى نَوْعِ رِيَاءٍ ، وَفُقْدَانِ وِجْدَانٍ ؛ فَيَنْظُرُونَ إِلٰى أَحْبَابِي أُولَائِكَ ، نَظَرَ السُّوءِ . .

فَأَقُولُ : يَا أَحْبَابِيَ الْأُخْرَوِيِّينَ ! لَا تَفِرُّوا مُتَبَرِّئِينَ عَنْ خِدْمَتِي لِلْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُصِيبُكُمْ مِنِّي ضَرَرٌ ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ . وَإِنْ وَرَدَتِ الْمُصِيبَةُ ؛ أَوْ ظُلِمَ عَلَيَّ ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَنْجُونَ بِالتَّبَرُّؤِ عَنِّي ؛ بَلْ تَسْتَحِقُّونَ الْمُصِيبَةَ وَالصَّفْعَةَ أَكْثَرَ ، بِذٰلِكَ الْحَالِ . وَأَيْضاً مَاذَا يُوجَدُ ؟ حَتّٰى تَقَعُونَ فِي الْأَوْهَامِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ :

أَنِّي أَرٰى فِي مُدَّةِ نَفْيِي هٰذَا : أَنَّ بَعْضَ الْمُرَائِينَ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي وَحَلِ السِّيَاسَةِ ، يَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الرَّقِيبِ وَالْمُعَارِضِ ؛ فَكَأَنَّ لِي صِلَةً بِتَيَّارَاتِ الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ . .

فَيَا أَيُّهَا السَّادَةُ ! إِنِّي فِي تَيَّارِ الْإِيمَانِ ؛ وَتِجَاهِي تَيَّارُ الْإِلْحَادِ ؛ فَلَا صِلَةَ لِي بِتَيَّارَاتٍ أُخْرٰى . فَالَّذِي يَعْمَلُ مُقَابِلَ الْأُجْرَةِ ، مِنْ أُولٰئِكَ النَّاسِ ، لَعَلَّهُ يَرَاهُ مَعْذُوراً بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ وَلٰكِنَّ اتِّخَاذَ كَيْفِيَّةِ الْمُعَارَضَةِ ضِدِّي ، وَإِيذَائِي وَمَسِّي بِالضَّرَرِ ، بِدُونِ الْأُجْرَةِ ، وَبِاسْمِ الْحَمِيَّةِ ، خَطَأٌ سَيِّءٌ جِدّاً ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِي صِلَةٌ بِسِيَاسَةِ الدُّنْيَا ؛ كَمَا أُثْبِتَ سَابِقاً ؛ وَإِنَّمَا حَصَرْتُ جَمِيعَ أَوْقَاتِي ؛ وَوَقَفْتُ حَيَاتِي عَلَى الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ . فَإِذَا كَانَ هٰكَذَا ؛ فَلْيُفَكِّرْ مَنْ يُؤْذِينِي وَيَمَسُّنِي بِالسُّوءِ مَسَّ الْمُعَارِضِ : أَنَّ مُعَامَلَتَهُ تِلْكَ تَصِيرُ بِمَثَابَةِ الْإِضْرَارِ بِالْإِيمَانِ ، بِاسْمِ الزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ :

أَنَّهُ لَمَا كَانَتِ الدُّنْيَا فَانِيَةً ؛ وَالْعُمُرُ قَصِيراً ؛ وَالْوَظَائِفُ اللّٰازِمَةُ كَثِيرَةً ؛ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ تُكْسَبُ هٰهُنَا ؛ وَالدُّنْيَا لَيْسَتْ بِغَيْرِ مَالِكٍ ؛ وَكَانَ لِمَضِيفَةِ الدُّنْيَا هٰذِهِ ، مُدَبِّرٌ كَرِيمٌ وَحَكِيمٌ جِدّاً ؛ وَلَا تَبْقَى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ بِدُونِ الْجَزَاءِ ؛ وَلَا يُوجَدُ التَّكْلِيفُ بِمَا لَا يُطَاقُ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ؛ وَيُرَجَّحُ طَرِيقٌ غَيْرُ ضَارٍّ ، عَلٰى طَرِيقٍ ضَارٍّ ؛ وَيَدُومُ الْأَحْبَابُ وَالْمَرَاتِبُ الدُّنْيَوِيَّةُ إِلٰى بَابِ الْقَبْرِ ؛ فَالْأَسْعَدُ هُوَ الَّذِي لَا يَنْسَى الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا ؛ وَلَا يَفْدِي بِآخِرَتِهِ لِلدُّنْيَا ؛ وَلَا يُفْسِدُ حَيَاتَهُ الْأَبَدِيَّةَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ وَلَا يُضِيعُ عُمْرَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ ؛ وَيَحْسَبُ نَفْسَهُ ضَيْفاً ؛ فَيَعْمَلُ حَسَبَ أَوَامِرِ صَاحِبِ الدَّارِ ؛ وَيَفْتَحُ بَابَ الْقَبْرِ بِالسَّلَامَةِ ؛ فَيَدْخُلُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ (١) . .

---

(١) فَلِهٰذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ الْمَذْكُورَةِ ، لَا أَهْتَمُّ بِمَظَالِمَ وَشَدَائِدَ يُظْلَمُ بِهَا عَلٰى شَخْصِي ؛ وَلَا أُبَالِي بِهَا ؛ وَأَقُولُ : إِنَّهَا لَا تُسَاوِي الْغَمَّ ؛ فَلَا أُخَالِطُ الدُّنْيَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

ذَيْلُ الْمَكْتُوبِ السَّادِسَ عَشَرَ

بِاسْمِهِ : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَتَّقُونَ مِنْ إِنْسَانٍ غَرِيبٍ عَاجِزٍ مِثْلِي ؛ وَيَتَخَيَّلُونَهُ فِي قُوَّةِ آلافِ رَجُلٍ ؛ فَحَصَرُونِي تَحْتَ قُيُودٍ كَثِيرَةٍ ، بِدُونِ سَبَبٍ ؛ وَلَمْ يَسْمَحُوا بِإِقَامَتِي لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ بِـ «بَدْرَة» الَّتِي هِيَ حَيٌّ مِنْ «بَارْلَا» ، وَبِجَبَلٍ مِنْ جِبَالِهَا . وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ «السَّعِيدَ» فِي قُوَّةِ خَمْسِينَ أَلْفَ جُنْدِيٍّ . فَلِذٰلِكَ لَا نُطْلِقُهُ حُرّاً . .

فَأَقُولُ : يَا أَهْلَ الدُّنْيَا الْأَشْقِيَاءَ ! لِمَاذَا لَا تَعْلَمُونَ أُمُورَ الدُّنْيَا ؛ فَتَحْكُمُونَ حُكْمَ الْمَجَانِينِ ؛ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا بِكُلِّ قُوَّتِكُمْ ؟ . فَإِنْ كَانَ خَوْفُكُمْ عَنْ شَخْصِي ؛ فَإِنَّ جُنْدِيّاً وَحْدَهُ ، لَا خَمْسِينَ أَلْفَ جُنْدِيٍّ ، يُؤَدِّي الْعَمَلَ أَكْثَرَ مِنِّي خَمْسِينَ مَرَّةً : أَيْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِفَ بِبَابِ غُرْفَتِي ؛ فَيَقُولَ : إِنَّكَ لَنْ تَخْرُجَ . وَإِنْ كَانَ خَوْفُكُمْ عَنْ مَسْلَكِي وَعَنْ قُوَّتِيَ الْمَعْنَوِيَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَعَنْ كَوْنِي دَلَّالاً لِلْقُرْآنِ ؛ أَلَا فَلْكُمُ النَّبَأُ أَنِّي فِي قُوَّةِ خَمْسِينَ مِلْيُوناً ، بِاعْتِبَارِ الْمَسْلَكِ ، لَا خَمْسِينَ أَلْفاً ؛ فَقَدْ أَخْطَأْتُمْ ؛ إِذْ أَتَحَدَّى بِقُوَّةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، جَمِيعَ أُورُوبَّا ؛ وَفِيهَا الْمُلْحِدُونَ مِنْكُمْ ؛ فَإِنِّي دَمَّرْتُ بِكُلِّ مَا نَشَرْتُهُ مِنَ الْأَنْوَارِ الْإِيمَانِيَّةِ ، حُصُونَهُمُ الْحَصِينَةَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا بِالطَّبِيعَةِ وَالْعُلُومِ الْمُثْبَتَةِ ؛ وَقَدْ نَزَّلْتُ أَكْبَرَ فَلَاسِفَتِهِمُ الْمُلْحِدِينَ ، إِلَى دَرَجَةٍ أَسْفَلَ مِنَ الْحَيَوَانِ . وَلَئِنِ اجْتَمَعَتْ أُورُوبَّا كُلُّهَا ، بِمَنْ فِيهَا مِنْ مُلْحِدِيكُمْ ؛ فَلَنْ يَسْتَطِيعُوا بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَى ، أَنْ يَصْرِفُونِي عَنْ مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَسْلَكِي ذٰلِكَ ؛ وَلَنْ يَغْلِبُونِي ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنِّي لَا أُخَالِطُ دُنْيَاكُمْ ؛ فَلَا تُخَالِطُوا آخِرَتِي . وَإِنْ خَالَطْتُمُوهَا ؛ فَعَبَثٌ أَيْضاً ؛ فَـ «إِنَّ تَقْدِيرَ اللهِ لَا يُرَدُّ بِقُوَّةِ السَّاعِدِ ؛ وَإِنَّ شَمْعَةً أَوْقَدَهَا الْمَوْلَى ، لَا تَنْطَفِئُ بِالنَّفْخِ (١) » . .

---

(١) أَصْلُ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : «تَقْدِير خُدا قُوَّةُ بَازُوايِلَه دُونْمَزْ ❁ بِرْشَمْعَه كِه مَوْلَا يَاقَه أُوفْلَه مَكْلَه سُونْمَزْ» . .

وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَتَوَهَّمُونَ فِي حَقِّي ، بِوَجْهٍ خَاصٍّ ، أَوْهَاماً كَثِيرَةً جِدّاً ؛ فَكَأَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَنِّي ؛ فَإِنَّهُمْ تَخَيَّلُوا أُمُوراً لا تُوجَدُ لَدَيَّ ؛ وَلَوْ وُجِدَتْ ، لا تُشَكِّلُ خَطَأً سِيَاسِيّاً ؛ وَلا يَكُونُ مَدَارَ الاتِّهَامِ ، كَالْمَشْيَخَةِ وَالْعَظَمَةِ ، وَالْأُسْرَةِ وَالْعَشِيرَةِ ، وَالنُّفُوذِ وَكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ ، وَالاِجْتِمَاعِ مَعَ أَبْنَاءِ وَطَنِهِ ، بَلِ الدُّخُولِ فِي السِّيَاسَةِ ، حَتَّى الْمُخَالَفَةِ ؛ فَوَقَعُوا فِي الْأَوْهَامِ ؛ حَتّى إِنَّهُمْ مَنَعُونِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، عِنْدَمَا تَذَاكَرُوا عَفْوَ مَنْ فِي السِّجْنِ وَخَارِجَهُ : أَيْ عَفْوَ مَنْ لَيْسَ قَابِلاً لِلْعَفْوِ عِنْدَهُمْ أَيْضاً . .

وَلِرَجُلٍ فَانٍ سَيِّءٍ ، كَلاَمٌ بَاقٍ حَسَنٌ ؛ وَهُوَ : «إِنْ كَانَ لِلظُّلْمِ مِدْفَعِيَّةٌ وَقَذِيفَةٌ وَقَلْعَةٌ ؛ فَلِلْحَقِّ سَاعِدٌ لا يَنْعَطِفُ ، وَوَجْهٌ لا يَنْصَرِفُ[1] » . وَأَنَا أَقُولُ : «إِنْ كَانَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُكْمٌ وَشَوْكَةٌ وَقُوَّةٌ ؛ فَإِنَّ فِي خَادِمِ الْقُرْآنِ بِفَيْضِهِ ، عِلْمَهُ الَّذِي لا يُخْطِئُ ، وَكَلامَهُ الَّذِي لا يَسْكُتُ ، وَقَلْبَهُ الَّذِي لا يَنْخَدِعُ ، وَنُورَهُ الَّذِي لا يَنْطَفِئُ[2]» . .

وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَابِ ، مَعَ ضَابِطٍ يَحْرُسُنِي ، سَأَلُونِي مُكَرَّراً : لِمَاذَا لا تُطَالِبُ الْحُكُومَةَ ؛ وَلا تُقَدِّمُ الْعَرِيضَةَ لِلْوَثِيقَةِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنِّي لا أُطَالِبُهَا ؛ وَلَنْ أُطَالِبَهَا لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنِّي لَمْ أُخَالِطْ دُنْيَاهُمْ ؛ حَتّى أَكُونَ مَحْكُوماً لِأَهْلِ الدُّنْيَا ؛ فَأُطَالِبَهُمْ . وَإِنَّمَا أَنَا مَحْكُومٌ لِلْقَدَرِ الْإِلَهِيِّ ؛ وَلِيَ تَقْصِيرٌ أَمَامَ الْقَدَرِ ؛ فَأُطَالِبُهُ . .

اَلثَّانِي : أَنِّي عَلِمْتُ وَآمَنْتُ يَقِيناً : أَنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا مَضِيفَةٌ تَتَبَدَّلُ سَرِيعاً ؛ فَلِذٰلِكَ لَيْسَتْ وَطَناً حَقِيقِيّاً ؛ وَكُلُّ الْأَمَاكِنِ مُتَسَاوِيَةٌ . فَإِذَا لَمْ أَبْقَ دَائِماً فِي وَطَنِي ؛ فَإِنَّ السَّعْيَ وَرَاءَهُ

---

(١) أَصْلُ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : «ظُلْمُكْ طُوبِي وَارْ ؛ گُولَّه سِي وَارْ ؛ قَلْعَه سِي وَارْسَه ❀ حَقِّكْ دَه ، بُوكُولْمَزْ قُولِي ؛ دُونْمَزْ يُوزِي وَارْدِرْ» . .

(٢) أَصْلُ الْفِقْرَاتِ التُّرْكِيَّةِ : «اَهْلِ دُنْيَانِكْ حُكْمِي وَارْ ؛ قُوَّتِي وَارْسَه ❀ قُرْآنِكْ فَيْضِيلَه ، خَادِمِنْدَه دَه ، شَاشْمَازْ عِلْمِي ؛ صُوصْمَازْ سُوزِي ؛ يَانِلْمَازْ قَلْبِي ؛ سُونْمَزْ نُورِي وَارْدِرْ» . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

عَبَثاً ، وَالذَّهَابَ إِلَيْهِ ، لا يُغْنِي شَيْئاً . وَإِذَا كَانَ كُلُّ مَكَانٍ مَضِيفاً ؛ فَإِنْ كَانَتْ رَحْمَةُ صَاحِبِ الْمَضِيفِ خَلِيلاً ؛ فَالْكُلُّ خَلِيلٌ ؛ وَكُلُّ مَكَانٍ نَافِعٌ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رَحْمَتُهُ خَلِيلاً ؛ يَكُونُ كُلُّ مَكَانٍ حِمْلاً عَلَى الْقَلْبِ ؛ وَكُلُّ أَحَدٍ عَدُوّاً . .

اَلثَّالِثُ : أَنَّ مُطَالَبَةَ الْحُكُومَةِ تَكُونُ فِي دَائِرَةِ الْقَانُونِ ؛ مَعَ أَنَّ الْمُعَامَلَةَ مَعِي ، هِيَ حَسَبَ الْهَوَى ، وَفَوْقَ الْقَانُونِ . وَلَمْ يُعَامَلْ مَعِي بِقَانُونِ الْمَنْفِيِّينَ ، فِي هٰذِهِ السِّنِينَ السِّتِّ ؛ وَنَظَرُوا إِلَيَّ بِشَكْلِ التَّجْرِيدِ عَنِ الْحُقُوقِ الْمَدَنِيَّةِ ، بَلْ عَنِ الْحُقُوقِ الدُّنْيَوِيَّةِ . فَلَا مَعْنَى لِلْمُطَالَبَةِ بِاسْمِ الْقَانُونِ ، إِلَى الَّذِينَ يُعَامِلُونَ هٰذِهِ الْمُعَامَلَةَ فَوْقَ الْقَانُونِ . .

اَلرَّابِعُ : أَنَّ مُدِيرَ هٰذِهِ النَّاحِيَةِ طَالَبَ الْحُكُومَةَ بِاسْمِي ، هٰذِهِ السَّنَةَ ، لِإِقَامَتِي عِدَّةَ أَيَّامٍ بِقَرْيَةِ «بَدْرَةَ» الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ حَيٍّ مِنْ «بَارْلَا» ؛ وَذٰلِكَ لِتَبْدِيلِ الْمَنَاخِ ؛ فَلَمْ يَسْمَحُوا بِهَا . فَإِذاً كَيْفَ يُرَاجَعُ إِلَى الَّذِينَ رَدُّوا حَاجَةً لا أَهَمِّيَّةَ لَهَا ، مِثْلَ حَاجَتِي هٰذِهِ ؟ فَإِنْ رُوجِعَ إِلَيْهِمْ ، يَكُونُ تَذَلُّلاً فِي ذُلٍّ بِلا فَائِدَةٍ . .

اَلْخَامِسُ : أَنَّ ادِّعَاءَ الْحَقِّ ، وَمُطَالَبَتَهُ تِجَاهَ مَنْ يَدَّعِي الْحَقَّ بَاطِلاً ، أَمْرٌ بَاطِلٌ ، وَسُوءُ أَدَبٍ إِزَاءَ الْحَقِّ . وَإِنِّي لا أُرِيدُ أَنْ أَرْتَكِبَ هٰذَا الْبَاطِلَ وَسُوءَ الْأَدَبِ أَمَامَ الْحَقِّ . وَالسَّلامُ . .

اَلسَّبَبُ السَّادِسُ : أَنَّ الشِّدَّةَ الَّتِي يَفْعَلُهَا أَهْلُ الدُّنْيَا ضِدِّي ، لَيْسَتْ لِلسِّيَاسَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَيْضاً أَنِّي لا أُخَالِطُ السِّيَاسَةَ ؛ وَأَفِرُّ عَنْهَا ؛ بَلْ يُعَذِّبُونَنِي عَلَى حِسَابِ الزَّنْدَقَةِ ، عِلْمَاً أَوْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ تَمَسُّكِي بِالدِّينِ . فَإِذاً إِنَّ عَرْضَ الْمُطَالَبَةِ لَهُمْ ، يَكُونُ فِي حُكْمِ إِظْهَارِ النَّدَامَةِ عَنِ الدِّينِ ، وَاسْتِحْسَانِ مَسْلَكِ الزَّنْدَقَةِ . وَأَيْضاً أَنِّي كُلَّمَا أُرَاجِعُهُمْ ؛ وَأَلْتَجِئُ إِلَيْهِمْ ؛ يُعَذِّبُنِي الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ الْعَادِلُ ، بِأَيْدِيهِمُ الظَّالِمَةِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ يُشَدِّدُونَ عَلَيَّ ، مِنْ تَمَسُّكِي بِالدِّينِ ؛ وَالْقَدَرُ يَشُدُّ عَلَيَّ لِتَقْصِيرِي فِي الدِّينِ وَالْإِخْلاصِ ، وَمِنْ رِيَائِي أَحْيَاناً لِأَهْلِ الدُّنْيَا . فَإِذاً لا نَجَاةَ لِيَ الْآنَ ، عَنْ هٰذِهِ الشِّدَّةِ . فَإِنْ رَاجَعْتُ أَهْلَ الدُّنْيَا ؛

يَقُولُ الْقَدَرُ : ذُقْ جَزَاءَ هٰذِهِ الْمُرَاجَعَةِ ، أَيُّهَا الْمُرَائِي ! . وَإِنْ لَمْ أُرَاجِعْهُمْ ؛ يَقُولُونَ : إِنَّكَ لَا تَعْرِفُنَا ؛ فَابْقَ فِي الشِّدَّةِ . .

اَلسَّبَبُ السَّابِعُ : مِنَ الْمَعْلُومِ : أَنَّ وَظِيفَةَ مُوَظَّفٍ ، أَنْ لَا يَفْسَحَ الْمَجَالَ ، لِأَشْخَاصٍ يَضُرُّونَ بِهَيْئَةِ الْمُجْتَمَعِ ؛ وَأَنْ يُعِينَ مَنْ يَنْفَعُهَا ؛ مَعَ أَنَّ الْمُوَظَّفَ الَّذِي أَخَذَنِي تَحْتَ الْمُرَاقَبَةِ ، أَتَانِي إِذْ أُوضِحُ ذَوْقاً لَطِيفاً مِنْ أَذْوَاقِ الْإِيمَانِ ، فِي كَلِمَةِ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ لِضَيْفٍ هَرِمٍ أَشْرَفَ عَلٰى بَابِ الْقَبْرِ ؛ كَأَنَّهُ يَعْتَقِلُنِي فِي حَالَةِ جُرْمٍ مَشْهُودٍ ؛ فَأَتَانِي فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي زَمَناً بَعِيداً ؛ فَكَأَنِّي أَرْتَكِبُ جِنَايَةً ؛ فَحَرَمَ ذٰلِكَ الْبَائِسَ الَّذِي كَانَ يَسْتَمِعُ بِالْإِخْلَاصِ ؛ وَأَثَارَ غَضَبِي . وَقَدْ كَانَ هُنَا ، بَعْضُ أُنَاسٍ لَا يَهْتَمُّ بِهِمْ ذٰلِكَ الْمُوَظَّفُ ؛ ثُمَّ لَمَّا خَاضُوا فِي الرَّذَائِلِ ؛ وَبَاشَرُوا بِتَسْمِيمِ حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ فِي الْقَرْيَةِ ؛ شَرَعَ يُقَدِّرُهُمْ ؛ وَيَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ . .

وَكَذَا مِنَ الْمَعْلُومِ : أَنَّ مَنْ كَانَ فِي السِّجْنِ ؛ وَلَهُ مِئَةُ جِنَايَةٍ ؛ يَحِقُّ لِلْمُوَظَّفِ الْمَأْمُورِ بِحِرَاسَتِهِ ، ضَابِطاً كَانَ أَوْ جُنْدِيّاً ، أَنْ يَجْتَمِعَ بِهِ كُلَّ وَقْتٍ ؛ مَعَ أَنَّ مُوَظَّفَيْنِ مُعْتَبَرَيْنِ لَدَى الْحُكُومَةِ الشَّعْبِيَّةِ ، آمِراً وَمَأْمُوراً بِالْمُرَاقَبَةِ ، مَرَّا عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، مِنْ عِنْدِ غُرْفَتِي ؛ فَلَمْ يَجْتَمِعَا بِي ، وَلَمْ يَسْأَلَا عَنْ حَالِي قَطْعاً وَأَصْلاً ، مُنْذُ سَنَةٍ . فَظَنَنْتُ أَوَّلاً أَنَّهُمَا لَا يَقْرُبَانِ مِنِّي عَنْ عَدَاوَتِهِمَا ؛ ثُمَّ تَحَقَّقَ أَنَّهُمَا يَفِرَّانِ مِنِّي ، عَنْ أَوْهَامِهِمَا ؛ فَكَأَنِّي أَبْتَلِعُهُمَا . فَإِذاً لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ : أَنْ يَعْتَرِفَ الْإِنْسَانُ ، بِحُكُومَةٍ لَهَا أَجْزَاءٌ وَمَأْمُورُونَ مِثْلُ هٰؤُلَاءِ الرِّجَالِ ؛ وَأَنْ يَعْرِفَهَا مَرْجِعاً ؛ فَيُرَاجِعَهَا ؛ وَذٰلِكَ ذُلٌّ بِلَا طَائِلٍ . فَلَوْ كَانَ «**السَّعِيدُ الْقَدِيمُ**» ؛ لَقَالَ مِثْلَ عَنْتَرَةَ :

«**مَاءُ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمَ ❁ وَجَهَنَّمُ بِالْعِزِّ فَخْرُ مَنْزِلِي**» . وَلَا يُوجَدُ «**السَّعِيدُ الْقَدِيمُ**» .

أَمَّا «**السَّعِيدُ الْجَدِيدُ**» ؛ فَإِنَّهُ يَرَى التَّكَلُّمَ مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا ، بِلَا مَعْنًى ؛ وَيَقُولُ : **تَبّاً لِدُنْيَاهُمْ ؛ فَلْيَفْعَلُوا مَا يَفْعَلُونَ . فَسَنُحَاكِمُهُمْ فِي الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرٰى ؛ وَيَسْكُتُ** . .

اَلسَّبَبُ الثَّامِنُ مِنْ أَسْبَابِ عَدَمِ مُرَاجَعَتِي :

أَنَّ الْقَدَرَ الْإِلٰهِيَّ الْعَادِلَ ، يُعَذِّبُنِي بِأَيْدِي هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ رَكَنْتُ إِلَيْهِمْ ، مِنْ أَهْلِ

الدُّنْيَا ، مَعَ عَدَمِ لَيَاقَتِهِمْ ؛ وَيُعَذِّبُنِي بِأَيْدِيهِمُ الظَّالِمَةِ ، بِقَاعِدَةِ : «أَنَّ نَتِيجَةَ مَحَبَّةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ ، عَدَاوَةٌ ظَالِمَةٌ» . وَإِنِّي أَقُولُ : أَنَا أَسْتَحِقُّ هٰذَا الْعَذَابَ ؛ فَأَسْكُتُ ؛ ذٰلِكَ لِأَنِّي جَاهَدْتُ وَحَارَبْتُ سَنَتَيْنِ ، فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولٰى ؛ وَأَنَا قَائِدُ الْفِرْقَةِ الْمُتَطَوِّعَةِ ؛ وَضَحَّيْتُ بِأَحْبَابِي وَطُلَّابِيَ الْقَيِّمِينَ ، تَحْتَ تَقْدِيرَاتِ قَائِدِ الْجَيْشِ وَ«أَنْوَر بَاشَا» ؛ وَجُرِحْتُ ؛ فَوَقَعْتُ أَسِيراً ؛ وَبَعْدَ مَا أَتَيْتُ مِنَ الْأَسْرِ ، أَلْقَيْتُ نَفْسِي إِلَى التَّهْلُكَةِ ، بِكُتُبِي «كَالْخُطُوَاتِ السِّتِّ» ؛ فَضَرَبْتُ عَلٰى رُؤُوسِ (الْإِنْجِلِيز) تَحْتَ احْتِلَالِهِمْ لِإِسْطَنْبُولَ ؛ وَأَعَنْتُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخَذُونِي تَحْتَ أَسْرٍ مُضْطَهِدٍ ، بِدُونِ سَبَبٍ . فَهُمْ يَجْزُونَنِي جَزَاءَ ذٰلِكَ الْعَوْنِ ، عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ . وَإِنَّ أَصْدِقَائِي هٰؤُلَاءِ ، أَذَاقُونِي هُنَا فِي ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، مَا قَاسَيْتُهُ فِي «رُوسْيَا» ثَلَاثَ سِنِينَ ، مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالشِّدَّةِ . وَقَدْ كَانَتِ الرُّوسُ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظْرَةَ رَجُلٍ غَدَّارٍ ذَبَحَ «الْكَازَخِيِّينَ» وَالْأُسَرَاءَ ، بِصُورَةِ قَائِدِ مُتَطَوِّعِي «الْأَكْرَادِ» ؛ فَلَمْ يَمْنَعُونِي مَعَ ذٰلِكَ ، عَنِ الدَّرْسِ ؛ فَكُنْتُ أُدَرِّسُ الْقِسْمَ الْأَكْثَرَ ، مِنَ الضُّبَّاطِ الْأَسْرَى التِّسْعِينَ ، مِنْ أَصْحَابِي . وَجَاءَ مَرَّةً الْقَائِدُ الرُّوسِيُّ ؛ وَاسْتَمَعَ إِلَى الدَّرْسِ ؛ فَظَنَّهُ دَرْساً سِيَاسِيّاً ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَعْرِفُ اللُّغَةَ التُّرْكِيَّةَ ؛ فَمَنَعَنِي مَرَّةً ؛ ثُمَّ أَذِنَ لِي أَيْضاً . وَكَذَا جَعَلْنَا غُرْفَةً ، مَسْجِداً فِي نَفْسِ الثُّكْنَةِ ؛ وَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ ؛ فَلَمْ يُخَالِطُونِي ؛ وَلَمْ يَمْنَعُونِي عَنْ الِاخْتِلَاطِ ؛ وَلَمْ يَقْطَعُونِي عَنِ الْمُرَاسَلَةِ ؛ مَعَ أَنَّ أَصْدِقَائِي هٰؤُلَاءِ – وَكَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ وَطَنِي وَأَبْنَاءُ دِينِي – وَهٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْتَغِلُ لِمَصْلَحَةِ إِيمَانِهِمْ ، أَخَذُونِي تَحْتَ أَسْرٍ شَدِيدٍ ، سِتَّ سَنَوَاتٍ ، لَا ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ ، بِدُونِ أَيِّ سَبَبٍ ؛ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي قَطَعْتُ صِلَتِي عَنِ السِّيَاسَةِ وَعَنِ الدُّنْيَا ؛ وَمَنَعُونِي عَنْ الِاخْتِلَاطِ ، وَعَنِ الدَّرْسِ ، مَعَ وُجُودِ وَثِيقَتِي ؛ حَتّٰى إِنَّهُمْ مَنَعُوا دَرْسِيَ الْخَاصَّ فِي غُرْفَتِي ؛ وَسَدُّوا أَمَامَ الْمُرَاسَلَةِ ؛ بَلْ مَنَعُونِي مَعَ وُجُودِ وَثِيقَتِي ، عَنْ مَسْجِدِيَ الَّذِي عَمَّرْتُهُ بِنَفْسِي ؛ وَأَمَمْتُ فِيهِ أَرْبَعَ سِنِينَ . وَالْآنَ أَيْضاً لَا يَقْبَلُونَ إِمَامَتِي لِثَلَاثَةِ رِجَالٍ مَخْصُوصِينَ ، مِنْ إِخْوَانِيَ الْأُخْرَوِيِّينَ ، وَجَمَاعَتِيَ الدَّائِمَةِ أَيْضاً ؛ لِيَحْرِمُونِي عَنْ ثَوَابِ الْجَمَاعَةِ . وَكَذَا إِذَا قَالَ أَحَدٌ فِي حَقِّي : إِنَّهُ طَيِّبٌ ، مَعَ عَدَمِ رِضَائِي ؛ يَغْضَبُ الْمُوَظَّفُ الْمُرَاقِبُ عَلَيَّ ؛ وَيَحْسُدُ

وَيَصْنَعُ تَدَابِيرَ غَيْرَ وِجْدَانِيَّةٍ ، قَائِلاً : إِنِّي أُرِيدُ نَقْضَ نُفُوذِهِ ؛ وَيُعَجِّزُنِي لِيَرٰى الِالْتِفَاتَ مِنْ أُولِي الْأَمْرِ عَلَيْهِ . فَمَنْ كَانَ فِي حَالَةٍ كَذٰلِكَ ، إِلٰى مَنْ يُرَاجِعُ سِوَى اللهِ تَعَالٰى ؟ . وَإِذَا كَانَ الْحَاكِمُ نَفْسُهُ مُدَّعِياً ؛ فَإِنَّهُ لَا يُشْتَكٰى إِلَيْهِ . فَتَعَالَ ؛ مَاذَا نَقُولُ لِهٰذَا الْحَالِ ؟ . فَقُلْ مَا تَشَاءُ . وَأَقُولُ : إِنَّ بَيْنَ أَصْدِقَائِي هٰؤُلَاءِ ، كَثِيراً مِنَ الْمُنَافِقِينَ . وَإِنَّ الْمُنَافِقَ أَشَدُّ مِنَ الْكَافِرِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُذِيقُونَنِي مَا لَمْ يُذِقْهُ كُفَّارُ «الرُّوسِ» . فَيَا أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ ! . مَاذَا فَعَلْتُ ؛ وَمَاذَا أَفْعَلُ بِكُمْ ؟ . فَإِنِّي أَخْدُمُ لِإِنْقَاذِ إِيمَانِكُمْ ، وَلِسَعَادَةِ آخِرَتِكُمْ . فَإِذاً إِنَّ خِدْمَتِي لَمْ تَكُنْ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَكُونُ عَمَلاً مَعْكُوساً ؛ فَتُعَذِّبُونَنِي عَلَيْهَا ، فِي كُلِّ فُرْصَةٍ . وَلَا شَكَّ سَنَجْتَمِعُ بِكُمْ فِي الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرٰى . .

وَأَقُولُ : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . . نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ

هُوَ رِسَالَةُ تَعْزِيَةِ الْأَطْفَالِ ، وَذَيْلُ اللَّمْعَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ . .

بِاسْمِهِ : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

أَخِي ! لَقَدْ أَثَّرَ عَلَيَّ وَفَاةُ الطِّفْلِ ؛ وَلٰكِنَّ الْحُكْمَ لِلّٰهِ . فَالرِّضَاءُ بِالْقَضَاءِ ؛ وَالتَّسْلِيمُ لِلْقَدَرِ ، شِعَارٌ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ . آتَاكُمُ اللّٰهُ صَبْراً جَمِيلاً ؛ وَجَعَلَ الْمَرْحُومَ شَفِيعاً وَذُخْرَ الْآخِرَةِ لَكُمْ . .

وَنُبَيِّنُ خَمْسَ نِقَاطٍ تُظْهِرُ بُشْرٰى وَسَلْوٰى حَقِيقِيَّةً ، لَكُمْ وَلِأَمْثَالِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ . .

اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى :

أَنَّ سِرَّ قَوْلِهِ تَعَالٰى فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ : ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ ، وَمِثَالُهُ : هُوَ أَنَّ الْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ قَبْلَ الْبُلُوغِ ، مِنْ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ ، يَبْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ وِلْدَاناً مُخَلَّدِينَ ، دَائِمِينَ مَحْبُوبِينَ ، بِشَكْلٍ لَائِقٍ بِالْجَنَّةِ ؛ وَيُصْبِحُونَ فِي أَحْضَانِ أُمَّهَاتِهِمْ وَآبَائِهِمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَسِيلَةً أَبَدِيَّةً لِسُرُورِهِمْ ؛ وَيَكُونُونَ سَبَباً لِتَحْصِيلِ أَلْطَفِ ذَوْقٍ كَحُبِّ الْوَلَدِ

وَالتَّمَتُّعِ بِهِ ، لِأَبَوَيْهِمْ . وَتُشِيرُ هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ؛ وَتُبَشِّرُ بِجُمْلَةِ ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ ، إِلٰى أَنَّ حُكْمَ مَنْ يَقُولُ : «إِنَّهُ يُوجَدُ فِي الْجَنَّةِ كُلُّ شَيْءٍ لَذِيذٍ ، إِلَّا حُبَّ الْأَوْلَادِ ، وَالتَّمَتُّعَ بِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَتْ مَحَلَّ التَّنَاسُلِ» لَيْسَ حَقِيقَةً ؛ وَأَنَّ أَكْبَرَ وَسِيلَةِ سَعَادَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ تَحْصِيلُ حُبِّ أَوْلَادٍ مُخَلَّدِينَ ، وَالتَّمَتُّعُ بِهِمْ مَلَايِينَ سَنَةٍ صَافِيَةٍ بِلَا أَلَمٍ ، بَدَلاً عَنْ حُبِّ الْأَوْلَادِ وَالتَّمَتُّعِ بِهِمْ ، مَشُوباً بِالْآلَامِ فِي الدُّنْيَا ، فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ لِمُدَّةِ عَشْرِ سِنِينَ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :

أَنَّ رَجُلاً فَاضِلاً كَانَ فِي سِجْنٍ ، فِي زَمَنٍ مَّا ؛ فَبُعِثَ إِلَيْهِ بِوَلَدِهِ الْمَحْبُوبِ ؛ فَكَانَ ذٰلِكَ الْمَسْجُونُ الْبَائِسُ ، يُقَاسِي أَلَمَ نَفْسِهِ ؛ وَيَتَأَلَّمُ بِمِحْنَةِ وَلَدِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُوفِي بِرَاحَتِهِ . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ الْعَطُوفُ رَجُلاً ؛ فَقَالَ لَهُ : يَقُولُ الْحَاكِمُ : إِنَّ هٰذَا الطِّفْلَ ، وَإِنْ كَانَ وَلَدَكَ ؛ لٰكِنَّهُ مِنْ شَعْبِي وَرَعِيَّتِي ؛ فَإِنِّي آخُذُهُ مِنْكَ ؛ وَأُرَبِّيهِ فِي قَصْرٍ جَمِيلٍ . فَيَبْكِي وَيَئِنُّ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ؛ وَيَقُولُ : إِنِّي لَا أُعْطِي وَلَدِيَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ تَسْلِيَتِي . فَيَقُولُ لَهُ رُفَقَاؤُهُ : لَا مَعْنٰى لِتَأَثُّرِكَ . فَإِنْ كُنْتَ تَتَأَلَّمُ لِلطِّفْلِ ؛ فَإِنَّهُ سَيَذْهَبُ إِلٰى قَصْرٍ ذِي فَرَحٍ وَسَعَادَةٍ ، بَدَلاً عَنْ هٰذَا السِّجْنِ الْقَذِرِ الْعَفِنِ الْمُؤْلِمِ ؛ وَإِنْ كُنْتَ تَتَأَثَّرُ لِنَفْسِكَ ؛ وَتَطْلُبُ مَصْلَحَتَكَ ؛ فَإِنَّ هُنَاكَ مُقَاسَاةً كَثِيرَةً مِنَ الْأَلَمِ وَالِانْقِبَاضِ عَنْ مَشَاقِّ الطِّفْلِ ، مَعَ نَفْعٍ مَشْكُوكٍ مُوَقَّتٍ لَكَ ؛ إِذَا بَقِيَ الْوَلَدُ هُنَا ؛ وَإِنِ انْتَقَلَ إِلٰى هُنَالِكَ ؛ فَلَهُ أَلْفُ فَائِدَةٍ لَكَ ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ سَبَباً لِجَلْبِ رَحْمَةِ السُّلْطَانِ ؛ وَيَصِيرُ بِمَثَابَةِ الشَّفِيعِ لَكَ . وَإِنَّ السُّلْطَانَ سَيُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَهُ بِكَ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يُرْسِلُ الصَّبِيَّ إِلَى السِّجْنِ لِلزِّيَارَةِ ؛ بَلْ يُخْرِجُكَ عَنِ السِّجْنِ ؛ وَيَجْلِبُكَ إِلٰى ذٰلِكَ الْقَصْرِ ؛ فَيَجْمَعُكَ بِالصَّبِيِّ ؛ إِنْ كَانَ لَكَ أَمْنٌ وَإِطَاعَةٌ لِلسُّلْطَانِ ؛ فَكَذٰلِكَ ، أَخِي الْعَزِيزَ ! لَا بُدَّ لِمِثْلِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمُوتُ أَوْلَادُهُمْ ، أَنْ يُفَكِّرَ عِنْدَئِذٍ ، عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ؛ وَهُوَ : أَنَّ هٰذَا الْوَلَدَ مَعْصُومٌ ؛ وَأَنَّ خَالِقَهُ رَحِيمٌ وَكَرِيمٌ ؛ فَأَخَذَهُ إِلٰى رَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ الْكَامِلَةِ ، بَدَلاً عَنْ شَفَقَتِي وَتَرْبِيَتِي النَّاقِصَةِ ؛ وَأَخْرَجَهُ عَنْ سِجْنِ الدُّنْيَا الْأَلِيمَةِ ذَاتِ الْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ ؛ فَأَرْسَلَهُ إِلٰى جَنَّتِهِ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ ؛ فَطُوبٰى لِذٰلِكَ الْوَلَدِ . فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ

يَدْخُلُ أَيَّ شَكْلٍ ؛ لَوْ بَقِيَ فِي الدُّنْيَا. فَلِذٰلِكَ لا أَتَأَلَّمُ عَلَيْهِ ؛ وَأَعْلَمُهُ سَعِيداً. بَقِيَ تَأَلُّمِي لِنَفْسِي ؛ فَلا أَتَأَلَّمُ وَلا أَتَأَثَّرُ لَهَا تَأَثُّراً أَلِيماً ، لِفَائِدَتِهِ الَّتِي تَعُودُ إِلَيَّ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ بَقِيَ فِي الدُّنْيَا ؛ لَأَفَادَنِي حُبَّ وَلَدٍ مَشُوباً بِالْأَلَمِ ، وَمُؤَقَّتاً لِمُدَّةِ عَشْرِ سِنِينَ ؛ وَلَوْ كَانَ صَالِحاً وَمُقْتَدِراً فِي أَمْرِ الدُّنْيَا ؛ فَلَعَلَّهُ كَانَ يُعِينُنِي ؛ وَلٰكِنَّهُ يَصِيرُ بِمَثَابَةِ شَفِيعٍ لِي ، يَكُونُ وَسِيلَةً لِسَعَادَةِ الْأَبَدِ ، وَسَبَباً لِمَحَبَّةِ الْوَلَدِ عَشَرَةَ مَلايِينِ سَنَةٍ فِي الْجَنَّةِ الْأَبَدِيَّةِ ، بِمَوْتِهِ. فَلا شَكَّ وَلا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَضَاعَ نَفْعاً عَاجِلاً مَشْكُوكاً ؛ وَفَازَ بِأَلْفِ نَفْعٍ آجِلٍ مُحَقَّقٍ ؛ لا يُبْدِي تَلَهُّفاً أَلِيماً ؛ وَلا يَسْتَغِيثُ آيِساً..

اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :

أَنَّ الْوَلَدَ الْمُتَوَفّٰى كَانَ مَخْلُوقاً وَمَمْلُوكاً وَعَبْداً لِخَالِقٍ رَحِيمٍ ، وَمَصْنُوعاً لَهُ ، وَعَائِداً إِلَيْهِ بِجَمِيعِ هَيْئَتِهِ ؛ وَكَانَ بِهٰذِهِ الْأَوْصَافِ ، رَفِيقاً لِأَبَوَيْهِ ؛ سُلِّمَ مُوَقَّتاً إِلٰى مُرَاقَبَتِهِمَا ؛ وَجَعَلَ الْوَالِدَيْنِ خَادِمَيْنِ لَهُ ؛ وَأَعْطَى الْأَبَوَيْنِ شَفَقَةً لَذِيذَةً ؛ وَذٰلِكَ لِيَكُونَ أَجْراً عَاجِلاً ، لِتِلْكَ الْخِدْمَةِ. فَالْآنَ إِذَا أَخَذَ ذٰلِكَ الْخَالِقُ الرَّحِيمُ ، صَاحِبُ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ حِصَّةً مِنَ الْأَلْفِ ، ذٰلِكَ الْوَلَدَ مِنْ يَدِكَ ، بِمُقْتَضَى الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ ؛ وَأَنْهٰى خِدْمَتَكَ ؛ فَلا يَلِيقُ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَحْزَنَ وَيَسْتَغِيثَ آيِساً ، بِحَيْثُ يُشْعِرُ بِالشَّكْوٰى ضِدَّ صَاحِبِ أَلْفِ حِصَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ ؛ وَذٰلِكَ بِحِصَّةٍ ظَاهِرِيَّةٍ ؛ بَلْ يَلِيقُ بِأَهْلِ الْغَفْلَةِ وَالضَّلالَةِ..

اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ :

أَنَّهُ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا خَالِدَةً ؛ وَبَقِيَ الْإِنْسَانُ فِيهَا خَالِداً ؛ وَكَانَ الْفِرَاقُ أَبَدِيّاً ؛ لَكَانَ لِلتَّأَثُّرِ الْأَلِيمِ وَالتَّأَلُّمِ الْآيِسِ مَعْنًى ؛ وَلٰكِنْ إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا مَضِيفَةً ؛ وَإِلٰى أَيْنَ ذَهَبَ الْوَلَدُ الْمُتَوَفّٰى ، نَذْهَبُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ إِلٰى ذٰلِكَ الْمَكَانِ ؛ وَلَيْسَتْ هٰذِهِ الْوَفَاةُ مَخْصُوصَةً بِهِ ؛ بَلْ هِيَ جَادَّةٌ عَامَّةٌ ؛ وَلَيْسَتِ الْمُفَارَقَةُ أَيْضاً أَبَدِيَّةً ؛ وَسَيُجْتَمَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، فِي الْبَرْزَخِ ، وَفِي الْجَنَّةِ ؛ فَلا بُدَّ أَنْ يَقُولَ : «اَلْحُكْمُ لِلّٰهِ ؛ فَإِنَّهُ أَعْطٰى وَقَبَضَ» ؛ وَأَنْ يَشْكُرَ مَعَ الصَّبْرِ قَائِلاً : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ»..

اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ :

أَنَّ الشَّفَقَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ أَلْطَفِ جَلَوَاتِ الرَّحْمَةِ الإِلٰهِيَّةِ ، وَمِنْ أَجْمَلِهَا وَأَطْيَبِهَا وَأَحْلاهَا ، هِيَ إِكْسِيرٌ نُورَانِيٌّ ، وَأَحَدُّ مِنَ الْعِشْقِ كَثِيراً ؛ فَتَكُونُ وَسِيلَةً لِلْوُصُولِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سَرِيعاً . فَكَمَا أَنَّ الْعِشْقَ الْمَجَازِيَّ وَالدُّنْيَوِيَّ ، يَنْقَلِبُ بِمَشَاكِلَ كَثِيرَةٍ ، إِلَى الْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ ؛ وَيَجِدُ اللهَ تَعَالَى ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الشَّفَقَةَ تَرْبِطُ الْقَلْبَ بِاللهِ تَعَالَى ؛ وَلٰكِنْ بِدُونِ مَشَاكِلَ ، بِصُورَةٍ أَصْفَى وَأَقْصَرَ ؛ وَأَنَّ الْوَالِدَيْنِ ، سَوَاءٌ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَةُ ، يُحِبَّانِ وَلَدَهُمَا كَكُلِّ الدُّنْيَا ؛ فَإِذَا أُخِذَ وَلَدُهُ مِنْ يَدِهِ ، يُحَوِّلُ وَجْهَهُ عَنِ الدُّنْيَا ؛ وَيَجِدُ الْمُنْعِمَ الْحَقِيقِيَّ ؛ إِنْ كَانَ سَعِيداً ؛ وَكَانَ مُؤْمِناً حَقِيقِيّاً ؛ وَيَقُولُ : إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا فَانِيَةً ؛ فَلا تَلِيقُ بِعَلاقَةِ الْقَلْبِ ؛ فَإِلٰى أَيْنَ ذَهَبَ وَلَدُهُ ، يُحَصِّلُ هُوَ عَلاقَةً بِذٰلِكَ الْمَكَانِ ؛ فَيَكْسِبُ حَالاً مَعْنَوِيّاً عَظِيماً . .

وَإِنَّ أَهْلَ الْغَفْلَةِ وَالضَّلالَةِ مَحْرُومُونَ عَمَّا فِي هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الْخَمْسِ ، مِنَ السَّعَادَةِ وَالْبِشَارَةِ . فَقِيسُوا مَدَى أَلَمِ حَالِهِمْ ، بِهٰذَا : وَهُوَ أَنَّهُ يَرَى وَلَدَهُ الْوَحِيدَ الْحَبِيبَ الَّذِي يُحِبُّهُ غَايَةَ الْحُبِّ ، فِي السَّكَرَاتِ ؛ فَيَتَصَوَّرُ الْمَوْتَ عَدَماً وَفِرَاقاً أَبَدِيّاً ، بِحُكْمِ تَوَهُّمِ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا ؛ وَذٰلِكَ فِي نَتِيجَةِ الْغَفْلَةِ أَوِ الضَّلالَةِ . فَلِذٰلِكَ يَتَذَكَّرُ تُرَابَ الْقَبْرِ ، بَدَلاً عَنْ فِرَاشِهِ اللَّيِّنِ ؛ وَلا يُلاحِظُ جَنَّةَ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ ، وَفِرْدَوْسَ نِعْمَتِهِ ، بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ أَوِ الضَّلالَةِ ؛ فَيُقَاسِي حُزْناً وَأَلَماً آيِساً . فَلَكَ أَنْ تَقِيسَ عَلَيْهِ ؛ وَلٰكِنَّ الإِيْمَانَ وَالإِسْلامَ اللَّذَيْنِ هُمَا وَسِيلَتَانِ لِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، يَقُولانِ لِلْمُؤْمِنِ : إِنَّ وَلَدَكَ هٰذَا الْمُحْتَضِرَ فِي السَّكَرَاتِ ، يُخْرِجُهُ خَالِقُهُ الرَّحِيمُ ، عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الْقَبِيحَةِ ؛ وَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَيَجْعَلُهُ شَفِيعاً وَوَلَداً أَبَدِيّاً لَكَ ؛ وَإِنَّ الْفِرَاقَ مُؤَقَّتٌ ؛ فَلا تَغْتَمَّ ؛ وَقُلْ : ﴿اَلْحُكْمُ لِلهِ . . إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ؛ وَاصْبِرْ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدُ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنَ عَشَرَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ..﴾

هٰذَا الْمَكْتُوبُ ثَلَاثُ مَسَائِلَ مُهِمَّةٍ ..

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى الْمُهِمَّةُ :

أَنَّ مَشَاهِيرَ الْأَوْلِيَاءِ ، كَمُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ ، صَاحِبِ «الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ» ، وَالسَّيِّدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ صَاحِبِ كِتَابٍ شَهِيرٍ ، يُقَالُ لَهُ : «الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ» ، يَبْحَثُونَ عَنِ الطَّبَقَاتِ السَّبْعِ لِكُرَةِ الْأَرْضِ ، وَعَنِ الْأَرْضِ الْبَيْضَاءِ ، وَرَاءَ جَبَلِ قَافٍ ؛ وَيَبْحَثُ فِي «الْفُتُوحَاتِ» عَنْ عَجَائِبِ مَا يَقُولُونَ لَهُ : الْمَشْمَشِيَّةُ ؛ وَيَقُولُونَ رَأَيْنَاهَا . فَهَلْ مَا يَقُولُ هٰؤُلَاءِ حَقٌّ ؟ . فَإِنْ كَانَ حَقّاً ؛ فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ ، مَكَانٌ لِهٰذِهِ الْأَرَضِينَ ؛ وَلَا يَقْبَلُ الْجُغْرَافِيَا وَالْفَنُّ ، قَوْلَهُمْ هٰذَا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَقّاً ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ هٰؤُلَاءِ أَوْلِيَاءَ ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، مَنْ يَقُولُ هٰكَذَا خِلَافَ الْوَاقِعِ ، وَخِلَافَ الْحَقِّ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، وَأَصْحَابُ الْوَلَايَةِ وَالشُّهُودِ ؛ وَأَنَّهُمْ رَأَوْا حَقّاً ، مَا رَأَوْهُ ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَهُ خَطَأٌ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ حَقُّ التَّعْبِيرِ ، فِيمَا حَكَمُوا بِهِ فِي حَالَةِ الشُّهُودِ ، الَّتِي لَا إِحَاطَةَ لَهَا ، وَفِي تَعْبِيرِ رُؤْيَتِهِمُ الَّتِي هِيَ كَالرُّؤْيَا . فَكَمَا لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ

فِي الرُّؤْيَا ، أَنْ يَعْبُرَ رُؤْيَاهُ ؛ كَذٰلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ الْقِسْمُ مِنْ أَهْلِ الْكَشْفِ وَالشُّهُودِ ، أَنْ يَعْبُرُوا رُؤْيَتَهُمْ ؛ وَهُمْ فِي ذٰلِكَ الْحَالِ . وَإِنَّمَا الَّذِينَ يَعْبُرُونَهَا ، هُمْ مُحَقِّقُو وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ : الْأَصْفِيَاءُ . فَلَا شَكَّ أَنَّ ذٰلِكَ الْقِسْمَ مِنْ أَهْلِ الشُّهُودِ أَيْضاً ، إِذَا طَلَعُوا إِلَى مَقَامِ الْأَصْفِيَاءِ ؛ يَفْهَمُونَ أَخْطَاءَهُمْ ؛ وَيُصَحِّحُونَهَا بِإِرْشَادِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؛ وَقَدْ صَحَّحُوهَا . .

فَاسْتَمِعْ إِلَى هٰذِهِ الْحِكَايَةِ التَّمْثِيلِيَّةِ الَّتِي تُوضِحُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُ كَانَ فِي وَقْتٍ ، رَاعِيَانِ مِنْ أَهْلِ الْقَلْبِ ؛ فَحَلَبَا اللَّبَنَ فِي قَصْعَتِهِمَا ؛ وَتَرَكَاهَا عِنْدَهُمَا ؛ وَكَانَا مَدَّا عَلَى تِلْكَ الْقَصْعَةِ ، بُوقَهُمَا الَّذِي يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ الزَّمَّارَةَ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : اعْتَرَانِي النَّوْمُ ؛ فَيَنَامُ ؛ وَيَبْقَى مُدَّةً فِي النَّوْمِ . وَيَنْظُرُ الْآخَرُ بِدِقَّةٍ ، إِلَى النَّائِمِ ؛ فَرَأَى أَنَّ حَشَرَةً كَالذُّبَابِ خَرَجَتْ مِنْ أَنْفِهِ ؛ تَنْظُرُ إِلَى قَصْعَةِ اللَّبَنِ ؛ ثُمَّ دَخَلَتْ فِي الزَّمَّارَةِ ؛ وَخَرَجَتْ مِنْ طَرَفِهَا الْآخَرِ ؛ وَذَهَبَتْ فَدَخَلَتْ جُحْراً تَحْتَ كَفْنَةٍ ؛ وَغَابَتْ فِيهِ . وَبَعْدَ مُدَّةٍ تَعُودُ تِلْكَ الْحَشَرَةُ ؛ وَتَمْضِي مِنْ دَاخِلِ الزَّمَّارَةِ ؛ وَتَدْخُلُ أَنْفَ النَّائِمِ ؛ فَيَسْتَيْقِظُ وَيَقُولُ : يَا صَاحِبِي ! إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا عَجِيبَةً . وَيَقُولُ صَاحِبُهُ : جَعَلَهَا اللهُ خَيْراً ؛ مَا هِيَ ؟ . فَقَالَ : رَأَيْتُ بَحْراً مِنَ اللَّبَنِ ، قَدِ امْتَدَّ عَلَيْهِ جِسْرٌ عَجِيبٌ ؛ وَكَانَ مَسْقُوفاً ذَا نَوَافِذَ ؛ فَمَضَيْتُ عَنْ ذٰلِكَ الْجِسْرِ ؛ وَرَأَيْتُ غَابَةً كَانَتْ رُؤُوسُهَا كُلُّهَا حَادَّةً ؛ وَرَأَيْتُ تَحْتَهَا غَاراً فَدَخَلْتُهُ ؛ وَرَأَيْتُ كَنْزاً مَالِئاً بِالذَّهَبِ . فَمَا هُوَ تَعْبِيرُهَا ؟ . فَقَالَ صَاحِبُهُ الْيَقْظَانُ : إِنَّ مَا رَأَيْتَ مِنْ بَحْرِ اللَّبَنِ ، هُوَ هٰذِهِ الْقَصْعَةُ ؛ وَذٰلِكَ الْجِسْرُ ، زَمَّارَتُنَا هٰذِهِ ؛ وَتِلْكَ الْغَابَةُ الْحَادَّةُ الرُّؤُوسِ ، هٰذِهِ الشَّوْكَةُ ؛ وَذٰلِكَ الْغَارُ ، هُوَ هٰذَا الْجُحْرُ الصَّغِيرُ ؛ فَأْتِ بِالْمِعْوَلِ ؛ فَأُرِيكَ الْكَنْزَ . فَأَتَى بِهِ ؛ وَحَفَرَا تَحْتَ الشَّوْكَةِ ؛ فَوَجَدَا مِنَ الذَّهَبِ مَا يُسْعِدُهُمَا كِلَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا . فَإِذاً إِنَّ مَا رَآهُ النَّائِمُ حَقٌّ ؛ وَقَدْ رَأَى حَقّاً ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَ حُكْمِهِ خَطأٌ ، حَيْثُ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ بَحْراً مَادِّيّاً حَقِيقِيّاً ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ ، وَالْعَالَمِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ لِأَنَّهُ لَا إِحَاطَةَ لَهُ فِي الرُّؤْيَا ؛ فَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي التَّعْبِيرِ ؛ وَلٰكِنَّ الرَّجُلَ الْيَقِظَ ، لَهُ حَقٌّ فِي التَّعْبِيرِ ؛ لِأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْعَالَمِ

الْمَادِّيِّ ، وَعالَمِ الْمِثالِ . فَلِذا قالَ : إِنَّ ما رَأَيْتَ حَقٌّ ؛ وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ بَحْراً حَقِيقِيّاً ؛ بَلْ إِنَّ قَصْعَتَنا هٰذِهِ ، صارَتْ كَالْبَحْرِ لِخَيالِكَ ؛ وَالزَّمّارَةَ صارَتْ كَالْجِسْرِ وَهٰكَذا . . فَإِذاً إِنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْعالَمِ الرُّوحانِيِّ ، وَالْعالَمِ الْمادِّيِّ . فَإِذا مَزَجَ أَحَدَهُما بِالْآخَرِ ، يُرٰى حُكْمُهُما خَطَأً . .

مَثَلاً : إِنَّ لَكَ غُرْفَةً ضَيِّقَةً ؛ وَلٰكِنْ وُضِعَتْ فِيهَا أَرْبَعُ مَرَايَا كَبِيرَةٍ ، سَدَّتْ جُدْرَانَهَا الْأَرْبَعَةَ . فَإِذَا دَخَلْتَهَا ، تَرٰى تِلْكَ الْغُرْفَةَ الضَّيِّقَةَ ، وَاسِعَةً بِقَدَرِ مَيْدَانٍ . فَإِنْ قُلْتَ : أَرٰى غُرْفَتِي وَاسِعَةً بِقَدَرِ مَيْدَانٍ ؛ صَدَقْتَ . وَإِنْ حَكَمْتَ بِأَنَّ غُرْفَتِي وَاسِعَةٌ مِقْدَارَ سَاحَةٍ ؛ أَخْطَأْتَ ؛ لِأَنَّكَ مَزَجْتَ عَالَمَ الْمِثَالِ ، بِالْعَالَمِ الْحَقِيقِيِّ . فَالتَّصْوِيرَاتُ الَّتِي بَيَّنَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْكَشْفِ ، فِي حَقِّ الطَّبَقَاتِ السَّبْعِ ، مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ ، بِدُونِ أَنْ يَزِنَ بِمِيزَانِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، لَيْسَتْ عِبَارَةً عَنِ الْكَيْفِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ ، فِي نَظَرِ الْجُغْرَافِيَا فَحَسْبُ . فَمَثَلاً : قَالُوا : إِنَّ طَبَقَةً مِنَ الْأَرْضِ ، لِلْجِنِّ وَالْعَفَارِيتِ ؛ لَهَا وُسْعَةُ آلافِ السِّنِينَ ؛ مَعَ أَنَّ تِلْكَ الطَّبَقَاتِ الْعَجِيبَةَ لَا تَتَّسِعُ فِي كُرَتِنَا الَّتِي يُدَارُ حَوْلَهَا فِي سَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ ؛ وَلٰكِنْ لَوْ فَرَضْنَا كُرَتَنَا ، بِمَثَابَةِ نَوَاةِ صَنَوْبَرٍ ، فِي عَالَمِ الْمِثَالِ وَعَالَمِ الْمَعْنٰى ، وَفِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ وَالْأَرْوَاحِ ؛ لَكَانَتْ شَجَرَتُهَا الْمِثَالِيَّةُ الْمُتَشَكِّلَةُ وَالْمُتَمَثِّلَةُ مِنْهَا ، بِقَدَرِ شَجَرَةِ صَنَوْبَرَةٍ عَظِيمَةٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى تِلْكَ النَّوَاةِ . فَلِذٰلِكَ يَرٰى بَعْضُ أَهْلِ الشُّهُودِ ، فِي سَيْرِهِمُ الرُّوحَانِيِّ ، بَعْضاً مِنْ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ ، وَاسِعَةً جِدّاً ، فِي عَالَمِ الْمِثَالِ ؛ وَيَرٰى أَنَّهَا تَسَعُ مَسَافَةَ آلافِ السَّنَةِ . فَمَا يَرَوْنَهُ حَقٌّ ؛ وَلٰكِنَّ عَالَمَ الْمِثَالِ يُشْبِهُ الْعَالَمَ الْمَادِّيَّ ؛ فَلِذٰلِكَ يَرَوْنَهُمَا مَمْزُوجَيْنِ ؛ فَيُعَبِّرُونَ كَذٰلِكَ . فَإِذَا عَادُوا إِلٰى عَالَمِ الصَّحْوِ ؛ يَكْتُبُونَ مَشْهُودَاتِهِمْ بِعَيْنِهَا ؛ فَتُظَنُّ مُخَالِفَةً لِلْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّهَا بِدُونِ مِيزَانٍ . فَكَمَا أَنَّ رَوْضَةً كَبِيرَةً مَعَ قَصْرٍ عَظِيمٍ ، يَتَّسِعُ وُجُودُهُمَا الْمِثَالِيُّ ، فِي مِرْآةٍ صَغِيرَةٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ وُجُودَاتٍ مِثَالِيَّةً ، وَحَقَائِقَ مَعْنَوِيَّةً وَاسِعَةً مِقْدَارَ آلافِ السِّنِينَ ؛ تَتَّسِعُ فِي مَسَافَةِ سَنَةٍ مِنَ الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ . .

خَاتِمَةٌ :

يُفْهَمُ مِنْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ : أَنَّ دَرَجَةَ الشُّهُودِ ، أَدْنٰى بِكَثِيرٍ ، مِنْ دَرَجَةِ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ : أَيْ أَنَّ الْكَشْفِيَّاتِ الَّتِي لَا إِحَاطَةَ لَهَا ، مِنْ كَشْفِيَّاتِ بَعْضِ أَهْلِ الْوَلَايَةِ الَّذِينَ يَسْتَنِدُونَ إِلٰى شُهُودِهِمْ فَحَسْبُ ؛ لَا تَبْلُغُ دَرَجَةَ أَحْكَامِ الْأَصْفِيَاءِ وَالْمُحَقِّقِينَ ، مِنْ أَهْلِ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، أَحْكَامِهِمُ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ الْغَيْبِيَّةِ ، بَلِ الصَّافِيَةِ الْمُحِيطَةِ الصَّادِقَةِ ، وَالْمُسْتَنِدَةِ إِلَى الْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ ، لَا إِلَى الشُّهُودِ . فَإِذاً إِنَّ مِيزَانَ كُلِّ الْأَحْوَالِ وَالْكَشْفِيَّاتِ ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمُشَاهَدَاتِ ، إِنَّمَا هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ؛ وَأَنَّ مِحَكَّهَا هُوَ الدَّسَاتِيرُ الْقُدُسِيَّةُ ، مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَالْقَوَانِينُ الْحَدْسِيَّةُ ، لِأَصْفِيَاءِ الْمُحَقِّقِينَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْمُهِمَّةُ الثَّانِيَةُ :

أَنَّ مَسْأَلَةَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، تُعَدُّ مِنْ طَرَفِ الْكَثِيرِينَ ، الْمَقَامَ الْأَعْلٰى ؛ مَعَ أَنَّ هٰذَا النَّوْعَ مِنْ مَشْرَبِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، لَمْ يُشَاهَدْ صَرَاحَةً مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهِمُ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ ، وَمِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَعَلٰى رَأْسِهِمْ آلُ الْعَبَاءِ الْخَمْسَةُ ، وَمِنَ التَّابِعِينَ وَالْمُجْتَهِدِينَ ، وَعَلٰى رَأْسِهِمُ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ ، الَّذِينَ كَانُوا فِي مَقَامِ الْوَلَايَةِ الْكُبْرٰى . فَيَا عَجَباً ! هَلْ سَبَقَهُمُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ؟ وَهَلْ وَجَدُوا جَادَّةً كُبْرٰى أَكْمَلَ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهُ لَا حَدَّ لِأَحَدٍ ، أَنْ يَتَقَدَّمَ أَكْثَرَ مِنْ أُولٰئِكَ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ كَوَاكِبِ شَمْسِ الرِّسَالَةِ ، وَأَقْرَبُ وَرَثَتِهَا ، حَاشَاهُمْ ؛ بَلْ إِنَّ الْجَادَّةَ الْكُبْرٰى ، هِيَ جَادَّتُهُمْ . وَأَمَّا وَحْدَةُ الْوُجُودِ ، فَهُوَ مَشْرَبٌ وَحَالٌ وَمَرْتَبَةٌ نَاقِصَةٌ ؛ وَلٰكِنَّهُ ذُو ذَوْقٍ وَنَشْوَةٍ . فَلِذٰلِكَ لَا يُرِيدُ الْكَثِيرُونَ أَنْ يَخْرُجُوا عَنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ ، حِينَمَا يَدْخُلُونَهَا فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ ؛ فَيَبْقَوْنَ هُنَاكَ ؛ وَيَظُنُّونَهَا مُنْتَهَى الْمَرَاتِبِ . . فَصَاحِبُ هٰذَا الْمَشْرَبِ ،

إِنْ كَانَ رُوحاً تَجَرَّدَ عَنِ الْمَادِّيَّاتِ وَالْوَسَائِطِ ؛ وَشَقَّ حِجَابَ الْأَسْبَابِ ؛ وَكَانَ مَظْهَراً لِشُهُودٍ عَلٰى وَجْهِ الِاسْتِغْرَاقِ ؛ فَإِنَّ وَحْدَةَ وُجُودٍ حَالِيَّةً ، لَا عِلْمِيَّةً ، نَاشِئَةً عَنْ وَحْدَةِ الشُّهُودِ ، لَا عَنْ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، يُمْكِنُ أَنْ تُحَقِّقَ لَهُ كَمَالاً وَمَقَاماً ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغَ إِلٰى دَرَجَةٍ يُنْكِرُ الْكَائِنَاتِ ، بِحِسَابِ اللهِ تَعَالٰى . وَإِلَّا ؛ فَإِنْ كَانَ خَائِضاً فِي الْأَسْبَابِ ، وَمُتَوَغِّلاً فِي الْمَادِّيَّاتِ ، يَطْلَعُ ادِّعَاؤُهُ لِوَحْدَةِ الْوُجُودِ ، إِلٰى إِنْكَارِ اللهِ تَعَالٰى ، عَلٰى حِسَابِ الْكَائِنَاتِ . .

نَعَمْ : إِنَّ الْجَادَّةَ الْكُبْرٰى ، هِيَ جَادَّةُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَصْفِيَاءِ ؛ وَإِنَّ جُمْلَةَ : (حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ ثَابِتَةٌ) ، هِيَ قَاعِدَتُهُمُ الْكُلِّيَّةُ ؛ وَإِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، لَيْسَ لَهُ مُشَابَهَةٌ بِأَيِّ شَيْءٍ ، بِنَاءً عَلٰى مَضْمُونِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ؛ وَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّحَيُّزِ وَالتَّجَزُّؤِ ؛ وَتَعَلُّقُهُ بِالْمَوْجُودَاتِ ، هُوَ تَعَلُّقُ الْخَلْقِ ؛ وَلَيْسَتِ الْمَوْجُودَاتُ ، أَوْهَاماً وَخَيَالَاتٍ ؛ كَمَا يَزْعُمُهُ أَهْلُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ؛ وَإِنَّ مَا يُشَاهَدُ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، هِيَ آثَارُ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَإِنَّ(١) الْكُلَّ مِنْهُ ؛ وَلَيْسَ الْكُلُّ إِيَّاهُ ؛ لِأَنَّ الْحَادِثَاتِ لَا تَكُونُ عَيْنَ الْقَدِيمِ . .

وَنُقَرِّبُ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنَ الْفَهْمِ بِتَمْثِيلَيْنِ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّهُ يُوجَدُ سُلْطَانٌ مَثَلاً ؛ وَلَهُ دَائِرَةٌ عَدْلِيَّةٌ ، بِاسْمِهِ الْحَاكِمِ الْعَادِلِ ؛ تُظْهِرُ جِلْوَةَ ذٰلِكَ الِاسْمِ . وَإِنَّ اسْماً مِنْ أَسْمَائِهِ الْخَلِيفَةُ ؛ وَدَائِرَةُ مَشْيَخَةٍ وَعِلْمِيَّةٍ ، مَظْهَرٌ لِذٰلِكَ الِاسْمِ . وَلَهُ أَيْضاً اسْمُ الْقَائِدِ الْأَعْظَمِ ؛ فَيُظْهِرُ الْفَعَّالِيَّةَ ، بِذٰلِكَ الِاسْمِ ، فِي الدَّوَائِرِ الْعَسْكَرِيَّةِ ؛ وَالْجَيْشُ مَظْهَرٌ لِذٰلِكَ الِاسْمِ . فَالْآنَ إِذَا خَرَجَ أَحَدٌ ؛ وَقَالَ : إِنَّ ذٰلِكَ السُّلْطَانَ ، حَاكِمٌ عَادِلٌ فَقَطْ ؛ وَلَا دَائِرَةَ سِوٰى دَوَائِرِ الْعَدْلِيَّةِ ؛ فَحِينَئِذٍ يُطَبِّقُ بِاضْطِرَارٍ ، أَوْصَافَ عُلَمَاءَ فِي دَائِرَةِ الْمَشْيَخَةِ ، بِصُورَةٍ اعْتِبَارِيَّةٍ لَا حَقِيقِيَّةٍ ، بَيْنَ مُوَظَّفِي تِلْكَ الْعَدْلِيَّةِ ، عَلٰى أُولَائِكَ الْمُوَظَّفِينَ ؛ وَيُطَبِّقُ أَحْوَالَهُمْ عَلَيْهِمْ ؛ فَيَتَصَوَّرُ دَائِرَةَ مَشْيَخَةٍ تَبَعِيَّةٍ وَظِلِّيَّةٍ ، فِي الْعَدْلِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، بِشَكْلٍ

(١) أَصْلُ النَّصِّ : «هَمَه أُوسْت دَ كِلْ ؛ هَمَه أَزْأُوسْت دِرْ» . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

ظِلِّيٍّ وَخَيَالِيٍّ ؛ وَكَذَا يَعْتَبِرُ أَحْوَالَ دَائِرَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، وَمُعَامَلاتِهَا الْعَائِدَةَ إِلَيْهَا ، بَيْنَ أُولٰئِكَ الْمُوَظَّفِينَ مِنْ مُوَظَّفِي الْعَدْلِيَّةِ ، بِشَكْلٍ فَرَضِيٍّ أَيْضاً ؛ وَيَعْتَبِرُهَا دَائِرَةً عَسْكَرِيَّةً غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ ؛ وَهٰكَذَا . . فَالِاسْمُ الْحَقِيقِيُّ لِلسُّلْطَانِ فِي هٰذَا الْحَالِ ، هُوَ اسْمُ الْحَاكِمِ الْعَادِلِ ؛ وَحَاكِمِيَّتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ ، هِيَ مَا فِي الْعَدْلِيَّةِ مِنَ الْحَاكِمِيَّةِ . وَإِنَّ أَسْمَاءَهُ كَالْخَلِيفَةِ ، وَالْقَائِدِ الْأَعْظَمِ ، وَالسُّلْطَانِ ، اعْتِبَارِيَّةٌ ؛ وَلَيْسَتْ حَقِيقِيَّةً . وَالْحَالُ أَنَّ مَاهِيَّةَ السَّلْطَنَةِ وَحَقِيقَتَهَا ، تَقْتَضِي جَمِيعَ أَسْمَائِهِ حَقِيقِيَّةً ؛ وَالْأَسْمَاءُ الْحَقِيقِيَّةُ تَقْتَضِي دَوَائِرَ حَقِيقِيَّةً وَتَسْتَلْزِمُهَا ؛ كَذٰلِكَ تَقْتَضِي سَلْطَنَةُ الْأُلُوهِيَّةِ ، أَسْمَاءً مُقَدَّسَةً كَثِيرَةً ، كَالرَّحْمٰنِ ، وَالرَّزَّاقِ وَالْوَهَّابِ ، وَالْخَلَّاقِ وَالْفَعَّالِ ، وَالْكَرِيمِ وَالرَّحِيمِ ؛ وَتَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ حَقِيقِيَّةً ؛ وَالْأَسْمَاءُ الْحَقِيقِيَّةُ تَقْتَضِي مَرَايَا حَقِيقِيَّةً . فَالْآنَ إِذَا كَانَ أَهْلُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، يَقُولُونَ : (لَا مَوْجُودَ إِلَّا هُو) ؛ وَيُنَزِّلُونَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ ، إِلَى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ؛ يُوجَدُ لِاسْمِ الْوَاجِبِ وَالْمَوْجُودِ ، وَالْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ ، مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى ، دَوَائِرُ وَجِلْوَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ ؛ بَلْ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَرَايَاهَا وَدَوَائِرُهَا حَقِيقِيَّةً ؛ وَكَانَتْ خَيَالِيَّةً وَعَدَمِيَّةً ؛ لَا تَضُرُّ بِهَا ؛ بَلْ إِنْ لَمْ يُوجَدْ فِي مِرْآةِ الْوُجُودِ الْحَقِيقِيِّ ، لَوْنُ الْوُجُودِ ؛ تَكُونُ أَصْفَى وَأَشْرَقَ ؛ وَلٰكِنَّ أَسْمَاءَهُ مِثْلَ الرَّحْمٰنِ وَالرَّزَّاقِ ، وَالْقَهَّارِ وَالْجَبَّارِ وَالْخَلَّاقِ ، تَكُونُ تَجَلِّيَاتُهَا اعْتِبَارِيَّةً ؛ وَلَا تَكُونُ حَقِيقِيَّةً ؛ مَعَ أَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ حَقِيقِيَّةٌ ، كَاسْمِ الْمَوْجُودِ ؛ وَلَا تَكُونُ ظِلَالاً ؛ وَأَنَّهَا أَصْلِيَّةٌ ؛ وَلَا تَكُونُ تَبَعِيَّةً . .

فَأَمَّا الصَّحَابَةُ ، وَالْأَصْفِيَاءُ ، وَالْمُجْتَهِدُونَ ، وَأَئِمَّةُ آلِ الْبَيْتِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ ثَابِتَةٌ ؛ فَإِنَّ لِلّٰهِ تَعَالَى ، بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ ، تَجَلِّيَاتٍ حَقِيقِيَّةً ؛ وَإِنَّ لِكُلِّ الْأَشْيَاءِ ، وُجُوداً عَارِضِيّاً ، بِإِيجَادِهِ تَعَالَى ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْوُجُودَ ، وَإِنْ كَانَ ظِلّاً ضَعِيفاً بِلَا قَرَارٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى وُجُودِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ لٰكِنَّهُ لَيْسَ وَهْماً وَلَا خَيَالاً ؛ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ، يُعْطِيهَا الْوُجُودَ ، بِاسْمِهِ الْخَلَّاقِ ؛ وَيُدِيمُ ذٰلِكَ الْوُجُودَ . .

اَلتَّمْثِيلُ الثَّانِي : أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ فِي الْجُدْرَانِ الْأَرْبَعَةِ ، مِنْ هٰذَا الْمَنْزِلِ ، أَرْبَعُ مَرَايَا كَبِيرَةٍ عَلَى مِقْدَارِ الْقَامَةِ مَثَلاً ؛ فَإِنَّ كُلَّ مِرْآةٍ ؛ وَإِنِ ارْتَسَمَ فِيهَا ذٰلِكَ الْمَنْزِلُ مَعَ الْمَرَايَا

الثَّلاثِ الْأُخْرٰى ، إِلّا أَنَّهَا تَحْتَوِي حَسَبَ هَيْئَتِهَا وَلَوْنِهَا عَلَى الْأَشْيَاءِ ؛ وَإِنَّهَا فِي حُكْمِ مَنْزِلٍ مِثَالِيٍّ مَخْصُوصٍ بِنَفْسِهَا . فَالْآنَ إِذَا دَخَلَ رَجُلانِ ذٰلِكَ الْمَنْزِلَ ؛ يَنْظُرُ أَحَدُهُمَا إِلٰى مِرْآةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ ؛ فَيَقُولُ : إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي هٰذِهِ الْمِرْآةِ ؛ وَعِنْدَمَا يَسْمَعُ الْمَرَايَا الْأُخْرٰى ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ ؛ يُطَبِّقُ مَسْمُوعَاتِهِ ، عَلٰى مَا فِي زَاوِيَةٍ صَغِيرَةٍ ، مِنْ تِلْكَ الْمِرْآةِ الْوَاحِدَةِ ، مِمَّا أَصْبَحَ ظِلّاً بِدَرَجَتَيْنِ ؛ وَصَغُرَتْ حَقِيقَتُهُ وَتَغَيَّرَتْ ؛ وَيَقُولُ : إِنِّي أَرٰى كَذٰلِكَ ؛ فَإِذاً إِنَّ الْحَقِيقَةَ كَذٰلِكَ ؛ فَيَقُولُ لَهُ الرَّجُلُ الْآخَرُ : نَعَمْ : إِنَّكَ تَرٰى كَذٰلِكَ ؛ وَإِنَّ مَا تَرَاهُ حَقٌّ ؛ وَلٰكِنَّ الْحَقِيقَةَ لَيْسَتْ صُورَتُهَا الْحَقِيقِيَّةُ كَذٰلِكَ ، فِي الْوَاقِعِ وَفِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَإِنَّهُ تُوجَدُ مَرَايَا أُخْرٰى ، كَالْمِرْآةِ الَّتِي تَنْظُرُ إِلَيْهَا بِإِمْعَانٍ ؛ وَإِنَّهَا لَيْسَتْ ظِلَالَ ظِلٍّ صَغِيرٍ ، بِقَدَرِ مَا تَرٰى . .

هٰذَا ، فَالْأَسْمَاءُ الْإِلٰهِيَّةُ يَقْتَضِي كُلٌّ مِنْهَا مَرَايَا مُخْتَلِفَةً . وَإِنَّ الرَّحْمٰنَ وَالرَّزَّاقَ مَثَلاً ، لِكَوْنِهِمَا حَقِيقِيَّيْنِ وَأَصْلِيَّيْنِ ، يَقْتَضِيَانِ مَا يَلِيقُ بِهِمَا ، مِنْ مَوْجُودَاتٍ تَحْتَاجُ إِلَى الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ . وَكَمَا أَنَّ الرَّحْمٰنَ يَقْتَضِي ذَوَاتِ أَرْوَاحٍ حَقِيقِيَّةٍ ، تَحْتَاجُ إِلَى الرِّزْقِ ، فِي دُنْيَا حَقِيقِيَّةٍ ؛ كَذٰلِكَ الرَّحِيمُ يَقْتَضِي جَنَّةً كَذٰلِكَ . . وَإِذَا قُبِلَ اسْمُ الْمَوْجُودِ وَالْوَاجِبِ وَالْأَحَدِ فَقَطْ ، أَسْمَاءً حَقِيقِيَّةً ؛ وَجُعِلَتِ الْأَسْمَاءُ الْأُخْرٰى فِي ضِمْنِهَا ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا ظِلَالٌ ؛ يَصِيرُ ذٰلِكَ فِي حُكْمِ ظُلْمٍ ضِدَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ . . فَمِنْ هٰذَا السِّرِّ كَانَتِ الْجَادَّةُ الْكُبْرٰى ، جَادَّةَ الصَّحَابَةِ وَالْأَصْفِيَاءِ وَالتَّابِعِينَ ، وَأَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ ، الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْوِلَايَةِ الْكُبْرٰى ، بِلا شَكٍّ ؛ فَهُمُ الطَّبَقَةُ الْأُولٰى مِنْ تَلامِيذِ الْقُرْآنِ مُبَاشَرَةً . .

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ . . رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۞ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مَنْ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ لَمْ تُحلّ بِالعَقْلِ وَالحِكْمَةِ :

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۞ .. فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞﴾ ..

﴿سُؤَالٌ :﴾ مَا هُوَ سِرُّ هٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةِ الْمُحيِّرَةِ الْمُتَمَادِيَةِ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَمَا هِيَ حِكْمَتُهَا ؟ وَلِمَاذَا لَا تَسْكُنُ هٰؤُلَاءِ الْمُتَحَرِّكَاتُ ؛ فَتَدُورُ وَتَتَجَدَّدُ دَائِماً ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ إِيضَاحَ هٰذِهِ الْحِكْمَةِ يَقْتَضِي أَلْفَ صَحِيفَةٍ . فَإِذاً نَتْرُكُ إِيضَاحَهَا ؛ وَنُوَسِّعُ صَحِيفَتَيْنِ ، لِإِجْمَالٍ مُخْتَصَرٍ مِنْهَا غَايَةَ الاخْتِصَارِ .. فَذٰلِكَ كَمَا أَنَّ إِنْسَاناً إِذَا عَمِلَ وَظِيفَةً فِطْرِيَّةً ، أَوْ وَظِيفَةً اجْتِمَاعِيَّةً ؛ وَسَعَى لِتِلْكَ الْوَظِيفَةِ ، بِشَكْلٍ حَارٍّ ؛ يَفْهَمُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِإِمْعَانٍ : أَنَّ مَا يَسْتَخْدِمُهُ فِي تِلْكَ الْوَظِيفَةِ ، أَمْرَانِ ..

أَحَدُهُمَا : مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الْوَظِيفَةِ ، مِنَ الْمَصَالِحِ وَالثَّمَرَاتِ وَالْفَوَائِدِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : الْعِلَّةُ الْغَائِيَّةُ ..

وَثَانِيهِمَا : مَحَبَّةٌ وَاشْتِيَاقٌ وَلَذَّةٌ تَسْتَخْدِمُهُ لِتِلْكَ الْوَظِيفَةِ بِحَرَارَةٍ ؛ فَيُعَبَّرُ عَنْهَا بِالدَّاعِي وَالْمُقْتَضِي . فَمَثَلاً : إِنَّ مَا يَسُوقُهُ إِلَى أَكْلِ الطَّعَامِ ، اشْتِيَاقٌ وَلَذَّةٌ يَنْشَآنِ عَنْ الِاشْتِهَاءِ ؛ ثُمَّ نَتِيجَةُ الْأَكْلِ ، تَغْذِيَةُ الْبَدَنِ وَإِدَامَةُ حَيَاتِهِ ؛ كَذٰلِكَ ـ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ـ أَنَّ مَا فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، مِنَ الْفَعَّالِيَّةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، الْمُثِيرَةِ لِلدَّهْشَةِ ، وَالْمُوجِبَةِ لِلْحَيْرَةِ ؛ تَسْتَنِدُ إِلَى قِسْمَيْنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، لِحِكْمَتَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ ؛ كُلُّ حِكْمَةٍ مِنْهُمَا لَا نِهَايَةَ لَهَا ..

فَالْأُولَى : أَنَّ لِأَسْمَاءِ اللّٰهِ الْحُسْنَى ، أَنْوَاعَ تَجَلِّيَاتٍ لَا تُحَدُّ وَلَا تُحْصَى . وَتَنَوُّعُ الْمَخْلُوقَاتِ يَنْشَأُ عَنْ تَنَوُّعِ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ تَقْتَضِي التَّظَاهُرَ بِشَكْلٍ دَائِمٍ : أَيْ تَقْتَضِي إِظْهَارَ نُقُوشِهَا : أَيْ تَقْتَضِي إِظْهَارَ جَلْوَاتِ جَمَالِهَا ، وَرُؤْيَتَهَا فِي مَرَايَا نُقُوشِهَا : أَيْ تَقْتَضِي تَجْدِيدَ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ ، وَمَكْتُوبَاتِ الْمَوْجُودَاتِ آناً فَآناً : أَيْ تَقْتَضِي اسْتِنْسَاخاً مُتَجَدِّداً دَالّاً عَلَى الْمَعَانِي ، وَإِقْرَاءَ كُلِّ مَكْتُوبٍ ، وَعَرْضَهُ عَلَى نَظَرِ

مُطَالَعَةِ جَمِيعِ ذَوِي الشُّعُورِ ، مَعَ الذَّاتِ الْمُقَدَّسِ وَالْمُسَمَّى الْأَقْدَسِ ..

وَالْحِكْمَةُ الثَّانِيَةُ : كَمَا أَنَّ مَا فِي الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْفَعَّالِيَّةِ ، تَنْشَأُ عَنِ اشْتِهَاءٍ وَاشْتِيَاقٍ وَلَذَّةٍ ؛ حَتّى إِنَّ فِي كُلِّ فَعَّالِيَّةٍ تُوجَدُ لَذَّةٌ قَطْعاً ؛ بَلْ إِنَّ كُلَّ فَعَّالِيَّةٍ ، نَوْعُ لَذَّةٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ لِلْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، شَفَقَةً وَمَحَبَّةً مُقَدَّسَتَيْنِ لَا حَدَّ لَهُمَا ، بِنَمَطٍ لَائِقٍ بِهِ ، وَبِوَجْهٍ مُوَافِقٍ بِاسْتِغْنَائِهِ الذَّاتِيِّ ، وَغِنَاهُ الْمُطْلَقِ ، وَبِشَكْلٍ مُنَاسِبٍ بِكَمَالِهِ الْمُطْلَقِ ؛ وَأَنَّ لَهُ شَوْقاً مُقَدَّساً لَا حَدَّ لَهُ ، نَاشِئاً عَنْ تِلْكَ الشَّفَقَةِ وَالْمَحَبَّةِ الْمُقَدَّسَتَيْنِ ، وَسُرُوراً مُقَدَّساً لَا حَدَّ لَهُ ، نَاشِئاً عَنْ ذٰلِكَ الشَّوْقِ الْمُقَدَّسِ ، وَلَذَّةً مُقَدَّسَةً لَا حَدَّ لَهَا ـ إِنْ جَازَ التَّعْبِيرُ ـ نَاشِئَةً عَنْ ذٰلِكَ السُّرُورِ الْمُقَدَّسِ ؛ وَكَذَا أَنَّ لَهُ امْتِنَاناً وَافْتِخَاراً مُقَدَّسَيْنِ لَا حَدَّ لَهُمَا ـ إِنْ جَازَ التَّعْبِيرُ ـ عَائِدَيْنِ إِلٰى ذَاتِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، وَنَاشِئَيْنِ عَنِ امْتِنَانِ الْمَخْلُوقَاتِ وَكَمَالِهَا ، النَّاشِئَيْنِ عَنْ تَكَمُّلِهَا وَخُرُوجِ اسْتِعْدَادِهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ ، فِي فَعَّالِيَّةِ الْقُدْرَةِ ، عَنْ تَرَحُّمٍ لَا حَدَّ لَهُ ، يَنْشَأُ عَنْ تِلْكَ اللَّذَّةِ الْمُقَدَّسَةِ . فَلِذٰلِكَ تَقْتَضِي فَعَّالِيَّةً بِلَا حَدٍّ ، بِشَكْلٍ لَا حَدَّ لَهُ ..

فَالْفَلْسَفَةُ وَالْفَنُّ وَالْحِكْمَةُ ، لَمْ تَعْلَمْ هٰذِهِ الْحِكْمَةَ الدَّقِيقَةَ ؛ فَلِذٰلِكَ خَلَطَتِ الطَّبِيعَةَ الَّتِي لَا شُعُورَ لَهَا ، وَالتَّصَادُفَ الْأَعْمٰى ، وَالْأَسْبَابَ الْجَامِدَةَ ، بِهٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةِ الْعَلِيمَةِ وَالْحَكِيمَةِ الْبَصِيرَةِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ فَوَقَعَتْ فِي ظُلُمَاتِ الضَّلَالَةِ ؛ وَلَمْ تَجِدْ نُورَ الْحَقِيقَةِ .. ﴿ قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ..

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ..

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى كَاشِفِ طِلْسِمِ كَائِنَاتِكَ ، بِعَدَدِ ذَرَّاتِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، مَا دَامَ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ..

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي ..

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) ..

اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ

إِنَّ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، تُبَيِّنُ مَا يَزِيدُ عَنْ ثَلاثِمِئَةِ مُعْجِزَةٍ . وَكَمَا أَنَّها تُبَيِّنُ مُعْجِزَاتِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ فَهِيَ نَفْسُهَا ، كَرَامَةٌ لِتِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ . وَقَدْ أَصْبَحَتْ خَارِقَةً بِثَلاثَةِ أَنْوَاعٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ . .

﴿ اَلْأَوَّلُ : ﴾ أَنَّ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، أُلِّفَ مَجْمُوعُهَا ، فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً ، مَعَ شَرْطِ الْعَمَلِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلاثَ سَاعَاتٍ ، خِلالَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ ، فِي زَوَايَا الْجِبَالِ وَالْحَدَائِقِ ، عَنْ ظَهْرِ الْقَلْبِ ، بِدُونِ أَنْ تُرَاجَعَ الْكُتُبُ ؛ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ صَحِيفَةٍ ، مَعَ كَوْنِهَا نَقْلاً وَرِوَايَةً . فَذٰلِكَ حَدَثٌ خَارِقٌ . .

﴿ اَلثَّانِي : ﴾ أَنَّ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ مَعَ طُولِهَا ، لا تُورِثُ كِتَابَتُهَا الْمَلَلَ ؛ وَلا قِرَاءَتُهَا تُفْقِدُ حَلاوَتَهَا . وَقَدْ أَثَارَتِ الْكُسَالَى مِنْ أَصْحَابِ الْقَلَمِ ، إِلٰى شَوْقٍ وَغَيْرَةٍ ، بِحَيْثُ كُتِبَ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَبْعِينَ نُسْخَةً ، خِلالَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي هٰذِهِ النَّوَاحِي ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ الْحَرِجِ الْمُمِلِّ . فَذٰلِكَ أَقْنَعَ الْمُطَّلِعِينَ عَلَيْهِ ، بِأَنَّهُ كَرَامَةٌ لِمُعْجِزَاتِ الرِّسَالَةِ تِلْكَ . .

﴿ اَلثَّالِثُ : ﴾ أَنَّهُ تَوَافَقَتْ كَلِمَةُ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ) فِي جَمِيعِ الرِّسَالَةِ ؛ وَلَفْظُ (الْقُرْآنِ) فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهَا ، فِي نُسْخَةٍ كَتَبَهَا مُسْتَنْسِخٌ غَيْرُ حَاذِقٍ ، لَيْسَ لَهُ خَبَرٌ عَنِ التَّوَافُقِ ، وَفِي نُسَخٍ كَتَبَهَا ثَمَانِيَةُ مُسْتَنْسِخِينَ آخَرِينَ ، بِدُونِ أَنْ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً ؛ وَذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَظَاهَرَ التَّوَافُقُ لَنَا أَيْضاً . فَتَظَاهَرَ تَوَافُقُهُمَا عَلٰى وَجْهٍ لا يُسْنِدُهُ إِلَى

التَّصَادُفِ ، مَنْ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِنْصَافِ . وَمَنْ رَآهُ ، يَحْكُمُ قَطْعاً بِأَنَّ هٰذَا سِرٌّ غَيْبِيٌّ وَكَرَامَةٌ لِلْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ . .

وَإِنَّ مَا فِي صَدْرِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، مِنَ الْأُسُسِ ، مُهِمَّةٌ جِدّاً . وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ تُبَيِّنُ مِنْ حَادِثَاتِ الرِّسَالَةِ ، مَا هُوَ أَقْطَعُ ، مَعَ كَوْنِهَا مَقْبُولَةً وَصَحِيحَةً عَلَى الْأَكْثَرِ لَدٰى أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ . وَإِذَا لَزِمَ ذِكْرُ مَزَايَا تِلْكَ الرِّسَالَةِ ؛ يَلْزَمُ تَأْلِيفُ كِتَابٍ بِقَدَرِهَا . فَلِذٰلِكَ نُحِيلُ الْمُشْتَاقِينَ ، عَلٰى قِرَاءَتِهَا مَرَّةً وَاحِدَةً . .

﴿ **تَنْبِيهٌ :** ﴾ لَقَدْ نَقَلْتُ كَثِيراً مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ ، فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ وَلَا يُوجَدُ عِنْدِي كُتُبُ الْأَحَادِيثِ . فَإِنْ وُجِدَ خَطَئِي فِي لَفْظِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي كَتَبْتُهَا ؛ فَإِمَّا أَنْ يُصَحَّحَ ؛ أَوْ يُقَالَ : إِنَّهُ حَدِيثٌ بِالْمَعْنٰى ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ الرَّاجِحَ ، جَوَازُ نَقْلِ الْحَدِيثِ بِالْمَعْنٰى ؛ وَذٰلِكَ بِأَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى الْحَدِيثِ فَقَطْ ؛ وَيَذْكُرَ لَفْظَهُ مِنْ عِنْدِهِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَلْيُنْظَرْ إِلَيْهِ نَظَرَ الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ بِالْمَعْنٰى ؛ إِنْ وُجِدَ خَطَئِي فِي لَفْظِهِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلْمُعْجِزَاتُ الْأَحْمَدِيَّةُ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ الَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيداً ۞ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ . .﴾ إِلٰى آخِرِهَا . .

إِنَّ الْمَقَالَةَ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ ، وَالْحَادِيَةَ وَالثَّلاثِينَ ، الدَّائِرَتَيْنِ حَوْلَ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، قَدْ أَثْبَتَتَا النُّبُوَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، بِالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَةِ ؛ فَنُفَوِّضُ جِهَةَ الْإِثْبَاتِ إِلَيْهِمَا . وَإِنَّمَا نُظْهِرُ بَعْضَ لَمَعَاتِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْكُبْرٰى ، بِتِسْعَ عَشْرَةَ إِشَارَةً ذَاتَ نُكَتٍ ، تَتِمَّةً لَهُمَا . .

اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى ذَاتُ النُّكْتَةِ :

إِنَّ صَاحِبَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَمُتَصَرِّفَهَا يَصْنَعُ عَلٰى عِلْمٍ ؛ وَيَتَصَرَّفُ بِحِكْمَةٍ ؛ وَيُدَوِّرُ كُلَّ جَانِبٍ عَلٰى بَصِيرَةٍ ؛ وَيُرَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عَلٰى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ ؛ وَيُدَبِّرُ مَا يُشَاهَدُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، مِنَ الْحِكَمِ وَالْغَايَاتِ وَالْفَوَائِدِ ، عَلٰى إِرَادَةٍ . فَإِذَا كَانَ الصَّانِعُ يَعْلَمُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَالِمَ يَتَكَلَّمُ ؛ وَإِذَا كَانَ يَتَكَلَّمُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ ذِي شُعُورٍ وَذِي فِكْرٍ ، وَمَعَ مَنْ يَعْلَمَ تَكَلُّمَهُ ؛ وَإِذَا كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَ ذِي فِكْرٍ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَجْمَعُ وَأَعَمُّ شُعُوراً ، بَيْنَ ذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَإِذَا كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْكَامِلِينَ الْمُسْتَعِدِّينَ لِلْخِطَابِ ، بَيْنَ النَّاسِ ؛ وَإِذَا كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَ

الَّذِينَ يَكُونُونَ قُدْوَةً لِنَوْعِ الْبَشَرِ ، وَالَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ كَمَالاً ، وَأَسْمَى اسْتِعْدَاداً ، وَأَعْلَى خُلُقاً ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ ﴿مُحَمَّدٍ ﷺ﴾ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسْمَى اسْتِعْدَادٍ ، وَأَعْلَى خُلُقٍ ، بِاتِّفَاقِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ ؛ وَاقْتَدَى بِهِ خُمُسُ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ وَدَخَلَ تَحْتَ حُكْمِهِ الْمَعْنَوِيِّ ، نِصْفُ الْأَرْضِ ؛ وَأَضَاءَ الْمُسْتَقْبَلَ بِضِيَاءِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ النُّورِ ، ثَلَاثَمِئَةٍ وَأَلْفَ سَنَةٍ ؛ وَيُجَدِّدُ الْقِسْمُ الْمُتَنَوِّرُ ، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ مِنَ الْبَشَرِ ، بَيْعَتَهُمْ بِهِ ، كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ؛ وَيَدْعُونَ لَهُ دُعَاءَ الرَّحْمَةِ وَالسَّعَادَةِ ؛ وَيَمْدَحُونَهُ وَيُحِبُّونَهُ دَائِماً ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَجْعَلُهُ رَسُولاً وَهَادِياً لِسَائِرِ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ وَقَدْ تَكَلَّمَ مَعَهُ ؛ وَجَعَلَهُ رَسُولاً وَهَادِياً لَهُمْ . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ ذَاتُ النُّكْتَةِ :

إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ادَّعَى النُّبُوَّةَ ؛ وَأَعْلَنَ مَنْشُوراً مِثْلَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ ؛ وَأَظْهَرَ مَا يَبْلُغُ الْأَلْفَ لَدَى الْمُحَقِّقِينَ ، مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ؛ وَإِنَّ وُجُودَ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ ، بِهَيْئَةِ مَجْمُوعِهَا ، قَطْعِيٌّ بِدَرَجَةِ وُقُوعِ دَعْوَى النُّبُوَّةِ ؛ وَإِنَّ مَا يَنْقُلُهُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، عَنْ أَلَدِّ الْكُفَّارِ ، مِنْ إِسْنَادِ السِّحْرِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ الْمُعَانِدِينَ أَيْضاً ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُنْكِرُوا وُجُودَ الْمُعْجِزَاتِ وَوُقُوعَهَا ؛ وَإِنَّمَا قَالُوا : إِنَّهَا سِحْرٌ — حَاشَاهَا – لِيَخْدَعُوا أَنْفُسَهُمْ ؛ أَوْ لِيُقْنِعُوا أَتْبَاعَهُمْ . نَعَمْ : إِنَّ لِلْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، تَحَقُّقاً فِي قُوَّةِ مِئَةِ تَوَاتُرٍ . وَالْمُعْجِزَةُ تَصْدِيقٌ لِدَعْوَاهُ ، مِنْ جَانِبِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَتَكُونُ فِي حُكْمِ قَوْلِهِ : صَدَقْتَ . فَكَمَا أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ فِي مَجْلِسِ سُلْطَانٍ ، وَفِي دَائِرَةِ نَظَرِهِ : إِنَّ السُّلْطَانَ جَعَلَنِي مَأْمُوراً بِالْأَمْرِ الْفُلَانِيِّ ؛ وَاسْتُدْعِيَ مِنْكَ دَلِيلٌ عَلَى تِلْكَ الدَّعْوَى ؛ فَقَالَ السُّلْطَانُ : «نَعَمْ» ؛ فَإِنَّهُ يُصَدِّقُكَ ؛ كَمَا أَنَّهُ إِذَا غَيَّرَ عَادَتَهُ وَكَيْفِيَّتَهُ بِطَلَبِكَ ؛ يُصَدِّقُ دَعْوَاكَ أَيْضاً ، أَجْزَمَ وَأَقْوَى مِنْ قَوْلِهِ نَعَمْ ؛ فَكَذَلِكَ ادَّعَى ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَقَالَ : «إِنِّي مَبْعُوثُ خَالِقِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ . وَدَلِيلِي : أَنَّهُ يُغَيِّرُ عَادَتَهُ

الْمُسْتَمِرَّةَ ، بِدُعَائِي وَطَلَبِي ؛ فَانْظُرُوا إِلَى أَصَابِعِي ؛ فَإِنَّهُ يُفَجِّرُهَا كَعَيْنِ ذَاتِ خَمْسِ قَنَوَاتٍ ؛ وَانْظُرُوا إِلَى الْقَمَرِ ؛ فَإِنَّهُ يَشُقُّهُ بِإِشَارَةِ إِصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِي ؛ وَانْظُرُوا إِلَى هٰذِهِ الشَّجَرَةِ ؛ فَإِنَّهَا تَأْتِي إِلَيَّ ؛ وَتَشْهَدُ لِتَصْدِيقِي ؛ وَانْظُرُوا إِلَى هٰذَا الْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ ؛ فَهَا إِنَّهُ يُشْبِعُ مِئَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثَمِئَةِ رَجُلٍ ؛ وَهُوَ إِنَّمَا يَكْفِي لِرَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ رِجَالٍ» . وَهٰكَذَا أَظْهَرَ مِئَاتِ الْمُعْجِزَاتِ بِهٰذَا الْوَجْهِ . .

وَالْآنَ إِنَّ دَلاَئِلَ صِدْقِ هٰذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، وَبَرَاهِينَ نُبُوَّتِهِ ، لَيْسَتْ مُنْحَصِرَةً عَلَى مُعْجِزَاتِهِ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّ جَمِيعَ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَأَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ، وَأَخْلاَقِهِ وَأَطْوَارِهِ ، وَسِيرَتِهِ وَصُورَتِهِ ، تُثْبِتُ لِأَهْلِ الدِّقَّةِ ، صِدْقَهُ وَجِدِّيَّتَهُ ؛ حَتّى إِنَّ كَثِيراً مِنْ أَمْثَالِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ ، الَّذِي هُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، آمَنُوا بِهِ ، بِرُؤْيَةِ سِيمَاهُ فَقَطْ ؛ فَقَالُوا : إِنَّهُ لاَ يُوجَدُ الْكَذِبُ ، فِي هٰذِهِ السِّيمَا ؛ وَلاَ تَكُونُ الْحِيلَةُ ، فِي هٰذِهِ الطَّلْعَةِ . وَإِنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَإِنْ قَالُوا : «إِنَّ مُعْجِزَاتِهِ وَدَلاَئِلَ نُبُوَّتِهِ ، تَبْلُغُ الْأَلْفَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ تُوجَدُ آلاَفٌ ، بَلْ مِئَاتُ آلاَفٍ ، مِنْ دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ» . وَإِنَّ مِئَاتِ الآلاَفِ أُنَاسٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَفْكَارِ ، صَدَّقُوا نُبُوَّتَهُ بِمِئَاتِ آلاَفِ الطُّرُقِ . وَإِنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ يُظْهِرُ أَلْفَ بُرْهَانٍ مِنْ بَرَاهِينِ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، غَيْرَ مَا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِينَ وَجْهاً مِنْ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ . وَأَيْضاً لَمَّا وُجِدَتِ النُّبُوَّةُ فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ وَجَاءَ مِئَاتُ آلاَفٍ ؛ وَمَضَوْا مِمَّنِ ادَّعَوُا النُّبُوَّةَ ؛ وَأَظْهَرُوا الْمُعْجِزَةَ ؛ فَلاَ شَكَّ أَنَّ النُّبُوَّةَ الْأَحْمَدِيَّةَ ، ثَابِتَةٌ بِيَقِينٍ فَوْقَ الْجَمِيعِ ؛ لِأَنَّ مَا صَارَ مَدَاراً لِرِسَالَةِ جَمِيعِ الرُّسُلِ كَعِيسَى (عليه السلام) ، وَمُوسَى (عليه السلام) ؛ وَأَطْلَقَ عَلَيْهِمُ اسْمَ النَّبِيِّ ، مِنَ الدَّلاَئِلِ وَالْأَوْصَافِ وَالْكَيْفِيَّاتِ وَالْمُعَامَلاَتِ مَعَ أُمَمِهِمْ ؛ تُوجَدُ فِي ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ بِصُورَةٍ أَكْمَلَ وَأَجْمَعَ . فَإِذَا كَانَ عِلَّةُ حُكْمِ النُّبُوَّةِ وَسَبَبُهُ ، مَوْجُودَيْنِ بِوَجْهٍ أَكْمَلَ ، فِي الذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ فَلاَ شَكَّ أَنَّ حُكْمَ النُّبُوَّةِ ، ثَابِتٌ لَهُ بِتَحَقُّقٍ أَوْضَحَ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ ذَاتُ النُّكْتَةِ :

إِنَّ مُعْجِزَاتِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ مُتَنَوِّعَةٌ جِدّاً ؛ فَإِنَّ رِسَالَتَهُ عَامَّةٌ . فَلِذٰلِكَ صَارَ مَظْهَراً لِمُعْجِزَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، مِنْ أَكْثَرِ أَنْوَاعِ الْكَائِنَاتِ . فَكَمَا أَنَّ مُسْتَشَارَ سُلْطَانٍ ذِي شَأْنٍ ، حِينَمَا يَأْتِي إِلٰى مَدِينَةٍ هِيَ مَجْمَعُ أَقْوَامٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مَعَ هَدَايَا مُتَنَوِّعَةٍ ؛ يَبْعَثُ كُلُّ طَائِفَةٍ مُمَثِّلاً ، إِلَى اسْتِقْبَالِهِ ؛ فَيُرَحِّبُ بِهِ ؛ وَيُصَفِّقُ لَهُ بِلِسَانِ طَائِفَتِهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ رُسُلِ سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، لَمَّا شَرَّفَ الْعَالَمَ بِقُدُومِهِ ؛ وَجَاءَ مَبْعُوثاً إِلٰى نَوْعِ الْبَشَرِ ، مِنْ أَهَالِي كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ وَأَتَى مِنْ جَانِبِ خَالِقِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، بِالْهَدَايَا الْمَعْنَوِيَّةِ وَأَنْوَارِ الْحَقِيقَةِ ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَقَائِقِ عُمُومِ الْكَائِنَاتِ ؛ صَفَّقَتْ لَهُ كُلُّ طَائِفَةٍ ، مِنَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ ، وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ ، وَالْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ ، وَمِنَ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ إِلَى النُّجُومِ ؛ وَرَحَّبَتْ بِهِ بِلِسَانِهَا الْمَخْصُوصِ ، وَبِحَمْلِهَا مُعْجِزَةً مِنْ مُعْجِزَاتِهِ بِأَيْدِيهَا . .

وَالْآنَ يَلْزَمُ لِذِكْرِ جَمِيعِ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ ، تَأْلِيفُ مُجَلَّدَاتٍ . وَقَدْ أَلَّفَ مُحَقِّقُو الْأَصْفِيَاءِ ، مُجَلَّدَاتٍ كَثِيرَةً ، فِي تَفْصِيلِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ . فَنَحْنُ نُشِيرُ إِلٰى كُلِّيَّاتِ أَنْوَاعِ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ ، مِنْ أَنْوَاعِهَا الْمُتَوَاتِرَةِ قَطْعاً وَمَعْنًى ، مِنْ قَبِيلِ إِشَارَاتٍ مُجْمَلَةٍ فَقَطْ . .

فَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، قِسْمَانِ أَوَّلاً . .

أَحَدُهُمَا : الْأَحْوَالُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ ، الَّتِي ظَهَرَتْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَحِينَ الْوِلَادَةِ ، الَّتِي تُسَمّٰى بِالْإِرْهَاصَاتِ . .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : سَائِرُ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ . .

فَالْقِسْمُ الثَّانِي أَيْضاً ، قِسْمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : الْخَوَارِقُ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَلٰكِنْ لِتَصْدِيقِ نُبُوَّتِهِ . .

وَثَانِيهِمَا : الْخَوَارِقُ الَّتِي تَجَلَّتْ فِيهِ فِي عَصْرِ سَعَادَتِهِ . .

فَهٰذَا الْقِسْمُ الثَّانِي أَيْضاً ، قِسْمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ ، الَّتِي ظَهَرَتْ فِي ذَاتِهِ ، وَسِيرَتِهِ وَصُورَتِهِ ، وَأَخْلَاقِهِ وَفَضَائِلِهِ . .

وَثَانِيهِمَا : الْمُعْجِزَاتُ الَّتِي تَجَلَّتْ عَلَيْهِ فِي الْآفَاقِ ، وَفِي الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ . .

وَهٰذَا الْقِسْمُ الثَّانِي أَيْضاً ، قِسْمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : مَعْنَوِيٌّ وَقُرْآنِيٌّ ؛ وَالْآخَرُ : مَادِّيٌّ وَكَوْنِيٌّ . .

وَهٰذَا الْقِسْمُ الثَّانِي أَيْضاً ، قِسْمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : مَا ظَهَرَ فِي وَقْتِ دَعْوَى النُّبُوَّةِ ، مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ، لِكَسْرِ عِنَادِ أَهْلِ الْكُفْرِ ، أَوْ لِزِيَادَةِ قُوَّةِ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَهُوَ عِشْرُونَ نَوْعاً كَشَقِّ الْقَمَرِ ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ ، وَإِشْبَاعِ كَثِيرِينَ بِطَعَامٍ يَسِيرٍ ، وَتَكَلُّمِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ وَالْحَيَوَانِ . وَكُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا ، فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ . وَلِكُلِّ نَوْعٍ ، أَفْرَادٌ مُتَكَرِّرَةٌ كَثِيراً . .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : مَا أَخْبَرَ بِهَا مِنْ أَحْدَاثٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، بِتَعْلِيمِ اللهِ تَعَالَى ؛ فَأَنْبَأَ هُوَ عَنْهَا . فَوَقَعَتْ صَادِقَةً كَمَا أَخْبَرَ . .

فَنَحْنُ نَبْدَأُ مِنْ هٰذَا الْقِسْمِ الْأَخِيرِ ؛ وَنُظْهِرُ فِهْرِساً مُجْمَلاً[١] . .

اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ ذَاتُ النُّكْتَةِ :

إِنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، بِتَعْلِيمِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ، مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ ، لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ؛ وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى أَنْوَاعِهَا ؛ وَأَثْبَتْنَاهَا وَأَوْضَحْنَاهَا نَوْعَ إِيضَاحٍ ، فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ الدَّائِرَةِ حَوْلَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ . فَلِذٰلِكَ نُفَوِّضُ أَخْبَارَهُ الْغَيْبِيَّةَ

---

(١) وَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكْتُبَ كَمَا نَوَيْتُ ؛ فَكُتِبَ كَمَا وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ ، بِدُونِ اخْتِيَارٍ ؛ فَمَا رَاعَيْتُ مَا فِي هٰذِهِ التَّقْسِيمَاتِ ، مِنَ التَّرْتِيبِ بِتَمَامِهِ ، مَعَ التَّأَسُّفِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الْمُتَعَلِّقَةَ بِالزَّمَانِ الْمَاضِي ، وَالْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ ، وَبِالْحَقَائِقِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، إِلَى الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ فَلَا نَبْحَثُ عَنْهَا الْآنَ . وَإِنَّمَا نُشِيرُ إِلٰى عِدَّةِ أَمْثِلَةٍ جُزْئِيَّةٍ ، مِنْ قِسْمِ أَخْبَارِهِ الصَّادِقَةِ الْغَيْبِيَّةِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَحْدَاثٍ تَنْزِلُ مِنْ بَعْدِهِ ، بِالصَّحَابَةِ وَآلِ الْبَيْتِ ؛ وَتُصِيبُ الْأُمَّةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ . وَنُبَيِّنُ سِتَّةَ أُسُسٍ ، مُقَدِّمَةً لَهَا ؛ لِتُفْهَمَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ بِتَمَامِهَا . .

﴿ اَلْأَسَاسُ الْأَوَّلُ : ﴾ أَنَّ كُلَّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ، وَكُلَّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِهِ ؛ وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ شَاهِداً عَلٰى صِدْقِهِ وَنُبُوَّتِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ حَالٍ وَكُلُّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِهِ ، خَارِقاً لِلْعَادَةِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالٰى أَرْسَلَهُ عَلٰى صُورَةِ الْبَشَرِ ؛ حَتّٰى يَكُونَ هَادِياً وَإِمَاماً لِلنَّاسِ ، فِي أَحْوَالِهِمْ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَفِي أَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمُ الَّتِي تُكْسِبُ سَعَادَتَهُمُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْأُخْرَوِيَّةَ ؛ وَلِيُظْهِرَ تَصَرُّفَ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالصَّنْعَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الْخَارِقَةَ لِلْعَادَةِ ، فِي الْعَادِيَّاتِ الَّتِي كُلٌّ مِنْهَا مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ . فَلَوْ شَذَّ عَنِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ وَكَانَ خَارِقاً لِلْعَادَةِ فِي أَفْعَالِهِ ؛ لَمَا أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ إِمَاماً بِذَاتِهِ ؛ وَأَنْ يُدَرِّسَ بِأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَأَطْوَارِهِ ؛ وَلٰكِنَّهُ كَانَ يُظْهِرُ أُمُوراً خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، لِإِثْبَاتِهِ نُبُوَّتَهُ فَقَطْ ، ضِدَّ الْمُعَانِدِينَ ؛ وَيُظْهِرُ الْمُعْجِزَاتِ أَحْيَاناً عِنْدَ الْحَاجَةِ ؛ وَلٰكِنْ لَمْ تَكُنِ الْمُعْجِزَاتُ ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ أَصْلاً ، بِحَيْثُ يُضْطَرُّ إِلَى التَّصْدِيقِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ؛ وَذٰلِكَ بِمُقْتَضَى الِاخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ الَّذِي هُوَ سِرُّ التَّكْلِيفِ ؛ إِذْ يَقْتَضِي سِرُّ الِامْتِحَانِ ، وَحِكْمَةُ التَّكْلِيفِ ، أَنْ يُفْتَحَ الْبَابُ لِلْعَقْلِ ؛ وَلَا يُسْلَبَ اخْتِيَارُ الْعَقْلِ عَنْ يَدِهِ . فَلَوْ كَانَتِ الْمُعْجِزَاتُ ، بِصُورَةٍ بَدِيهِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ؛ لَمْ يَبْقَ حِينَئِذٍ اخْتِيَارُ الْعَقْلِ ؛ وَصَدَّقَ أَبُو جَهْلٍ ، كَأَبِي بَكْرٍ ؛ وَلَمْ يَبْقَ فَائِدَةُ الِامْتِحَانِ وَالتَّكْلِيفِ ؛ وَبَقِيَ الْفَحْمُ مَعَ الْأَلْمَاسِ ، فِي مُسْتَوًى وَاحِدٍ . .

وَمِنْ مَوْرِدِ الْحَيْرَةِ : أَنَّهُ آمَنَ آلَافُ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ ، بِآلَافِ الْوُجُوهِ ، بِدُونِ مُبَالَغَةٍ ؛ كُلٌّ مِنْهُمْ بِمُعْجِزَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُعْجِزَاتِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ، أَوْ بِدَلِيلٍ مِنْ دَلَائِلِ

النُّبُوَّةِ ، أَوْ بِكَلامٍ وَاحِدٍ مِنْ كَلامِهِ ، أَوْ بِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ ؛ وَهٰكَذَا بِعَلامَةٍ مِنْ عَلامَاتِهِ ؛ مَعَ أَنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الْآلافِ مِنْ دَلائِلِ نُبُوَّتِهِ ، الَّتِي جَذَبَتْ هٰؤُلاءِ الْآلافَ مِنْ مُخْتَلَفِ طَبَقَاتِ النَّاسِ وَالْمُدَقِّقِينَ وَالْمُفَكِّرِينَ ، إِلَى الْإِيمَانِ ؛ كَأَنَّهَا لا تَكْفِي بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، وَالْآثَارِ الْقَاطِعَةِ ، لِبَعْضِ شَقِيٍّ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ ؛ فَيَزِيغُونَ إِلَى الضَّلالَةِ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّانِي :﴾ أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ، بَشَرٌ وَرَسُولٌ . فَبِاعْتِبَارِ الْبَشَرِيَّةِ يُعَامِلُ كَالْبَشَرِ ؛ وَبِاعْتِبَارِ الرِّسَالَةِ ، هُوَ تَرْجُمَانُ اللهِ تَعَالٰى وَسَفِيرُهُ ؛ وَأَنَّ رِسَالَتَهُ تَسْتَنِدُ إِلَى الْوَحْيِ ؛ وَالْوَحْيُ قِسْمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : الْوَحْيُ الصَّرِيحُ . ﴿فَالرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ تَرْجُمَانٌ وَمُبَلِّغٌ مَحْضٌ فِيهِ ؛ وَلَيْسَ لَهُ دَخْلٌ ؛ وَذٰلِكَ كَالْقُرْآنِ وَبَعْضِ الْأَحَادِيثِ الْقُدُسِيَّةِ . .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : الْوَحْيُ الضِّمْنِيُّ . وَمُجْمَلُ هٰذَا الْقِسْمِ وَخُلاصَتُهُ تَسْتَنِدُ إِلَى الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ ؛ وَلٰكِنَّ تَفْصِيلَهُ وَتَصْوِيرَهُ عَائِدٌ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَيَسْتَنِدُ أَحْيَاناً إِلَى الْإِلْهَامِ أَوِ الْوَحْيِ أَيْضاً ، فِي تَفْصِيلِ تِلْكَ الْحَادِثَةِ الْوَارِدَةِ عَنِ الْوَحْيِ ؛ وَيُبَيِّنُهَا بِالْإِلْهَامِ أَوِ الْوَحْيِ ؛ أَوْ يُبَيِّنُهَا بِفِرَاسَتِهِ . وَإِنَّ مَا يَسْتَنْبِطُهُ بِاجْتِهَادِهِ ، مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّصْوِيرِ ، فَإِمَّا أَنَّهُ يُبَيِّنُهُ بِالْقُوَّةِ الْقُدُسِيَّةِ الْعَالِيَةِ ؛ وَذٰلِكَ فِي جِهَةِ وَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ ؛ أَوْ يُبَيِّنُهُ بِحَسَبِ الْعُرْفِ وَالْعَادَاتِ ، وَمُسْتَوٰى أَفْكَارِ الْعَامَّةِ ؛ وَذٰلِكَ فِي جِهَةِ بَشَرِيَّتِهِ . فَإِذاً إِنَّهُ لا يُنْظَرُ فِي كُلِّ حَدِيثٍ ، إِلٰى جَمِيعِ تَفَاصِيلِهِ ، بِنَظَرِ الْوَحْيِ الْمَحْضِ ؛ وَلا يُطْلَبُ الْآثَارُ الْعَالِيَةُ مِنْ آثَارِ الرِّسَالَةِ ، فِي أَفْكَارِهِ وَمُعَامَلاتِهِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَيَاتُ الْبَشَرِيَّةِ . فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الْحَوَادِثِ ، يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ ، مُجْمَلاً وَبِوَجْهٍ مُطْلَقٍ ؛ وَهُوَ يُصَوِّرُهُ بِفِرَاسَتِهِ وَبِجِهَةِ التَّعَارُفِ الْعَامِّ ؛ يَلْزَمُ التَّفْسِيرُ أَحْيَاناً ؛ بَلْ يَلْزَمُ التَّعْبِيرُ لِمَا فِي هٰذَا التَّصْوِيرِ ، مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَالْمُشْكِلاتِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ مِنَ الْحَقَائِقِ ، مَا يُقَرَّبُ مِنَ الْفَهْمِ بِالتَّمْثِيلِ ؛ كَمَا سُمِعَ يَوْماً فِي الْحُضُورِ النَّبَوِيِّ ، دَوِيٌّ عَمِيقٌ ؛ فَقَالَ : إِنَّ هٰذَا دَوِيُّ حَجَرٍ كَانَ يَتَدَحْرَجُ مُنْذُ سَبْعِينَ عَاماً ؛ فَوَقَعَ الْآنَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ . فَجَاءَ الْخَبَرُ بَعْدَ سَاعَةٍ : بِأَنَّ مُنَافِقاً مَشْهُوراً طَعَنَ فِي السَّبْعِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، قَدْ مَاتَ فَرَاحَ إِلٰى

جَهَنَّمَ . فَأَظْهَرَ ذٰلِكَ الْخَبَرُ ، تَأْوِيلَ الْحَادِثِ الَّذِي بَيَّنَهُ ﴿النَّبِيُّ ﷺ﴾ بِتَمْثِيلٍ بَلِيغٍ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّالِثُ :﴾ أَنَّ مَا نُقِلَ مِنَ الْأَخْبَارِ ، إِنْ كَانَتْ عَلٰى صُورَةِ التَّوَاتُرِ ؛ فَهِيَ قَطْعِيَّةٌ . وَالتَّوَاتُرُ (١) قِسْمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : التَّوَاتُرُ الصَّرِيحُ . .

وَالْآخَرُ : التَّوَاتُرُ الْمَعْنَوِيُّ . . وَالتَّوَاتُرُ الْمَعْنَوِيُّ أَيْضاً قِسْمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : سُكُوتِيٌّ : أَيْ أُظْهِرَ الْقَبُولُ بِالسُّكُوتِ . فَمَثَلاً : إِذَا أَخْبَرَ أَحَدٌ بَيْنَ جَمَاعَةٍ ، حَادِثاً ، تَحْتَ مُرَاقَبَةِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ ؛ وَلَمْ تُكَذِّبْهُ الْجَمَاعَةُ ؛ وَاسْتَقْبَلَتْهُ بِالسُّكُوتِ ؛ تَكُونُ كَأَنَّهَا قَبِلَتْ ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَتِ الْجَمَاعَةُ ، فِي ذٰلِكَ الْحَادِثِ الَّذِي أَخْبَرَهُ ، ذَاتَ صِلَةٍ بِهِ ؛ وَكَانَتْ جَمَاعَةً مُتَهَيِّئَةً لِلِانْتِقَادِ ؛ لَا تَقْبَلُ الْخَطَأَ ؛ وَتَرَى الْكَذِبَ مُسْتَهْجَناً جِدّاً ؛ فَإِنَّ سُكُوتَ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ ، يَدُلُّ عَلٰى وُقُوعِ ذٰلِكَ الْحَادِثِ ، دَلَالَةً قَوِيَّةً . .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ : هُوَ أَنْ يَتَّفِقَ الْمُخْبِرُونَ ، عَلٰى وُقُوعِ حَادِثَةٍ ، مَعَ الِاخْتِلَافِ فِي بَيَانِهَا . فَمَثَلاً : إِذَا قِيلَ : إِنَّ أُوقِيَّةً مِنَ الطَّعَامِ أَشْبَعَتْ مِئَتَيْ إِنْسَانٍ ؛ وَلٰكِنَّ الْمُخْبِرِينَ يُخْبِرُونَهُ فِي صُوَرٍ شَتّٰى ؛ فَيُبَيِّنُ وَاحِدٌ بِوَجْهٍ ؛ وَآخَرُ بِصُورَةٍ أُخْرٰى ؛ وَالْآخَرُ بِشَكْلٍ آخَرَ ؛ وَلٰكِنَّ الْجَمِيعَ مُتَّفِقُونَ عَلٰى وُقُوعِ عَيْنِ الْحَادِثَةِ ؛ فَيَكُونُ وُقُوعُ الْحَادِثَةِ الْمُطْلَقَةِ ، قَطْعِيّاً وَمُتَوَاتِراً بِالْمَعْنٰى . وَأَمَّا اخْتِلَافُ الصُّورَةِ ، فَلَا يَضُرُّهُ . .

وَكَذَا يَكُونُ خَبَرُ الْوَاحِدِ أَحْيَاناً ، يُفِيدُ الْقَطْعَ كَالتَّوَاتُرِ ، فِي ضِمْنِ بَعْضِ الشَّرَائِطِ ؛ وَكَذَا يَكُونُ خَبَرُ الْوَاحِدِ ، يُفِيدُ الْيَقِينَ ، بِأَمَارَاتٍ خَارِجِيَّةٍ . فَمَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَدَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ؛ فَالْقِسْمُ الْأَكْبَرُ مِنْهَا بِالتَّوَاتُرِ ، صَرِيحاً أَوْ مَعْنَوِيّاً أَوْ سُكُوتِيّاً . وَقِسْمٌ مِنْهَا وَإِنْ كَانَ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ ؛ وَلٰكِنْ بَعْدَمَا اسْتَحَقَّ الْقَبُولَ فِي

(١) إِنَّ لَفْظَ التَّوَاتُرِ فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، لَيْسَ التَّوَاتُرَ الَّذِي يَكُونُ بِمَعْنَى الشَّائِعِ ، فِي اللِّسَانِ التُّرْكِيِّ ؛ بَلْ هُوَ الْإِخْبَارُ الْقَوِيُّ الَّذِي يُفِيدُ الْيَقِينَ ؛ وَلَا يَحْتَمِلُ الْكَذِبَ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

نَظَرِ نُقَّادِ الْمُحَدِّثِينَ ، فِي ضِمْنِ شَرَائِطَ كَذٰلِكَ ؛ يَلْزَمُ أَنْ يُفِيدَ الْقَطْعَ كَالتَّوَاتُرِ . .

نَعَمْ : إِنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ الَّذِي صَحَّحَهُ آلاَفٌ مِنْ مُحَقِّقِي الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ «الْحَافِظُ» ، مِمَّنْ حَفِظُوا مِئَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ عَلَى الْأَقَلِّ ؛ وَصَحَّحَهُ الْمُحَدِّثُونَ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ صَلُّوا الصُّبْحَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَقَبِلَهُ دُهَاةُ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعُلَمَاؤُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ الْحَدِيثِيَّةِ ؛ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ؛ لَا يَتَخَلَّفُ ذٰلِكَ الْخَبَرُ ، عَنْ يَقِينِ التَّوَاتُرِ . نَعَمْ : إِنَّ الْمُحَقِّقِينَ وَالنَّقَّادِينَ مِنْ أَهْلِ فَنِّ الْحَدِيثِ ، قَدْ حَصَلُوا عَلَى التَّخَصُّصِ بِالْحَدِيثِ ، بِحَيْثُ آنَسُوا وَجْهَ إِفَادَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ وَصُورَةَ تَعْبِيرِهِ ، وَأُسْلُوبَهُ الْعَالِي ؛ وَاكْتَسَبُوا الْمَلَكَةَ فِيهِ ، بِحَيْثُ إِنْ وَجَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، مَوْضُوعاً بَيْنَ مِئَةِ حَدِيثٍ ؛ يَقُولُ : إِنَّ هٰذَا مَوْضُوعٌ لَيْسَ بِحَدِيثٍ ؛ وَلَا يَكُونُ كَلَامَ النَّبِيِّ ، (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؛ فَيَرُدُّهُ ؛ وَيَعْرِفُ كَالصَّرَّافِ ، جَوْهَرَ الْحَدِيثِ ؛ وَلَا يُلَبِّسُ غَيْرَهُ مِنَ الْكَلَامِ بِهِ ؛ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْمُحَقِّقِينَ كَابْنِ الْجَوْزِيِّ ، أَفْرَطُوا فِي النَّقْدِ ؛ فَقَالُوا لِبَعْضِ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ أَيْضاً : إِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ مَوْضُوعٍ ، خَطَأٌ مَعْنَاهُ ؛ بَلِ الْمُرَادُ أَنَّ هٰذَا الْكَلَامَ ، لَيْسَ حَدِيثاً . .

﴿سُؤَالٌ :﴾ مَا هِيَ فَائِدَةُ السَّنَدِ الْمُعَنْعَنِ ، حَيْثُ يَقُولُونَ فِي مَحَلٍّ غَيْرِ لَازِمٍ ، وَفِي حَادِثٍ مَعْلُومٍ : عَنْ فُلَانٍ ، عَنْ فُلَانٍ ، عَنْ فُلَانٍ ؟ .

﴿اَلْجَوَابُ :﴾ أَنَّ فَوَائِدَهُ كَثِيرَةٌ ؛ مِنْهَا : أَنَّ ذٰلِكَ السَّنَدَ الْمُتَّصِلَ ، يُظْهِرُ نَوْعاً مِنْ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، الصَّادِقِينَ الْمُحْتَجِّينَ الثِّقَاتِ الدَّاخِلِينَ فِي السَّنَدِ ؛ وَيُظْهِرُ نَوْعاً مِن اتِّفَاقِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، الدَّاخِلِينَ فِي ذٰلِكَ السَّنَدِ ؛ كَأَنَّ كُلَّ إِمَامٍ ، وَكُلَّ عَلَّامَةٍ دَاخِلٍ فِي ذٰلِكَ السَّنَدِ وَفِي تِلْكَ الْعَنْعَنَةِ ، يُوَقِّعُ عَلَى صِحَّةِ ذٰلِكَ الْحَدِيثِ ؛ وَيَخْتِمُ بِخَاتَمِهِ عَلَى صِحَّتِهِ . .

﴿سُؤَالٌ :﴾ لِمَاذَا لَمْ تُنْقَلِ الْأَحْدَاثُ الْإِعْجَازِيَّةُ ، بِاهْتِمَامٍ بَالِغٍ ، وَبِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ ، عَلَى صُورَةِ التَّوَاتُرِ ، كَسَائِرِ ضَرُورِيَّاتِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ؟ .

﴿اَلْجَوَابُ :﴾ ذٰلِكَ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ، فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ ، يَحْتَاجُونَ إِلَى أَكْثَرِ

الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ فَإِنَّ لِتِلْكَ الْأَحْكَامِ ، تَعَلُّقاً بِكُلِّ فَرْدٍ ، كَالْفُرُوضِ الْعَيْنِيَّةِ ؛ وَأَمَّا الْمُعْجِزَاتُ فَلَا حَاجَةَ لِكُلِّ أَحَدٍ ، إِلٰى كُلِّ مُعْجِزَةٍ ؛ وَإِنْ وَقَعَ الِاحْتِيَاجُ ؛ يَكْفِي السَّمَاعُ مَرَّةً وَاحِدَةً ؛ وَذٰلِكَ كَفُرُوضِ الْكِفَايَةِ ، إِذَا عَلِمَهَا بَعْضُ النَّاسِ ، يَكْفِي . فَلِهٰذَا قَدْ يَكُونُ وُجُودُ مُعْجِزَةٍ وَتَحَقُّقُهَا ، أَقْطَعَ مِنْ وُجُودِ حُكْمٍ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَكُونُ رَاوِيهَا ، وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ ؛ وَيَكُونُ رَاوِي الْحُكْمِ ، عَشَرَةً أَوْ عِشْرِينَ . .

﴿ اَلْأَسَاسُ الرَّابِعُ : ﴾ أَنَّ بَعْضَ الْحَادِثَاتِ الَّتِي يُخْبِرُ بِهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ، لَيْسَتْ حَوَادِثَ جُزْئِيَّةً ؛ بَلْ إِنَّهُ يُخْبِرُ حَوَادِثَ كُلِّيَّةً مُتَكَرِّرَةً ، فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ ؛ مَعَ أَنَّ لِتِلْكَ الْحَادِثَةِ ، وُجُوهاً مُتَعَدِّدَةً ؛ فَيُبَيِّنُ كُلَّ مَرَّةٍ وَجْهاً مِنْهَا ؛ ثُمَّ يُوَحِّدُ رَاوِي الْحَدِيثِ ، تِلْكَ الْوُجُوهَ ؛ فَتُرَى كَمُخَالِفِ الْوَاقِعِ . فَمَثَلاً : إِنَّ فِي حَقِّ السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ ، رِوَايَاتٍ مُخْتَلِفَةً ؛ وَالتَّفْصِيلَاتُ وَالتَّصْوِيرَاتُ مُتَغَايِرَةٌ . وَقَدْ أُثْبِتَ فِي غُصْنٍ مِنَ الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام﴾ أَخْبَرَ عَنِ الْمَهْدِيِّ ، مُسْتَنِداً إِلَى الْوَحْيِ ؛ لِيَحْفَظَ قُوَّةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ فِي كُلِّ عَصْرٍ ؛ وَلِئَلَّا يَقَعُوا فِي الْيَأْسِ ، فِي الْحَوَادِثِ الْهَائِلَةِ ؛ وَلِيَرْبِطَ أَهْلَ الْإِيمَانِ ، رَبْطاً مَعْنَوِيّاً بِآلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ هُمْ سِلْسِلَةٌ نَيِّرَةٌ لِعَالَمِ الْإِسْلَامِ . فَوَجَدَ كُلُّ عَصْرٍ ، مَهْدِيّاً مَّا ، بَلْ مَهْدِيِّينَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ ، كَالْمَهْدِيِّ الَّذِي يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ وَجَدَ مَهْدِيّاً جَامِعاً لِكَثِيرٍ مِنْ أَوْصَافِ الْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ ، مِنَ الْخُلَفَاءِ الْعَبَاسِيِّينَ الْمَعْدُودِينَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ ؛ فَاخْتَلَطَ أَوْصَافُ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ ، وَالْأَقْطَابِ الْمَهْدِيِّينَ أَمْثَالِ الْمَهْدِيِّ الْكَبِيرِ ، وَأَشْبَاهِهِ الَّذِينَ يَأْتُونَ قَبْلَهُ ، بِأَوْصَافِ الْمَهْدِيِّ الْأَصْلِيِّ ؛ فَوَقَعَتِ الرِّوَايَاتُ فِي الِاخْتِلَافِ مِنْ ذٰلِكَ . .

﴿ اَلْأَسَاسُ الْخَامِسُ : ﴾ أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام﴾ ، كَانَ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ بِنَفْسِهِ ، بِسِرِّ مَقُولَةِ : (لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ) ؛ بَلْ كَانَ اللهُ تَعَالٰى يُعْلِمُهُ لَهُ ؛ وَهُوَ يُعْلِمُ النَّاسَ ؛ وَأَنَّ اللهَ تَعَالٰى حَكِيمٌ وَرَحِيمٌ ؛ فَتَقْتَضِي حِكْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ ، سَتْرَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ ؛ وَتَقْتَضِيَانِ أَنْ تَبْقٰى مُبْهَمَةً ؛ ذٰلِكَ لِأَنَّ مَا لَا يَسْتَحِبُّهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأُمُورِ ، أَكْثَرُ فِي

هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ فَالْعِلْمُ بِهَا قَبْلَ وُقُوعِهَا أَلِيمٌ . فَلِهٰذَا السِّرِّ أُبْهِمَ الْمَوْتُ وَالْأَجَلُ ؛ وَبَقِيَتْ مَا تَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ ، مِنَ الْمَصَائِبِ ، فِي حِجَابِ الْغَيْبِ . فَهٰكَذَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ، وَالرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ . فَلِذٰلِكَ كَانَ مِنْ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ، أَنْ لَا يُبَيِّنَ النَّوَائِبَ الْهَائِلَةَ الَّتِي تُصِيبُ آلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ ، بَعْدَ الْوَفَاةِ النَّبَوِيَّةِ ؛ كَيْلَا يُؤْلَمَ كَثِيراً ، رَحْمَةَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ الْحَسَّاسَةَ تِجَاهَ أُمَّتِهِ ؛ وَلَا يُوجِعَ شَفَقَتَهُ الشَّدِيدَةَ ، إِزَاءَ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ كَثِيراً ؛ فَلَمْ يُبَيِّنْهَا[1] بِعُمُومِهَا وَتَفْصِيلِهَا ؛ وَلٰكِنْ عَلَّمَهُ الْحَادِثَاتِ الْمُهِمَّةَ أَيْضاً ، لِبَعْضِ الْحِكَمِ ؛ لٰكِنْ لَا فِي صُورَةٍ مُدْهِشَةٍ ، وَهُوَ أَخْبَرَ بِهَا لِأُمَّتِهِ . وَكَذَا أَعْلَمَهُ الْحَادِثَاتِ الْحَسَنَةَ ، بَعْضَهَا مُجْمَلاً ؛ وَبَعْضَهَا مُفَصَّلاً ؛ فَأَخْبَرَ بِهَا هُوَ أَيْضاً . وَقَدْ نَقَلَ أَخْبَارَهُ ، الْمُحَدِّثُونَ الْكَامِلُونَ الْعَامِلُونَ فِي أَعْلٰى دَرَجَاتِ التَّقْوٰى وَالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ ، وَالْخَاشِعُونَ بِشِدَّةٍ عَمَّا فِي حَدِيثِ ﴿مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ مِنَ الْإِنْذَارِ ، وَالْهَارِبُونَ بِشِدَّةٍ عَمَّا فِي آيَةِ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾ مِنَ التَّهْدِيدِ الشَّدِيدِ ؛ وَنَقَلُوا لَنَا تِلْكَ الْأَخْبَارَ بِصُورَةٍ صَحِيحَةٍ . .

﴿ الْأَسَاسُ السَّادِسُ : ﴾ أَنَّ أَحْوَالَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَأَوْصَافَهُ قَدْ بُيِّنَتْ بِصُورَةِ السِّيَرِ وَالتَّارِيخِ ؛ وَلٰكِنَّ غَالِبَ تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَالْأَحْوَالِ يَنْظُرُ إِلٰى بَشَرِيَّتِهِ ؛ مَعَ أَنَّ شَخْصَ ذٰلِكَ الْمُبَارَكِ ، شَخْصَهُ الْمَعْنَوِيَّ ، وَمَاهِيَّتَهُ الْقُدُسِيَّةَ عَالِيَانِ وَنَيِّرَانِ ، بِحَيْثُ لَا تُنَاسِبُ تِلْكَ الْأَوْصَافُ الْمُبَيَّنَةُ فِي السِّيَرِ وَالتَّأْرِيخِ ، تِلْكَ الْقَامَةَ السَّامِيَةَ ؛ وَلَا تُوَافِقُ هِيَ تِلْكَ الْقِيمَةَ الْعَالِيَةَ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ عِبَادَةً عَظِيمَةً بِقَدْرِ عِبَادَاتِ جَمِيعِ أُمَّتِهِ ، تُلْحَقُ بِصَحِيفَةِ كَمَالَاتِهِ ، عِلَاوَةً عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ ؛ حَتَّى الْآنَ أَيْضاً ، بِسِرِّ أَنَّ السَّبَبَ كَالْفَاعِلِ ؛ وَيَصِيرُ مَظْهَراً لِمَا لَا حَدَّ لَهُ ، مِنْ دَعَوَاتِ أُمَّتِهِ ، الَّتِي لَا حَدَّ

---

(١) وَالدَّلِيلُ عَلٰى أَنَّهُ لَمْ يُبَيَّنْ تَحْقِيقاً لِلذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ : أَنَّ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةَ سَتَكُونُ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ ؛ وَذٰلِكَ لِئَلَّا يُؤْلَمَ زِيَادَةَ مَحَبَّتِهِ وَشَفَقَتِهِ لَهَا : هُوَ أَنَّهُ قَالَ لِلْأَزْوَاجِ الطَّاهِرَاتِ : «لَيْتَنِي عَلِمْتُ أَيَّتُكُنَّ سَتَكُونُ فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ» . ثُمَّ أُعْلِمَ لَهُ بِوَجْهٍ خَفِيفٍ ؛ فَقَالَ لِعَلِيٍّ (رضي الله عنه) : «إِذَا وَقَعَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ حَادِثَةٌ ؛ فَارْفُقْ بِهَا ؛ وَبَلِّغْهَا مَأْمَنَهَا» . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنهما) . .

لَهَا ، كُلَّ يَوْمٍ ؛ كَمَا يَصِيرُ مَظْهَراً لِلرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، فِي صُورَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ، بِاسْتِعْدَادٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ الذَّاتَ الْمُبَارَكَ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَأَكْمَلُ ثَمَرَاتِهَا ، وَتُرْجُمَانُ خَالِقِهَا وَحَبِيبُهُ ، لَا يَتَّسِعُ تَمَامُ مَاهِيَّتِهِ وَحَقِيقَةُ كَمَالَاتِهِ ، فِي أَحْوَالٍ وَأَطْوَارٍ بَشَرِيَّةٍ سُجِّلَتْ فِي السِّيَرِ وَالتَّأْرِيخِ . فَمَثَلاً : إِنَّ شَخْصاً مُبَارَكاً يَكُونُ لَدَيْهِ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ (عليهما السلام) فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، كَمُسْتَشَارَيْنِ حَارِسَيْنِ ، لَا يَتَّسِعُ فِي أَطْوَارِهِ الَّتِي تُشَاهَدُ بِنِزَاعِهِ مَعَ أَعْرَابِيٍّ بَدَوِيٍّ ، فِي بَيْعِ الْفَرَسِ ، وَاسْتِشْهَادِهِ حُذَيْفَةَ ؛ وَهُوَ شَاهِدٌ فَقَطْ . .

فَإِذاً لَا بُدَّ أَنْ يَرْفَعَ الْإِنْسَانُ رَأْسَهُ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَيَنْظُرَ بَيْنَ أَوْصَافِهِ الْعَادِيَّةِ الَّتِي تُسْمَعُ بِاعْتِبَارِ مَاهِيَّةِ بَشَرِيَّتِهِ ، إِلٰى مَاهِيَّتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَشَخْصِيَّتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ النُّورَانِيَّةِ الْوَاقِفَةِ فِي مَرْتَبَةِ الرِّسَالَةِ ؛ كَيْلَا يَضِلَّ . وَإِلَّا فَإِمَّا يُسِيءُ الْأَدَبَ ؛ أَوْ يَقَعُ فِي الشُّبْهَةِ . .

فَاسْتَمِعْ إِلَى هٰذَا التَّمْثِيلِ ، لِإِيضَاحِ هٰذَا السِّرِّ . مَثَلاً : تُوجَدُ نَوَاةُ تَمْرَةٍ ؛ فَوُضِعَتْ تَحْتَ التُّرَابِ ؛ فَانْبَسَطَتْ وَصَارَتْ شَجَرَةً مُثْمِرَةً جَسِيمَةً ؛ وَهِيَ تَتَوَسَّعُ وَتَتَكَبَّرُ شَيْئاً فَشَيْئاً ؛ أَوْ تُوجَدُ بَيْضَةٌ مِنْ بَيْضِ الطَّاؤُوسِ ؛ فَأُعْطِيَتْ تِلْكَ الْبَيْضَةُ حَرَارَةً ؛ فَخَرَجَ مِنْهَا فَرْخُ طَاؤُوسٍ ؛ ثُمَّ أَصْبَحَ طَاؤُوساً كَامِلاً مُكَمَّلاً ، مَكْتُوباً وَمُذَهَّباً ، مِنْ طَرَفِ الْقُدْرَةِ ؛ وَلَا يَزَالُ يَتَكَبَّرُ وَيَتَزَيَّنُ . وَالْآنَ تُوجَدُ صِفَاتٌ وَأَحْوَالٌ تَعُودُ إِلَى تِلْكَ النَّوَاةِ وَالْبَيْضَةِ ؛ وَتُوجَدُ فِيهِمَا مَوَادُّ دَقِيقَةٌ ؛ وَأَنَّ لِلشَّجَرَةِ وَالطَّائِرِ الْمَوْجُودَيْنِ عَنْهُمَا أَيْضاً ، صِفَاتٍ وَكَيْفِيَّاتٍ عَظِيمَةً عَالِيَةً ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَيْفِيَّاتِ تِلْكَ النَّوَاةِ وَالْبَيْضَةِ ، وَإِلٰى أَوْضَاعِهِمَا الْعَادِيَّةِ الصَّغِيرَةِ . فَلَا بُدَّ الْآنَ فِي الْبَحْثِ عَنْ تِلْكَ النَّوَاةِ وَالْبَيْضَةِ ، وَرَبْطِ أَوْصَافِهِمَا بِأَوْصَافِ الشَّجَرَةِ وَالطَّائِرِ ، أَنْ يَرْفَعَ عَقْلُ الْبَشَرِ رَأْسَهُ ، مِنَ النَّوَاةِ إِلَى الشَّجَرَةِ ؛ وَيَنْظُرَ إِلَيْهَا ؛ وَأَنْ يُوَجِّهَ بَصَرَهُ ، مِنَ الْبَيْضَةِ إِلَى الطَّائِرِ ؛ وَيُمْعِنَ فِيهِ ، كُلَّ وَقْتٍ ؛ حَتّٰى يُمْكِنَ أَنْ يَقْبَلَ عَقْلُهُ ، مَا يَسْمَعُهُ مِنَ الْأَوْصَافِ . وَإِلَّا فَإِنْ قَالَ : إِنِّي اقْتَطَفْتُ مِنْ نَوَاةٍ بِقَدَرِ دِرْهَمٍ ، أَلْفَ رَطْلٍ مِنَ التَّمْرِ ؛ وَإِنَّ هٰذِهِ الْبَيْضَةَ سُلْطَانُ الطُّيُورِ ، فِي جَوِّ السَّمَاءِ ؛ يَزِيغُ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْإِنْكَارِ . .

فَهٰكَذَا يُشَبَّهُ بَشَرِيَّةُ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ) ، بِتِلْكَ النَّوَاةِ وَالْبَيْضَةِ . وَأَمَّا مَاهِيَّتُهُ الْمُتَلَأْلِئَةُ بِوَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ ؛ فَهِيَ كَشَجَرَةِ طُوبٰى ، وَكَطَائِرِ هُمَايُونِ الْجَنَّةِ ؛ وَأَنَّهَا فِي التَّكَمُّلِ دَائِماً . فَلِذٰلِكَ إِذَا فَكَّرَ فِي ذٰلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي نَازَعَ أَعْرَابِيّاً فِي السُّوقِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَشْخَصَ بَصَرَ خَيَالِهِ ؛ فَيَنْظُرَ إِلٰى شَخْصِهِ النُّورَانِيِّ الَّذِي رَكِبَ الرَّفْرَفَ ؛ وَتَرَكَ جِبْرَائِيلَ وَرَاءَهُ ؛ فَسَارَ مُسْرِعاً إِلٰى قَابِ قَوْسَيْنِ . وَإِلَّا ؛ فَإِمَّا يُسِيءُ الْأَدَبَ ؛ أَوْ لَا تُوقِنُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ . .

اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ ذَاتُ النُّكْتَةِ :

نَذْكُرُ عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ : فَقَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، وَفِي دَرَجَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ : أَنَّ (الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ) قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، بَيْنَ جَمَاعَةِ الصَّحَابَةِ : ﴿إِبْنِي حَسَنٌ هٰذَا ، سَيِّدٌ سَيُصْلِحُ اللّٰهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ﴾ . فَبَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، لَمَّا الْتَقٰى جَيْشَانِ مِنْ أَعْظَمِ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ ؛ صَالَحَ الْحَسَنُ مُعَاوِيَةَ ؛ فَصَدَّقَ مُعْجِزَةَ جَدِّهِ الْأَمْجَدِ ، مُعْجِزَةً غَيْبِيَّةً . .

اَلثَّانِي : أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ) بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : ﴿سَتُقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ عَنْ أَحْدَاثِ وَقْعَةِ الْجَمَلِ ، وَوَقْعَةِ صِفِّينَ ، وَوَقْعَةِ الْخَوَارِجِ . .

وَأَيْضاً قَالَ حِينَمَا تَحَابَّ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ : ﴿إِنَّ هٰذَا سَيُحَارِبُكَ ؛ وَلٰكِنَّهُ بَاغٍ﴾ . .

وَأَيْضاً قَالَ لِأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ : ﴿إِنَّ وَاحِدَةً بَيْنَكُنَّ سَتَقُودُ فِتْنَةً مُهِمَّةً ؛ وَيُقْتَلُ حَوْلَهَا كَثِيرُونَ ؛ وَتَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ﴾ . فَقِتَالُ عَلِيٍّ ضِدَّ عَائِشَةَ وَالزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ ، فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ ، وَضِدَّ مُعَاوِيَةَ ، فِي صِفِّينَ ، وَضِدَّ الْخَوَارِجِ ، فِي حَرُورَاءَ وَنَهْرَوَانَ ، بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، تَصْدِيقٌ فِعْلِيٌّ لِهٰذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْقَاطِعَةِ ، وَلِتِلْكَ الْأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّةِ . .

وَكَذَا أَخْبَرَ عَلِيّاً بِشَخْصٍ : ﴿بِأَنَّهُ سَيَبُلُّ لِحْيَتَكَ بِدَمِ رَأْسِكَ﴾ ؛ فَكَانَ عَلِيٌّ يَعْرِفُهُ ؛

وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مُلْجَمٍ الْخَارِجِيُّ . .

وَكَذَا أَخْبَرَ عَنْ شَخْصٍ بَيْنَ الْخَوَارِجِ ، يُقَالُ لَهُ ذُو الثُّدَيَّةِ ؛ عَرَّفَهُ بِعَلَامَةٍ غَرِيبَةٍ . فَوُجِدَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، بَيْنَ قَتْلَى الْخَوَارِجِ ؛ فَاحْتَجَّ بِهِ عَلِيٌّ ، عَلٰى حَقَّانِيَّتِهِ ؛ وَأَعْلَنَ الْمُعْجِزَةَ النَّبَوِيَّةَ . .

وَكَذَا أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ أَخْبَرَ بِالرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ ، لِأُمِّ سَلَمَةَ وَلِلْآخَرِينَ : ﴿أَنَّ الْحُسَيْنَ سَيُقْتَلُ فِي «طَفٍّ» : يَعْنِي كَرْبَلَاءَ﴾ . فَوَقَعَتْ نَفْسُ الْوَقْعَةِ الْمُحْرِقَةِ لِلْأَكْبَادِ ، بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَصَدَّقَتْ ذٰلِكَ الْإِخْبَارَ الْغَيْبِيَّ . .

وَكَذَا أَخْبَرَ مُكَرَّرًا : ﴿أَنَّ آلَ بَيْتِي ، يَلْقَوْنَ بَعْدِي قَتْلًا وَتَشْرِيدًا﴾ : أَيْ يَتَعَرَّضُونَ لِلْقَتْلِ وَالْبَلَاءِ وَالنَّفْيِ ؛ وَأَوْضَحَهُ بَعْضَ إِيضَاحٍ ؛ فَوَقَعَ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ . .

[وَفِي هٰذَا الْمَقَامِ سُؤَالٌ مُهِمٌّ :]

يُقَالُ : لِمَاذَا لَمْ يُقَدَّمِ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) فِي الْخِلَافَةِ ، مَعَ كَوْنِهِ لَائِقًا بِالْخِلَافَةِ لِيَاقَةً كَذٰلِكَ ، وَمَعَ قَرَابَتِهِ مِنَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَعِلْمِهِ وَجَسَارَتِهِ الْخَارِقَتَيْنِ ؟ وَلِمَاذَا صَارَ الْإِسْلَامُ فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِ ، عُرْضَةً لِلِاخْتِلَافِ كَثِيرًا ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ قُطْبًا أَعْظَمَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ ، قَالَ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ أَرَادَ خِلَافَةَ عَلِيٍّ ؛ وَلٰكِنْ أُعْلِمَ لَهُ مِنَ الْغَيْبِ ، أَنَّ الْمُرَادَ الْإِلٰهِيَّ غَيْرُهُ ؛ فَتَرَكَ مُرَادَهُ ؛ وَتَبِعَ الْمُرَادَ الْإِلٰهِيَّ . .

وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ حِكْمَةٌ مِنْ حِكَمِ الْمُرَادِ الْإِلٰهِيِّ ؛ هِيَ : أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا أَكْثَرَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الْإِجْمَاعِ عَلَى الِاتِّفَاقِ وَالِاتِّحَادِ ، بَعْدَ الْوَفَاةِ النَّبَوِيَّةِ . فَلَوْ تَزَعَّمَ عَلِيٌّ ؛ لَاحْتَمَلَ قَوِيًّا أَنْ يُثِيرَ عَصَبَ الْغِبْطَةِ ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَفْرَادِ وَالْقَبَائِلِ ، بِاعْتِبَارِ شَجَاعَتِهِ الشَّهِيرَةِ فِي الْعَالَمِ ، وَطَوْرِهِ بِدُونِ مُمَاشَاةٍ وَلَا مُبَالَاةٍ ، عَلٰى وَجْهِ الزُّهْدِ وَالْبُطُولَةِ وَالِاسْتِغْنَاءِ ؛ فَيُؤَدِّي إِلَى التَّفْرِقَةِ ؛ وَذٰلِكَ بِشَهَادَةِ الْحَادِثَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي عَهْدِ خِلَافَتِهِ . .

وَكَذَا أَنَّ سِرّاً مِنْ أَسْرَارِ تَأَخُّرِ خِلافَةِ عَلِيٍّ أَيْضاً : أَنَّهُ كَانَ لا بُدَّ فِي عَهْدِ ظُهُورِ الْحَوَادِثِ الْمُثِيرَةِ لِلْفِتَنِ ، بَيْنَ أُولائِكَ الْأَقْوَامِ الْحَامِلِينَ لِأُسُسِ أَفْكَارِ ثَلاثَةٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً انْكَشَفَتْ بَعْدُ ، بِاخْتِلاطِ أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ الْمُخْتَلِفِينَ غَايَةَ الاخْتِلافِ ؛ كَمَا أَخْبَرَ ﴿النَّبِيُّ ﷺ﴾ ، مِنْ قُوَّةٍ قَوِيَّةٍ مُحْتَرَمَةٍ كَآلِ الْبَيْتِ ، وَمِنْ هَاشِمِيٍّ صَاحِبِ فِرَاسَةٍ وَجَسَارَةٍ خَارِقَتَيْنِ ، مِثْلِ عَلِيٍّ ؛ حَتَّى يَثْبُتَ . نَعَمْ : إِنَّهُ ثَبَتَ ؛ كَمَا أَخْبَرَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنِّي حَارَبْتُ لِتَنْزِيلِ الْقُرْآنِ ؛ وَإِنَّكَ سَتُحَارِبُ لِتَأْوِيلِهِ﴾ . .

وَكَذَا أَنَّهُ لَوْلا عَلِيٌّ ؛ لَاحْتَمَلَ أَنْ تُضِلَّ سَلْطَنَةُ الدُّنْيَا ، الْمُلُوكَ الْأَمَوِيِّينَ ، عَنِ الطَّرِيقِ كُلِّيّاً ؛ مَعَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَمَامَهُمْ عَلِيّاً وَآلَ الْبَيْتِ ؛ اضْطُرُّوا إِلَى التَّوَازُنِ ضِدَّهُمْ ، لِحِفْظِ مَقَامِهِمْ ، فِي نَظَرِ الْمُسْلِمِينَ . فَلِذٰلِكَ سَعَى أَتْبَاعُهُمْ وَالْمُوَالُونَ لَهُمْ ، لِحِفْظِ الْحَقَائِقِ الْإِسْلامِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ ، وَالْأَحْكَامِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَلِنَشْرِهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِمْ ؛ وَخَرَّجُوا مِئَاتِ آلافِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُحَقِّقِينَ ، وَالْمُحَدِّثِينَ الْكَامِلِينَ ، وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، بِتَحْرِيضِ رُؤَسَاءِ الدَّوْلَةِ الْأَمَوِيَّةِ ، وَبِتَصْوِيبِهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّهُمْ ، يَسْعَوْنَ بِأَنْفُسِهِمْ . فَلَوْلا كَانَتْ تِجَاهَهُمْ ، كَمَالاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَدِيَانَتُهُمْ وَوِلايَتُهُمُ الْقَوِيَّةُ ؛ لَاحْتَمَلَ خُرُوجُهُمْ عَنِ الدَّرْبِ كُلِّيّاً ؛ كَمَا كَانَ فِي أَوَاخِرِ الْأَمَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ . .

فَإِنْ قِيلَ : لِمَاذَا لَمْ تَتَقَرَّرِ الْخِلافَةُ الْإِسْلامِيَّةُ ، فِي آلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْيَقَ وَأَحَقَّ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ السَّلْطَنَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ خَادِعَةٌ . وَأَمَّا آلُ الْبَيْتِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُوَظَّفِينَ بِحِفْظِ الْحَقَائِقِ الْإِسْلامِيَّةِ ، وَالْأَحْكَامِ الْقُرْآنِيَّةِ . وَإِنَّ الَّذِي يَمْضِي إِلَى الْخِلافَةِ وَالسَّلْطَنَةِ ، لا بُدَّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْصُوماً كَالنَّبِيِّ ؛ أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ زُهْدٌ قَلْبِيٌّ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، كَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَمَوِيِّ ، وَالْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ ؛ حَتَّى لا يَغْتَرَّ ؛ مَعَ أَنَّ خِلافَةَ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ الَّتِي تَشَكَّلَتْ بِاسْمِ آلِ الْبَيْتِ فِي مِصْرَ ، وَحُكُومَةَ الْمُوَحِّدِينَ فِي إِفْرِيقِيَا ، وَدَوْلَةَ الصَّفَوِيِّينَ فِي إِيرَانَ ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّلْطَنَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ لا تُجْدِي آلَ

الْبَيْتِ ؛ وَتُنْسِيهِمْ وَظِيفَتَهُمُ الْأَصْلِيَّةَ الَّتِي هِيَ حِفْظُ الدِّينِ وَخِدْمَةُ الْإِسْلَامِ . وَإِنَّهُمْ لَمَّا تَرَكُوا السَّلْطَنَةَ ؛ خَدَمُوا الْإِسْلَامَ وَالْقُرْآنَ ، بِصُورَةٍ لَامِعَةٍ عَالِيَةٍ . فَانْظُرْ إِلَى الْأَقْطَابِ الْمُتَسَلْسِلِينَ مِنْ نَسْلِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ ، لَاسِيَّمَا الْأَقْطَابِ الْأَرْبَعَةِ ، وَخَاصَّةً الْغَوْثَ الْأَعْظَمَ الشَّيْخَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ ، وَإِلَى الْأَئِمَّةِ الْوَارِدِينَ مِنْ نَسْلِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ، لَاسِيَّمَا زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَجَعْفَرٍ الصَّادِقِ ؛ فَإِنَّ كُلّاً مِنْهُمْ صَارَ فِي حُكْمِ مَهْدِيٍّ مَعْنَوِيٍّ ؛ فَبَدَّدُوا الظُّلْمَ وَالظُّلُمَاتِ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ وَنَشَرُوا الْأَنْوَارَ الْقُرْآنِيَّةَ ، وَالْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ ؛ وَأَثْبَتُوا أَنَّهُمْ وَرَثَةُ جَدِّهِمُ الْأَمْجَدِ . .

فَإِنْ قِيلَ : مَا هِيَ حِكْمَةُ تِلْكَ الْفِتْنَةِ الْمُدْهِشَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِالْإِسْلَامِ الْمُبَارَكِ ، وَبِعَصْرِ السَّعَادَةِ اللَّامِعِ ؛ وَمَا هُوَ وَجْهُ رَحْمَتِهَا ؟ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لَائِقِينَ بِالْقَهْرِ . .

فَالْجَوَابُ : كَمَا أَنَّ عَاصِفَةً مُمْطِرَةً مُدْهِشَةً ، تَهُزُّ اسْتِعْدَادَ كُلِّ طَوَائِفِ النَّبَاتَاتِ وَالْبُذُورِ وَالْأَشْجَارِ ؛ وَتَكْشِفُ عَنِ اسْتِعْدَادَاتِهَا ، فِي الرَّبِيعِ ؛ فَيَفْتَحُ كُلٌّ مِنْهَا ، أَزْهَاراً تَخُصُّهُ ؛ وَيَقُومُ كُلٌّ بِوَظِيفَةٍ فِطْرِيَّةٍ ؛ كَذَلِكَ إِنَّ الْفِتْنَةَ الَّتِي أَصَابَتِ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ ، هَزَّتِ الْاِسْتِعْدَادَاتِ الْمُتَغَايِرَةَ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي حُكْمِ النَّوَى ؛ وَسَاطَتْهَا ؛ وَأَنْذَرَتْ كُلَّ طَائِفَةٍ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ عَلَى الْخَطَرِ ؛ وَيُوجَدُ الْحَرِيقُ ؛ وَسَاقَتْهُمْ إِلَى حِفْظِ الْإِسْلَامِ ؛ فَحَمَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَاتِقِهِ ، حَسَبَ اسْتِعْدَادِهِ ، وَظِيفَةً مِنَ الْوَظَائِفِ الْكَثِيرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، لِلْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَسَعَى لَهَا بِكَمَالِ الْجِدِّ ؛ فَاجْتَهَدَ بَعْضُهُمْ لِحِفْظِ الْأَحَادِيثِ ؛ وَبَعْضُهُمْ لِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَبَعْضُهُمْ لِحِفْظِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَبَعْضُهُمْ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ . وَهٰكَذَا دَخَلَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ فِي خِدْمَةٍ ؛ وَسَعَوْا فِي وَظَائِفِ الْإِسْلَامِ ، بِصُورَةٍ حَامِيَةٍ ؛ فَانْفَتَحَتْ أَزْهَارٌ كَثِيرَةٌ ، فِي أَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَزُرِعَتِ الْبُذُورُ بِتِلْكَ الْعَاصِفَةِ ، فِي أَقْطَارِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ الْوَاسِعِ جِدّاً ؛ فَحَوَّلَتْ نِصْفَ الْأَرْضِ ، إِلَى رَوْضَةِ الْأَزْهَارِ ؛ وَلٰكِنْ طَلَعَتْ أَشْوَاكُ فِرَقِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ ، بَيْنَ تِلْكَ الْأَزْهَارِ وَالرَّوْضَةِ ، مَعَ التَّأَسُّفِ . . فَكَأَنَّ يَدَ الْقُدْرَةِ مَحَّصَتْ ذٰلِكَ الْعَصْرَ ، بِجَلَالٍ ؛ فَحَرَّكَتْهُ وَأَدَارَتْهُ بِشِدَّةٍ ؛ فَأَثَارَتْ أَهْلَ الْهِمَّةِ إِلَى الْحَمِيَّةِ ؛ وَكَهْرَبَتْهُمْ ؛ فَأَطَارَتْ بِقُوَّةٍ

مَرْكَزِيَّةٍ مُنْبَعِثَةٍ عَنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ ، كَثِيراً مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُنَوَّرِينَ ، وَالْمُحَدِّثِينَ النَّيِّرِينَ ، وَالْحُفَّاظِ الْقُدُسِيِّينَ ، وَالْأَصْفِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ؛ وَهَاجَرَتْ بِهِمْ إِلَى أَقْطَارِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَهَيَّجَتْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ؛ وَفَتَّحَتْ عُيُونَهُمْ لِلاسْتِفَادَةِ عَنْ خَزَائِنِ الْقُرْآنِ . . فَالْآنَ نَرْجِعُ إِلَى الصَّدَدِ . .

إِنَّ الْأُمُورَ الَّتِي وَقَعَتْ صَادِقَةً ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ ، آلَافٌ وَكَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ فَنَحْنُ نُشِيرُ إِلَى عِدَّةِ أَمْثِلَةٍ جُزْئِيَّةٍ مِنْهَا فَقَطْ . .

فَقَدِ اتَّفَقَ أَصْحَابُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ الْحَدِيثِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ بِالصِّحَّةِ ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، فِي أَكْثَرِ الْأَخْبَارِ الَّتِي سَنُبَيِّنُهَا ؛ وَإِنَّ أَكْثَرَ تِلْكَ الْأَخْبَارِ مُتَوَاتِرَةٌ مَعْنًى ؛ وَإِنَّ قِسْماً مِنْهَا أَيْضاً يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهُ قَطْعِيٌّ كَالْمُتَوَاتِرِ ، بِسَبَبِ اتِّفَاقِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ عَلَى صِحَّتِهِ . .

فَقَدْ أَخْبَرَ (ﷺ) لِأَصْحَابِهِ ؛ وَذَلِكَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿أَنَّكُمْ سَتَغْلِبُونَ جَمِيعَ أَعْدَائِكُمْ ؛ وَأَنَّكُمْ سَتُوَفَّقُونَ لِفَتْحِ مَكَّةَ وَخَيْبَرَ ، وَفَتْحِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَفَتْحِ إِيرَانَ وَفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ﴾ ؛ وَأَخْبَرَ : ﴿أَنَّكُمْ سَتَقْتَسِمُونَ بَيْنَكُمْ خَزَائِنَ مُلُوكِ إِيرَانَ وَالرُّومِ﴾ اللَّتَيْنِ كَانَتَا أَكْبَرَ دُوَلِ ذَلِكَ الْعَهْدِ ؛ وَلَمْ يَقُلْ : إِنِّي أَظُنُّ أَوْ أَتَخَيَّلُ هَكَذَا ؛ بَلْ أَخْبَرَ قَطْعاً ؛ كَأَنَّهُ يَرَى ؛ وَقَدْ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ ؛ وَكَانَ مُضْطَرّاً إِلَى الْهِجْرَةِ ، حِينَمَا أَخْبَرَ ؛ وَكَانَتْ صَحَابَتُهُ قَلِيلَةً ؛ وَمَا حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، وَجَمِيعُ الدُّنْيَا ، أَعْدَاءٌ . .

وَكَذَا ذَكَرَ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿عَلَيْكُمْ بِسِيرَةِ اللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي ، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ﴾ يَعْنِي : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ سَيَعِيشَانِ بَعْدَهُ ؛ وَيَكُونَانِ خَلِيفَةً لَهُ ؛ وَسَيَعْمَلَانِ بِصُورَةٍ وَافِيَةٍ ، فِي دَائِرَةِ رِضَاءِ اللهِ تَعَالَى ، وَمَرْضَاةِ النَّبِيِّ (ﷺ) ؛ وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَعِيشُ قَلِيلاً ؛ وَيَعِيشُ عُمَرُ كَثِيراً ؛ وَيَفْتَحُ فُتُوحاً كَثِيرَةً . .

وَكَذَا قَالَ : ﴿زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ ؛ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ؛ وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي

مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ الْأَرْضَ سَتَقَعُ بِيَدِ أُمَّتِي ، مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ؛ وَأَنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ أَيُّ أُمَّةٍ ، ذٰلِكَ الْقَدَرَ مِنَ الْمُلْكِ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ . .

وَكَذَا قَالَ قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ ؛ وَذٰلِكَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿هٰذَا مَصْرَعُ أَبِي جَهْلٍ ؛ هٰذَا مَصْرَعُ عُتْبَةَ ؛ هٰذَا مَصْرَعُ أُمَيَّةَ ؛ هٰذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ﴾ ؛ فَأَرَى مَقْتَلَ كُلٍّ مِنْ رُؤَسَاءِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ ؛ وَقَالَ : ﴿سَأَقْتُلُ بِيَدِي أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ﴾ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ ؛ فَأُصِيبَ ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ ؛ فَأُصِيبَ ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ ؛ فَأُصِيبَ ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ ، الْحَوَادِثَ فَرْداً فَرْداً ؛ كَأَنَّهُ يَرَى أَصْحَابَهُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي مَسَافَةٍ بُعْدِ شَهْرٍ ، فِي الْغَزْوَةِ الْمَشْهُورَةِ ، فِي الْمَكَانِ الْمُسَمّى بِمُؤْتَةَ ، فِي نَوَاحِي الشَّامِ . فَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ ، جَاءَ يَعْلَى بْنُ مُنَبِّهٍ ، مِنْ مَيْدَانِ الْقِتَالِ ؛ فَبَيَّنَ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ ، تَفَاصِيلَ الْحَرْبِ ، قَبْلَ أَنْ يَذْكُرَ يَعْلَى ؛ فَأَقْسَمَ يَعْلَى ، أَنَّهُ وَقَعَ كَمَا قُلْتَ بِعَيْنِهِ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿إِنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ؛ ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً عَضُوضاً ؛ وَإِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً ؛ ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً ؛ ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً عَضُوضاً ؛ ثُمَّ يَكُونُ عُتُوّاً وَجَبَرُوتاً﴾ ؛ فَأَخْبَرَ عَنْ زَمَنِ خِلَافَةِ الْأَصْحَابِ الْأَرْبَعَةِ الْكِرَامِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، مَعَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ خِلَافَةِ الْحَسَنِ ؛ وَأَنَّهَا تَدْخُلُ بَعْدَهُمْ فِي شَكْلِ السَّلْطَنَةِ ؛ ثُمَّ يَقَعُ مِنْ تِلْكَ السَّلْطَنَةِ ، الْجَبَرُوتُ وَفَسَادُ الْأُمَّةِ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿يُقْتَلُ عُثْمَانُ وَهُوَ يَقْرَأُ الْمُصْحَفَ ؛ وَإِنَّ اللهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَهُ قَمِيصاً ؛ وَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ خَلْعَهُ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ عُثْمَانَ سَيَكُونُ خَلِيفَةً ؛ وَيُطْلَبُ خَلْعُهُ ؛ وَيُقْتَلُ مَظْلُوماً ؛ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ . .

وَقَالَ أَيْضاً بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ ، حِينَمَا احْتَجَمَ ؛ فَشَرِبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، دَمَهُ الْمُبَارَكَ تَبَرُّكاً ، كَالشَّرَابِ : ﴿وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ ؛ وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ

سَيَتَزَعَّمُ الْأُمَّةَ ، بِشَجَاعَةٍ خَارِقَةٍ ؛ وَيَتَعَرَّضُ لِهَجَمَاتٍ مُدْهِشَةٍ ؛ وَيُبْتَلَى النَّاسُ مِنْ جَرَّائِهِ ، بِأَحْدَاثٍ هَائِلَةٍ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ ؛ فَإِنَّ **عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ** أَعْلَنَ خِلافَتَهُ ، بِمَكَّةَ فِي عَهْدِ الْأَمَوِيِّينَ ؛ فَنَازَلَهُمْ كَثِيراً نِزَالَ الْبَطَلِ ؛ فَهَاجَمَهُ الْحَجَّاجُ الظَّالِمُ ، فِي آخِرِ الْأَمْرِ ، بِجَيْشٍ عَظِيمٍ ؛ فَاسْتُشْهِدَ ذٰلِكَ الْبَطَلُ الْعَالِي الشَّأْنِ ، بَعْدَ قِتَالٍ عَنِيفٍ . .

وَكَذَا أَخْبَرَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ ، عَنْ ظُهُورِ الدَّوْلَةِ الْأَمَوِيَّةِ ؛ وَأَنَّ أَكْثَرَ مُلُوكِهِمْ سَيَكُونُونَ ظَلَمَةً ؛ وَيُوجَدُ بَيْنَهُمْ **يَزِيدُ وَالْوَلِيدُ** ؛ وَيَتَزَعَّمُ **مُعَاوِيَةُ** الْأُمَّةَ ؛ فَأَوْصَاهُ بِالرِّفْقِ وَالْعَدَالَةِ ، بِقَوْلِهِ : **﴿وَإِذَا مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ﴾** . .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَتَظْهَرُ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ، بَعْدَ الْأَمَوِيِّينَ ؛ وَسَتَدُومُ مُدَّةً مَدِيدَةً ؛ فَقَالَ : **﴿يَخْرُجُ وَلَدُ الْعَبَّاسِ بِالرَّايَاتِ السُّودِ ؛ وَيَمْلِكُونَ أَضْعَافَ مَا مَلَكُوا﴾** ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ عَنْ فِتْنَةِ **«جَنْكِيزَ وَهُولاكُو»** ، تِلْكَ الْفِتْنَةِ الْمُدْهِشَةِ ؛ وَأَنَّهُمَا سَيُدَمِّرَانِ الدَّوْلَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْعَبَّاسِيَّةَ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ؛ وَكَانَ مَرِيضاً مَرَضاً ثَقِيلاً : **﴿لَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيَسْتَضِرَّ بِكَ آخَرُونَ﴾** ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ قَائِداً عَظِيماً ؛ وَيَفْتَحُ فُتُوحاً كَثِيرَةً ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَيَنْتَفِعُ مِنْهُ شُعُوبٌ وَأَقْوَامٌ كَثِيرُونَ : أَيْ إِنَّهُمْ يُسْلِمُونَ ؛ وَيَسْتَضِرُّ مِنْهُ الْكَثِيرُونَ ؛ يَعْنِي : تَنْهَدِمُ دَوْلَتُهُمْ بِيَدِهِ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ ؛ فَإِنَّ **سَعْداً** قَادَ جَيْشَ الْإِسْلَامِ ؛ فَدَمَّرَ الدَّوْلَةَ الْإِيرَانِيَّةَ شَذَرَ مَذَرَ ؛ وَصَارَ سَبَباً لِدُخُولِ أَقْوَامٍ كَثِيرَةٍ ، فِي الْهِدَايَةِ وَدَائِرَةِ الْإِسْلَامِ . .

وَكَذَا أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ ، **عَنْ وَفَاةِ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، الَّذِي كَانَ آمَنَ** . فَأَخْبَرَهُمْ بِوَفَاتِهِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ؛ حَتّى إِنَّهُ صَلّى عَلَيْهِ صَلاةَ الْجَنَازَةِ ؛ فَجَاءَ الْخَبَرُ بَعْدَ أُسْبُوعٍ ، بِأَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ . .

وَكَذَا أَنَّهُ كَانَ مَعَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، عَلٰى جَبَلِ أُحُدٍ أَوْ حِرَاءَ ؛ فَارْتَعَدَ الْجَبَلُ وَتَزَلْزَلَ ؛ فَقَالَ لِلْجَبَلِ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿اُثْبُتْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيّاً سَيُسْتَشْهَدُونَ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ . .

فَالْآنَ ، أَيُّهَا الشَّقِيُّ الْبَائِسُ الَّذِي لَا قَلْبَ لَهُ ! وَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْبَائِسُ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّ «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» ، كَانَ رَجُلاً عَاقِلاً ؛ فَيُغْمِضُ بَصَرَهُ أَمَامَ شَمْسِ الْحَقِيقَةِ تِلْكَ ! لَقَدْ سَمِعْتَ قِسْماً وَاحِداً مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ قِسْماً ، بَلْ مِنْ مِئَةِ قِسْمٍ ، مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي هِيَ نَوْعٌ وَاحِدٌ فَقَطْ مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ مُعْجِزَاتِهِ الْكُلِّيَّةِ ؛ وَقَدِ اسْتَمَعْتَ قِسْماً قَطْعِيّاً مِنْهَا ، فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ . فَمَنْ يَرَى بِعَيْنِ الْعَقْلِ ، وَاحِداً مِنَ الْمِئَةِ مِنْ قِسْمِ الْإِخْبَارِ الْغَيْبِيِّ هٰذَا ، يُطْلَقُ عَلَيْهِ «الدَّاهِيَةُ الْأَعْظَمُ» ، حَيْثُ يَكْتَشِفُ الِاسْتِقْبَالَ بِفِرَاسَتِهِ . فَلْنَقُلْ مِثْلَكَ : إِنَّهُ دَهَاءٌ ، بِنَاءً عَلٰى ذٰلِكَ ؛ فَمَنْ يَحْمِلُ دَهَاءً قُدُسِيّاً فِي دَرَجَةِ مِئَةِ دَاهِيَةٍ أَعْظَمَ ؛ هَلْ يَرَى خَطَأً ؟ وَهَلْ يَتَنَزَّلُ إِلَى الْإِخْبَارِ الْخَاطِئِ ؟ فَرَفْضُ الْإِصْغَاءِ إِلٰى أَقْوَالِ صَاحِبِ مِثْلِ هٰذَا الدَّهَاءِ الْأَعْظَمِ بِمِئَةِ دَرَجَةٍ ، فِيمَا يَعُودُ إِلٰى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ؛ لَا شَكَّ أَنَّهُ عَلَامَةُ مِئَةِ دَرَجَةٍ مِنَ الْجُنُونِ . .

اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةُ ذَاتُ النُّكْتَةِ :

لَقَدْ قَالَ لِفَاطِمَةَ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿أَنْتِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لُحُوقاً بِي﴾ ؛ فَذَكَرَ لَهَا : بِأَنَّكِ تُتَوَفَّيْنَ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ آلِ بَيْتِي ؛ فَتَلْحَقِينَ بِي . وَقَدْ ظَهَرَ ذٰلِكَ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ؛ كَمَا أَخْبَرَهُ بِعَيْنِهِ . .

وَكَذَا قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ : ﴿سَتُخْرَجُ مِنْ هُنَا ؛ وَتَعِيشُ وَحْدَكَ ؛ وَتَمُوتُ وَحْدَكَ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيُنْفٰى مِنَ الْمَدِينَةِ ؛ فَيُمْضِي حَيَاتَهُ وَحِيداً ؛ فَيَتَوَفّٰى فِي الصَّحْرَاءِ وَحِيداً . وَقَدْ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ ، بَعْدَ عِشْرِينَ سَنَةً . .

وَكذا أَنَّهُ أَفَاقَ مِنَ النَّوْمِ ، فِي بَيْتِ أُمِّ حَرامٍ خَالَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ فَقَالَ مُتَبَسِّماً : ﴿رَأَيْتُ أُمَّتِي يَغْزُونَ فِي الْبَحْرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ﴾ ؛ فَتضَرَّعَتْ إِلَيْهِ أُمُّ حَرامٍ : أَنِ ادْعُوا أَنْ أَكُونَ مَعهُمْ ؛ فقالَ : ﴿ستَكُونِينَ مَعَهُمْ﴾ . فَبَعْدَ أَرْبَعِينَ عَاماً سَافَرَتْ بِرِفَاقَةِ زَوْجِهَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، لِفَتْحِ قُبْرُصَ ؛ فَتُوُفِّيَتْ هُنَاكَ ؛ وَصارَ قَبْرُهَا مَزَاراً . وَقَدْ ظَهَرَ الْأَمْرُ ؛ كَمَا أَخْبَرَهُ بِعَيْنِهِ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ ، كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ﴾ ؛ يَعْنِي : سَيَدَّعِي وَاحِدٌ مِنْ قَبِيلَةِ ثَقِيفٍ النُّبُوَّةَ ؛ وَسَيَظْهَرُ وَاحِدٌ مِنْهَا ظَالِمٌ سَفَّاكٌ ؛ فَأَخْبَرَ عَنِ الْمُخْتَارِ الْمَشْهُورِ الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّةَ ، وَعَنِ الْحَجَّاجِ الظَّالِمِ الَّذِي قَتَلَ مِئَةَ أَلْفِ إِنْسَانٍ . .

وَكذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿سَتُفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ ؛ فَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا ؛ وَنِعْمَ الْجَيْشُ جَيْشُهَا﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ إِسْطَنْبُولَ سَتُفْتَحُ بِيَدِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّ (حَضْرَةَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ) يَكُونُ صَاحِبَ مَرْتَبَةٍ عَالِيَةٍ ؛ فَظَهَرَ الْأَمْرُ ؛ كَمَا أَخْبَرَهُ بِعَيْنِهِ . .

وَكذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿إِنَّ الدِّينَ لَوْ كَانَ مَنُوطاً بِالثُّرَيَّا ؛ لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ﴾ ؛ فَيُشِيرُ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ أَنْجَبَتْهُمْ إِيرَانُ ، بِصُورَةٍ لَا مَثِيلَ لَهَا ؛ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِمْ أَبُو حَنِيفَةَ ؛ وَيُخْبِرُ عَنْهُمْ . .

وَكذَا قَالَ : ﴿عَالِمُ قُرَيْشٍ يَمْلَأُ طِبَاقَ الْأَرْضِ عِلْماً﴾ ؛ فَيُشِيرُ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ؛ وَيُخْبِرُ عَنْهُ . .

وَكذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي ثَلَاثاً وَسَبْعِينَ فِرْقَةً . النَّاجِيَةُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا . قِيلَ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي﴾ ؛ فَيُخْبِرُ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ وَأَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ الْكَامِلَةَ ، هِيَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ . .

وَكذَا قَالَ : ﴿اَلْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ عَنِ الطَّائِفَةِ الْمُنْكِرَةِ لِلْقَدَرِ ، وَالْمُنْقَسِمَةِ إِلٰى شُعَبٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَأَخْبَرَ أَيْضاً عَنِ الرَّوَافِضِ الْمُنْقَسِمِينَ إِلٰى شُعَبٍ كَثِيرَةٍ . .

وَكَذَا قَالَ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿يَهْلِكُ فِيكَ كَعِيسٰى ، قِسْمَانِ مِنَ النَّاسِ ، أَحَدُهُمَا بِإِفْرَاطِ الْمَحَبَّةِ ؛ وَالْآخَرُ بِإِفْرَاطِ الْعَدَاوَةِ﴾ ؛ فَإِنَّ النَّصَارٰى قَالُوا لِعِيسٰى ، مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ بِالتَّجَاوُزِ عَنِ الْحَدِّ الْمَشْرُوعِ : إِنَّهُ ابْنُ اللهِ ، حَاشَاهُ ؛ وَإِنَّ الْيَهُودَ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ كَثِيراً ، عَنْ عَدَاوَتِهِ ؛ فَأَنْكَرُوا نُبُوَّتَهُ وَكَمَالَهُ . وَإِنَّ قِسْماً سَيَتَجَاوَزُ فِي حَقِّكَ أَيْضاً ، عَنِ الْحَدِّ الْمَشْرُوعِ ؛ فَيَهْلِكُونَ عَنْ مَحَبَّتِكَ ؛ فَقَالَ : ﴿لَهُمْ نَبَزٌ يُقَالُ لَهُمُ الرَّافِضَةُ﴾ ؛ وَإِنَّ قِسْماً سَيُفْرِطُونَ كَثِيراً عَنْ عَدَاوَتِكَ ؛ وَهُمُ الْخَوَارِجُ ؛ وَقِسْمٌ مُفْرِطٌ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَمَوِيِّينَ ، يُقَالُ لَهُمُ النَّاصِبَةُ . .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ الْقُرْآنَ يَأْمُرُ بِحُبِّ آلِ الْبَيْتِ ؛ وَإِنَّ ﴿النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ حَثَّ عَلَيْهِ كَثِيراً . فَلَعَلَّ ذٰلِكَ الْحُبَّ يُشَكِّلُ عُذْراً لِلشِّيعَةِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْحُبِّ ، أَهْلُ السُّكْرِ بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ فَلِمَاذَا لَا تَسْتَفِيدُ الشِّيعَةُ لَاسِيَّمَا الرَّافِضَةُ ، عَنْ هٰذِهِ الْمَحَبَّةِ ؛ بَلْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ لِفَرْطِ الْمَحَبَّةِ ذٰلِكَ ، بِالْإِشَارَةِ النَّبَوِيَّةِ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْمَحَبَّةَ قِسْمَانِ : أَحَدُهُمَا : الْحُبُّ لِعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَآلِ الْبَيْتِ ، بِالْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ ؛ يَعْنِي : بِحِسَابِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ، وَبِاسْمِ اللهِ تَعَالٰى . فَهٰذَا الْحُبُّ يَزِيدُ فِي مَحَبَّةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؛ وَيَكُونُ وَسِيلَةً لِمَحَبَّةِ اللهِ تَعَالٰى . وَهٰذَا الْحُبُّ مَشْرُوعٌ ؛ لَا يَضُرُّ إِفْرَاطُهُ ؛ وَلَا يَتَجَاوَزُ ؛ وَلَا يَقْتَضِي ذَمَّ الْآخَرِينَ وَعَدَاوَتَهُمْ . .

وَثَانِيهِمَا : الْحُبُّ بِالْمَعْنَى الِاسْمِيِّ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ بِالذَّاتِ ؛ وَيَتَصَوَّرُ بُطُولَاتِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ وَكَمَالَاتِهِ ، وَفَضَائِلَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ الْعَالِيَةَ ؛ فَيُحِبُّهُمْ بِدُونِ أَنْ يَتَصَوَّرَ ﴿النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَعْلَمِ اللهَ ؛ وَلَمْ يَعْرِفِ النَّبِيَّ ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّهُمْ أَيْضاً . فَهٰذَا الْحُبُّ لَا يُؤَدِّي إِلٰى حُبِّ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ، وَلَا إِلٰى مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالٰى . وَأَيْضاً إِذَا وُجِدَ الْغُلُوُّ ؛ يَقْتَضِي ذَمَّ الْآخَرِينَ وَعَدَاوَتَهُمْ ؛ فَوَقَعُوا بِالْإِشَارَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فِي الْخَسَارَةِ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ تَبَرُّئِهِمْ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ الْفَارُوقِ ، مِنْ زِيَادَةِ مَحَبَّتِهِمْ فِي حَقِّ عَلِيٍّ ؛

وَأَنَّ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ السَّلْبِيَّةَ ، سَبَبُ الْخَسَارَةِ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿إِذَا مَشَوُا الْمُطَيْطَاءَ ؛ وَخَدَمَتْهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومِ ؛ رَدَّ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ؛ وَسَلَّطَ شِرَارَهُمْ عَلَى خِيَارِهِمْ﴾ ؛ فَأَخْبَرَهُمْ : أَنَّهُ مَتَى خَدَمَتْكُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَقَعُ بَلاؤُكُمْ وَفِتْنَتُكُمْ بَيْنَكُمْ ؛ وَتَكُونُ حَرْبُكُمْ دَاخِلِيَّةً ؛ وَيَرْأَسُ أَشْرَارُكُمْ ؛ وَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى أَخْيَارِكُمْ . فَبَعْدَ ثَلاثِينَ سَنَةً ظَهَرَ كَمَا أَخْبَرَ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : ﴿وَتُفْتَحُ خَيْبَرُ عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ فَتْحَ خَيْبَرَ يَكُونُ عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ . فَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَلَعَ عَلِيٌّ بَابَ قَلْعَةِ خَيْبَرَ ؛ وَاسْتَعْمَلَهُ كَالتُّرْسِ ؛ فَوُفِّقَ لِفَتْحِهَا ، مُعْجِزَةً لِلنَّبِيِّ ، بِوَجْهٍ فَوْقَ الْمَأْمُولِ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ أَلْقَى الْبَابَ عَلَى الْأَرْضِ ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ثَمَانِيَةُ رِجَالٍ أَقْوِيَاءُ ، أَنْ يَرْفَعُوا ذٰلِكَ الْبَابَ عَنِ الْأَرْضِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ رَفْعَهُ ، أَرْبَعُونَ رَجُلاً . .

وَكَذَا قَالَ : ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ عَنْ قِتَالِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ فِي صِفِّينَ . .

وَكَذَا قَالَ : ﴿إِنَّ عَمَّاراً تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ فِئَةً بَاغِيَةً سَتَقْتُلُ عَمَّاراً ؛ ثُمَّ قُتِلَ فِي حَرْبِ صِفِّينَ ؛ فَاحْتَجَّ بِهِ عَلِيٌّ ، عَلَى أَنَّ أَتْبَاعَ مُعَاوِيَةَ بُغَاةٌ ؛ وَلٰكِنْ أَوَّلَهُ مُعَاوِيَةُ ؛ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِنَّ الْبُغَاةَ هُمْ قَاتِلُوهُ فَقَطْ ؛ وَلَسْنَا جَمِيعاً بُغَاةً . .

وَكَذَا قَالَ : ﴿إِنَّ الْفِتَنَ لَا تَظْهَرُ مَادَامَ عُمَرُ حَيّاً﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَادَامَ عُمَرُ حَيّاً فِيكُمْ ؛ لَا تَظْهَرُ الْفِتَنُ ؛ فَوَقَعَ كَذٰلِكَ . .

وَكَذَا أَنَّ سَهْلاً بْنَ عَمْرٍو أُسِرَ قَبْلَ أَنْ آمَنَ ؛ فَقَالَ عُمَرُ (لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ) : «ائْذَنْ لِي أَنْ أَقْلَعَ أَسْنَانَ هٰذَا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحُضُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ بِفَصَاحَتِهِ ، عَلَى حَرْبِنَا» ؛ فَقَالَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : ﴿وَعَسَى أَنْ يَقُومَ مُقَاماً يَسُرُّكَ يَا عُمَرُ﴾ . فَفِي حِينِ وَفَاةِ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) تِلْكَ الْحَادِثَةِ الْمُدْهِشَةِ الْمُحْرِقَةِ لِلصَّبْرِ ؛ كَمَا سَلَّى أَبُو بَكْرٍ

كُلَّ أَحَدٍ ، بِكَمَالِ الْمَتَانَةِ ؛ فَثَبَّتَ الصَّحَابَةَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، بِخُطْبَةٍ مُهِمَّةٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ سَهْلاً هٰذَا ثَبَّتَ الْأَصْحَابَ ، فِي ذٰلِكَ الْحِينِ ، فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ؛ وَسَلّاهُمْ كَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ نَفْسِهِ ؛ وَأَوْرَدَ بِفَصَاحَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ ، خُطْبَةً فِي فَحْوٰى خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ نَفْسِهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ كَلِمَاتِ الْخُطْبَتَيْنِ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضاً . .

وَكَذَا قَالَ لِسُرَاقَةَ : ﴿كَيْفَ بِكَ إِذَا أُلْبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرٰى﴾ : أَيْ سَتُلْبَسُ سِوَارَيْ كِسْرٰى . فَأُهْلِكَ كِسْرٰى فِي عَهْدِ عُمَرَ ؛ فَجَاءَتْ حُلِيُّ كِسْرٰى وَسِوَارَاهُ الْمَلَكِيَّانِ ؛ فَأَلْبَسَهُمَا عُمَرُ ، سُرَاقَةَ ؛ وَقَالَ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرٰى ؛ وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ» ؛ وَصَدَّقَ الْإِخْبَارَ النَّبَوِيَّ . .

وَكَذَا قَالَ : ﴿إِذَا ذَهَبَ كِسْرٰى ؛ فَلَا كِسْرٰى بَعْدَهُ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِذَا ذَهَبَ كِسْرٰى فَارِسَ ؛ فَلَا يَظْهَرُ كِسْرٰى آخَرُ ، بَعْدَ ذٰلِكَ ؛ وَقَدْ كَانَ كَذٰلِكَ . .

وَكَذَا قَالَ لِسَفِيرِ كِسْرٰى : ﴿إِنَّ ابْنَ كِسْرٰى شِيرَوَيْهِ پَرْوِيزَ قَتَلَ الْآنَ كِسْرٰى﴾ . فَحَقَّقَ ذٰلِكَ السَّفِيرُ ، أَنَّهُ وَقَعَ كَذٰلِكَ ، فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ؛ فَأَسْلَمَ . وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ اسْمَ ذٰلِكَ السَّفِيرِ كَانَ فَيْرُوزاً . .

وَكَذَا أَخْبَرَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ ، عَنِ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَرْسَلَهَا حَاطِبُ ابْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، سِرّاً إِلٰى قُرَيْشٍ ؛ فَبَعَثَ عَلِيّاً وَالْمِقْدَادَ ؛ وَقَالَ : ﴿إِنَّ فِي الْمَكَانِ الْفُلَانِيِّ شَخْصاً عِنْدَهُ رِسَالَةٌ كَذَا ؛ فَخُذَاهَا وَائْتِيَا بِهَا﴾ ؛ فَذَهَبَا وَأَتَيَا بِنَفْسِ الرِّسَالَةِ ، مِنْ عَيْنِ الْمَكَانِ ؛ فَاجْتَلَبَ إِلَيْهِ حَاطِباً ؛ فَقَالَ لَهُ : لِمَاذَا فَعَلْتَ ؛ فَبَيَّنَ لَهُ الْعُذْرَ ؛ فَقَبِلَ عُذْرَهُ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، فِي حَقِّ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ : ﴿يَأْكُلُهُ كَلْبُ اللّٰهِ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ عَنْ عَاقِبَتِهِ الْفَجِيعَةِ . ثُمَّ لَمَّا سَافَرَ نَحْوَ الْيَمَنِ ؛ أَتَاهُ أَسَدٌ فَأَكَلَهُ ؛ فَصَدَّقَ خَبَرَ ﴿النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ، وَدُعَاءَهُ عَلَيْهِ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : «أَنَّ بِلَالاً الْحَبَشِيَّ طَلَعَ عَلٰى سَقْفِ الْكَعْبَةِ ؛ فَأَذَّنَ ،

حِينَمَا فُتِحَتْ مَكَّةُ . فَجَلَسَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَعَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ ، وَحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ ؛ فَتَحَاوَرُوا ؛ فَقَالَ عَتَّابٌ : إِنَّ أَبِي أَسِيداً كَانَ سَعِيداً ، حَيْثُ لَمْ يَرَ هٰذَا الْيَوْمَ ؛ وَقَالَ حَارِثٌ : أَلَمْ يَجِدْ مُحَمَّدٌ ، أَحَداً غَيْرَ هٰذَا الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ ؛ فَيَجْعَلَهُ مُؤَذِّناً ؟ فَذَمَّ بِلَالاً الْحَبَشِيَّ ؛ وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : إِنِّي أَخَافُ ؛ فَلَنْ أَقُولَ شَيْئاً ؛ وَلَوْلَا أَحَدٌ ؛ لَأَخْبَرَتْهُ حِجَارَةُ هٰذِهِ الْبَطْحَاءِ ؛ فَيَعْلَمُ . وَالْوَاقِعُ أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام﴾ لَقِيَهُمْ بَعْدَ فَتْرَةٍ قَلِيلَةٍ ؛ فَذَكَرَ حَرْفِيّاً مَا قَالُوهُ» ؛ فَحِينَئِذٍ أَتَى عَتَّابٌ وَالْحَارِثُ ، بِالشَّهَادَةِ ؛ وَأَسْلَمَا . .

فَيَا أَيُّهَا الْمُلْحِدُ الْبَائِسُ ! وَمَنْ لَا قَلْبَ لَهُ ؛ فَلَا يَعْرِفُ ﴿النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام﴾ ! انْظُرْ أَنَّ رَئِيسَيْنِ عَنِيدَيْنِ مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ ، آمَنَا بِإِخْبَارٍ غَيْبِيٍّ فَقَطْ . فَمَا أَفْسَدَ قَلْبَكَ ؛ حَيْثُ تَسْمَعُ آلَافَ الْمُعْجِزَاتِ بِالتَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ ، مِثْلَ هٰذَا الْإِخْبَارِ الْغَيْبِيِّ ؛ فَلَا تَقْنَعُ بِهَا أَيْضاً ، قَنَاعَةً تَامَّةً . . وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَنَرْجِعُ إِلَى الصَّدَدِ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّهُ طَلَبَ مِنَ الْعَبَّاسِ ، فِدْيَةَ النَّجَاةِ ، حِينَمَا وَقَعَ أَسِيراً بِأَيْدِي الصَّحَابَةِ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ لِي نُقُودٌ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿إِنَّكَ تَرَكْتَ مِقْدَارَ كَذَا مِنَ النُّقُودِ ، عِنْدَ زَوْجَتِكَ أُمِّ فَضْلٍ ، فِي الْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ﴾ ؛ فَصَدَّقَهُ الْعَبَّاسُ ؛ وَقَالَ : كَانَ ذٰلِكَ سِرّاً لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُنَا ؛ فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَ ؛ وَفَازَ بِكَمَالِ الْإِيمَانِ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَطْعِيِّ : أَنَّ لَبِيداً الْيَهُودِيَّ الَّذِي كَانَ سَاحِراً مُضِرّاً ؛ عَمِلَ سِحْراً عَجِيباً مُؤَثِّراً ، لِإِيلَامِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ؛ فَلَفَّ شَعَرَاتٍ عَلَى مُشْطٍ ؛ وَسَحَرَ عَلَيْهِ ؛ وَأَلْقَاهُ فِي بِئْرٍ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ ، لِعَلِيٍّ وَلِلصَّحَابَةِ : ﴿اذْهَبُوا وَاطْلُبُوا أَدَوَاتِ سِحْرٍ كَذَا ، فِي بِئْرِ كَذَا ؛ فَائْتُوا بِهَا﴾ ؛ فَذَهَبُوا وَوَجَدُوهَا كَذٰلِكَ بِعَيْنِهَا ؛ وَأَتَوْا بِهَا ؛ فَكَانَ كُلَّمَا حُلَّ خَيْطٌ مِنْهَا ؛ يَجِدُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ خِفَّةً مِنْ أَلَمِهِ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام﴾ قَالَ فِي هَيْئَةٍ فِيهَا رِجَالٌ مُهِمَّةٌ ، كَأَبِي هُرَيْرَةَ وَحُذَيْفَةَ : ﴿ضِرْسُ أَحَدِكُمْ فِي النَّارِ ، أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ عَنْ عَاقِبَةٍ مُدْهِشَةٍ ، لِأَحَدٍ مِنْهُمْ بِارْتِدَادِهِ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : بَقِيتُ أَنَا وَوَاحِدٌ ، مِنْ

تِلْكَ الْهَيْئَةِ ؛ فَخِفْتُ عَلَيَّ ؛ ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ الْآخَرَ وُجِدَ فِي جَانِبِ مُسَيْلِمَةَ ، فِي حَرْبِ الْيَمَامَةِ ؛ فَقُتِلَ مُرْتَدّاً . فَظَهَرَتْ حَقِيقَةُ الْإِخْبَارِ النَّبَوِيِّ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ عُمَيْراً وَصَفْوَانَ عَزَمَا عَلٰى قَتْلِ النَّبِيِّ ، عِوَضَ مَالٍ مُهِمٍّ ، قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَا ؛ وَأَنَّ عُمَيْراً جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ نَاوِياً قَتْلَ النَّبِيِّ . فَرَأَى ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ عُمَيْراً ؛ وَنَادَاهُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : «إِنَّ قِصَّتَكَ مَعَ صَفْوَانَ ، هِيَ كَذَا ؛ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلٰى صَدْرِ عُمَيْرٍ ؛ فَقَالَ عُمَيْرٌ : نَعَمْ» ؛ وَأَسْلَمَ . .

وَهٰكَذَا وَقَعَتْ إِخْبَارَاتٌ غَيْبِيَّةٌ صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً ، مِثْلُ هٰذِهِ الْإِخْبَارَاتِ الْمَذْكُورَةِ ؛ وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي الْكُتُبِ السِّتَّةِ الْحَدِيثِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ ؛ وَبُيِّنَتْ بِأَسَانِيدِهَا . .

وَإِنَّ أَكْثَرَ مَا بُيِّنَ فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ مِنَ الْوَاقِعَاتِ ، قَطْعِيٌّ وَيَقِينِيٌّ فِي حُكْمِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَقَدْ بُيِّنَتْ بِأَسَانِيدِهَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ أَوَّلاً ، اللَّذَيْنِ قِبَلَهُمَا أَهْلُ التَّحْقِيقِ ، أَصَحَّ الْكُتُبِ بَعْدَ الْقُرْآنِ ، وَفِي سَائِرِ الصِّحَاحِ كَصَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ ، وَمُسْنَدِ الْحَاكِمِ ، وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَدَلَائِلِ الْبَيْهَقِيِّ . .

فَالْآنَ أَيُّهَا الْمُلْحِدُ الَّذِي لَا فِكْرَ لَهُ ! لَا تَقُلْ : إِنَّ مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ كَانَ رَجُلاً عَاقِلاً ؛ فَتَمْضِيَ ؛ لِأَنَّ هٰذِهِ الْأَخْبَارَ الصَّادِقَةَ الْأَحْمَدِيَّةَ ، فِي حَقِّ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ ، لَا تَخْلُو عَنْ شِقَّيْنِ : فَإِمَّا أَنْ تَقُولَ : إِنَّ فِي ذٰلِكَ الشَّخْصِ الْقُدُسِيِّ ، نَظَراً حَادّاً ، وَدَهَاءً وَاسِعاً ، يَرَى وَيَعْلَمُ الْمَاضِيَ وَالْمُسْتَقْبَلَ وَجَمِيعَ الدُّنْيَا ؛ وَلَهُ بَصَرٌ يَطَّلِعُ عَلَى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَعَلٰى أَقْطَارِ الْعَالَمِ ؛ وَدَهَاءٌ يَكْتَشِفُ الْمَاضِيَ وَالْمُسْتَقْبَلَ ، وَجَمِيعَ الْأَزْمِنَةِ . فَهٰذَا الْحَالُ لَا يُمْكِنُ فِي الْبَشَرِ . فَإِنْ وُجِدَ ؛ فَهُوَ خَارِقَةٌ وَمَوْهِبَةٌ مِنْ طَرَفِ خَالِقِ الْعَالَمِ . فَهٰذِهِ الْخَارِقَةُ عَلٰى حِدَتِهَا ، أَعْظَمُ مُعْجِزَةٍ . . وَإِمَّا أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْمُبَارَكَ ، مَأْمُورٌ وَتِلْمِيذٌ لِمَنْ يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ ، فِي نَظَرِهِ وَفِي تَصَرُّفِهِ ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْكَائِنَاتِ ، وَجَمِيعُ الْأَزْمِنَةِ ، تَحْتَ أَمْرِهِ ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ ، مُسْتَطَرٌ فِي دَفْتَرِهِ الْكَبِيرِ . مَتٰى شَاءَ ؛ يُعَلِّمُ تِلْمِيذَهُ وَيُرِيهِ . فَإِذاً إِنَّ ﴿مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ ﷺ﴾ يَدْرُسُ عَنْ أُسْتَاذِهِ الْأَزَلِيِّ ؛ فَيُدَرِّسُ كَذٰلِكَ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ خَالِداً بْنَ الْوَلِيدِ إِلٰى أُكَيْدِرَ رَئِيسِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ ؛ فَقَالَ : ﴿إِنَّكَ تَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي صَيْدِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ ؛ فَيُؤْسَرُ بِدُونِ قِتَالٍ . فَذَهَبَ خَالِدٌ ؛ وَوَجَدَهُ كَذٰلِكَ ؛ فَأَسَرَهُ وَأَتَى بِهِ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّهُ قَالَ فِي حَقِّ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَهَا قُرَيْشٌ ، لِمُقَاطَعَةِ بَنِي هَاشِمٍ ؛ وَعَلَّقُوهَا فِي سَقْفِ الْكَعْبَةِ : ﴿إِنَّ الدِّيدَانَ أَكَلَتْ مَا كَتَبْتُمْ ؛ وَلَمْ تَمَسَّ مَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ فَقَطْ﴾ . . ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى الصَّحِيفَةِ ؛ فَرَأَوْا أَنَّهَا كَانَتْ ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِعَيْنِهِ . .

وَكَذَا قَالَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : ﴿أَنَّهُ سَيَظْهَرُ طَاعُونٌ عَظِيمٌ ، فِي فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ﴾ ؛ فَفُتِحَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ ، فِي عَهْدِ عُمَرَ ؛ فَظَهَرَ طَاعُونٌ ؛ كَانَ الْمَوْتَى سَبْعِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . .

وَكَذَا أَخْبَرَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّهُ سَتُوجَدُ مَدِينَةُ الْبَصْرَةِ وَبَغْدَادَ ، مِمَّا لَمْ تَكُنْ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ وَسَتَدْخُلُ خَزَائِنُ الدُّنْيَا فِي بَغْدَادَ ؛ وَسَتُحَارِبُ الْعَرَبُ ، الْأَتْرَاكَ وَالْأُمَمَ الَّتِي حَوْلَ بَحْرِ الْخَزَرِ ؛ ثُمَّ يَدْخُلُ الْإِسْلَامَ أُولٰئِكَ الْأَقْوَامُ بِكَثْرَةٍ ؛ وَيَحْكُمُونَ عَلَى الْعَرَبِ ، بَيْنَ الْعَرَبِ ؛ فَقَالَ : ﴿يُوشِكُ أَنْ يَكْثُرَ فِيكُمُ الْعَجَمُ ؛ يَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ ؛ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ﴾ . .

وَكَذَا قَالَ : ﴿هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدِ أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ عَنْ فَسَادِ الرُّؤَسَاءِ الْأَشْرَارِ الْأُمَوِيِّينَ ، كَيَزِيدَ وَالْوَلِيدِ . . .

وَكَذَا أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَقَعُ الِارْتِدَادُ ، فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ كَالْيَمَامَةِ . .

وَكَذَا قَالَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ الْمَشْهُورَةِ : ﴿إِنَّ قُرَيْشاً وَالْأَحْزَابَ لَا يَغْزُونَنِي أَبَداً ؛ وَأَنَا أَغْزُوهُمْ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يُهَاجِمُونَ عَلَيَّ بَعْدَ الْآنِ ؛ وَأَنَا سَأُهَاجِمُ عَلَيْهِمْ ؛ فَظَهَرَ كَمَا أَخْبَرَ . .

وَكَذَا قَالَ قَبْلَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ ، مِنْ وَفَاتِهِ : ﴿إِنَّ عَبْداً خُيِّرَ ؛ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ﴾ ؛

فَأَخْبَرَ عَنْ وَفَاتِهِ . .

وَكَذَا قَالَ فِي حَقِّ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ : ﴿يَسْبِقُ عُضْوٌ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ عُضْواً مِنْ زَيْدٍ يُسْتَشْهَدُ قَبْلَهُ . وَبَعْدَ بُرْهَةٍ مِنَ الزَّمَنِ قُطِعَتْ يَدٌ مِنْهُ فِي حَرْبِ نِهَاوَنْدَ . فَإِذاً إِنَّ تِلْكَ الْيَدَ اسْتُشْهِدَتْ أَوَّلاً ؛ فَذَهَبَتْ مَعْنًى إِلَى الْجَنَّةِ . .

هٰذَا فَجَمِيعُ مَا بَحَثْنَا عَنْهُ ، مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ ، نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةِ أَنْوَاعٍ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ؛ وَلَمْ نَذْكُرْ مِنْ ذٰلِكَ النَّوْعِ قِسْماً وَاحِداً مِنْ عَشَرَةِ أَقْسَامِهِ . وَقَدْ بَيَّنَّا إِجْمَالاً ، مَعَ هٰذَا الْقِسْمِ الْمَذْكُورِ الْآنَ ، أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ نَوْعِ إِخْبَارِ الْغَيْبِ الْوَاسِعِ كَثِيراً ، فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ الدَّائِرَةِ حَوْلَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ . . فَتَصَوَّرْ مَا هٰهُنَا مِنَ النَّوْعِ ، مَعَ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ الْغَيْبِ ، بِلِسَانِ الْقُرْآنِ ، مَعاً ؛ فَأَبْصِرْ أَنَّهَا أَيُّ بُرْهَانٍ مَتِينٍ قَوِيٍّ ، وَمُشْرِقٍ قَطْعِيٍّ بِدُونِ شُبْهَةٍ ، مِنْ بَرَاهِينِ الرِّسَالَةِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَفْسُدْ قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ كُلِّيّاً ؛ يُؤْمِنُ قَطْعاً بِأَنَّ الذَّاتَ الْأَحْمَدِيَّةَ (ﷺ) ، رَسُولُ خَالِقٍ ذِي جَلَالٍ ، خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَعَلَّامِ الْغُيُوبِ ؛ وَأَنَّهُ يَتَلَقَّى مِنْهُ الْخَبَرَ . .

اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ ذَاتُ النُّكْتَةِ :

سَنُشِيرُ إِلَى عِدَّةِ أَمْثِلَةٍ قَاطِعَةٍ وَمُتَوَاتِرَةٍ مَعْنًى ، مِنْ قِسْمِ الْمُعْجِزَاتِ النَّبَوِيَّةِ الْمَخْصُوصَةِ بِبَرَكَةِ الطَّعَامِ . .

وَمِنَ الْمُنَاسِبِ ذِكْرُ مُقَدِّمَةٍ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنْهَا . .

﴿اَلْمُقَدِّمَةُ :﴾ إِنَّ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةَ الْآتِيَةَ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْبَرَكَةِ ، قَدْ نُقِلَ كُلٌّ مِنْهَا بِصُورَةٍ صَحِيحَةٍ ، وَبِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ حَتَّى إِنَّ بَعْضاً مِنْهَا نُقِلَ بِسِتَّةَ عَشَرَ طَرِيقاً ؛ وَقَدْ وَقَعَ أَكْثَرُهَا فِي حُضُورِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ . وَإِنَّ أَفْرَاداً صَادِقِينَ وَمَقْبُولِينَ بَيْنَ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ بَحَثُوا عَنْ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ ؛ وَنَقَلُوهَا . فَمَثَلاً : إِنَّ أَحَداً يَرْوِي أَنَّ سَبْعِينَ رَجُلاً أَكَلُوا مِنْ صَاعٍ مِنَ الطَّعَامِ ؛

وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ ؛ فَشَبِعُوا مِنْهُ ؛ فَيَسْمَعُ أُولاَئِكَ الرِّجَالُ السَّبْعُونَ ، قَوْلَهُ ؛ وَلاَ يُكَذِّبُونَهُ . فَإِذاً إِنَّهُمْ يُصَدِّقُونَهُ بِالسُّكُوتِ ؛ مَعَ أَنَّ الْأَصْحَابَ أُولاَئِكَ الرِّجَالَ الْجَادِّينَ الصَّادِقِينَ ، مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ ، فِي ذٰلِكَ الْعَصْرِ الَّذِي كَانَ عَصْرَ الصِّدْقِ وَالْحَقِيقَةِ ؛ إِذَا رَأَوْا مِقْدَارَ ذَرَّةٍ مِنَ الْكَذِبِ ؛ يَرُدُّونَهُ وَيُكَذِّبُونَهُ ؛ مَعَ أَنَّ مَا سَنَبْحَثُ عَنْهُ مِنَ الْوَقَائِعِ ، رَوَاهُ الْأَكْثَرُونَ ؛ وَالْآخَرُونَ صَدَّقُوهُمْ بِالسُّكُوتِ . فَإِذاً إِنَّ كُلَّ حَادِثَةٍ ، قَطْعِيَّةٌ كَالْمُتَوَاتِرِ مَعْنًى . وَأَيْضاً أَنَّ التَّأْرِيخَ وَالسِّيَرَ تَشْهَدُ أَنَّ الصَّحَابَةَ اجْتَهَدُوا بِجَمِيعِ قُوَّتِهِمْ ، أَكْثَرَ مَا يَكُونُ ، بَعْدَ حِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْآيَاتِ ، اجْتَهَدُوا لِحِفْظِ أَفْعَالِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَأَقْوَالِهِ ، لاَسِيَّمَا أَحْوَالِهِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى الْأَحْكَامِ وَالْمُعْجِزَاتِ ؛ وَاعْتَنَوْا بِصِحَّتِهَا كَثِيراً ؛ وَلَمْ يُهْمِلُوا أَصْغَرَ حَرَكَةٍ وَسِيرَةٍ وَحَالٍ تَعُودُ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ . وَتَشْهَدُ الْكُتُبُ الْحَدِيثِيَّةُ أَنَّهُمْ ضَبَطُوهَا وَلَمْ يُهْمِلُوهَا . وَأَيْضاً أَنَّ الْكَثِيرِينَ قَيَّدُوا الْمُعْجِزَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْأَحْكَامِ ، بِالْكِتَابَةِ ؛ وَكَتَبُوهَا ، لاَسِيَّمَا الْعَبَادِلَةِ السَّبْعَةِ ، خُصُوصاً تُرْجُمَانَ الْقُرْآنِ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ؛ فَإِنَّهُمْ قَيَّدُوهَا بِالْكِتَابَةِ ، وَلاَسِيَّمَا آلاَفِ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ التَّابِعِينَ ، سَجَّلُوا الْأَحَادِيثَ وَالْمُعْجِزَاتِ بِالْكِتَابَةِ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ نَقَلَهَا الْمُجْتَهِدُونَ وَآلاَفُ الْمُحَدِّثِينَ الْمُحَقِّقِينَ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمُ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ الْمُجْتَهِدُونَ ؛ وَحَافَظُوا عَلَيْهَا بِالْكِتَابَةِ . وَبَعْدَ مِئَتَيْ سَنَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، حَمَلَتْ وَظِيفَةَ الْحِفْظِ عَلٰى عَاتِقِهَا ، الْكُتُبُ السِّتَّةُ الْمَقْبُولَةُ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَظَهَرَ آلاَفُ النَّقَّادَةِ الْمُتَشَدِّدِينَ ، مِثْلِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ ؛ فَمَيَّزُوا الْأَحَادِيثَ الْمَوْضُوعَةَ الَّتِي خَلَطَهَا بَعْضُ الْمُلْحِدِينَ أَوِ الْجَاهِلِينَ ، أَوْ مَنْ لاَ فِكْرَ أَوْ لاَ حِفْظَ لَهُمْ ؛ وَبَيَّنُوا تِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ ؛ ثُمَّ فَرَّقَ الْمُتَبَحِّرُونَ وَالْمُحَقِّقُونَ ، جَوَاهِرَ الْأَحَادِيثِ ، عَنْ سَائِرِ الْأَقْوَالِ وَالْمَوْضُوعَاتِ ، كَجَلاَلِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ الَّذِي تَمَثَّلَ لَهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ سَبْعِينَ مَرَّةً ؛ فَتَشَرَّفَ بِصُحْبَتِهِ ، فِي حَالِ الْيَقَظَةِ ، بِتَصْدِيقِ أَهْلِ الْكَشْفِ . .

فَمَا سَنَبْحَثُ عَنْهَا مِنَ الْحَادِثَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ ، وَصَلَتْ إِلَيْنَا هٰكَذَا ، يَداً مِنْ يَدٍ ، مِنْ

أَيْدٍ قَوِيَّةٍ أَمِينَةٍ وَمُتَعَدِّدَةٍ كَثِيرَةٍ ، بَلْ لا حَدَّ لَهَا . . اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا التَّحْقِيقِ ، لا بُدَّ أَنْ لا يَخْطُرَ بِالْبَالِ : أَنَّهُ كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّ هٰذِهِ الْحَادِثَاتِ الَّتِي قَدِمَتْ مِنْ مَسَافَةٍ مَدِيدَةٍ ، مِنْ هٰذَا الزَّمَانِ إِلٰى ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، لَمْ يَخْتَلِطْهَا شَيْءٌ ؛ وَأَنَّهَا صَافِيَةٌ إِلٰى هٰذَا الزَّمَانِ ؟ .

﴿ اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ : ﴾ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْقَاطِعَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْبَرَكَةِ : هُوَ أَنَّ الْكُتُبَ السِّتَّةَ الصَّحِيحَةَ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، تُخْبِرُ مُتَّفِقَةً : أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَالِدَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَلَتْ مُدّاً أَوْ مُدَّيْنِ مِنَ التَّمْرِ بِالسَّمْنِ ، فِي وَلِيمَةِ تَزَوُّجِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ بِزَيْنَبَ ؛ فَوَضَعَتْهُ فِي إِنَاءٍ ؛ وَبَعَثَتْهُ مَعَ أَنَسٍ إِلَى ﴿النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؛ فَقَالَ لِأَنَسٍ : نَادِ فُلاناً وَفُلاناً ؛ وَادْعُ مَنْ لَقِيتَهُ . فَدَعَا أَنَسٌ مَنْ صَادَفَهُ ؛ فَجَاءَ مِقْدَارُ ثَلاثِمِئَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ فَامْتَلَأَتِ الصُّفَّةُ وَحُجْرَةُ السَّعَادَةِ بِهِمْ ؛ فَقَالَ : «تَحَلَّقُوا عَشَرَةً عَشَرَةً» ؛ يَعْنِي : كُونُوا حَلَقَاتٍ عَشَرَةً فَعَشَرَةً ؛ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ ، عَلٰى ذٰلِكَ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ ؛ وَدَعَا الدُّعَاءَ ؛ فَقَالَ هَلُمُّوا . فَأَكَلَ أُولٰئِكَ الرِّجَالُ الثَّلاثُمِئَةِ جَمِيعاً ؛ فَشَبِعُوا وَقَامُوا ؛ فَقَالَ لِأَنَسٍ : ارْفَعْهُ ؛ فَقَالَ أَنَسٌ : لَمْ أَعْلَمْ هَلْ كَانَ الطَّعَامُ حِينَ وَضَعْتُ أَكْثَرَ ، أَوْ حِينَمَا رَفَعْتُ ؛ فَلَمْ أُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا . .

﴿ اَلْمِثَالُ الثَّانِي : ﴾ أَنَّ أَبَا أَيُّوبٍ الْأَنْصَارِيَّ مُضِيفَ النَّبِيِّ يَقُولُ فِي حِينِ الْقُدُومِ النَّبَوِيِّ إِلٰى بَيْتِهِ : إِنِّي صَنَعْتُ الطَّعَامَ ﴿لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، مَا يَكْفِي لِرَجُلَيْنِ ؛ فَقَالَ لَهُ : «اُدْعُ ثَلاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ» ؛ فَجَاؤُوا وَأَكَلُوا ؛ ثُمَّ قَالَ : «اُدْعُ سِتِّينَ» ؛ فَدَعَوْتُ سِتِّينَ آخَرِينَ ؛ فَجَاؤُوا وَأَكَلُوا . فَقَالَ : «اُدْعُ سَبْعِينَ» ؛ فَدَعَوْتُ سَبْعِينَ آخَرِينَ ؛ فَجَاؤُوا وَأَكَلُوا ؛ فَبَقِيَ الطَّعَامُ فِي الْأَوَانِي بَعْدُ . فَدَخَلَ الْقَادِمُونَ كُلُّهُمْ فِي الْإِسْلامِ ؛ وَبَايَعُوهُ أَمَامَ تِلْكَ الْمُعْجِزَةِ ؛ فَأَكَلَ مِئَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلاً ، مِنْ ذٰلِكَ الطَّعَامِ الَّذِي كَانَ يَكْفِي رَجُلَيْنِ . .

﴿ اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ : ﴾ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ ، وَسَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ ،

وَأَبَا عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُونَ بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ : إِنَّ الْجَيْشَ بَقُوا جِيَاعاً فِي غَزْوَةٍ ؛ فَرَاجَعُوا ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ؛ فَقَالَ : «اِجْمَعُوا مَا فِي حَقَائِبِكُمْ مِنْ بَقَايَا الْأَرْزَاقِ» ؛ فَأَتَى كُلُّ أَحَدٍ ، بِشَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ التَّمْرِ ؛ وَإِنَّ الَّذِي أَتَى بِالْأَكْثَرِ ، أَتَى بِأَرْبَعَةِ أَمْدَادٍ ؛ فَوَضَعُوهَا عَلَى بِسَاطٍ ؛ فَقَالَ سَلَمَةُ : أَظُنُّ أَنَّ مَجْمُوعَهَا كَانَ مِقْدَارَ مَاعِزٍ رَابِضٍ ؛ ثُمَّ دَعَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِالْبَرَكَةِ ؛ فَقَالَ : «فَلْيَأْتِ كُلُّ أَحَدٍ بِوِعَائِهِ» ؛ فَتَسَابَقُوا وَجَاؤُوا ؛ فَلَمْ يَبْقَ وِعَاءٌ قَطُّ ، بَيْنَ ذٰلِكَ الْجَيْشِ ، إِلَّا مَلَؤُوهُ كُلَّهُ وَزَادَتْ ؛ وَقَالَ رَاوٍ مِنَ الْأَصْحَابِ : لَقَدْ عَلِمْتُ مِنْ طَوْرِ تِلْكَ الْبَرَكَةِ ، أَنَّهُ لَوْ أَتَى أَهْلُ الْأَرْضِ ؛ لَكَفَتْهُمْ أَيْضاً . .

﴿اَلْمِثَالُ الرَّابِعُ :﴾ أَنَّ الْكُتُبَ الصَّحِيحَةَ ؛ وَعَلَى رَأْسِهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، تُبَيِّنُ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ يَقُولُ : كُنَّا فِي سَفَرٍ ، مِئَةً وَثَلَاثِينَ صَحَابِيّاً ، مَعَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَعُجِنَ لِلْخُبْزِ صَاعٌ ؛ وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ ؛ وَذُبِحَ مَعَزٌ أَيْضاً ؛ فَطُبِخَ وَجُعِلَ كَبِدُهُ وَكُلْيَتَاهُ فَقَطْ كَبَاباً . فَأُقْسِمُ أَنَّهُ قَطَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ صَحَابِيّاً ، جُزْءاً ؛ وَأَعْطَاهُمْ ؛ ثُمَّ جَعَلَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، اللَّحْمَ الْمَطْبُوخَ ، فِي قَصْعَتَيْنِ ؛ فَأَكَلْنَا إِلَى أَنْ شَبِعْنَا ؛ وَزَادَ ؛ فَحَمَلْتُ مَا زَادَ عَلَى الْبَعِيرِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْخَامِسُ :﴾ أَنَّ الْكُتُبَ الصَّحِيحَةَ تُبَيِّنُ بِقَطْعٍ : أَنَّ جَابِراً الْأَنْصَارِيَّ يُعْلِنُ بِالْقَسَمِ : أَنَّ أَلْفَ رَجُلٍ أَكَلُوا فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ الْغَرَّاءِ ، يَوْمَ الْخَنْدَقِ الْمَشْهُورِ ، مِنْ صَاعٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ ، وَمِنْ لَحْمِ عَنَاقٍ طَعِنَتْ سَنَةً ؛ وَبَقِيَ كَمَا كَانَ . يَقُولُ الْجَابِرُ : إِنَّ الطَّعَامَ طُبِخَ ذٰلِكَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِي ؛ فَأَكَلَ أَلْفُ رَجُلٍ كُلُّهُمْ ، مِنْ ذٰلِكَ الصَّاعِ وَالْعَنَاقِ ؛ وَذَهَبُوا ؛ وَكَانَ قِدْرُنَا يَغْلِي مَالِئاً ؛ وَعَجِينُنَا يُخْبَزُ بَعْدُ . فَكَانَ (ﷺ) جَعَلَ مَاءَ فَمِهِ الْمُبَارَكَ ، فِي ذٰلِكَ الْعَجِينِ وَالْقِدْرِ ؛ وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ . فَمُعْجِزَةُ الْبَرَكَةِ هٰذِهِ يُعْلِنُهَا جَابِرٌ بِالْقَسَمِ ، فِي حُضُورِ أَلْفِ رَجُلٍ ؛ وَيُظْهِرُ أَنَّهُمْ ذَوُو صِلَةٍ بِهَا . فَإِذاً يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ هٰذِهِ الْحَادِثَةَ قَطْعِيَّةٌ كَأَنَّهَا رَوَاهَا أَلْفُ رَجُلٍ . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّادِسُ :﴾ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ الْمَشْهُورَ عَمَّ أَنَسٍ خَادِمِ ﴿النَّبِيِّ ﷺ﴾ ؛

يَقُولُ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَاطِعِ : إِنَّهُ أَطْعَمَ سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ رَجُلاً ، مِمَّا أَتَى بِهِ أَنَسٌ تَحْتَ إِبْطِهِ ، مِنْ قَلِيلِ خُبْزِ الشَّعِيرِ ؛ حَتَّى شَبِعُوا ؛ فَأَمَرَهُمْ أَنِ اجْعَلُوا تِلْكَ الْأَرْغِفَةَ الْقَلِيلَةَ قِطَعاً ؛ وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ ؛ وَكَانَ الْبَيْتُ ضَيِّقاً ؛ فَلِذٰلِكَ جَاؤُوا عَشَرَةً عَشَرَةً ؛ فَأَكَلُوا وَذَهَبُوا شِبَاعاً . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّابِعُ :﴾ أَنَّ الْكُتُبَ الصِّحَاحَ ، كَصَحِيحِ مُسْلِمٍ ، وَالشِّفَاءِ الشَّرِيفِ ، تُبَيِّنُ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَاطِعِ : أَنَّ جَابِراً الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ : طَلَبَ رَجُلٌ مِنَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ، الطَّعَامَ لِعِيَالِهِ ؛ فَأَعْطَاهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ نِصْفَ وِقْرٍ مِنَ الشَّعِيرِ ؛ فَأَكَلَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ مَعَ عِيَالِهِ وَضُيُوفِهِ مِنْ ذٰلِكَ الشَّعِيرِ ، أَزْمِنَةً كَثِيرَةً ؛ فَيَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَنْفَدُ ؛ فَكَالُوهُ لِيَعْرِفُوا نَقْصَهُ ؛ ثُمَّ زَالَتِ الْبَرَكَةُ ؛ وَبَدَأَ يَنْقُصُ ؛ فَأَتَى ذٰلِكَ الرَّجُلُ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ؛ وَبَيَّنَ لَهُ مَا وَقَعَ ؛ فَأَجَابَهُ بِقَوْلِهِ : «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ ؛ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ ؛ وَلَقَامَ بِكُمْ» ، يَعْنِي : لَوْ لَمْ تَخْتَبِرْهُ بِالْكَيْلِ ؛ لَكَفَاكُمْ طُولَ حَيَاتِكُمْ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّامِنُ :﴾ أَنَّ الْكُتُبَ الصَّحِيحَةَ ، كَصَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَالْبَيْهَقِيِّ ، وَالشِّفَاءِ الشَّرِيفِ ، تُبَيِّنُ أَنَّ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ يَقُولُ : أُتِيَ بِقَصْعَةِ لَحْمٍ ؛ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ؛ فَجَاءَ النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً ؛ وَأَكَلُوا مِنْهُ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ . .

فَبِنَاءً عَلَى السِّرِّ الَّذِي بَيَّنَّاهُ فِي الْمُقَدِّمَةِ ، لَيْسَتْ حَادِثَةُ الْبَرَكَةِ هٰذِهِ ، رِوَايَةَ سَمُرَةَ فَقَطْ ؛ بَلْ يُعْلِنُهَا سَمُرَةُ كَمُمَثِّلِ الْجَمَاعَاتِ الَّتِي أَكَلَتْ مِنْ ذٰلِكَ الطَّعَامِ ؛ يُعْلِنُهَا بِاسْمِهِمْ وَبِنَاءً عَلَى تَصْدِيقِهِمْ . .

﴿اَلْمِثَالُ التَّاسِعُ :﴾ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ بِرِوَايَةِ ثِقَاتِ الْمُحَقِّقِينَ الْمُسْتَقِيمِينَ ، كَصَاحِبِ الشِّفَاءِ الشَّرِيفِ ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، وَالطَّبَرَانِيِّ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام﴾ أَمَرَنِي : «أَنِ ادْعُ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا صُفَّةَ الْمَسْجِدِ الشَّرِيفِ مَسْكَناً ؛ وَكَانُوا أَزْيَدَ مِنْ مِئَةٍ» فَطَلَبْتُهُمْ وَجَمَعْتُهُمْ ؛ فَوُضِعَ لِجَمِيعِنَا صَحْنٌ مِنَ الطَّعَامِ ؛ فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا ؛ وَقُمْنَا ؛ فَبَقِيَتْ تِلْكَ الْقَصْعَةُ مَمْلُوءَةً كَمَا كَانَتْ حِينَ وَضْعِهَا ؛ فَكَانَ يُرَى فِي الطَّعَامِ أَثَرُ الْأَصَابِعِ فَقَطْ . فَأَبُو هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ عَنْ ذٰلِكَ مُسْتَنِداً إِلَى تَصْدِيقِ جَمِيعِ أَهْلِ

الصُّفَّةِ الْكَامِلِينَ ؛ وَيَذْكُرُهُ بِاسْمِهِمْ . فَإذاً يَكُونُ هٰذَا الْخبَرُ ، قَطْعِيّاً كَأَنَّهُ رَوَاهُ جَمِيعُ أَهْلِ الصُّفَّةِ مَعْنًى . وَأَيْضاً هَلْ يُمْكِنُ أَنْ لا يَكُونَ ذٰلِكَ الْخبَرُ حَقّاً وَصَوَاباً ؛ فَيَسْكُتَ أُولَائِكَ الْكَامِلُونَ الصَّادِقُونَ ؛ وَلا يُكَذِّبُوهُ ؟..

﴿اَلْمِثَالُ الْعَاشِرُ :﴾ يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَاطِعِ : إنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام﴾ جَمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلاً ؛ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَأْكُلُ بِنْتَ مَخَاضٍ ؛ وَيَشْرَبُ أَرْبَعَ أَوَاقٍ مِنَ اللَّبَنِ ؛ مَعَ أَنَّهُ (ﷺ) صَنَعَ لِجَمِيعِهِمْ مِقْدَارَ مُدٍّ مِنَ الطَّعَامِ ؛ فَأَكَلَ الْكُلُّ وَشَبِعُوا ؛ فَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا كَانَ ؛ ثُمَّ أَتَى بِلَبَنٍ فِي إنَاءٍ مِنْ خَشَبٍ يَكْفِي لِثَلَاثَةِ رِجَالٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ فَقَطْ ؛ فَشَرِبُوا مِنْهُ ؛ وَرَوُوا جَمِيعاً ؛ فَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهُ . فَهَاكَ مُعْجِزَةَ بَرَكَةٍ فِي قَطْعِيَّةِ شَجَاعَةِ عَلِيٍّ وَصَدَاقَتِهِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْحَادِيَ عَشَرَ :﴾ رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام﴾ أَمَرَ بِلالاً الْحَبَشِيَّ ، فِي وَلِيمَةِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ؛ أَنْ يُخْبَزَ أَرْبَعَةَ أَمْدَادٍ أَوْ خَمْسَةٌ مِنَ الدَّقِيقِ ؛ وَيُنْحَرَ ابْنُ مَخَاضٍ . فَيَقُولُ بِلالٌ : أَتَيْتُ بِالطَّعَامِ ؛ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ ثُمَّ جَاءَ الْأَصْحَابُ فَوْجاً فَوْجاً ؛ فَأَكَلُوا وَذَهَبُوا ؛ ثُمَّ دَعَا بِالْبَرَكَةِ أَيْضاً ، لِمَا بَقِيَ مِنْ ذٰلِكَ الطَّعَامِ ؛ فَبَعَثَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ أَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ جَمِيعاً ، قَصْعَةً ؛ فَأَمَرَ أَنْ يَأْكُلْنَ وَيُطْعِمْنَ مَنْ جَاءَتْ إلَيْهِنَّ . نَعَمْ : لا بُدَّ فِي مِثْلِ هٰذَا الازْدِوَاجِ ، مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ الْبَرَكَةِ . وَإنَّ وُقُوعَهُ قَطْعِيٌّ بِلا شَكٍّ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِيَ عَشَرَ :﴾ أَنَّ الْإمَامَ جَعْفَراً الصَّادِقَ ، يَنْقُلُ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ؛ وَهُوَ عَنْ أَبِيهِ الْإمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ؛ وَهُوَ عَنِ الْإمَامِ عَلِيٍّ : أَنَّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ طَبَخَتْ طَعَاماً يَكْفِيهِمَا فَقَطْ ؛ ثُمَّ أَرْسَلَتْ عَلِيّاً لِيَأْتِيَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ فَيَأْكُلُوا مَعاً ؛ فَقَدِمَ ؛ وَأَمَرَ أَنْ تُبْعَثَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ أَزْوَاجِهِ ، قَصْعَةٌ مِنْ ذٰلِكَ الطَّعَامِ ؛ فَبُعِثَتْ ؛ ثُمَّ قُسِمَ لَهُ وَلِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَأَوْلادِهِمَا ، لِكُلٍّ مِنْهُمْ قَصْعَةٌ . تَقُولُ فَاطِمَةُ : فَرَفَعْنَا قِدْرَنَا بَعْدَ ذٰلِكَ ؛ وَقَدْ كَانَ مَمْلُوءاً يَفِيضُ ؛ فَأَكَلْنَا مِنْ ذٰلِكَ الطَّعَامِ ، فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ، بِمَشِيئَةِ

اللهِ تَعالٰى . .

فَيا عَجباً ! لِمَاذا لا تَعْتَقِدُ مُعْجِزَةَ الْبَرَكَةِ هٰذِهِ الْوَارِدَةَ عَنْ رِوايَةِ تِلْكَ السِّلْسِلَةِ الْعَالِيَةِ النَّيِّرَةِ ؛ كَأَنَّكَ رَأَيْتَها بِعَيْنِكَ ؟. نَعَمْ : إِنَّ الشَّيْطانَ أَيْضاً لا يَجِدُ اعْتِراضاً ضِدَّ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّالِثَ عَشَرَ :﴾ أَنَّ الْأَئِمَّةَ الصُّدُقَ ، كَأَبِي دَاوُدَ ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَالْبَيْهَقِيِّ ، يَنْقُلُونَ عَنْ دُكَيْنٍ الْأَحْمَسِيِّ ابْنِ سَعِيدٍ الْمُزَنِيِّ ، وَعَنْ نُعْمَانَ بْنِ مُقَرِّنٍ الْأَحْمَسِيِّ الْمُزَنِيِّ ؛ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ وَتَشَرَّفَ بِالصُّحْبَةِ ، مَعَ سِتَّةٍ مِنْ إِخْوَتِهِ ؛ وَيَنْقُلُونَ عَنْ جَرِيرٍ أَيْضاً ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ أَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، أَنْ يُعْطِيَ أَرْبَعَمِئَةِ فَارِسٍ مِنْ وَفْدِ قَبِيلَةِ الْأَحْمَسِيِّ ، الزَّادَ وَالذَّخِيرَةَ لِلسَّفَرِ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ مَا يُوجَدُ مِنَ الذَّخِيرَةِ ، عِدَّةُ صِيعَانٍ ؛ وَإِنَّ أَكِمَّتَهَا مِقْدَارُ بِنْتِ مَخَاضٍ بَارِكَةٍ ؛ فَقَالَ : اذْهَبْ وَأَعْطِهِمْ ؛ فَذَهَبَ وَأَعْطٰى مِنْ نِصْفِ وِقْرٍ مِنَ التَّمْرِ ، أَرْبَعَمِئَةِ رَاكِبٍ ، الزَّادَ وَالذَّخِيرَةَ ، فِي دَرَجَةِ الْكِفَايَةِ ؛ وَقَالَ : إِنَّهُ بَقِيَ عَلٰى حَالِهِ السَّابِقِ ؛ كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ قَطُّ . .

فَمُعْجِزَةُ الْبَرَكَةِ هٰذِهِ ، وَقَعَتْ بِمُنَاسَبَةِ أَرْبَعِمِئَةِ رَجُلٍ ، لَاسِيَّمَا عُمَرَ (رضي الله عنه) . فَهٰؤُلَاءِ وَرَاءَ الرُّوَاةِ ؛ وَسُكُوتُهُمْ تَصْدِيقٌ لَهَا . وَلَا تَقُلْ إِنَّهُ خَبَرُ الْوَاحِدِ ؛ فَتَمْضِي ؛ فَإِنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الْحَادِثَاتِ ؛ وَإِنْ كَانَتْ خَبَرَ الْوَاحِدِ ؛ فَإِنَّهَا تُورِثُ قَنَاعَةً فِي حُكْمِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ . .

﴿اَلْمِثَالُ الرَّابِعَ عَشَرَ :﴾ تُخْبِرُ الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ : أَنَّهُ تُوُفِّيَ وَالِدُ الْجَابِرِ ؛ وَهُوَ مَدْيُونٌ ؛ وَعَلَيْهِ دُيُونٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَأَصْحَابُ الدُّيُونِ الْيَهُودُ ؛ فَدَفَعَ الْجَابِرُ أَصْلَ مَالِ أَبِيهِ لِلْغُرَمَاءِ ؛ فَلَمْ يَقْبَلُوهُ ؛ مَعَ أَنَّ مَا فِي حَدِيقَتِهِ مِنَ الثِّمَارِ ، لَنْ تَكْفِيَ دُيُونَهُ ، عِدَّةَ سِنِينَ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿اِقْتَطِفُوا ثِمَارَهَا ؛ وَاجْعَلُوهَا بَيْدَراً﴾ ؛ فَفَعَلُوا كَذٰلِكَ ؛ فَمَشَى ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، فِي الْبَيْدَرِ ؛ وَدَعَا . ثُمَّ دَفَعَ الْجَابِرُ مِنَ الْبَيْدَرِ ، دُيُونَ جَمِيعِ غُرَمَاءِ أَبِيهِ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ بَقِيَ فِي الْبَيْدَرِ ، مِقْدَارُ مَا

يَحْصُلُ مِنَ الْحَدِيقَةِ فِي سَنَةٍ . وَفِي رِوَايَةٍ بَقِيَ بِقَدَرِ مَا أَعْطَى الْغُرَمَاءَ كُلَّهُمْ . فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ أَصْحَابُ الدُّيُونِ كَثِيراً ؛ وَبَقُوا فِي الْحَيْرَةِ . .

فَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْبَاهِرَةُ ، مِنْ مُعْجِزَاتِ الْبَرَكَةِ ، لَيْسَتْ خَبَرَ عِدَّةِ رُوَاةٍ مِثْلِ الْجَابِرِ ؛ بَلْ إِنَّهُمْ مَثَّلُوا رِجَالاً كَثِيراً فِي دَرَجَةِ حَدِّ التَّوَاتُرِ ؛ كَانَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ مَعَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ ؛ فَرَوَوْهَا فِي حُكْمِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْخَامِسَ عَشَرَ :﴾ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ ، وَعَلٰى رَأْسِهِمْ أَمْثَالُ التِّرْمِذِيِّ ، وَالْإِمَامِ الْبَيْهَقِيِّ ، يُخْبِرُونَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّهُ قَالَ : بَقِيَ الْجَيْشُ جِيَاعاً فِي غَزْوَةٍ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرٰى : فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ؛ فَقَالَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : ﴿هَلْ مِنْ شَيْءٍ ؟﴾ فَقُلْتُ : إِنَّ فِي الْوِعَاءِ مِقْدَاراً مِنَ التَّمْرِ ؛ وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهَا كَانَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ تَمْرَةً ؛ فَقَالَ : ائْتِ بِهَا ؛ فَأَتَيْتُ بِهَا ؛ فَأَدْخَلَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ فِيهَا ؛ وَأَخْرَجَ قَبْضَةً مِنْهَا ؛ وَجَعَلَهَا فِي إِنَاءٍ ؛ وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ ؛ ثُمَّ دَعَا الْجُنُودَ عَشَرَةً عَشَرَةً ؛ فَأَكَلُوا جَمِيعاً ؛ ثُمَّ قَالَ : ﴿خُذْ مَا جِئْتَ بِهِ ؛ وَاقْبِضْ عَلَيْهِ ؛ وَلَا تَكُبَّهُ﴾ ؛ فَأَخَذْتُهُ ؛ وَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي ذٰلِكَ الْوِعَاءِ ؛ فَوَقَعَ فِي يَدِي مِقْدَارُ مَا جِئْتُ بِهِ أَوَّلاً ؛ ثُمَّ أَكَلْتُ مِنْ تِلْكَ التُّمُورِ ، فِي حَيَاةِ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَفِي حَيَاةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ . وَرُوِيَ فِي طَرِيقٍ آخَرَ : أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي صَرَفْتُ عِدَّةَ أَوْسُقٍ ، فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ تِلْكَ التُّمُورِ ؛ ثُمَّ نُهِبَتْ مَعَ وِعَائِهَا ؛ وَسُلِبَتْ فِي زَمَنِ قَتْلِ عُثْمَانَ ؛ فَضَاعَتْ . .

فَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْبَاهِرَةُ ، مِنْ مُعْجِزَاتِ الْبَرَكَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْ وُقُوعِهَا ، فِي مَجْمَعٍ مِنَ النَّاسِ ، مِثْلِ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، أَبُو هُرَيْرَةَ الَّذِي نَالَ الدُّعَاءَ النَّبَوِيَّ ، لِزِيَادَةِ قُوَّةِ حَافِظَتِهِ ؛ وَكَانَ مُرِيداً وَتِلْمِيذاً مُهِمّاً مِنْ أَرْكَانِ الصُّفَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَكِيَّةَ شَيْخِ الْكَائِنَاتِ (وَفَخْرِ الْعَالَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَمَدْرَسَتَهُ الْقُدْسِيَّةَ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ ، قَاطِعَةً وَقَوِيَّةً مَعْنًى ، بِقَدَرِ إِخْبَارِ جَيْشٍ . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّادِسَ عَشَرَ :﴾ أَنَّ الْكُتُبَ الصَّحِيحَةَ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ؛

تُبَيِّنُ بِالنَّقْلِ الْقَاطِعِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ جَاعَ ؛ فَذَهَبَ مِنْ وَرَاءِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَذَهَبَا إِلَى مَنْزِلِ السَّعَادَةِ ؛ فَرَأَيَا أَنَّ قَدَحاً مِنَ اللَّبَنِ أُتِيَ بِهِ هَدِيَّةً ؛ فَأَمَرَنِي ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَقَالَ: اُدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ ؛ فَقُلْتُ مِنْ قَلْبِي: إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَشْرَبَ هٰذَا اللَّبَنَ كُلَّهُ ؛ وَأَنَا أَكْثَرُ احْتِيَاجاً إِلَيْهِ ؛ وَلٰكِنْ جَمَعْتُهُمْ لِلْأَمْرِ النَّبَوِيِّ ؛ وَأَتَيْتُ بِهِمْ ؛ وَكَانُوا يَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْمِئَةِ ؛ فَأَمَرَنِي قَائِلاً: اِسْقِهِمْ. فَأَعْطَيْتُهُمْ فَرْداً فَرْداً ، ذٰلِكَ اللَّبَنَ الَّذِي كَانَ فِي الْقَدَحِ ؛ فَيَشْرَبُ كُلٌّ مِنْهُمْ حَتّٰى يَرْوِيَ ؛ فَأُعْطِيهِ الْآخَرَ. وَهٰكَذَا شَرِبَ جَمِيعُ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَاحِداً فَوَاحِداً ، مِنْ ذٰلِكَ اللَّبَنِ الصَّافِي. ثُمَّ قَالَ: «بَقِيَ أَنَا وَأَنْتَ ؛ فَاشْرَبْ» ؛ فَشَرِبْتُ. وَمَهْمَا أَشْرَبْ ؛ يَقُلْ: اِشْرَبْ ؛ إِلَى أَنْ قُلْتُ: أُقْسِمُ بِالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَمْ يَبْقَ مَكَانٌ لِلشُّرْبِ ؛ حَتّٰى أَشْرَبَ ؛ ثُمَّ أَخَذَهُ هُوَ نَفْسُهُ ؛ فَسَمّٰى وَحَمِدَ اللهَ ؛ فَشَرِبَ بَقِيَّتَهُ ؛ هَنِيئاً مِئَةَ أَلْفِ هَنَاءٍ..

فَنَقْلُهُمْ لِهٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي لَا شُبْهَةَ فِيهَا ، اللَّطِيفَةِ كَهٰذَا اللَّبَنِ الصَّافِي الْخَالِصِ ، بِالْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمْ حَضْرَةُ الْبُخَارِيِّ الَّذِي حَفِظَ خَمْسَمِئَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ ، قَاطِعٌ بِقَدَرِ الرُّؤْيَةِ بِالْعَيْنِ ؛ مَعَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ الَّذِي كَانَ تِلْمِيذاً حَافِظاً صَادِقاً مَشْهُوراً ، مِنْ تَلَامِيذِ الصُّفَّةِ الَّتِي هِيَ الْمَدْرَسَةُ الْقُدْسِيَّةُ الْأَحْمَدِيَّةُ ، أَشْهَدَ عَلَيْهَا جَمِيعَ أَهْلِ الصُّفَّةِ مَعْنًى ؛ وَكَأَنَّهُ مَثَّلَهُمْ جَمِيعاً. فَمَنْ لَمْ يَتَلَقَّ هٰذَا الْإِخْبَارَ ، قَاطِعاً فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ ؛ فَهُوَ إِمَّا فَاسِدُ الْقَلْبِ ، أَوْ لَا عَقْلَ لَهُ..

فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِنَّ مِثْلَ أَبِي هُرَيْرَةَ الصَّادِقِ الَّذِي وَقَفَ جَمِيعَ حَيَاتِهِ عَلَى الْحَدِيثِ وَالدِّينِ ؛ وَسَمِعَ وَنَقَلَ حَدِيثَ ﴿وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُوقِعَ فِي الشُّبْهَةِ ، قِيمَةَ وَصِحَّةَ مَا فِي حِفْظِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ؛ وَيَذْكُرُ كَلَاماً مُخَالِفاً ، أَوْ حَادِثاً لَا أَصْلَ لَهُ ؛ يَجْعَلُهُ هَدَفاً لِتَكْذِيبِ أَهْلِ الصُّفَّةِ ! حَاشَاهُ..

يَا رَبِّ ! بِحُرْمَةِ بَرَكَةِ هٰذَا ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، أَحْسِنْ بِالْبَرَكَةِ فِيمَا أَحْسَنْتَ إِلَيْنَا ، مِنْ رِزْقِنَا الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ..

نُكْتَةٌ مُهِمَّةٌ :

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الضَّعِيفَةَ كُلَّمَا اجْتَمَعَتْ تَقَوَّتْ ؛ فَإِذَا لُوِيَتِ الْخُيُوطُ الدَّقِيقَةُ ؛ تَصِيرُ حَبْلاً قَوِيّاً ؛ وَإِذَا فُتِلَتِ الْحِبَالُ ؛ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْطَعَهَا . . فَقَدْ بَيَّنَّا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ نَوْعاً مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ، قِسْمَ مُعْجِزَاتِ الْبَرَكَةِ فَقَطْ ؛ وَبَيَّنَّا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ قِسْماً مِنْ ذٰلِكَ الْقِسْمِ ، قِسْماً وَاحِداً فَقَطْ ، بِخَمْسَةَ عَشَرَ مِثَالاً ؛ وَقَدْ كَانَ كُلُّ مِثَالٍ قَوِيّاً بِحَيْثُ يُثْبِتُ النُّبُوَّةَ ، عَلَى حِدَتِهِ . وَلَوْ حَسِبْنَا بِفَرْضِ الْمُحَالِ ، بَعْضَ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ ، غَيْرَ قَوِيٍّ ؛ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ : إِنَّهُ غَيْرُ قَوِيٍّ ؛ لِأَنَّ مَا اتَّفَقَ مَعَ الْقَوِيِّ يَتَقَوّٰى . . وَأَيْضاً أَنَّ اجْتِمَاعَ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ ، يُظْهِرُ مُعْجِزَةً قَوِيَّةً كُبْرٰى ، بِتَوَاتُرٍ مَعْنَوِيٍّ قَاطِعٍ بِلَا شُبْهَةٍ . فَالْآنَ إِذَا مُزِجَ مَا فِي هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ ، مِنَ الْمُعْجِزَةِ الْكُبْرٰى ، مِنْ مُعْجِزَاتِ الْبَرَكَةِ ، بِالْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنْهَا الَّتِي لَمْ تُذْكَرْ هُنَا ، يَتَرَاءٰى فِيهَا أَكْبَرُ مُعْجِزَةٍ لَا يُمْكِنُ انْفِصَامُهَا ؛ وَذٰلِكَ كَمَا يُفَتَّلُ الْحِبَالُ الْقَوِيَّةُ . ثُمَّ أَلْحِقْ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ الْكُبْرٰى ، بِمَجْمُوعِ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ؛ فَأَبْصِرْ أَنَّهَا تُظْهِرُ أَيَّ بُرْهَانٍ قَوِيٍّ مَتِينٍ قَاطِعٍ ، مِنْ بَرَاهِينِ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ . .

فَعَمُودُ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، عَمُودٌ قَوِيٌّ كَالْجَبَلِ ؛ يَتَشَكَّلُ عَنْ هٰذَا الْمَجْمُوعِ . . فَالْآنَ فَهِمْتَ مَدٰى سَخَافَةِ مَنْ يَرٰى ذٰلِكَ السَّقْفَ الْمَتِينَ الْعَالِيَ ، غَيْرَ ثَابِتٍ ، وَقَابِلاً لِلسُّقُوطِ ؛ وَذٰلِكَ بِشُبَهٍ تَرِدُ عَنْ سُوءِ الْفَهْمِ فِي الْجُزْئِيَّاتِ وَالْأَمْثِلَةِ . نَعَمْ : إِنَّ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْبَرَكَةِ ، تُثْبِتُ أَنَّ ﴿مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ ﷺ﴾ مَأْمُورٌ مَحْبُوبٌ ، وَعَبْدٌ مُحْتَرَمٌ جِدّاً ، لِرَبٍّ رَحِيمٍ وَكَرِيمٍ يَرْزُقُ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَيَخْلُقُ الْأَرْزَاقَ ؛ فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ بِضِيَافَاتٍ مِنَ الْعَدَمِ ، وَمِنْ مَحْضِ الْغَيْبِ ، فِي أَنْوَاعِ الرِّزْقِ ، خِلَافاً لِلْعَادَةِ ؛ فَإِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ مَكَانٌ قَلِيلُ الْمَاءِ وَالزِّرَاعَةِ ؛ فَكَانَ أَهَالِيهَا لَاسِيَّمَا الصَّحَابَةُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ ، مَعْرُوضِينَ لِضِيقِ الْمَعِيشَةِ ؛ وَكَثِيراً مَا كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِلْعَطَشِ . فَبِنَاءً عَلَى هٰذِهِ الْحِكْمَةِ تَظَاهَرَ أَهَمُّ

الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، فِي الطَّعَامِ وَالْمَاءِ عَلَى الْخُصُوصِ . فَهٰذِهِ الْخَوَارِقُ ، بِمَثَابَةِ إِكْرَامٍ إِلٰهِيٍّ ، وَإِحْسَانٍ رَبَّانِيٍّ ، وَقِرًى رَحْمَانِيٍّ ، مَبْنِيٍّ عَلَى الِاحْتِيَاجِ ، أَزْيَدَ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُعْجِزَةً وَدَلِيلاً لِدَعْوَى النُّبُوَّةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ رَأَوْا هٰذِهِ الْمُعْجِزَاتِ ؛ صَدَّقُوا نُبُوَّتَهُ ؛ وَلٰكِنْ كُلَّمَا ظَهَرَتِ الْمُعْجِزَاتُ ؛ يَزْدَادُ الْإِيمَانُ ؛ وَيَكُونُ نُوراً عَلَى نُورٍ . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّامِنَةُ :

تُبَيِّنُ قِسْماً مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْمَاءِ عَلَى الْخُصُوصِ . .

﴿ مُقَدِّمَةٌ : ﴾ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْحَوَادِثَ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ جَمَاعَاتٍ ، إِذَا نُقِلَتْ بِصُورَةٍ آحَادِيَّةٍ ؛ وَلَمْ تُكَذَّبْ ، تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهَا ؛ لِأَنَّ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ ، مَيْلاً جِبِلِّيّاً ، أَنْ يَقُولَ لِلْكَذِبِ : إِنَّهُ كَذِبٌ ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَتِ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ لَا يَسْكُتُونَ ضِدَّ الْكَذِبِ ، أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَتِ الْحَوَادِثُ ، تَتَعَلَّقُ ﴿بِالرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ، وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ النَّاقِلُونَ ، مِنْ مَشَاهِيرِ الصَّحَابَةِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ صَاحِبَ ذٰلِكَ الْخَبَرِ الْوَاحِدِ ، يَرْوِي تِلْكَ الْحَادِثَةَ ؛ كَأَنَّهُ يُمَثِّلُ الْجَمَاعَةَ الَّتِي شَهِدَتْهَا . هٰذَا ، عَلَى أَنَّ كُلَّ مِثَالٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْمَائِيَّةِ الَّتِي سَنَبْحَثُ عَنْهَا ، تَنَاوَلَتْهُ آلَافٌ مِنْ مُحَقِّقِي التَّابِعِينَ ؛ وَأَخَذُوهُ عَنْ أَيْدِي الْكَثِيرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ وَسَلَّمُوهُ سَالِماً ، إِلَى أَيْدِي مُجْتَهِدِي الْعَصْرِ الثَّانِي ؛ وَهُمْ تَنَاوَلُوهُ وَقَبِلُوهُ بِكَمَالِ الْجِدِّ وَالِاحْتِرَامِ ؛ فَسَلَّمُوهُ إِلَى أَيْدِي مُحَقِّقِي الْعَصْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ . فَكُلُّ طَبَقَةٍ ، مَضَتْ مِنْ آلَافِ أَيْدٍ قَوِيَّةٍ ؛ فَأَتَتْ إِلَى أَنْ جَاءَتْ إِلَى عَصْرِنَا . وَأَيْضاً أَنَّ مَا كُتِبَ فِي عَصْرِ السَّعَادَةِ ، مِنْ كُتُبِ الْأَحَادِيثِ ، انْتَقَلَتْ سَالِمَةً ، إِلَى أَنْ مَضَتْ إِلَى أَيْدِي دُهَاةِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ ، كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ؛ وَهُمْ فَرَّقُوا بَيْنَ مَرَاتِبِ الْأَحَادِيثِ ، بِكَمَالِ التَّحْقِيقِ ؛ وَجَمَعُوا مَا لَا شُبْهَةَ فِي صِحَّتِهَا ؛ فَدَرَّسُونَا وَقَدَّمُوهَا إِلَيْنَا ؛ جَزَاهُمُ اللّٰهُ خَيْراً كَثِيراً . .

فَجَرْيُ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾، الْمُبَارَكَةِ، وَسَقْيُهُ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، مُتَوَاتِرٌ. فَقَدْ نَقَلَهُ جَمَاعَةٌ يَسْتَحِيلُ اتِّفَاقُهَا عَلَى الْكَذِبِ. وَإِنَّ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ قَطْعِيَّةٌ غَايَةَ الْقَطْعِ؛ وَقَدْ تَكَرَّرَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فِي ثَلَاثَةِ مَجَامِعَ عَظِيمَةٍ. وَقَدْ بَيَّنَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَاطِعِ، نَبْعُ الْمَاءِ بِكَثْرَةٍ عَنْ أَصَابِعِهِ، وَسَقْيُهُ لِلْجَيْشِ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ مَشَاهِيرِ الصَّحَابَةِ، كَابْنِ مَسْعُودٍ وَالْجَابِرِ؛ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ أَنَسٌ الْخَادِمُ النَّبَوِيُّ؛ وَنَقَلَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الصِّحَّةِ، مِثْلُ الْإِمَامِ قَتَادَةَ، وَالْإِمَامِ شُعَيْبٍ، وَالْإِمَامِ مَالِكٍ؛ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَنَحْنُ نُبَيِّنُ تِسْعَةَ أَمْثِلَةٍ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْمُعْجِزَةِ الْمَائِيَّةِ، مِنْ أَمْثِلَتِهِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً..

﴿اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ:﴾ تَرْوِي الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ؛ وَعَلَىٰ رَأْسِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ؛ يَقُولُ: كُنَّا مِقْدَارَ ثَلَاثِمِئَةِ رَجُلٍ، مَعَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ فِي مَكَانٍ يُسَمَّى بِالزَّوْرَاءِ؛ فَأَمَرَ بِالتَّوَضُّؤِ لِصَلَاةِ الْعَصْرِ؛ وَلَمْ يُوجَدِ الْمَاءُ؛ فَأَمَرَ بِمِقْدَارٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ؛ فَأَتَيْنَا بِهِ؛ فَغَمَسَ فِيهِ يَدَيْهِ الْمُبَارَكَتَيْنِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَسِيلُ مِنْ أَصَابِعِهِ، كَالْعَيْنِ؛ ثُمَّ جَاءَ جَمِيعُ مَنْ كَانُوا مَعَهُ مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ رَجُلٍ؛ فَتَوَضَّؤُوا وَشَرِبُوا مِنْهُ. فَهٰذَا الْمِثَالُ يُخْبِرُ عَنْهُ أَنَسٌ مُمَثِّلاً لِثَلَاثِمِئَةِ رَجُلٍ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ لَا يَشْتَرِكَ أُولَائِكَ الثَّلَاثُمِئَةِ، فِي هٰذَا الْخَبَرِ مَعْنًى؛ وَأَنْ لَا يُكَذِّبُوهُ حِينَمَا لَا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ..

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِي:﴾ تُخْبِرُ الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ: أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ يُبَيِّنُ قَائِلاً: عَطِشْنَا نَحْنُ الْأَلْفَ وَالثَّلَاثَمِئَةِ رَجُلٍ، فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ؛ فَتَوَضَّأَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ عَنْ إِنَاءٍ مِنْ جِلْدٍ يُقَالُ لَهُ الْقِرْبَةُ؛ ثُمَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهِ؛ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ أَصَابِعِهِ، كَالْعَيْنِ؛ فَشَرِبَ مِنْ تِلْكَ الْقِرْبَةِ، أَلْفٌ وَخَمْسُمِئَةِ رَجُلٍ؛ وَمَلَؤُوا أَوَانِيَهُمْ مِنْهَا. فَسَأَلَ سَالِمُ بْنُ أَبِي جُعْدَةَ، الْجَابِرَ: كَمْ رَجُلاً كُنْتُمْ؟. فَقَالَ جَابِرٌ: لَوْ كَانَ مِئَةُ أَلْفِ رَجُلٍ؛ لَكَفَاهُمْ أَيْضاً؛ وَلٰكِنْ كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً؛ يَعْنِي: أَلْفاً وَخَمْسَمِئَةٍ..

فَإِذاً إِنَّ رُوَاةَ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْبَاهِرَةِ ، مِقْدَارُ أَلْفٍ وَخَمْسِمِئَةِ رَجُلٍ ، مَعْنًى ؛ إِذْ يُوجَدُ فِي فِطْرَةِ الْبَشَرِ ، مَيْلٌ وَطَلَبٌ لِيَقُولَ لِلْكَذِبِ : إِنَّهُ كَذِبٌ . وَإِنَّ الصَّحَابَةَ قَدْ فَدَوْا بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَآبَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ وَقَبِيلَتِهِمْ ، لِلصِّدْقِ وَالْحَقِّ ؛ وَكَانُوا فِدَائِيِّينَ لَهُمَا ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ سُكُوتُهُمْ ضِدَّ الْكَذِبِ ، أَمَامَ تَهْدِيدِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي هٰذَا الْمَآلِ : وَهُوَ : «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» ؟ . فَلَمَّا سَكَتُوا وَقَبِلُوا ذٰلِكَ الْخَبَرَ ؛ فَإِذاً إِنَّهُمْ يَشْتَرِكُونَ فِيهِ ؛ وَيُصَدِّقُونَهُ مَعْنًى . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ :﴾ تُبَيِّنُ الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ أَيْضاً : أَنَّ جَابِراً قَالَ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ قَالَ فِي غَزْوَةِ بُوَاطَ : «نَادِ بِالْوُضُوءِ» ؛ فَقِيلَ : لَا يُوجَدُ الْمَاءُ ؛ فَقَالَ : «اِئْتُوا بِمِقْدَارٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ» ؛ فَأَتَيْنَا بِقَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ ؛ ثُمَّ سَتَرَ ذٰلِكَ الْمَاءَ الْقَلِيلَ بِيَدِهِ ؛ وَقَرَأَ شَيْئاً لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ ؛ ثُمَّ قَالَ : «رُدْنَا بِجَفْنَةِ الرَّكْبِ» ؛ فَجِيءَ بِهَا إِلَيَّ ؛ فَوَضَعْتُهَا أَمَامَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهَا ؛ وَفَتَحَ أَصَابِعَهُ ؛ وَكُنْتُ أَصُبُّ ذٰلِكَ الْمَاءَ الْقَلِيلَ ، عَلَى يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ نَبَعَ بِكَثْرَةٍ مِنْ أَصَابِعِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ ثُمَّ امْتَلَأَتِ الْجَفْنَةُ ؛ فَدَعَوْتُ الْمُحْتَاجِينَ إِلَى الْمَاءِ ؛ فَجَاءَ الْجَمِيعُ ؛ وَتَوَضَّؤُوا مِنْ ذٰلِكَ الْمَاءِ ؛ وَشَرِبُوا مِنْهُ ؛ فَقُلْتُ : لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بَعْدُ ؛ فَرَفَعَ يَدَهُ ؛ وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْجَفْنَةُ مَالِئَةً أَيْضاً . .

فَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْبَاهِرَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ ، مُتَوَاتِرَةٌ مَعْنًى ؛ لِأَنَّ جَابِراً كَانَ فِي مُقَدِّمَتِهِمْ فِي ذٰلِكَ الْعَمَلِ ؛ فَالْكَلَامُ الْأَوَّلُ حَقُّهُ ؛ فَهُوَ يُعْلِنُ بِاسْمِ الْجَمِيعِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ خَادِماً فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَالْإِعْلَانُ أَوَّلاً حَقُّهُ . وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ أَيْضاً فِي رِوَايَتِهِ : إِنِّي رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ أَصَابِعِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، كَالْعَيْنِ . . فَيَا عَجَباً ! إِذَا قَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَاهِيرِ الصِّدِّيقِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، كَأَنَسٍ وَجَابِرٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ : إِنَّنَا رَأَيْنَا ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا ؟ . فَالْآنَ اجْمَعْ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةَ الثَّلَاثَةَ ؛ فَأَبْصِرْ أَنَّهَا أَيُّ مُعْجِزَةٍ بَاهِرَةٍ قَوِيَّةٍ . وَإِذَا اتَّحَدَتِ الطُّرُقُ الثَّلَاثَةُ ؛ تُثْبِتُ قَطْعاً نَبَعَانَ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ ، فِي حُكْمِ التَّوَاتُرِ الْحَقِيقِيِّ .

وَإِنَّ تَفْجِيرَ مُوسٰى (عليه السلام) ، الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ كَالْعَيْنِ ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ مَوْضِعاً مِنْهُ ، لَا يَبْلُغُ دَرَجَةَ نَبَعَانِ عَشْرِ قَنَوَاتٍ مِنَ الْمَاءِ ، مِنْ عَشَرَةِ أَصَابِعِ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ) ؛ لِأَنَّ نَبَعَانَ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ مُمْكِنٌ ؛ يُوجَدُ نَظِيرُهُ بَيْنَ الْعَادِيَّاتِ ؛ وَلٰكِنَّ نَبَعَانَ الْمَاءِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ بِكَثْرَةٍ ، كَمَاءِ الْكَوْثَرِ ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ بَيْنَ الْعَادِيَّاتِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الرَّابِعُ :﴾ يَرْوِي الْإِمَامُ مَالِكٌ ، فِي كِتَابِهِ الْمُعْتَبَرِ ؛ وَهُوَ الْمُوَطَّأُ ، عَنْ مَشَاهِيرِ الصَّحَابَةِ ، كَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : أَنَّهُ قَالَ : صَادَفْنَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، عَيْناً تَجْرِي بِقَدَرِ جُبَالَةٍ ؛ فَقَالَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) : «اجْمَعُوا ذٰلِكَ الْمَاءَ مِقْدَاراً» ؛ فَجَمَعُوا فِي أَمْدَادِهِمْ مِقْدَاراً مِنْهُ ؛ فَغَسَلَ بِهِ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) يَدَهُ وَوَجْهَهُ ؛ فَوَضَعْنَا الْمَاءَ فِي الْعَيْنِ ؛ فَإِذَا بِثُقْبِ الْعَيْنِ انْفَتَحَ ؛ فَنَبَعَ الْمَاءُ بِكَثْرَةٍ ؛ فَكَفٰى جَمِيعَ الْجَيْشِ ؛ حَتّٰى إِنَّ رَاوِياً وَهُوَ الْإِمَامُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، يَقُولُ : صَوَّتَ مَاءُ تِلْكَ الْعَيْنِ كَالرَّعْدِ ؛ فَجَرٰى كَذٰلِكَ ؛ فَقَالَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) لِمُعَاذٍ : ﴿يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، أَنْ تَرٰى مَا هٰهُنَا ، قَدْ مُلِئَ جِنَاناً﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّ هٰذَا الْمَاءَ الَّذِي هُوَ أَثَرُ الْمُعْجِزَةِ سَيَدُومُ ؛ فَيُحَوِّلُ مَا هٰهُنَا إِلَى الْحَدَائِقِ ؛ فَسَتَرَاهُ إِنْ دَامَ عُمُرُكَ ؛ فَكَانَ كَذٰلِكَ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْخَامِسُ :﴾ يَرْوِي الْبُخَارِيُّ أَوَّلاً عَنِ الْبَرَاءِ ؛ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ؛ وَتَرْوِي سَائِرُ الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ مُتَّفِقَةً ، عَنْ رُوَاةٍ آخَرِينَ ؛ قَالُوا : صَادَفْنَا جُبّاً فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ ؛ وَكُنَّا أَرْبَعَمِئَةَ رَجُلٍ ؛ وَكَانَ مَاءُ ذٰلِكَ الْبِئْرِ لَا يَكْفِي ، إِلَّا لِخَمْسِينَ رَجُلاً ؛ فَنَزَعْنَا الْمَاءَ ؛ وَمَا تَرَكْنَا فِيهِ شَيْئاً ؛ فَجَاءَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) ، وَجَلَسَ عَلٰى رَأْسِ الْبِئْرِ ؛ فَسَأَلَ دَلْواً مِنَ الْمَاءِ ؛ فَجِئْنَا بِهِ ؛ فَوَدَعَ مَاءَ فَمِهِ الْمُبَارَكِ ، فِي الدَّلْوِ ؛ وَدَعَا ؛ ثُمَّ صَبَّ ذٰلِكَ الدَّلْوَ فِي الْبِئْرِ ؛ فَجَاشَ الْبِئْرُ فَجْأَةً ؛ وَغَلٰى وَامْتَلَأَ إِلٰى فَمِهَا ؛ فَشَرِبَ الْجَيْشُ وَحَيَوَانَاتُهُمْ جَمِيعاً ، إِلٰى أَنْ رَوُوا ؛ وَمَلَؤُوا أَوَانِيَهُمْ . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّادِسُ :﴾ تُخْبِرُ الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهَا دُهَاةُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ ، كَابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ وَمُسْلِمٍ أَيْضاً ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْمَشْهُورِ ، نَقْلاً صَحِيحاً ، أَنَّهُ يَقُولُ :

كُنَّا نَذْهَبُ إِلٰى إِمْدَادِ الْجَيْشِ ؛ وَذٰلِكَ عَلَى اسْتِشْهَادِ الرُّؤَسَاءِ ، فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ الْمَشْهُورَةِ ؛ وَكَانَ عِنْدِي قِرْبَةٌ ؛ فَقَالَ لِيَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿إِحْفَظْ عَلَيَّ مِيضَأَتَكَ ؛ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ؛ يَعْنِي : احْفَظْ قِرْبَتَكَ ؛ فَإِنَّ لَهَا شَأْناً عَظِيماً ؛ ثُمَّ بَدَأَ الْعَطَشُ ؛ وَكُنَّا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلاً ؛ وَعَلَى نَقْلِ الطَّبَرِيِّ ، قَالَ : ثَلَاثَمِئَةِ رَجُلٍ ؛ فَبَقِينَا عِطَاشاً ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ائْتِ بِقِرْبَتِكَ ؛ فَأَتَيْتُ بِهَا ؛ فَأَخَذَهَا وَجَعَلَ فَاهُ ، إِلٰى فِيهَا ؛ وَلَا أَعْلَمُ هَلْ تَنَفَّسَ فِيهَا أَمْ لَا ؟ . ثُمَّ جَاءَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ رَجُلاً ؛ فَشَرِبُوا وَمَلَؤُوا أَوَانِيَهُمْ مِنْهَا ؛ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ؛ وَقَدْ بَقِيَتْ كَمَا أَعْطَيْتُهَا . فَانْظُرْ إِلٰى هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْبَاهِرَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَقُلْ : «اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلٰى آلِهِ ، بِعَدَدِ قَطَرَاتِ الْمَاءِ» . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّابِعُ :﴾ تَرْوِي الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ ، أَنَّهُ يَقُولُ : بَقِينَا ظِمَاءً مَعَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، فِي سَفَرٍ ؛ فَقَالَ لِي وَلِعَلِيٍّ : إِنَّ فِي مَكَانِ كَذَا ، امْرَأَةً تَسِيرُ ؛ وَقَدْ حَمَلَتْ قِرْبَتَيْ مَاءٍ عَلَى الْحَيَوَانِ ؛ فَاقْبِضَا عَلَيْهَا ؛ وَائْتِيَا بِهَا . فَسِرْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مَعاً ؛ فَوَجَدْنَا الْمَرْأَةَ مَعَ حِمْلِ الْمَاءِ ، فِي عَيْنِ الْمَكَانِ ؛ وَأَتَيْنَا بِهَا ؛ ثُمَّ أَمَرَ قَائِلاً : أَفْرِغَا شَيْئاً مِنَ الْمَاءِ فِي إِنَاءٍ ؛ فَأَفْرَغْنَاهُ ؛ فَدَعَا بِالْبَرَكَةِ ؛ ثُمَّ رَدَدْنَا الْمَاءَ إِلَى الْقِرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلٰى ذٰلِكَ الْحَيَوَانِ ، أَيْضاً ؛ فَأَمَرَ أَنْ يَأْتِيَ كُلُّ أَحَدٍ ؛ وَيَمْلَأَ إِنَاءَهُ ؛ فَأَتَى جَمِيعُ الرَّكْبِ ؛ وَمَلَؤُوا أَوَانِيَهُمْ ؛ وَشَرِبُوا مِنْهُ ؛ ثُمَّ قَالَ آمِراً : اجْمَعُوا شَيْئاً لِلْمَرْأَةِ ؛ فَمَلَؤُوا ذَيْلَ ثَوْبِهَا . يَقُولُ عِمْرَانُ : كُنْتُ أَتَخَيَّلُ أَنَّ الْقِرْبَتَيْنِ كَانَتَا تَمْتَلِئَانِ وَتَزْدَادَانِ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، لِتِلْكَ الْمَرْأَةِ : ﴿اِذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكِ شَيْئاً ؛ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سَقَانَا﴾ ؛ يَعْنِي : مَا أَخَذْنَا مِنْ مَائِكِ ؛ بَلِ اللّٰهُ سَقَانَا مِنْ خَزِينَتِهِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّامِنُ :﴾ يَنْقُلُ الرُّوَاةُ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ ابْنُ خُزَيْمَةَ الْمَشْهُورُ ، فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُمَرَ ، أَنَّهُ قَالَ : بَقِينَا عِطَاشاً فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَنْحَرُ نَاقَتَهُ ؛ فَيَعْصِرُ مَا فِي جَوْفِهَا ؛ وَيَشْرَبُهُ مِنَ الْعَطَشِ . فَتَضَرَّعَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، أَنْ يَدْعُوَ ؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ ؛ فَاجْتَمَعَ السَّحَابُ ، قَبْلَ أَنْ يَضَعَ يَدَيْهِ ؛ فَنَزَلَ

الْمَطَرُ بِحَيْثُ مَلأْنَا أَوَانِيَنَا ؛ ثُمَّ انْقَلَعَ الْمَاءُ ؛ فَكَانَ مَخْصُوصاً بِجَيْشِنَا ؛ وَلَمْ يَتَجَاوَزْ عَنْ حُدُودِنَا . فَإِذاً إِنَّهُ مُعْجِزَةٌ أَحْمَدِيَّةٌ مَحْضَةٌ ، لَمْ يَخْلُطْهَا الصُّدْفَةُ . .

﴿اَلْمِثَالُ التَّاسِعُ :﴾ يُخْبِرُ الرُّوَاةُ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، حَفِيدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، الْمَشْهُورِ ؛ وَقَدِ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ ؛ وَخَرَّجُوا عَنْهُ الْأَحَادِيثَ : أَنَّهُ قَالَ : كَانَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ رَاكِبَ النَّاقَةِ ، مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، قَبْلَ النُّبُوَّةِ ؛ فَلَمَا أَتَيَا إِلَى الْمَكَانِ الْمُسَمّى بِذِي الْحِجَازِ ، بِجِوَارِ عَرَفَاتٍ ؛ قَالَ أَبُو طَالِبٍ : لَقَدْ عَطِشْتُ ؛ فَنَزَلَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَضَرَبَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ ؛ فَنَبَعَ الْمَاءُ ؛ وَشَرِبَ مِنْهُ أَبُو طَالِبٍ . وَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ : إِنَّ تِلْكَ الْحَادِثَةَ ، مَعَ كَوْنِهَا مِنَ الْإِرْهَاصَاتِ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ؛ يَصِحُّ أَنْ يُعَدَّ نَبَعَانُ عَيْنِ عَرَفَاتٍ ، فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ نَفْسِهِ ، بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ ، كَرَامَةً أَحْمَدِيَّةً مَبْنِيَّةً عَلَى تِلْكَ الْحَادِثَةِ . .

فَأَمْثَالُ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ التِّسْعَةِ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ تِسْعِينَ مِثَالاً ؛ فَلَعَلَّهَا تَكُونُ رِوَايَاتٍ عَلَى تِسْعِينَ صُورَةً أَخْبَرَتْ عَنِ الْمُعْجِزَاتِ الْمَائِيَّةِ . فَالْأَمْثِلَةُ السَّبْعَةُ الْأُولَى قَوِيَّةٌ وَقَطْعِيَّةٌ كَالتَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَالْمِثَالاَنِ الْأَخِيرَانِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ طَرِيقُهُمَا قَوِيّاً وَمُتَعَدِّداً ؛ وَلَيْسَ رُوَاتُهُمَا كَثِيرَةً ؛ إِلّا أَنَّ مُعْجِزَةً سَحَابِيَّةً ثَانِيَةً ، تُؤَيِّدُ وَتُقَوِّي الْمُعْجِزَةَ السَّحَابِيَّةَ الْمَرْوِيَّةَ عَنْ عُمَرَ فِي الْمِثَالِ الثَّامِنِ ، تَرْوِيهَا الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ ، عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ ؛ وَهِيَ : أَنَّ عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) رَجَا عَنِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، دُعَاءَ الاسْتِسْقَاءِ ؛ لِأَنَّ الْجَيْشَ احْتَاجَ إِلَى الْمَاءِ ؛ فَرَفَعَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ يَدَيْهِ ؛ فَإِذَا بِالسَّحَابِ اجْتَمَعَ ؛ وَنَزَلَ الْمَطَرُ ؛ وَأَعْطَى مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجَيْشُ ؛ فَرَاحَ ؛ وَكَأَنَّهُ كَانَ مَأْمُوراً بِسَقْيِ الْجَيْشِ ؛ فَأَتَى وَأَعْطَى الْمَاءَ حَسَبَ الاحْتِيَاجِ وَرَاحَ . .

فَكَمَا أَنَّ هٰذِهِ الْحَادِثَةَ تُؤَيِّدُ الْمِثَالَ الثَّامِنَ وَتُثْبِتُهُ قَطْعاً ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ مُحَقِّقاً مِثْلَ ابْنِ الْجَوْزِيِّ ، مِنَ الْمُتَبَحِّرِينَ الْمَشْهُورِينَ ، الَّذِي يَتَحَرَّى الْإِشْكَالَ كَثِيراً فِي التَّصْحِيحِ ؛ حَتّى إِنَّهُ يَقُولُ لِكَثِيرٍ مِنَ الصِّحَاحِ : إِنَّهُ مَوْضُوعٌ فَلاَ يَقْبَلُهُ ؛ يَقُولُ فِي هٰذِهِ الْحَادِثَةِ : إِنَّهَا وَقَعَتْ

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْمَشْهُورَةِ ؛ وَإِنَّ آيَةَ ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ تُبَيِّنُ هٰذِهِ الْحَادِثَةَ وَتُفِيدُهَا . فَإِذَا كَانَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ؛ تُبَيِّنُ تِلْكَ الْحَادِثَةَ ؛ فَلَا يَبْقٰى شُبْهَةٌ فِي تَحَقُّقِهَا . وَأَيْضاً أَنَّ نُزُولَ الْمَطَرِ دَفْعَةً وَفَوْراً ، وَقَبْلَ أَنْ يَضَعَ يَدَيْهِ ، تَكَرَّرَ كَثِيراً ؛ وَهُوَ مُعْجِزَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ عَلٰى حِدَتِهَا . فَقَدْ نُقِلَ بِالتَّوَاتُرِ أَنَّهُ رَفَعَ أَحْيَاناً يَدَيْهِ ، فِي الْمَسْجِدِ عَلَى الْمِنْبَرِ ؛ فَأُمْطِرَ قَبْلَ أَنْ يَضَعَهُمَا . .

اَلْإِشَارَةُ التَّاسِعَةُ :

إِنَّ نَوْعاً آخَرَ مِنْ أَنْوَاعِ مُعْجِزَاتِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، هُوَ امْتِثَالُ الْأَشْجَارِ لِأَمْرِهِ ، وَاقْتِلَاعُهَا عَنْ مَكَانِهَا ، وَمَجِيئُهَا إِلَيْهِ كَالْإِنْسَانِ . فَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الشَّجَرِيَّةُ مُتَوَاتِرَةٌ مَعْنًى ، كَنَبَعَانِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ وَلَهَا صُوَرٌ مُتَعَدِّدَةٌ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ بِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ . نَعَمْ : يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اقْتِلَاعَ الشَّجَرِ عَنْ مَكَانِهِ ، وَمَجِيئَهُ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ لِأَمْرِهِ ، مُتَوَاتِرٌ صَرِيحٌ ؛ لِأَنَّ مَشَاهِيرَ الصِّدِّيقِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، كَسَيِّدِنَا عَلِيٍّ وَابْنِ الْعَبَّاسِ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَيَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ، وَجَابِرٍ ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَبُرَيْدَةَ ، وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَغَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ ؛ كُلٌّ مِنْهُمْ أَخْبَرَ عَنِ الْمُعْجِزَةِ الشَّجَرِيَّةِ نَفْسِهَا إِخْبَاراً قَاطِعاً . وَنَقَلَ مِئَاتٌ مِنْ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ ، تِلْكَ الْمُعْجِزَةَ الشَّجَرِيَّةَ ، عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ ، بِطَرِيقٍ آخَرَ ؛ حَتّٰى إِنَّهُمْ نَقَلُوهَا إِلَيْنَا بِصُورَةِ التَّوَاتُرِ الْمُضَاعَفِ . فَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الشَّجَرِيَّةُ ، فِي حُكْمِ تَوَاتُرٍ مَعْنَوِيٍّ قَاطِعٍ ، لَا يَقْبَلُ شُبْهَةً أَصْلاً . وَالْآنَ نُبَيِّنُ بِعِدَّةِ أَمْثِلَةٍ ، عِدَّةَ صُوَرٍ صَحِيحَةٍ ، مِنْ تِلْكَ الْمُعْجِزَةِ الْكُبْرٰى ؛ مَعَ أَنَّهَا تَكَرَّرَتْ مَرَّاتٍ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ :﴾ يَرْوِي أَوَّلاً الْإِمَامُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَالدَّارِمِيُّ وَالْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ ؛ وَيَرْوِي الْبَزَّازُ وَالْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ ، عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ : أَنَّ الصَّحَابَةَ الثَّلَاثَةَ قَالُوا : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ قَدْ حَزِنَ مُتَأَثِّراً عَنْ تَكْذِيبِ الْكُفَّارِ ؛ فَقَالَ : «يَا رَبِّ أَرِنِي آيَةً لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا» . وَفِي رِوَايَةٍ

أَنَس ، كَانَ جِبْرَائِيلُ حَاضِراً ؛ وَكَانَ عَلٰى شَاطِئِ الْوَادِي شَجَرَةٌ ؛ فَدَعَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ، تِلْكَ الشَّجَرَةَ ، بِإِعْلَامِ جِبْرَائِيلَ ؛ حَتّٰى أَتَتْ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : اِذْهَبِي ؛ فَذَهَبَتْ أَيْضاً ؛ وَسَكَنَتْ فِي مَكَانِهَا . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِي :﴾ يَرْوِي عَلَّامَةُ الْمَغْرِبِ ، الْقَاضِي عِيَاضُ ، فِي الشِّفَاءِ الشَّرِيفِ ، بِسَنَدٍ عَالٍ ، وَعَنْعَنَةٍ صَحِيحَةٍ سَلِيمَةٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ : أَنَّ أَعْرَابِيّاً جَاءَ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ فِي سَفَرٍ ؛ فَقَالَ له : «أَيْنَ تُرِيدُ ؛ وَأَيْنَ تَذْهَبُ ؟» ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِلٰى أَهْلِي ؛ فَقَالَ لَهُ : ﴿هَلْ لَكَ إِلٰى خَيْرٍ مِنْ ذٰلِكَ ؟﴾ ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ﴾ ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : مَا هُوَ الشَّاهِدُ لِهٰذِهِ الشَّهَادَةِ ؟ فَقَالَ : «هٰذِهِ الشَّجَرَةُ السَّمُرَةُ» : أَيْ تَشْهَدُ الشَّجَرَةُ الَّتِي عَلٰى شَاطِئِ الْوَادِي . يَقُولُ ابْنُ عُمَرَ : فَاقْتَلَعَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ ، عَنْ مَوْضِعِهَا مُهْتَزَّةً ؛ وَشَقَّتِ الْأَرْضَ ؛ حَتّٰى أَتَتْ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؛ فَاسْتَشْهَدَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ، تِلْكَ الشَّجَرَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ فَشَهِدَتِ الشَّجَرَةُ علٰى صِدْقِهِ ؛ فَأَمَرَهَا ؛ فَعَادَتْ إِلٰى مَكَانِهَا ؛ وَتَمَكَّنَتْ فِيهِ أَيْضاً . .

وَقَالَ بُرَيْدَةُ فِي طَرِيقِ ابْنِ صَاحِبِ الْأَسْلَمِيِّ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : بَيْنَمَا كُنَّا عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ فِي سَفَرٍ ، إِذْ أَتٰى أَعْرَابِيٌّ : فَطَلَبَ آيَةً ؛ يَعْنِي مُعْجِزَةً ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ : «قُلْ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ : رَسُولُ اللهِ يَدْعُوكِ» ؛ فَأَشَارَ إِلٰى شَجَرَةٍ ؛ فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ إِلَى الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ ؛ فَأَخْرَجَتْ عُرُوقَهَا عَنِ الْأَرْضِ ؛ فَأَتَتْ إِلَى الْحُضُورِ النَّبَوِيِّ ؛ فَقَالَتْ : «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ» ؛ ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : فَلْتَذْهَبْ إِلٰى مَكَانِهَا أَيْضاً ؛ فَأَمَرَهَا ؛ فَذَهَبَتْ إِلٰى مَكَانِهَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : اِئْذَنْ لِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ ؛ فَقَالَ : لَا إِذْنَ لِأَحَدٍ ؛ فَقَالَ : إِذاً أُقَبِّلُ يَدَكَ وَرِجْلَكَ ؛ فَأَذِنَ لَهُ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ :﴾ تَرْوِي الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهَا صَحِيحُ مُسْلِمٍ : أَنَّ جَابِراً يَقُولُ : كُنَّا فِي سَفَرٍ ، مَعَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؛ فَطَلَبَ مَكَاناً لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ ؛

وَلَمْ يَكُنْ مَكَانٌ سَاتِرٌ ؛ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى شَجَرَتَيْنِ ؛ فَأَخَذَ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ ؛ فَجَرَّهَا ؛ فَأَطَاعَتِ الشَّجَرَةُ ؛ وَسَارَتْ مَعَهُ ؛ فَأَتَى بِهَا إِلَى الشَّجَرَةِ الْأُخْرَى ؛ وَجَعَلَ تَيْنِكَ الشَّجَرَتَيْنِ ، جَنْباً إِلَى جَنْبٍ ، بِتِلْكَ الصُّورَةِ ؛ كَمَا تَأْتِي النَّاقَةُ الْمُطِيعَةُ ، حِينَمَا يُمْسَكُ بِخِطَامِهَا ؛ فَتُقَادُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : «اِلْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ» ؛ فَالْتَأَمَتَا ؛ وَصَارَتَا سَتَّارَةً . وَبَعْدَ مَا دَفَعَ الْحَاجَةَ وَرَاءَهُمَا ، أَمَرَهُمَا ؛ فَسَارَتَا إِلَى مَكَانِهِمَا . .

وَيَقُولُ جَابِرٌ فِي رِوَايَةٍ ثَانِيَةٍ أَيْضاً : قَالَ لِي : ﴿يَا جَابِرُ قُلْ لِهٰذِهِ الشَّجَرَةِ : يَقُولُ لَكِ رَسُولُ اللهِ : اِلْحَقِي بِصَاحِبَتِكِ ، حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا﴾ ؛ يَعْنِي : قُلْ لِتَيْنِكَ الشَّجَرَتَيْنِ : الْتَئِمَا لِحَاجَةِ رَسُولِ اللهِ ؛ فَقُلْتُ كَذٰلِكَ ؛ فَالْتَأَمَتَا ؛ ثُمَّ إِنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أَنْتَظِرُ ، إِذْ خَرَجَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَأَتَى ؛ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ يَمِيناً وَشِمَالاً ؛ فَسَارَتِ الشَّجَرَتَانِ إِلَى مَكَانِهِمَا . .

﴿اَلْمِثَالُ الرَّابِعُ :﴾ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ؛ وَهُوَ مِنْ خُدَّامِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَمِنْ شُجْعَانِ قَادَتِهِ ، يَقُولُ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : كُنَّا فِي سَفَرٍ ، مَعَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَلَمْ يُوجَدْ مَكَانٌ خَالٍ سَاتِرٌ ، لِدَفْعِ الْحَاجَةِ ؛ فَقَالَ : «هَلْ تَرَى مِنْ نَخْلٍ أَوْ حِجَارَةٍ ؟» ؛ قُلْتُ : نَعَمْ ، تُوجَدُ ؛ فَأَمَرَ وَقَالَ : «اِنْطَلِقْ ؛ وَقُلْ لَهُنَّ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَأْتِينَ لِمَخْرَجِ رَسُولِ اللهِ ؛ وَقُلْ لِلْحِجَارَةِ مِثْلَ ذٰلِكَ» ؛ يَعْنِي : قُلْ لِلْأَشْجَارِ : الْتَئِمْنَ لِحَاجَةِ رَسُولِ اللهِ ؛ وَقُلْ لِلْحِجَارَةِ : اجْتَمِعْنَ كَالْجِدَارِ ؛ فَذَهَبْتُ وَقُلْتُ لَهُنَّ ؛ فَأَحْلِفُ أَنَّ الْأَشْجَارَ الْتَأَمَتْ ؛ وَأَنَّ الْحِجَارَةَ صَارَتْ جِدَاراً ؛ فَأَمَرَنِي ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بَعْدَ حَاجَتِهِ ؛ وَقَالَ : «قُلْ لَهُنَّ يَفْتَرِقْنَ» ؛ فَوَاللهِ الَّذِي نَفْسِي فِي قَبْضَةِ قُدْرَتِهِ : لَقَدِ افْتَرَقَتِ الْأَشْجَارُ وَالْأَحْجَارُ ؛ وَسَارَتْ إِلَى أَمَاكِنِهَا . . وَإِنَّ هَاتَيْنِ الْحَادِثَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَيَّنَهُمَا جَابِرٌ وَأُسَامَةُ ، يَرْوِيهِمَا بِعَيْنِهِمَا ، يَعْلَى بْنُ مُرَّةَ ، وَغَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ الثَّقَفِيُّ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ ، فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْخَامِسُ :﴾ أَنَّ عَلَّامَةَ الْعَصْرِ ، الْإِمَامَ ابْنَ فُورَكَ ، الَّذِي اتَّخَذَ عُنْوَانَ

الشَّافِعِيِّ الثَّانِي ، كِنَايَةً عَنْ كَمَالِ اجْتِهَادِهِ وَفَضْلِهِ ، يُخْبِرُ إِخْبَاراً قَاطِعاً : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ كَانَ يَعْتَرِيهِ النَّوْمُ ؛ وَهُوَ يَسْرِي عَلَى الْفَرَسِ ، فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ ؛ فَبَيْنَمَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ إِذْ لَقِيَ شَجَرَةَ سِدْرٍ ؛ فَأَعْطَتْهُ الطَّرِيقَ ؛ وَصَارَتْ شِقَّيْنِ ؛ لِئَلَّا تُؤْلِمَ فَرَسَهُ ؛ فَمَضَى ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ مَعَ الْحَيَوَانِ ، مِنْ بَيْنِ شِقَّيْهَا ؛ فَبَقِيَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ ، عَلٰى سَاقَيْنِ ، بِكَيْفِيَّةٍ مُحْتَرَمَةٍ ، إِلٰى زَمَانِنَا . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّادِسُ :﴾ يُخْبِرُ يَعْلٰى ، فِي طَرِيقِهِ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا : الطَّلْحَةُ أَوِ السَّمُرَةُ ، جَاءَتْ فِي سَفَرٍ ؛ فَدَارَتْ حَوْلَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ كَأَنَّهَا تَطُوفُ حَوْلَهُ ؛ ثُمَّ سَارَتْ إِلٰى مَكَانِهَا أَيْضاً ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : «إِنَّهَا اسْتَأْذَنَتْ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ تِلْكَ الشَّجَرَةَ طَلَبَتِ الْإِذْنَ ، مِنَ اللهِ تَعَالٰى ، لِتُسَلِّمَ عَلَيَّ . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّابِعُ :﴾ يُبَيِّنُ الْمُحَدِّثُونَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ : أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا جَاءَ جِنُّ نَصِيبِينَ لِلاِهْتِدَاءِ ، إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ بَطْنُ النَّخْلِ ؛ أَخْبَرَتْ شَجَرَةٌ بِمَجِيئِهِمْ . وَكَذَا يَنْقُلُ الْإِمَامُ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فِي ذٰلِكَ الْحَدِيثِ : أَنَّ أُولٰئِكَ الْجِنَّ طَلَبُوا دَلِيلاً ؛ فَأَمَرَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ شَجَرَةً ؛ فَاقْتَلَعَتْ عَنْ مَكَانِهَا ؛ وَجَاءَتْ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ سَارَتْ إِلٰى مَكَانِهَا أَيْضاً . . فَكَفَتْ طَائِفَةَ الْجِنِّ ، مُعْجِزَةٌ وَاحِدَةٌ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِذَا لَمْ يُؤْمِنْ إِنْسَانٌ يَسْمَعُ أَلْفَ مُعْجِزَةٍ مِثْلَ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ ؛ أَفَلَا يَكُونُ شَيْطَاناً أَشَدَّ مِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ عَبَّرَ عَنْهُمُ الْجِنُّ ، بِقَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطاً ۝﴾ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّامِنُ :﴾ يُخْبِرُ صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : قَالَ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ : ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هٰذَا الْعِذْقَ مِنْ هٰذِهِ النَّخْلَةِ ؛ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟﴾ ؛ يَعْنِي : إِنْ دَعَوْتُ هٰذَا الْعِذْقَ ؛ فَجَاءَ إِلَيَّ ؛

فَهَلْ تُؤْمِنُ ؟ . فَقَالَ : نَعَمْ ؛ فَدَعَاهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ فَانْقَطَعَ ذٰلِكَ الْعُرْجُونُ ، عَنْ رَأْسِ شَجَرَتِهِ ؛ فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَجَاءَ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَمَرَهُ ؛ فَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ أَيْضاً . .

فَهٰكَذَا تُوجَدُ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّمَانِيَةِ ؛ نُقِلَتْ بِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ . وَمِنَ الْمَعْلُومِ : أَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَتْ سَبْعَةُ أَوْ ثَمَانِيَةُ خُيُوطٍ ؛ تَصِيرُ حَبْلاً قَوِيّاً . فَبِنَاءً عَلَيْهِ لا شَكَّ أَنَّ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ الشَّجَرِيَّةَ الَّتِي رُوِيَتْ بِمِثْلِ هٰذِهِ الطُّرُقِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، عَنْ أَشْهَرِ الصَّحَابَةِ الصِّدِّيقِينَ ، هِيَ فِي قُوَّةِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ بَلْ هِيَ تَوَاتُرٌ حَقِيقِيٌّ . هٰذَا وَإِذَا وَقَعَتْ بِأَيْدِي التَّابِعِينَ بَعْدَ الصَّحَابَةِ ؛ تَتَّخِذُ صُورَةَ التَّوَاتُرِ ، لاسِيَّمَا أَنَّ الْكُتُبَ الصَّحِيحَةَ ، كَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَابْنِ حِبَّانَ وَالتِّرْمِذِيِّ ، قَدْ أَحْكَمَتْ ذٰلِكَ الطَّرِيقَ ، إِلَى زَمَانِ الصَّحَابَةِ ، وَالْتَزَمَتْهُ بِحَيْثُ يَكُونُ الْعَيَانُ فِي الْبُخَارِيِّ مَثَلاً ، كَالسَّمَاعِ مِنَ الصَّحَابَةِ بِعَيْنِهِ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِذَا عَرَفَتِ الْأَشْجَارُ ذٰلِكَ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ؛ وَصَدَّقَتْ رِسَالَتَهُ ، وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَزَارَتْهُ ؛ وَسَمِعَتْ أَمْرَهُ وَأَطَاعَتْهُ ؛ وَلَمْ يَعْرِفْهُ بَعْضُ مَخْلُوقَاتٍ جَامِدَةٍ لا عَقْلَ لَهُ ، مِمَّنْ يُسَمِّي نَفْسَهُ بِالْإِنْسَانِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ ؛ أَفَلا يَكُونُ أَدْنَى بِكَثِيرٍ مِنَ الشَّجَرِ الْيَابِسِ ، وَلائِقاً بِالنَّارِ ، كَعُودِ الْحَطَبِ ، بِدُونِ أَهَمِّيَّةٍ وَلا قِيمَةٍ ؟ .

اَلْإِشَارَةُ الْعَاشِرَةُ :

وَهِيَ مُعْجِزَةُ حَنِينِ الْجِذْعِ الَّتِي نُقِلَتْ بِصُورَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ ؛ وَتُؤَيِّدُ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ الشَّجَرِيَّةَ ، تَأْيِيداً أَقْوَى . . نَعَمْ : إِنَّ بُكَاءَ الْعَمُودِ الْيَابِسِ ، عَنِ الْفِرَاقِ الْأَحْمَدِيِّ عَنْهُ مُؤَقَّتاً ، بَيْنَ جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَفِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، يُؤَيِّدُ أَمْثِلَةَ الْمُعْجِزَةِ الشَّجَرِيَّةِ الَّتِي بَيَّنَّاهَا ؛ وَيُقَوِّيهَا ؛ لِأَنَّهُ شَجَرٌ أَيْضاً ؛ وَجِنْسُهُ وَجِنْسُ الشَّجَرِ وَاحِدٌ ؛ وَلٰكِنَّ عَيْنَ هٰذَا مُتَوَاتِرٌ ؛ وَالْأَقْسَامُ الْأُخْرَى ، نَوْعُ كُلٍّ مِنْهَا مُتَوَاتِرٌ ؛ وَلا يَطَّلِعُ أَكْثَرُ جُزْئِيَّاتِهَا وَأَمْثِلَتِهَا ، إِلَى دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ الصَّرِيحِ . . نَعَمْ :

إنَّ الْعَمُودَ الْيَابِسَ مِنْ شَجَرِ النَّخْلِ ، كَانَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ حِينَمَا كَانَ يَقْرَأُ الْخُطْبَةَ فِي الْمَسْجِدِ الشَّرِيفِ ؛ فَلَمَّا بُنِيَ الْمِنبَرُ الشَّرِيفُ ؛ صَعِدَ عَلَيْهِ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَشَرَعَ فِي الْخُطْبَةِ ؛ فَبَيْنَمَا كَانَ يَقْرَأُهَا ؛ حَنَّ الْعَمُودُ ؛ وَبَكَىٰ كَالنَّاقَةِ ؛ فَسَمِعَتِ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا ؛ حَتَّىٰ جَاءَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ إِلَيْهِ ؛ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ؛ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ وَسَلَّاهُ ؛ ثُمَّ سَكَتَ . . وَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ نُقِلَتْ بِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا ، فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ ؛ نَعَمْ : إِنَّ مُعْجِزَةَ حَنِينِ الْجِذْعِ مَشْهُورَةٌ وَمُنْتَشِرَةٌ كَثِيراً ، وَمُتَوَاتِرَةٌ تَوَاتُراً حَقِيقِيّاً . فَقَدْ وَرَدَتْ بِخَمْسَةَ عَشَرَ طَرِيقاً ، عَنْ جَمَاعَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ وَأَخْبَرَ مِئَاتٌ مِنْ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ ، عَنْ تِلْكَ الْمُعْجِزَةِ ، بِتِلْكَ الطُّرُقِ ، لِلْأَعْصَارِ التَّالِيَةِ . وَإِنَّ مَشَاهِيرَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ ، وَرُؤَسَاءَ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ مِنْ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ ، كَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْخَادِمِ النَّبَوِيِّ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَادِمِ النَّبَوِيِّ ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَأُبَيِّ بْنِ الْكَعْبِ ، وَبُرَيْدَةَ ، وَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ ، أَخْبَرَ كُلٌّ مِنْهُمْ لِلْأُمَّةِ عَنْ نَفْسِ الْمُعْجِزَةِ ، عَلَىٰ رَأْسِ طَرِيقٍ . وَأَخْبَرَتِ الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، عَنْ تِلْكَ الْمُعْجِزَةِ الْكُبْرَىٰ الْمُتَوَاتِرَةِ ، لِمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْعُصُورِ ، مَعَ طُرُقِهَا . .

فَيَقُولُ جَابِرٌ فِي طَرِيقِهِ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ كَانَ يَقْرَأُ الْخُطْبَةَ ؛ فَيَسْتَنِدُ إِلَى الْعَمُودِ الْيَابِسِ مِنْ جِذْعِ النَّخْلِ ، فِي الْمَسْجِدِ الشَّرِيفِ ، حِينَمَا يَقْرَأُهَا ؛ فَبَعْدَ مَا بُنِيَ الْمِنْبَرُ الشَّرِيفُ ؛ سَارَ إِلَى الْمِنْبَرِ ؛ فَحِينَئِذٍ لَمْ يَصْبِرِ الْعَمُودُ ؛ فَصَوَّتَ كَالنَّاقَةِ الْحُبْلَىٰ ؛ وَحَنَّ وَبَكَىٰ . . وَيَقُولُ أَنَسٌ فِي طَرِيقِهِ : إِنَّهُ بَكَىٰ كَالْجَامُوسِ ؛ فَهَزَّ الْمَسْجِدَ . . وَيَقُولُ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَرِيقِهِ : إِنَّهُ بَكَىٰ وَكَثُرَ الْبُكَاءُ فِي النَّاسِ ، عَلَىٰ أَثَرِ بُكَائِهِ . . وَيَقُولُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فِي طَرِيقِهِ : وَإِنَّهُ بَكَىٰ بُكَاءً فَانْشَقَّ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ فِي طَرِيقٍ آخَرَ : «إِنَّ هٰذَا بَكَىٰ لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ بُكَاءَهُ كَانَ عَنِ افْتِرَاقِ مَا يُقْرَأُ فِي مَكَانِهِ ، مِنْ ذِكْرِ اللهِ فِي الْخُطْبَةِ ؛ وَقَالَ فِي طَرِيقٍ آخَرَ : «لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ ؛ لَمْ يَزَلْ

هٰكَذَا إِلٰى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، تَحَزُّناً عَلٰى رَسُولِ اللهِ» ؛ يَعْنِي : لَوْ لَمْ أُعَانِقْهُ وَأُسَلِّهِ ؛ لَدَامَ بُكَاؤُهُ هٰكَذَا ، إِلٰى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، عَنِ افْتِرَاقِ رَسُولِ اللهِ . . وَيَقُولُ بُرَيْدَةُ فِي طَرِيقِهِ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْجِذْعِ بَعْدَمَا بَكٰى ؛ فَقَالَ : ﴿إِنْ شِئْتَ أَرُدُّكَ إِلَى الْحَائِطِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ؛ تَنْبُتُ لَكَ عُرُوقُكَ ؛ وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ ؛ وَيُجَدَّدُ خُوصُكَ وَثَمَرُكَ ؛ وَإِنْ شِئْتَ أَغْرِسُكَ فِي الْجَنَّةِ ؛ يَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ اللهِ مِنْ ثَمَرِكَ﴾ ؛ ثُمَّ اسْتَمَعَ إِلٰى ذٰلِكَ الْجِذْعِ مَاذَا يَقُولُ ؛ فَقَالَ الْجِذْعُ ؛ وَسَمِعَ مَنْ فِي الْوَرَاءِ أَيْضاً : «اغْرِسْنِي فِي الْجَنَّةِ ؛ يَأْكُلْ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللهِ ، فِي مَكَانٍ لَا يَبْلٰى» ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : «قَدْ فَعَلْتُ» ؛ ثُمَّ قَالَ : «اِخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلٰى دَارِ الْفَنَاءِ» . . وَيَرْوِي أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَائِينِيُّ الْمَشْهُورُ ، مِنْ أَعَاظِمِ أَئِمَّةِ عِلْمِ الْكَلَامِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى الْعَمُودِ ؛ بَلِ الْعَمُودُ ذَهَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ ؛ ثُمَّ أَمَرَهُ ؛ فَعَادَ إِلٰى مَكَانِهِ . . وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ : أَمَرَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بَعْدَ هٰذِهِ الْحَادِثَةِ الْخَارِقَةِ : أَنْ يُوضَعَ الْعَمُودُ تَحْتَ الْمِنْبَرِ ؛ فَوُضِعَ تَحْتَهُ إِلٰى أَنْ هُدِمَ الْمَسْجِدُ الشَّرِيفُ لِعِمَارَتِهِ ؛ فَاقْتَنَاهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ حِينَئِذٍ عِنْدَهُ ؛ وَحُفِظَ إِلٰى أَنْ بَلِيَ . . وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الْمَشْهُورُ ، إِذَا دَرَّسَ تَلَامِيذَهُ هٰذِهِ الْحَادِثَةَ الْمُعْجِزَةَ ؛ يَبْكِي وَيَقُولُ : إِنَّ الشَّجَرَةَ تُظْهِرُ حَنِينَهَا وَشَوْقَهَا إِلٰى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِزِيَادَةِ الْاِشْتِيَاقِ وَالْمَيْلِ إِلَيْهِ . . وَنَحْنُ نَقُولُ : نَعَمْ : وَإِنَّ الْاِشْتِيَاقَ وَالْمَيْلَ وَالْمَحَبَّةَ لَهُ ، إِنَّمَا هُوَ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ ، وَشَرِيعَتِهِ الْغَرَّاءِ . .

نُكْتَةٌ مُهِمَّةٌ :

فَإِنْ قِيلَ : لِمَ لَمْ تُنْقَلِ الْمُعْجِزَةُ الطَّعَامِيَّةُ الَّتِي هِيَ إِشْبَاعُ أَلْفِ رَجُلٍ ، بِأَرْبَعَةِ أَمْدَادٍ مِنَ الطَّعَامِ ، فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ، وَالْمُعْجِزَةُ الْمَائِيَّةُ الَّتِي سَقَتْ أَلْفَ رَجُلٍ ، إِلٰى أَنْ أَرْوَتْهُمْ بِالْمَاءِ الَّذِي نَبَعَ مِنْ أَصَابِعِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ كَمَا نُقِلَتْ مُعْجِزَةُ حَنِينِ الْجِذْعِ هٰذِهِ ، بِاشْتِهَارٍ وَبِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ؛ مَعَ أَنَّ كِلْتَيْهِمَا وَقَعَتَا فِي جَمَاعَةٍ أَكْثَرَ مِنْ جَمَاعَةِ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ مَا يَظْهَرُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ، عَلٰى قِسْمَيْنِ . . أَحَدُهُمَا : يَظْهَرُ عَلٰى يَدِ

﴿النَّبِيِّ ﷺ﴾ ، لِإِلْزَامِ تَصْدِيقِ النُّبُوَّةِ . فَحَنِينُ الْجِذْعِ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ ، حَيْثُ ظَهَرَ حُجَّةً لِمُجَرَّدِ تَصْدِيقِ النُّبُوَّةِ ؛ لِيَزِيدَ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَيَسُوقَ الْمُنَافِقِينَ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَالْإِيمَانِ ؛ وَيُلْجِئَ الْكُفَّارَ إِلَى الْإِيمَانِ . فَلِذٰلِكَ رَآهَا الْخَوَاصُّ وَالْعَوَامُّ وَكُلُّ أَحَدٍ ؛ فَاهْتُمَّ بِنَشْرِهَا اهْتِمَاماً بَالِغاً ؛ وَلٰكِنَّ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ الطَّعَامِيَّةَ أَوِ الْمَائِيَّةَ ، كَرَامَةٌ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُعْجِزَةً ، بَلْ إِكْرَامٌ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ كَرَامَةً ، بَلْ ضِيَافَةٌ رَحْمَانِيَّةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الاحْتِيَاجِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ إِكْرَاماً ؛ إِذْ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ مُعْجِزَةً وَدَلِيلاً لِدَعْوَى النُّبُوَّةِ ، إِلَّا أَنَّ الْمَقْصَدَ الْأَصْلِيَّ مِنْهَا ، هُوَ أَنَّ الْجَيْشَ بَقِيَ جَائِعاً ؛ فَقَرَى اللهُ تَعَالَى أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ صَاعٍ مِنَ الطَّعَامِ ، عَنْ خَزِينَةِ الْغَيْبِ ؛ كَمَا يَخْلُقُ أَلْفَ رَطْلٍ مِنَ التَّمْرِ ، مِنْ نَوَاةٍ . وَأَيْضاً أَنَّهُ تَعَالَى ، فَجَّرَ الْمَاءَ مِنْ أَصَابِعِ الْقَائِدِ الْأَعْظَمِ ، كَمَاءِ الْكَوْثَرِ ؛ فَسَقَى جَيْشاً مُجَاهِداً ظَمْآناً . . فَلِهٰذَا السِّرِّ لَا يَطْلُعُ كُلُّ مِثَالٍ مِنَ الْمُعْجِزَةِ الطَّعَامِيَّةِ وَالْمَائِيَّةِ ، إِلَى دَرَجَةِ حَنِينِ الْجِذْعِ ؛ وَلٰكِنَّ جِنْسَ تَيْنِكَ الْمُعْجِزَتَيْنِ ، وَنَوْعَهُمَا كَثِيرٌ وَمُتَوَاتِرٌ بِاعْتِبَارِ الْكُلِّيَّةِ ، كَحَنِينِ الْجِذْعِ . وَأَيْضاً أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَرَى بَرَكَةَ الطَّعَامِ ، وَنَبْعَ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ ؛ وَإِنَّمَا يَرَى آثَارَهُمَا فَقَطْ ؛ وَأَمَّا بُكَاءُ الْعَمُودِ فَيَسْمَعُهُ كُلُّ أَحَدٍ . فَلِذٰلِكَ انْتَشَرَ كَثِيراً . .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ الصَّحَابَةَ حَافَظُوا عَلَى كُلِّ حَرَكَةٍ وَحَالٍ مِنْ أَحْوَالِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ وَنَقَلُوهَا بِكَمَالِ الاهْتِمَامِ ؛ فَلِمَاذَا تَرِدُ أَمْثَالُ هٰذِهِ الْمُعْجِزَاتِ الْعَظِيمَةِ ، بِعَشَرَةِ طُرُقٍ أَوْ عِشْرِينَ طَرِيقاً ؛ وَكَانَ اللَّازِمُ أَنْ تَرِدَ بِمِئَةِ طَرِيقٍ ؟ . وَأَيْضاً لِمَاذَا تَرِدُ عَنْ أَنَسٍ وَجَابِرٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ كَثِيراً ؛ وَيَرْوِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ قَلِيلاً ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ سَبَقَ جَوَابُ الشِّقِّ الْأَوَّلِ ، فِي الْأَسَاسِ الثَّالِثِ مِنَ الْإِشَارَةِ الرَّابِعَةِ . وَأَمَّا جَوَابُ الشِّقِّ الثَّانِي ، فَهُوَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا احْتَاجَ إِلَى عِلَاجٍ ؛ يَذْهَبُ إِلَى طَبِيبٍ ؛ وَأَنَّهُ يَذْهَبُ لِلْهَنْدَسَةِ إِلَى الْمُهَنْدِسِ ؛ وَيَنْقُلُ عَنْهُ ؛ وَأَنَّ الْمَسْأَلَةَ الشَّرْعِيَّةَ تُسْتَفْتَى عَنِ الْمُفْتِي ؛ وَهٰكَذَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ بَعْضاً مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ ، كَانُوا مُوَظَّفِينَ مَعْنًى ، بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، لِدَرْسِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، لِلْعُصُورِ الْقَادِمَةِ ؛ فَكَانُوا يَجْتَهِدُونَ لَهَا بِجَمِيعِ قُوَّتِهِمْ . . نَعَمْ :

إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَصَرَ كُلَّ حَيَاتِهِ عَلىٰ حِفْظِ الْأَحَادِيثِ ؛ وَكَانَ عُمَرُ مُشْتَغِلاً بِعَالَمِ السِّيَاسَةِ وَبِالْخِلَافَةِ الْكُبْرىٰ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلىٰ أَمْثَالِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وَجَابِرٍ ، لِدَرْسِ الْأَحَادِيثِ لِلْأُمَّةِ . فَمِنْ ثَمَّةَ كَانَ يَرْوِي قَلِيلاً . وَأَيْضاً إِذَا أَخْبَرَ صَحَابِيٌّ شَهِيرٌ وَمَعْرُوفٌ ، مِنَ الصَّحَابَةِ الصِّدِّيقِينَ الصَّدُوقِينَ ، وَالصَّادِقِينَ الْمُصَدَّقِينَ ، عَنْ حَادِثَةٍ بِطَرِيقٍ وَاحِدٍ ؛ يُقَالُ : إِنَّهُ يَكْفِي ؛ وَلَا يَبْقَى احْتِيَاجٌ إِلَى نَقْلِ غَيْرِهِ . فَلِذٰلِكَ يَرِدُ بَعْضُ حَادِثَاتٍ مُهِمَّةٍ ، بِطَرِيقَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ طُرُقٍ . .

اَلْإِشَارَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :

كَمَا أَنَّ الْإِشَارَةَ الْعَاشِرَةَ ، أَظْهَرَتِ الْمُعْجِزَاتِ النَّبَوِيَّةَ ، فِي طَائِفَةِ الشَّجَرِ ؛ كَذٰلِكَ تُشِيرُ الْإِشَارَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ ، إِلَى إِظْهَارِ طَائِفَةِ الْحَجَرِ وَالْجَبَلِ ، فِي الْجَمَادَاتِ ، لِلْمُعْجِزَاتِ النَّبَوِيَّةِ . فَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ أَمْثِلَتِهَا الْكَثِيرَةِ تِلْكَ ، سَبْعَةَ أَمْثِلَةٍ ، أَوْ ثَمَانِيَةً . .

﴿اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ :﴾ رَوىٰ عَلَّامَةُ الْمَغْرِبِ الْقَاضِي عِيَاضٌ ، فِي شِفَائِهِ الشَّرِيفِ ، بِسَنَدٍ عَالٍ ، وَبِنَقْلٍ صَحِيحٍ ، عَنْ أَئِمَّةٍ عِظَامٍ ، كَصَاحِبِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ الْخَادِمَ النَّبَوِيَّ قَالَ : كُنَّا نَأْكُلُ الطَّعَامَ عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَنَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِي :﴾ تُخْبِرُ الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، عَنْ أَنَسٍ وَأَبِي ذَرٍّ : أَنَّ أَنَساً الْخَادِمَ النَّبَوِيَّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَأَخَذَ الْحَصىٰ بِكَفِّهِ ؛ فَشَرَعَتْ بِالتَّسْبِيحِ ، فِي يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ ثُمَّ وَضَعَهَا فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ ؛ فَسَبَّحَتْ أَيْضاً . وَيَقُولُ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ فِي طَرِيقِهِ : ثُمَّ وَضَعَهَا فِي يَدِ عُمَرَ ؛ فَسَبَّحَتْ أَيْضاً ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا وَوَضَعَهَا عَلَى الْأَرْضِ ؛ فَسَكَتَتْ ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا أَيْضاً ؛ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ عُثْمَانَ ؛ فَشَرَعَتْ فِي التَّسْبِيحِ أَيْضاً . وَيَقُولُ أَنَسٌ وَأَبُو ذَرٍّ : ثُمَّ وَضَعَهَا فِي أَيْدِينَا ؛ فَسَكَتَتْ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ :﴾ ثَبَتَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ ، وَجَابِرٍ ، وَعَائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ : أَنَّ الْحِجَارَةَ وَالْجِبَالَ كَانَتْ تُسَلِّمُ عَلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَتَقُولُ : اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! . وَيَقُولُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ فِي طَرِيقِهِ : كَانَتِ الْأَشْجَارُ وَالْأَحْجَارُ تُسَلِّمُ عَلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، إِذْ نُلَاقِيهَا فِي سَيْرِنَا مَعاً ، فِي نَوَاحِي مَكَّةَ ، فِي بِدَايَةِ النُّبُوَّةِ ؛ فَتَقُولُ : اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! .

وَيَقُولُ جَابِرٌ فِي طَرِيقِهِ : كَانَتِ الْأَحْجَارُ وَالْأَشْجَارُ تَسْجُدُ ﴿لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ إِذْ لَقِيَهَا ؛ يَعْنِي : أَنَّها كَانَتْ تَنْقَادُ لَهُ ؛ وَتَقُولُ : اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! . وَفِي رِوَايَةٍ لِجَابِرٍ : قَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ﴾ ؛ وَقَالَ الْبَعْضُ : إِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ . . وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي طَرِيقِهَا : قَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جِبْرَائِيلُ بِالرِّسَالَةِ ؛ جَعَلْتُ لَا أَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ ، إِلَّا قَالَ : اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ !﴾ . .

﴿اَلْمِثَالُ الرَّابِعُ :﴾ يُخْبِرُ الرُّوَاةُ عَنِ الْعَبَّاسِ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ جَعَلَ الْعَبَّاسَ وَأَبْنَاءَهُ الْأَرْبَعَةَ عَبْدَ اللهِ وَعُبَيْدَ اللهِ وَالْفَضْلَ وَقُثَمَ ، تَحْتَ سِتَارٍ يُقَالُ لَهُ : الْمُلَاءَةُ ؛ وَسَتَرَهُمْ بِهِ ؛ فَدَعَا بِقَوْلِهِ : ﴿يَا رَبِّ ! هٰذَا عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي ؛ وَهٰؤُلَاءِ بَنُوهُ ؛ فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ ، كَسَتْرِي إِيَّاهُمْ بِمُلَاءَتِي﴾ ؛ فَإِذَا بِسَقْفِ الدَّارِ وَبَابِهَا وَجُدْرَانِهَا اشْتَرَكَتِ الدُّعَاءَ قَائِلَةً آمِينَ آمِينَ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْخَامِسُ :﴾ تَرْوِي الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ مُتَّفِقَةً ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، وَابْنِ حِبَّانَ ، وَأَبِي دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرَةِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ، وَأَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ، وَعُمَرَ الْفَارُوقَ ، وَعُثْمَانَ ذَا النُّورَيْنِ ، صَعَدُوا مَعاً عَلٰى رَأْسِ جَبَلِ أُحُدٍ ؛ فَاهْتَزَّ جَبَلُ أُحُدٍ وَتَحَرَّكَ ، إِمَّا مِنْ مَهَابَتِهِمْ ، أَوْ مِنْ سُرُورِهِ وَفَرَحِهِ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ

الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : «اُثْبُتْ يَا أُحُدُ ! فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ» . فَهٰذَا الْحَدِيثُ إِخْبَارٌ غَيْبِيٌّ بِأَنَّ عُمَرَ وَعُثْمَانَ سَيُسْتَشْهَدَانِ . . وَقَدْ نُقِلَ تَتِمَّةً لِهٰذَا الْمِثَالِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ لَمَّا هَاجَرَ عَنْ مَكَّةَ ؛ وَتَعَقَّبَهُ الْكُفَّارُ ؛ صَعَدَ عَلَى الْجَبَلِ الْمُسَمّٰى بِثَبِيرٍ ؛ فَقَالَ ثَبِيرٌ : اهْبِطُوا عَنِّي يَا رَسُولَ اللهِ ! فَإِنِّي أَخْشٰى أَنْ يُعَذِّبَنِيَ اللهُ ؛ إِذَا قَتَلُوكُمْ عَلَيَّ ؛ فَأَخَافُ لِذٰلِكَ ؛ فَنَادٰى جَبَلُ حِرَاءٍ : «يَا رَسُولَ اللهِ إِلَيَّ» : تَعَالَ إِلَيَّ . فَلِهٰذَا السِّرِّ يَشْعُرُ أَهْلُ الْقَلْبِ بِالْخَوْفِ ، فِي ثَبِيرٍ ؛ وَبِالْأَمْنِ ، فِي حِرَاءٍ . وَيُفْهَمُ مِنْ هٰذَا الْمِثَالِ : أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ الْجَسِيمَةَ ، كُلٌّ مِنْهَا عَبْدٌ مُسْتَقِلٌّ وَمُسَبِّحٌ وَمُوَظَّفٌ ، يَعْرِفُ ﴿النَّبِيَّ ﷺ﴾ وَيُحِبُّهُ ؛ وَلَيْسَ مُهْمَلاً . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّادِسُ :﴾ يَرْوِي الرُّوَاةُ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ : أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ ؛ إِذْ قَرَأَ آيَةَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ؛ وَقَالَ : ﴿إِنَّ الْجَبَّارَ يُعَظِّمُ نَفْسَهُ ؛ وَيَقُولُ : أَنَا الْجَبَّارُ أَنَا الْجَبَّارُ ؛ أَنَا الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ﴾ ؛ فَلَمَّا قَالَ ذٰلِكَ ؛ تَزَلْزَلَ الْمِنْبَرُ وَاضْطَرَبَ وَارْتَجَفَ ، بِحَيْثُ خَشِينَا أَنْ يُسْقِطَ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّابِعُ :﴾ يُخْبِرُ الرُّوَاةُ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، عَنْ حَبْرِ الْأُمَّةِ ، وَتُرْجُمَانِ الْقُرْآنِ ، عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنِ الْخَادِمِ النَّبَوِيِّ ابْنِ مَسْعُودٍ الَّذِي هُوَ مِنْ عِظَامِ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ : أَنَّهُمَا قَالَا : كَانَ فِي الْكَعْبَةِ وَحَوْلَهَا ، يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، سِتُّونَ وَثَلَاثُمِئَةِ صَنَمٍ سُمِّرَتْ فِي الْحِجَارَةِ بِالرَّصَاصِ ؛ فَأَشَارَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ إِلٰى تِلْكَ الْأَصْنَامِ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً ، بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ يُشْبِهُ الْقَوْسَ ؛ فَقَالَ : ﴿جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ ؛ فَإِلٰى أَيَّةٍ مِنْهَا أَشَارَ ؛ خَرَّتْ عَلَى الْأَرْضِ . فَإِنْ أَشَارَ إِلٰى وَجْهِ الصَّنَمِ ؛ سَقَطَتْ لِقَفَاهَا ؛ وَإِنْ أَشَارَ إِلٰى قَفَاهَا ؛ وَقَعَتْ عَلٰى وَجْهِهَا ؛ وَهٰكَذَا تَدَحْرَجَتِ الْأَصْنَامُ

عَلَى الْأَرْضِ..

﴿اَلْمِثَالُ الثَّامِنُ:﴾ هُوَ الْقِصَّةُ الْمَشْهُورَةُ لِبَحِيرَا الرَّاهِبِ الْمَشْهُورِ؛ وَهِيَ: أَنَّ (الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ) كَانَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، يَذْهَبُ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَبَعْضٍ مِنْ قُرَيْشٍ، إِلٰى جَانِبِ الشَّامِ لِلتِّجَارَةِ، وَلَمَّا أَتَوْا إِلٰى قُرْبِ كَنِيسَةِ بَحِيرَا الرَّاهِبِ قَعَدُوا؛ فَإِذَا بِبَحِيرَا الرَّاهِبِ الْمُنْزَوِي الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ؛ خَرَجَ وَأَتٰى؛ فَرَأٰى (مُحَمَّداً الْأَمِينَ ﷺ)؛ وَقَالَ لِلرَّكْبِ: «إِنَّ هٰذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ؛ وَسَيَكُونُ نَبِيّاً؛ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْلَمُ؟ . قَالَ الرَّاهِبُ الْمُبَارَكُ: لَمَّا أَتَيْتُمْ، رَأَيْتُ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ قِطْعَةُ سَحَابٍ فِي الْجَوِّ؛ فَلَمَّا جَلَسْتُمْ؛ مَالَتْ إِلٰى جَانِبِ (مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ) هٰذَا وَأَظَلَّتْهُ؛ وَأَيْضاً رَأَيْتُ كَيْفِيَّةً كَأَنَّ الْأَحْجَارَ وَالْأَشْجَارَ تَسْجُدُ لَهُ؛ وَهٰذَا إِنَّمَا يُفْعَلُ لِلْأَنْبِيَاءِ»..

هٰذَا، وَلَعَلَّهُ يُوجَدُ ثَمَانُونَ مِثَالاً، مِثْلُ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّمَانِيَةِ؛ فَإِذَا جُمِعَتْ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةُ الثَّمَانِيَةُ؛ تَكُونُ سِلْسِلَةً مُحْكَمَةً لَا تَقْطَعُهَا شُبْهَةٌ وَلَا تُزَلْزِلُهَا. وَإِنَّ هٰذَا الْجِنْسَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ – أَيْ تَكَلُّمَ الْجَمَادَاتِ، دَلَالَةً عَلٰى دَعْوَى النُّبُوَّةِ – فِي حُكْمِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ، بِاعْتِبَارِ عُمُومِهِ؛ فَيُفِيدُ الْقَطْعَ وَالْيَقِينَ. وَكُلُّ مِثَالٍ، يَسْتَفِيدُ مِنْ قُوَّةِ الْمَجْمُوعِ، قُوَّةً أَقْوٰى مِنْ قُوَّتِهِ. نَعَمْ: يَتَقَوّٰى عَمُودٌ ضَعِيفٌ، إِذَا تَسَانَدَ إِلٰى أَعْمِدَةٍ قَوِيَّةٍ؛ وَيَتَقَوّٰى رَجُلٌ ضَعِيفٌ بِلَا قُوَّةٍ، إِذَا تَجَنَّدَ وَدَخَلَ سِلْكَ الْجَيْشِ؛ فَيَتَحَدّٰى أَلْفَ رَجُلٍ..

اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:

وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَمْثِلَةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْإِشَارَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ؛ وَلٰكِنَّهَا أَمْثِلَةٌ مُهِمَّةٌ لِلْغَايَةِ..

﴿اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ:﴾ تُخْبِرُ آيَةُ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى﴾ بِنَصِّهَا الْقَاطِعِ، وَبِتَحْقِيقِ جَمِيعِ الْمُفَسِّرِينَ الْمُحَقِّقِينَ، وَبِإِخْبَارِ الْمُحَدِّثِينَ: أَنَّ (الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ

ﷺ) أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ وَالْحَصٰى ، فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ؛ فَرَمَاهَا إِلٰى وَجْهِ جَيْشِ الْكُفَّارِ ؛ وَقَالَ : «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ؛ فَكَمَا وَصَلَ لَفْظُ (شَاهَتِ الْوُجُوهُ) إِلٰى سَمْعِ كُلٍّ مِنْهُمْ ؛ وَهُوَ كَلَامٌ وَاحِدٌ ؛ كَذٰلِكَ وَصَلَتْ تِلْكَ الْقَبْضَةُ ، إِلٰى عَيْنِ كُلِّ كَافِرٍ ؛ فَاشْتَغَلَ كُلٌّ بِعَيْنِهِ ؛ وَانْهَزَمُوا فَجْأَةً ؛ وَقَدْ كَانُوا فِي حَالِ الْهُجُومِ . . وَأَيْضاً يُخْبِرُ أَهْلُ الْحَدِيثِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ : أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَهْجُمُونَ بِشِدَّةٍ ، فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ ؛ كَمَا كَانَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ؛ فَرَمَاهُمْ قَبْضَةَ تُرَابٍ أَيْضاً ، قَائِلاً : «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ؛ فَوَصَلَتْ قَبْضَةُ تُرَابٍ ، إِلٰى وَجْهِ كُلٍّ ، بِإِذْنِ اللهِ ؛ كَمَا دَخَلَتْ كَلِمَةُ (شَاهَتِ الْوُجُوهُ) ، فِي أُذُنِ كُلٍّ ؛ فَاشْتَغَلُوا بِأَعْيُنِهِمْ وَانْهَزَمُوا . .

فَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ الْخَارِقَةُ فِي بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ ، لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي دَائِرَةِ الْأَسْبَابِ الْعَادِيَّةِ ، وَالْقُدْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمٰى﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّ تِلْكَ الْحَادِثَةَ خَارِجَةٌ عَنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ ؛ وَلَيْسَتْ بِالْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ بَلْ وَقَعَتْ بِالْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِشَكْلٍ يَفُوقُ الْعَادَةَ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِي :﴾ تُخْبِرُ كُتُبُ الْحَدِيثِ الصَّحِيحَةُ ؛ وَفِي مُقَدَّمَتِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ : أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً حَنَذَتْ مَاعِزاً وَشَوَتْهُ ؛ فَسَمَّتْهُ بِسُمٍّ مُؤَثِّرٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَأَرْسَلَتْهُ إِلَى (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ) ؛ فَبَدَأَ الْأَصْحَابُ بِالْأَكْلِ ؛ فَقَالَ فَجْأَةً : «اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ، إِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» ؛ يَعْنِي : تَقُولُ لِيَ الشَّاةُ الْمَشْوِيَّةُ : إِنِّي مَسْمُومَةٌ ؛ هٰكَذَا أَخْبَرَتْنِي . فَكَفَّ كُلٌّ يَدَهُ عَنْهَا ؛ وَلٰكِنْ مَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ ، عَنْ تَأْثِيرِ ذٰلِكَ السُّمِّ الشَّدِيدِ ، بِلُقْمَةٍ الْتَقَمَهَا ؛ فَدَعَا (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) تِلْكَ الْمَرْأَةَ الْمُسَمَّاةَ بِزَيْنَبَ ؛ وَقَالَ لَهَا : لِمَاذَا صَنَعْتِ هٰكَذَا ؟ فَقَالَتْ تِلْكَ الْمَنْحُوسَةُ : إِنْ كُنْتَ نَبِيّاً لَمْ يَضُرَّكَ ؛ وَإِنْ كُنْتَ مَلِكاً أُنْقِذُ مِنْكَ النَّاسَ ؛ فَلِذٰلِكَ صَنَعْتُهُ . وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتٍ : أَنَّهُ لَمْ يَقْتَصَّهَا ؛ وَفِي بَعْضِ الطُّرُقِ : أَنَّهُ اقْتَصَّهَا . وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ : إِنَّهُ لَمْ يَقْتَصَّهَا هُوَ نَفْسُهُ ؛ بَلْ سَلَّمَهَا إِلٰى وَرَثَةِ

بِشْرٍ ؛ فَقَتَلُوهَا . .

فَاسْتَمِعْ إِلٰى بَعْضِ نِقَاطٍ تَدُلُّ عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ فِي هٰذِهِ الْوَاقِعَةِ الْعَجِيبَةِ . .

اَلْأُولٰى : جَاءَ فِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَهُ ذِرَاعُ ذٰلِكَ الْمَاعِزِ ؛ سَمِعَهُ بَعْضُ الْأَصْحَابِ . .

اَلثَّانِيَةُ : جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أَيْضاً : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ قَالَ بَعْدَمَا أَخْبَرَهُمْ : قُولُوا : «بِسْمِ اللهِ» ؛ ثُمَّ كُلُوا ؛ فَإِنَّ السُّمَّ لَنْ يُؤَثِّرَ بَعْدُ . وَهٰذِهِ الرِّوَايَاتُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ ؛ إِلَّا أَنَّ غَيْرَهُ قَبِلُوهَا . .

اَلثَّالِثَةُ : لَمَّا فَعَلَ الْيَهُودُ الدَّسَّاسَةُ تِلْكَ الْمُؤَامَرَةَ ؛ وَأَرَادُوا أَنْ يُنْزِلُوا ضَرْبَةَ لَازِبٍ ، بِـ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَالصَّحَابَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، دَفْعَةً ؛ انْكَشَفَتِ الْحَادِثَةُ ؛ وَعَقِمَتِ الدَّسِيسَةُ فَجْأَةً ؛ كَأَنَّهُ أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الْغَيْبِ ؛ وَصَدَقَتِ الْوَاقِعَةُ الَّتِي أَفَادَهَا ذٰلِكَ الْإِخْبَارُ ؛ وَقَالَ ﴿النَّبِيُّ ﷺ﴾ الَّذِي لَمْ يُرَ مِنْهُ خَبَرٌ مُخَالِفٌ ، فِي نَظَرِ أَصْحَابِهِ فِي وَقْتٍ مَّا : إِنَّ ذِرَاعَ هٰذَا الْمَاعِزِ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ ؛ فَحَصَلَ لَهُمْ قَنَاعَةٌ قَاطِعَةٌ ؛ كَأَنَّ كُلّاً مِنْهُمْ سَمِعَ بِأُذُنِهِ ذٰلِكَ الْقَوْلَ ، مِنَ الْمَاعِزِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ :﴾ مُعْجِزَةٌ أَحْمَدِيَّةٌ وَقَعَتْ فِي ثَلَاثَةِ أَحْدَاثٍ ؛ وَهِيَ نَظِيرَةُ مُعْجِزَةِ عَصَا مُوسٰى (عليه السلام) وَيَدِهِ الْبَيْضَاءِ . .

اَلْأُولٰى : أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؛ وَصَحَّحَهُ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ، أَعْطٰى قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ ، عَصًا فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ مُمْطِرَةٍ ؛ وَقَالَ : إِنَّهَا سَتُضِيءُ لَكَ كَالسِّرَاجِ ، عَشَرَةَ أَذْرُعٍ ، فِي كُلِّ جِهَةٍ . وَإِذَا وَصَلْتَ إِلٰى بَيْتِكَ ؛ تَرٰى ظِلّاً أَسْوَدَ لِشَخْصٍ ؛ وَهُوَ شَيْطَانٌ ؛ فَأَخْرِجْهُ عَنْ بَيْتِكَ وَاطْرُدْهُ . فَأَخَذَ قَتَادَةُ الْعَصَا وَذَهَبَ ؛ فَأَضَاءَتْ ؛ وَوَصَلَ إِلٰى دَارِهِ ؛ فَرَأٰى ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْأَسْوَدَ ؛ وَطَرَدَهُ . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّهُ انْكَسَرَ سَيْفُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيِّ ؛ وَهُوَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى الَّتِي هِيَ مَنْبَعٌ لِلْغَرَائِبِ ؛ فَأَعْطَاهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، عَصًا غَلِيظَةً ، عَنْ سَيْفِهِ ؛ فَقَالَ : حَارِبْ بِهٰذِهِ . فَإِذَا بِالْعَصَا صَارَتْ سَيْفاً أَبْيَضَ طَوِيلاً ، بِإِذْنِ اللهِ ؛ فَحَارَبَ بِهِ ؛ وَكَانَ يَحْمِلُهُ فِي عَاتِقِهِ ، مَدٰى حَيَاتِهِ ، إِلٰى أَنِ اسْتُشْهِدَ فِي حَرْبِ الْيَمَامَةِ . وَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ قَطْعِيَّةٌ ؛ لِأَنَّ عُكَّاشَةَ افْتَخَرَ بِهِ فِي جَمِيعِ حَيَاتِهِ ؛ وَاشْتَهَرَ ذٰلِكَ السَّيْفُ بِاسْمِ «الْعَوْنِ» . فَافْتِخَارُ عُكَّاشَةَ بِهِ ، وَاشْتِهَارُ سَيْفِهِ بِاسْمِ الْعَوْنِ ، فَوْقَ السُّيُوفِ ، حُجَّتَانِ لِهٰذِهِ الْحَادِثَةِ . .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ عَلّامَةً مِنْ عُلَمَاءِ الْعَصْرِ ، مِثْلَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ، يَنْقُلُ عَنْ كِبَارِ الْمُحَقِّقِينَ ؛ وَيُصَحِّحُهُ : أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْجَحْشِ ابْنَ خَالَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ انْكَسَرَ سَيْفُهُ وَهُوَ يُقَاتِلُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ ؛ فَأَعْطَاهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ عَصًا ؛ فَصَارَتْ فِي يَدِهِ سَيْفاً ؛ فَحَارَبَ بِهِ ؛ وَبَقِيَ ذٰلِكَ السَّيْفُ الَّذِي هُوَ أَثَرُ الْمُعْجِزَةِ . وَيَرْوِي ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ الْمَشْهُورُ ، فِي سِيَرِهِ : أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْجَحْشِ بَاعَ ذٰلِكَ السَّيْفَ ، رَجُلاً يُقَالُ لَهُ بُغَا التُّرْكِيُّ ، بِمِئَتَيْ دِينَارٍ . . فَهٰذَانِ السَّيْفَانِ مُعْجِزَتَانِ كَعَصَا مُوسٰى (عليه السلام) ؛ وَلٰكِنَّ عَصَا مُوسٰى لَمْ يَبْقَ وَجْهُ إِعْجَازِهَا ، بَعْدَ وَفَاةِ مُوسٰى (عليه السلام) ؛ وَلٰكِنَّ هٰذَيْنِ دَامَا . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ :

إِنَّ نَوْعاً مُتَوَاتِراً كَثِيرَ الْأَمْثِلَةِ جِدّاً ، مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، هُوَ شِفَاءُ الْمَرْضٰى وَالْجَرْحٰى ، بِنَفَسِهِ الْمُبَارَكِ . وَهٰذَا النَّوْعُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، مُتَوَاتِرٌ مَعْنَوِيٌّ بِاعْتِبَارِ نَوْعِهِ . وَمِنْ جُزْئِيَّاتِهِ مَا هُوَ فِي حُكْمِ الْمُتَوَاتِرِ الْمَعْنَوِيِّ أَيْضاً . وَالْقِسْمُ الْآخَرُ ، وَإِنْ كَانَ آحَادِيّاً ، إِلّا أَنَّهُ يُورِثُ قَنَاعَةً عِلْمِيَّةً ؛ لِأَنَّ الْمُدَقِّقِينَ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، صَحَّحُوهُ وَخَرَّجُوهُ . وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ أَمْثِلَتِهِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ :﴾ يَرْوِي عَلّامَةُ الْمَغْرِبِ الْقَاضِي عِيَاضٌ ، فِي شِفَائِهِ الشَّرِيفِ ،

بِسَنَدٍ عَالٍ ، وَبِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ : أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي الْوَقَّاصِ ، مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرَةِ ، وَخَادِمَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ وَقَائِدَهُ ، وَرَئِيسَ أَرْكَانِ جَيْشِ الْإِسْلَامِ ، وَفَاتِحَ إِيرَانَ ، فِي عَهْدِ سَيِّدِنَا عُمَرَ (رضي الله عنه) ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ ؛ فَرَمَى السِّهَامَ إِلَى الْكُفَّارِ ذٰلِكَ الْيَوْمَ ، إِلَى أَنِ انْكَسَرَ قَوْسُهُ ؛ ثُمَّ كَانَ يُعْطِينِي السِّهَامَ ؛ وَيَقُولُ : اِرْمِ ؛ وَكَانَ يُعْطِينِي سِهَاماً لَا نَصْلَ لَهَا ؛ يَعْنِي : لَا رِيشَةَ لَهَا ؛ فَيَأْمُرُنِي أَنِ ارْمِ ؛ فَأَرْمِيهَا ؛ فَكَانَتْ تَطِيرُ كَالسِّهَامِ الْمَرِيشَةِ ؛ وَتَثْبُتُ فِي جَسَدِ الْكُفَّارِ . وَكُنَّا فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ، فَأَصَابَ سَهْمٌ ، عَيْنَ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ؛ وَأَخْرَجَ عَيْنَهُ ؛ وَنَزَلَتْ حَدَقَةُ عَيْنِهِ ، عَلٰى خَدِّهِ . فَأَخَذَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ عَيْنَهُ ، بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ الشَّافِيَةِ ؛ وَثَبَّتَهَا فِي مَكَانِهَا الْقَدِيمِ ؛ فَشُفِيَتْ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ؛ وَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ . وَقَدِ اشْتَهَرَتْ هٰذِهِ الْحَادِثَةُ كَثِيراً ؛ حَتّٰى إِنَّ أَحَدَ أَحْفَادِ قَتَادَةَ ، لَمَّا أَتٰى إِلٰى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ عَرَّفَ نَفْسَهُ لِعُمَرَ ، بِصُورَةِ النَّظْمِ ؛ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَالَتْ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ ❁ فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفٰى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَـادَتْ كَمَا كَانَـتْ لِأَوَّلِ أَمْـرِهَا ❁ فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنٍ ، وَيَا حُسْنَ مَا رَدِّ

وَرُوِيَ أَيْضاً بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ سَهْماً أَصَابَ وَجْهَ أَبِي قَتَادَةَ الْمَشْهُورِ ، وَجْهَهُ الْمُبَارَكَ ، فِي الْغَزْوَةِ الْمُسَمَّاةِ بِيَوْمِ ذِي قَرَدٍ ؛ فَمَسَحَهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : لَمْ أَرَ أَلَمَهُ وَلَا جُرْحَهُ قَطْعاً وَأَصْلاً . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِي :﴾ تُخْبِرُ الْكُتُبُ الصَّحِيحَةُ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ نَصَبَ عَلِيّاً الْحَيْدَرَ ، حَامِلَ الرَّايَةِ ، فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ ؛ وَقَدْ كَانَتْ عَيْنَاهُ تَوْجَعَانِ كَثِيراً عَنِ الرَّمَدِ ؛ فَلَمَّا مَسَحَهُمَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، بِرِيقِهِ الشَّبِيهِ بِالتِّرْيَاقِ ؛ شُفِيَتَا فِي عَيْنِ الدَّقِيقَةِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الرَّمَدِ ؛ فَقَلَعَ صَبَاحاً بَابَ قَلْعَةِ خَيْبَرَ ، الثَّقِيلَ جِدّاً ؛ وَكَانَ مِنْ حَدِيدٍ ؛ وَأَخَذَهُ بِيَدِهِ كَالتُّرْسِ ؛

وَفَتح قَلْعَةَ خَيْبَرَ . وَفِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ أَيْضاً أَصاب سَيْفٌ ، سَاق سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ؛ فَانْشَقَّتْ ؛ فَنَفَثَ عَلَيْهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ فَشُفِيَتْ رِجْلُهُ دَفْعَةً . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ :﴾ يَرْوِي أَصْحَابُ السِّيَرِ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ النَّسَائِيُّ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ : أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ أَعْمَى ، إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، فَقَالَ : اُدْعُ لِكَشْفِ بَصَرِي ؛ فَقَالَ لَهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿فَانْطَلِقْ وَتَوَضَّأْ ؛ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ؛ وَقُلْ : اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّي مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ؛ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ ، أَنْ يَكْشِفَ عَنْ بَصَرِي ؛ اَللّٰهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ﴾ ؛ فَانْطَلَقَ وَفَعَلَ كَذٰلِكَ ؛ فَجَاءَ وَقَدْ كُشِفَ عَنْ بَصَرِهِ ؛ وَرَأَيْنَاهُ يَرَى جَيِّداً . .

﴿اَلْمِثَالُ الرَّابِعُ :﴾ يَرْوِي ابْنُ وَهْبٍ ؛ وَهُوَ إِمَامٌ جَلِيلٌ : أَنَّ الْمُعَوِّذَ بْنَ عَفْرَاءَ الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ مِنْ شُهَدَاءِ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ ، كَانَ يُقَاتِلُ أَبَا جَهْلٍ اللَّعِينَ ؛ فَقَطَعَ إِحْدٰى يَدَيْ ذٰلِكَ الْبَطَلِ ؛ فَأَخَذَ يَدَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرٰى ؛ وَجَاءَ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَأَلْصَقَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، يَدَهُ بِمَكَانِهَا أَيْضاً ؛ وَمَسَحَهَا بِرِيقِهِ ؛ فَشُفِيَتْ دَفْعَةً ؛ فَسَارَ إِلَى الْقِتَالِ ؛ وَقَاتَلَ إِلٰى أَنِ اسْتُشْهِدَ . . وَيَرْوِي الْإِمَامُ الْجَلِيلُ ابْنُ وَهْبٍ أَيْضاً : أَنَّهُ ضُرِبَ بِسَيْفٍ عَلٰى كَتِفِ خُبَيْبِ بْنِ يَسَافٍ ، فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ؛ وَفُتِحَ فِيهِ جُرْحٌ هَائِلٌ ؛ كَأَنَّهُ انْقَطَعَ شِقٌّ مِنْهُ ؛ فَأَلْصَقَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِيَدِهِ ، عَضُدَهُ إِلٰى كَتِفِهِ ؛ وَنَفَثَ فِيهِ فَشُفِيَ . .

فَهَاتَانِ الْحَادِثَتَانِ ، وَإِنْ كَانَتَا آحَادِيَّةً ، وَمِنْ خَبَرِ الْوَاحِدِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا صَحَّحَهُمَا إِمَامٌ مِثْلُ ابْنِ وَهْبٍ ؛ وَكَانَتَا فِي غَزْوَةٍ مَنْبَعِ مُعْجِزَاتٍ ، مِثْلِ غَزْوَةِ بَدْرٍ ؛ وَوُجِدَتْ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ تُذَكِّرُ هَاتَيْنِ الْحَادِثَتَيْنِ ؛ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ الْحَادِثَتَيْنِ قَاطِعَتَانِ وَوَاقِعَتَانِ بِلَا شَكٍّ . . فَهٰكَذَا لَعَلَّهُ يُوجَدُ أَلْفُ مِثَالٍ ثَبَتَ بِأَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ : أَنَّ يَدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ الْمُبَارَكَةَ صَارَتْ شِفَاءً لَهَا . .

وَلِهٰذَا الْجُزْءِ جَدَارَةٌ أَنْ يُكْتَبَ بِالذَّهَبِ وَالْمَاسِ :

﴿نَعَمْ :﴾ إنَّ مَا مَضَى بَحْثُهُ سَابِقاً ، مِنْ أَنَّهُ ذَكَرَتِ الْحَصٰى وَسَبَّحَتْ فِي كَفِّهِ ؛ وَهَزَمَتِ الْحَصٰى وَالتُّرَابُ ، الأَعْدَاءَ ، فِي حُكْمِ الْمِدْفَعِ وَالْقَذِيفَةِ ، فِي عَيْنِ كَفِّهِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ؛ وَشَقَّ الْقَمَرَ بِإِصْبَعِ عَيْنِ كَفِّهِ ، بِنَصِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ؛ وَنَبَعَ الْمَاءُ مِنْ عَشَرَةِ أَصَابِعِ عَيْنِ الْيَدِ ، كَالْعَيْنِ ؛ وَسَقَاهُ جَيْشاً ؛ وَصَارَتْ عَيْنُ الْيَدِ ، شِفَاءً لِلْمَرْضٰى وَالْجَرْحٰى ، يَدُلُّ قَطْعاً عَلٰى أَنَّ تِلْكَ الْيَدَ الْمُبَارَكَةَ ، مُعْجِزَةٌ خَارِقَةٌ ، لِلْقُدْرَةِ الإِلٰهِيَّةِ ؛ فَكَأَنَّ كَفَّ تِلْكَ الْيَدِ ، دَارُ ذِكْرٍ سُبْحَانِيَّةٌ صَغِيرَةٌ ، بَيْنَ الأَحْبَابِ ؛ لَوْ دَخَلَهَا الْحَصٰى ؛ لَذَكَرَتْ وَسَبَّحَتْ أَيْضاً ، وَمَسْلَحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ صُغْرٰى ، لِلأَعْدَاءِ ؛ لَوْ وَقَعَ فِيهَا الْحَجَرُ وَالتُّرَابُ ؛ لَصَارَ قَذِيفَةً وَقُنْبُلَةً ، وَصَيْدَلِيَّةٌ رَحْمَانِيَّةٌ صُغْرٰى ، لِلْجَرْحٰى وَالْمَرْضٰى ، لَوْ مَسَّتْ أَيَّ دَاءٍ ؛ لَكَانَتْ دَوَاءً لَهُ ؛ وَإِذَا قَامَتْ بِجَلاَلٍ ؛ تَشُقُّ الْقَمَرَ ؛ وَتَجْعَلُهُ عَلٰى شَكْلِ قَابِ قَوْسَيْنِ ؛ وَإِذَا عَادَتْ بِجَمَالٍ ؛ تَصِيرُ فِي حُكْمِ عَيْنِ رَحْمَةٍ ، ذَاتِ عَشْرِ قَنَوَاتٍ ؛ تُفَجِّرُ مَاءَ الْكَوْثَرِ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِذَا صَارَتْ يَدٌ وَاحِدَةٌ مِنْ يَدَيْ إِنْسَانٍ كَرِيمٍ هٰكَذَا ، مَظْهَراً وَمَدَاراً لِمُعْجِزَاتٍ عَجِيبَةٍ كَذٰلِكَ ؛ أَفَلاَ يُعْلَمُ بِدَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، أَنَّ ذٰلِكَ الْكَرِيمَ ، مَقْبُولٌ لَدٰى خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، وَصَادِقٌ فِي دَعْوَاهُ ؛ وَأَنَّ مَنْ بَايَعَ تِلْكَ الْيَدَ ، يَكُونُ سَعِيداً ؟.

سُؤَالٌ : يُقَالُ إِنَّكَ تَقُولُ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ : إِنَّهَا مُتَوَاتِرَةٌ ؛ مَعَ أَنَّنَا نَسْمَعُ أَكْثَرَهَا ، مِنْ جَدِيدٍ . فَمَا يَكُونُ مُتَوَاتِراً ؛ لا يَبْقَى هٰكَذَا مَخْفِيّاً . .

اَلْجَوَابُ : يُوجَدُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ ، أُمُورٌ كَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ وَبَدِيهِيَّةٌ ؛ وَهِيَ مَجْهُولَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ . وَعِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، مُتَوَاتِرَاتٌ كَثِيرَةٌ أَيْضاً ؛ قَدْ لَا تَكُونُ آحَادِيَّةً عِنْدَ الْآخَرِينَ . وَهٰكَذَا يُبَيِّنُ مُتَخَصِّصُ كُلِّ فَنٍّ ، بَدِيهِيَّاتِهِ وَنَظَرِيَّاتِهِ حَسَبَ ذٰلِكَ الْفَنِّ . . وَأَمَّا عُمُومُ النَّاسِ ، فَإِنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى أَهْلِ ذٰلِكَ الْفَنِّ ؛ وَيُسَلِّمُونَ لَهُمْ ؛ أَوْ يَدْخُلُونَ بَيْنَهُمْ ؛ فَيَرَوْنَ مَا لَدَيْهِمْ . **وَالْآنَ أَنَّ مَا أَخْبَرْنَاهَا مِنَ الْوَاقِعَاتِ الْمُتَوَاتِرَةِ حَقِيقِيّاً أَوْ مَعْنَوِيّاً ، أَوِ الْمُفِيدَةِ لِلْقَطْعِ فِي حُكْمِ التَّوَاتُرِ ، قَدْ أَظْهَرَتْ حُكْمَهَا كَذٰلِكَ ، بَيْنَ رِجَالِ الْحَدِيثِ ، وَأَهْلِ الشَّرِيعَةِ ، وَعُلَمَاءِ الْأُصُولِ ، وَأَكْثَرِ طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ** . فَإِذَا لَمْ يَعْلَمْهَا الْعَوَامُّ الْغَافِلُونَ ، أَوِ الْجُهَلَاءُ الْغَامِضُونَ لِعُيُونِهِمْ ؛ فَالْمَلَامُ عَلَيْهِمْ . .

﴿ **اَلْمِثَالُ الْخَامِسُ** : ﴾ يَرْوِي الْإِمَامُ **الْبَغَوِيُّ** ، بِتَخْرِيجِهِ وَتَصْحِيحِهِ : **أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحَكَمِ** انْكَسَرَتْ رِجْلُهُ بِضَرْبَةِ الْكُفَّارِ ، فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ؛ فَمَسَحَهَا **﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؛ فَشُفِيَتْ فِي لَحْظَتِهَا ، بِحَيْثُ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ فَرَسِهِ** . .

﴿ **اَلْمِثَالُ السَّادِسُ** : ﴾ يَرْوِي أَهْلُ الْحَدِيثِ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْإِمَامُ **الْبَيْهَقِيُّ** : أَنَّ **الْإِمَامَ عَلِيّاً** كَانَ مَرِيضاً لِلْغَايَةِ ؛ فَكَانَ يَدْعُو هُوَ لِنَفْسِهِ ؛ وَيَئِنُّ مِنْ أَلَمِهِ ؛ فَجَاءَ **﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؛ وَقَالَ : «اَللّٰهُمَّ اشْفِهِ» ؛ وَطَعَنَ عَلِيّاً بِرِجْلِهِ ؛ وَقَالَ : قُمْ ؛ فَشُفِيَ دَفْعَةً . وَيَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ : فَلَمْ أَرَ ذٰلِكَ الْمَرَضَ ، بَعْدَهُ قَطُّ** . .

﴿ **اَلْمِثَالُ السَّابِعُ** : ﴾ هُوَ الْقِصَّةُ الْمَشْهُورَةُ ، **لِشُرَحْبِيلَ الْجُعْفِيِّ** ؛ فَكَانَ فِي كَفِّهِ غُدَّةٌ مِنَ اللَّحْمِ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى سَيْفِهِ وَلِجَامِ فَرَسِهِ ؛ **فَمَسَحَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ تِلْكَ الْغُدَّةَ ؛ وَدَلَّكَهَا بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا أَثَرٌ** . .

﴿ **اَلْمِثَالُ الثَّامِنُ** : ﴾ أَنَّ سِتَّةَ أَطْفَالٍ ، أَصْبَحَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَظْهَراً لِمُعْجِزَةٍ أَحْمَدِيَّةٍ أُخْرَى . .

اَلْأَوَّلُ : يَرْوِي الْمُحَقِّقُ الْكَامِلُ وَالْمُحَدِّثُ الْمُشْتَهِرُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ بِصَبِيٍّ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَكَانَ بِهِ دَاءٌ ؛ فَلَا يَتَكَلَّمُ ؛ وَكَانَ أَبْلَهَ ؛ فَمَضْمَضَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِمَاءٍ ؛ وَغَسَلَ بِهِ يَدَهُ ؛ وَأَعْطَاهَا ذٰلِكَ الْمَاءَ ؛ وَأَمَرَهَا أَنْ تَسْقِيَهُ الصَّبِيَّ ؛ فَبَعْدَمَا شَرِبَ الصَّبِيُّ مِنْ ذٰلِكَ الْمَاءِ ؛ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَرَضِهِ وَبَلَائِهِ شَيْءٌ ؛ وَصَارَ ذَا عَقْلٍ وَكَمَالٍ ، فَاقَ عُقَلَاءَ النَّاسِ . .

اَلثَّانِي : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : جِيءَ بِوَلَدٍ مَجْنُونٍ ، إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَوَضَعَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ عَلَى صَدْرِهِ ؛ فَإِذَا بِالْوَلَدِ قَاءَ ؛ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ شَيْءٌ أَسْوَدُ ، بِقَدَرِ قِثَّاءٍ صَغِيرٍ ؛ فَشُفِيَ وَذَهَبَ . .

اَلثَّالِثُ : يُخْبِرُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ الْقِدْرَ الَّتِي كَانَتْ تَغْلِي ، انْصَبَّتْ عَلَى ذِرَاعِ صَبِيٍّ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ ؛ فَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ ذِرَاعِهِ ؛ فَمَسَحَهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِرِيقِهِ ؛ فَبَرِئَتْ فِي دَقِيقَتِهَا . .

اَلرَّابِعُ : أَنَّ وَلَداً كَبِيراً قَدْ كَبُرَ ؛ وَلٰكِنَّهُ أَخْرَسُ ؛ جَاءَ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ . فَقَالَ لِلْوَلَدِ : مَنْ أَنَا ؟ فَقَالَ الْوَلَدُ الْأَخْرَسُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ : «أَنْتَ رَسُولُ اللهِ» ؛ فَبَدَأَ بِالتَّكَلُّمِ . .

اَلصَّبِيُّ الْخَامِسُ : أَخْبَرَ إِمَامُ الْعَصْرِ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ ، الْمُشَرَّفُ بِصُحْبَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، بِشَكْلٍ مُتَكَرِّرٍ ، فِي عَالَمِ الْيَقَظَةِ ؛ أَخْبَرَ بِالتَّخْرِيجِ وَالتَّصْحِيحِ : أَنَّ فَاضِلاً مَشْهُوراً بِاسْمِ مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ ، جَاؤُوا بِهِ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، أَوَّلَ مَا وُلِدَ ؛ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ فَبَدَأَ الصَّبِيُّ بِالتَّكَلُّمِ ؛ وَقَالَ : «أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ» ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : «بَارَكَ اللهُ» . ثُمَّ لَمْ يَتَكَلَّمِ الصَّبِيُّ إِلَى أَنْ كَبُرَ ؛ فَاشْتَهَرَ ذٰلِكَ الصَّبِيُّ ، بِاسْمِ مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ ؛ لِأَنَّهُ صَارَ مَظْهَراً لِهٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَلِلدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ بِقَوْلِهِ : «بَارَكَ اللهُ» . .

اَلصَّبِيُّ السَّادِسُ : بَيْنَمَا كَانَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ يُصَلِّي ؛ قَطَعَ صَبِيٌّ تَعِسٌ ، صَلَاتَهُ ؛ وَمَضَى ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿اَللّٰهُمَّ اقْطَعْ أَثَرَهُ﴾ ؛ فَلَنْ يَمْشِيَ الصَّبِيُّ بَعْدَهُ ؛ وَبَقِيَ كَذٰلِكَ ؛ فَوَجَدَ جَزَاءَ شَقَائِهِ . .

اَلصَّبِيُّ السَّابِعُ : بَيْنَمَا كَانَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ؛ طَلَبَتْ مِنْهُ اللُّقْمَةَ ، امْرَأَةٌ مَاجِنَةٌ فِي طَبِيعَةِ الصِّبْيَانِ ؛ فَأَعْطَاهَا ؛ فَقَالَتْ لَا ؛ إِنِّي أَطْلُبُ مَا فِي فَمِكَ ؛ فَأَعْطَاهَا ذٰلِكَ أَيْضاً . وَبَعْدَمَا أَكَلَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْمَاجِنَةُ لِلْغَايَةِ ، تِلْكَ اللُّقْمَةَ ؛ صَارَتْ ذَاتَ حَيَاءٍ وَأَشَدَّهَا ، فَوْقَ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ . .

فَهٰكَذَا يُوجَدُ لِهٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ ، ثَمَانِيمِئَةِ مِثَالٍ ، لَا ثَمَانُونَ مِثَالاً ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّمَانِيَةِ ؛ وَقَدْ بُيِّنَ أَكْثَرُهَا فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالْأَحَادِيثِ . نَعَمْ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ، إِذَا كَانَتْ يَدُهُ الْمُبَارَكَةُ ، كَصَيْدَلِيَّةِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ ؛ وَرِيقُهُ عَيْنَ مَاءِ الْحَيَاةِ لِلْخِضْرِ ؛ وَنَفَسُهُ مُغِيثاً وَشَافِياً ، كَنَفَسِ عِيسَى (عليه السلام) ؛ وَابْتُلِيَ نَوْعُ الْبَشَرِ ، بِمَصَائِبَ وَبَلَايَا كَثِيرَةٍ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ وَقَعَتْ مُطَالَبَاتٌ بِلَا حَدٍّ ، إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَجَاءَتِ الْمَرْضَى وَالْمَجَانِينُ وَالصِّبْيَانُ بِكَثْرَةٍ بَالِغَةٍ ؛ وَشُفُوا كُلُّهُمْ وَذَهَبُوا . . حَتَّى إِنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْيَمَانِيَّ الْمُلَقَّبَ بِالطَّاوُوسِ الَّذِي كَانَ مِنْ أَعَاظِمِ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ ؛ وَاجْتَمَعَ بِكَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ وَصَلَّى الصُّبْحَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ ، أَرْبَعِينَ عَاماً ؛ وَحَجَّ أَرْبَعِينَ مَرَّةً ؛ يُخْبِرُ وَيَحْكُمُ قَطْعاً ؛ وَقَالَ : مَا مِنْ مَجْنُونٍ أَتَى إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَوَضَعَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ؛ إِلَّا وَقَدْ شُفِيَ قَطْعاً ؛ وَلَمْ يَبْقَ مَنْ لَمْ يُشْفَ . . فَإِذَا حَكَمَ إِمَامٌ مِثْلُ هٰذَا ، أَدْرَكَ عَصْرَ السَّعَادَةِ ، حُكْماً كُلِّيّاً قَاطِعاً كَهٰذَا الْحُكْمِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مَا مِنْ مَرِيضٍ أَتَاهُ ، إِلَّا وَقَدْ شُفِيَ . وَإِذَا شُفِيَ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ تَقَعُ آلَافُ مُطَالَبَةٍ . .

اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ :

إِنَّ نَوْعاً عَظِيماً ، مِنْ أَنْوَاعِ مُعْجِزَاتِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، الْخَوَارِقُ الَّتِي ظَهَرَتْ بِدُعَائِهِ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذَا النَّوْعَ مُتَوَاتِرٌ قَطْعِيٌّ وَحَقِيقِيٌّ ؛ وَلَهُ جُزْئِيَّاتٌ وَأَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصٰى ؛ وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمْثِلَةِ ، بَلَغَ إِلٰى دَرَجَةِ الْمُتَوَاتِرِ ؛ بَلِ اشْتَهَرَ قَرِيباً مِنَ التَّوَاتُرِ . وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ أَئِمَّةٌ بِحَيْثُ يُفِيدُ الْقَطْعَ كَالْمَشْهُورِ وَالْمُتَوَاتِرِ . وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، بَعْضَ أَمْثِلَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ التَّوَاتُرِ ، وَمُنْتَشِرَةٍ فِي دَرَجَةِ الْمَشْهُورِ ، عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ ؛ وَنَذْكُرُ فِي كُلِّ مِثَالٍ مِنْهَا ، عِدَّةَ جُزْئِيَّاتٍ مِنْهُ . .

﴿اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ :﴾ نَقَلَ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ ، وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ : أَنَّ دُعَاءَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ لِلِاسْتِسْقَاءِ ، كَانَ يُقْبَلُ دَائِماً بِسُرْعَةٍ ، وَمَرَّاتٍ كَثِيرَةً فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ أَحْيَاناً رَفَعَ يَدَيْهِ لِدُعَاءِ الِاسْتِسْقَاءِ ، عَلَى الْمِنْبَرِ الشَّرِيفِ ؛ فَأُمْطِرَ قَبْلَ أَنْ يَضَعَ يَدَيْهِ . وَحِينَمَا عَطِشَ الْجَيْشُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، كَانَ يَأْتِي السَّحَابُ ؛ وَيَسْقِيهِمْ كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقاً ؛ حَتّٰى إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ جَدَّ النَّبِيِّ ، كَانَ يَسِيرُ لِدُعَاءِ الِاسْتِسْقَاءِ بِتَوَسُّلِ وَجْهِهِ ، قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، فِي صِبَا ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَكَانَ يَنْزِلُ الْمَطَرُ ، بِحُرْمَةِ وَجْهِهِ ؛ وَقَدِ اشْتَهَرَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةُ ، بِشِعْرٍ مِنْ أَشْعَارِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَأَيْضاً كَانَ عُمَرُ يَتَوَسَّلُ بِالْعَبَّاسِ ، بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ؛ فَيَقُولُ : اَللّٰهُمَّ ! إِنَّ هٰذَا عَمُّ حَبِيبِكَ ؛ فَاسْقِنَا بِحُرْمَةِ وَجْهِهِ ؛ فَيَنْزِلُ الْمَطَرُ . وَأَيْضاً رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ : أَنَّهُ سُئِلَ الدُّعَاءَ لِلِاسْتِسْقَاءِ ؛ فَدَعَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَنَزَلَ الْمَطَرُ بِحَيْثُ اضْطُرُّوا ؛ فَقَالُوا : الْأَمَانَ ! ادْعُ أَنْ يَنْقَطِعَ الْمَطَرُ ؛ فَدَعَا وَانْقَطَعَ دَفْعَةً . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِي :﴾ اشْتَهَرَ قَرِيباً مِنَ التَّوَاتُرِ : أَنَّهُ كَانَ الصَّحَابَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، لَمْ يَصِلُوا إِلٰى حَدِّ الْأَرْبَعِينَ ؛ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ سِرّاً ؛ فَدَعَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَقَالَ : ﴿اَللّٰهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَوْ بِعَمْرِو بْنِ الْهِشَامِ﴾ ؛ وَبَعْدَ يَوْمٍ أَوْ

يَوْمَيْنِ ، اهْتَدٰى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، إِلَى الْإِيمَانِ ؛ وَصَارَ وَسِيلَةً لِإِعْلَانِ الْإِسْلَامِ وَإِعْزَازِهِ ؛ فَاتَّخَذَ الْعُنْوَانَ الْعَالِيَ ؛ وَهُوَ الْفَارُوقُ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ :﴾ أَنَّهُ دَعَا لِبَعْضِ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ ، لِمَقَاصِدَ شَتّٰى ؛ فَتُقُبِّلَ دُعَاؤُهُ ، بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ ، بِحَيْثُ بَلَغَتْ تِلْكَ الْكَرَامَةُ الدُّعَائِيَّةُ ، إِلٰى دَرَجَةِ الْمُعْجِزَةِ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ الرُّوَاةَ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، يُخْبِرُونَ : أَنَّهُ دَعَا لِابْنِ عَبَّاسٍ هٰكَذَا : ﴿اَللّٰهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ؛ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ﴾ ؛ فَتُقُبِّلَ دُعَاؤُهُ ، بِحَيْثُ فَازَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِعُنْوَانِ «تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ» ، ذٰلِكَ الْعُنْوَانِ ذِي الشَّأْنِ ، وَبِرُتْبَةِ «حَبْرِ الْأُمَّةِ» ؛ يَعْنِي : عَلَّامَةَ الْأُمَّةِ ، تِلْكَ الرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ كَانَ حَدِيثَ السِّنِّ جِدّاً ؛ فَكَانَ الْإِمَامُ عُمَرُ يَقْبَلُهُ لِمَجْلِسِ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَقُدَمَائِهِمْ . .

وَأَيْضاً يُخْبِرُ أَصْحَابُ الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ : أَنَّ وَالِدَةَ أَنَسٍ تَضَرَّعَتْ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَقَالَتْ : اُدْعُ بِالْبَرَكَةِ فِي حَقِّ أَوْلَادِ خَادِمِكَ أَنَسٍ ، وَأَمْوَالِهِ ؛ فَدَعَا وَقَالَ : ﴿اَللّٰهُمَّ ! أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ؛ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ﴾ ؛ فَيُعْلِنُ أَنَسٌ بِالْقَسَمِ ، فِي آخِرِ عُمُرِهِ : أَنِّي دَفَنْتُ بِيَدَيَّ مِئَةً مِنْ أَوْلَادِي ؛ وَأَنَا بِاعْتِبَارِ مَالِي وَثَرْوَتِي ، لَمْ يَعِشْ أَحَدٌ مِثْلِي مَسْعُوداً ؛ وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ مَالِي كَثِيرٌ جِدّاً ؛ وَهٰذِهِ كُلُّهَا ، مِنْ بَرَكَةِ الدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ . .

وَأَيْضاً يُخْبِرُ أَهْلُ الْحَدِيثِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ دَعَا لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ ، مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرَةِ ، بِالْبَرَكَةِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ ؛ فَكَسَبَ بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ ، ثَرْوَةً بِحَيْثُ تَصَدَّقَ مَرَّةً وَاحِدَةً ، بِسَبْعِمِئَةِ بَعِيرٍ مَعَ أَحْمَالِهَا ، فِي سَبِيلِ اللّٰهِ . فَانْظُرُوا إِلٰى بَرَكَةِ الدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ ؛ وَقُولُوا : «بَارَكَ اللّٰهُ» . .

وَكَذَا يَنْقُلُ الرُّوَاةُ ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ دَعَا لِعُرْوَةَ بْنِ أَبِي جَعْدَةَ ، بِالْبَرَكَةِ لِلْكَسْبِ وَالرِّبْحِ فِي التِّجَارَةِ . فَيَقُولُ عُرْوَةُ : إِنِّي كُنْتُ

أُقِيمُ أَحْيَاناً ، بِسُوقِ الْكُوفَةِ ؛ فَأَرْبَحُ فِي يَوْمٍ أَرْبَعِينَ أَلْفاً ؛ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي . وَيَقُولُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ : لَوْ أَخَذَ التُّرَابَ بِيَدِهِ ؛ لَوَجَدَ فِيهِ رِبْحاً . .

وَكَذَا دَعَا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، لِلْبَرَكَةِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ ؛ فَفَازَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، بِدَرَجَةٍ مِنَ الثَّرْوَةِ ، بِحَيْثُ صَارَ شَهِيراً فِي ذٰلِكَ الْعَصْرِ ؛ وَاشْتَهَرَ بِالسَّخَاءِ أَيْضاً ، بِقَدَرِ ثَرْوَتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ . .

وَيُوجَدُ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ ؛ فَنَكْتَفِي بِهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْأَرْبَعَةِ ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ . .

وَكَذَا يُخْبِرُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ ، عَلَى رَأْسِ الرُّوَاةِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام﴾ دَعَا لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، لِقَبُولِ دُعَائِهِ ؛ فَقَالَ : ﴿اَللّٰهُمَّ أَجِبْ دَعْوَتَهُ﴾ ؛ فَكَانَ يَخَافُ كُلُّ أَحَدٍ فِي ذٰلِكَ الْعَصْرِ ، عَنْ دُعَاءِ سَعْدٍ عَلَيْهِ ؛ وَاشْتَهَرَ دُعَاؤُهُ . .

وَكَذَا قَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ الْمَشْهُورِ : ﴿أَفْلَحَ اللهُ وَجْهَكَ ؛ اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ﴾ ؛ فَدَعَا لِيَدُومَ شَابّاً ؛ وَقَدِ اشْتَهَرَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ كَانَ كَشَابٍّ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً مِنْ عُمْرِهِ ؛ حِينَمَا مَاتَ فِي سَبْعِينَ عَاماً مِنَ الْعُمْرِ . .

وَمِنْ ذٰلِكَ : الْقِصَّةُ الْمَشْهُورَةُ لِلنَّابِغَةِ الشَّاعِرِ ؛ فَإِنَّهُ أَنْشَدَ عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ شِعْراً مِنْ أَشْعَارِهِ ؛ وَهُوَ هٰذِهِ الْفِقْرَةُ :

بَلَغْنَا السَّمَا فِي مَجْدِنَا وَسَنَائِنَا ❁ وَإِنَّا نُرِيدُ فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَراً .

يَعْنِي : طَلَعَ شَرَفُنَا إِلَى السَّمَاءِ ؛ وَنَحْنُ نُرِيدُ الصُّعُودَ إِلَى مَا فَوْقَهَا ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ ، عَلَى صُورَةِ الْمُلَاطَفَةِ بِهِ : «إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى» ؛ فَقَالَ : «إِلَى الْجَنَّةِ يَا رَسُولَ اللهِ» ؛ يَعْنِي قَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ لِتَكُونَ لَطِيفَةً : أَيْنَ تُرِيدُ وَرَاءَ السَّمَاءِ ، حَيْثُ تَقْصِدُ ذٰلِكَ فِي شِعْرِكَ ؛ فَقَالَ النَّابِغَةُ : نُرِيدُ السَّيْرَ إِلَى الْجَنَّةِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ؛ ثُمَّ أَنْشَدَ شِعْراً آخَرَ ذَا مَغْزًى مِنْ أَشْعَارِهِ ؛ فَدَعَا لَهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ بِقَوْلِهِ : «لَا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ» ؛ فَلَمْ يَنْقُصْ بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ ، سِنٌّ مِنْ أَسْنَانِ النَّابِغَةِ ، فِي مِئَةٍ

وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ ؛ حَتّٰى إِذَا سَقَطَ سِنٌّ مِنْ أَسْنَانِهِ أَحْيَاناً ؛ كَانَ يَنْبُتُ فِي مَكَانِهِ سِنٌّ آخَرُ . .

وَكَذَا دَعَا لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ؛ فَقَالَ : ﴿اَللّٰهُمَّ اكْفِهِ الْحَرَّ وَالْقَرَّ﴾ . يَعْنِي : لَا تَعْرِضْ عَلَيْهِ مِحْنَةَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . فَكَانَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ يَلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ ثِيَابَ الصَّيْفِ ، وَفِي الصَّيْفِ ثِيَابَ الشِّتَاءِ ، بِبَرَكَةِ هٰذَا الدُّعَاءِ ؛ وَكَانَ يَقُولُ : لَا أُقَاسِي مِحْنَةَ بَرْدٍ وَحَرٍّ أَصْلاً بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ . .

وَكَذَا دَعَا لِفَاطِمَةَ بِقَوْلِهِ : ﴿اَللّٰهُمَّ لَا تُجِعْهَا﴾ ؛ يَعْنِي : لَا تُذِقْهَا أَلَمَ الْجُوعِ . فَتَقُولُ فَاطِمَةُ : لَمْ أَرَ أَلَمَ الْجُوعِ ، بَعْدَ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ . .

وَكَذَا طَلَبَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو مِنَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، مُعْجِزَةً ؛ لِيَذْهَبَ بِهَا وَيُرِيهَا قَوْمَهُ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : «اَللّٰهُمَّ نَوِّرْ لَهُ» . فَظَهَرَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ؛ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى نَصْلِ عَصَاهُ ؛ فَبِهٰذَا اشْتَهَرَ بِذِي النُّورِ . . فَهٰذِهِ الْوَقَائِعُ هِيَ مِنْ أَحَادِيثَ مَشْهُورَةٍ اكْتَسَبَتِ الْقَطْعَ . .

وَأَيْضاً اشْتَكٰى أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، بِأَنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيَّ النِّسْيَانُ ؛ فَأَمَرَهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ أَنْ يَبْسُطَ شَيْئاً ؛ فَبَسَطَ شَيْئاً عَلٰى شَكْلِ مِنْدِيلٍ ؛ ثُمَّ جَعَلَ كَفَّهُ الْمُبَارَكَةَ ، كَأَنَّهُ يَغْتَرِفُ بِهَا شَيْئاً عَنِ الْغَيْبِ ، فَصَبَّهُ هُنَاكَ ؛ وَفَعَلَ كَذٰلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ فَقَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : «فَاطْوِ الْمِنْدِيلَ الْآنَ» ؛ فَطَوَاهُ . وَيَحْلِفُ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَنِّي لَمْ أَنْسَ بَعْدَ ذٰلِكَ شَيْئاً قَطُّ ، بِهٰذَا السِّرِّ الْمَعْنَوِيِّ ، لِلدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ . . فَهٰذِهِ الْحَادِثَاتُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الرَّابِعُ :﴾ نُبَيِّنُ عِدَّةَ حَادِثَاتٍ صَارَتْ مَظْهَراً لِدُعَاءِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ بِالْعُقُوبَةِ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ پَرْوِيزَ مَلِكَ الْفُرْسِ مَزَّقَ كِتَابَ النَّبِيِّ ؛ فَأَتَاهُ الْخَبَرُ ؛ فَدَعَا ﴿الرَّسُولُ

الْأَكْرَمُ ﷺ) عَلَيْهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿اَللّٰهُمَّ مَزِّقْهُ كَمَا مَزَّقَ كِتَابِي﴾؛ يَعْنِي: مَزِّقْهُ وَمَزِّقْ مُلْكَهُ إِرْباً إِرْباً؛ كَمَا مَزَّقَ كِتَابِي؛ فَكَانَ بِتَأْثِيرِ هٰذَا الدُّعَاءِ، أَنَّ (شِيرَوَيْهِ ابْنَ كِسْرٰى پَرْوِيزَ هٰذَا)، مَزَّقَهُ بِالْخِنْجَرِ؛ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ مَزَّقَ سَلْطَنَتَهُ؛ فَلَمْ يَبْقَ لِلدَّوْلَةِ السَّاسَانِيَّةِ شَوْكَةٌ فِي أَيِّ مَكَانٍ؛ وَلٰكِنَّ قَيْصَراً وَسَائِرَ الْمُلُوكِ، احْتَرَمُوا كِتَابَ النَّبِيِّ؛ فَلَمْ يَهْلِكُوا..

اَلثَّانِيَةُ: مَا اشْتَهَرَ قَرِيباً مِنَ التَّوَاتُرِ؛ وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ، مِنْ أَنَّ (الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ)، كَانَ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فِي بِدَايَةِ الْإِسْلَامِ؛ فَاجْتَمَعَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ؛ فَعَامَلُوهُ سُوءَ مُعَامَلَةٍ؛ فَعِنْدَئِذٍ دَعَا عَلَيْهِمْ. وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ: أُقْسِمُ بِاللهِ: أَنَّ الَّذِينَ عَامَلُوهُ تِلْكَ الْمُعَامَلَةَ السَّيِّئَةَ؛ وَدَعَا عَلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ، شَاهَدْتُ جُثَثَهُمْ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً..

اَلثَّالِثَةُ: أَنَّ قَبِيلَةَ مُضَرٍ؛ وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْعَرَبِ، كَذَّبُوا (النَّبِيَّ ﷺ)؛ فَدَعَا عَلَيْهِمْ بِالْقَحْطِ؛ فَانْقَطَعَ الْمَطَرُ عَنْهُمْ؛ وَظَهَرَ الْقَحْطُ وَالْغَلَاءُ. ثُمَّ إِنَّ قَبِيلَةَ قُرَيْشٍ؛ وَهُمْ مِنْ قَوْمِ مُضَرٍ الْتَمَسُوا الدُّعَاءَ مِنَ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ)؛ فَدَعَا لَهُمْ بِالْغَيْثِ؛ فَنَزَلَ؛ وَارْتَفَعَ الْقَحْطُ. فَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ مَشْهُورَةٌ فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ..

﴿اَلْمِثَالُ الْخَامِسُ:﴾ هُوَ قَبُولُ دُعَائِهِ عَلٰى أَشْخَاصٍ مُعَيَّنَةٍ، قَبُولاً فَزِيعاً. وَلِهٰذَا النَّوْعِ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ؛ فَنُبَيِّنُ ثَلَاثَةَ أَمْثِلَةٍ قَاطِعَةٍ عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ..

اَلْأَوَّلُ: أَنَّهُ دَعَا عَلٰى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، بِقَوْلِهِ: ﴿اَللّٰهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلَابِكَ﴾. ثُمَّ إِنَّ عُتْبَةَ سَافَرَ؛ فَجَاءَ أَسَدٌ وَطَلَبَهُ بَيْنَ الرَّكْبِ؛ فَوَجَدَهُ وَمَزَّقَهُ. وَهٰذِهِ الْوَاقِعَةُ مَشْهُورَةٌ نَقَلَهَا أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَصَحَّحُوهَا..

اَلثَّانِي: هُوَ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ؛ فَإِنَّهُ قَتَلَ عَامِرَ بْنَ أَضْبَطَ غَدْراً؛ وَقَدْ كَانَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) جَعَلَ الْعَامِرَ قَائِداً؛ وَبَعَثَهُ مَعَ سَرِيَّةٍ لِلْجِهَادِ وَالْغَزَاءِ؛ وَكَانَ الْمُحَلِّمُ مَعَهُمْ أَيْضاً. فَلَمَّا بَلَغَ (الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ)، خَبَرُ هٰذَا الْغَدْرِ؛ غَضِبَ وَدَعَا عَلَيْهِ

بِقَوْلِه : «اَللّٰهُمَّ لَا تَغْفِرْ لِمُحَلِّم» ؛ فَمَاتَ مُحَلِّمٌ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ؛ فَوَضَعُوهُ فِي الْقَبْرِ ؛ فَأَلْقَاهُ الْقَبْرُ إِلَى الْخَارِجِ ؛ فَوَضَعُوهُ فِيهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ؛ فَلَمْ تَقْبَلْهُ الْأَرْضُ ؛ ثُمَّ اضْطُرُّوا فَبَنَوْا جِدَاراً مَتِيناً ، بَيْنَ صَخْرَتَيْنِ ؛ فَوُورِيَ تَحتَ الْأَرْضِ بِتِلْكَ الصُّورَةِ . .

اَلثَّالِثُ : رَأَى ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ رَجُلاً يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِشِمَالِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ «كُلْ بِيَمِينِكَ» ؛ فَقَالَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ : لَا أَسْتَطِيعُ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : «لَا اسْتَطَعْتَ» ؛ فَبَعْدَ ذٰلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، أَنْ يَرْفَعَ يَمِينَهُ . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّادِسُ :﴾ نَذْكُرُ مِنْ خَوَارِقِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، الْكَثِيرَةِ جِدّاً الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ دُعَائِهِ وَلَمْسِهِ ، عِدَّةَ حَوَادِثَ اكْتَسَبَتِ الْقَطْعَ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّهُ أَعْطَى خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ سَيْفَ اللهِ ، عِدَّةَ شَعَرَاتٍ مِنْ شَعْرِهِ ؛ وَدَعَا لِنَصْرِهِ ؛ فَحَفِظَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، تِلْكَ الشَّعَرَاتِ فِي قَلَنْسُوَتِهِ ؛ فَلَمْ يَقْتَحِمْ حَرْباً إِلَّا وَخَرَجَ عَنْهُ مُظَفَّراً بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الشَّعْرِ ، وَبِحُرْمَةِ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ . .

اَلثَّانِيَةُ : كَانَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، عَبْدَ الْيَهُودِ أَوَّلاً ؛ فَطَلَبَ مَوَالِيهِ أُمُوراً كَثِيرَةً لِعِتْقِهِ ؛ وَقَالُوا : تُعْتَقُ بَعْدَ أَنْ تَغْرِسَ ثَلَاثَمِئَةِ غَرْسَةٍ ؛ فَتُثْمِرَ ، مَعَ دَفْعِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ . فَأَتَى إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَبَيَّنَ لَهُ الْحَالَ ؛ فَغَرَسَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِيَدِهِ ثَلَاثَمِئَةَ غَرْسَةٍ ، بِجِوَارِ الْمَدِينَةِ ، إِلَّا وَاحِدَةً مِنْهَا غَرَسَهَا غَيْرُهُ . فَأَثْمَرَتْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعُ الْغَرَسَاتِ الَّتِي غَرَسَهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، إِلَّا تِلْكَ الْوَاحِدَةَ الَّتِي غَرَسَهَا غَيْرُهُ ؛ فَلَمْ تُثْمِرْ ثَمَرَةً وَاحِدَةً . فَقَلَعَهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ عَنِ الْأَرْضِ ؛ وَغَرَسَهَا مِنْ جَدِيدٍ ؛ فَأَثْمَرَتْ هِيَ أَيْضاً . وَكَذَا أَعْطَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ مِقْدَارَ بَيْضَةِ دَجَاجَةٍ مِنَ الذَّهَبِ ؛ فَمَسَحَهُ بِرِيقٍ فِيهِ ؛ وَدَعَا لَهُ ؛ فَقَالَ لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ : اِذْهَبْ وَأَعْطِهِ الْيَهُودَ ؛ فَذَهَبَ وَأَعْطَاهُمْ مِنْ ذٰلِكَ الذَّهَبِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ؛ وَبَقِيَ ذٰلِكَ الْمِقْدَارُ كَمَا كَانَ . فَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ ، أَهَمُّ حَادِثَةٍ مُعْجِزَةٍ ، مِنْ تَرْجَمَةِ حَيَاةِ سَلْمَانَ النَّقِيِّ . وَقَدْ رَوَاهَا ثِقَاتُ الْأَئِمَّةِ الْمَقْبُولِينَ . .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ صَحَابِيَّةً تُسَمَّى بِأُمِّ مَالِكٍ ، كَانَتْ تُهْدِي ﴿لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، السَّمْنَ فِي قِرْبَةٍ صَغِيرَةٍ لِلسَّمْنِ ، يُقَالُ لَهَا : عُكَّةٌ . فَدَعَا لَهَا وَأَعْطَاهَا الْعُكَّةَ ؛ وَقَالَ : لَا تَعْصِرُوهَا فَتُفْرِغُوهَا . فَأَخَذَتْ أُمُّ مَالِكٍ الْعُكَّةَ ، فَمَتَى طَلَبَتْ أَوْلَادُهَا السَّمْنَ ؛ كَانُوا يَجِدُونَهُ فِي الْعُكَّةِ ، بِبَرَكَةِ الدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ ؛ فَدَامَتْ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ؛ ثُمَّ أَعْصَرُوهَا ؛ فَانْقَطَعَتِ الْبَرَكَةُ . .

﴿اَلْمِثَالُ السَّابِعُ :﴾ تُوجَدُ حَوَادِثُ كَثِيرَةٌ لِعُذُوبَةِ الْمِيَاهِ وَفَوَحَانِهَا ، بِدُعَاءِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَبِلَمْسِهِ لَهَا . فَنُبَيِّنُ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً مِنْهَا ، عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ . .

اَلْأُولٰى : يُخْبِرُ أَهْلُ الْحَدِيثِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ : أَنَّ بِئْراً يُقَالُ لَهَا : بِئْرُ قُبَاءٍ ؛ كَانَ يَنْقَطِعُ مَاؤُهَا أَحْيَاناً ؛ يَعْنِي : يَنْفَدُ مَاؤُهَا ؛ فَصَبَّ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، مَاءَ وُضُوئِهِ فِيهَا ؛ وَدَعَا . وَبَعْدَ ذٰلِكَ دَامَ مَاؤُهَا ؛ وَلَمْ يَنْقَطِعْ أَصْلاً . .

اَلثَّانِيَةُ : يَرْوِي رِجَالُ الْحَدِيثِ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ أَبُو نُعَيْمٍ ، فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ أَلْقَى رِيقَهُ ، فِي بِئْرٍ كَانَتْ فِي بَيْتِ أَنَسٍ ؛ وَدَعَا ؛ فَصَارَتْ أَحْلٰى مَاءٍ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ . .

اَلثَّالِثَةُ : أَخْبَرَ ابْنُ مَاجَهْ : أَنَّهُمْ أَتَوْا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَمَصَّ مِنْهُ شَيْئاً ؛ وَأَفْرَغَهُ فِي الدَّلْوِ ؛ فَفَاحَ الدَّلْوُ كَالْمِسْكِ . .

اَلرَّابِعَةُ : رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : أَنَّهُمْ نَزَعُوا مِنْ بِئْرٍ ، دَلْوَ مَاءٍ ؛ فَمَجَّ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ مَاءَ فَمِهِ فِي الدَّلْوِ ؛ وَأَفْرَغَهُ فِي الْبِئْرِ ؛ ثُمَّ شَرَعَ يَفُوحُ كَالْمِسْكِ . .

اَلْخَامِسَةُ : يُخْبِرُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، الَّذِي هُوَ مِنْ رِجَالِ اللهِ ؛ وَمَقْبُولٌ وَمُعْتَمَدٌ عَلَيْهِ لِلْإِمَامِ مُسْلِمٍ وَعُلَمَاءِ الْمَغَارِبَةِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ مَلَأَ قِرْبَةً مِنَ الْمَاءِ ؛ وَنَفَثَ فِيهَا وَدَعَا ؛ وَرَبَطَهَا وَسَلَّمَهَا إِلَى بَعْضِ الْأَصْحَابِ ؛ وَقَالَ : لَا تَفْتَحُوا فَاهَا ؛ وَافْتَحُوهَا إِذْ تَتَوَضَّؤُونَ ؛ فَسَارُوا ؛ وَحِينَمَا أَرَادُوا أَنْ يَتَوَضَّؤُوا ؛ فَتَحُوا فَاهَا ؛ فَرَأَوْا أَنَّهَا

لَبَنٌ خَالِصٌ ؛ وَفِي فِيهَا زُبْدَةٌ وَسَمْنٌ . .

فَهٰذِهِ الْجُزْئِيَّاتُ الْخَمْسَةُ ، بَعْضُهَا مَشْهُورٌ ؛ وَبَعْضُهَا نَقَلَهُ الْأَئِمَّةُ الْأَعْلَامُ . فَهٰذِهِ مَعَ مَا لَمْ يُذْكَرْ هُنَا ، يَدُلُّ مَجْمُوعُهَا عَلٰى تَحَقُّقِ مُعْجِزَةٍ مُطْلَقَةٍ ، كَالتَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّامِنُ : ﴾ أَنَّ حَوَائِلَ الْمَعزِ الَّتِي لَا لَبَنَ لَهَا ، صَارَتْ لَابِنَةً وَدَارَّةً ، بِدُعَاءِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَبِمَسْحِ يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ . وَلِهٰذَا النَّوْعِ أَمْثِلَةٌ وَجُزْئِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَنَذْكُرُ بَعْضَ الْأَمْثِلَةِ عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ ، مِمَّا هُوَ مَشْهُورٌ وَقَطْعِيٌّ فَقَطْ . .

اَلْأَوَّلُ : تُخْبِرُ جَمِيعُ الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ ، مِنْ كُتُبِ أَصْحَابِ السِّيَرِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ لَمَّا هَاجَرَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ؛ أَتَيَا إِلٰى بَيْتِ أُمِّ مَعْبَدٍ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدٍ الْخُزَاعِيِّ ؛ وَكَانَ هُنَاكَ مَاعِزَةٌ ضَعِيفَةٌ حَائِلَةٌ ، لَا لَبَنَ لَهَا . فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ لِأُمِّ مَعْبَدٍ : أَلَيْسَ فِي هٰذِهِ لَبَنٌ ؟ فَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ : لَا دَمَ فِي جِسْمِهَا ؛ فَمِنْ أَيْنَ تَدُرُّ لَبَناً ؟ . فَذَهَبَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَمَسَحَ ظَهْرَ تِلْكَ الْمَاعِزَةِ وَثَدْيَهَا بِيَدِهِ ؛ وَدَعَا ؛ ثُمَّ قَالَ : اِئْتُوا بِالْإِنَاءِ وَاحْلُبُوهَا ؛ فَحَلَبُوهَا ؛ وَشَرِبَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ؛ ثُمَّ شَرِبَ أَهْلُ ذٰلِكَ الْبَيْتِ ؛ حَتّٰى رَوُوا . فَتَقَوَّتْ تِلْكَ الْمَاعِزَةُ ؛ وَبَقِيَتْ كَذٰلِكَ مُبَارَكَةً . .

اَلثَّانِي : قِصَّةُ شَاةِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، تِلْكَ الْقِصَّةُ الْمَشْهُورَةُ ؛ وَهِيَ : أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ رَاعِياً لِبَعْضِهِمْ ، قَبْلَ أَنْ أَسْلَمَ ؛ فَسَارَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ابْنُ مَسْعُودٍ مَعَ مَعْزِهِ ؛ فَطَلَبَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ اللَّبَنَ مِنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ الْمَعْزُ مِنْ أَمْوَالِي ؛ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُ الْآخَرِينَ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : اِئْتِنِي بِمَاعِزَةٍ حَائِلَةٍ بِلَا لَبَنٍ ؛ فَأَتٰى بِمَاعِزَةٍ لَمْ تَرَ الْعَنْزَ سَنَتَيْنِ ؛ فَمَسَحَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ثَدْيَهَا بِيَدِهِ ؛ وَدَعَا ؛ ثُمَّ حَلَبُوهَا ؛ فَأَخَذُوا مِنْهَا لَبَناً خَالِصاً ؛ وَشَرِبُوهُ . فَآمَنَ ابْنُ مَسْعُودٍ بَعْدَمَا رَأٰى هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ . .

اَلثَّالِثُ : قِصَّةُ مَعِيزِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ مُرْضِعَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ تِلْكَ الْقِصَّةُ

الْمَشْهُورَةُ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُ كَانَ فِي تِلْكَ الْقَبِيلَةِ بَعْضُ الْقَحْطِ ؛ وَكَانَتِ الْمَوَاشِي ضَعِيفَةً بِدُونِ لَبَنٍ ؛ وَلَا تَرْعٰى مَا يُشْبِعُهَا . فَلَمَّا بُعِثَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ إِلٰى مُرْضِعَتِهِ هُنَاكَ ؛ كَانَتْ مَعِيزُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ تَأْتِي مَسَاءً شَبْعٰى مُمْتَلِئَةَ الثُّدِيِّ ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا . .

وَلِهٰذَا النَّوْعِ جُزْئِيَّاتٌ أُخْرٰى ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ ، فِي كُتُبِ السِّيَرِ ؛ وَلٰكِنَّ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةَ كَافِيَةٌ لِأَصْلِ الْمَقْصَدِ . .

﴿اَلْمِثَالُ التَّاسِعُ :﴾ نُبَيِّنُ عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ ، عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ مِمَّا اشْتَهَرَ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ الْكَثِيرَةِ ، مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَمَا مَسَحَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ، رَأْسَ بَعْضِ النَّاسِ وَوَجْهَهُ ؛ وَدَعَا لَهُ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّهُ مَسَحَ بِيَدِهِ رَأْسَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ؛ وَدَعَا لَهُ ؛ وَلَمَّا تُوُفِّيَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، عَلٰى رَأْسِ ثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ ؛ لَمْ يَكُنْ بِرَأْسِهِ شَيْبٌ ، بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ . .

اَلثَّانِي : أَنَّهُ وَضَعَ يَدَهُ عَلٰى رَأْسِ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ ؛ وَمَسَحَهُ وَدَعَا لَهُ ؛ وَحِينَمَا طَعَنَ فِي مِئَةِ سَنَةٍ ، بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ ، كَانَ جَمِيعُ رَأْسِهِ أَبْيَضَ ، إِلَّا مَا وَضَعَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ يَدَهُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ بَقِيَ أَسْوَدَ حَالِكاً ، بِتَأْثِيرِ الْمَسْحِ . .

اَلثَّالِثُ : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ ، كَانَ صَغِيراً وَدَمِيماً ؛ فَمَسَحَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ رَأْسَهُ بِيَدِهِ ؛ وَدَعَا لَهُ ؛ فَصَارَ أَعْلٰى قَامَةً ، وَأَحْسَنَ صُورَةً ، بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ . .

اَلرَّابِعُ : أَنَّهُ جُرِحَ وَجْهُ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو ، فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ ؛ فَمَسَحَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بِيَدِهِ ، مَا عَلٰى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمِ ؛ فَأَضَاءَ الْمَكَانُ الَّذِي لَمَسَتْهُ يَدُ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ضَوْءاً لَامِعاً عَبَّرَ عَنْهُ الْمُحَدِّثُونَ بِقَوْلِهِمْ : «كَغُرَّةِ الْفَرَسِ» ؛ يَعْنِي : كَانَ يُشْرِقُ مَوْضِعُ اللَّمْسِ ، كَالْبَيَاضِ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ الْأَغَرِّ . .

اَلْخَامِسُ : أَنَّهُ مَسَحَ بِيَدِهِ وَجْهَ قَتَادَةَ بْنِ سَلْمَانَ ؛ فَشَرَعَ وَجْهُ قَتَادَةَ يَتَلَأْلَأُ كَالْمِرْآةِ . .

اَلسَّادِسُ : أَنَّ زَيْنَبَ رَبِيبَةَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ وَبِنْتَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ ، كَانَتْ صَغِيرَةً ؛ فَلَاطَفَهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَنَفَضَ فِي وَجْهِهَا مَاءَ الْوُضُوءِ ؛ فَاتَّخَذَ حُسْنُ زَيْنَبَ وَجَمَالُهَا ، صُورَةً عَجِيبَةً ؛ وَصَارَتْ بَدِيعَةَ الْجَمَالِ ، بَعْدَ تَمَاسِّ ذٰلِكَ الْمَاءِ . .

فَهٰكَذَا تُوجَدُ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ ، مِثْلُ هٰذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ ؛ نَقَلَ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ أَكْثَرَهَا . فَإِنْ فَرَضْنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هٰذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ ، ضَعِيفاً وَخَبَرَ الْوَاحِدِ ؛ فَإِنَّ مَجْمُوعَهَا يَدُلُّ عَلٰى مُعْجِزَةٍ أَحْمَدِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ ، فِي حُكْمِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نُقِلَتْ حَادِثَةٌ ، عَلٰى صُوَرٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، يَكُونُ أَصْلُ الْحَادِثَةِ قَاطِعاً . فَلَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصُّوَرِ ضَعِيفاً ؛ يُثْبِتُ أَصْلَ الْحَادِثَةِ أَيْضاً . فَمَثَلاً : سُمِعَ دَوِيٌّ ؛ فَقَالَ بَعْضٌ : انْهَدَمَ الْبَيْتُ الْفُلَانِيُّ ؛ وَقَالَ آخَرُ : خَرِبَ بَيْتٌ آخَرُ ؛ وَذَكَرَ آخَرُ بَيْتاً آخَرَ ؛ وَهٰكَذَا . فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ رِوَايَةٍ ، خَبَرَ الْوَاحِدِ ، وَخِلَافَ الْوَاقِعِ وَضَعِيفاً ؛ وَلٰكِنَّ أَصْلَ الْحَادِثَةِ قَطْعِيٌّ ؛ وَهُوَ أَنَّ بَيْتاً انْهَدَمَ ؛ وَالْكُلُّ مُتَّفِقٌ فِيهِ . وَالْحَالُ أَنَّ هٰذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ السِّتَّةَ الَّتِي بَحَثْنَا عَنْهَا صَحِيحَةٌ ؛ وَبَعْضُهَا بَلَغَ دَرَجَةَ الشُّهْرَةِ . فَإِنْ عَدَدْنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هٰذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ ، ضَعِيفاً بِالْفَرْضِ ؛ فَإِنَّهَا تَدُلُّ أَيْضاً عَلٰى وُجُودِ مُعْجِزَةٍ أَحْمَدِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ ، فِي مَجْمُوعِ الْجُزْئِيَّاتِ ، كَانْهِدَامِ بَيْتٍ مُطْلَقٍ ، فِي التَّمْثِيلِ الْمَذْكُورِ . .

هٰذَا ؛ فَإِنَّ مُعْجِزَاتِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، الْبَاهِرَةَ ، مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ نَوْعٍ قَطْعاً ؛ وَجُزْئِيَّاتُهَا هِيَ صُوَرُ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ الْكُلِّيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، أَوْ أَمْثِلَتُهَا . فَكَمَا أَنَّ يَدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَأَصَابِعَهُ وَرِيقَهُ وَنَفَسَهُ وَقَوْلَهُ ؛ يَعْنِي دُعَاءَهُ ؛ تَكُونُ مَنْشَأَ مُعْجِزَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : إِنَّ سَائِرَ لَطَائِفِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَحَوَاسِّهِ وَجَوَارِحِهِ ، مَدَارٌ لِخَوَارِقَ كَثِيرَةٍ أَيْضاً . وَقَدْ بَيَّنَتْ كُتُبُ السِّيَرِ وَالتَّارِيخِ ، تِلْكَ الْخَوَارِقَ ؛ وَأَثْبَتَتْ أَنَّ فِي سِيرَتِهِ وَصُورَتِهِ وَحَوَاسِّهِ ، دَلَائِلَ كَثِيرَةً لِلنُّبُوَّةِ . .

اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ :

فَكَمَا أَنَّ الْأَحْجَارَ وَالْأَشْجَارَ ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، تَعْرِفُهُ وَتُصَدِّقُ نُبُوَّتَهُ ، بِإِظْهَارِ مُعْجِزَاتِهِ ؛ كَذٰلِكَ طَوَائِفُ الْحَيَوَانَاتِ وَالْأَمْوَاتِ ، وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ ، تَعْرِفُ ذٰلِكَ الْكَرِيمَ الْمُبَارَكَ ؛ وَتُصَدِّقُ نُبُوَّتَهُ ، وَتُظْهِرُ مَعْرِفَتَهَا بِهِ ، بِإِظْهَارِ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهَا ، بَعْضَ مُعْجِزَاتِهِ ؛ وَتُعْلِنُ بِذٰلِكَ تَصْدِيقَ نُبُوَّتِهِ . . وَلِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ، ثَلَاثُ شُعَبٍ . .

اَلشُّعْبَةُ الْأُولٰى :

أَنَّ جِنْسَ الْحَيَوَانَاتِ ، يَعْرِفُ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ؛ وَيُظْهِرُ مُعْجِزَاتِهِ . وَلِهٰذِهِ الشُّعْبَةِ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ . وَنَحْنُ نَذْكُرُ هُنَا بَعْضَ حَوَادِثَ صَارَتْ قَاطِعَةً فِي دَرَجَةِ الْمَشْهُورِ وَالْمُتَوَاتِرِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ أَوْ تَقَبَّلَهَا الْأَئِمَّةُ الْمُحَقِّقُونَ ؛ أَوْ تَلَقَّتْهَا الْأَئِمَّةُ بِالْقَبُولِ ، فَحَسْبُ . وَذٰلِكَ عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الْأُولٰى :﴾ رُوِيَ بِشُهْرَةٍ فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ لَمَّا تَحَصَّنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فِي غَارِ حِرَاءٍ ، لِلْخَلَاصِ عَنْ تَعْقِيبِ الْكُفَّارِ ؛ أَتَتْ حَمَامَتَانِ ؛ فَوَقَفَتَا عَلٰى بَابِ الْغَارِ ، كَحَارِسَيْنِ ؛ وَسَتَرَ الْعَنْكَبُوتُ بَابَ الْغَارِ كَحَاجِبٍ ، بِنَسِيجٍ غَلِيظٍ ، عَلٰى وَجْهٍ خَارِقٍ ؛ حَتّٰى إِنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ ، مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ ، الَّذِي قُتِلَ بِيَدِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ؛ نَظَرَ إِلَى الْغَارِ ؛ فَقَالَ أَصْحَابُهُ : نَدْخُلُ الْغَارَ ؛ فَقَالَ : كَيْفَ نَدْخُلُهُ ؛ وَقَدْ أَرٰى هُنَا نَسِيجاً كَأَنَّهُ نُسِجَ قَبْلَ وِلَادَةِ مُحَمَّدٍ ؛ وَإِنَّ هَاتَيْنِ الْحَمَامَتَيْنِ وَقَفَتَا هُنَاكَ ؛ فَهَلْ تَقِفَانِ هُنَاكَ ؛ إِذَا وُجِدَ الْإِنْسَانُ ؟ . وَكَذٰلِكَ أَظَلَّتْ طَائِفَةُ الْحَمَامِ الْمُبَارَكَةُ ، فَوْقَ رَأْسِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ فِي فَتْحِ مَكَّةَ أَيْضاً . نَقَلَهُ الْإِمَامُ الْجَلِيلُ ابْنُ وَهْبٍ . .

وَكَذَا تُخْبِرُ عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، فَتَقُولُ : كَانَ فِي بَيْتِنَا طَائِرٌ كَالْحَمَامَةِ ، يُقَالُ لَهُ الدَّاجِنُ . فَإِذَا كَانَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ حَاضِراً ؛ كَانَ لَا

يَتحرَّكُ ؛ وَيقِفُ ساكِتاً . وَمتىٰ خرجَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ كَانَ يَشْرَعُ بِالْحَرَكَةِ ؛ فَيذْهَبُ وَيجِيءُ ؛ وَلا يَسْكُنُ قطُّ . فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الطَّائِرَ كَانَ يَسْتَمِعُ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَيسْكُتُ فِي حُضُورِهِ بِالسَّكِينَةِ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ هِيَ قِصَّةُ الذِّئْبِ ، الَّتِي اتَّخَذَتْ حُكْمَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ ، بِخَمْسَةِ طُرُقٍ أَوْ سِتَّةٍ ؛ فَقَدْ نُقِلَتْ هٰذِهِ الْقِصَّةُ الْعَجِيبَةُ ، عَنْ مَشَاهِيرِ الصَّحَابَةِ ، بِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَمِنْهَا : أَنَّ الرُّوَاةَ يُخْبِرُونَ بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، كَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَابْنِ وَهْبٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأُهْبَانَ الرَّاعِي صَاحِبِ هٰذِهِ الْقِصَّةِ : أَنَّ ذِئْباً قَبَضَ عَلىٰ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَعْزِ ؛ فَأَنْقَذَهَا الرَّاعِي مِنْ يَدِ الذِّئْبِ ؛ فَقَالَ الذِّئْبُ : أَلَا تَخَافُ مِنَ اللهِ ؛ فَأَخَذْتَ رِزْقِي عَنْ يَدِي . فَقَالَ الرَّاعِي : يَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ يَتَكَلَّمُ الذِّئْبُ ؟ فَقَالَ الذِّئْبُ : الْعَجَبُ فِي حَالِكَ ؛ فَإِنَّ وَرَاءَ هٰذَا الْمَكَانِ ، إِنْسَاناً يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَهُوَ نَبِيٌّ ؛ فَلَا تَعْرِفُونَهُ . وَقَدِ اتَّفَقَتِ الطُّرُقُ كُلُّهَا ، عَلىٰ تَكَلُّمِ الذِّئْبِ ؛ مَعَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ وَهُوَ طَرِيقٌ قَوِيٌّ ، يَقُولُ فِي رِوَايَتِهِ : إِنَّ الرَّاعِيَ قَالَ لِلذِّئْبِ : أَنَا أَذْهَبُ ؛ وَلٰكِنْ مَنْ يَحْرُسُ مَعْزِي . فَقَالَ الذِّئْبُ : أَنَا أَحْرُسُهَا . فَأَسْلَمَ الرَّاعِي رِعَايَتَهُ إِلَى الذِّئْبِ ؛ وَأَتىٰ إِلىٰ مَكَّةَ ؛ فَرَأىٰ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ؛ وَآمَنَ بِهِ ؛ فَرَجَعَ وَسَارَ ؛ فَوَجَدَ الذِّئْبَ رَاعِياً ؛ وَلَا ضِيَاعَ ؛ فَذَبَحَ لَهُ مَاعِزاً ؛ لِأَنَّهُ صَارَ أُسْتَاذاً لَهُ . وَفِي طَرِيقٍ : أَنَّ الصَّفْوَانَ وَأَبَا سُفْيَانَ ؛ وَهُمَا مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ ، رَأَيَا ذِئْباً يُتَابِعُ ظَبْياً ؛ فَدَخَلَ الظَّبْيُ ، الْحَرَمَ الشَّرِيفَ ؛ فَرَجَعَ الذِّئْبُ ؛ ثُمَّ تَعَجَّبَا ؛ فَتَكَلَّمَ الذِّئْبُ ؛ وَأَخْبَرَ عَنِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِلصَّفْوَانِ : عَلَيْنَا أَنْ لَا نَذْكُرَ هٰذِهِ الْقِصَّةَ لِأَحَدٍ ؛ فَأَخْشىٰ أَنْ تَخْلُوَ مَكَّةُ ؛ وَيَلْتَحِقُوا بِهِمْ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ قِصَّةَ الذِّئْبِ تُورِثُ الْقَنَاعَةَ كَالْقَطْعِيِّ وَالْمُتَوَاتِرِ الْمَعْنَوِيِّ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ هِيَ قِصَّةُ الْجَمَلِ ، الْمَنْقُولَةُ عَنْ أَعْلَامِ الصَّحَابَةِ ، بِخَمْسَةِ طُرُقٍ أَوْ سِتَّةٍ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ طُرُقاً مُتَعَدِّدَةً ، كَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ،

وَعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَعَبْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي أَوْفٰى ، وَالصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلٰى رَأْسِ تِلْكَ الطُّرُقِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، يُخْبِرُونَ : أَنَّ الْجَمَلَ جَاءَ وَسَجَدَ ﴿لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، مِنْ قَبِيلِ تَحِيَّةِ الْإِكْرَامِ ؛ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ . وَيُرْوٰى فِي طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ : أَنَّ ذٰلِكَ الْجَمَلَ غَضِبَ فِي حَدِيقَةٍ ؛ وَتَوَحَّشَ فِيهَا ؛ فَلَا يَتْرُكُ أَحَداً أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ ؛ وَيَصُولُ عَلٰى مَنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ . فَدَخَلَهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ فَجَاءَ إِلَيْهِ الْجَمَلُ ؛ وَسَجَدَ إِكْرَاماً لَهُ ؛ وَبَرَكَ عِنْدَهُ ؛ فَخَطَمَهُ ؛ فَقَالَ الْجَمَلُ ﴿لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ : إِنَّهُمُ اسْتَخْدَمُونِي فِي أَشْغَالٍ شَاقَّةٍ جِدّاً ؛ وَالْآنَ يَنْوُونَ أَنْ يَنْحَرُونِي ؛ فَلِذٰلِكَ غَضِبْتُ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ لِصَاحِبِ الْجَمَلِ : أَهُوَ هٰكَذَا ؟ . فَقَالُوا : نَعَمْ . .

وَأَيْضاً أَنَّ نَاقَةَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، الْمُسَمَّاةَ بِالْعَضْبَاءِ لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ مِنْ حُزْنِهَا ، بَعْدَ الْوَفَاةِ النَّبَوِيَّةِ ؛ حَتّٰى مَاتَتْ . .

وَأَيْضاً أَنَّ بَعْضَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ ، كَأَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَائِينِيِّ أَخْبَرُوا : أَنَّ تِلْكَ النَّاقَةَ كَلَّمَتِ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ بِقِصَّةٍ مُهِمَّةٍ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ نَاقَةَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَعْيَتْ كَثِيراً فِي سَفَرٍ ؛ فَكَانَتْ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسِيرَ ؛ فَنَخَسَهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ نَخْسَةً خَفِيفَةً ؛ فَكَسَبَتْ مِنْ ذٰلِكَ الِالْتِفَاتِ الْأَحْمَدِيِّ ، نَشَاطاً وَسُرُوراً ، بِحَيْثُ كَانَ لَا يُضْبَطُ زِمَامُهَا مِنْ سُرْعَتِهَا ؛ وَلَا يُدْرِكُهَا غَيْرُهَا بَعْدَ ذٰلِكَ . هٰكَذَا أَخْبَرَ الْجَابِرُ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ يُخْبِرُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ ؛ وَفِي مُقَدَّمَتِهِمُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ : أَنَّهُ أُشِيعَ مَرَّةً بِاللَّيْلِ ، حَادِثَةٌ مُهِمَّةٌ ؛ كَأَنَّهُ يَهْجُمُ الْعَدُوُّ ، خَارِجَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ؛ ثُمَّ بَرَزَ الْفُرْسَانُ الشُّجْعَانُ وَسَارُوا ؛ فَرَأَوْا فِي الطَّرِيقِ أَنَّ شَخْصاً يَجِيءُ ؛ فَعَايَنُوا أَنَّهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ فَقَالَ : لَا يُوجَدُ شَيْءٌ ؛ وَقَدْ رَكِبَ فَرَسَ أَبِي طَلْحَةَ الْمَشْهُورِ ؛ فَذَهَبَ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ ، بِمُقْتَضٰى شَجَاعَتِهِ الْقُدْسِيَّةِ ؛ فَحَقَّقَهُ وَرَجَعَ ؛ وَقَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ : «وَجَدْتُ فَرَسَكَ بَحْراً» ؛ يَعْنِي : أَنَّ فَرَسَكَ سَرِيعُ الْجَرْيِ لَا يَتَزَلْزَلُ ؛ وَقَدْ كَانَ فَرَسُهُ مِنَ الْقِسْمِ

الْبَطِيءِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْقَطُوفُ . وَبَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ لَا يُجَارِيهِ فَرَسٌ فِي السَّيْرِ . .

وَكَذَا رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ قَالَ لِفَرَسِهِ حِينَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، فِي السَّفَرِ : قِفْ . فَوَقَفَ الْفَرَسُ ؛ وَلَمْ يُحَرِّكْ عُضْواً مِنْهُ ؛ حَتَّى انْتَهَتِ الصَّلَاةُ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ أَنَّ سَفِينَةَ خَادِمَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، تَلَقَّى الْأَمْرَ عَنِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ لِلذَّهَابِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَالِي الْيَمَنِ ؛ فَسَافَرَ ؛ وَلَقِيَهُ أَسَدٌ فِي الطَّرِيقِ ؛ فَقَالَ سَفِينَةُ لِذٰلِكَ الْأَسَدِ : إِنِّي خَادِمُ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ . فَزَئَرَ الْأَسَدُ وَفَارَقَهُ وَلَمْ يَمَسَّهُ . وَيُخْبِرُ الرُّوَاةُ فِي طَرِيقٍ آخَرَ : أَنَّ سَفِينَةَ ضَلَّ الطَّرِيقَ حِينَمَا رَجَعَ ؛ فَلَقِيَ أَسَداً ؛ فَأَرْشَدَهُ إِلَى الطَّرِيقِ وَلَمْ يَمَسَّهُ . .

وَكَذَا يُحَدِّثُ الرُّوَاةُ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ : أَنَّهُ أَتَى أَعْرَابِيٌّ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ وَبِيَدِهِ زَحَّافَةٌ يُقَالُ لَهَا الضَّبُّ ؛ فَقَالَ : إِنْ شَهِدَ لَكَ هٰذَا الْحَيَوَانُ ؛ أُومِنُ بِكَ ؛ وَإِلَّا فَلَا أُومِنُ . فَسَأَلَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ذٰلِكَ الْحَيَوَانَ ؛ فَشَهِدَ ذٰلِكَ الضَّبُّ ؛ عَلَى رِسَالَتِهِ ، بِلِسَانٍ فَصِيحٍ . .

وَكَذَا تُخْبِرُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ : أَنَّ ظَبْياً تَكَلَّمَ مَعَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَشَهِدَ عَلَى رِسَالَتِهِ . .

فَهٰكَذَا تُوجَدُ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ ؛ وَاشْتَهَرَتْ قَطْعاً ؛ وَقَدْ بَيَّنَّا عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ . وَإِنَّا نَقُولُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ؛ وَلَا يُطِيعُهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ! اعْتَبِرُوا ؛ فَإِنَّ الذِّئْبَ وَالْأَسَدَ يَعْرِفَانِ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ؛ وَيُطِيعَانِهِ ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ تَسْعَوْا لِئَلَّا تَقَعُوا أَسْفَلَ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالذِّئْبِ . .

اَلشُّعْبَةُ الثَّانِيَةُ :

هِيَ مَعْرِفَةُ الْجَنَائِزِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ بِـ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ . وَلِهٰذِهِ الشُّعْبَةِ حَادِثَاتٌ كَثِيرَةٌ أَيْضاً . فَنُبَيِّنُ أَوَّلاً مِنَ الْجَنَائِزِ ، عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ مَشْهُورَةٍ رَوَاهَا الْأَئِمَّةُ

الْمَوْثُوقُ بِهِمْ ؛ وَذٰلِكَ عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ . وَأَمَّا الْجِنُّ وَالْمَلائِكَةُ ، فَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ ؛ وَأَمْثِلَتُهَا لَيْسَتْ وَاحِدَةً ، بَلْ أَلْفٌ . .

﴿ فَالْأَوَّلُ مِنْ أَمْثِلَةِ تَكَلُّمِ الْمَوْتٰى : ﴾ هُوَ أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ رَئِيسِ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ، فِي عَصْرِ التَّابِعِينَ ، وَأَهَمُّ تِلْمِيذٍ صَادِقٍ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ ، يُخْبِرُ أَنَّهُ أَتٰى رَجُلٌ إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ؛ فَبَكٰى وَارْتَجَفَ ؛ وَقَالَ : كَانَتْ لِي بِنْتٌ صَغِيرَةٌ ؛ فَمَاتَتْ بِهٰذَا الْوَادِي الْقَرِيبِ ؛ فَطَرَحْتُهَا هُنَاكَ . فَتَرَحَّمَ بِهِ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ وَقَالَ لَهُ : تَعَالَ نَذْهَبْ إِلَى هُنَاكَ ؛ فَذَهَبَا . فَنَادٰى ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ تِلْكَ الْبِنْتَ الْمَيْتَةَ ؛ وَقَالَ : يَا فُلانَةُ ! فَقَالَتْ تِلْكَ الْبِنْتُ الْمَيْتَةُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ : هَلْ تُرِيدِينَ الْمَجِيءَ إِلَى وَالِدَيْكِ ثَانِياً . فَقَالَتْ : لَا ؛ فَإِنِّي وَجَدْتُ خَيْراً مِنْهُمَا . .

﴿ اَلثَّانِي : ﴾ يَرْوِي بَعْضُ الْأَئِمَّةِ الْكِرَامِ ، كَالْإِمَامِ الْبَيْهَقِيِّ ، وَالْإِمَامِ ابْنِ عَدِيٍّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّهُ قَالَ : كَانَ لِعَجُوزٍ ابْنٌ فَقَطْ ؛ فَمَاتَ بَغْتَةً ؛ فَتَأَلَّمَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ؛ وَقَالَتْ : يَا رَبِّ ! إِنِّي أَتَيْتُ إِلَى هُنَا ، مُهَاجِرَةً لِرِضَاكَ وَلِبَيْعَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ وَلِخِدْمَتِهِ ؛ فَهَبْ لِي بِحُرْمَةِ ذٰلِكَ الرَّسُولِ ، بُنَيَّ الْوَحِيدَ الَّذِي يُعِينُنِي وَيُؤَمِّنُ رَاحَتِي فِي حَيَاتِي . يَقُولُ أَنَسٌ : فَقَامَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ الْمَيِّتُ ؛ وَأَكَلَ مَعَنَا الطَّعَامَ . .

فَفِقْرَةُ الْإِمَامِ الْبُوصِيرِيِّ ، الَّتِي تُفِيدُ هٰذِهِ الْحَادِثَةَ الْعَجِيبَةَ ؛ وَتُشِيرُ إِلَيْهَا ، فِي قَصِيدَةِ الْبُرْدَةِ ، هِيَ هٰذِهِ : (لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً ۞ أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعٰى دَارِسَ الرِّمَمِ) .
يَعْنِي : لَوْ دَلَّتْ عَلامَاتُهُ ، عَلٰى فَضْلِهِ وَعَظَمَتِهِ ، بِدَرَجَةٍ تُوَافِقُ قَدْرَهُ ؛ لَمَا أُحْيِيَتِ الْمَوْتَى الْجُدُدُ ؛ بَلْ أُحْيِيَتْ بِاسْمِهِ الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ . .

﴿ اَلْحَادِثَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ يُخْبِرُ الرُّوَاةُ كَالْإِمَامِ الْبَيْهَقِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ : أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا اسْتُشْهِدَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ؛ وَوَضَعْنَاهُ فِي الْقَبْرِ ؛ وَكُنْتُ

حَاضِراً ، إِذْ جَاءَ مِنْهُ صَوْتٌ ، حِينَ وُضِعَ فِي الْقَبْرِ ؛ فَقَالَ : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ؛ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ؛ وَعُمَرُ الشَّهِيدُ ؛ وَعُثْمَانُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ» ؛ ثُمَّ كَشَفْنَا عَنْهُ ؛ فَرَأَيْنَاهُ بِلَا رُوحٍ . فَهٰكَذَا يُخْبِرُ عَنْ شَهَادَةِ عُمَرَ ؛ وَهُوَ لَمْ يُسْتَخْلَفْ ذٰلِكَ الْوَقْتَ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ يُخْبِرُ الْإِمَامُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ ، فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ، عَنْ نُعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ : أَنَّ زَيْدَ بْنَ الْخَارِجَةِ خَرَّ مَيْتاً فِي السُّوقِ بَغْتَةً ؛ فَأَتَيْنَا بِهِ إِلَى الْبَيْتِ ؛ فَبَيْنَمَا كَانَتِ النِّسَاءُ يَبْكِينَ حَوْلَهُ ، بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ؛ إِذْ قَالَ : «أَنْصِتُوا أَنْصِتُوا» ؛ ثُمَّ قَالَ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ؛ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ» ؛ فَتَكَلَّمَ مِقْدَاراً ؛ ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْهِ ؛ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ بِلَا رُوحٍ . .

هٰذَا ؛ فَإِذَا صَدَّقَتِ الْجَنَائِزُ الْجَامِدَةُ رِسَالَتَهُ ؛ وَلَمْ تُصَدِّقْهَا الْأَحْيَاءُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ أُولَائِكَ الْأَحْيَاءَ الْمُجْرِمِينَ ، أَكْثَرُ جُمُوداً مِنَ الْجَمَادَاتِ ، وَأَشَدُّ مَوْتاً مِنَ الْأَمْوَاتِ . .

وَأَمَّا خِدْمَةُ الْمَلَائِكَةِ ﴿لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، وَتَمَثُّلُهُمْ لَهُ ، وَإِيمَانُ الْجِنِّ بِهِ ، وَإِطَاعَتُهُمْ لَهُ ، فَمُتَوَاتِرَةٌ وَمُصَرَّحٌ بِهَا بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، بِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَإِنَّ خَمْسَةَ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ خَدَمُوهُ وَصَارُوا جُنُوداً أَمَامَهُ ، كَالْأَصْحَابِ ، فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، بِنَصِّ الْقُرْآنِ ؛ حَتّٰى إِنَّ أُولَائِكَ الْمَلَائِكَةَ فَازُوا بِالشَّرَفِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ، كَأَصْحَابِ بَدْرٍ . . وَفِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ جِهَتَانِ . .

إِحْدَاهُمَا : أَنَّ وُجُودَ الْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ مُتَحَقِّقٌ ؛ وَلَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِنَا ، كَطَوَائِفِ الْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ . وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ، إِثْبَاتاً قَاطِعاً فِي دَرَجَةِ كَوْنِ الِاثْنَيْنِ فِي الِاثْنَيْنِ أَرْبَعَةً . فَنُحِيلُ إِثْبَاتَهُمْ عَلٰى تِلْكَ الْمَقَالَةِ . .

وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ رُؤْيَةُ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ لَهُمْ ، وَتَكَلُّمُهُمْ مَعَهُمْ ؛ وَذٰلِكَ بِشَرَفِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ أَثَراً مِنْ آثَارِ مُعْجِزَتِهِ . .

فَقَدْ رَوٰى أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمِ الْبُخَارِيُّ ، وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ : أَنَّ الْمَلَكَ ؛ يَعْنِي

جِبْرَائِيلَ ، أَتٰى مَرَّةً عَلٰى صُورَةِ إِنْسَانٍ أَبْيَضَ اللِّبَاسِ ؛ وَكَانَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ جَالِساً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ؛ فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : «مَا الْإِسْلَامُ ؟ وَمَا الْإِيمَانُ ؟ وَمَا الْإِحْسَانُ ؟» ؛ يَعْنِي : عَرِّفْهَا ، مَا هِيَ ؟ . فَعَرَّفَهَا ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ فَدَرَسَتْ جَمَاعَةُ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ ؛ وَرَأَوْا ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْكَرِيمَ ، رُؤْيَةً مُتْقَنَةً ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الشَّخْصُ يُرٰى كَالْمُسَافِرِ ؛ وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَثَرُ عَلَامَةِ السَّفَرِ ؛ فَقَامَ ؛ وَغَابَ بَغْتَةً . فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ عِنْدَئِذٍ : فَعَلَ جِبْرَائِيلُ هٰكَذَا ؛ لِيُدَرِّسَكُمْ . .

وَكَذَا يَرْوِي أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ ، بِالْخَبَرِ الصَّحِيحِ الْقَاطِعِ ، وَبِدَرَجَةِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ : أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَرَوْنَ جِبْرَائِيلَ عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ، عَلٰى صُورَةِ دِحْيَةَ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ . .

فَمِنْ ذٰلِكَ مَا ثَبَتَ قَطْعاً : أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ ، وَابْنَ عَبَّاسٍ ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَالْحَارِثَ ، وَعَائِشَةَ الصِّدِّيقَةَ ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ، يُخْبِرُونَ قَطْعاً وَيَقُولُونَ : إِنَّنَا كَثِيراً مَا نَرٰى جِبْرَائِيلَ (عليه السلام) ، عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ عَلٰى صُورَةِ دِحْيَةَ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ هٰؤُلَاءِ الْكِرَامُ : إِنَّنَا نَرَاهُ ، بِدُونِ أَنْ يَرَوْهُ ؟ .

وَكَذَا يُخْبِرُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَاتِحُ إِيرَانَ ، وَمِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرَةِ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْقَاطِعِ : أَنَّنَا رَأَيْنَا شَخْصَيْنِ بِيضَ الثِّيَابِ ، بِجَنْبَيِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ عَلٰى صُورَةِ مُحَافِظَيْنِ كَحَارِسَيْنِ ، فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ ؛ فَعُلِمَ أَنَّهُمَا مَلَكَانِ ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّهُمَا جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ (عليهما السلام) . فَيَا عَجَباً ! إِذَا قَالَ بَطَلٌ مِثْلُ هٰذَا ، مِنْ أَبْطَالِ الْإِسْلَامِ : إِنَّنَا رَأَيْنَا ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا ؟ .

وَكَذَا يُخْبِرُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّنَا رَأَيْنَا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، فُرْسَاناً بِيضَ الثِّيَابِ ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . .

وَكَذَا رَجَا سَيِّدُنَا حَمْزَةُ ، عَنْ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ وَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَرٰى

جِبْرِيلَ (عليه السلام) ؛ فَأَرَاهُ فِي الْكَعْبَةِ ؛ فَلَمْ يَتَحَمَّلْ وَخَرَّ صَعِقاً . .

وَهٰذَا النَّوْعُ مِنْ أَحْدَاثِ رُؤْيَةِ الْمَلاَئِكَةِ كَثِيرٌ . وَجَمِيعُ هٰذِهِ الْوَقَائِعِ تَدُلُّ عَلَى نَوْعٍ مِنْ مُعْجِزَةٍ أَحْمَدِيَّةٍ ، وَعَلَى أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ ، فَرَاشٌ لِمِصْبَاحِ نُبُوَّتِهِ أَيْضاً . .

وَأَمَّا الْجِنُّ ، فَإِنَّ الاِتِّصَالَ بِهِمْ ، وَمُشَاهَدَتَهُمْ تَقَعُ كَثِيراً ، لاَ لِلصَّحَابَةِ فَقَطْ ، بَلْ لِعَوَامِّ الْأُمَّةِ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّ أَئِمَّةَ الْحَدِيثِ يَرْوُونَ بِخَبَرٍ أَقْطَعَ وَأَصَحَّ ؛ وَيَقُولُونَ : إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ : رَأَيْتُ الْجِنَّ لَيْلَةَ اهْتِدَائِهِمْ بِبَطْنِ النَّخْلِ ؛ وَإِنِّي أَشْبَهْتُهُمْ بِطَائِفَةِ الزُّطِّ الطَّوِيلَةِ الْقَامَةِ ، مِنْ قَبِيلَةِ السُّودَانِ ؛ وَكَانُوا يُشْبِهُونَهُمْ . .

وَمِمَّا اشْتَهَرَ وَخَرَّجَهُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَقَبِلُوهُ ، حَادِثَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُمْ لَمَّا هَدَمُوا الْعُزّٰى ؛ خَرَجَتْ مِنْ دَاخِلِهَا جِنِّيَّةٌ عَلٰى شَكْلِ امْرَأَةٍ سَوْدَاءَ ؛ فَقَطَعَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، بِالسَّيْفِ شِقَّيْنِ . فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ يَقْصِدُ تِلْكَ الْحَادِثَةَ : كَانَ يُعْبَدُ لِتِلْكَ الْجِنِّيَّةِ فِي دَاخِلِ صَنَمِ الْعُزّٰى ؛ فَلَنْ يُعْبَدَ لَهَا بَعْدُ . .

وَكَذَا مِمَّا اشْتَهَرَ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ ، أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَمَا كُنَّا عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ جَاءَ جِنِّيٌّ اسْمُهُ هَامَةُ ؛ وَبِيَدِهِ عَصًا ؛ فَآمَنَ ؛ وَدَرَّسَهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عليه الصلاة والسلام﴾ عِدَّةَ سُوَرٍ مِنْ قِصَارِ السُّوَرِ ؛ فَأَخَذَ دَرْسَهُ وَانْطَلَقَ . .

فَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ الْأَخِيرَةُ ، وَإِنْ نَقَدَهَا بَعْضُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ ، إِلَّا أَنَّ أَعْلاَمَ الْأُمَّةِ حَكَمُوا بِصِحَّتِهَا . وَمَهْمَا يَكُنْ ؛ فَلاَ لُزُومَ إِلَى إِسْهَابِ الْكَلاَمِ فِي هٰذَا النَّوْعِ ؛ فَإِنَّ أَمْثِلَتَهُ كَثِيرَةٌ . .

وَكَذَا نَقُولُ : إِنَّ آلاَفاً مِنَ الْأَقْطَابِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، مِثْلَ الشَّيْخِ الْجِيلاَنِيِّ ، اجْتَمَعُوا بِالْمَلاَئِكَةِ وَالْجِنِّ ؛ وَيَتَكَلَّمُونَ مَعَهُمْ بِنُورِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ، وَبِتَرْبِيَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ . وَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ ، فِي دَرَجَةِ مِئَةِ تَوَاتُرٍ ، وَبِكَثْرَةٍ بَالِغَةٍ . نَعَمْ : إِنَّ تَكَلُّمَ أُمَّةِ ﴿مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام﴾ ، مَعَ الْمَلاَئِكَةِ وَالْجِنِّ ، وَالْتِقَاءَهُمْ بِهِمْ ، أَثَرٌ مِنْ آثَارِ تَرْبِيَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ، وَإِرْشَادِهِ الْمُعْجِزِ . .

اَلشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ :

أَنَّ حِفْظَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ وَعِصْمَتَهُ ، مُعْجِزَةٌ بَاهِرَةٌ ؛ وَأَنَّ الْحَقِيقَةَ الْبَاهِرَةَ لِلْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ؛ وَهِيَ : ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ تَدُلُّ عَلَى مُعْجِزَاتٍ كَثِيرَةٍ . .

نَعَمْ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ لَمَّا ظَهَرَ ؛ لَمْ يَتَحَدَّ طَائِفَةً أَوْ قَوْماً أَوْ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ ، أَوْ دِيناً فَقَطْ ؛ بَلْ تَحَدَّى عَلَى حِدَتِهِ ، الْمُلُوكَ وَجَمِيعَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ؛ وَقَدْ كَانَ عَمُّهُ أَكْبَرَ عَدُوٍّ ؛ وَقَوْمُهُ وَقَبِيلَتُهُ أَعْدَاءً لَهُ ؛ وَكَانَ بِلَا حِرَاسَةٍ وَلَا حِمَايَةٍ بِدُونِ تَكَلُّفٍ ، ثَلَاثاً وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ وَتَعَرَّضَ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً جِدّاً لِلاغْتِيَالِ ؛ مَعَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ عَلَى فِرَاشِ الرَّاحَةِ ، بِكَمَالِ السَّعَادَةِ . فَحِفْظُهُ وَعِصْمَتُهُ إِلَى أَنْ طَلَعَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، يَدُلُّ كَالشَّمْسِ عَلَى أَنَّ آيَةَ : ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ تُفِيدُ حَقِيقَةً قَوِيَّةً ؛ وَأَنَّهَا نُقْطَةُ اسْتِنَادٍ مَتِينَةٌ . .

وَنَحْنُ نَذْكُرُ عِدَّةَ حَوَادِثَ اكْتَسَبَتِ الْقَطْعَ وَالْيَقِينَ ، وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ فَقَطْ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الْأُولَى :﴾ يُخْبِرُ أَهْلُ السِّيَرِ وَالْحَدِيثِ ، مُتَّفِقِينَ : أَنَّ قَبِيلَةَ قُرَيْشٍ اتَّفَقَتْ قَطْعاً ؛ لِيُدَبِّرُوا قَتْلَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ حَتَّى إِنَّ شَيْطَاناً ، دَخَلَ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ ؛ فَأُخِذَ بِتَدْبِيرِهِ ، مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، رَجُلٌ عَلَى الْأَقَلِّ ؛ لِئَلَّا تَقَعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَ قُرَيْشٍ ؛ فَهَجَمَ مَا يُنَاهِزُ مِئَتَيْ رَجُلٍ ، عَلَى بَيْتِ سَعَادَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، تَحْتَ قِيَادَةِ أَبِي جَهْلٍ وَأَبِي لَهَبٍ ؛ وَكَانَ عِنْدَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ عَلِيٌّ ؛ فَقَالَ لَهُ : بِتْ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِي . فَانْتَظَرَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ حَتَّى جَاءَتْ قُرَيْشٌ ؛ فَحَاصَرُوا كُلَّ أَطْرَافِ الْبَيْتِ ؛ فَخَرَجَ عِنْدَئِذٍ ؛ فَرَمَى عَلَى رُؤُوسِهِمْ شَيْئاً مِنَ التُّرَابِ ؛ فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ؛ فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَسَارَ . فَكَانَتْ حَمَامَتَانِ وَعَنْكَبُوتٌ ، حُرَّاساً لَهُ فِي غَارِ حِرَاءٍ ؛ وَحَفِظُوهُ ضِدَّ قُرَيْشٍ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ مِنَ الْحَوَادِثِ الْقَطْعِيَّةِ ؛ وَهِيَ : أَنَّ رُؤَسَاءَ قُرَيْشٍ بَعَثُوا رَجُلاً

شُجَاعاً لِلْغَايَةِ ، اسْمُهُ سُرَاقَةُ ، بِجُعَالَةٍ مُهِمَّةٍ ؛ حَتّٰى يَتْبَعَ أَثَرَهُمَا ؛ وَيَجْتَهِدَ لِقَتْلِهِمَا ؛ فَبَيْنَمَا خَرَجَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مِنَ الْغَارِ ؛ فَانْطَلَقَا إِلٰى نَحْوِ الْمَدِينَةِ ؛ رَأَيَا سُرَاقَةَ يَأْتِي ؛ فَحَزِنَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ؛ فَقَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ ؛ كَمَا قَالَ فِي الْغَارِ ؛ فَنَظَرَ نَظْرَةً إِلٰى سُرَاقَةَ ؛ فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِ سُرَاقَةَ فِي الْأَرْضِ ؛ وَبَقِيَ كَذٰلِكَ ؛ فَنَجَا ثَانِياً ؛ فَتَبِعَهُمْ أَيْضاً ؛ فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ أَيْضاً ؛ وَكَانَ يَخْرُجُ عَنْ مَكَانِ قَوَائِمِ فَرَسِهِ ، مَا يُشْبِهُ الدُّخَانَ ؛ فَحِينَئِذٍ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَأَتّٰى مِنْهُ وَلَا مِنْ أَحَدٍ ، أَنْ يَمَسَّهُ بِسُوءٍ ؛ فَطَلَبَ الْأَمَانَ ، مِنَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ ؛ وَلٰكِنْ قَالَ : انْطَلِقْ وَافْعَلْ بِحَيْثُ لَا يَأْتِي آخَرُ . وَنُبَيِّنُ بِمُنَاسَبَةِ هٰذِهِ الْحَادِثَةِ : أَنَّ الرُّوَاةَ يُخْبِرُونَ بِصُورَةٍ صَحِيحَةٍ : أَنَّ رَاعِياً سَارَ إِلٰى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ عَايَنَهُمَا ؛ لِيُخْبِرَ قُرَيْشاً ؛ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ ؛ نَسِيَ مَا قَدِمَ لِأَجْلِهِ مَكَّةَ ؛ فَمَهْمَا تَكَلَّفَ ؛ لَمْ يَتَذَكَّرْهُ ؛ فَاضْطُرَّ إِلَى الرُّجُوعِ ؛ ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ اللهَ أَنْسَاهُ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ يَرْوِي أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ ، بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ : أَنَّ رَئِيسَ قَبِيلَةٍ ؛ وَكَانَ شُجَاعاً ، اسْمُهُ غَوْرَثٌ جَاءَ بِحَيْثُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ؛ فَقَامَ فَوْقَ رَأْسِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ؛ فَقَالَ ﴿لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ : مَنْ يُنْقِذُكَ عَنِّي ؛ فَقَالَ : «اَللهُ» ؛ ثُمَّ دَعَا هٰكَذَا : «اَللّٰهُمَّ اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ» ؛ فَذَاقَ الْغَوْرَثُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ ضَرْبَةً ، مِنَ الْغَيْبِ بَغْتَةً ؛ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ؛ وَتَدَحْرَجَ عَلَى الْأَرْضِ ؛ فَأَخَذَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ السَّيْفَ بِيَدِهِ ؛ وَقَالَ : وَمَنْ يُنْجِيكَ الْآنَ ؟ . ثُمَّ عَفَا عَنْهُ ؛ وَذٰلِكَ كَانَ فِي غَزْوَةِ غَطَفَانَ وَأَنْمَارٍ ؛ فَذَهَبَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ إِلٰى قَبِيلَتِهِ ؛ فَتَحَيَّرَ كُلُّ أَحَدٍ ، لِذٰلِكَ الرَّجُلِ الْجَرِيءِ الشَّجِيعِ ؛ وَقَالُوا : مَاذَا وَقَعَ بِكَ ؟ لِمَاذَا لَمْ تَفْعَلْ شَيْئاً ؟ . فَقَالَ : وَقَعَتِ الْحَادِثَةُ كَذَا وَكَذَا ؛ وَإِنِّي الْآنَ آتِي مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ . .

وَكَذَا وَقَعَتْ حَادِثَةٌ شِبْهُ هٰذِهِ ، فِي غَزَاةِ بَدْرٍ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ مُنَافِقاً جَاءَ فِي حِينِ غَفْلَةٍ ، بِدُونِ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ ؛ فَرَفَعَ السَّيْفَ لِيَضْرِبَ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ مِنْ وَرَائِهِ ، فَنَظَرَ

إِلَيْهِ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ بَغْتَةً ؛ فَارْتَجَفَ وَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ عَلَى الْأَرْضِ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ يُخْبِرُ مُتَبَحِّرُو أَهْلِ التَّفْسِيرِ ، وَأَئِمَّةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، بِشُهْرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَيَقُولُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّ سَبَبَ نُزُولِ آيَةِ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ : أَنَّ أَبَا جَهْلٍ حَلَفَ وَقَالَ : لَئِنْ أَرَ مُحَمَّداً فِي السُّجُودِ ؛ أَضْرِبْهُ بِهٰذَا الْحَجَرِ ؛ فَأَخَذَ حَجَراً كَبِيراً وَانْطَلَقَ ؛ فَلَمَّا رَآهُ فِي السُّجُودِ ؛ رَفَعَهُ لِيَضْرِبَهُ : فَبَقِيَتْ يَدَاهُ مُعَلَّقَتَيْنِ فِي الْهَوَاءِ . فَقَامَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، بَعْدَ مَا أَدَّى الصَّلَاةَ ؛ فَحُلَّتْ يَدَا أَبِي جَهْلٍ ؛ وَذٰلِكَ إِمَّا بِأَمْرٍ مِنَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ تَبْقَ الْحَاجَةُ . .

وَفِي طَرِيقٍ أَيْضاً ، أَنَّ وَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ ، مِنْ قَبِيلَةِ أَبِي جَهْلٍ ، أَخَذَ حَجَراً كَبِيراً لِيَضْرِبَ بِهِ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ أَيْضاً ؛ فَبَيْنَمَا كَانَ فِي السُّجُودِ ؛ سَارَ إِلَيْهِ لِيَضْرِبَهُ ؛ فَانْطَمَسَتْ عَيْنَاهُ ؛ فَلَمْ يَرَ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ؛ فَرَجَعَ وَكَانَ لَا يَرَى مَنْ بَعَثُوهُ ؛ وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ فَقَطْ ؛ حَتّٰى خَرَجَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ، عَنِ الصَّلَاةِ . فَلَمَّا لَمْ تَبْقَ الْحَاجَةُ ؛ فُتِحَتْ عَيْنَاهُ . .

وَكَذَا يَرْوِي النَّاقِلُونَ ، بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي لَهَبٍ ، الْحَمَّالَةَ لِلْحَطَبِ ، الَّتِي يُقَالُ لَهَا : أُمُّ جَمِيلٍ ، أَخَذَتْ حَجَراً ؛ وَأَتَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ؛ وَكَانَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَجْلِسَانِ هُنَاكَ ؛ فَرَأَى بَصَرُهَا أَبَا بَكْرٍ ؛ فَسَأَلَتْ : أَيْنَ صَاحِبُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ . إِنِّي سَمِعْتُ أَنَّهُ هَجَانِي ؛ فَإِنْ أَرَهُ أَضْرِبْ بِهٰذَا الْحَجَرِ عَلٰى فَمِهِ ؛ فَمَا رَأَتِ ﴿النَّبِيَّ ﷺ﴾ ؛ وَهِيَ عِنْدَهُ . . فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا حَدَّ لِحَطَّابَةٍ مِثْلِهَا ، أَنْ تَدْخُلَ حُضُورَ سُلْطَانٍ مَوْصُوفٍ بِحَدِيثِ «لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ» ؛ فَتَرَاهُ وَهُوَ فِي الْحِرْزِ الْإِلٰهِيِّ . .

﴿اَلْحَادِثَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ يُرْوى بِالْخَبَرِ الصَّحِيحِ : أَنَّ عَامِرَ بْنَ طُفَيْلٍ ، وَأَرْبَدَ بْنَ قَيْسٍ سَارَا إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ مُتَّفِقَيْنِ عَلٰى قَتْلِهِ ؛ فَقَالَ عَامِرٌ : أَنَا أُغْفِلُهُ ؛ وَأَنْتَ تَضْرِبُهُ ؛ ثُمَّ رَأٰى أَنَّهُ لا يَفْعَلُ شَيْئاً . فَبَعْدَ مَا انْطَلَقَا ، قَالَ لِصَاحِبِهِ : لِمَاذَا لَمْ تَضْرِبْهُ ؟ فَقَالَ : كَيْفَ أَضْرِبُهُ ؟ . فَكُلَّمَا نَوَيْتُهُ ؛ رَأَيْتُ أَنَّكَ تَمُرُّ بَيْنَنَا ؛ فَكَيْفَ أَضْرِبُكَ ؟ .

﴿اَلْحَادِثَةُ السَّادِسَةُ :﴾ يُرْوى بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ شَيْبَةَ بْنَ عُثْمَانَ الْحَجَبِيَّ ، الَّذِي قَتَلَ حَمْزَةُ أَبَاهُ وَعَمَّهُ ، جَاءَ سِرّاً فِي غَزَاةِ أُحُدٍ أَوْ حُنَيْنٍ ، لِيَأْخُذَ ثَأْرَهُ ؛ فَأَتٰى حَتّٰى رَفَعَ السَّيْفَ الْمَسْلُولَ ، مِنْ وَرَاءِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ بَغْتَةً . فَنَظَرَ إِلَيْهِ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلٰى صَدْرِهِ . يَقُولُ شَيْبَةُ : فَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ ، إِنْسَانٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ ، فِي الدُّنْيَا ؛ فَآمَنَ . فَقَالَ لَهُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : فَانْطَلِقْ وَقَاتِلْ . فَقَالَ شَيْبَةُ : فَذَهَبْتُ وَقَاتَلْتُ أَمَامَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ فَلَوْ أَتٰى أَبِي حِينَئِذٍ ؛ لَضَرَبْتُهُ أَيْضاً . .

وَكَذَا جَاءَ أَحَدٌ اسْمُهُ فَضَالَةُ ، إِلَى ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ؛ وَذٰلِكَ بِنِيَّةِ الاغْتِيَالِ ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ ؛ وَتَبَسَّمَ ؛ فَقَالَ : مَاذَا تَحَدَّثْتَ مَعَ نَفْسِكَ ؟ . وَاسْتَغْفَرَ لِفَضَالَةَ ؛ فَآمَنَ فَضَالَةُ ؛ وَقَالَ : لَمْ يَكُنْ عِنْدَئِذٍ أَحَدٌ ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ ، فِي الدُّنْيَا . .

﴿اَلْحَادِثَةُ السَّابِعَةُ :﴾ رُوِيَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ الْيَهُودَ أَلْقَوْا صَخْرَةً كَبِيرَةً ، مِنْ فَوْقِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَعَدَ فِيهِ ؛ وَذٰلِكَ بِقَصْدِ الاغْتِيَالِ ؛ فَقَامَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ فِي ذٰلِكَ الْآنِ ، وَفِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ ؛ وَبَقِيَ ذٰلِكَ الْقَصْدُ السَّيِّئُ ، عَقِيماً بِحِفْظِ اللهِ تَعَالٰى . .

هٰذَا ؛ وَتُوجَدُ حَادِثَاتٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ السَّبْعَةِ . .

وَيَنْقُلُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ ، عَنْ عَائِشَةَ :

أَنَّهُ بَعْدَ مَا نَزَلَتْ آيَةُ ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قَالَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) لِمَنْ كَانُوا يَحْرُسُونَهُ أَحْيَاناً : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا ؛ فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» ؛ يَعْنِي : لَا حَاجَةَ إِلَى الْحِرَاسَةِ ؛ فَإِنَّ رَبِّي يَحْفَظُنِي . .

هٰذَا ؛ فَمَا فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى هُنَا ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ نَوْعٍ ، وَكُلَّ عَالَمٍ مِنْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، يَعْرِفُ (الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ) ؛ وَأَنَّهَا ذَاتُ صِلَةٍ بِهِ ؛ وَتُرَى مُعْجِزَاتُهُ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ . . فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْكَرِيمَ الْمُسَمَّى بِأَحْمَدَ ، مَأْمُورُ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ؛ وَلٰكِنْ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ خَالِقَ الْكَائِنَاتِ ، وَبِعُنْوَانِ رَبِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ . . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ كُلَّ دَائِرَةٍ ، تَعْرِفُ وَتَعْلَمُ مُوَظَّفاً مُفَتِّشاً كَبِيراً مِنْ مُوَظَّفِي سُلْطَانٍ ؛ وَإِذَا دَخَلَ أَيَّةَ دَائِرَةٍ ، يَتَنَاسَبُ مَعَهَا ؛ لِأَنَّهُ مُوَظَّفٌ بِاسْمِ سُلْطَانِ الْجَمِيعِ . فَإِنْ كَانَ مُفَتِّشَ الْعَدْلِيَّةِ فَقَطْ مَثَلاً ؛ يَتَنَاسَبُ حِينَئِذٍ مَعَ تِلْكَ الدَّائِرَةِ الْعَدْلِيَّةِ ؛ وَلَا تَعْرِفُهُ دَوَائِرُ أُخْرَى تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ . وَإِنْ كَانَ مُفَتِّشَ الْعَسْكَرِيَّةِ ؛ لَا تَعْرِفُهُ دَائِرَةُ الْمَلَكِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ يُفْهَمُ أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ فِي جَمِيعِ دَوَائِرِ السَّلْطَنَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مِنَ الْمَلَكِ إِلَى الذُّبَابِ وَالْعَنْكَبُوتِ ، تَعْرِفُهُ وَتَعْلَمُ بِهِ ؛ أَوْ يُعْلَمُ لَهَا . فَإِذاً إِنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ وَإِنَّ لِرِسَالَتِهِ شُمُولاً فَوْقَ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ . .

اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ :

إِنَّ الْخَوَارِقَ الَّتِي ظَهَرَتْ قَبْلَ بِعْثَةِ النُّبُوَّةِ ؛ وَلٰكِنَّهَا كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِالنُّبُوَّةِ ، مِمَّا تُسَمَّى بِالْإِرْهَاصَاتِ ، هِيَ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ أَيْضاً . وَهٰذِهِ الْخَوَارِقُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ . .

اَلْقِسْمُ الْأَوَّلُ :

هُوَ مَا أَخْبَرَهُ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ ، وَصُحُفُ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، بِنَصِّ الْقُرْآنِ . نَعَمْ : لَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ سَمَاوِيَّةً ؛ وَكَانَ أَصْحَابُهَا أَنْبِيَاءَ ؛ كَانَ مِنَ

الضَّرُورِيِّ وَالْقَطْعِيِّ ، أَنْ تَبْحَثَ قَطْعاً عَلىٰ كُلِّ حَالٍ ، عَمَّنْ يَنْسَخُ أَدْيَانَهُمْ ؛ وَيُبَدِّلُ شَكْلَ الْعَالَمِ ؛ وَيُضِيءُ نِصْفَ الْأَرْضِ ، بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ النُّورِ . نَعَمْ : إِنَّ تِلْكَ الْكُتُبَ الَّتِي تُخْبِرُ عَنْ صِغَارِ الْحَوَادِثِ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ لَا تُخْبِرَ عَنِ الْحَادِثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ حَادِثَةِ الْبَشَرِ ؟ . فَإِذَا كَانَتْ تُخْبِرُ عَنْهُ بِالْبَدَاهَةِ ؛ فَهِيَ عَلىٰ كُلِّ حَالٍ ، إِمَّا أَنْ تُكَذِّبَهُ حَتّٰى تُنْقِذَ أَدْيَانَهُمْ عَنِ الْهَدْمِ ؛ وَكُتُبَهُمْ عَنِ النَّسْخِ ؛ وَإِمَّا أَنْ تُصَدِّقَهُ حَتّٰى تُخَلِّصَ أَدْيَانَهُمْ عَنِ الْخُرَافَاتِ ؛ وَكُتُبَهُمْ عَنِ التَّحْرِيفَاتِ ، بِسَبَبِ ذٰلِكَ الشَّخْصِ صَاحِبِ الْحَقِيقَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي أَيِّ كِتَابٍ ، أَمَارَةُ التَّكْذِيبِ قَطْعاً ، بِاتِّفَاقِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ . فَإِذاً يُوجَدُ فِيهَا التَّصْدِيقُ . وَإِذَا وُجِدَ التَّصْدِيقُ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ ؛ وَوُجِدَ مَا يَقْتَضِي وُجُودَ هٰذَا التَّصْدِيقِ ، مِنْ عِلَّةٍ قَطْعِيَّةٍ ، وَسَبَبٍ أَصْلِيٍّ ، فَنَحْنُ نُثْبِتُ وُجُودَ ذٰلِكَ التَّصْدِيقِ ، بِثَلَاثِ حُجَجٍ دَالَّةٍ عَلَيْهِ . .

﴿اَلْحُجَّةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ يَقُولُ لَهُمْ بِلِسَانِ الْقُرْآنِ : إِنَّهُ يُوجَدُ فِي كُتُبِكُمْ تَصْدِيقِي وَأَوْصَافِي ؛ وَهِيَ تُصَدِّقُنِي فِيمَا أُبَيِّنُهُ مِنَ الْأُمُورِ ؛ وَيَتَحَدَّاهُمْ بِآيَاتٍ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرٰيةِ فَاتْلُوهَآ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَ ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ؛ فَيَقُولُ : اِئْتُوا بِتَوْرَاتِكُمْ فَاتْلُوهَا ؛ وَائْتُوا نَأْخُذْ أَبْنَاءَنَا وَأَهْلَنَا ؛ فَنَرْفَعَ أَيْدِيَنَا إِلىٰ بَابِهِ تَعَالىٰ ؛ وَنَدْعُوَ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ؛ وَيَقْرَعُ رُؤُوسَهُمْ مُتَمَادِياً ؛ مَعَ أَنَّ عَالِماً يَهُودِيّاً ، أَوْ قِسِّيساً نَصْرَانِيّاً ، لَمْ يُظْهِرْ لَهُ خَطَأً . فَلَوْ أَظْهَرَهُ لَأَعْلَنَهُ الْيَهُودُ الْمُنَافِقُونَ ، وَالْكُفَّارُ الْحَاسِدُونَ الْمُعَانِدُونَ كَثِيراً ، وَالْكَثِيرُونَ جِدّاً ، وَجَمِيعُ عَالَمِ الْكُفْرِ ، فِي كُلِّ جَانِبٍ . . وَكَذَا قَالَ لَهُمْ : إِمَّا أَنْ تَجِدُوا خَطَئِي ، أَوْ أُجَاهِدُكُمْ إِلىٰ أَنْ أَهْلِكَ ؛ مَعَ أَنَّ هٰؤُلَاءِ اخْتَارُوا الْقِتَالَ وَالذُّلَّ وَالْجَلَاءَ . فَإِذاً إِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا خَطَأَهُ ؛ فَلَوْ وُجِدَ خَطَأٌ لَنَجَوْا . .

﴿اَلْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ عِبَارَاتِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ ، لَيْسَتْ مُعْجِزَةً كَالْقُرْآنِ ؛ وَقَدْ تُرْجِمَتْ تَرْجَمَةً فَوْقَ تَرْجَمَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ خَالَطَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ ؛ وَالْتَبَسَتْ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ وَتَأْوِيلُهُمُ الْخَاطِئُ ، بِآيَاتِهَا . وَكَذَا أُلْحِقَتْ بِهَا تَحْرِيفَاتُ الْجُهَلَاءِ وَبَعْضِ ذَوِي

الْغَرَضِ أَيْضاً ؛ فَكَثُرَتِ التَّحْرِيفَاتُ وَالتَّغْيِيرَاتُ ، فِي تِلْكَ الْكُتُبِ ، عَلٰى هٰذِهِ الصُّورَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ الْعَلَّامَةَ الْمَشْهُورَ الشَّيْخَ رَحْمَةَ اللهِ الْهِنْدِيَّ أَثْبَتَ لِعُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، وَقِسِّيسِي النَّصَارٰى ، تَحْرِيفَاتِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ ، فِي آلَافِ مَوَاضِعَ مِنْهَا ؛ فَأَفْحَمَهُمْ بِهَا .. فَمَعَ هٰذَا الْقَدْرِ مِنَ الْمُحَرَّفَاتِ قَدِ اسْتَنْبَطَ (الْحُسَيْنُ الْجِسْرِيُّ الْمَشْهُورُ) ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ، مِئَةً وَعَشَرَةَ دَلَائِلَ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ أَيْضاً ؛ وَكَتَبَ تِلْكَ الدَّلَائِلَ ، فِي الرِّسَالَةِ الْحَمِيدِيَّةِ . وَقَدْ تَرْجَمَ الْمَرْحُومُ إِسْمَاعِيلُ حَقِّي الْمَنَسْطِرْلِيُّ ، تِلْكَ الرِّسَالَةَ ، بِالتُّرْكِيَّةِ ؛ فَمَنْ شَاءَ يُرَاجِعُهَا وَيَرَاهَا ..

وَكَذَا أَنَّ كَثِيرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارٰى ، أَقَرُّوا وَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ أَوْصَافَ ﴿مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عليه الصلاة والسلام﴾ مَكْتُوبَةٌ فِي كُتُبِنَا . نَعَمْ : قَدِ اعْتَرَفَ فِي مُقَدِّمَتِهِمْ ، هِرَقْلُ الْمَشْهُورُ ، مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ ؛ وَهُوَ غَيْرُ مُسْلِمٍ ؛ فَقَالَ : نَعَمْ : إِنَّ عِيسٰى يُخْبِرُ عَنْ ﴿مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عليه الصلاة والسلام﴾ ..

وَكَذَا أَنَّ حَاكِمَ مِصْرَ مَلِكَ الرُّومِ الْمُسَمّٰى بِمُقَوْقِسَ ، وَابْنَ صُورِيَا وَابْنَ أَخْطَبَ وَأَخَاهُ ، وَكَعْبَ بْنَ أَسَدٍ ، وَالزَّبِيرَ بْنَ بَاطِيَا مِنْ مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، وَأَمْثَالَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، اعْتَرَفُوا مَعَ بَقَائِهِمْ غَيْرَ مُسْلِمِينَ ؛ فَقَالُوا : نَعَمْ تُوجَدُ أَوْصَافُهُ فِي كُتُبِنَا ؛ وَهِيَ تَبْحَثُ عَنْهُ ..

وَكَذَا أَنَّ الَّذِينَ تَرَكُوا الْعِنَادَ ، مِنْ مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، وَمَشَاهِيرِ قِسِّيسِي النَّصَارٰى ؛ فَآمَنُوا بَعْدَ مَا رَأَوُا الْأَوْصَافَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ ؛ أَظْهَرُوا أَوْصَافَهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ؛ وَأَفْحَمُوا بِهَا سَائِرَ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارٰى ..

فَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ الْمَشْهُورُ ، وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ، وَأَبُو يَاسِرٍ ، وَشَامُولُ . وَكَانَ شَامُولُ هٰذَا فِي عَهْدِ تُبَّعٍ مَلِكِ الْيَمَنِ . فَكَمَا آمَنَ تُبَّعٌ غِيَاباً قَبْلَ الْبِعْثَةِ ؛ كَذٰلِكَ شَامُولُ أَيْضاً ..

وَمِنْهُمْ أَسِيدٌ وَثَعْلَبَةُ ؛ فَإِنَّ عَارِفاً بِاللهِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ هَيْبَانَ ، نَزَلَ ضَيْفاً عَلٰى قَبِيلَةِ

بَنِي النَّضْرِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ ؛ فَقَالَ : «قَرِيبٌ ظُهُورُ نَبِيٍّ هٰذَا دَارُ هِجْرَتِهِ» ؛ فَتُوُفِّيَ هُنَاكَ . ثُمَّ لَمَّا قَاتَلَتْ تِلْكَ الْقَبِيلَةُ ، ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ، بَرَزَ أَسِيدٌ وَثَعْلَبَةُ إِلَى الْمَيْدَانِ ؛ وَنَادَيَا تِلْكَ الْقَبِيلَةَ ؛ فَقَالَا : «وَاللهِ هُوَ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهِ ابْنُ هَيْبَانَ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ هٰذَا هُوَ الَّذِي أَخْبَرَكُمْ بِهِ ابْنُ هَيْبَانَ ؛ فَلَا تُقَاتِلُوهُ ؛ وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يُصْغُوا إِلَيْهِمَا ؛ فَوَجَدُوا بَلَاءَهُمْ . .

وَكَذَا أَنَّ كَثِيراً مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ كَابْنِ بِنْيَامِينَ ، وَمُخَيْرِيقَ ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ رَأَوُا الْأَوْصَافَ النَّبَوِيَّةَ ، فِي كُتُبِهِمْ ، فَآمَنُوا . .

وَكَذَا أَنَّ بَحِيرَا الرَّاهِبَ الْمَشْهُورَ ، مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى ، الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ ، أَضَافَ الْقُرَيْشِيِّينَ ، لِأَجْلِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ إِذْ ذَهَبَ مَعَ عَمِّهِ إِلَى نَحْوِ الشَّامِ ؛ وَكَانَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ عَاماً مِنْ عُمُرِهِ ؛ فَرَأَى أَنَّ السَّحَابَةَ الَّتِي كَانَتْ تُظِلُّ الرَّكْبَ ، هِيَ تُظِلُّ فِي مَكَانِ الرَّكْبِ بَعْدُ ؛ فَإِذاً إِنَّ الَّذِي أُرِيدُهُ بَقِيَ هُنَاكَ ؛ ثُمَّ بَعَثَ رَجُلاً ؛ فَأَتَى بِهِ أَيْضاً ؛ فَقَالَ : الرَّاهِبُ لِأَبِي طَالِبٍ : ارْجِعْ وَاذْهَبْ بِهِ إِلَى مَكَّةَ ؛ فَإِنَّ الْيَهُودَ حُسُودٌ ؛ وَإِنَّ أَوْصَافَ هٰذَا ، مَذْكُورَةٌ فِي التَّوْرَاةِ ؛ فَيَخْتَانُونَ بِهِ . .

وَكَذَا أَنَّ نَسْطُورَ الْحَبَشَةِ ، وَرَئِيسَ الْحَبَشِ النَّجَاشِيَّ ، عَايَنَا الْأَوْصَافَ الْمُحَمَّدِيَّةَ فِي كُتُبِهِمْ ؛ فَآمَنَا مَعاً . .

وَكَذَا أَنَّ عَالِماً نَصْرَانِيّاً مَشْهُوراً يُسَمّٰى بِضَغَاطِرَ رَأَى صِفَاتِهِ فِي الْكُتُبِ ؛ فَآمَنَ وَأَعْلَنَ إِيمَانَهُ بَيْنَ الرُّومِ ؛ فَاسْتُشْهِدَ . .

وَكَذَا أَنَّ حَارِثَ بْنَ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيَّ ؛ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ رُؤَسَاءِ الدِّينِ ، وَمِنْ مُلُوكِ الشَّامِ : (أَيْ صَاحِبِ إِيلِيَا) ، وَهِرَقْلَ وَابْنَ نَاطُورٍ وَالْجَارُودَ ، وَأَمْثَالَهُمْ مِنْ مَشَاهِيرِ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى ، رَأَوْا صِفَاتِهِ فِي كُتُبِهِمْ ؛ فَآمَنُوا إِلَّا أَنَّ هِرَقْلَ لَمْ يُظْهِرْ إِيمَانَهُ لِسَلْطَنَةِ الدُّنْيَا . .

وَكَذَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ؛ وَهُوَ كَانَ أَوَّلاً نَصْرَانِيّاً مِثْلَ هٰؤُلَاءِ ؛ وَكَانَ يَطْلُبُ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ بَعْدَ أَنْ رَأَى أَوْصَافَهُ . .

وَكَذَا أَنَّ عَالِماً مُهِمّاً ، يُسَمّى بِتَمِيم ، وَالنَّجَاشِيَّ رَئِيسَ الْحَبَشَةِ الْمَشْهُورَ ، وَأَسَاقِفَةَ نَجْرَانَ كُلَّهُمْ ، يُخْبِرُونَ مُتَّفِقِينَ ؛ وَيَقُولُونَ : إِنَّنَا رَأَيْنَا الْأَوْصَافَ النَّبَوِيَّةَ فِي كُتُبِنَا ؛ فَآمَنَّا لِذٰلِكَ . .

﴿اَلْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ :﴾ فَهَا نَحْنُ نُبَيِّنُ عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ ، عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ مِنْ آيَاتِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ ، الْمُتَعَلِّقَةِ (بِنَبِيِّنَا عليه الصلاة والسلام) . .

اَلْأَوَّلُ : يُوجَدُ فِي الزَّبُورِ آيَةٌ هٰكَذَا : «اَللّٰهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الْفَتْرَةِ» . فَمُقِيمُ السُّنَّةِ اسْمُ أَحْمَدَ . .

وَآيَةُ الْإِنْجِيلِ : «قَالَ الْمَسِيحُ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلٰى أَبِي وَأَبِيكُمْ لِيَبْعَثَ لَكُمُ الْفَارِقْلِيطَا» ؛ يَعْنِي : أَذْهَبُ لِيَأْتِيَ إِلَيْكُمُ الْفَارِقْلِيطُ ؛ يَعْنِي : لِيَأْتِيَ أَحْمَدُ . .

وَآيَةٌ ثَانِيَةٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ : «إِنِّي أَطْلُبُ مِنْ رَبِّي فَارِقْلِيطاً يَكُونُ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ» ؛ يَعْنِي : أَسْأَلُ رَبِّي نَبِيّاً يُفَرِّقُ الْحَقَّ عَنِ الْبَاطِلِ ، يَكُونُ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ . وَالْفَارِقْلِيطُ بِمَعْنَى الْفَارِقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، اسْمُ النَّبِيِّ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ . .

وَآيَةُ التَّوْرَاةِ : «إِنَّ اللهَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ : إِنَّ هَاجَرَ تَلِدُ ؛ وَيَكُونُ مِنْ وَلَدِهَا مَنْ يَدُهُ فَوْقَ الْجَمِيعِ ؛ وَيَدُ الْجَمِيعِ مَبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ بِالْخُشُوعِ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ هَاجَرَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ تَكُونُ ذَاتَ أَوْلَادٍ ؛ وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَوْلَادِهَا ، مَنْ تَكُونُ يَدُهُ فَوْقَ الْجَمِيعِ ؛ وَيُفْتَحُ إِلَيْهِ يَدُ الْجَمِيعِ بِالْخُشُوعِ وَالْإِطَاعَةِ . .

وَآيَةٌ ثَانِيَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ : «وَقَالَ يَا مُوسٰى : إِنِّي مُقِيمٌ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ بَنِي إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ ؛ وَأُجْرِي قَوْلِي فِي فَمِهِ ؛ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ قَوْلَ النَّبِيِّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِي ؛ فَأَنَا أَنْتَقِمُ مِنْهُ» ؛ يَعْنِي : أَنِّي أَبْعَثُ بِوَاحِدٍ مِثْلِكَ ، مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ الَّذِينَ هُمْ إِخْوَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ وَأَضَعُ كَلَامِي فِي فِيهِ ؛ وَيَتَكَلَّمُ بِوَحْيِي ؛ وَأُعَذِّبُ مَنْ لَا يَقْبَلُهُ . .

وَآيَةٌ ثَالِثَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ : «قَالَ مُوسٰى رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أُمَّةً هُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ ؛ فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ» . .

إِخْطَارٌ : وَرَدَ اسْمُ «مُحَمَّدٍ» فِي تِلْكَ الْكُتُبِ ، عَلٰى صُورَةِ أَسْمَاءٍ سُرْيَانِيَّةٍ ، وَبِأَسْمَاءٍ عِبْرَانِيَّةٍ بِمَعْنٰى «مُحَمَّدٍ» مِثْلِ «مُشَفَّحَ وَمُنْحَمَنَّا وَحِمْيَاطَا» ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ صَرِيحَ اسْمِ «مُحَمَّدٍ» كَانَ قَلِيلاً . وَالْقِسْمُ الصَّرِيحُ مِنْهُ حَرَّفَتْهُ الْيَهُودُ الْحَسُودُ . .

وَآيَةُ الزَّبُورِ : «يَا دَاوُدُ ! يَأْتِي بَعْدَكَ نَبِيٌّ يُسَمّٰى أَحْمَدَ وَمُحَمَّداً صَادِقاً وَسَيِّداً ؛ أُمَّتُهُ مَرْحُومَةٌ» . .

وَكَذَا أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، مِنَ الْعَبَادِلَةِ الْأَرْبَعَةِ ، الَّذِي بَحَثَ كَثِيراً فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ ، الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، وَكَعْبَ الْأَحْبَارِ الْمَشْهُورَ الَّذِي كَانَ مِنْ مُتَبَحِّرِي عُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، أَعْلَنُوا فِي التَّوْرَاةِ الَّتِي لَمْ تُصَادِفْ تَحْرِيفاً كَثِيراً بَعْدُ ، فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، هٰذِهِ الْآيَةَ الْآتِيَةَ نَفْسَهَا ؛ وَأَظْهَرُوهَا . وَجُزْءٌ مِنْ تِلْكَ الْآيَةِ ، هُوَ : «إِنَّ اللهَ تَعَالٰى يَقُولُ خِطَاباً لِلنَّبِيِّ الْآتِي ، بَعْدَ الْخِطَابِ مَعَ مُوسٰى : «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحِرْزاً لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ؛ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ؛ بَلْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ؛ لَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتّٰى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بِأَنْ يَقُولُوا «لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» . .

وَآيَةٌ أُخْرٰى مِنَ التَّوْرَاةِ : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ؛ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ؛ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ ؛ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ» . فَلَفْظُ «مُحَمَّدٌ» فِي هٰذِهِ الْآيَةِ ، وَرَدَ فِي اسْمٍ سُرْيَانِيٍّ بِمَعْنٰى «مُحَمَّدٍ» . .

وَلِلتَّوْرَاةِ آيَةٌ أُخْرٰى أَيْضاً : «أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ» . فَيُخَاطِبُ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ ، النَّبِيَّ الَّذِي سَيَأْتِي بَعْدَ مُوسٰى ، مِنْ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ ، الَّذِينَ هُمْ إِخْوَةُ بَنِي إِسْحَاقَ . .

وَآيَةٌ أُخْرى أَيْضاً مِنَ التَّوْرَاةِ : «عَبْدِي الْمُخْتَارُ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ» . فَالْمُخْتَارُ بِمَعْنَى الْمُصْطَفى ، وَهُوَ اسْمُ النَّبِيِّ . .

وَفِي الْإِنْجِيلِ فِي تَعْرِيفِ النَّبِيِّ الَّذِي سَيَجِيءُ بَعْدَ عِيسى ؛ وَيُبَشِّرُ بِهِ فِي بَعْضِ آيَاتِهِ ، بِعُنْوَانِ رَئِيسِ الْعَالَمِ : «مَعَهُ قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقَاتِلُ بِهِ ؛ وَأُمَّتُهُ كَذٰلِكَ» . فَهٰذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ سَيَجِيءُ نَبِيٌّ صَاحِبُ سَيْفٍ وَمَأْمُورٌ بِالْجِهَادِ . وَالْقَضِيبُ الْحَدِيدُ هُوَ السَّيْفُ . وَأَنَّ أُمَّتَهُ أَيْضاً تَكُونُ ذَاتَ سَيْفٍ مِثْلَهُ : أَيْ مَأْمُورَةٌ بِالْجِهَادِ . وَآيَةُ : ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ فِي آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ ، تُشِيرُ إِلَى هٰذِهِ الْآيَةِ وَآيَاتٍ أُخْرى مِثْلِهَا مِنَ الْإِنْجِيلِ ؛ فَتُعْلِنُ مَعَ الْإِنْجِيلِ : أَنَّ ﴿مُحَمَّداً ﷺ﴾ صَاحِبُ سَيْفٍ ، وَمَأْمُورٌ بِالْجِهَادِ . .

وَفِي الْبَابِ الثَّالِثِ وَالثَّلَاثِينَ ، مِنَ الْكِتَابِ الْخَامِسِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، هٰذِهِ الْآيَةُ : «إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى أَقْبَلَ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ؛ فَطَلَعَ عَلَيْنَا مِنْ جَبَلِ سَاعِيرَ ؛ وَظَهَرَ فِي جِبَالِ فَارَانَ» . فَكَمَا أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ تُخْبِرُ عَنِ النُّبُوَّةِ الْمُوسَوِيَّةِ ، بِتَعْبِيرِ «إِقْبَالِ الْحَقِّ تَعَالَى فِي طُورِ سَيْنَاءَ» ؛ وَعَنِ النُّبُوَّةِ الْعِيسَوِيَّةِ ، بِتَعْبِيرِ «طُلُوعِ الْحَقِّ تَعَالَى مِنْ سَاعِيرَ» ، الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ جِبَالِ الشَّامِ ؛ كَذٰلِكَ تُخْبِرُ بِالضَّرُورَةِ عَنِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، بِفِقْرَةِ «ظُهُورِ الْحَقِّ تَعَالَى عَنْ جِبَالِ فَارَانَ» ، الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ جِبَالِ الْحِجَازِ . .

وَفِي التَّوْرَاةِ : تَصْدِيقاً لِحُكْمِ ﴿ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ فِي آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ ، هٰذِهِ الْآيَةُ فِي حَقِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الَّذِي سَيَظْهَرُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ : «إِنَّ عَلَمَ الْقُدُسِيِّينَ مَعَهُمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» ؛ فَتَصِفُهُمْ بِاسْمِ الْقُدُسِيِّينَ ؛ يَعْنِي : أَنَّ أَصْحَابَهُ قُدُسِيُّونَ وَأَوْلِيَاءُ صَالِحُونَ . .

وَفِي كِتَابِ إِشَعْيَا النَّبِيِّ ، فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالْأَرْبَعِينَ ، هٰذِهِ الْآيَةُ : «إِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ سَيَبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عَبْدَهُ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاجْتَبَاهُ ؛ وَيُرْسِلُ إِلَيْهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ جِبْرِيلَ ؛ فَيُعَلِّمُهُ دِينَ اللّٰهِ ؛ وَهُوَ يُعَلِّمُ النَّاسَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي عَلَّمَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ ؛ وَيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ؛ وَهُوَ نُورٌ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ؛ وَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ مَا عَلَّمَنِيهُ

رَبِّي قَبْلَ الْوُقُوعِ» . فَهٰذِهِ الْآيَةُ تُبَيِّنُ أَوْصَافَ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ ﴿مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام﴾ ، بِصُورَةٍ صَرِيحَةٍ لِلْغَايَةِ . .

وَفِي الْبَابِ الرَّابِعِ مِنْ كِتَابِ النَّبِيِّ مِيخَائِيلَ الْمُسَمّى بِمِيشَائِيلَ ، هٰذِهِ الْآيَةُ : «تَقُومُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ؛ فَيَخْتَارُونَ الْجَبَلَ الْمُبَارَكَ ، عَلٰى أَنْ يَعْبُدُوا الْحَقَّ هُنَاكَ ؛ وَيَجْتَمِعُ هُنَاكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ كُلِّ إِقْلِيمٍ ؛ فَيَعْبُدُونَ الرَّبَّ الْوَاحِدَ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ» . فَهٰذِهِ الْآيَةُ تُعَرِّفُ بِصُورَةٍ ظَاهِرَةٍ ، جَبَلَ عَرَفَاتٍ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ جِبَالِ الدُّنْيَا ، وَتَكْبِيرَاتِ الْحُجَّاجِ الْقَادِمِينَ إِلٰى هُنَاكَ ، مِنْ كُلِّ إِقْلِيمٍ ، وَعِبَادَاتِهِمْ ؛ وَتُعَرِّفُ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الْمُشْتَهِرَةَ بِاسْمِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ . .

وَفِي الزَّبُورِ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالسَّبْعِينَ ، هٰذِهِ الْآيَةُ : «إِنَّهُ يَمْلِكُ الْأَرْضَ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ ، وَمِنَ الْأَنْهَارِ إِلٰى مَقْطَعِ الْأَرْضِ وَمُنْتَهَاهَا ؛ وَيُرْسِلُ إِلَيْهِ مُلُوكُ الْيَمَنِ وَالْجَزَائِرِ بِالْهَدَايَا ؛ وَيَسْجُدُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَنْقَادُونَ لَهُ ؛ وَيُصَلّٰى عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَيُدْعٰى لَهُ بِالْبَرَكَةِ كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَتَتَنَوَّرُ أَنْوَارُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ؛ وَيَدُومُ ذِكْرُهُ أَبَدَ الْآبَادِ ؛ وَيُوجَدُ اسْمُهُ قَبْلَ وُجُودِ الشَّمْسِ ؛ وَيَنْتَشِرُ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ» . فَهٰذِهِ الْآيَةُ تَصِفُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ جِدّاً ، فَخْرَ الْعَالَمِ ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ . .

فَيَا عَجَباً ! . أَيُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ دَاوُدَ (عليه السلام) ؛ فَنَشَرَ دِينَهُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ؛ وَضَرَبَ الْجِزْيَةَ عَلَى الْمُلُوكِ ؛ وَاتَّخَذَهُمْ تَحْتَ انْقِيَادٍ كَأَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ لَهُ ؛ وَفَازَ بِصَلَوَاتِ خُمُسِ نَوْعِ الْبَشَرِ وَدَعَوَاتِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَأَضَاءَتْ أَنْوَارُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، سِوٰى ﴿مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عليه الصلاة والسلام﴾ ؟ . وَمَنْ يُوجَدُ غَيْرُهُ . وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُظْهِرَ غَيْرَهُ ؟ .

وَالْآيَةُ الْعِشْرُونَ مِنَ الْبَابِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا ، بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ ، هِيَ هٰذِهِ : «إِنِّي لَا أَتَحَاوَرُ مَعَكُمْ كَثِيراً بَعْدَ الْآنِ ، إِذْ يَجِيءُ رَئِيسُ الْعَالَمِ ؛ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ خَصَائِلِهِ» . فَالْمُرَادُ مِنْ تَعْبِيرِ رَئِيسِ الْعَالَمِ ، هُوَ فَخْرُ الْعَالَمِ ؛ وَعُنْوَانُ فَخْرِ الْعَالَمِ ، أَشْهَرُ عُنْوَانٍ ﴿لِمُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عليه الصلاة والسلام﴾ . .

وَالْآيَةُ السَّابِعَةُ مِنَ الْبَابِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَيْضاً ، هِيَ : «أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ : إِنَّ ذَهَابِي نَافِعٌ لَكُمْ ؛ فَمَا لَمْ أَذْهَبْ ، لَا يَأْتِي إِلَيْكُمُ الْمُسَلِّي» . فَانْظُرُوا : مَنْ هُوَ رَئِيسُ الْعَالَمِ وَمَنْ يُسَلِّي النَّاسَ حَقِيقَةً ، غَيْرُ ﴿مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؟ . نَعَمْ : إِنَّهُ هُوَ فَخْرُ الْعَالَمِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَلِّي الْإِنْسَانَ الْفَانِيَ ؛ وَيُنْقِذُهُ عَنِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ . .

وَكَذَا أَنَّ الْآيَةَ الثَّامِنَةَ مِنَ الْبَابِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا : «إِنَّه إِذَا جَاءَ ؛ يُفْحِمُ الْعَالَمَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَسَادِ وَالصَّلَاحِ وَالْحُكْمِ» . فَمَنْ جَاءَ ؛ فَقَلَبَ الْفَسَادَ بِالصَّلَاحِ ؛ وَأَنْقَذَ الْعَالَمَ عَنِ الْخَطَايَا وَالشِّرْكِ ؛ وَبَدَّلَ سِيَاسَةَ الدُّنْيَا وَحَاكِمِيَّتَهَا ، سِوَى ﴿مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؟ .

وَكَذَا أَنَّ الْآيَةَ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبَابِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا : «فَإِنَّهُ قَدْ حَانَ حُكْمُ قُدُومِ رَئِيسِ هٰذَا الْعَالَمِ» . فَهَا إِنَّ رَئِيسَ[1] الْعَالَمِ هُوَ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْبَشَرِ ﴿عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ . .

وَالْآيَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبَابِ الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَيْضاً : «أَمَّا إِذَا جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ ذٰلِكَ ؛ فَإِنَّهُ يُرْشِدُكُمْ جَمِيعاً إِلَى الْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ؛ وَيَذْكُرُ كُلَّ مَا يَسْمَعُهُ ؛ وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ أُمُورٍ مُسْتَقْبَلَةٍ» . فَهٰذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! مَنْ يَدْعُو كَافَّةَ النَّاسِ دَفْعَةً إِلَى الْحَقِيقَةِ ؛ وَيُلْقِي كُلَّ أَخْبَارِهِ ، عَنِ الْوَحْيِ ؛ وَيَذْكُرُ مَا يَسْمَعُهُ عَنْ جِبْرِيلَ ؛ وَيُخْبِرُ تَفْصِيلاً عَنِ الْقِيَامَةِ وَالْآخِرَةِ ؛ وَمَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ ، غَيْرَ ﴿مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؟ .

وَكَذَا يُوجَدُ ﴿لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ ، أَسْمَاءٌ سُرْيَانِيَّةٌ وَعِبْرَانِيَّةٌ

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ الرَّئِيسَ الْكَرِيمَ ، سُلْطَانٌ وَرَئِيسٌ لَهُ ثَلَاثُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ مِلْيُوناً عَلَى الْأَقَلِّ ، مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالرَّعِيَّةِ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنْ أَكْثَرِ الْعُصُورِ ، فِي أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَاماً ؛ يُطِيعُونَ أَوَامِرَهُ بِكَمَالِ التَّسْلِيمِ وَالِانْقِيَادِ ؛ وَيُجَدِّدُونَ بَيْعَتَهُمْ بِهِ ، بِالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ) . .

بِمَعْنَى (مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ وَالْمُخْتَارِ) . فَاسْمُهُ فِي صُحُفِ شُعَيْبٍ ، «الْمُشَفَّحُ» ، بِمَعْنَى مُحَمَّدٍ ؛ وَفِي التَّوْرَاةِ أَيْضاً «الْمُنْحَمَنَّا» ، بِمَعْنَى مُحَمَّدٍ أَيْضاً ، وَ«حِمْيَاطَا» ، بِمَعْنَى نَبِيِّ الْحَرَمِ ، وَفِي الزَّبُورِ يُسَمّى بِاسْمِ الْمُخْتَارِ ، وَفِي التَّوْرَاةِ أَيْضاً «الْخَاتَمُ» ، وَفِي التَّوْرَاةِ وَالزَّبُورِ : «مُقِيمُ السُّنَّةِ» ، وَفِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي التَّوْرَاةِ : «مَاذْ مَاذْ» ، وَفِي التَّوْرَاةِ : «أَحْيَدُ» . .

قَالَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) : ﴿إِسْمِي فِي الْقُرْآنِ مُحَمَّدٌ ؛ وَفِي الْإِنْجِيلِ أَحْمَدُ ؛ وَفِي التَّوْرَاةِ أَحْيَدُ﴾ . . وَمِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ فِي الْإِنْجِيلِ أَيْضاً «صَاحِبُ الْقَضِيبِ وَالْهِرَاوَةِ» ؛ يَعْنِي : صَاحِبُ السَّيْفِ وَالْعَصَا . نَعَمْ : إِنَّ أَعْظَمَ نَبِيٍّ صَاحِبِ سَيْفٍ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَأْمُورٍ مَعَ أُمَّتِهِ بِالْجِهَادِ ، هُوَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) . . وَكَذَا فِي الْإِنْجِيلِ «صَاحِبُ التَّاجِ» . نَعَمْ : إِنَّ عُنْوَانَ صَاحِبِ التَّاجِ ، مَخْصُوصٌ (بِالرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ) ؛ فَإِنَّ التَّاجَ هُوَ الْعِمَامَةُ ؛ يَعْنِي : اللِّفَافَةُ . وَالْقَوْمُ الَّذِي كَانَ يَلُفُّ الْعِمَامَةَ وَالْعِقَالَ ، بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ، بِاعْتِبَارِ الْعُمُومِ ، إِنَّمَا هُوَ الْعَرَبُ . فَالْمُرَادُ مِنْ صَاحِبِ التَّاجِ فِي الْإِنْجِيلِ ، هُوَ (الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ) قَطْعاً . . وَكَذَا فِي الْإِنْجِيلِ : «الْبَارِقْلِيطُ أَوِ الْفَارِقْلِيطُ» ؛ وَقَدْ فُسِّرَ فِي تَفَاسِيرِ الْإِنْجِيلِ ، بِمَعْنَى الْمُحِقِّ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ؛ وَهُوَ اسْمُ النَّبِيِّ الَّذِي سَيَأْتِي فِي الْآخِرِ ؛ وَيَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ . . وَفِي مَوْضِعٍ مِنَ الْإِنْجِيلِ : «قَالَ عِيسَى : إِنِّي سَأَذْهَبُ لِيَأْتِيَ رَئِيسُ الْعَالَمِ» . .

فَيَا عَجَباً ! مَنْ جَاءَ بَعْدَ عِيسَى (عليه السلام) يَكُونُ رَئِيساً لِلْعَالَمِ ؛ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ؛ وَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمَا عَنْ بَعْضٍ ؛ وَيُرْشِدُ النَّاسَ بَدَلاً عَنْ عِيسَى (عليه السلام) ، سِوَى (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ) ؟ . فَإِذاً إِنَّ عِيسَى (عليه السلام) يُبَشِّرُ أُمَّتَهُ دَائِماً ؛ وَيُخْبِرُهُمْ وَيَقُولُ : (سَيَأْتِي أَحَدٌ لَا تَبْقَى الْحَاجَةُ إِلَيَّ ؛ وَأَنَا مُقَدِّمَةٌ لَهُ وَمُبَشِّرٌ بِهِ) ، كَمَا تُصَرِّحُ بِهِ هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُٓ أَحْمَدُ﴾ . نَعَمْ : إِنَّ عِيسَى (عليه السلام) يُبَشِّرُ أُمَّتَهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً فِي الْإِنْجِيلِ ، بِأَنَّهُ سَيَأْتِي أَهَمُّ رَئِيسٍ لِلنَّاسِ ؛ وَيَذْكُرُ ذٰلِكَ

الرَّئِيسَ بِبَعْضِ أَسْمَاءٍ . وَلَا شَكَّ أَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ سُرْيَانِيَّةٌ وَعِبْرَانِيَّةٌ رَآهَا(١) أَهْلُ التَّحْقِيقِ . وَهِيَ بِمَعْنَى «أَحْمَدَ وَمُحَمَّدٍ وَفَارِقٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ» . فَإِذاً إِنَّ عِيسَى (عليه السلام) يُبَشِّرُ ﴿بِأَحْمَدَ عليه الصلاة والسلام﴾ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً . .

سُؤَالٌ : فَإِنْ قُلْتَ : لِمَاذَا يُبَشِّرُ بِهِ عِيسَى (عليه السلام) أَزْيَدَ مِنْ كُلِّ نَبِيٍّ ؛ وَالْآخَرُونَ يُخْبِرُونَ عَنْهُ فَقَطْ ؛ وَلَا يُبَشِّرُونَ بِهِ ؟ . وَالْإِخْبَارُ عَلَى صُورَةِ الْبِشَارَةِ قَلِيلٌ . .

فَالْجَوَابُ : ذٰلِكَ لِأَنَّ ﴿أَحْمَدَ عليه الصلاة والسلام﴾ يُنْقِذُ عِيسَى (عليه السلام) عَنْ تَكْذِيبِ الْيَهُودِ وَافْتِرَائِهِمْ ، تَكْذِيباً هَائِلاً وَافْتِرَاءً رَهِيباً ؛ وَيُنْقِذُ دِينَهُ عَنْ تَحْرِيفَاتٍ فَزِيعَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ صَاحِبُ شَرِيعَةٍ عَالِيَةٍ تُكَمِّلُ بِأَحْكَامِهَا ، نَقْصَ الشَّرِيعَةِ الْعِيسَوِيَّةِ ، وَجَامِعَةٍ سَهْلَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَرِيعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ عِيسَى (عليه السلام) . فَلِذٰلِكَ يُبَشِّرُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ، بِأَنَّهُ سَيَأْتِي رَئِيسُ الْعَالَمِ . .

فَهٰكَذَا يُوجَدُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ ، وَسَائِرِ صُحُفِ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَبْحَاثٌ مُهِمَّةٌ ، عَنْ نَبِيٍّ سَيَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ كَمَا ذَكَرْنَا بَعْضَ أَمْثِلَةٍ مِنْهَا . وَأَيْضاً يُذْكَرُ ذٰلِكَ النَّبِيُّ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ ، بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ . .

فَيَا عَجَباً ! مَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ نَبِيَّ آخِرِ الزَّمَانِ ، الَّذِي يَبْحَثُ عَنْهُ الْأَنْبِيَاءُ ، فِي

---

(١) إِنَّ السَّيَّاحَ الْمَشْهُورَ الْمُلَقَّبَ بِـ«أَوْلِيَاءْ چَلَبِي» قَرَأَ هُوَ نَفْسُهُ ، هٰذِهِ الْآيَةَ التَّالِيَةَ ، فِي الْإِنْجِيلِ الشَّرِيفِ الْمَكْتُوبِ فِي رَقِّ الْغَزَالِ ، فِي ضَرِيحِ شَمْعُونِ الصَّفَا (عليه السلام) ؛ وَهِيَ هٰذِهِ الْآيَةُ النَّازِلَةُ عَلَى عِيسَى (عليه السلام) ، فِي حَقِّ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ : (إِيتُونْ) مَوْلُودٌ . (آزْرِبْيُونْ) يَعْنِي : يَكُونُ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ . (بُرُوفْتُونْ) يَكُونُ نَبِيّاً . (لُوغْسْلِينْ) لَا يَكُونُ كَاذِباً . (بِيتْ) (أَفْرُولَاتْ) يَكُونُ مَوْلِدُهُ مَكَّةَ . (كَهْ كَالُوشِيرْ) يَأْتِي بِالصَّلَاحِ . (تُونُومِنِينْ) اسْمُهُ الْمُبَارَكُ . (مَوَامِيتْ[١]) يَكُونُ أَحْمَدَ مُحَمَّداً . (إِيسِفِدُوسْ) الَّذِينَ يَتْبَعُونَهُ . (تَاكِرْدِيسْ) يَكُونُونَ أُسَّ هٰذَا الْعَالَمِ . (بِيسْتْ بِيتْ) وَهُوَ يَكُونُ رَئِيسَ الْعَالَمِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

---

[١] حُرِّفَتْ كَلِمَةُ (مَوَامِيتْ) هٰذِهِ ، عَنْ (مَمَدْ) وَهُوَ عَنْ (مُحَمَّدٍ) . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

كُتُبِهِمْ هٰذِهِ جَمِيعاً ، فِي آيَاتٍ مُكَرَّرَةٍ ، بِهٰذَا الْقَدَرِ مِنَ الِاهْتِمَامِ ، غَيْرُ سَيِّدِنَا ﴿مُحَمَّدٍ ﷺ﴾ ؟ .

اَلْقِسْمُ الثَّانِي :

مِنَ الْإِرْهَاصَاتِ وَدَلَائِلِ النُّبُوَّةِ . وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ : أَنَّ الْكُهَّانَ وَبَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَالْعَارِفِينَ بِاللهِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ أَخْبَرُوا عَنْ مَجِيءِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ فِي زَمَانِ الْفَتْرَةِ ، قَبْلَ الْبِعْثَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَنَشَرُوا أَخْبَارَهُمْ ؛ وَتَرَكُوهَا لِلْأَعْصَارِ التَّالِيَةِ ، بِأَشْعَارِهِمْ ؛ وَهِيَ كَثِيرَةٌ ؛ وَنَحْنُ نَذْكُرُ قِسْماً مَشْهُوراً وَمُنْتَشِراً ؛ نَقَلَهُ أَهْلُ السِّيَرِ وَالتَّارِيخِ وَقَبِلُوهُ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ ، يُقَالُ لَهُ : تُبَّعٌ ، رَأَى أَوْصَافَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ ؛ فَآمَنَ بِهِ ؛ وَأَعْلَنَ شِعْراً لَهُ ؛ وَهُوَ : (شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ ❁ رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَارِي النَّسَمْ ❁ فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ ❁ لَكُنْتُ وَزِيراً لَهُ وَابْنَ عَمْ) . يَعْنِي : أَنِّي صَدَّقْتُ رِسَالَةَ ﴿أَحْمَدَ ﷺ﴾ ؛ فَلَوْ أَدْرَكْتُ زَمَانَهُ ؛ لَكُنْتُ لَهُ وَزِيراً وَابْنَ عَمٍّ ؛ يَعْنِي : كُنْتُ فِدَائِيَّهُ كَعَلِيٍّ . .

اَلثَّانِي : قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الْمَشْهُورُ ؛ وَهُوَ إِنْسَانٌ مُوَحِّدٌ ، وَمُنَوَّرُ الضَّمِيرِ ، وَأَشْهَرُ خُطَبَاءِ قَوْمِ الْعَرَبِ وَأَهَمُّهُمْ . فَهٰذَا الرَّجُلُ يُعْلِنُ الرِّسَالَةَ الْأَحْمَدِيَّةَ ، قَبْلَ الْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ أَيْضاً ، بِهٰذَا الشِّعْرِ : (أَرْسَلَ فِينَا أَحْمَدَا ❁ خَيْرَ نَبِيٍّ قَدْ بُعِثْ ❁ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا ❁ عَجَّ لَهُ رَكْبٌ وَحُثّْ) . .

اَلثَّالِثُ : كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ ، مِنْ أَجْدَادِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، أَعْلَنَ النُّبُوَّةَ الْأَحْمَدِيَّةَ عَلَى أَثَرِ الْإِلْهَامِ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ : (عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ❁ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقاً خَبِيرُهَا) ؛ يَعْنِي : سَيَأْتِي فَجْأَةً ﴿مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ ﷺ﴾ ؛ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَادِقَةً . .

اَلرَّابِعُ : سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ ، مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ ، رَأَى أَوْصَافَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ ؛ فَآمَنَ بِهِ ؛ وَاشْتَاقَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ جَدُّ

﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ إِلَى الْيَمَنِ ، مَعَ رَكْبِ قُرَيْشٍ ؛ دَعَاهُمْ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : «إِذَا وُلِدَ بِتِهَامَةَ ، وَلَدٌ بَيْنَ كَتِفَيْهِ شَامَةٌ ؛ كَانَتْ لَهُ الْإِمَامَةُ ؛ وَإِنَّكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَجَدُّهُ» ؛ يَعْنِي : يُولَدُ بِالْحِجَازِ مَوْلُودٌ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ كَالْخَاتِمِ ؛ فَذٰلِكَ الْمَوْلُودُ سَيُصْبِحُ إِمَاماً لِكَافَّةِ النَّاسِ ؛ ثُمَّ دَعَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ سِرّاً ؛ فَقَالَ لَهُ : وَإِنَّكَ جَدُّ ذٰلِكَ الْمَوْلُودِ . هٰكَذَا أَخْبَرَ عَلٰى وَجْهِ الْكَرَامَةِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ . .

اَلْخَامِسُ : وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّ خَدِيجَةَ ؛ فَإِنَّهُ حَزِنَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ فِي بِدَايَةِ الْوَحْيِ ؛ فَحَكَتْ خَدِيجَةُ الْكُبْرٰى ، تِلْكَ الْحَادِثَةَ ، لِوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، الْمَشْهُورِ ؛ فَقَالَ وَرَقَةُ : أَرْسِلِيهِ إِلَيَّ ؛ فَسَارَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ إِلٰى وَرَقَةَ ؛ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ فِي بَدْءِ الْوَحْيِ ؛ فَقَالَ وَرَقَةُ : «بَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ ؛ وَبَشَّرَ بِكَ عِيسٰى» ؛ يَعْنِي : لَا تَحْزَنْ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْحَالَةَ وَحْيٌ ؛ وَلَكَ الْبُشْرٰى ؛ فَإِنَّكَ أَنْتَ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ ؛ وَبَشَّرَ بِكَ عِيسٰى . .

اَلسَّادِسُ : عَثْكَلَانُ الْحِمْيَرِيُّ الْعَارِفُ بِاللهِ ؛ فَكَانَ حِينَمَا يَرٰى قُرَيْشاً قَبْلَ الْبِعْثَةِ ؛ يَسْأَلُهُمْ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ ؟ . فَيَقُولُونَ : لَا . ثُمَّ سَأَلَهُمْ فِي وَقْتِ الْبِعْثَةِ ؛ فَقَالُوا : نَعَمْ : إِنَّ وَاحِداً يَدَّعِي النُّبُوَّةَ ؛ فَقَالَ : إِنَّ الْعَالَمَ يَنْتَظِرُهُ . .

اَلسَّابِعُ : ابْنُ الْعَلَاءِ مِنْ مَشَاهِيرِ عُلَمَاءِ النَّصَارٰى ، أَخْبَرَ عَنِ النَّبِيِّ قَبْلَ الْبِعْثَةِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ؛ ثُمَّ جَاءَ وَرَأَى ﴿النَّبِيَّ ﷺ﴾ ؛ فَقَالَ : «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ وَجَدْتُ صِفَتَكَ فِي الْإِنْجِيلِ ؛ وَبَشَّرَ بِكَ ابْنُ الْبَتُولِ» ؛ يَعْنِي : أَنِّي رَأَيْتُ صِفَاتِكَ فِي الْإِنْجِيلِ ؛ فَآمَنْتُ بِكَ ؛ وَبَشَّرَ ابْنُ مَرْيَمَ ، بِقُدُومِكَ ، فِي الْإِنْجِيلِ . .

اَلثَّامِنُ : النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ الَّذِي سَبَقَ بَحْثُهُ ، قَالَ : «لَيْتَ لِي خِدْمَتَهُ بَدَلاً مِنْ هٰذِهِ السَّلْطَنَةِ» ؛ يَعْنِي : لَيْتَنِي كُنْتُ خَادِماً ﴿لِمُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ ﷺ﴾ بَدَلاً مِنْ هٰذِهِ السَّلْطَنَةِ ؛ فَإِنَّ خِدْمَتَهُ ، فَوْقَ هٰذِهِ السَّلْطَنَةِ بِكَثِيرٍ . .

فَالْآنَ ، بَعْدَ هٰؤُلَاءِ الْعَارِفِينَ الَّذِينَ أَخْبَرُوا عَنِ الْغَيْبِ ، بِالْإِلْهَامِ الرَّبَّانِيِّ ، كَانَ

الْكُهَّانُ الَّذِينَ يُخْبِرُونَ مِنَ الْغَيْبِ ، بِوَاسِطَةِ الْأَرْوَاحِ وَالْجِنِّ ، أَخْبَرُوا عَنْ قُدُومِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ وَعَنْ نُبُوَّتِهِ ؛ وَهُمْ كَثِيرُونَ . وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْمَشْهُورِينَ مِنْهُمْ ، وَعَدَداً صَارَ فِي حُكْمِ الْمُتَوَاتِرِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَنُقِلَ فِي أَكْثَرِ التَّوَارِيخِ وَالسِّيَرِ . فَنُحِيلُ أَقْوَالَهُمْ وَقِصَصَهُمُ الطَّوِيلَةَ ، عَلٰى كُتُبِ السِّيَرِ ؛ فَنَبْحَثُ عَنْهُمْ إِجْمَالاً فَقَطْ . .

اَلْأَوَّلُ : كَاهِنٌ مَشْهُورٌ اسْمُهُ شِقٌّ ، كَانَ لَهُ عَيْنٌ وَيَدٌ وَرِجْلٌ ؛ كَأَنَّهُ نِصْفُ إِنْسَانٍ . فَقَدْ سُجِّلَ فِي التَّوَارِيخِ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ فِي دَرَجَةِ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ : أَنَّ ذٰلِكَ الْكَاهِنَ أَخْبَرَ عَنِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَذَكَرَهَا مِرَاراً . .

اَلثَّانِي : سَطِيحٌ الْمَشْهُورُ كَاهِنُ الشَّامِ ؛ وَهُوَ كَاهِنٌ عَاشَ كَثِيراً ؛ وَكَانَ أُعْجُوبَةَ خِلْقَةٍ ؛ وَجْهُهُ فِي صَدْرِهِ ؛ وَلَا عِظَامَ لَهُ ؛ كَأَنَّهُ بَدَنٌ بِدُونِ أَعْضَاءٍ . وَقَدِ اشْتَهَرَتْ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، أَخْبَارُهُ الصَّادِقَةُ الَّتِي أَخْبَرَهَا عَنِ الْغَيْبِ ؛ حَتّٰى إِنَّ كِسْرٰى : أَيْ مَلِكَ فَارِسَ ، بَعَثَ رَسُولاً عَالِماً يُقَالُ لَهُ : مُوبَذَانُ ، إِلَى الشَّامِ ؛ لِيَسْأَلَ سَطِيحاً عَنِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةِ الَّتِي رَآهَا ، وَعَنْ سِرِّ سُقُوطِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً ، مِنْ قَصْرِهِ ، حِينَ الْوِلَادَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ . فَقَالَ سَطِيحٌ : «سَيَحْكُمُ فِيكُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَخْصاً ؛ ثُمَّ تُمْحٰى سَلْطَنَتُكُمْ . وَأَيْضاً سَيَأْتِي أَحَدٌ يُظْهِرُ دِيناً ؛ فَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ دِينَكُمْ وَدَوْلَتَكُمْ» ؛ فَبَعَثَ الْخَبَرَ إِلٰى كِسْرٰى ، بِهٰذَا الْمَعْنٰى . فَهٰكَذَا أَخْبَرَ ذٰلِكَ السَّطِيحُ ، بِصُورَةٍ صَرِيحَةٍ ، عَنْ قُدُومِ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ . .

وَكَذَا أَنَّ سَوَادَ بْنَ قَارِبٍ الدَّوْسِيَّ ، وَخُنَافِرَ وَأَفْعٰى نَجْرَانَ ، وَجِذْلَ بْنَ جِذْلٍ الْكِنْدِيَّ ، وَابْنَ خَلَصَةَ الدَّوْسِيَّ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ نُعْمَانَ النَّجَّارِيَّةَ ، وَأَمْثَالَهُمْ مِنَ الْكُهَّانِ الْمَشْهُورِينَ ، أَخْبَرُوا عَنْ قُدُومِ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ النَّبِيَّ ، هُوَ ﴿مُحَمَّدٌ ﷺ﴾ ، عَلٰى مَا بُيِّنَ مُفَصَّلاً فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالتَّارِيخِ . .

وَكَذَا أَنَّ سَعْدَ ابْنَ بِنْتِ كُرَيْزٍ ، مِنْ أَقَارِبِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ ، تَلَقّٰى خَبَرَ نُبُوَّةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، عَنِ الْغَيْبِ ، بِوَاسِطَةِ الْكَهَانَةِ ؛ فَقَالَ لِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ ، فِي بِدَايَةِ الْإِسْلَامِ : اِنْطَلِقْ إِلَيْهِ ؛ وَآمِنْ بِهِ ؛ فَأَتٰى عُثْمَانُ ؛ وَآمَنَ بِهِ فِي الْبِدَايَةِ . فَذَكَرَ سَعْدٌ تِلْكَ الْحَادِثَةَ

بِشِعْرٍ لَهُ ؛ وَهُوَ : (هَدَى اللهُ عُثْمَانَ بِقَوْلِي إِلَى الَّتي ❁ بِهَا رُشْدُهُ وَاللهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) . .

وَكَذَا أَنَّ الْجِنَّ الَّذِينَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ ؛ وَلَا يُرَى شَخْصُهُمْ ؛ وَيُقَالُ لَهُمُ : الْهَوَاتِفُ ، أَخْبَرُوا مِرَاراً كَالْكُهَّانِ ، عَنْ قُدُومِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ الْهَاتِفَ الْجِنِّيَّ هَتَفَ عَلَى ذِيَابِ بْنِ الْحَارِثِ ، بِقَوْلِهِ : (يَا ذِيَابُ يَا ذِيَابُ ! اسْمَعِ الْعَجَبَ الْعُجَابَ : بُعِثَ مُحَمَّدٌ بِالْكِتَابِ ، يَدْعُو بِمَكَّةَ ؛ فَلَا يُجَابُ) ؛ فَصَارَ سَبَباً لِإِسْلَامِهِ وَإِسْلَامِ غَيْرِهِ . .

وَكَذَا نَادَى هَاتِفٌ جِنِّيٌّ ، سَالِمَ بْنَ قُرَّةَ الْغَطْفَانِيَّ بِقَوْلِهِ : (جَاءَ حَقٌّ فَسَطَعَ ؛ وَدُمِّرَ بَاطِلٌ فَانْقَمَعَ) ؛ فَصَارَ سَبَباً لِإِيمَانِ بَعْضِهِمْ . . وَبِشَارَاتُ هٰؤُلَاءِ الْهَوَاتِفِ ، وَأَخْبَارُهُمْ مَشْهُورَةٌ وَكَثِيرَةٌ . .

وَكَذَا ، كَمَا أَنَّ الْكُهَّانَ وَالْهَوَاتِفَ أَخْبَرُوا عَنْ مَجِيئِهِ ؛ كَذٰلِكَ الْأَصْنَامُ وَمَا ذُبِحَ لِلْأَصْنَامِ ، أَخْبَرَتْ أَيْضاً عَنْ رِسَالَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ . .

فَمِنَ الْقَصَصِ الْمَشْهُورَةِ : أَنَّ صَنَمَ قَبِيلَةِ مَازِنٍ قَالَتْ مُنَادِيَةً : (هٰذَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، جَاءَ بِالْحَقِّ الْمُنْزَلِ) ؛ فَأَخْبَرَتْ عَنِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ . .

وَأَيْضاً أَنَّ الْحَادِثَةَ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي صَارَتْ سَبَباً لِإِسْلَامِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسَ ، هِيَ : أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ صَنَمٌ يُقَالُ لَهَا : ضِمَارُ . فَصَوَّتَتْ تِلْكَ الصَّنَمُ بِقَوْلِهَا : «أَوْدَى ضِمَارُ ؛ وَكَانَ يُعْبَدُ مُدَّةً قَبْلَ الْبَيَانِ مِنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ» . .

وَقَدْ سَمِعَ سَيِّدُنَا عُمَرُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، مِنْ ذَبِيحَةِ الصَّنَمِ هٰكَذَا : «يَا آلَ الذَّبِيحِ ! أَمْرٌ نَجِيحٌ ، رَجُلٌ فَصِيحٌ ، يَقُولُ : لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» . فَهٰكَذَا تُوجَدُ أَحْدَاثٌ كَثِيرَةٌ ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ ؛ قَبِلَتْهَا الْكُتُبُ الْمَوْثُوقُ بِهَا ؛ وَنَقَلَتْهَا . .

وَكَمَا أَنَّ الْكُهَّانَ وَالْعَارِفِينَ بِاللهِ وَالْهَوَاتِفَ ، حَتَّى الْأَصْنَامَ وَالذَّبَائِحَ ، أَخْبَرُوا عَنِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ فَصَارَ كُلُّ حَادِثٍ ، سَبَباً لِإِيمَانِ بَعْضِ النَّاسِ ؛ كَذٰلِكَ كَانَتْ عِبَارَاتٌ مِثْلُ

(مُحَمَّدٌ مُصْلِحٌ أَمِينٌ) بِالْخَطِّ الْقَدِيمِ ، عَلٰى بَعْضِ الْحِجَارَةِ ، وَفِي الْقُبُورِ وَشَوَاهِدِهَا ؛ فَآمَنَ بَعْضُ النَّاسِ بِسَبَبِهَا . . نَعَمْ : إِنَّ مَا كَانَ عَلَى الْحِجَارَةِ مِنْ عِبَارَةِ (مُحَمَّدٌ مُصْلِحٌ أَمِينٌ) بِالْخَطِّ الْقَدِيمِ ، هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ سَبْعَةُ رِجَالٍ أَسْمَاؤُهُمْ «مُحَمَّدٌ» ، قَبْلَهُ بِزَمَنٍ قَرِيبٍ مِنْ عَهْدِهِ جِدّاً ، لَا غَيْرُ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِأُولٰئِكَ الرِّجَالِ السَّبْعَةِ لَيَاقَةٌ بِتَعْبِيرِ «الْمُصْلِحِ وَالْأَمِينِ» . .

اَلْقِسْمُ الثَّالِثُ :

مِنَ الْإِرْهَاصَاتِ ، هُوَ الْخَوَارِقُ وَالْحَوَادِثُ الَّتِي حَدَثَتْ حِينَ وِلَادَةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الْحَوَادِثُ ، بِصُورَةٍ لَهَا عَلَاقَةٌ بِوِلَادَتِهِ . وَكَذَا كَانَ بَعْضُ حَوَادِثَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ ؛ كُلٌّ مِنْهَا مُعْجِزَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ . وَهٰذِهِ كَثِيرَةٌ ؛ فَنَذْكُرُ مِنْهَا عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ ، عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ مَشْهُورَةٍ قَبِلَهَا أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ ؛ وَتَحَقَّقَ صِحَّتُهَا . .

اَلْأَوَّلُ : مَا رَأَتْهُ أُمُّهُ وَأُمُّ عُثْمَانَ بْنِ الْعَاصِ ، وَأُمُّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ ، اللَّتَانِ كَانَتَا عِنْدَ أُمِّهِ ، لَيْلَةَ الْوِلَادَةِ النَّبَوِيَّةِ ، مِنْ نُورٍ عَظِيمٍ ؛ فَقَالَتِ الثَّلَاثُ : لَقَدْ شَاهَدْنَا نُوراً حِينَ وِلَادَتِهِ ، أَضَاءَ لَنَا الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ . .

اَلثَّانِي : انْتَكَسَ أَكْثَرُ مَا فِي الْكَعْبَةِ مِنَ الْأَصْنَامِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . .

اَلثَّالِثُ : اهْتَزَّ إِيوَانُ كِسْرَى الشَّهِيرُ ؛ يَعْنِي : قَصْرَهُ الْمَشْهُورَ ، تِلْكَ اللَّيْلَةَ ؛ فَانْشَقَّ وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً . .

اَلرَّابِعُ : غَارَتْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، بُحَيْرَةُ سَاوَةَ الَّتِي كَانَتْ تُقَدَّسُ ؛ وَانْطَفَأَتْ نَارُ الْمَجُوسِ الَّتِي اتَّخَذَتْهَا مَعْبُودَةً ؛ وَكَانَتْ تَشْتَعِلُ وَتَتَوَقَّدُ دَائِماً ؛ وَلَمْ تَنْطَفِئْ مُنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ فِي (إِصْطَخْرَ آبَادَ) ؛ فَانْطَفَأَتْ لَيْلَةَ الْوِلَادَةِ . . فَهٰذِهِ الْحَوَادِثُ الثَّلَاثُ أَوِ الْأَرْبَعُ ، تُشِيرُ إِلٰى أَنَّ ذٰلِكَ الْمَوْلُودَ الَّذِي قَدِمَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ جَدِيدٍ ، سَيُزِيلُ عِبَادَةَ النَّارِ ؛ وَيُمَزِّقُ قَصْرَ سَلْطَنَةِ فَارِسَ ؛ وَيَمْنَعُ تَقْدِيسَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ . .

اَلْخَامِسُ : وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي لَيْلَةِ الْوِلاَدَةِ ؛ إِلّا أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ زِيَادَةُ قُرْبِهِ مِنَ الْوِلاَدَةِ ، تَكُونُ تِلْكَ الْأَحْدَاثُ مِنَ الْإِرْهَاصَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ أَيْضاً ؛ وَهِيَ وَقْعَةُ الْفِيلِ الَّتِي بُيِّنَتْ فِي سُورَةِ الْفِيلِ ، بِالنَّصِّ الْقَاطِعِ . وَذٰلِكَ أَنَّ مَلِكَ الْحَبَشَةِ الْمُسَمّٰى بِأَبْرَهَةَ ، أَتٰى لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ ، فَسَاقَ إِلَى الْأَمَامِ فِيلاً جَسِيماً يُسَمّٰى بِالْفِيلِ الْمَحْمُودِ ؛ وَلَمَّا قَرُبَ مِنْ مَكَّةَ ؛ لَمْ يَمْشِ الْفِيلُ ؛ فَلَمْ يَجِدُوا الْحِيلَةَ فَرَجَعُوا ؛ وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ طَيْرٌ أَبَابِيلَ ؛ وَشَتَّتَهُمْ فَهَرَبُوا . وَهٰذِهِ الْقِصَّةُ الْعَجِيبَةُ مَشْهُورَةٌ تَفْصِيلاً فِي كُتُبِ التَّارِيخِ . .

فَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ ، مِنْ دَلاَئِلِ نُبُوَّةِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ الَّتِي هِيَ قِبْلَتُهُ وَمَوْلِدُهُ وَوَطَنُهُ الْحَبِيبُ ، قَدْ نَجَتْ فِي زَمَانٍ قَرِيبٍ جِدّاً مِنْ وِلاَدَتِهِ ، عَنْ هَدْمِ أَبْرَهَةَ ؛ وَذٰلِكَ بِصُورَةٍ غَيْبِيَّةٍ خَارِقَةٍ . .

اَلسَّادِسُ : شَاهَدَتْ حَلِيمَةُ وَزَوْجُهَا ، مَرَّاتٍ كَثِيرَةً : أَنَّ غَمَامَةً كَانَتْ تُظِلُّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ، حِينَمَا كَانَ عِنْدَ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ فِي صِبَاهُ ؛ لِئَلّا يَتَأَثَّرَ عَنِ الشَّمْسِ ؛ وَذٰلِكَ بِشَهَادَتِهِمَا ؛ وَذَكَرَا ذٰلِكَ لِلنَّاسِ ؛ وَاشْتَهَرَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةُ بِالصِّحَّةِ . وَكَذَا رَأٰى بَحِيرَا الرَّاهِبُ ، قِطْعَةَ سَحَابٍ تُظِلُّ رَأْسَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، حِينَمَا سَافَرَ نَحْوَ الشَّامِ ؛ وَهُوَ فِي الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، فَأَرَاهَا النَّاسَ ؛ وَذٰلِكَ ثَابِتٌ بِشَهَادَةِ بَحِيرَا الرَّاهِبِ . وَكَذَا رَأَتْ خَدِيجَةُ الْكُبْرٰى مَرَّةً ، مَلَكَيْنِ عَلٰى رَأْسِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ يُظِلّاَنِهِ كَالسَّحَابِ ؛ وَذٰلِكَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ ، حِينَمَا عَادَ مِنَ التِّجَارَةِ ، مَعَ خَادِمِهَا الْمُسَمّٰى بِمَيْسَرَةَ ؛ فَحَدَّثَتْ ذٰلِكَ لِمَيْسَرَةَ ؛ فَقَالَ لَهَا : رَأَيْتُ كَذٰلِكَ فِي جَمِيعِ سَفَرِنَا . .

اَلسَّابِعُ : ثَبَتَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ قَعَدَ تَحْتَ شَجَرَةٍ قَبْلَ الْبِعْثَةِ ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الْمَكَانُ يَابِساً ؛ فَاخْضَرَّ دَفْعَةً ؛ وَتَدَلَّتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ ؛ وَأَظَلَّتْ عَلٰى رَأْسِهِ . .

اَلثَّامِنُ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ كَانَ يُقِيمُ فِي بَيْتِ أَبِي طَالِبٍ ؛ وَهُوَ صَغِيرٌ ؛ فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ وَأَوْلاَدُهُ ، إِذَا أَكَلُوا مَعَهُ شَبِعُوا ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِي الطَّعَامِ ؛ لَمْ يَشْبَعُوا .

وَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ مَشْهُورَةٌ وَقَاطِعَةٌ . وَكَذَا قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ الَّتِي كَانَتْ تَتَعَهَّدُ أَمْرَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ وَتَخْدُمُهُ فِي صِبَاهُ : إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ لَمْ يَشْتَكِ أَيَّ وَقْتٍ ، عَنِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ ، لَا فِي صِغَرِهِ وَلَا فِي كِبَرِهِ . .

اَلتَّاسِعُ : كَانَتِ الزِّيَادَةُ وَكَثْرَةُ الْبَرَكَةِ فِي أَمْوَالِ مُرْضِعَتِهِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ ، وَفِي لَبَنِ مَعَزِهَا ، خِلَافاً لِقَبِيلَتِهَا . وَهٰذِهِ الْحَادِثَةُ مَشْهُورَةٌ وَقَاطِعَةٌ . .

وَكَذَا أَنَّ الذُّبَابَ كَانَ لَا يُؤْذِيهِ ؛ وَلَا يَقَعُ عَلَى لِبَاسِهِ وَجَسَدِهِ الْمُبَارَكِ ؛ كَمَا أَنَّ مِنْ أَوْلَادِهِ ، السَّيِّدَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ ؛ وَرِثَ ذٰلِكَ الْحَالَ عَنْ جَدِّهِ ، فَكَانَ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الذُّبَابُ أَيْضاً (١) . .

اَلْعَاشِرُ : كَثْرَةُ هَوِيِّ الشُّهُبِ ، بَعْدَ مَا وُلِدَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ، لَاسِيَّمَا لَيْلَةَ وِلَادَتِهِ . وَسُقُوطُ هٰذِهِ النُّجُومِ ، عَلَامَةٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى انْقِطَاعِ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ ، عَنِ الْأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّةِ ، عَلَى مَا أَثْبَتْنَا هٰذِهِ الْحَادِثَةَ قَطْعاً ، بِبَرَاهِينِهَا فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا طَلَعَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ عَلَى الدُّنْيَا ، بِالْوَحْيِ ؛ لَا بُدَّ أَنْ يُسَدَّ أَمَامَ إِخْبَارَاتِ الْكُهَّانِ وَالْجَانِّ وَالْمُخْبِرِينَ عَنِ الْغَيْبِ ، تِلْكَ الْأَخْبَارِ النَّاقِصَةِ الْقَاصِرَةِ الْمُلَفَّقَةِ بِالْأَكَاذِيبِ ؛ حَتّٰى لَا تُشْبِهَ الْوَحْيَ ؛ وَلَا تُورِثَ شُبْهَةً عَلَيْهِ . . نَعَمْ : كَانَتِ الْكِهَانَةُ كَثِيرَةً قَبْلَ الْبِعْثَةِ ؛ فَخَتَمَهَا الْقُرْآنُ بَعْدَمَا نَزَلَ ؛ حَتّٰى إِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْكُهَّانِ آمَنُوا ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا بَعْدُ ، مُخْبِرِيهِمْ مِنْ طَائِفَةِ الْجِنِّ . فَإِذاً إِنَّ الْقُرْآنَ أَتَى عَلَيْهَا . .

هٰذَا ، وَقَدْ ظَهَرَ الْآنَ أَيْضاً ، نَوْعٌ مِنَ الْكَهَانَةِ فِي أُورُوبَّا ، بَيْنَ «الْمُنَوِّمِينَ» عَلَى صُورَةِ «تَحْضِيرِ الْأَرْوَاحِ» . . وَمَهْمَا كَانَ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ ظَهَرَتْ أُنَاسٌ كَثِيرَةٌ ، وَحَوَادِثُ كَثِيرَةٌ جِدّاً ، قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، صَدَّقَتْ نُبُوَّةَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾ ؛ وَأَدَّتْ إِلَى تَصْدِيقِهَا . . نَعَمْ : إِنَّ إِنْسَاناً كَرِيماً سَيَكُونُ

---

(١) نَعَمْ : كَانَ لَا يَقَعُ عَلَى وَجْهِ إِمَامِنَا الْحَبِيبِ أَيْضاً . . اَلْمُشَاهِدُونَ مِنْ تَلَامِذَةِ النُّورِ . .

رَئِيساً(١) لِلْعَالَمِ مَعْنًى ؛ وَيُبَدِّلُ شَكْلَهُ الْمَعْنَوِيَّ ؛ وَيَجْعَلُ الدُّنْيَا مَزْرَعَةَ الْآخِرَةِ ؛ وَيُعْلِنُ قِيمَةَ مَخْلُوقَاتِهَا ؛ وَيَهْدِي الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَى طَرِيقِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيُنْقِذُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ الْفَانِينَ ، عَنِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ؛ وَيَفْتَحُ حِكْمَةَ خَلْقِ الْعَالَمِ ، وَمُعَمَّاهُ وَطِلْسِمَهُ الْمُغْلَقَ ؛ وَيَعْلَمُ مَقَاصِدَ خَالِقِ الْعَالَمِينَ ؛ وَيُعَلِّمُهَا ؛ وَيَعْرِفُ ذٰلِكَ الْخَالِقَ ؛ وَيُعَرِّفُهُ لِلْكُلِّ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، وَكُلَّ نَوْعٍ ، وَكُلَّ طَائِفَةٍ ، تَسْتَحِبُّ قُدُومَهُ وَتَنْتَظِرُهُ ؛ وَتَسْتَقْبِلُهُ حُسْنَ اسْتِقْبَالٍ ؛ وَتُصَفِّقُ عَلَى قُدُومِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَقْدُمَ ؛ وَتُعْلِنُهُ ؛ إِنْ أُعْلِمَ مِنْ جَانِبِ خَالِقِهَا ؛ كَمَا رَأَيْنَا فِي الْإِشَارَاتِ وَالْأَمْثِلَةِ السَّابِقَةِ : أَنَّ أَنْوَاعَ الْمَخْلُوقَاتِ تُظْهِرُ مُعْجِزَاتِهِ ؛ وَتُصَدِّقُ نُبُوَّتَهُ ، بِلِسَانِ الْمُعْجِزَاتِ ؛ كَأَنَّهَا تَسْتَقْبِلُهَا حُسْنَ اسْتِقْبَالٍ . .

اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ :

(١) إِنَّ أَعْظَمَ مُعْجِزَاتِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، بَعْدَ الْقُرْآنِ ، هِيَ ذَاتُهُ ؛ تَعْنِي مَا اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ . فَقَدِ اتَّفَقَ الْأَصْدِقَاءُ وَالْأَعْدَاءُ ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ ، فِي أَعْلَى طَبَقَةٍ ؛ حَتَّى إِنَّ بَطَلَ الشَّجَاعَةِ الْإِمَامَ عَلِيّاً ، كَانَ يَقُولُ مِرَاراً : كُنَّا نَتَحَصَّنُ خَلْفَ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ وَنَلْتَجِئُ إِلَيْهِ حِينَمَا تَشْتَدُّ الْحَرْبُ . وَهٰكَذَا كَانَ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، مَالِكاً لِأَعْلَى دَرَجَةٍ لَا يُنَالُ إِلَيْهَا . . وَنُحِيلُ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ الْكُبْرَى عَلَى الشِّفَاءِ الشَّرِيفِ ، لِعَلَّامَةِ الْمَغْرِبِ الْقَاضِي عِيَاضٍ . اَلْحَقُّ : أَنَّ ذٰلِكَ الْعَلَّامَةَ أَثْبَتَ تِلْكَ الْمُعْجِزَةَ الْخُلُقِيَّةَ ؛ وَبَيَّنَهَا بَيَاناً جَمِيلاً . .

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ السُّلْطَانَ الَّذِي قِيلَ فِي وَصْفِهِ : (لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ ؛ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ) ، رَئِيسٌ دَامَتْ سَلْطَنَتُهُ مُنْذُ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَلَهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ ، بَعْدَ الْعَصْرِ الْأَوَّلِ ، ثَلَاثُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ مِلْيُوناً مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالرَّعَايَا عَلَى الْأَقَلِّ ؛ وَاتَّخَذَ نِصْفَ كُرَةِ الْأَرْضِ تَحْتَ رَايَتِهِ ؛ وَيُجَدِّدُ أَتْبَاعُهُ بَيْعَتَهُمْ بِهِ ، كُلَّ يَوْمٍ ، بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ؛ وَيُطِيعُونَ أَوَامِرَهُ ، بِكَمَالِ التَّسْلِيمِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(٢) وَكَذَا أَنَّ مُعْجِزَةً أَحْمَدِيَّةً عُظْمٰى ، وَمُصَدَّقَةً بِتَصْدِيقِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ ، هِيَ شَرِيعَتُهُ الْكُبْرٰى ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ مِثْلُهَا وَلَنْ يَأْتِيَ . وَنُحِيلُ بَيَانَ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْعُظْمٰى ، نَوْعَ بَيَانٍ ، عَلٰى مَا كَتَبْنَاهَا مِنَ (الْمَقَالَاتِ الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ ، وَالْمَكْتُوبَاتِ الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ ، وَاللَّمَعَاتِ الْإِحْدٰى وَالثَّلَاثِينَ ، وَالشُّعَاعَاتِ الثَّلَاثَةَ عَشَرَ) . .

(٣) وَكَذَا أَنَّ مُعْجِزَةً كُبْرٰى مُتَوَاتِرَةً وَقَاطِعَةً ، مِنْ مُعْجِزَاتِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ، هِيَ شَقُّ الْقَمَرِ . نَعَمْ : إِنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ هٰذَا ، قَدْ رُوِيَ بِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ ، بِصُورَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ ، عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَعَاظِمِ الصَّحَابَةِ ، كَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَالْإِمَامِ عَلِيٍّ ، وَأَنَسٍ ، وَحُذَيْفَةَ ؛ مَعَ أَنَّ آيَةَ ﴿اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قَدْ أَعْلَنَتْ تِلْكَ الْمُعْجِزَةَ الْكُبْرٰى لِلْعَالَمِ ؛ فَلَمْ يُعَارِضْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ الْمُعَانِدُونَ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، مَا أَخْبَرَتْهُ هٰذِهِ الْآيَةُ ، بِالْإِنْكَارِ ؛ بَلْ إِنَّمَا قَالُوا : إِنَّهُ سِحْرٌ . فَإِذاً إِنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَقْطُوعٌ بِهِ عِنْدَ الْكُفَّارِ أَيْضاً . وَنُحِيلُ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ الْكُبْرٰى ، عَلٰى رِسَالَةِ شَقِّ الْقَمَرِ الَّتِي كَتَبْنَاهَا فِي حَقِّ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ ، ذَيْلاً لِلْمَقَالَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ . .

(٤) وَكَذَا أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ؛ كَمَا أَظْهَرَ مُعْجِزَةَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ ، لِأَهْلِ الْأَرْضِ ؛ كَذٰلِكَ أَظْهَرَ مُعْجِزَةَ الْمِعْرَاجِ الْكُبْرٰى ، لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ . . فَهٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْعُظْمَى الْمُسَمَّاةُ بِالْمِعْرَاجِ ، نُحِيلُهَا عَلٰى رِسَالَةِ الْمِعْرَاجِ ؛ وَهِيَ الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الرِّسَالَةَ قَدْ أَثْبَتَتْ تِلْكَ الْمُعْجِزَةَ الْكُبْرٰى ، حَتّٰى لِلْمُلْحِدِينَ أَيْضاً ، بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ ، مَدٰى كَوْنِهَا مُعْجِزَةً نَيِّرَةً ، عَالِيَةً صَادِقَةً ؛ وَإِنَّمَا نَبْحَثُ عَنْ مُعْجِزَةٍ حَصَلَتْ عِنْدَمَا ذَكَرَ سِيَاحَتَهُ إِلٰى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، الَّتِي هِيَ مُقَدِّمَةُ مُعْجِزَةِ الْمِعْرَاجِ ؛ وَطَلَبَ مِنْهُ صَبَاحاً ، قَوْمُ قُرَيْشٍ ، تَعْرِيفَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّهُ أَخْبَرَ مِعْرَاجَهُ لِقُرَيْشٍ ، صَبِيحَةَ لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ ؛ فَكَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ ؛ وَقَالُوا : إِنْ كُنْتَ ذَهَبْتَ إِلٰى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؛ فَعَرِّفْ لَنَا أَبْوَابَهُ وَجُدْرَانَهُ وَأَحْوَالَهُ . يَقُولُ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ : ﴿فَكَرِبْتُ كَرْباً لَمْ أَكْرُبْ مِثْلَهُ قَطُّ ؛ فَجَلَّى اللّٰهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ ؛ وَكَشَفَ الْحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؛ حَتّٰى رَأَيْتُهُ فَنَعَتُّهُ ؛ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ﴾ ؛

فَحِينَئِذٍ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ يُخْبِرُ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، صِدْقاً وَكَامِلاً . وَكَذَا قَالَ ﴿الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ﴾ لِقُرَيْشٍ : إِنِّي بَيْنَمَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ ، رَأَيْتُ عِيرَكُمْ ؛ وَسَيَأْتِي عِيرُكُمْ غَداً ، فِي وَقْتِ كَذَا . ثُمَّ إِنَّهُمُ انْتَظَرُوا الرَّكْبَ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَتَأَخَّرَ سَاعَةً ؛ فَتَوَقَّفَتِ الشَّمْسُ سَاعَةً ، بِتَصْدِيقِ الْمُحَقِّقِينَ ؛ لِيَصْدُقَ إِخْبَارُ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الْأَرْضَ عَطَّلَتْ وَظِيفَتَهَا وَسِيَاحَتَهَا سَاعَةً ؛ لِتُصَدِّقَ قَوْلَهُ ؛ وَأَظْهَرَتْ ذٰلِكَ التَّعْطِيلَ ، بِسُكُونِ الشَّمْسِ . فَهَا إِنَّ الْأَرْضَ الْجَسِيمَةَ تَتْرُكُ وَظِيفَتَهَا ؛ لِتُصَدِّقَ قَوْلاً وَاحِداً مِنْ أَقْوَالِ ﴿مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ ﷺ﴾ ؛ وَتَصِيرُ الشَّمْسُ الْعَظِيمَةُ ، شَاهِدَةً لِلْأَرْضِ ..

فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ رَسُولاً مِثْلَهُ ؛ وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرَهُ ؛ يَكُونُ شَقِيّاً أَيَّ شَقَاوَةٍ ؛ وَمَنْ صَدَّقَهُ وَقَالَ أَمَامَ أَمْرِهِ : (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) ، يَكُونُ سَعِيداً أَيَّ سَعَادَةٍ ؛ فَافْهَمْ ذٰلِكَ ؛ وَقُلْ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ» ..

اَلْإِشَارَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ :

إِنَّ مِنْ مُعْجِزَاتِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ﴾ أَيْضاً ، «الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ» الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مُعْجِزَةٍ أَبَدِيَّةٍ جَامِعَةٍ لِمِئَاتِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ، أُثْبِتَ إِعْجَازُهَا بِأَرْبَعِينَ وَجْهاً . فَقَدْ أَثْبَتَتِ الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْكُبْرٰى ، أَرْبَعِينَ وَجْهاً مِنْ إِعْجَازِهَا ؛ وَبَيَّنَتْهَا إِجْمَالاً ، فِي مِئَةٍ وَخَمْسِينَ صَحِيفَةً تَقْرِيباً . فَإِذاً نُحِيلُ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ الْعُظْمَى الَّتِي هِيَ مَخْزَنُ الْمُعْجِزَاتِ ، عَلٰى تِلْكَ الْمَقَالَةِ ؛ وَإِنَّمَا نُبَيِّنُ نُكْتَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ نِكَاتٍ فَقَطْ ..

اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى :

إِنْ قِيلَ : إِنَّ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ فِي الْبَلَاغَةِ ؛ وَمِنْ حَقِّ كُلِّ الطَّبَقَاتِ أَنْ تُوجَدَ حِصَصُهُمْ فِي إِعْجَازِهِ ؛ مَعَ أَنَّ إِعْجَازَهُ فِي الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا يَفْهَمُهُ فِي الْأَلْفِ ، عَالِمٌ مُحَقِّقٌ فَقَطْ ..

فَالْجَوَابُ : أَنَّ لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِزَاءَ كُلِّ طَبَقَةٍ ، نَوْعاً مِنَ الْإِعْجَازِ ؛ وَأَنَّهُ يُشْعِرُ

بِوُجُودِ إِعْجَازِهِ ، بِوَجْهٍ مَّا . .

(١) فَمَثَلاً : إِنَّهُ يُظْهِرُ إِزَاءَ طَبَقَةِ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ ، إِعْجَازَهُ فِي الْبَلَاغَةِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ . .

(٢) وَيُظْهِرُ إِزَاءَ أَهْلِ الشِّعْرِ وَالْخَطَابَةِ ، إِعْجَازَ الْأُسْلُوبِ الْبَدِيعِ الْغَرِيبِ ، الْجَمِيلِ الْعَالِي . وَذٰلِكَ الْأُسْلُوبُ يَسْتَحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يُقَلِّدُهُ أَحَدٌ ؛ وَلَا يُشِيبُهُ مُرُورُ الزَّمَانِ ؛ فَهُوَ شَابٌّ وَطَرِيٌّ دَائِماً ؛ وَأَنَّهُ نَثْرٌ مَنْظُومٌ ، وَنَظْمٌ مَنْثُورٌ ، عَالٍ وَلَذِيذٌ . .

(٣) وَكَذَا يُظْهِرُ إِزَاءَ طَبَقَةِ الْكُهَّانِ وَالْمُخْبِرِينَ عَنِ الْغَيْبِ ، إِعْجَازَهُ فِي الْأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّةِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ . .

(٤) وَيُظْهِرُ إِزَاءَ طَبَقَةِ أَهْلِ التَّارِيخِ ، وَعُلَمَاءِ حَادِثَاتِ الْعَالَمِ ، إِعْجَازَهُ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَأَحْدَاثِهَا ، وَأَحْوَالِ الاِسْتِقْبَالِ وَالْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ وَوَقَائِعِهَا الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ . .

(٥) وَيُظْهِرُ إِزَاءَ طَبَقَةِ عُلَمَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَأَهْلِ السِّيَاسَةِ ، إِعْجَازَهُ فِي دَسَاتِيرِ الْقُرْآنِ الْقُدُسِيَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ الشَّرِيعَةَ الْكُبْرَى الْمُسْتَنْبَطَةَ عَنْ ذٰلِكَ الْقُرْآنِ ، تُظْهِرُ سِرَّ ذٰلِكَ الْإِعْجَازِ . .

(٦) وَكَذَا يُظْهِرُ إِزَاءَ الطَّبَقَةِ الْمُتَوَغِّلَةِ فِي الْمَعَارِفِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ ، الْإِعْجَازَ الْمَوْجُودَ فِي الْحَقَائِقِ الْقُدُسِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ ؛ أَوْ يُشْعِرُ بِوُجُودِ الْإِعْجَازِ فِيهَا . .

(٧) وَيُظْهِرُ الْقُرْآنُ إِزَاءَ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ وَالْوِلَايَةِ ، إِعْجَازَهُ فِي أَسْرَارِ آيَاتِهِ الْمُتَمَوِّجَةِ دَائِماً كَالْبَحْرِ . وَهٰكَذَا يَفْتَحُ إِزَاءَ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ الطَّبَقَاتِ الْأَرْبَعِينَ ، نَافِذَةً ؛ وَيُظْهِرُ إِعْجَازَهُ فِيهَا . .

(٨) حَتّٰى إِنَّهُ يُظْهِرُ الْقُرْآنُ إِزَاءَ طَبَقَةِ الْعَوَامِّ الَّذِينَ لَهُمْ آذَانٌ فَقَطْ ؛ وَيَفْهَمُونَ الْمَعْنٰى بَعْضَ الْفَهْمِ ، إِعْجَازَهُ بِتِلَاوَتِهِ ؛ فَيُصَدِّقُ صَاحِبُ الْأُذُنِ ، أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ كُتُباً أُخْرٰى ؛ وَيَقُولُ

ذٰلِكَ الْعَامِّيُّ : إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ ، إِمَّا تَحْتَ كُلِّ مَا نَسْمَعُهُ مِنَ الْكُتُبِ ؛ فَهٰذَا لَا يَقُولُهُ أَيُّ عَدُوٍّ أَيْضاً ؛ وَهُوَ مُحَالٌ مِئَةَ دَرَجَةٍ . فَإِذاً هُوَ فَوْقَ كُلِّ الْكُتُبِ الْمَسْمُوعَةِ ؛ فَإِذاً هُوَ مُعْجِزَةٌ . .

فَهٰذَا الْإِعْجَازُ الَّذِي يَفْهَمُهُ هٰذَا الْعَامِّيُّ ذُو السَّمْعِ ، نُوضِحُهُ بَعْضَ الْإِيضَاحِ ، إِعَانَةً لَهُ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، لَمَّا ظَهَرَ ، تَحَدّٰى كُلَّ الْعَالَمِ ؛ وَأَيْقَظَ فِي النَّاسِ حِسَّيْنِ شَدِيدَيْنِ . .

أَحَدُهُمَا : حِسُّ التَّقْلِيدِ ، فِي الْأَصْدِقَاءِ ؛ يَعْنِي : حِسَّ إِرَادَةِ التَّشَبُّهِ بِأُسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْحَبِيبِ ، وَالتَّكَلُّمِ مِثْلَهُ . .

وَالثَّانِي : حِسُّ انْتِقَادٍ وَمُعَارَضَةٍ ، فِي الْأَعْدَاءِ ؛ يَعْنِي : حِسَّ نَقْضِ دَعْوَى الْإِعْجَازِ ، بِالْمُعَارَضَةِ لِأُسْلُوبِ الْقُرْآنِ . فَقَدْ كُتِبَتْ مَلَايِينُ كُتُبٍ عَرَبِيَّةٍ ، بِهٰذَيْنِ الْحِسَّيْنِ الشَّدِيدَيْنِ ؛ وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِينَا . فَالْآنَ إِذَا تُلِيَ مَعَ الْقُرْآنِ ، أَبْلَغُ كُلِّ هٰذِهِ الْكُتُبِ وَأَفْصَحُهَا ؛ فَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَيْهَا ؛ يَقُولُ قَطْعاً : إِنَّ الْقُرْآنَ لَا يُشْبِهُ وَاحِداً مِنْ هٰذِهِ الْكُتُبِ . فَإِذاً إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ فِي دَرَجَةِ كُلِّ هٰذِهِ الْكُتُبِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَحْتَ الْكُلِّ ؛ وَذٰلِكَ مُحَالٌ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَهُ ؛ حَتّٰى وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ (١) نَفْسُهُ ؛ فَإِذاً إِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، فَوْقَ كُلِّ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ . .

(٩) حَتّٰى إِنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، يُظْهِرُ إِعْجَازَهُ ، بِصُورَةِ عَدَمِ الْإِمْلَالِ ، إِزَاءَ الطَّبَقَةِ الْجَاهِلَةِ الْعَامِّيَّةِ الَّتِي لَا تَفْهَمُ الْمَعْنٰى أَيْضاً . نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ الْعَامِّيَّ الْجَاهِلَ يَقُولُ : إِنِّي إِنْ أَسْمَعْ شِعْراً أَحْسَنَ وَأَشْهَرَ ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ يُورِثْنِي الْمَلَلَ ؛ وَأَمَّا هٰذَا الْقُرْآنُ ، فَلَا يُورِثُ الْمَلَالَ أَصْلاً . فَكُلَّمَا دَامَ ؛ أَسْتَطِيبُ اسْتِمَاعَهُ أَكْثَرَ ؛ فَإِذاً لَيْسَ هٰذَا الْقُرْآنُ ، كَلَامَ النَّاسِ . .

---

(١) إِنَّ الْمَبْحَثَ الْأَوَّلَ الْمُهِمَّ مِنَ الْمَكْتُوبِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ ، حَاشِيَةُ هٰذِهِ الْجُمْلَةِ وَإِيضَاحُهَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(١٠) وَكَذَا يُظْهِرُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ إِعْجَازَهُ، إِزَاءَ طَبَقَةِ الصِّبْيَانِ أَيْضاً، الَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ لِحِفْظِهِ ؛ وَذٰلِكَ بِصُورَةِ تَوَسُّعِ ذٰلِكَ الْقُرْآنِ الْكَبِيرِ، بِكَمَالِ السُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ، فِي حَافِظَاتِ أُولَائِكَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ لَا يَسْتَظْهِرُونَ صَحِيفَةَ كِتَابٍ، وَفِي رُؤُوسِهِمُ الصَّغِيرَةِ اللَّطِيفَةِ الضَّعِيفَةِ الْبَسِيطَةِ ؛ وَذٰلِكَ مَعَ تَشَابُهِ الْآيَاتِ وَالْجُمَلِ الْمُتَمَاثِلَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْاِلْتِبَاسِ وَالتَّشَوُّشِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَوَاضِعِهِ..

(١١) حَتّٰى إِنَّ الْقُرْآنَ يُشْعِرُ بِنَوْعٍ مِنْ إِعْجَازِهِ، لِلْمَرْضٰى وَالْمُحْتَضَرِينَ أَيْضاً، الَّذِينَ يَتَأَثَّرُونَ عَنِ اللَّغَطِ وَالْكَلَامِ الْقَلِيلِ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ يَسْتَطِيبُونَ نَغْمَةَ الْقُرْآنِ ؛ وَيَسْتَحْلُونَ زَمْزَمَتَهُ، كَمَاءِ زَمْزَمَ..

اَلْحَاصِلُ: أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ يُظْهِرُ إِعْجَازَهُ ؛ أَوْ يُشْعِرُ بِوُجُودِهِ، بِأَرْبَعِينَ وَجْهاً، لِأَرْبَعِينَ طَبَقَةً مُخْتَلِفَةً، وَلِأُنَاسٍ مُتَغَايِرِينَ ؛ وَلَا يَحْرِمُ أَحَداً..

(١٢) حَتّٰى إِنَّ لِلْقُرْآنِ، نَوْعاً مِنْ عَلَامَةِ الْإِعْجَازِ، إِزَاءَ طَبَقَةِ مَنْ لَا عِلْمَ وَلَا قَلْبَ وَلَا سَمْعَ لَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا يُوجَدُ أَبْصَارُهُمْ(١) فَقَطْ..

وَذٰلِكَ أَنَّ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ، الْمَكْتُوبِ بِخَطِّ الْحَافِظِ عُثْمَانَ، وَبِطَبْعِهِ، يَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ. فَمَثَلاً: لَوْ ثُقِبَتِ الْأَوْرَاقُ تَحْتَ كَلِمَةِ ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ، تُرٰى كَلِمَةُ ﴿قِطْمِيرٍ﴾ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ، بِانْحِرَافٍ يَسِيرٍ ؛ وَيُفْهَمُ اسْمُ ذٰلِكَ

---

(١) وَقَدْ بَقِيَ وَجْهُ إِعْجَازِهِ إِزَاءَ طَبَقَةِ مَنْ لَا سَمْعَ وَلَا قَلْبَ لَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا يُوجَدُ أَبْصَارُهُمْ فَقَطْ، بَقِيَ مُجْمَلاً وَمُخْتَصَراً وَنَاقِصاً لِلْغَايَةِ، هُنَا ؛ وَلٰكِنَّ هٰذَا الْوَجْهَ مِنْ إِعْجَازِهِ، قَدْ بُيِّنَ فِي الْمَكْتُوبَيْنِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ[١] بِوَجْهٍ سَاطِعٍ وَلَامِعٍ، ظَاهِرٍ وَبَاهِرٍ ؛ حَتّٰى يَسْتَطِيعَ الْأَعْمٰى أَيْضاً أَنْ يَرٰى ذٰلِكَ الْوَجْهَ. وَقَدِ اسْتَنْسَخْنَا قُرْآناً يُظْهِرُ ذٰلِكَ الْوَجْهَ مِنَ الْإِعْجَازِ. فَسَيُطْبَعُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ؛ وَيَرٰى كُلٌّ أَحَدٍ، ذٰلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

---

[١] وَقَدْ تُصُوِّرَ الْمَكْتُوبُ الثَّلَاثُونَ ؛ وَنُوِيَ بِوَجْهٍ لَامِعٍ جِدّاً ؛ وَلٰكِنْ أَعْطٰى مَكَانَهُ لِغَيْرِهِ ؛ وَهُوَ إِشَارَاتُ الْإِعْجَازِ ؛ فَلَمْ يَظْهَرْ هُوَ نَفْسُهُ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

الْكَلْبِ . . وَإِنَّ كَلِمَتَيْ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ فِي سُورَةِ يٰسٓ ، وَقَعَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرٰى . . وَإِنَّ كَلِمَتَيْ ﴿مُحْضَرِينَ ومُحْضَرُونَ﴾ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ ، تَنْظُرُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرٰى ؛ وَتَنْظُرَانِ إِلٰى مَا فِي سُورَةِ يٰسٓ ؛ فَلَوْ ثُقِبَتْ إِحْدَاهُمَا ؛ تُرَى الْبَوَاقِي ، بِانْحِرَافٍ يَسِيرٍ . . وَإِنَّ كَلِمَتَيْ ﴿مَثْنٰى﴾ مَثَلاً ، فِي آخِرِ سُورَةِ سَبَأٍ ، وَفِي أَوَّلِ سُورَةِ فَاطِرٍ ، تَنْظُرُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرٰى . وَمُحَاذَاةُ (مَثْنَيَيْنِ) مِنْ ثَلَاثِ مَثْنَيَاتٍ ، فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ ، لَا يَكُونُ تَصَادُفِيّاً . . وَأَمْثَالُ هٰذِهِ الْمَذْكُورَاتِ كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ حَتّٰى إِنَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، يَنْظُرُ أَفْرَادُهَا بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ ، فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ أَوْ سِتَّةٍ ، وَرَاءَ الْأَوْرَاقِ ، بِانْحِرَافٍ قَلِيلٍ . وَإِنِّي رَأَيْتُ قُرْآناً كُتِبَتْ جُمَلُهُ الْمُتَنَاظِرَةُ فِي الصَّحِيفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ ، بِالْقَلَمِ الْأَحْمَرِ ؛ فَقُلْتُ عِنْدَئِذٍ : إِنَّ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةَ أَمَارَةُ نَوْعٍ مِنَ الْمُعْجِزَةِ أَيْضاً ؛ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ ، جُمَلاً مُتَنَاظِرَةً وَرَاءَ أَوْرَاقٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ يَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ ، بِصُورَةٍ مُفِيدَةٍ . هٰذَا ، وَلَمَّا كَانَ تَرْتِيبُ الْقُرْآنِ ، بِالْإِرْشَادِ النَّبَوِيِّ ؛ وَكَانَتِ الْمَصَاحِفُ الْمُنْتَشِرَةُ الْمَطْبُوعَةُ ، بِالْإِلْهَامِ الْإِلٰهِيِّ ؛ كَانَ فِي نَقْشِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَفِي خَطِّهِ ذٰلِكَ ، إِشَارَةٌ إِلٰى نَوْعٍ مِنْ عَلَامَةِ الْإِعْجَازِ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةَ لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِ التَّصَادُفِ ، وَلَا مِنْ تَصَوُّرِ فِكْرِ الْبَشَرِ ؛ وَلٰكِنْ فِيهِ انْحِرَافٌ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ نَقْصِ الطَّبْعِ . فَلَوْ كَانَ مُنْتَظِماً تَامّاً ؛ لَوَقَعَتِ الْكَلِمَاتُ بَعْضُهَا عَلٰى بَعْضٍ ، تَمَاماً . .

وَكَذَا أَنَّ لَفْظَ (اللهُ) كُرِّرَ بِوَجْهٍ بَدِيعٍ جِدّاً ، فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ مِنَ السُّوَرِ الْمُتَوَسِّطَةِ وَالطَّوِيلَةِ النَّازِلَةِ بِالْمَدِينَةِ ، إِمَّا خَمْساً أَوْ سِتّاً ، أَوْ سَبْعاً أَوْ ثَمَانِياً ، أَوْ تِسْعاً أَوْ إِحْدٰى عَشْرَةَ مَرَّةً فِي الْأَغْلَبِ ؛ فَيُظْهِرُ مَعَ ذٰلِكَ ، مُنَاسَبَةً عَدَدِيَّةً مُفِيدَةً جَمِيلَةً ، فِي صَفْحَتَيْ وَرَقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِي الصَّحِيفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ .(١-٢-٣-٤) . .

---

(١) (١٣) وَكَذَا أَنَّ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ الْمُزَيَّنَةَ الْمُقَفَّاةَ ، وَأَسَالِيبَهُ الْفَصِيحَةَ الْمُصَنَّعَةَ ، وَمَزَايَاهُ الْعَائِدَةَ إِلَى الْبَلَاغَةِ ، الَّتِي تَلْفِتُ النَّظَرَ إِلَيْهَا ، تُورِثُ الْجِدَّ الْعَالِيَ ، وَالْحُضُورَ الْإِلٰهِيَّ ، وَجَمْعَ الْبَالِ ؛ وَلَا تُفْسِدُهَا مَعَ كَثْرَتِهَا . وَالْحَالُ أَنَّ ذٰلِكَ النَّوْعَ مِنْ مَزَايَا الْفَصَاحَةِ ، وَصَنْعَةِ اللَّفْظِ وَالنَّظْمِ وَالْقَافِيَةِ ، يُخِلُّ الْجِدَّ ؛ وَيُشِمُّ الظَّرَافَةَ ؛ وَيُفْسِدُ الْحُضُورَ ؛ وَيُفَرِّقُ النَّظَرَ ؛ حَتّٰى إِنَّ مُنَاجَاةَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) =

= الْمَشْهُورَةَ الَّتِي هِيَ أَلْطَفُ الْمُنَاجَاةِ ، وَأَعْلاهَا جِدّاً وَنَظْماً ؛ وَكَانَتْ سَبَباً لِرَفْعِ الْقَحْطِ وَالْغَلاءِ ، عَنْ مِصْرَ ، كُنْتُ أَقْرَأُهَا مِرَاراً كَثِيرَةً ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّهَا تُخِلُّ الْجِدَّ الْعَالِيَ لِلْمُنَاجَاةِ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَنْظُومَةً وَمُقَفَّاةً ؛ وَهِيَ وِرْدِي مُنْذُ ثَمَانِي أَوْ تِسْعِ سِنِينَ ؛ فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَ الْجِدِّ الْحَقِيقِيِّ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْقَافِيَةِ وَالنَّظْمِ ؛ فَعَلِمْتُ مِنْ ذٰلِكَ : أَنَّ فِي نَظْمِ الْقُرْآنِ وَمَزَايَاهُ وَقَوَافِيهِ الْفِطْرِيَّةِ الْمُمْتَازَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ ، نَوْعاً مِنَ الْإِعْجَازِ ، إِزَاءَ أَهْلِ الذِّكْرِ وَالْمُنَاجَاةِ . فَلِذٰلِكَ يُحَافِظُ عَلَى الْجِدِّ الْحَقِيقِيِّ ، وَالْحُضُورِ التَّامِّ ؛ وَلا يُخِلُّهُمَا . فَأَهْلُ الْمُنَاجَاةِ وَالذِّكْرِ إِنْ لَمْ يَفْهَمُوا هٰذَا النَّوْعَ مِنَ الْإِعْجَازِ ، عَقْلاً ؛ فَإِنَّهُمْ يُحِسُّونَ بِهِ قَلْباً .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

(٢) إِنَّ سِرّاً مَعْنَوِيّاً مِنْ أَسْرَارِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، هُوَ : أَنَّ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُ دَرَجَةَ إِيمَانِ ﴿الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ الْمَظْهَرِ لِلاسْمِ الْأَعْظَمِ عليه الصلاة والسلام﴾ ، تِلْكَ الدَّرَجَةَ الْعَظِيمَةَ الْمُشْرِقَةَ جِدّاً . وَكَذَا يُبَيِّنُ وَيُدَرِّسُ بِوَجْهٍ فِطْرِيٍّ ، مَرْتَبَةَ عُلُوِّ الدِّينِ الْحَقِّ الْعَالِي ، الْوَاسِعِ الْعَظِيمِ جِدّاً ، الَّذِي يُبَيِّنُ حَقَائِقَ عَالَمِ الْآخِرَةِ ، وَعَالَمِ الرُّبُوبِيَّةِ ، تِلْكَ الْحَقَائِقَ الْعَالِيَةَ ، كَخَرِيطَةٍ مُقَدَّسَةٍ . وَكَذَا يُفِيدُ خِطَابَ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، بِعِزَّتِهِ وَحِشْمَتِهِ بِلا حَدٍّ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ رَبُّ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ . فَلَوِ اتَّحَدَتِ الْعُقُولُ الْبَشَرِيَّةُ كُلُّهَا ؛ وَصَارَتْ عَقْلاً وَاحِداً ، إِزَاءَ إِفَادَةِ الْفُرْقَانِ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ ، وَبَيَانِ الْقُرْآنِ بِهٰذَا الْوَجْهِ ؛ لَمَا اسْتَطَاعَتْ قَطْعاً أَنْ تُقَاوِمَهُ وَتُعَارِضَهُ ؛ وَذٰلِكَ بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ قَابِلاً لِلتَّقْلِيدِ وَالتَّنْظِيرِ قَطْعاً ، بِاعْتِبَارِ هٰذِهِ الْأُسُسِ الثَّلاثَةِ . فَأَيْنَ الثَّرَى مِنَ الثُّرَيَّا ؟ . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

(٣) إِنَّ جَمِيعَ صَحَائِفِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، تَنْتَهِي الْآيَةُ فِي أَوَاخِرِهَا ؛ وَتُخْتَتَمُ نِهَايَتُهَا بِقَافِيَةٍ جَمِيلَةٍ . وَسِرُّ هٰذَا التَّوَافُقِ ، هُوَ : أَنَّهُ اتُّخِذَتْ آيَةُ الْمُدَايَنَةِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ الْآيَاتِ ، مِقْيَاساً لِلصَّحَائِفِ ؛ وَسُورَتَا الْإِخْلاصِ وَالْكَوْثَرِ ، وَاحِداً قِيَاسِيّاً لِلسُّطُورِ . فَلِذٰلِكَ تُشَاهَدُ عَلامَةُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَمَزِيَّتُهُ الْجَمِيلَةُ هٰذِهِ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

(٤) وَقَدِ اكْتُفِيَ فِي هٰذَا الْمَبْحَثِ مِنْ هٰذَا الْمَقَامِ ، بِأَمَارَاتٍ صَغِيرَةٍ ، وَأَمْثِلَةٍ قَصِيرَةٍ ، وَأَوْضَاعٍ جُزْئِيَّةٍ يَسِيرَةٍ جِدّاً ، مِنْ حَقِيقَةٍ مُهِمَّةٍ مُحْتَشِمَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَكَرَامَةٍ مُزَيَّنَةٍ مَحْبُوبَةٍ مُشَوِّقَةٍ ، فِي جِهَةِ نَجَاحِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ وَذٰلِكَ بِسَبَبِ آفَةِ الاسْتِعْجَالِ ؛ مَعَ أَنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْعَظِيمَةَ ، وَتِلْكَ الْكَرَامَةَ الْمَحْبُوبَةَ ، تُشَكِّلانِ مَنْبَعَ إِشَارَاتٍ لِلرُّمُوزِ الْغَيْبِيَّةِ ، وَلَمَعَاتِ نَوْعٍ مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، مِمَّا يُشَاهَدُ بِالْعَيْنِ ، وَسِلْسِلَةَ كَرَامَةٍ لِرِسَالَةِ النُّورِ ، تُسَمَّى بِالتَّوَافُقِ ، مَعَ خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ أَوْ سِتَّةٍ ، مِنْ أَنْوَاعِ =

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ :

لَمَّا كَانَ لِلسِّحْرِ رَوَاجٌ فِي عَهْدِ مُوسٰى (عليه السلام) ؛ أَتٰى أَهَمُّ مُعْجِزَاتِهِ ، عَلٰى وَجْهٍ يُشْبِهُ السِّحْرَ ؛ وَلَمَّا كَانَ عِلْمُ الطِّبِّ ، فِي حَالِ الرَّوَاجِ ، فِي زَمَنِ عِيسٰى (عليه السلام) ؛ جَاءَ غَالِبُ مُعْجِزَاتِهِ ، مِنْ ذٰلِكَ الْجِنْسِ ؛ فَكَذٰلِكَ إِنَّ أَكْثَرَ مَا كَانَ فِي حَالِ الرَّوَاجِ ، فِي عَصْرِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عليه الصلاة والسلام» ، فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، كَانَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءٍ . .

اَلْأَوَّلُ : الْبَلَاغَةُ وَالْفَصَاحَةُ . . اَلثَّانِي : الشِّعْرُ وَالْخَطَابَةُ . . اَلثَّالِثُ : الْكَهَانَةُ وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْغَيْبِ . . اَلرَّابِعُ : مَعْرِفَةُ الْحَادِثَاتِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْوَاقِعَاتِ الْكَوْنِيَّةِ . . .

فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ ؛ تَحَدّٰى أَصْحَابَ هٰذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الْأَرْبَعَةِ ؛ فَأَقْعَدَ أَوَّلاً أَهْلَ الْبَلَاغَةِ ، عَلَى الرُّكْبَةِ دَفْعَةً ؛ فَاسْتَمَعُوا لِلْقُرْآنِ بِحَيْرَةٍ ؛ وَثَانِياً : حَيَّرَ أَهْلَ الشِّعْرِ وَالْخَطَابَةِ ، الَّذِينَ يَنْطِقُونَ نُطْقاً مُنْتَظِماً ؛ وَيُنْشِدُونَ شِعْراً جَمِيلاً ؛ فَأَعَضَّهُمْ أَنَامِلَهُمْ ؛ وَأَجْبَرَهُمْ عَلٰى إِنْزَالِ أَجْمَلِ أَشْعَارِهِمُ الْمَكْتُوبَةِ بِالذَّهَبِ ، وَمُعَلَّقَاتِهِمُ السَّبْعَةِ الْمَشْهُورَةِ الْمُعَلَّقَةِ بِجُدْرَانِ الْكَعْبَةِ ؛ لِتَكُونَ مَدَارَ الْفَخْرِ ؛ وَأَسْقَطَهَا عَنِ الْقِيمَةِ ؛ وَكَذَا أَسْكَتَ السَّحَرَةَ وَالْكُهَّانَ الْمُخْبِرِينَ عَنِ الْغَيْبِ ؛ فَأَنْسَاهُمْ أَخْبَارَهُمُ الْغَيْبِيَّةَ ؛ وَطَرَدَ جِنَّهُمْ ؛ وَقَضٰى عَلَى الْكَهَانَةِ ؛ وَكَذَا أَنْقَذَ الْعَارِفِينَ بِوَقَائِعِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، وَحَوَادِثِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ ، عَنِ الْكَذِبِ وَالْخُرَافَاتِ ؛ وَدَرَّسَهُمْ

= ذٰلِكَ التَّوَافُقِ . ثُمَّ اكْتُتِبَ قُرْآنٌ بِالتَّذْهِيبِ ، يُظْهِرُ لَمْعَةَ إِعْجَازٍ ، تَطْلُعُ مِنْ تَوَافُقِ لَفْظِ (الله) فِي الْقُرْآنِ . وَكَذَا أُلِّفَتْ ثَمَانِي رَسَائِلَ صَغِيرَةٍ ، بِاسْمِ (الرُّمُوزَاتِ الثَّمَانِيَةِ) ، فِي بَيَانِ الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةِ ، وَالْمُنَاسَبَاتِ اللَّطِيفَةِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ تَوَافُقِ حُرُوفِ الْقُرْآنِ . وَكَذَا أُلِّفَتْ خَمْسُ رَسَائِلَ بِاسْمِ (الْإِشَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَالْكَرَامَاتِ الْعَلَوِيَّةِ الثَّلَاثِ ، وَالْكَرَامَةِ الْغَوْثِيَّةِ) ، الَّتِي تُصَدِّقُ رِسَالَةَ النُّورِ ؛ وَتَمْدَحُهَا وَتَسْتَحْسِنُهَا بِسِرِّ التَّوَافُقِ . .

فَإِذاً إِنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْعَظِيمَةَ أُحِسَّ بِهَا إِجْمَالاً ، فِي تَأْلِيفِ رِسَالَةِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَلٰكِنَّ الْمُؤَلِّفَ رَأٰى ظُفْراً مِنْهَا فَقَطْ ؛ وَأَرَاهُ ؛ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلٰى مَا وَرَاءَهُ ؛ فَرَاحَ مُهَرْوِلاً ، مَعَ الْأَسَفِ . .

اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الْحَادِثَاتِ الْمَاضِيَةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، وَالْوَقَائِعَ الْعَالَمِيَّةَ النُّورِيَّةَ . فَهٰذِهِ الطَّبَقَاتُ الْأَرْبَعُ جَثَتْ عَلٰى رُكْبَتِهِمْ أَمَامَ الْقُرْآنِ ، بِكَمَالِ الْحَيْرَةِ وَالْحُرْمَةِ ؛ فَصَارُوا تَلَامِذَةً لَهُ ؛ وَلَمْ يَتَشَبَّثْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي أَيِّ وَقْتٍ ، بِالْمُعَارَضَةِ مَعَ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ . .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُعَارِضْ أَحَدٌ ؛ وَلَمْ يَكُنِ الْمُعَارَضَةُ مُمْكِناً ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُعَارَضَةُ مُمْكِناً ؛ لَتُشُبِّثَ بِهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ لِأَنَّ الِاحْتِيَاجَ إِلَى الْمُعَارَضَةِ ، كَانَ شَدِيداً ؛ فَإِنَّ أَدْيَانَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلَهُمْ ، كَانَتْ تَقَعُ فِي التَّهْلُكَةِ . فَلَوْ عُورِضَ لَنَجَوْا ؛ وَلَوْ أَمْكَنَ الْمُعَارَضَةُ ؛ لَعَارَضُوا عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ وَلَوْ عَارَضُوا لَمَالَ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ ، إِلَى الْمُعَارَضَةِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ وَالْتَزَمُوهَا وَنَشَرُوهَا لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ جِدّاً ؛ كَمَا أَنَّهُمْ نَشَرُوا كُلَّ مَا يَكُونُ نَقْداً عَلَى الْإِسْلَامِ ؛ وَلَوْ نَشَرُوهَا ؛ وَوَقَعَ الْمُعَارَضَةُ ؛ لَسُجِّلَ فِي التَّوَارِيخِ وَالْكُتُبِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ، بِصُورَةٍ مُشْتَهِرَةٍ . فَهَا هُوَ ذَا ، جَمِيعُ التَّوَارِيخِ وَالْكُتُبِ فِي الْمَيْدَانِ ؛ لَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرُ بَعْضِ فِقْرَاتِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ؛ مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ تَحَدّٰى دَائِماً ثَلَاثاً وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ بِحَيْثُ يَطْعَنُ فِي الْأَعْصَابِ ؛ وَيُهَيِّجُ الْعِنَادَ ؛ وَكَانَ يَقُولُ : فَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ ، مِنْ أُمِّيٍّ مِثْلِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ؛ وَأَظْهِرُوا مِثْلَهُ مِنْ مِثْلِهِ . فَإِذَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَأْتُوا بِهٰذَا ؛ فَلَا يَكُنْ ذٰلِكَ الرَّجُلُ أُمِّيّاً ؛ فَلْيَكُنْ عَالِماً وَكَاتِباً لِلْغَايَةِ . وَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَأْتُوا بِهٰذَا أَيْضاً ؛ فَلَا يَكُنْ رَجُلاً وَاحِداً ؛ فَلْيَجْتَمِعْ جَمِيعُ بُلَغَائِكُمْ وَعُلَمَائِكُمْ ؛ وَلْيَتَعَاوَنُوا ؛ بَلْ وَلْتُعِنْكُمْ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا . وَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَصْنَعُوا بِهٰذَا الْوَجْهِ أَيْضاً ؛ فَاسْتَفِيدُوا مِنَ الْآثَارِ الْبَلِيغَةِ الَّتِي كُتِبَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ بَلِ ادْعُوا الْأَنْسَالَ الْمُسْتَقْبَلَةَ ، إِلٰى إِعَانَتِكُمْ ؛ فَأْتُوا بِنَظِيرِ الْقُرْآنِ ؛ وَأَظْهِرُوا مِثْلَهُ . وَإِذَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا هٰذَا أَيْضاً ؛ فَلَا يَكُنْ نَظِيراً لِمَجْمُوعِ الْقُرْآنِ ؛ بَلِ ائْتُوا بِنَظِيرِ عَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ . وَإِذَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَأْتُوا بِنَظِيرٍ حَقِيقِيٍّ صَحِيحٍ ، إِزَاءَ عَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ ؛ فَأَلِّفُوا مِنْ حِكَايَاتٍ وَقِصَصٍ لَا أَصْلَ لَهَا ؛ وَلْيَكُنْ نَظِيراً لِنَظْمِهَا وَبَلَاغَتِهَا ؛ فَأْتُوا بِهِ . وَإِذَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا

أَنْ تَأْتُوا بِهٰذَا أَيْضاً ؛ فَأْتُوا بِنَظِيرِ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ ؛ وَلَا تَكُنِ السُّورَةُ طَوِيلَةً ؛ وَلْتَكُنْ سُورَةً قَصِيرَةً ؛ فَأْتُوا بِنَظِيرِهَا . وَإِلّا فَإِنَّ دِينَكُمْ وَأَرْوَاحَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ وَأَهْلَكُمْ تَقَعُ فِي الْخَطَرِ ، فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ . . فَهٰكَذَا تَحَدَّى الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ جَمِيعَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؛ وَيَتَحَدَّاهُمْ ، لَا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، بَلْ فِي ثَلَاثِمِئَةٍ وَأَلْفِ سَنَةٍ ، عَلٰى صُورَةِ الْإِفْحَامِ فِي ثَمَانِي طَبَقَاتٍ ؛ مَعَ أَنَّ أُولٰئِكَ الْكُفَّارَ أَلْقَوْا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ السَّابِقِ ؛ فَاخْتَارُوا طَرِيقَ الْحَرْبِ ذٰلِكَ الطَّرِيقَ الْأَفْزَعَ ؛ وَتَرَكُوا طَرِيقَ الْمُعَارَضَةِ ذٰلِكَ الطَّرِيقَ الْأَسْهَلَ الْأَقْصَرَ . فَإِذاً إِنَّ طَرِيقَ الْمُعَارَضَةِ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً . فَهَلْ يَتْرُكُ عَاقِلٌ ، لَاسِيَّمَا قَوْمٍ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، لَاسِيَّمَا أَذْكِيَاءِ مِثْلِ قُرَيْشٍ فِي ذٰلِكَ الْعَهْدِ ، الطَّرِيقَ السَّهْلَ الْقَصِيرَ ، بِأَنْ يَأْتِيَ أَدِيبٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِنَظِيرِ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَيُؤَمِّنَ لَهُمُ النَّجَاةَ عَنْ هُجُومِ الْقُرْآنِ ؛ وَيَسْلُكُونَ الطَّرِيقَ الْأَصْعَبَ ؛ فَيُلْقُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ، إِلَى التَّهْلُكَةِ ؟ كَلّا . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ لَمْ يُمْكِنِ الْمُعَارَضَةُ بِالْحُرُوفِ ؛ فَاضْطُرُّوا إِلَى الْمُحَارَبَةِ بِالسُّيُوفِ ؛ كَمَا قَالَ الْجَاحِظُ الْمَشْهُورُ . .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ قَالُوا : لَا تُعَارَضُ آيَةٌ ، بَلْ جُمْلَةٌ ، بَلْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، لَا سُورَةٌ مِنْهُ ؛ وَلَمْ تُعَارَضْ . فَتَرَى هٰذِهِ الْأَقْوَالُ مُبَالَغَةً ؛ وَلَا يَقْبَلُهَا الْعَقْلُ ؛ فَإِنَّهُ يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْبَشَرِ ، جُمَلٌ كَثِيرَةٌ تُشْبِهُ جُمَلَ الْقُرْآنِ ؛ فَمَا هُوَ سِرُّ حِكْمَةِ هٰذَا الْقَوْلِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ مَذْهَبَيْنِ . . فَالْمَذْهَبُ الْأَكْثَرُ الرَّاجِحُ : هُوَ أَنَّ مَا فِي الْقُرْآنِ ، مِنْ لَطَائِفِ الْبَلَاغَةِ ، وَمَزَايَا الْمَعَانِي ، فَوْقَ طَاقَةِ الْبَشَرِ . .

وَالْمَذْهَبُ الثَّانِي الْمَرْجُوحُ : هُوَ أَنَّ مُعَارَضَةَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فِي دَاخِلِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ ؛ وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالٰى مَنَعَ عَنْهَا ؛ لِيَكُونَ مُعْجِزَةً أَحْمَدِيَّةً ؛ كَمَا أَنَّ إِنْسَاناً ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ ؛ وَلٰكِنْ إِذَا قَالَ لَهُ نَبِيٌّ : إِنَّكَ لَا تَقُومُ ، إِظْهَاراً لِلْمُعْجِزَةِ ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُومَ ؛

يَكُونُ ذٰلِكَ مُعْجِزَةً . وَيُقَالُ لِهٰذَا الْمَذْهَبِ الْمَرْجُوحِ : مَذْهَبُ الصِّرْفَةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى صَرَفَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ، أَنْ يُعَارِضُوا سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَلَوْ لَمْ يَمْنَعْهُمْ ؛ لَعَارَضَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ سُورَةً مِنْهُ . فَعَلٰى هٰذَا الْمَذْهَبِ يَكُونُ قَوْلُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ قَالُوا : لَا تُعَارَضُ كَلِمَةٌ مِنْهُ ، حَقّاً ؛ لِأَنَّهُ إِذَا مَنَعَهُمُ اللهُ تَعَالٰى لِلْإِعْجَازِ ؛ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْتَحُوا أَفْوَاهَهُمْ لِلْمُعَارَضَةِ ؛ وَلَوْ فَتَحُوا أَفْوَاهَهُمْ ؛ لَا يُخْرِجُونَ كَلِمَةً مِنْهَا ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِإِذْنِ اللهِ . .

وَأَمَّا عَلَى الْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ ؛ وَهُوَ الْمَذْهَبُ الرَّاجِحُ الْأَكْثَرُ ؛ فَلِلْفِكْرِ الَّذِي بَيَّنَهُ أُولٰئِكَ الْعُلَمَاءُ ، وَجْهٌ دَقِيقٌ أَيْضاً ؛ وَهُوَ : أَنَّ جُمَلَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَكَلِمَاتِهِ ، يَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ ؛ فَقَدْ تَكُونُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، تَنْظُرُ إِلٰى عَشَرَةِ مَوَاضِعَ ؛ فَتُوجَدُ فِيهَا عَشْرُ مُنَاسَبَاتٍ ، وَعَشْرُ نِكَاتٍ مِنْ نُكَتِ الْبَلَاغَةِ ؛ كَمَا بَيَّنَّا بَعْضَ أَمْثِلَةٍ مِنْ هٰذِهِ ، فِي التَّفْسِيرِ الْمُسَمّٰى بِإِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ ، بَيْنَ بَعْضِ جُمَلِ (الْفَاتِحَةِ) ، وَبَيْنَ جُمَلِ ﴿الٓمٓ ۞ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ . فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ وَضْعَ حَجَرٍ بِمَثَابَةِ عُقْدَةِ نُقُوشٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فِي قَصْرٍ مُنَقَّشٍ ، فِي مَكَانٍ يَنْظُرُ إِلٰى جَمِيعِ النُّقُوشِ ، يَتَوَقَّفُ عَلٰى مَعْرِفَةِ ذٰلِكَ الْجِدَارِ كُلِّهِ مَعَ نُقُوشِهِ ؛ وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ تَوْطِيدَ حَدَقَةِ الْإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ ، فِي مَكَانِهَا ، يُمْكِنُ بِمَعْرِفَةِ مُنَاسَبَاتِ الْجَسَدِ كُلِّهِ ، وَوَظَائِفِهِ الْعَجِيبَةِ ، وَأَوْضَاعِ الْعَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى تِلْكَ الْوَظَائِفِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ الَّذِينَ سَبَقُوا فِي الْحَقَائِقِ كَثِيراً ، بَيَّنُوا فِي كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ ، مُنَاسَبَاتٍ كَثِيرَةً جِدّاً ، وَرَوَابِطَ وَوُجُوهاً تَنْظُرُ إِلٰى سَائِرِ الْآيَاتِ وَالْجُمَلِ ؛ لَاسِيَّمَا أَنَّ عُلَمَاءَ عِلْمِ الْحُرُوفِ تَقَدَّمُوا أَكْثَرَ ؛ فَبَيَّنُوا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، مِقْدَارَ صَحِيفَةٍ مِنَ الْأَسْرَارِ ؛ وَأَثْبَتُوهَا لِأَهْلِهَا . .

وَأَيْضاً لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ كَلَامَ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُ ، فِي حُكْمِ الْقَلْبِ وَالنَّوَاةِ ؛ فَتَكُونُ فِي حُكْمِ الْقَلْبِ لِجَسَدٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ وَالنَّوَاةِ لِشَجَرَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ مُتَشَكِّلَيْنِ مِنَ الْأَسْرَارِ حَوْلَهُمَا . فَإِذاً يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ فِي كَلَامِ النَّاسِ ، كَلِمَاتٌ بَلْ جُمَلٌ وَآيَاتٌ ، مِثْلُ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ ؛ وَلٰكِنَّهَا ثُبِّتَتْ فِي الْقُرْآنِ بِوَجْهٍ رُوعِيَتْ مُنَاسَبَاتٌ كَثِيرَةٌ ، يَلْزَمُ لِتَثْبِيتِهَا فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ ، مِنْ عِلْمٍ مُحِيطٍ ؛ حَتّٰى يُثَبِّتَهَا كَذٰلِكَ فِي مَكَانِهَا اللَّائِقِ بِهَا . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ :

لَقَدْ أَحْسَنَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ ، إِلَى قَلْبِي ، فِي وَقْتٍ مَّا ، بِتَفَكُّرٍ حَقِيقِيٍّ بِعِبَارَةٍ عَرَبِيَّةٍ ، لِإِجْمَالِ مَاهِيَّةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، إِجْمَالاً مُلَخَّصاً مِنْ خُلاَصَتِهَا . فَالْآنَ نَكْتُبُ ذٰلِكَ التَّفَكُّرَ بِعَيْنِهِ عَرَبِيّاً ؛ ثُمَّ نُبَيِّنُ مَعْنَاهُ . وَهُوَ :

(سُبْحَانَ مَنْ شَهِدَ عَلٰى وَحْدَانِيَّتِهِ ؛ وَصَرَّحَ بِأَوْصَافِ جَمَالِهِ وَجَلاَلِهِ وَكَمَالِهِ ، الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ الْمُنَوَّرُ جِهَاتُهُ السِّتُّ ، الْحَاوِي لِسِرِّ إِجْمَاعِ كُلِّ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُوَحِّدِينَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْأَعْصَارِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَسَالِكِ ، الْمُتَّفِقِينَ بِقُلُوبِهِمْ وَعُقُولِهِمْ عَلٰى تَصْدِيقِ أَسَاسَاتِ الْقُرْآنِ ، وَكُلِّيَّاتِ أَحْكَامِهِ ، عَلٰى وَجْهِ الْإِجْمَالِ ؛ وَهُوَ مَحْضُ الْوَحْيِ ، بِإِجْمَاعِ الْمُنْزِلِ وَالْمُنْزَلِ وَالْمُنْزَلِ عَلَيْهِ ؛ وَعَيْنُ الْهِدَايَةِ ، وَمَعْدِنُ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ بِالضَّرُورَةِ ؛ وَمَجْمَعُ الْحَقَائِقِ بِالْيَقِينِ ؛ وَمُوصِلٌ إِلَى السَّعَادَةِ بِالْعِيَانِ ؛ وَذُو الْأَثْمَارِ الْكَامِلِينَ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ وَمَقْبُولُ الْمَلَكِ وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، بِالْحَدْسِ الصَّادِقِ ، مِنْ تَفَارِيقِ الْأَمَارَاتِ ؛ وَالْمُؤَيَّدُ بِالدَّلاَئِلِ الْعَقْلِيَّةِ ، بِاتِّفَاقِ الْعُقَلاَءِ الْكَامِلِينَ ؛ وَالْمُصَدَّقُ مِنْ جِهَةِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ ، بِشَهَادَةِ اطْمِئْنَانِ الْوِجْدَانِ ؛ وَالْمُعْجِزَةُ الْأَبَدِيَّةُ الْبَاقِي وَجْهُ إِعْجَازِهِ ، عَلٰى مَرِّ الزَّمَانِ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ وَالْمُنْبَسِطُ دَائِرَةُ إِرْشَادِهِ ، مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلٰى ، إِلٰى مَكْتَبِ الصِّبْيَانِ ؛ يَسْتَفِيدُ مِنْ عَيْنِ الدَّرْسِ ، الْمَلاَئِكَةُ مَعَ الصَّبِيِّينَ ؛ وَكَذَا هُوَ ذُو الْبَصَرِ الْمُطْلَقِ ؛ يَرَى الْأَشْيَاءَ ، بِكَمَالِ الْوُضُوحِ وَالظُّهُورِ ؛ وَيُحِيطُ بِهَا ؛ وَيُقَلِّبُ الْعَالَمَ فِي يَدِهِ ؛ وَيُعَرِّفُهُ لَنَا ؛ كَمَا يُقَلِّبُ صَانِعُ السَّاعَةِ ، السَّاعَةَ فِي كَفِّهِ ؛ وَيُعَرِّفُ لِلنَّاسِ . . فَهٰذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ ، هُوَ الَّذِي يَقُولُ مُكَرَّراً : ﴿اَللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . . فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ . .

فَتَرْجَمَةُ هٰذَا التَّفَكُّرِ الْعَرَبِيِّ وَمَآلُهُ ، هُوَ : أَنَّ جِهَاتِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، السِّتَّ ، مُشْرِقَةٌ مُنَوَّرَةٌ ؛ فَلاَ يَدْخُلُ فِيهِ الْأَوْهَامُ وَالشُّبُهَاتُ ؛ لِأَنَّ ظَهْرَهُ يَسْتَنِدُ إِلَى الْعَرْشِ ؛ فَفِي تِلْكَ الْجِهَةِ نُورُ الْوَحْيِ ؛ وَأَمَامَهُ وَفِي هَدَفِهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ ؛ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الْأَبَدِ وَالْآخِرَةِ ؛ وَهُنَاكَ

الْجَنَّةُ وَنُورُ السَّعَادَةِ ؛ وَفَوْقَهُ يَتَلَأْلَأُ سِكَّةُ الْإِعْجَازِ ؛ وَتَحْتَهُ عُمُدُ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ ؛ وَبَاطِنُهُ الْهِدَايَةُ الْخَالِصَةُ ؛ وَيَمِينُهُ يَسْتَنْطِقُ الْعُقُولَ ، بِجُمَلِ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ؛ فَيُجْبِرُهَا عَلَى التَّصْدِيقِ بِقَوْلِهَا «صَدَقْتَ» ؛ وَفِي شِمَالِهِ يُفِيدُ الْقُلُوبَ أَذْوَاقاً رُوحِيَّةً ؛ فَيَسْتَشْهِدُ الْوِجْدَانَ ؛ وَيُنْطِقُهُ بِقَوْلِهِ : «بَارَكَ اللهُ» . . فَمِنْ أَيِّ زَاوِيَةٍ ، وَمِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ لُصُوصُ الْأَوْهَامِ وَالشُّبُهَاتِ ، فِي هٰذَا الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ؟ .

نَعَمْ : إِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، جَامِعٌ لِسِرِّ إِجْمَاعِ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُوَحِّدِينَ ، الْمُخْتَلِفَةِ أَعْصَارُهُمْ وَمَشَارِبُهُمْ وَمَسَالِكُهُمْ ؛ يَعْنِي : أَنَّ أُولَائِكَ مِنْ أَهْلِ الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ ، ذَكَرُوا فِي كُتُبِهِمْ أُسُسَ الْقُرْآنِ ، وَمُجْمَلَ أَحْكَامِهِ ، عَلٰى وَجْهٍ صَدَّقُوا تِلْكَ الْأُسُسَ وَقَبِلُوهَا . فَإِذاً إِنَّهُمْ فِي حُكْمِ جُذُورِ شَجَرَةِ الْقُرْآنِ السَّمَاوِيَّةِ . .

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ يَسْتَنِدُ إِلَى الْوَحْيِ ؛ وَهُوَ وَحْيٌ ؛ لِأَنَّ مُنْزِلَ الْقُرْآنِ ذَا الْجَلَالِ يُظْهِرُ أَنَّ الْقُرْآنَ وَحْيٌ ؛ وَيُثْبِتُ ذٰلِكَ بِالْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْمُنْزَلَ أَيْضاً يُظْهِرُ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْجَازِ ، أَنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ الْعَرْشِ ؛ وَأَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ عليه الصلاة والسلام» ، الْمُنْزَلَ عَلَيْهِ ، يَدُلُّ حُزْنُهُ فِي بِدَايَةِ الْوَحْيِ ، وَغَشَيَانُهُ فِي وَقْتِ نُزُولِهِ ، وَإِخْلَاصُهُ وَاحْتِرَامُهُ لِلْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، عَلٰى أَنَّهُ وَحْيٌ يَرِدُ مِنَ الْأَزَلِ ؛ وَيَنْزِلُ بِهِ ضَيْفاً . .

وَكَذَا أَنَّ ذٰلِكَ الْقُرْآنَ مَحْضُ الْهِدَايَةِ بِالْبَدَاهَةِ ؛ لِأَنَّ مُخَالِفَهُ ، هُوَ الْكُفْرُ وَالضَّلَالُ بِالْمُشَاهَدَةِ . .

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ مَعْدِنُ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ بِالضَّرُورَةِ ؛ وَعَكْسُ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ ، هُوَ الظُّلُمَاتُ قَطْعاً . وَقَدْ أَثْبَتْنَا هٰذَا إِثْبَاتاً قَاطِعاً ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَقَالَاتِ . .

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ مَجْمَعُ الْحَقَائِقِ بِالْيَقِينِ ؛ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ الْخَيَالَاتُ وَالْخُرَافَاتُ ؛ وَأَنَّهُ يُثْبِتُ بِشَهَادَةِ مَا أَسَّسَهُ مِنْ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ذِي الْحَقِيقَةِ ، وَمَا أَظْهَرَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْأَسَاسِيَّةِ ، وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ الْعَالِيَةِ : أَنَّ مَبَاحِثَهُ الَّتِي تَعُودُ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ ، هِيَ عَيْنُ الْحَقَائِقِ ؛

وَلَا خِلافَ فِيهَا، كَمَبَاحِثِهِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ..

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ يُوصِلُ الْبَشَرَ إِلٰى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ؛ وَيَسُوقُهُمْ إِلَيْهَا بِالْعَيَانِ وَبِلَا شُبْهَةٍ. فَمَنْ كَانَ لَهُ شُبْهَةٌ؛ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ؛ وَلْيَسْتَمِعْ إِلَيْهِ مَرَّةً وَاحِدَةً، مَاذَا يَقُولُ؟.

وَكَذَا أَنَّ مَا أَثْمَرَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الثِّمَارِ، مُكَمَّلَةٌ ذَاتُ حَيَاةٍ. فَإِذاً إِنَّ أَصْلَ شَجَرَةِ الْقُرْآنِ، ثَابِتٌ فِي الْحَقِيقَةِ، وَذُو حَيَاةٍ؛ لِأَنَّ حَيَاةَ الثَّمَرَةِ تَدُلُّ عَلٰى حَيَاةِ الشَّجَرَةِ. فَانْظُرْ إِلٰى مَا أَثْمَرَهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ، مِنَ الْأَثْمَارِ الْكَامِلَةِ الْمُكَمَّلَةِ، الْحَيَّةِ النَّيِّرَةِ، كَالْأَصْفِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ..

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ مَقْبُولُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَكِ، وَمَرْغُوبُهُمْ بِحَدْسٍ وَقَنَاعَةٍ تَنْشَآنِ عَنْ أَمَارَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ لَا حَدَّ لَهَا؛ فَإِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ بِاشْتِيَاقٍ كَالْفَرَاشِ، حِينَمَا يُتْلٰى..

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ أُيِّدَ وَأُحْكِمَ بِالدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ، مَعَ كَوْنِهِ وَحْياً. نَعَمْ: إِنَّ اتِّفَاقَ الْعُقَلَاءِ الْكَامِلِينَ شَاهِدٌ لِهٰذَا؛ فَإِنَّ مُتَبَحِّرِي عُلَمَاءِ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَدُهَاةَ الْفَلَاسِفَةِ، كَابْنِ سِينَا وَابْنِ رُشْدٍ، أَثْبَتُوا فِي مُقَدِّمَتِهِمْ، الْأُسُسَ الْقُرْآنِيَّةَ، بِأُصُولِهِمْ وَدَلَائِلِهِمْ مُتَّفِقِينَ..

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ مُصَدَّقٌ بِجِهَةِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَارِضٌ وَمَرَضٌ؛ تُصَدِّقُهُ كُلُّ فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ. فَإِذاً إِنَّ الْفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ، تُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، بِشَهَادَةِ اطْمِئْنَانِ الْوِجْدَانِ. نَعَمْ: إِنَّ الْفِطْرِيَّاتِ تَقُولُ لِلْقُرْآنِ، بِلِسَانِ الْحَالِ: لَا يُمْكِنُ كَمَالُ فِطْرَتِنَا بِدُونِكَ. وَقَدْ أَثْبَتْنَا هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ..

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزَةٌ أَبَدِيَّةٌ دَائِمَةٌ، بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْبَدَاهَةِ؛ وَيُظْهِرُ إِعْجَازَهُ كُلَّ وَقْتٍ؛ وَأَنَّهُ أَبَدِيٌّ لَا يَنْطَفِئُ وَلَا يَنْقَضِي وَقْتُهُ، كَسَائِرِ الْمُعْجِزَاتِ..

وَكَذَا أَنَّ فِي مَرْتَبَةِ إِرْشَادِ الْقُرْآنِ، سَعَةً بِحَيْثُ يَجْتَمِعُ جِبْرِيلُ (عليه السلام)، مَعَ الطِّفْلِ الطَّرِيِّ، فِي دَرْسِهِ الْوَاحِدِ؛ وَيَسْتَمِعَانِ لِذٰلِكَ الدَّرْسِ؛ وَيَأْخُذَانِ حِصَّتَهُمَا مِنْهُ، مَنْكِباً إِلٰى مَنْكِبٍ؛ وَأَنَّ أَدْهٰى فَيْلَسُوفٍ مِثْلِ ابْنِ سِينَا، وَأَدْنٰى عَامِّيٍّ مِنْ أَهْلِ الْقِرَاءَةِ، يَقْرَآنِ عَيْنَ

الدَّرْسِ ؛ وَيَأْخُذَانِ دَرْسَهُمَا ، رَكْباً إِلَى رَكْبٍ ؛ حَتّٰى إِنَّ ذٰلِكَ الْعَامِّيَّ يَسْتَفِيدُ أَحْيَاناً أَكْثَرَ مِن ابْنِ سِينَا ، بِجِهَةِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَصَفْوَتِهِ . .

وَكَذَا أَنَّ فِي الْقُرْآنِ بَصَراً يَرَى كُلَّ الْكَائِنَاتِ ، وَيُحِيطُ بِهَا ؛ وَيَضَعُ الْكَائِنَاتِ نُصْبَ الْعَيْنِ ؛ فَيُبَيِّنُ طَبَقَاتِهَا وَعَوَالِمَهَا ، كَصَحَائِفِ كِتَابٍ ؛ فَكَمَا أَنَّ صَانِعَ السَّاعَةِ يَقْلِبُ السَّاعَةَ ؛ وَيَفْتَحُهَا وَيَعْرِفُهَا وَيُعَرِّفُهَا ؛ كَذٰلِكَ الْقُرْآنُ أَخَذَ بِيَدِهِ الْعَالَمَ ؛ فَيَفْعَلُ بِهِ كَذٰلِكَ . فَهٰذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ ، هُوَ الَّذِي يَقُولُ : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ ؛ وَيُعْلِنُ الْوَحْدَانِيَّةَ . .

اَللّٰهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ لَنَا فِي الدُّنْيَا قَرِيناً ؛ وَفِي الْقَبْرِ مُؤْنِساً ؛ وَفِي الْقِيَامَةِ شَفِيعاً ؛ وَعَلَى الصِّرَاطِ نُوراً ؛ وَمِنَ النَّارِ سِتْراً وَحِجَاباً ؛ وَفِي الْجَنَّةِ رَفِيقاً ؛ وَإِلَى الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا دَلِيلاً وَإِمَاماً . .

اَللّٰهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَقُبُورَنَا ، بِنُورِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ؛ وَنَوِّرْ بُرْهَانَ الْقُرْآنِ ، بِحَقِّ وَبِحُرْمَةِ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ؛ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، مِنَ الرَّحْمٰنِ الْحَنَّانِ . آمِينَ . .

اَلْإِشَارَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ ذَاتُ النُّكْتَةِ :

لَقَدْ أُثْبِتَ فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ جِدّاً ، بِلَا شُبْهَةٍ : أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ ، رَسُولُ اللّٰهِ تَعَالَى . . هٰذَا ، ﴿فَمُحَمَّدٌ الْعَرَبِيُّ ﷺ﴾ الَّذِي ثَبَتَتْ رِسَالَتُهُ ، بِآلَافِ دَلَائِلَ قَاطِعَةٍ ، أَلْمَعُ دَلِيلٍ ، وَأَقْطَعُ بُرْهَانٍ لِلْوَحْدَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ . .

فَنَحْنُ نَعْمَلُ فِي هٰذِهِ الْإِشَارَةِ ، تَعْرِيفاً صَغِيراً لِذٰلِكَ الدَّلِيلِ الْمُشْرِقِ الْبَارِقِ ، وَالْبُرْهَانِ النَّاطِقِ الصَّادِقِ ، بِإِجْمَالٍ مُلَخَّصِ الْخُلَاصَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ دَلِيلاً ؛ وَكَانَتْ نَتِيجَتُهُ مَعْرِفَةَ اللّٰهِ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ ، وَالْعِلْمِ بِوَجْهِ دَلَالَتِهِ ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَنَحْنُ نُبَيِّنُ صِحَّتَهُ وَوَجْهَ

دَلَالَتِهِ ، بِخُلاصَةٍ مُخْتَصَرَةٍ غَايَةَ الاِخْتِصَارِ . .

وَذٰلِكَ أَنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ يَدُلُّ ذَاتُهُ كَمَوْجُودَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، عَلٰى وُجُودِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ وَوَحْدَتِهِ ؛ كَمَا يُعْلِنُ بِلِسَانِهِ دَلَالَتَهُ الذَّاتِيَّةَ ، مَعَ دَلَالَةِ الْمَوْجُودَاتِ . فَإِذَا كَانَ دَلِيلاً ؛ فَنَحْنُ نُشِيرُ إِلٰى صِحَّةِ ذٰلِكَ الدَّلِيلِ وَاسْتِقَامَتِهِ ، وَصِدْقِهِ وَحَقَّانِيَّتِهِ ، فِي خَمْسَةَ عَشَرَ أَسَاساً . .

﴿اَلْأَسَاسُ الْأَوَّلُ :﴾ أَنَّ هٰذَا الدَّلِيلَ الدَّالَّ عَلٰى صَانِعِ الْكَائِنَاتِ ، بِذَاتِهِ وَلِسَانِهِ ، وَبِدَلَالَةِ حَالِهِ وَقَالِهِ ، دَلِيلٌ صَادِقٌ وَمُصَدَّقٌ بِتَصْدِيقِ حَقِيقَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ لِأَنَّ دَلَالَاتِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ ، فِي حُكْمِ التَّصْدِيقِ لِلْإِنْسَانِ الْقَائِلِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ . فَإِذاً هُوَ مُصَدَّقٌ فِيمَا يَقُولُهُ مِنَ الدَّعْوٰى ، بِتَصْدِيقِ كُلِّ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا يُبَيِّنُهُ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ ، وَمِنَ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْخَيْرُ الْمُطْلَقُ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الدَّعْوٰى ، مُوَافِقَةٌ لِحُسْنِ جَمِيعِ حَقَائِقِ الْعَالَمِ ، وَمُطَابِقَةٌ لِكَمَالِهَا . فَإِذاً إِنَّ ﴿الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ﴾ بُرْهَانٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، بُرْهَانٌ نَاطِقٌ صَادِقٌ وَمُصَدَّقٌ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّانِي :﴾ أَنَّ ذٰلِكَ الدَّلِيلَ الصَّادِقَ الْمُصَدَّقَ ، لَمَّا كَانَ صَاحِبَ آلَافِ مُعْجِزَةٍ وَشَرِيعَةٍ لَا تُنْسَخُ ، وَدَعْوَةٍ شَامِلَةٍ لِجَمِيعِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، فَوْقَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ رَئِيسُهُمْ . فَإِذاً هُوَ جَامِعٌ لِاتِّفَاقِ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلِسِرِّ مُعْجِزَاتِهِمْ ؛ فَإِذاً تُشَكِّلُ قُوَّةُ إِجْمَاعِ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ ، وَشَهَادَةُ مُعْجِزَاتِهِمْ ، نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ لِصِدْقِهِ وَحَقَّانِيَّتِهِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّهُ سُلْطَانُ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَأُسْتَاذُ كُلِّ الْأَصْفِيَاءِ ، الَّذِينَ تَكَمَّلُوا بِتَرْبِيَتِهِ وَإِرْشَادِهِ وَنُورِ شَرِيعَتِهِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ جَامِعٌ لِسِرِّ كَرَامَاتِهِمْ ، وَتَصْدِيقِ إِجْمَاعِهِمْ ، وَقُوَّةِ تَحْقِيقَاتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ سَلَكُوا عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي فَتَحَهُ أُسْتَاذُهُمْ ؛ وَتَرَكَ بَابَهُ مَفْتُوحاً لَهُمْ ؛ فَوَجَدُوا الْحَقِيقَةَ ؛ فَإِذاً إِنَّ جَمِيعَ كَرَامَاتِهِمْ وَتَحْقِيقَاتِهِمْ وَإِجْمَاعِهِمْ ، تُؤَمِّنُ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ لِصِدْقِ أُسْتَاذِهِمْ وَحَقَّانِيَّتِهِ ، ذٰلِكَ الْأُسْتَاذِ الْمُقَدَّسِ . .

وَكَذَا أَنَّ بُرْهَانَ الْوَحْدَانِيَّةِ ذٰلِكَ ، لَهُ مُعْجِزَاتٌ قَطْعِيَّةٌ يَقِينِيَّةٌ بَاهِرَةٌ ، وَإِرْهَاصَاتٌ

خَارِقَةٌ ، وَدَلَائِلُ نُبُوَّةٍ لَا شُبْهَةَ فِيهَا ؛ كَمَا رَأَيْنَا فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ؛ وَأَنَّهَا تُصَدِّقُهُ بِحَيْثُ لَوِ اجْتَمَعَتِ الْكَائِنَاتُ ؛ لَا تُبْطِلُ تَصْدِيقَهَا . .

﴿ اَلْأَسَاسُ الثَّالِثُ : ﴾ أَنَّ دَلّالَ الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَمُبَشِّرَ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، صَاحِبَ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، لَهُ أَخْلَاقٌ عَالِيَةٌ فِي ذَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ ، وَسَجَايَا سَامِيَةٌ فِي وَظِيفَةِ رِسَالَتِهِ ، وَخَصَائِلُ غَالِيَةٌ فِي مَا بَلَّغَهُ مِنْ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ ، بِحَيْثُ يُصَدِّقُهَا أَشَدُّ الْأَعْدَاءِ أَيْضاً ؛ وَلَا يَجِدُ الْمَجَالَ لِلْإِنْكَارِ . فَإِذَا كَانَ فِي ذَاتِهِ وَوَظِيفَتِهِ وَدِينِهِ ، يُوجَدُ أَعْلَى الْأَخْلَاقِ وَأَحْسَنُهَا ، وَأَسْمَى السَّجَايَا وَأَكْمَلُهَا ، وَأَغْلَى الْخِصَالِ وَأَجْمَلُهَا ؛ فَهُوَ مِثَالٌ لِمَا فِي الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ ، وَمُمَثِّلٌ وَتِمْثَالٌ وَأُسْتَاذٌ لَهَا . فَإِذاً إِنَّ مَا فِي ذَاتِهِ وَوَظِيفَتِهِ وَدِينِهِ ، مِنْ هٰذِهِ الْكَمَالَاتِ ، هِيَ نُقْطَةُ اسْتِنَادٍ قَوِيَّةٌ ، لِصِدْقِهِ وَحَقَّانِيَّتِهِ ، لَا تَتَزَلْزَلُ بِأَيِّ جِهَةٍ . .

﴿ اَلْأَسَاسُ الرَّابِعُ : ﴾ أَنَّ دَلّالَ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالسَّعَادَةِ ، ذٰلِكَ الدَّلّالَ الَّذِي هُوَ مَعْدِنُ الْكَمَالَاتِ ، وَمُعَلِّمُ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ ، لَا يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ؛ بَلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيْهِ . نَعَمْ : إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ مِنْ جَانِبِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَدْرُسُ مِنْ أُسْتَاذِهِ الْأَزَلِيِّ ؛ ثُمَّ يُدَرِّسُ ؛ لِأَنَّ خَالِقَ الْكَائِنَاتِ أَثْبَتَ بِآلَافِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ الَّتِي بُيِّنَ بَعْضُهَا فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ؛ وَبِخَلْقِ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ ، عَلَى يَدَيْهِ : أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَلَى حِسَابِهِ ؛ وَيُبَلِّغُ كَلَامَهُ . .

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ ، يُثْبِتُ بِأَرْبَعِينَ وَجْهاً مِنَ الْإِعْجَازِ ، فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ : أَنَّهُ تَرْجُمَانُ اللهِ تَعَالَى . .

وَكَذَا هُوَ نَفْسُهُ يُثْبِتُ بِكُلِّ مَا فِي ذَاتِهِ مِنْ إِخْلَاصِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَجِدِّهِ وَأَمَانَتِهِ ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ وَأَطْوَارِهِ جَمِيعاً : أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِاسْمِهِ وَرَأْيِهِ ؛ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ خَالِقِهِ . .

وَكَذَا أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، صَدَّقُوهُ بِالْكَشْفِ وَالتَّحْقِيقِ ؛ وَآمَنُوا بِعِلْمِ الْيَقِينِ : أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ؛ بَلْ يُنْطِقُهُ خَالِقُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُدَرِّسُهُ وَيُدَرِّسُ بِهِ . فَإِذاً إِنَّ صِدْقَهُ وَحَقَّانِيَّتَهُ يَسْتَنِدَانِ إِلَى إِجْمَاعِ هٰذِهِ الْأُسُسِ الْأَرْبَعَةِ الْقَوِيَّةِ غَايَةَ الْقُوَّةِ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الْخَامِسُ:﴾ أَنَّ تَرْجُمَانَ الْكَلَامِ الْأَزَلِيِّ ذٰلِكَ، يَرَى الْأَرْوَاحَ؛ وَيَتَنَاجٰى مَعَ الْمَلَائِكَةِ؛ وَيُرْشِدُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ؛ وَهُوَ لَيْسَ يَدْرُسُ فَوْقَ عَالَمِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، بَلْ فَوْقَ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَعَالَمِ الْمَلَائِكَةِ؛ وَلَهُ مُنَاسَبَةٌ وَاطِّلَاعٌ عَلٰى مَا وَرَاءَهَا. وَقَدْ أَثْبَتَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ، مُعْجِزَاتُهُ الَّتِي سَبَقَتْ، وَأَطْوَارُ حَيَاتِهِ الَّتِي ثَبَتَتْ بِالتَّوَاتُرِ. فَإِذاً إِنَّهُ لَا يَتَدَخَّلُ فِي أَخْبَارِهِ الْجِنُّ وَالْأَرْوَاحُ، كَالْكَهَنَةِ وَسَائِرِ الْمُخْبِرِينَ عَنِ الْغَيْبِ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا الْمُقَرَّبُونَ مِنْهُمْ، سِوٰى جِبْرَائِيلَ (عليه السلام)؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَتْرُكُ خَلْفَهُ أَحْيَاناً، جِبْرَائِيلَ أَيْضاً، الَّذِي هُوَ صَاحِبُهُ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ..

﴿اَلْأَسَاسُ السَّادِسُ:﴾ أَنَّ سَيِّدَ الْمَلَكِ وَالْجِنِّ وَالْبَشَرِ ذٰلِكَ، هُوَ أَنْوَرُ ثَمَرَاتِ شَجَرَةِ الْكَائِنَاتِ، وَأَكْمَلُهَا، وَتِمْثَالُ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ، وَمِثَالُ الْمَحَبَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَأَنْوَرُ بُرْهَانِ الْحَقِّ، وَأَلْمَعُ سِرَاجِ الْحَقِيقَةِ، وَمِفْتَاحُ طِلْسِمِ الْكَائِنَاتِ، وَكَشَّافُ مُعَمَّى الْخِلْقَةِ، وَشَارِحُ حِكْمَةِ الْعَالَمِ، وَدَلَّالُ السَّلْطَنَةِ الْإِلٰهِيَّةِ، وَوَصَّافُ مَحَاسِنِ الصَّنْعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ؛ وَهُوَ بِجِهَةِ جَامِعِيَّةِ الْاِسْتِعْدَادِ، أَكْمَلُ نُمُوذَجِ الْكَمَالَاتِ فِي الْمَوْجُودَاتِ. فَإِذاً إِنَّ أَوْصَافَهُ وَشَخْصِيَّتَهُ الْمَعْنَوِيَّةَ هٰذِهِ، تُشِيرُ بَلْ تُصَرِّحُ بِأَنَّهُ الْعِلَّةُ الْغَائِيَّةُ لِلْكَائِنَاتِ؛ يَعْنِي: أَنَّ خَالِقَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ نَظَرَ إِلٰى ذٰلِكَ السَّيِّدِ؛ فَخَلَقَ الْكَائِنَاتِ؛ فَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: لَوْ لَمْ يَخْلُقْهُ؛ لَمَا خَلَقَ الْكَائِنَاتِ أَيْضاً. نَعَمْ: إِنَّ الْحَقَائِقَ الْقُرْآنِيَّةَ، وَالْأَنْوَارَ الْإِيمَانِيَّةَ، الَّتِي جَاءَ بِهَا إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالْأَخْلَاقَ الْعَالِيَةَ وَالْكَمَالَاتِ السَّامِيَةَ، الَّتِي تُشَاهَدُ فِي ذَاتِهِ، شَاهِدٌ قَاطِعٌ لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ..

﴿اَلْأَسَاسُ السَّابِعُ:﴾ أَنَّ بُرْهَانَ الْحَقِّ، وَسِرَاجَ الْحَقِيقَةِ ذٰلِكَ، أَظْهَرَ دِيناً وَشَرْعاً يَجْمَعَانِ دَسَاتِيرَ تُؤَمِّنُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ؛ وَهُمَا مَعَ كَوْنِهِمَا جَامِعَيْنِ، بَيَّنَا حَقَائِقَ الْكَائِنَاتِ وَوَظَائِفَهَا، وَأَسْمَاءَ خَالِقِهَا وَصِفَاتِهِ، بِكَمَالِ الْحَقَّانِيَّةِ. فَذٰلِكَ الْإِسْلَامُ وَالشَّرِيعَةُ مُحِيطَانِ وَمُكَمَّلَانِ؛ وَهُمَا يُعَرِّفَانِ الْكَائِنَاتِ مَعَ نَفْسِهِ، بِحَيْثُ مَنْ يَنْظُرُ إِلٰى مَاهِيَّتِهِمَا بِالْإِمْعَانِ؛ يَعْلَمُ قَطْعاً أَنَّ ذٰلِكَ الدِّينَ وَالشَّرْعَ، بَيَانُ صَانِعِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْجَمِيلَةِ، وَتَعْرِفَتُهُ، يُعَرِّفُ

بِهَا الْكَائِنَاتِ مَعَ نَفْسِهِ . فَكَمَا أَنَّ صَانِعَ قَصْرٍ ، يَصْنَعُ تَعْرِفَةً مُنَاسِبَةً بِذٰلِكَ الْقَصْرِ ؛ وَيَكْتُبُ لَائِحَةً لِإِظْهَارِ نَفْسِهِ بِأَوْصَافِهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الدِّينَ وَالشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّيْنِ ، يُشَاهَدُ فِيهِمَا إِحَاطَةٌ وَعُلُوٌّ وَحَقٌّ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُمَا طَلَعَا مِنْ قَلَمِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ وَمُدَبِّرِهَا ؛ وَأَنَّ مَنْ نَظَّمَ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ تَنْظِيماً جَمِيلاً ؛ فَهُوَ الَّذِي نَظَّمَ هٰذَا الدِّينَ تَنْظِيماً جَمِيلاً أَيْضاً . نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ النِّظَامَ الْأَكْمَلَ يَقْتَضِي هٰذَا النَّظْمَ الْأَجْمَلَ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّامِنُ :﴾ أَنَّ «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ ﷺ» الْمُتَّصِفَ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَالْمُسْتَنِدَ إِلٰى نِقَاطِ الِاسْتِنَادِ الْقَوِيَّةِ الْمَتِينَةِ بِكُلِّ جِهَةٍ ، يُعْلِنُ عَلٰى رُؤُوسِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، بِاسْمِ عَالَمِ الْغَيْبِ مُتَوَجِّهاً إِلٰى عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ وَيُخَاطِبُ الْأَقْوَامَ وَالْمِلَلَ الْوَاقِفَةَ وَرَاءَ الْأَعْصَارِ الْآتِيَةِ فِي الِاسْتِقْبَالِ ؛ وَيُنَادِي نِدَاءً يُسْمِعُ جَمِيعَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَكُلَّ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَعْصَارِ . نَعَمْ : نَسْمَعُهُ . .

﴿اَلْأَسَاسُ التَّاسِعُ :﴾ أَنَّهُ يُخَاطِبُ خِطَاباً عَالِياً قَوِيّاً ، يَسْمَعُ إِلَيْهِ كُلُّ الْأَعْصَارِ ؛ نَعَمْ : يَسْمَعُ كُلُّ عَصْرٍ ، صَدٰى صَوْتِهِ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الْعَاشِرُ :﴾ يُشَاهَدُ فِي أَطْوَارِهِ أَنَّهُ يَرٰى فَيُخْبِرُ كَذٰلِكَ ؛ لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكَمَالِ الْمَتَانَةِ ، بِلَا خَوْفٍ وَلَا تَرَدُّدٍ ، فِي أَخْطَرِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَقَدْ يَتَحَدّٰى أَحْيَاناً الْعَالَمَ ، عَلٰى حِدَتِهِ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الْحَادِيَ عَشَرَ :﴾ أَنَّهُ يَدْعُو وَيُنَادِي بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، نِدَاءً قَوِيّاً لَبّٰى عَلٰى نِدَائِهِ ، نِصْفُ كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَخُمُسُ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ وَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّانِيَ عَشَرَ :﴾ أَنَّهُ يَدْعُو بِجِدٍّ ؛ وَيُرَبِّي بِشَكْلٍ مُتْقَنٍ ، بِحَيْثُ يَنْقُشُ دَسَاتِيرَهُ ، عَلٰى جِبَاهِ الْعُصُورِ ، وَفِي حِجَارَةِ الْأَقْطَارِ ؛ وَيُؤَبِّدُهَا عَلٰى وُجُوهِ الدُّهُورِ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الثَّالِثَ عَشَرَ :﴾ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ وَيَدْعُو بِوُثُوقٍ وَأَمْنٍ بِصِحَّةِ مَا يُبَلِّغُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، بِحَيْثُ لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ الدُّنْيَا ، لَا يَصْرِفُونَهُ عَنْ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِهِ ؛ وَلَا يُنْدِمُونَهُ عَنْهَا . وَالشَّاهِدُ عَلٰى هٰذَا ، هُوَ جَمِيعُ تَأْرِيخِ حَيَاتِهِ ، وَسِيَرِهِ السَّنِيَّةِ . .

﴿اَلْأَسَاسُ الرَّابِعَ عَشَرَ :﴾ أَنَّهُ يَدْعُو وَيُبَلِّغُ بِاطْمِئْنَانٍ وَاعْتِمَادٍ ، بِحَيْثُ لَا يَخَافُ مِنْ أَحَدٍ ؛ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى أَيِّ مُشْكِلَةٍ ؛ وَيَعْمَلُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ؛ وَيَقْبَلُهَا قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَيُعْلِنُهُ بِكَمَالِ الصَّفْوَةِ وَالْخُلُوصِ ، بِلَا تَرَدُّدٍ . وَالشَّاهِدُ عَلَى هٰذَا ، هُوَ عَدَمُ تَنَزُّلِهِ إِلَى الزَّخَارِفِ الْفَانِيَةِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَاسْتِغْنَاؤُهُ وَزُهْدُهُ الْمَشْهُورُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ صَدِيقاً وَعَدُوّاً . .

﴿اَلْأَسَاسُ الْخَامِسَ عَشَرَ :﴾ أَنَّ إِطَاعَتَهُ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّينِ ، أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَعُبُودِيَّتَهُ لِخَالِقِهِ ، أَزْيَدَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَتَقْوَاهُ عَنِ الْمَنْهِيَّاتِ ، أَشَدَّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلَى أَنَّهُ مُبَلِّغُ سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، وَرَسُولُ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ ، وَأَخْلَصُ عَبْدٍ لِذٰلِكَ الْمَعْبُودِ بِالْحَقِّ ، وَتَرْجُمَانٌ لِلْكَلَامِ الْأَزَلِيِّ . . .

وَنَتِيجَةُ هٰذِهِ الْأُسُسِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ : أَنَّ ذٰلِكَ السَّيِّدَ الْمُتَّصِفَ بِالْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ يَقُولُ : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ ، مُتَمَادِياً وَمُتَكَرِّراً ؛ وَيُعْلِنُ الْوَحْدَانِيَّةَ فِي جَمِيعِ حَيَاتِهِ ، بِكُلِّ قُوَّتِهِ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلٰى آلِهِ ، عَدَدَ حَسَنَاتِ أُمَّتِهِ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

إِكْرَامٌ إِلٰهِيٌّ ، وَأَثَرُ عِنَايَةٍ رَبَّانِيَّةٍ :

نَقُولُ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ مِصْدَاقاً لِمَضْمُونِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ : إِنَّ فِي تَأْلِيفِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، أَثَراً مِنْ عِنَايَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ ؛ فَأَذْكُرُهُ حَتّٰى يَنْظُرَ قُرَّاءُ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، إِلَيْهَا بِاهْتِمَامٍ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ تَأْلِيفَ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي أَصْلاً ؛ لِأَنَّهُ أُلِّفَتْ فِي حَقِّ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، الْمَقَالَتَانِ الْحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ وَالتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ . فَإِذَا

بِخَاطِرَةٍ مُجْبِرَةٍ وَرَدَتْ عَلٰى قَلْبِي لِتَأْلِيفِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ قُوَّتِيَ الْحَافِظَةَ كَانَتْ خَامِدَةً ، نَتِيجَةً لِلْمَصَائِبِ ؛ وَكَذَا أَنِّي لَمْ أَسْلُكْ فِي مَا كَتَبْتُهُ مِنَ التَّآلِيفِ ، بِصُورَةِ النَّقْلِ ، وَعَلٰى وَجْهِ الْقَالِ وَالْقِيلِ ، فِيمَا هُوَ مَشْرَبِي ؛ وَأَيْضاً لَا تُوجَدُ عِنْدِي كُتُبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا كُتُبُ السِّيَرِ ؛ وَمَعَ هٰذَا تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ؛ فَشَرَعْتُ فِيهَا ؛ فَحَصَلَ تَوْفِيقٌ بِحَيْثُ أَمَدَّتْنِي حَافِظَتِي ، أَكْثَرَ مِنْ حَافِظَةِ «سَعِيدِ الْقَدِيمِ» ؛ فَكُتِبَ فِي كُلِّ سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ، ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً أَوْ أَرْبَعُونَ بِسُرْعَةٍ ؛ وَكَانَتْ تُكْتَبُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، خَمْسَ عَشْرَةَ صَحِيفَةً ؛ وَيُنْقَلُ الْأَكْثَرُ ، عَنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَالْبَيْهَقِيِّ وَالتِّرْمِذِيِّ ، وَالشِّفَاءِ الشَّرِيفِ ، وَأَبِي نُعَيْمٍ وَالطَّبَرِيِّ ، وَأَمْثَالِهَا مِنَ الْكُتُبِ ؛ مَعَ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ الْخَطَأُ فِي هٰذَا النَّقْلِ ؛ يَسْتَلْزِمُ الْإِثْمَ ؛ لِأَنَّهُ حَدِيثٌ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ يَرْتَعِدُ قَلْبِي ؛ وَلٰكِنْ عُلِمَ أَنَّهُ تُوجَدُ الْعِنَايَةُ مِنَ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَتُوجَدُ الْحَاجَةُ إِلٰى هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ فَلَعَلَّهَا كُتِبَتْ بِصُورَةٍ صَحِيحَةٍ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ فَأَرْجُو مِنْ إِخْوَانِي ، عَلٰى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ خَطَأٌ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ ، أَوْ فِي أَسْمَاءِ الرُّوَاةِ ، أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ بِالْمُسَامَحَةِ ، عَلٰى شَرْطِ التَّصْحِيحِ . . سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

نَعَمْ : كُنَّا نَكْتُبُ الْمُسَوَّدَةَ ؛ وَإِمَامُنَا يَقُولُ ؛ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ كِتَابٌ أَصْلاً ؛ وَلَمْ يُرَاجِعْ قَطْعاً ؛ فَكَانَ يَقُولُ بَغْتَةً بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ؛ وَنَحْنُ نَكْتُبُ ؛ فَكُنَّا نَكْتُبُ فِي سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ، ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً أَوْ أَرْبَعِينَ ، فَأَكْثَرَ ؛ فَاعْتَقَدْنَا أَنَّ هٰذَا النَّجَاحَ ، كَرَامَةٌ لِلْمُعْجِزَاتِ النَّبَوِيَّةِ . .

عَبْدُ اللهِ چَاوِيش خَادِمُهُ الدَّائِمُ ، سُلَيْمَانُ سَامِي خَادِمُهُ وَكَاتِبُ الْمُسَوَّدَةِ ، الْحَافِظُ تَوْفِيقٌ كَاتِبُ الْمُسَوَّدَةِ وَالْمُبَيَّضَةِ ، الْحَافِظُ خَالِدٌ أَخُوهُ الْأُخْرَوِيُّ وَكَاتِبُ الْمُسَوَّدَةِ . .

اَلْمَكْتُوبُ الْعِشْرُونَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ ؛ وَحْدَهُ ؛ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ لَهُ الْمُلْكُ ؛ وَلَهُ الْحَمْدُ ؛ يُحْيِي وَيُمِيتُ ؛ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ؛ بِيَدِهِ الْخَيْرُ ؛ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ . .

إِنَّ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ التَّوْحِيدِيَّةَ الَّتِي يَكُونُ لِتَكْرَارِهَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ ، فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ وَتَتَضَمَّنُ مَرْتَبَةَ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، فِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ ، لَهَا إِحْدٰى عَشْرَةَ كَلِمَةً . وَفِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا ، بِشَارَةٌ وَمَرْتَبَةٌ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَكِبْرِيَاءُ وَحْدَةٍ ، وَكَمَالُ وَحْدَانِيَّةٍ ، بِاعْتِبَارِ اسْمٍ أَعْظَمَ . .

وَنُفَوِّضُ إِيضَاحَ هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الْعَظِيمَةِ الْعَالِيَةِ ، إِلٰى سَائِرِ الْمَقَالَاتِ ؛ فَنَعْمَلُ لَهَا الْآنَ فِهْرِساً ، بِمَقَامَيْنِ وَمُقَدِّمَةٍ ، عَلٰى صُورَةِ خُلَاصَةٍ مُجْمَلَةٍ ، بِنَاءً عَلٰى وَعْدٍ مَّا . .

اَلْمُقَدِّمَةُ :

اِعْلَمْ قَطْعاً : أَنَّ أَعْلٰى غَايَةِ الْخِلْقَةِ ، وَأَسْمٰى نَتِيجَةِ الْفِطْرَةِ ، هُوَ الْإِيمَانُ بِاللّٰهِ ؛ وَأَنَّ أَرْفَعَ مَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَأَعْظَمَ مَقَامِ الْبَشَرِيَّةِ ، هُوَ مَا فِي الْإِيمَانِ بِاللّٰهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللّٰهِ ؛ وَأَنَّ

أَسْنٰى سَعَادَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَأَحْلٰى نِعْمَتِهِمْ ، هُوَ مَا فِي مَعْرِفَةِ اللهِ تِلْكَ ، مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ ؛ وَأَنَّ أَخْلَصَ سُرُورٍ لِرُوحِ الْبَشَرِ ، وَأَصْفٰى فَرَحٍ لِقَلْبِ الْإِنْسَانِ ، هِيَ اللَّذَّةُ الرُّوحِيَّةُ فِي مَحَبَّةِ اللهِ تِلْكَ . نَعَمْ : إِنَّ السَّعَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، وَالسُّرُورَ الْخَالِصَ ، وَالنِّعْمَةَ اللَّذِيذَةَ ، وَاللَّذَّةَ الصَّافِيَةَ كُلَّهَا ، هِيَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ ؛ وَلَا تَكُونُ بِدُونِهَا قَطْعاً . فَمَنْ عَرَفَ اللهَ تَعَالٰى وَأَحَبَّهُ ؛ يَكُونُ مَظْهَراً لِمَا لَا نِهَايَةَ لَهَا ، مِنَ السَّعَادَةِ وَالنِّعْمَةِ ، وَالْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ ، إِمَّا بِالْقُوَّةِ ، وَإِمَّا بِالْفِعْلِ ؛ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ ؛ وَلَمْ يُحِبَّهُ حَقِيقِيّاً ؛ يَكُونُ مُبْتَلًى بِمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ ، مِنَ الشَّقَاءِ وَالْآلَامِ وَالْأَوْهَامِ ، مَادَّةً وَمَعْنًى . نَعَمْ : إِنَّ إِنْسَاناً مِسْكِيناً عَاجِزاً ، فِي حَالٍ لَا حَامِيَ وَلَا مَالِكَ لَهُ ، فِي حَيَاةٍ بِلَا ثَمَرَةٍ ، بَيْنَ نَوْعِ الْبَشَرِ الْعَاطِلِ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا الذَّلِيلَةِ ؛ لَوْ كَانَ سُلْطَانَ الدُّنْيَا كُلِّهَا ؛ كَمْ دِرْهَماً يُسَاوِي ؟ . هٰذَا فَالْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ رَبَّهُ ؛ وَلَمْ يَجِدْ مَالِكَهُ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا الذَّلِيلَةِ ، بَيْنَ هٰذَا النَّوْعِ الْبَشَرِيِّ الْعَاطِلِ ؛ فَهُوَ بَائِسٌ وَهَائِمٌ ؛ يَفْهَمُ كُلُّ أَحَدٍ حَالَهُ . وَإِذَا وَجَدَ رَبَّهُ ؛ وَعَرَفَ مَالِكَهُ ؛ يَلْجَأُ حِينَئِذٍ إِلٰى رَحْمَتِهِ ؛ وَيَسْتَنِدُ إِلٰى قُدْرَتِهِ ؛ فَتَتَحَوَّلُ تِلْكَ الدُّنْيَا الْمُتَوَحِّشَةُ ، إِلٰى مُتَنَزَّهٍ ؛ وَتَكُونُ مُتَّجَراً . .

اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ :

إِنَّ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِحْدٰى عَشْرَةَ ، مِنْ هٰذَا الْكَلَامِ التَّوْحِيدِيِّ ، بِشَارَةً ؛ وَفِي تِلْكَ الْبِشَارَةِ شِفَاءٌ ؛ وَفِي ذٰلِكَ الشِّفَاءِ لَذَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الْأُولٰى : ﴾ هِيَ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ؛ وَفِيهَا بُشْرٰى هٰكَذَا ؛ وَهِيَ : أَنَّ الرُّوحَ الْإِنْسَانِيَّ الْمُبْتَلٰى بِحَاجَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَالْمُتَعَرِّضَ لِهُجُومِ أَعْدَاءٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ، يَجِدُ فِي هٰذِهِ الْكَلِمَةِ ، نُقْطَةَ اسْتِمْدَادٍ ، تَفْتَحُ لَهُ بَابَ خَزِينَةِ رَحْمَةٍ تُؤَمِّنُ كُلَّ حَاجَاتِهِ ؛ وَيَجِدُ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ ، تُعَلِّمُهُ وَتُعَرِّفُهُ خَالِقَهُ وَمَعْبُودَهُ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ قُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ يُؤْمِنُهُ عَنْ شَرِّ كُلِّ أَعْدَائِهِ ؛ وَتُرِيهِ رَبَّهُ ؛ وَتُبْصِرُهُ مَنْ هُوَ مَالِكُهُ ؛ وَتُنْقِذُ قَلْبَهُ بِتِلْكَ الْإِرَاءَةِ ، عَنِ الْوَحْشَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَرُوحَهُ عَنِ الْحُزْنِ الْأَلِيمِ ؛ وَتُحَصِّلُ لَهُ فَرَحاً أَبَدِيّاً ، وَسُرُوراً دَائِماً . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ هِيَ «وَحْدَهُ» ؛ وَفِي هٰذِهِ الْكَلِمَةِ ، بِشَارَةٌ شَافِيَةٌ سَعِيدَةٌ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ رُوحَ الْبَشَرِ ، وَقَلْبَ الإِنْسَانِ ، اللَّذَيْنِ لَهُمَا عَلاَقَةٌ بِأَكْثَرِ أَنْوَاعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَبَلَغَا بِتِلْكَ الْعَلاَقَةِ ، إِلَى الذِّلَّةِ وَإِلَى دَرَجَةِ الْغَرَقِ بَيْنَ الْمَزَاحِمِ ، يَجِدَانِ فِي كَلِمَةِ (وَحْدَهُ) ، مَلْجَأً وَمُنْقِذاً يُنْقِذُهُ عَنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَزَاحِمِ وَالْمَذَلاَّتِ ؛ يَعْنِي : يَقُولُ لَهُ لَفْظُ (وَحْدَهُ) مَعْنًى : إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ ؛ فَلاَ تُرَاجِعْ إِلَى أَشْيَاءٍ أُخْرٰى ؛ فَتَتْعَبَ ؛ وَلاَ تَحْمِلْ مِنَّتَهَا ؛ فَتَذِلَّ لَهَا ؛ وَلاَ تَخْضَعْ لَهَا ؛ فَتَمَلَّقَ لَهَا ؛ وَلاَ تَتْبَعْهَا ؛ فَتُقَاسِيَ الْمِحْنَةَ ؛ وَلاَ تَخْشَ مِنْهَا ؛ فَتَرْتَعِدَ ؛ لِأَنَّ سُلْطَانَ الْكَائِنَاتِ وَاحِدٌ ؛ عِنْدَهُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَبِيَدِهِ زِمَامُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَبِأَمْرِهِ يُحَلُّ كُلُّ شَيْءٍ ؛ فَإِنْ وَجَدْتَهُ ، تَجِدُ كُلَّ مَطَالِبِكَ ؛ فَتَنْجُو عَنْ مِنَنٍ وَمَهَالِكَ لاَ حَدَّ لَهَا . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ «لاَ شَرِيكَ لَهُ» ؛ تَعْنِي : أَنَّهُ كَمَا لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَسَلْطَنَتِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لاَ يَتَعَدَّدُ ؛ كَذٰلِكَ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِجْرَائِهِ وَإِيجَادِهِ ؛ فَقَدْ يَكُونُ السُّلْطَانُ وَاحِداً ؛ وَلاَ يَكُونُ لَهُ شَرِيكٌ فِي سَلْطَنَتِهِ ؛ وَلٰكِنَّ مُوَظَّفِيهِ يُعَدُّونَ شُرَكَاءَ لَهُ فِي إِجْرَاءِ أَحْكَامِهِ ؛ وَيَمْنَعُونَ أَنْ يَدْخُلَ كُلُّ أَحَدٍ ، فِي مَكَانِ حُضُورِهِ ؛ وَيَقُولُونَ : طَالِبُونَا أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ ، سُلْطَانَ الأَزَلِ وَالأَبَدِ ، لَيْسَ مُحْتَاجاً إِلَى الأَعْوَانِ وَالشُّرَكَاءِ ، فِي إِجْرَاءِ أَحْكَامِ رُبُوبِيَّتِهِ أَيْضاً ؛ كَمَا لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي سَلْطَنَتِهِ . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ ، وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، لاَ يَتَدَخَّلُ شَيْءٌ فِي شَيْءٍ أَصْلاً ؛ فَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُطَالِبَهُ بِدُونِ وَاسِطَةٍ ؛ وَلاَ يُقَالُ لِذٰلِكَ الْمُطَالِبِ : إِنَّ الدُّخُولَ فِي حَضْرَتِهِ مَمْنُوعٌ ؛ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَدْخُلَهَا ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ لاَ شَرِيكَ وَلاَ مُعِينَ لَهُ . فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُبَشِّرُ هٰكَذَا ، لِرُوحِ الْبَشَرِ : وَهُوَ أَنَّ رُوحَ الْبَشَرِ الَّذِي كَسَبَ الإِيمَانَ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ مَحْضَرَ ذٰلِكَ الْجَمِيلِ ذِي الْجَلاَلِ ، وَالْقَدِيرِ ذِي الْكَمَالِ ، الَّذِي هُوَ سُلْطَانُ الأَزَلِ وَالأَبَدِ ، وَمَالِكُ خَزَائِنِ الرَّحْمَةِ ، وَصَاحِبُ دَفَائِنِ السَّعَادَةِ ؛ وَلَهُ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ حَاجَاتِهِ ، بِدُونِ مَانِعٍ وَلاَ مُدَاخَلَةٍ ، وَبِغَيْرِ حَائِلٍ وَلاَ مُمَانَعَةٍ ، فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ وَكُلِّ مَطَالِبِهِ ، فِي كُلِّ آنٍ وَكُلِّ مَكَانٍ ؛ وَأَنْ يَجِدَ رَحْمَتَهُ ؛ وَيَسْتَنِدَ إِلَى قُدْرَتِهِ ؛ فَيَفُوزَ بِكَمَالِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الْمُلْكَ كُلَّهُ لَهُ ؛ وَأَنَّكَ أَيْضاً مُلْكُهُ وَمَمْلُوكُهُ ؛ وَتَعْمَلُ فِي مُلْكِهِ . وَتُبَشِّرُ هٰذِهِ الْكَلِمَةُ بِشَارَةً شَافِيَةً ؛ وَتَقُولُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! لَا تَحْسَبَنَّكَ مَالِكاً لِنَفْسِكَ ، لِأَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُدَبِّرَ نَفْسَكَ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْحِمْلَ ثَقِيلٌ ؛ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْفَظَهَا عَلٰى حِدَتِكَ ؛ وَأَنْ تَتَجَنَّبَ عَنِ الْبَلَايَا ؛ فَتَدَارَكَ حَوَائِجَكَ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَلَا تَضْطَرِبْ ؛ فَتُقَاسِيَ الْعَذَابَ بِلَا طَائِلٍ ؛ فَإِنَّ الْمُلْكَ لِغَيْرِكَ ؛ وَذٰلِكَ الْمَالِكُ قَدِيرٌ وَرَحِيمٌ ؛ فَاسْتَنِدْ إِلٰى قُدْرَتِهِ ؛ وَلَا تَتَّهِمْ رَحْمَتَهُ ؛ وَاتْرُكِ الْحُزْنَ ؛ وَافْرَحْ ؛ وَاطْرَحِ الْمِحْنَةَ ؛ وَلَاقِ الصَّفَاءَ ؛ وَتَقُولُ أَيْضاً : إِنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي تُحِبُّهَا ؛ وَلَكَ بِهَا عَلَاقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ؛ وَتَتَأَثَّرُ عَنْ تَشَتُّتِهَا ؛ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُصْلِحَهَا ، هِيَ مُلْكُ قَدِيرٍ رَحِيمٍ ؛ فَسَلِّمِ الْمُلْكَ إِلٰى مَالِكِهِ ؛ وَاتْرُكْهُ لَهُ ؛ «خُذْ صَفَاءَهَا ، لَا جَفَاءَهَا» ؛ فَإِنَّهُ حَكِيمٌ وَرَحِيمٌ ؛ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ ؛ وَيُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ . وَإِذَا تَدَهَّشْتَ عَنْهَا ؛ فَقُلْ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ حَقِّي : (وَلْنَتَرَبَّصْ مَاذَا يَصْنَعُ الْمَوْلٰى ؛ عَزَّ وَجَلَّ ؟ وَمَاذَا يَصْنَعُ ؛ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ جَمِيلاً)[(١)] ؛ وَتَفَرَّجْ عَلَيْهَا مِنَ النَّوَافِذِ ؛ وَلَا تَدْخُلْهَا . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ ، وَالْمَدْحَ وَالْمِنَّةَ ، مَخْصُوصَةٌ وَلَائِقَةٌ بِهِ ؛ فَإِذاً إِنَّ النِّعَمَ نِعَمُهُ ؛ وَهِيَ تَخْرُجُ عَنْ خَزِينَتِهِ ؛ وَالْخَزِينَةُ دَائِمَةٌ . فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُبَشِّرُ وَتَقُولُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! لَا تُقَاسِ الْأَلَمَ عَنْ زَوَالِ النِّعْمَةِ ؛ لِأَنَّ خَزِينَةَ الرَّحْمَةِ لَا تَفْنٰى ؛ وَلَا تُفَكِّرْ فِي زَوَالِ اللَّذَّةِ ؛ فَتَجْزَعَ عَنْ ذٰلِكَ الْأَلَمِ ؛ لِأَنَّ ثَمَرَةَ النِّعْمَةِ تِلْكَ ، هِيَ ثَمَرَةُ رَحْمَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا . فَإِذَا كَانَتْ شَجَرَتُهَا بَاقِيَةً ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي مَا يُعَوِّضُ عَنِ الثَّمَرَةِ ؛ إِذَا زَالَتْ . وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ بِالْحَمْدِ ، الْتِفَاتَ رَحْمَةٍ ، فِي لَذَّةِ النِّعْمَةِ ، أَلَذَّ مِنْ تِلْكَ اللَّذَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَذُوقَ اللَّذَّةَ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلٰى مِئَةِ دَرَجَةٍ . فَكَمَا أَنَّ سُلْطَاناً ذَا شَأْنٍ ، يُحِسُّ بِكَ ؛ وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ ، فِي لَذَّةِ تُفَّاحَةٍ أَهْدَاهَا إِلَيْكَ ، لَذَّةَ الْتِفَاتٍ سُلْطَانِيٍّ

---

(١) نَصُّ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : (مَوْلٰى گُورَه لِمْ نَه يْلَرْ ❀ نَه يْلَرْسَه گُوزَلْ أَيْلَرْ) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

أَعْلٰى مِنْ لَذَّةِ مِئَةِ تُفَّاحٍ ، بَلْ أَلْفٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، يَفْتَحُ لَكَ بَابَ لَذَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ أَلَذَّ مِنَ النِّعْمَةِ أَلْفَ دَرَجَةٍ ، بِكَلِمَةِ (لَهُ الْحَمْدُ) ؛ يَعْنِي بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ؛ يَعْنِي بِحِسِّ الْإِنْعَامِ ، مِنَ النِّعْمَةِ ؛ يَعْنِي بِمَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ ، وَبِتَصَوُّرِ الْإِنْعَامِ ؛ يَعْنِي بِتَصَوُّرِ الْتِفَاتِ رَحْمَتِهِ ، وَتَوَجُّهِ شَفَقَتِهِ ، وَدَوَامِ إِنْعَامِهِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ ﴿يُحْيِي﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُوهِبُ الْحَيَاةَ ؛ وَهُوَ الَّذِي يُدِيمُ الْحَيَاةَ بِالرِّزْقِ ؛ وَهُوَ الَّذِي يُعِدُّ لَوَازِمَ الْحَيَاةِ أَيْضاً ؛ وَأَنَّ الْغَايَاتِ الْعَالِيَةَ مِنَ الْحَيَاةِ تَعُودُ إِلَيْهِ ؛ وَنَتَائِجَهَا الْمُهِمَّةَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛ وَأَنَّ تِسْعاً وَتِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنْ ثَمَرَاتِهَا ، هِيَ لَهُ . فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُنَادِي الْبَشَرَ الْفَانِيَ ؛ وَتُبَشِّرُهُ وَتَقُولُ لَهُ : لَا تَحْمِلْ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ الثَّقِيلَةَ ، عَلٰى كَاهِلِكَ ؛ فَتُقَاسِيَ الْمِحْنَةَ ؛ وَلَا تَتَصَوَّرْ فَنَاءَ الْحَيَاةِ ؛ فَتَقَعَ فِي الْحُزْنِ ؛ وَلَا تُشَاهِدْ مَا لَا أَهَمِّيَّةَ لَهَا مِنْ ثَمَرَاتِهَا الدُّنْيَوِيَّةِ فَقَطْ ؛ فَتُظْهِرَ النَّدَامَةَ عَنِ الْمَجِيءِ إِلَى الدُّنْيَا ؛ بَلْ إِنَّ جِهَازَ الْحَيَاةِ ، فِي سَفِينَةِ الْوُجُودِ تِلْكَ ، عَائِدٌ إِلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ ؛ وَهُوَ يَتَدَارَكُ مُؤْنَتَهُ وَحَوَائِجَهُ ؛ وَإِنَّ لِتِلْكَ الْحَيَاةِ ، نَتَائِجَ وَغَايَاتٍ كَثِيرَةً جِدّاً ؛ وَهِيَ عَائِدَةٌ إِلَيْهِ ؛ وَإِنَّكَ جُنْدِيٌّ مَلَّاحٌ فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ ؛ فَأَدِّ وَظِيفَتَكَ حَقّاً ؛ وَخُذْ أُجْرَتَكَ ؛ وَانْظُرْ إِلٰى رَاحَتِكَ ؛ وَتَفَكَّرْ أَنَّ سَفِينَةَ الْحَيَاةِ تِلْكَ ، قَيِّمَةٌ ؛ وَأَنَّهَا تُفِيدُ فَوَائِدَ جَمِيلَةً ؛ وَأَنَّ صَاحِبَ تِلْكَ السَّفِينَةِ كَرِيمٌ وَرَحِيمٌ ؛ فَافْرَحْ وَاشْكُرْ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا قَضَيْتَ وَظِيفَتَكَ بِالْاِسْتِقَامَةِ ؛ تَمْضِي جَمِيعُ نَتَائِجَ أَنْتَجَتْهَا تِلْكَ السَّفِينَةُ ، إِلٰى دَفْتَرِ أَعْمَالِكَ بِجِهَةٍ مَّا ؛ وَتُؤَمِّنُ لَكَ حَيَاةً بَاقِيَةً ؛ وَتُحْيِيكَ أَبَداً . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ ﴿وَيُمِيتُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّهُ الَّذِي يُعْطِي الْمَوْتَ ؛ يَعْنِي : يُسَرِّحُ الْإِنْسَانَ عَنْ وَظِيفَةِ الْحَيَاةِ ؛ وَيُبَدِّلُ مَكَانَهُ ، عَنِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ؛ وَيُحَرِّرُهُ عَنْ كُلْفَةِ الْخِدْمَةِ ؛ يَعْنِي : يَقْبِضُهُ مِنَ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ . . فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُنَادِي الْجِنَّ وَالْإِنْسَ الْفَانِينَ ؛ فَتَقُولُ : لَكُمُ الْبُشْرٰى ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ إِعْدَاماً وَلَا عَدَماً وَلَا فَنَاءً ، وَلَا انْقِرَاضاً وَلَا انْطِفَاءً ، وَلَا فِرَاقاً أَبَدِيّاً ، وَلَا تَصَادُفاً وَلَا انْعِدَاماً بِلَا فَاعِلٍ ؛ بَلْ إِنَّهُ

تَسْرِيحٌ مِنْ جَانِبِ فَاعِلٍ حَكِيمٍ رَحِيمٍ ، وَتَبْدِيلُ مَكَانٍ ، وَسَوْقٌ إِلٰى جَانِبِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَأَوْطَانِهِمُ الْأَصْلِيَّةِ ، وَبَابُ وِصَالٍ إِلٰى عَالَمِ الْبَرْزَخِ الَّذِي هُوَ مَجْمَعُ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنَ الْأَحْبَابِ ..

﴿ اَلْكَلِمَةُ الثَّامِنَةُ : ﴾ ﴿وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّ مَنْ لَمْ يَزَلْ مَعْبُوداً ؛ وَلَا يَزَالُ مَحْبُوباً ؛ وَتَكْفِي جِلْوَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ جِلْوَاتِ جَمَالِهِ ، عَنْ كُلِّ الْمَحْبُوبَاتِ ؛ وَهُوَ صَاحِبُ جَمَالٍ وَكَمَالٍ وَإِحْسَانٍ أَعْلٰى بِدَرَجَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، فَوْقَ كَمَالٍ وَحُسْنٍ وَإِحْسَانٍ تُشَاهَدُ فِي مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ جَمِيعاً ؛ وَتَكُونُ وَسِيلَةَ الْمَحَبَّةِ ، لَهُ حَيَاةٌ دَائِمَةٌ أَزَلِيَّةٌ وَأَبَدِيَّةٌ ، مُنَزَّهَةٌ عَنْ شَائِبَةِ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ، وَمُبَرَّأَةٌ عَنْ عَوَارِضِ النَّقْصِ وَالْقُصُورِ .. فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُعْلِنُ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَلِكُلِّ ذَوِي الشُّعُورِ ، وَلِأَهْلِ الْمَحَبَّةِ وَالْعِشْقِ : أَنَّ لَكُمُ الْبُشْرٰى ؛ فَإِنَّ لَكُمْ مَحْبُوباً بَاقِياً ، يُدَاوِي وَيُعَالِجُ جِرَاحَاتِ مُفَارَقَاتٍ بِلَا نِهَايَةٍ عَنْ مَحْبُوبَاتِكُمْ . فَإِذَا كَانَ هُوَ مَوْجُوداً وَبَاقِياً ؛ فَلَا تُقَاسُوا الْأَسٰى ؛ مَهْمَا كَانَ الْآخَرُونَ ؛ بَلْ إِنَّ الْحُسْنَ وَالْإِحْسَانَ ، وَالْفَضْلَ وَالْكَمَالَ ، فِي تِلْكَ الْمَحْبُوبَاتِ ، مِمَّا هُوَ سَبَبُ مَحَبَّتِكُمْ لَهَا ، ظِلٌّ لِظِلٍّ ضَعِيفٍ غَايَةَ الضَّعْفِ ، مِنْ جِلْوَةِ الْجَمَالِ الْبَاقِي ، لِذٰلِكَ الْمَحْبُوبِ الْبَاقِي ، مَضٰى مِنْ حُجُبٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَلَا يُؤْلِمَنَّكُمْ زَوَالُ تِلْكَ الْمَحْبُوبَاتِ ؛ لِأَنَّهَا نَوْعٌ مِنْ مَرَايَا ؛ وَتَبَدُّلُ الْمَرَايَا يُجَدِّدُ تَلَأْلُؤَ الْجَمَالِ وَيُزَيِّنُهُ . فَإِذَا كَانَ هُوَ مَوْجُوداً ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ ..

﴿ اَلْكَلِمَةُ التَّاسِعَةُ : ﴾ ﴿بِيَدِهِ الْخَيْرُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ بِيَدِهِ ؛ وَكُلَّ مَا تَفْعَلُونَ مِنَ الْخَيْرَاتِ تُسَجَّلُ فِي دَفْتَرِهِ ؛ وَكُلَّ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الصَّالِحَاتِ تُقَيَّدُ عِنْدَهُ .. فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُنَادِي الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ؛ وَتُبَشِّرُهُمْ وَتَقُولُ لَهُمْ : أَيُّهَا الْبَائِسُونَ ! لَا تَقُولُوا حِينَمَا تَرْحَلُونَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ : وَاهاً لَنَا ! لَقَدِ انْهَدَمَ بَيْتُنَا ؛ وَصَارَ هَبَاءً سَعْيُنَا ؛ وَسَافَرْنَا عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الْجَمِيلَةِ الْوَاسِعَةِ ؛ فَدَخَلْنَا تُرَاباً ضَيِّقاً ؛ وَلَا تَيْأَسُوا فَتَنُوحُوا ؛ لِأَنَّهُ يُحْفَظُ كُلُّ أَمْوَالِكُمْ ؛ وَكُتِبَ كُلُّ أَعْمَالِكُمْ ؛ وَسُجِّلَ كُلُّ خِدَمَاتِكُمْ ؛ وَإِنَّ رَبّاً جَلِيلاً بِيَدِهِ كُلُّ خَيْرٍ ؛ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ خَيْرٍ ؛ وَيُعْطِيكُمْ ثَوَابَ خِدَمَاتِكُمْ ، هُوَ يَجْلِبُكُمْ وَيُوقِفُكُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ

مُؤَقَّتاً ؛ ثُمَّ يَقْبَلُكُمْ إِلٰى مَحْضَرِهِ . فَطُوبٰى لَكُمْ ، لَقَدْ قَضَيْتُمْ خِدَمَاتِكُمْ وَوَظَائِفَكُمْ ؛ وَانْتَهَتْ مِحْنَتُكُمْ ؛ فَتَسِيرُونَ إِلَى الرَّاحَةِ وَالرَّحْمَةِ ؛ وَاخْتُتِمَتِ الْخِدْمَةُ وَالْمَشَقَّةُ ؛ فَتُسَافِرُونَ إِلٰى أَخْذِ الْأُجْرَةِ . نَعَمْ : إِنَّ الْقَدِيرَ الْجَلِيلَ الَّذِي يَحْفَظُ الْبُذُورَ وَالنَّوَى الَّتِي هِيَ صَحَائِفُ أَعْمَالِ الرَّبِيعِ الْمَاضِي ، وَصَنَادِيقُ خِدَمَاتِهِ ؛ وَيَنْشُرُهَا فِي رَبِيعٍ ثَانٍ بِغَايَةِ الْاِحْتِشَامِ ، عَلٰى وَجْهٍ أَزْيَدَ بَرَكَةً مِنْ أَصْلِهَا ، مِئَةَ دَرَجَةٍ عَلٰى الْاِحْتِمَالِ ، لَا شَكَّ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَذٰلِكَ ، نَتَائِجَ حَيَاتِكُمْ أَيْضاً ؛ وَيُكَافِئُ خِدْمَتَكُمْ ، عَلٰى وَجْهٍ جَزِيلٍ جِدّاً . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الْعَاشِرَةُ : ﴾ ﴿وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، قَدِيرٌ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ؛ لَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَصْلاً ؛ وَأَنَّ خَلْقَ رَبِيعٍ ، هَيِّنٌ عَلَيْهِ بِقَدَرِ زَهْرَةٍ ؛ وَخَلْقَ الْجَنَّةِ ، يَسِيرٌ عَلَيْهِ بِقَدَرِ رَبِيعٍ ؛ وَأَنَّ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ مَصْنُوعَاتِهِ الَّتِي يَخْلُقُهَا مُتَجَدِّدَةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَكُلَّ سَنَةٍ ، وَكُلَّ عَصْرٍ ، تَشْهَدُ عَلٰى قُدْرَتِهِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، بِأَلْسِنَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ . .

فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُبَشِّرُ أَيْضاً وَتَقُولُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! إِنَّ مَا تَفْعَلُهُ مِنَ الْخِدْمَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ ، لَا تَذْهَبُ هَبَاءً ؛ فَإِنَّهُ أَعَدَّ لَكَ دَارَ مُكَافَأَةٍ ، وَمَحَلَّ سَعَادَةٍ ؛ وَتَنْتَظِرُكَ جَنَّةٌ بَاقِيَةٌ ، بَدَلاً عَنْ دُنْيَاكَ الْفَانِيَةِ هٰذِهِ ؛ فَآمِنْ وَاعْتَمِدْ عَلٰى وَعْدِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ الَّذِي تَعْبُدُهُ وَتَعْرِفُهُ ؛ فَإِنَّ خُلْفَ الْوَعْدِ مُحَالٌ عَلَيْهِ ؛ وَلَا نَقْصَ فِي قُدْرَتِهِ ، بِأَيِّ جِهَةٍ ؛ وَلَا يَدْخُلُ الْعَجْزُ فِي أَعْمَالِهِ ؛ وَهُوَ كَمَا خَلَقَ رَوْضَتَكَ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُقَ لَكَ الْجَنَّةَ ؛ وَقَدْ خَلَقَهَا وَوَعَدَ بِهَا لَكَ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَيُدْخِلُكَ فِيهَا لِوَعْدِهِ بِذٰلِكَ . فَإِذَا كُنَّا نَرٰى بِالْمُشَاهَدَةِ ، أَنَّهُ يَحْشُرُ فَيَنْشُرُ مَا يَزِيدُ عَنْ ثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، كُلَّ سَنَةٍ ، بِكَمَالِ الْاِنْتِظَامِ وَالْمِيزَانِ ، وَبِكَمَالِ السُّرْعَةِ وَالسُّهُولَةِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ مِثْلَ ذٰلِكَ الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ ، مُقْتَدِرٌ عَلٰى إِيفَاءِ وَعْدِهِ ؛ وَكَذَا إِذَا كَانَ قَدِيرٌ مُطْلَقٌ كَذٰلِكَ ؛ يُنْشِئُ كُلَّ سَنَةٍ ، أَمْثِلَةَ الْحَشْرِ وَالْجَنَّةِ بِآلَافِ وَجْهٍ ؛ وَيَعِدُ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيُبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ ، بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَصُحُفِهِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ وَكَانَ جَمِيعُ أَفْعَالِهِ وَشُؤُونِهِ ، حَقّاً وَحَقِيقَةً ، وَبِصِدْقٍ وَجِدٍّ ؛ وَكَانَتِ الْكَمَالَاتُ كُلُّهَا ، شَاهِدَةً وَدَالَّةً عَلٰى كَمَالِهِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ ، بِشَهَادَةِ آثَارِهِ ؛ وَلَيْسَ

فِيهِ النَّقْصُ وَالْقُصُورُ بِأَيِّ جِهَةٍ ؛ وَكَانَ الْخُلْفُ وَالْخِلَافُ ، وَالْكَذِبُ وَالْخِدَاعُ ، نَقْصاً وَقُصُوراً ، وَأَشْنَعَ خَصْلَةٍ ؛ فَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ ذٰلِكَ الْقَدِيرَ ذَا الْجَلَالِ ، وَالْحَكِيمَ ذَا الْكَمَالِ ، وَالرَّحِيمَ ذَا الْجَمَالِ ، سَيُوفِي بِوَعْدِهِ ؛ وَيَفْتَحُ بَابَ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيُدْخِلُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ! فِي الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ الْوَطَنُ الْأَصْلِيُّ لِأَبِيكُمْ آدَمَ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : ﴾ ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلٰى هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ دَارُ الِامْتِحَانِ ، بِوَظَائِفَ مُهِمَّةٍ ، لِلتِّجَارَةِ وَالْخِدْمَةِ ، يَقْضُونَ وَظَائِفَهُمْ ؛ وَيُتِمُّونَ خِدَمَاتِهِمْ ؛ ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلٰى خَالِقِهِمُ الْجَلِيلِ ؛ وَيَصِلُونَ إِلٰى مَوْلَاهُمُ الْكَرِيمِ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُمْ يَنْجُونَ عَنْ تَغَلْغُلِ الْأَسْبَابِ ، وَعَنْ حُجُبِ ظُلُمَاتِ الْوَسَائِطِ ؛ فَيَصِلُونَ إِلٰى رَبِّهِمُ الرَّحِيمِ ، بِدُونِ حِجَابٍ ، فِي مَقَرِّ سَلْطَنَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيَعْلَمُ كُلُّ أَحَدٍ ، مَنْ هُوَ خَالِقُهُ وَمَعْبُودُهُ ، وَرَبُّهُ وَسَيِّدُهُ وَمَالِكُهُ ؛ وَيَجِدُهُ بِدُونِ تَوَسُّطٍ . . فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُبَشِّرُ بُشْرٰى فَوْقَ جَمِيعِ الْبُشْرَيَاتِ ؛ وَتَقُولُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! هَلْ تَعْلَمُ إِلٰى أَيْنَ تَذْهَبُ ؛ وَإِلٰى أَيْنَ تُسَاقُ ؟ إِنَّكَ تَذْهَبُ إِلٰى دَائِرَةِ رَحْمَةِ جَمِيلٍ ذِي جَلَالٍ ، لَا يُوَازِي سَاعَةً مِنْ رُؤْيَةِ جَمَالِهِ ، أَلْفُ سَنَةٍ مِنْ حَيَاةِ الْجَنَّةِ الَّتِي لَا يُسَاوِي سَاعَةً مِنْ حَيَاتِهَا ، أَلْفُ سَنَةٍ مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا السَّعِيدَةِ ؛ كَمَا قِيلَ فِي آخِرِ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ ؛ وَتَذْهَبُ إِلٰى مَرْتَبَةِ حُضُورِ ذٰلِكَ الْجَمِيلِ الْجَلِيلِ ؛ وَإِنَّكُمْ تَسِيرُونَ إِلٰى دَائِرَةِ حُضُورِ مَعْبُودٍ أَزَلِيٍّ ، وَمَحْبُوبٍ أَبَدِيٍّ ، يَكُونُ مَا فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَالْمَحْبُوبَاتِ الْمَجَازِيَّةِ ، الَّتِي ابْتُلِيتُمْ وَافْتُتِنْتُمْ بِهَا ؛ وَاشْتَقْتُمْ إِلَيْهَا ، مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، نَوْعَ ظِلٍّ لِجِلْوَةِ جَمَالِهِ ، وَحُسْنِ أَسْمَائِهِ ؛ وَالْجَنَّةُ كُلُّهَا بِكُلِّ لَطَائِفِهَا ، جِلْوَةٌ مِنْ جِلْوَاتِ رَحْمَتِهِ ؛ وَكُلُّ اشْتِيَاقٍ وَمَحَبَّةٍ ، وَانْجِذَابٍ وَجَذْبَةٍ ، لَمْعَةٌ مِنْ لَمَعَاتِ مَحَبَّتِهِ ؛ وَتُدْعَوْنَ إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ مَضِيفَتُهُ الْأَبَدِيَّةُ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَادْخُلُوا بَابَ الْقَبْرِ ، غَيْرَ بَاكِينَ ، بَلْ ضَاحِكِينَ . .

وَكَذَا تُبَشِّرُ هٰذِهِ الْكَلِمَةُ ؛ وَتَقُولُ أَيْضاً : أَيُّهَا النَّاسُ ! لَا تُفَكِّرُوا مُتَوَهِّمِينَ أَنَّكُمْ تَذْهَبُونَ إِلَى الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ ، وَالظُّلُمَاتِ وَالنِّسْيَانِ ، وَالتَّفَسُّخِ وَالتَّمَزُّقِ ، وَإِلَى الْغَرَقِ فِي

الْكَثْرَةِ ؛ فَإِنَّكُمْ تَذْهَبُونَ إِلَى الْبَقَاءِ لَا الْفَنَاءِ ؛ وَتُسَاقُونَ إِلَى الْوُجُودِ الدَّائِمِ لَا إِلَى الْعَدَمِ ؛ وَتَدْخُلُونَ عَالَمَ النُّورِ لَا الظُّلُمَاتِ ؛ وَتَسِيرُونَ إِلَى جَانِبِ الصَّاحِبِ وَالْمَالِكِ الْحَقِيقِيِّ ؛ وَتَرْجِعُونَ إِلَى عَاصِمَةِ السُّلْطَانِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَتَتَنَفَّسُونَ فِي دَائِرَةِ الْوَحْدَةِ ، غَيْرَ غَارِقِينَ فِي الْكَثْرَةِ ؛ وَتَتَوَجَّهُونَ إِلَى الْوِصَالِ ، لَا إِلَى الْفِرَاقِ . .

اَلْمَقَامُ الثَّانِي :

إِشَارَةٌ مُخْتَصَرَةٌ إِلَى إِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ ، بِاعْتِبَارِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الْأُولَى :﴾ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ ؛ فِيهَا تَوْحِيدُ أُلُوهِيَّةٍ وَعُبُودِيَّةٍ . وَنُشِيرُ إِلَى بُرْهَانٍ قَوِيٍّ جِدّاً ، مِنْ بَرَاهِينِ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ يُشَاهَدُ عَلَى وَجْهِ هٰذَا الْعَالَمِ ، لَاسِيَّمَا عَلَى صَحِيفَةِ الْأَرْضِ ، فَعَّالِيَّةٌ مُنْتَظِمَةٌ غَايَةَ الِانْتِظَامِ ؛ وَنُشَاهِدُ خَلَّاقِيَّةً حَكِيمَةً غَايَةَ الْحِكْمَةِ ؛ وَنَرَى عَيْنَ الْيَقِينِ ، فَتَّاحِيَّةً بِغَايَةِ الِانْتِظَامِ : أَيْ تَصْوِيرَ كُلِّ شَيْءٍ بِصُورَةٍ لَائِقَةٍ بِهِ ، وَفَتْحَ شَكْلٍ مُنَاسِبٍ بِهِ ؛ وَكَذَا نَرَى وَهَّابِيَّةً وَإِحْسَانَاتٍ شَفِيقَةً وَكَرِيمَةً وَرَحِيمَةً لِغَايَتِهَا . فَإِذاً تُثْبِتُ هٰذِهِ الْحَالَةُ وَهٰذِهِ الْكَيْفِيَّةُ ؛ بَلْ تُشْعِرُ بِوُجُوبِ وُجُودِ رَبٍّ ذِي جَلَالٍ ، فَعَّالٍ خَلَّاقٍ فَتَّاحٍ وَهَّابٍ ؛ وَتُشْعِرُ بِوَحْدَتِهِ بِالضَّرُورَةِ . نَعَمْ : إِنَّ زَوَالَ الْمَوْجُودَاتِ وَتَجَدُّدَهَا مُتَمَادِياً ، يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ ، جَلَوَاتُ أَسْمَاءِ صَانِعٍ قَدِيرٍ ، وَظِلَالُ أَنْوَارِ أَسْمَائِهِ الْقُدُسِيَّةِ ، وَآثَارُ أَفْعَالِهِ ، وَنُقُوشُ قَلَمِ قَدَرِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَصَحَائِفُهُ ، وَمَرَايَا جَمَالِ كَمَالِهِ . فَهٰذِهِ الْحَقِيقَةُ الْعُظْمَى ، وَالْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا ، مِنْ مَرَاتِبِ التَّوْحِيدِ ، يُثْبِتُهَا صَاحِبُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، بِجَمِيعِ مَا أَرْسَلَهُ مِنْ كُتُبِهِ وَصُحُفِهِ الْمُقَدَّسَةِ ؛ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، وَكُمَّلِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، يُثْبِتُونَ عَيْنَ مَرْتَبَةِ التَّوْحِيدِ ، بِتَحْقِيقَاتِهِمْ وَكَشْفِيَّاتِهِمْ ؛ وَكَذَا الْكَائِنَاتُ تُشِيرُ إِلَى عَيْنِ مَرْتَبَةِ التَّوْحِيدِ ، بِشَهَادَةِ مُعْجِزَاتِ الصَّنْعَةِ ، وَخَوَارِقِ

الْقُدْرَةِ ، وَخَزَائِنِ الثَّرْوَةِ ، الَّتِي صَارَتْ مَظْهَراً لَهَا ، مَعَ عَجْزِهَا وَفَقْرِهَا . فَإِذاً إِنَّ الشَّاهِدَ الْأَزَلِيَّ ، بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَصُحُفِهِ ، وَأَهْلَ الشُّهُودِ ، بِجَمِيعِ تَحْقِيقَاتِهِمْ وَكُشُوفِهِمْ ، وَعَالَمَ الشَّهَادَةِ ، بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِ الْمُنْتَظِمَةِ ، وَشُؤُونِهِ الْحَكِيمَةِ ، يَتَّفِقُونَ بِإِجْمَاعٍ فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ . فَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ ذٰلِكَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ ؛ فَإِمَّا أَنَّهُ يَقْبَلُ آلِهَةً لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ أَوْ يُنْكِرُ وُجُودَهُ وَوُجُودَ الْكَائِنَاتِ ، كَالسُّوفِسْطَائِيِّ الْأَحْمَقِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ ﴿وَحْدَهُ﴾ ؛ فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ تُظْهِرُ مَرْتَبَةً صَرِيحَةً ، مِنْ مَرَاتِبِ التَّوْحِيدِ . . وَنُشِيرُ إِلٰى بُرْهَانٍ قَوِيٍّ غَايَةَ الْقُوَّةِ ، يُثْبِتُ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةَ أَيْضاً ، بِصُورَةٍ عُظْمٰى ؛ وَذٰلِكَ أَنَّنَا كُلَّمَا فَتَحْنَا أَبْصَارَنَا ؛ وَأَصَبْنَا بِأَنْظَارِنَا وَجْهَ الْكَائِنَاتِ ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُلَاقِي أَبْصَارَنَا وَنَرَاهُ ، هُوَ نِظَامٌ عَامٌّ كَامِلٌ ، وَمِيزَانٌ حَسَّاسٌ شَامِلٌ ؛ وَنَرَى كُلَّ شَيْءٍ ، عَلٰى نِظَامٍ دَقِيقٍ ، وَفِي مِقْيَاسٍ وَمِيزَانٍ حَسَّاسٍ ؛ وَإِذَا أَمْعَنَّا النَّظَرَ نَبْذَةً أُخْرٰى ؛ يُصَادِفُ أَعْيُنَنَا ، تَنْظِيمٌ وَتَوْزِينٌ مُتَجَدِّدَانِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ وَاحِداً ، يُبَدِّلُ ذٰلِكَ النِّظَامَ بِانْتِظَامٍ ؛ وَيُجَدِّدُ ذٰلِكَ الْمِيزَانَ بِاتِّزَانٍ ؛ فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ ، مَقِيساً تُلْبَسُ عَلَيْهِ صُوَرٌ مُنْتَظِمَةٌ مَوْزُونَةٌ ، بِكَثْرَةٍ بَالِغَةٍ ؛ وَإِذَا بُولِغَ فِي الْإِمْعَانِ ؛ يُرٰى تَحْتَ ذٰلِكَ التَّنْظِيمِ وَالتَّوْزِينِ ، حِكْمَةٌ وَعَدَالَةٌ ؛ فَيُرَاعٰى فِي كُلِّ حَرَكَةٍ ، حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ ؛ وَيُتَعَاقَبُ فِيهَا حَقٌّ وَفَائِدَةٌ ؛ وَإِذَا زِيدَ فِي الْإِمْعَانِ ؛ يُصَادِفُ نَظَرَ شُعُورِنَا ، تَظَاهُرَاتُ قُدْرَةٍ ، فِي فَعَّالِيَّةٍ ذَاتِ حِكْمَةٍ ، وَجَلَوَاتُ عِلْمٍ مُحِيطٍ غَايَةَ الْإِحَاطَةِ ، يُحِيطُ بِكُلِّ شَأْنِ كُلِّ شَيْءٍ . فَإِذاً إِنَّ هٰذَا النِّظَامَ وَالْمِيزَانَ ، فِي كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ، يُظْهِرَانِ لِأَعْيُنِنَا ، تَنْظِيماً وَتَوْزِيناً عَامَّيْنِ لِلْكُلِّ ؛ وَهُمَا يُظْهِرَانِ حِكْمَةً وَعَدَالَةً عَامَّتَيْنِ ؛ وَهُمَا تُظْهِرَانِ قُدْرَةً وَعِلْماً . فَإِذاً إِنَّ قَدِيراً عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، وَعَلِيماً بِكُلِّ شَيْءٍ ، يُشَاهَدُ لِلْعَقْلِ وَرَاءَ هٰذِهِ الْحُجُبِ . .

وَكَذَا نَنْظُرُ إِلٰى أَوَّلِ كُلِّ شَيْءٍ وَآخِرِهِ ، لَاسِيَّمَا فِي نَوْعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَنَرٰى أَنَّ أَوَائِلَهَا وَأُصُولَهَا وَجُذُورَهَا ، وَثِمَارَهَا وَنَتَائِجَهَا ، هِيَ عَلٰى وَجْهٍ كَأَنَّ بُذُورَهَا وَأُصُولَهَا ، فِي شَكْلِ تَعْرِفَاتٍ وَبَرَامِجَ ، تَتَضَمَّنُ أَجْهِزَةَ كُلِّ ذٰلِكَ الْمَوْجُودِ ؛ وَيَتَصَفّٰى مَعْنٰى ذٰلِكَ الْحَيِّ

كُلِّهِ ؛ وَيَتَجَمَّعُ فِي ثَمَرَتِهِ وَنَتِيجَتِهِ أَيْضاً ؛ وَيُودِعُ تَرْجَمَةَ حَيَاتِهِ إِلَيْهَا ؛ كَأَنَّ نَوَاتَهُ الَّتِي هِيَ أَصْلُهُ ، مَجْمُوعَةٌ مِنْ دَسَاتِيرِ إِيجَادِهِ ؛ وَأَنَّ ثَمَرَتَهُ ، فِي حُكْمِ فِهْرِسٍ لِأَوَامِرِ إِيجَادِهِ ؛ هٰكَذَا نَرَاهَا ؛ ثُمَّ نَنْظُرُ إِلٰى ظَاهِرِ ذٰلِكَ الْحَيِّ وَبَاطِنِهِ ؛ فَيُرٰى فِيهِمَا ، تَصَرُّفَاتُ قُدْرَةٍ حَكِيمَةٍ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، وَتَصْوِيرَاتُ إِرَادَةٍ نَافِذَةٍ وَتَنْظِيمَاتُهَا ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ تُنْشِئُهُ قُوَّةٌ وَقُدْرَةٌ ؛ وَيُصَوِّرُهُ أَمْرٌ وَإِرَادَةٌ ؛ فَهٰكَذَا كُلَّمَا أَمْعَنَّا فِي أَوَّلِ كُلِّ مَوْجُودٍ ؛ نَرَاهُ تَعْرِفَةَ عِلْمٍ ؛ وَكُلَّمَا تَدَبَّرْنَا فِي آخِرِهِ ؛ نَرَاهُ بَرْنَامَجَ صَانِعٍ وَبَلَاغَهُ ؛ وَمَهْمَا نَظَرْنَا إِلٰى ظَاهِرِهِ ؛ نَرَاهُ حُلَّةَ صَنْعَةِ فَاعِلٍ مُخْتَارٍ وَمُرِيدٍ ، حُلَّةً ذَاتَ صُنْعٍ وَتَنَاسُبٍ ؛ وَإِذَا نَظَرْنَا فِي بَاطِنِهِ ؛ نَرَاهُ جِهَازَ صَانِعٍ قَدِيرٍ ، بِغَايَةِ الِانْتِظَامِ ؛ فَيُعْلِنُ هٰذَا الْحَالُ ، وَهٰذِهِ الْكَيْفِيَّةُ ، بِالضَّرُورَةِ وَالْبَدَاهَةِ : أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ ، وَأَيَّ زَمَانٍ وَأَيَّ مَكَانٍ ، لَا يَخْرُجُ عَنْ قَبْضَةِ تَصَرُّفِ صَانِعٍ وَاحِدٍ ذِي جَلَالٍ ؛ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، وَكُلَّ الْأَشْيَاءِ ، تُدَبَّرُ بِكُلِّ شُؤُونِهَا ، فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِ قَدِيرٍ مُرِيدٍ ؛ وَتُجَمَّلُ بِتَنْظِيمِ رَحْمٰنٍ رَحِيمٍ وَبِلُطْفِهِ ؛ وَتُزَيَّنُ بِتَزْيِينِ حَنَّانٍ مَنَّانٍ . نَعَمْ : إِنَّ النِّظَامَ وَالْمِيزَانَ ، وَالتَّنْظِيمَ وَالتَّوْزِينَ ، فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، تَدُلُّ لِمَنْ فِي رَأْسِهِ الشُّعُورُ ، وَفِي وَجْهِهِ الْبَصَرُ ، عَلٰى وَاحِدٍ أَحَدٍ فَرْدٍ ، قَدِيرٍ مُرِيدٍ ، عَلِيمٍ حَكِيمٍ ، فِي مَرْتَبَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ . نَعَمْ : يُوجَدُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَحْدَةٌ ؛ وَالْوَحْدَةُ تَدُلُّ عَلَى الْوَاحِدِ . فَمَثَلاً : إِنَّ الشَّمْسَ سِرَاجَ الدُّنْيَا وَاحِدَةٌ ؛ فَإِذاً إِنَّ مَالِكَ الدُّنْيَا وَاحِدٌ أَيْضاً ؛ وَإِنَّ الْهَوَاءَ وَالْمَاءَ وَالنَّارَ مَثَلاً ، الَّتِي هِيَ خُدَّامُ ذَوِي الْحَيَاةِ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَاحِدَةٌ ؛ فَإِذاً إِنَّ الَّذِي يَسْتَخْدِمُهَا وَيُسَخِّرُهَا لَنَا ، وَاحِدٌ أَيْضاً . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ ؛ لَقَدْ أَثْبَتَ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ ، هٰذِهِ الْكَلِمَةَ ، بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ وَقَوِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَنُحِيلُهَا عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فَوْقَهُ بَيَانٌ ؛ وَلَا لُزُومَ إِلٰى بَيَانٍ أَسْبَقَ مِنْهُ ؛ وَلَا يُوضَحُ أَكْثَرَ مِنْهُ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ ، وَكُلَّ مَوْجُودٍ ، مِنَ الْفَرْشِ إِلَى الْعَرْشِ ، وَمِنَ الثَّرٰى إِلَى الثُّرَيَّا ، وَمِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ، هِيَ مُلْكُهُ ؛ وَلَهُ مَرْتَبَةُ الْمَالِكِيَّةِ الْعُظْمٰى ، فِي صُورَةِ التَّوْحِيدِ الْأَعْظَمِ . .

لَقَدْ أُلْقِيَ عَلٰى خَاطِرِ هٰذَا الْعَاجِزِ ، حُجَّةٌ كُبْرٰى ، لِهٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْعُظْمٰى ، مِنْ مَرَاتِبِ الْمَالِكِيَّةِ ، وَلِهٰذَا الْمَقَامِ الْأَعْظَمِ مِنْ مَقَامَاتِ التَّوْحِيدِ ، بِالْعِبَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فِي خَاطِرَةٍ لَطِيفَةٍ ، فِي زَمَنٍ لَطِيفٍ ؛ فَنُقَيِّدُ عَيْنَ الْعِبَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، لِأَجْلِ تِلْكَ الْخَاطِرَةِ اللَّطِيفَةِ ؛ ثُمَّ نَكْتُبُ مَآلَهَا..

وَهِيَ : ﴿لَهُ الْمُلْكُ ؛ لِأَنَّ ذَاكَ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ ، كَهٰذَا الْعَالَمِ الصَّغِيرِ ، مَصْنُوعُ قُدْرَتِهِ ، مَكْتُوبُ قَدَرِهِ ● إِبْدَاعُهُ لِذَاكَ صَيَّرَهُ مَسْجِداً ؛ إِيجَادُهُ لِهٰذَا صَيَّرَهُ سَاجِداً ● إِنْشَاؤُهُ لِذَاكَ صَيَّرَ ذَاكَ مُلْكاً ؛ إِيجَادُهُ لِهٰذَا صَيَّرَهُ مَمْلُوكاً ● صَنْعَتُهُ فِي ذَاكَ تَظَاهَرَتْ كِتَاباً ؛ صِبْغَتُهُ فِي هٰذَا تَظَاهَرَتْ خِطَاباً ● قُدْرَتُهُ فِي ذَاكَ تُظْهِرُ حِشْمَتَهُ ، رَحْمَتُهُ فِي هٰذَا تَنْظِمُ نِعْمَتَهُ ● حِشْمَتُهُ فِي ذَاكَ تَشْهَدُ هُوَ الْوَاحِدُ ؛ نِعْمَتُهُ فِي هٰذَا تُعْلِنُ هُوَ الْأَحَدُ ● سِكَّتُهُ فِي ذَاكَ ، فِي الْكُلِّ وَالْأَجْزَاءِ ؛ خَاتَمُهُ فِي هٰذَا ، فِي الْجِسْمِ وَالْأَعْضَاءِ ●﴾ ..

﴿الْفِقْرَةُ الْأُولٰى﴾ : (لِأَنَّ ذَاكَ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ) إِلٰى آخِرِهَا ؛ تَعْنِي : أَنَّ الْعَالَمَ الْأَكْبَرَ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ ، وَالْعَالَمَ الْأَصْغَرَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْإِنْسَانُ ؛ وَهُوَ مِثَالٌ مُصَغَّرٌ لِلْعَالَمِ الْأَكْبَرِ ، يُظْهِرَانِ دَلَائِلَ الْوَحْدَانِيَّةِ الْآفَاقِيَّةِ وَالْأَنْفُسِيَّةِ ، الْمَكْتُوبَةَ بِقَلَمِ الْقَدَرِ وَالْقُدْرَةِ .

نَعَمْ : إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ مِثَالاً عَلٰى مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، لِلصَّنْعَةِ الْمُنْتَظِمَةِ فِي الْكَائِنَاتِ . فَكَمَا يَشْهَدُ مَا فِي تِلْكَ الدَّائِرَةِ الْكُبْرٰى ، مِنَ الصَّنْعَةِ ، عَلَى الصَّانِعِ الْوَاحِدِ ؛ تُشِيرُ الصَّنْعَةُ الدَّقِيقَةُ فِي الْإِنْسَانِ ، فِي مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، إِلٰى ذٰلِكَ الصَّانِعِ ؛ وَتَدُلُّ عَلٰى وَحْدَتِهِ أَيْضاً ..

وَكَذَا كَمَا أَنَّ هٰذَا الْإِنْسَانَ ، مَكْتُوبٌ رَبَّانِيٌّ مُفِيدٌ لِلْغَايَةِ ، وَقَصِيدَةٌ قَدَرِيَّةٌ مُنْتَظِمَةٌ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، قَصِيدَةٌ قَدَرِيَّةٌ مُنْتَظِمَةٌ أَيْضاً ، كُتِبَتْ بِذٰلِكَ الْقَلَمِ الْقَدَرِيِّ عَيْنِهِ ؛ وَلٰكِنْ فِي مِقْيَاسٍ كَبِيرٍ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ لِشَيْءٍ غَيْرِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، أَنْ يُوجَدَ تَدَخُّلُهُ فِي سِكَّةِ الْوَحْدَةِ ، عَلٰى وَجْهِ هٰذَا الْإِنْسَانِ ، النَّاظِرَةِ إِلٰى كُلِّ النَّاسِ ، بِعَلَامَاتٍ فَارِقَةٍ بِلَا حَدٍّ ، وَفِي خَاتَمِ الْوَحْدَانِيَّةِ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، الَّذِي جَعَلَ كُلَّ الْمَوْجُودَاتِ ، مُتَسَانِدَةً كَتِفاً إِلٰى كَتِفٍ ، يَداً إِلٰى يَدٍ ، وَرَأْساً إِلٰى رَأْسٍ ؟ .

﴿الْفِقْرَةُ الثَّانِيَةُ﴾ : (إِبْدَاعُهُ لِذَاكَ) إِلٰى آخِرِهَا ؛ وَمَآلُهَا : أَنَّ الصَّانِعَ الْحَكِيمَ ،

خَلَقَ الْعَالَمَ الْأَكْبَرَ ، بِصُورَةٍ بَدِيعَةٍ ؛ فَنَقَشَ آيَاتِ كِبْرِيَائِهِ عَلَيْهِ ، بِحَيْثُ حَوَّلَ الْكَائِنَاتِ ، إِلٰى شَكْلِ مَسْجِدٍ كَبِيرٍ ؛ وَأَنْشَأَ الْإِنْسَانَ ، بِحَيْثُ وَهَبَ لَهُ الْعَقْلَ ؛ فَأَسْجَدَهُ بِذٰلِكَ الْعَقْلِ ، سَجْدَةَ الْحَيْرَةِ ، أَمَامَ مُعْجِزَاتِ صَنْعَتِهِ ، وَبَدِيعِ قُدْرَتِهِ ؛ وَأَقْرَأَهُ آيَاتِ الْكِبْرِيَاءِ ؛ وَأَعْقَدَهُ مَنْطِقَ الْعُبُودِيَّةِ ؛ وَخَلَقَهُ فِي فِطْرَةِ عَبْدٍ سَاجِدٍ ، فِي ذٰلِكَ الْمَسْجِدِ الْكَبِيرِ ؛ **فَهَلْ يُمْكِنُ لِغَيْرِ ذٰلِكَ الصَّانِعِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، أَنْ يَكُونَ مَعْبُوداً حَقِيقِيّاً ، لِلسَّاجِدِينَ وَالْعَابِدِينَ ، فِي هٰذَا الْمَسْجِدِ الْكَبِيرِ ؟ .**

﴿ اَلْفِقْرَةُ الثَّالِثَةُ ﴾ : (إِنْشَاؤُهُ لِذَاكَ) إِلٰى آخِرِهَا ؛ مَآلُهَا : أَنَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ذَا الْجَلَالِ ، أَنْشَأَ ذٰلِكَ الْعَالَمَ الْأَكْبَرَ ، لَاسِيَّمَا وَجْهِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ وَأَوْجَدَهُ بِحَيْثُ صَارَ دَوَائِرَ مُتَدَاخِلَةً لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَصَارَ كُلُّ دَائِرَةٍ ، فِي حُكْمِ مَزْرَعَةٍ ؛ فَيَزْرَعُهَا وَيَحْصُدُهَا وَيَأْخُذُ مَحْصُولَاتِهَا وَقْتاً فَوَقْتاً ، فَصْلاً فَفَصْلاً ، عَصْراً فَعَصْراً ؛ وَيَسْتَعْمِلُ مُلْكَهُ ؛ وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ دَائِماً ؛ وَقَدْ جَعَلَ عَالَمَ الذَّرَّاتِ تِلْكَ الدَّائِرَةَ الْكُبْرٰى ، مَزْرَعَةً يَزْرَعُ فِيهَا ؛ وَيَحْصُدُ مِنْهَا ، كُلَّ زَمَانٍ ، بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ، مَحْصُولَاتٍ بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَيَبْعَثُهَا مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ ، وَمِنْ دَائِرَةِ الْقُدْرَةِ ، إِلٰى دَائِرَةِ الْعِلْمِ ؛ ثُمَّ جَعَلَ وَجْهَ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ دَائِرَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ ، مَزْرَعَةً كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ بِحَيْثُ يَزْرَعُ فِيهَا عَوَالِمَ وَأَنْوَاعاً ؛ وَيَحْصُدُهَا فَيَرْفَعُهَا فَصْلاً فَفَصْلاً ؛ وَيَبْعَثُ بِمَحْصُولَاتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ أَيْضاً ، إِلَى الْعَوَالِمِ الْغَيْبِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ ، وَالْمِثَالِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَيَمْلَأُ رَوْضَةً هِيَ دَائِرَةٌ صَغِيرَةٌ ، بِقُدْرَةٍ ؛ وَيُفْرِغُهَا بِحِكْمَةٍ ، مِئَةَ مَرَّةٍ بَلْ أَلْفَ مَرَّاتٍ ؛ وَيَأْخُذُ مَحْصُولَاتٍ مِنْ حَيٍّ ؛ وَهُوَ دَائِرَةٌ صُغْرٰى ، كَشَجَرَةٍ وَإِنْسَانٍ ، بِقَدَرِ ذٰلِكَ الْحَيِّ مِئَةَ مَرَّةٍ . . **فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الْمَالِكَ لِلْمُلْكِ ذَا الْجَلَالِ ، أَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ ، صَغِيراً وَكَبِيراً ، جُزْئِيّاً وَكُلِّيّاً ، فِي حُكْمِ مَقِيسٍ ؛ فَيُلْبِسُ عَلَيْهَا مَنْسُوجَاتِ صَنْعَتِهِ الْمُنَقَّشَةَ بِنُقُوشٍ مُتَجَدِّدَةٍ ، عَلٰى مِئَاتِ الْوُجُوهِ ؛ وَيُظْهِرُ بِهَا جَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ ، وَمُعْجِزَاتِ قُدْرَتِهِ ؛ وَأَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مُلْكِهِ ، فِي حُكْمِ صَحِيفَةٍ ؛ فَيَكْتُبُ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ ، مَكْتُوبَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى الْمَعَانِي ، بِمِئَاتِ الْوُجُوهِ ؛ وَيُظْهِرُ حِكْمَتَهُ وَآيَاتِهِ ؛ فَيُقْرِئُهَا بِذَوِي الشُّعُورِ ؛**

وَمَعَ أَنَّهُ أَنْشَأَ هٰذَا الْعَالَمَ الْأَكْبَرَ ، عَلٰى شَكْلِ الْمُلْكِ ؛ خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَيْضاً ؛ وَأَعْطَاهُ أَجْهِزَةً وَآلاتٍ ، وَحَوَاسَّ وَحِسِّيَّاتٍ ، لاَسِيَّمَا النَّفْسِ وَالْهَوٰى ، وَالِاحْتِيَاجِ وَالِاشْتِهَاءِ ، وَالْحِرْصِ وَالدَّعْوٰى ، بِحَيْثُ جَعَلَهُ فِي مُلْكِهِ الْوَاسِعِ ذٰلِكَ ، مَمْلُوكاً مُحْتَاجاً إِلٰى كُلِّ الْمُلْكِ ؛ فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَتَصَرَّفَ أَحَدٌ فِي ذٰلِكَ الْمُلْكِ ؛ وَيَصِيرَ سَيِّداً لِذٰلِكَ الْمَمْلُوكِ ، سِوٰى ذٰلِكَ الْمَالِكِ لِلْمُلْكِ ذِي الْجَلالِ ، الَّذِي جَعَلَ كُلَّ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنْ عَالَمِ الذَّرَّاتِ ذٰلِكَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ جِدّاً ، إِلٰى ذُبَابٍ صَغِيرٍ ، مُلْكاً وَمَزْرَعاً ؛ وَجَعَلَ الْإِنْسَانَ الصَّغِيرَ ، مَمْلُوكاً وَعَابِداً ، دَلّالاً وَتَاجِراً ، فَلّاحاً وَمُفَتِّشاً وَنَاظِراً لِذٰلِكَ الْمُلْكِ ؛ وَاتَّخَذَ ذٰلِكَ الْإِنْسَانَ ، ضَيْفاً مُحْتَرَماً ، وَمُخَاطَباً مَحْبُوباً لَهُ ؟ .

﴿ اَلْفِقْرَةُ الرَّابِعَةُ ﴾ : هِيَ عِبَارَةُ (صَنْعَتُهُ فِي ذَاكَ) إِلٰى آخِرِهَا ؛ وَمَآلُهَا هُوَ : أَنَّ صَنْعَةَ الصَّانِعِ الْجَلِيلِ ، فِي الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ ، مُفِيدَةٌ لِلْمَعَانِي ، بِحَيْثُ تَظَاهَرَتْ تِلْكَ الصَّنْعَةُ ، فِي صُورَةِ كِتَابٍ ؛ وَجَعَلَ الْكَائِنَاتِ ، فِي حُكْمِ كِتَابٍ كَبِيرٍ ؛ فَأَخَذَ مِنْهُ عَقْلُ الْبَشَرِ ، مَكْتَبَةَ فَنِّ الْحِكْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ وَكَتَبَهَا حَسَبَ ذٰلِكَ ؛ وَأَنَّ كِتَابَ الْحِكْمَةِ ذٰلِكَ ، مُتَّصِلٌ بِالْحَقِيقَةِ ، وَمُسْتَمَدٌّ مِنْهَا ، بِحَيْثُ أُعْلِنَ عَلٰى شَكْلِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، الَّذِي هُوَ نُسْخَةٌ مِنَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ الْكَبِيرِ ؛ وَكَذَا كَمَا اتَّخَذَتْ صَنْعَتُهُ فِي الْكَائِنَاتِ ، شَكْلَ الْكِتَابِ ، مِنْ كَمَالِ انْتِظَامِهَا ؛ فَتَحَتْ صِبْغَتُهُ وَنَقْشُ حِكْمَتِهِ فِي الْإِنْسَانِ ، زَهْرَةَ الْخِطَابِ أَيْضاً ؛ يَعْنِي : أَنَّ تِلْكَ الصَّنْعَةَ مُفِيدَةٌ وَحَسَّاسَةٌ وَجَمِيلَةٌ ، بِحَيْثُ أَنْطَقَتْ مَا فِي جِهَازِ ذٰلِكَ الْحَيِّ مِنَ الْآلاتِ ؛ فَنَطَقَتْ كَالْحَاكِي ؛ وَأَعْطٰى صِبْغَةً رَبَّانِيَّةً فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، بِحَيْثُ انْفَتَحَتْ زَهْرَةُ الْبَيَانِ وَالْخِطَابِ ، الْمَعْنَوِيَّةُ الْغَيْبِيَّةُ الْحَيَّةُ ، فِي تِلْكَ الْجُمْجُمَةِ الْمَادِّيَّةِ الْجِسْمَانِيَّةِ الْجَامِدَةِ ؛ وَأَعْطٰى قَابِلِيَّةَ ذٰلِكَ النُّطْقِ وَالْبَيَانِ ، فِي رَأْسِ الْإِنْسَانِ ، اسْتِعْدَاداً وَأَجْهِزَةً عَالِيَةً ، بِحَيْثُ أَعْطَاهَا رُقِيّاً ؛ وَجَعَلَهَا مُنْكَشِفَةً فِي مَقَامٍ يَكُونُ مُخَاطَباً لِلسُّلْطَانِ الْأَزَلِيِّ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الصِّبْغَةَ الرَّبَّانِيَّةَ فِي الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، فَتَحَتْ زَهْرَةَ الْخِطَابِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَدَخَّلَ أَحَدٌ غَيْرُ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، فِي الصَّنْعَةِ الْوَاصِلَةِ إِلٰى دَرَجَةِ الْكِتَابِ ، فِي

كُلّ الْمَوْجُودَاتِ ، وَفِي تِلْكَ الصِّبْغَةِ الْبَالِغَةِ إِلٰى مَقَامِ الْخِطَابِ فِي الْإِنْسَانِ ، حَاشَاهُمَا ؟.

﴿ اَلْفِقْرَةُ الْخَامِسَةُ ﴾ : هِيَ عِبَارَةُ (قُدْرَتُهُ فِي ذَاكَ) إِلٰى آخِرِهَا ؛ مَآلُهَا : أَنَّ الْقُدْرَةَ الْإِلٰهِيَّةَ ، تُظْهِرُ حِشْمَةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، فِي الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ ؛ وَأَنَّ الرَّحْمَةَ الرَّبَّانِيَّةَ ، تَنْظِمُ النِّعَمَ فِي الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ الْعَالَمُ الْأَصْغَرُ ؛ يَعْنِي : أَنَّ قُدْرَةَ الصَّانِعِ أَوْجَدَتِ الْكَائِنَاتِ ، فِي نُقْطَةِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْجَلَالِ ، عَلٰى شَكْلِ قَصْرٍ مُحْتَشِمٍ ؛ فَجَعَلَتِ الشَّمْسَ ، سِرَاجاً كَهْرَبَائِيّاً كَبِيراً ؛ وَالْقَمَرَ قِنْدِيلاً ؛ وَالنُّجُومَ مَشَاعِلَ كَهْرَبَتْ بِهَا وَجْهَ السَّمَاءِ ؛ وَذَهَّبَتْهُ بِأَثْمَارِهَا ؛ وَجَعَلَتْ وَجْهَ الْأَرْضِ ، مَائِدَةً وَمَزْرَعَةً ، وَحَدِيقَةً وَطُنْفُسَةً ؛ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً وَمَخَازِنَ وَقِلَاعاً ؛ وَهٰكَذَا جَعَلَتْ كُلَّ الْأَشْيَاءِ ، عَلٰى شَكْلِ أُثُثِ ذٰلِكَ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ ، فِي مِقْيَاسٍ كَبِيرٍ ؛ فَيُظْهِرُ بِذٰلِكَ ، حِشْمَةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ ؛ كَمَا أَنَّ رَحْمَتَهُ أَيْضاً ، تُعْطِي أَنْوَاعَ نِعَمِهِ ، فِي نُقْطَةِ الْجَمَالِ ، لِكُلِّ ذَوِي أَرْوَاحٍ ، إِلٰى أَصْغَرِ ذِي حَيَاةٍ ؛ وَتَنْظِمُهَا بِهَا ؛ وَتُجَمِّلُهَا بِالنِّعَمِ ؛ وَتُزَيِّنُهَا بِاللُّطْفِ وَالْكَرَمِ ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا ؛ وَيَجْعَلُ جَمَالَ رَحْمَتِهِ ، مُقَابِلاً لِحِشْمَةِ جَلَالِهِ ، بِتِلْكَ الْأَلْسِنَةِ الصِّغَارِ ، إِزَاءَ ذٰلِكَ اللِّسَانِ الْكَبِيرِ ؛ يَعْنِي : حِينَمَا تَقُولُ الْأَجْرَامُ الْكِبَارُ ، كَالشَّمْسِ وَالْعَرْشِ ، بِلِسَانِ الْحِشْمَةِ : يَا جَلِيلُ ، يَا كَبِيرُ ، يَا عَظِيمُ ! تَقُولُ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتُ الصِّغَارُ ، كَالذُّبَابِ وَالسِّمَاكِ أَيْضاً ، بِلِسَانِ الرَّحْمَةِ : يَا جَمِيلُ ، يَا رَحِيمُ ، يَا كَرِيمُ ! فَتُلْحِقُ نَغَمَاتِهَا اللَّطِيفَةَ ، بِتِلْكَ الْمُوسِيقَةِ الْكُبْرٰى ؛ فَتَزِيدُهَا حَلَاوَةً ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ لِشَيْءٍ ، أَنْ يَتَدَخَّلَ عَلٰى حِدَتِهِ ، فِي هٰذَيْنِ الْعَالَمَيْنِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ ، فِي جِهَةِ الْإِيجَادِ ، سِوٰى ذٰلِكَ الْجَلِيلِ ذِي الْجَمَالِ ، وَالْجَمِيلِ ذِي الْجَلَالِ ، حَاشَاهُ ؟.

﴿ اَلْفِقْرَةُ السَّادِسَةُ ﴾ : عِبَارَةُ (حِشْمَتُهُ فِي ذَاكَ) إِلٰى آخِرِهَا ؛ وَمَآلُهَا : أَنَّ حِشْمَةَ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ فِي هَيْئَةِ مَجْمُوعَةِ الْكَائِنَاتِ ، تُثْبِتُ الْوَحْدَانِيَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ ؛ وَتَدُلُّ عَلَيْهَا ؛ كَمَا أَنَّ النِّعْمَةَ الرَّبَّانِيَّةَ أَيْضاً الَّتِي تُعْطِي جُزْئِيَّاتِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، أَرْزَاقَهَا الْمُقَنَّنَةَ ، تُثْبِتُ الْأَحَدِيَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ ؛ وَتَدُلُّ عَلَيْهَا . أَمَّا الْوَاحِدِيَّةُ ، فَهِيَ بِمَعْنٰى أَنَّ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا ، لِصَانِعٍ وَاحِدٍ ، وَصُنْعُ صَانِعٍ وَاحِدٍ ؛ وَتَنْظُرُ إِلٰى صَانِعٍ وَاحِدٍ ؛ وَأَمَّا الْأَحَدِيَّةُ ، فَهِيَ

بِمَعْنٰى أَنَّ أَكْثَرَ أَسْمَاءِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ ، يَتَجلّٰى فِي كُلِّ شَيْءٍ . فَمَثَلاً : إِنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ ، مِنْ حَيْثُ إِحَاطَتُهَا بِوَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، تَدُلُّ عَلٰى مِثَالِ الْوَاحِدِيَّةِ ؛ وَإِنَّ وُجُودَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ ، وَحَرَارَتِهَا ، وَمَا فِي ضِيَائِهَا مِنْ أَلْوَانِهَا السَّبْعَةِ ، وَوُجُودَ نَوْعِ ظِلٍّ مِنْ ظِلَالِ الشَّمْسِ ، فِي كُلِّ جُزْءٍ شَفَّافٍ ، وَفِي كُلِّ قَطْرَةِ مَاءٍ ، يَدُلُّ عَلٰى مِثَالِ الْأَحَدِيَّةِ ؛ وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، لَاسِيَّمَا كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، لَاسِيَّمَا كُلِّ إِنْسَانٍ ، يَدُلُّ عَلَى الْأَحَدِيَّةِ ، بِجِهَةِ تَجَلِّي أَكْثَرِ أَسْمَاءِ الصَّانِعِ ، فِي كُلٍّ مِنْهَا . .

فَهٰذِهِ الْفِقْرَةُ تُشِيرُ إِلٰى أَنَّ حِشْمَةَ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي تَتَصَرَّفُ فِي الْكَائِنَاتِ ، جَعَلَتْ تِلْكَ الشَّمْسَ الْعَظِيمَةَ ، خَادِماً وَسِرَاجاً وَمَوْقِداً ، لِذَوِي الْحَيَاةِ عَلٰى سَطْحِ هٰذِهِ الْأَرْضِ ؛ وَجَعَلَتْ كُرَةَ الْأَرْضِ الْجَسِيمَةَ ، مَهْداً وَمَنْزِلاً وَمَتْجَراً لَهُمْ ؛ وَالنَّارَ صَدِيقاً وَطَبَّاخاً حَاضِراً فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَالسَّحَابَ مِصْفَاةً وَمُرْضِعَةً ؛ وَالْجِبَالَ مَخْزَناً وَمُسْتَوْدَعاً ؛ وَالْهَوَاءَ أَنْفَاساً لِذَوِي الْحَيَاةِ ، وَمُرَوِّحاً لِلنُّفُوسِ ؛ وَالْمَاءَ أُمّاً تُرْضِعُ مَنْ يَدْخُلُونَ الْحَيَاةَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَسَاقِياً لِلْحَيَوَانَاتِ يَسْقِيهِمْ مَاءَ الْحَيَاةِ ؛ فَتَدُلُّ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ غَايَةَ الْوُضُوحِ . نَعَمْ : مَنِ الَّذِي يَجْعَلُ الشَّمْسَ ، خَادِماً مُسَخَّراً لِلْأَرْضِيِّينَ ، غَيْرُ الْخَالِقِ الْوَاحِدِ ؟ وَمَنِ الَّذِي يُمْسِكُ الْهَوَاءَ بِيَدِهِ ؛ فَيُوَظِّفُهُ بِوَظَائِفَ كَثِيرَةٍ ؛ وَيَجْعَلُهُ خَادِماً مُعْجَالاً مِسْرَاعاً ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، غَيْرُهُ ؟ وَمَنِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ النَّارَ طَبَّاخاً ؛ وَيُبْلِغُ ذَرَّةً مِنْهَا بِقَدْرِ رَأْسِ ثِقَابٍ ، آلَافَ أَرْطَالٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، غَيْرُ ذٰلِكَ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؟ وَهٰكَذَا يَدُلُّ كُلُّ شَيْءٍ ، وَكُلُّ عُنْصُرٍ ، وَكُلُّ جِرْمٍ مِنَ الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ ، عَلَى الْوَاحِدِ ذِي الْجَلَالِ ، فِي نُقْطَةِ حِشْمَةِ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ فَكَمَا تُشَاهَدُ الْوَاحِدِيَّةُ ، فِي نُقْطَةِ الْجَلَالِ وَالْحِشْمَةِ ؛ تُعْلِنُ النِّعْمَةُ وَالْإِحْسَانُ ، الْأَحَدِيَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ ، فِي نُقْطَةِ الْجَمَالِ وَالرَّحْمَةِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي ذَوِي الْحَيَاةِ ، لَاسِيَّمَا فِي الْإِنْسَانِ ، بَيْنَ تِلْكَ الصَّنْعَةِ الْجَامِعَةِ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ، جِهَازَاتٌ وَآلَاتٌ تَفْهَمُ أَنْوَاعَ نِعَمٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَتَقْبَلُهَا وَتَطْلُبُهَا بِحَيْثُ كَانَ ذَوُو الْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانُ ، مَظْهَراً لِجَلَوَاتِ جَمِيعِ أَسْمَائِهِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي الْكَائِنَاتِ كُلِّهَا ؛

فَكَأَنَّهَا نُقْطَةٌ مِحْرَاقِيَّةٌ تُظْهِرُ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، دَفْعَةً بِمِرْآةِ مَاهِيَّتِهَا ؛ وَتُعْلِنُ بِذٰلِكَ ، الْأَحَدِيَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ . .

﴿ اَلْفِقْرَةُ السَّابِعَةُ ﴾ : (سِكَّتُهُ فِي ذَاكَ ، فِي الْكُلِّ وَالْأَجْزَاءِ ؛ خَاتَمُهُ فِي هٰذَا ، فِي الْجِسْمِ وَالْأَعْضَاءِ) ؛ وَمَآلُهَا : أَنَّ الصَّانِعَ ذَا الْجَلَالِ ، لَهُ سِكَّةٌ كُبْرٰى ، فِي هَيْئَةِ مَجْمُوعِ الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ ؛ كَمَا وَضَعَ فِي كُلِّ أَجْزَائِهِ وَأَنْوَاعِهِ ، سِكَّكَ الْوَحْدَةِ ؛ وَأَنَّهُ طَبَعَ خَوَاتِمَ الْوَحْدَانِيَّةِ ، عَلٰى جِسْمِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ الْعَالَمُ الْأَصْغَرُ ، وَعَلٰى وَجْهِهِ ؛ كَمَا أَنَّ لَهُ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ ، طُرَرَ الْوَحْدَةِ أَيْضاً . نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ الْقَدِيرَ ذَا الْجَلَالِ ، وَضَعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فِي الْكُلِّيَّاتِ وَالْجُزْئِيَّاتِ ، وَفِي الْكَوَاكِبِ وَالذَّرَّاتِ ، سِكَّكَ الْوَحْدَةِ ؛ فَتَشْهَدُ عَلَيْهِ ؛ وَطَبَعَ عَلَيْهَا طُرَرَ الْوَحْدَانِيَّةِ ؛ فَتَدُلُّ عَلَيْهِ . . وَلَقَدْ أُوضِحَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ الْعُظْمٰى ؛ وَأُثْبِتَتْ بِصُورَةٍ قَطْعِيَّةٍ وَمُشْرِقَةٍ لِلْغَايَةِ ، فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ ، وَفِي النَّوَافِذِ الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ مِنَ الْمَكْتُوبِ الثَّالِثِ وَالثَّلَاثِينَ ؛ فَلِذٰلِكَ نُحِيلُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، عَلٰى تِلْكَ الرَّسَائِلِ ؛ وَنَقْطَعُ الْكَلَامَ ؛ وَنَخْتِمُهُ هٰهُنَا . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّ الْكَمَالَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ ، فِي الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا ، هِيَ لِلّٰهِ تَعَالٰى . فَإِذاً إِنَّ الْحَمْدَ أَيْضاً ، عَائِدٌ إِلَيْهِ ؛ وَأَنَّ الْمَدْحَ وَالثَّنَاءَ ، مِمَّنْ صَدَرَا ؛ وَعَلٰى مَنْ وَقَعَا ، عَائِدَانِ إِلَيْهِ تَعَالٰى ؛ لِأَنَّ مَا هُوَ سَبَبُ الْمَدْحِ ، مِنَ النِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ ، وَكُلَّ مَا هُوَ مَدَارُ الْحَمْدِ ، هُوَ لِلّٰهِ تَعَالٰى وَعَائِدٌ إِلَيْهِ . نَعَمْ : إِنَّ مَا يَصْعَدُ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، بِصُورَةٍ دَائِمَةٍ ، مِنْ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ، هِيَ عُبُودِيَّةٌ وَتَسْبِيحٌ ، وَسُجُودٌ وَدُعَاءٌ ، وَحَمْدٌ وَثَنَاءٌ ، تَصْعَدُ دَائِماً إِلٰى ذٰلِكَ الْبَابِ ، بِإِشَارَاتِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ . .

وَنُشِيرُ إِلٰى بُرْهَانٍ أَعْظَمَ يُثْبِتُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ التَّوْحِيدِيَّةَ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّهُ إِذَا نَظَرْنَا إِلٰى هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ تُرٰى عَلٰى شَكْلِ حَدِيقَةٍ ذُهِّبَ سَقْفُهَا بِالنُّجُومِ الْعَالِيَةِ ؛ وَعُمِرَتْ أَرْضُهَا بِمَوْجُودَاتٍ مُزَيَّنَةٍ . فَهٰذِهِ الْأَجْرَامُ الْعُلْوِيَّةُ النُّورَانِيَّةُ الْمُنْتَظِمَةُ ، وَالْمَوْجُودَاتُ السُّفْلِيَّةُ الْحَكِيمَةُ

الْمُزَيَّنَةُ ، فِي هٰذِهِ الْحَدِيقَةِ ، يَقُولُ كُلُّهَا ، كُلٌّ بِلِسَانِهِ الْمَخْصُوصِ : إِنَّنَا مُعْجِزَاتُ قُدْرَةِ قَدِيرٍ ذِي جَلاَلٍ ؛ نَشْهَدُ عَلٰى وَحْدَةِ خَالِقٍ حَكِيمٍ ، وَصَانِعٍ قَدِيرٍ . . وَنَنْظُرُ إِلٰى كُرَةِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ فِي حَدِيقَةِ هٰذَا الْعَالَمِ ؛ فَنَرٰى أَنَّهَا عَلٰى شَكْلِ رَوْضَةٍ بُسِطَتْ فِيهَا مِئَاتُ آلاَفِ طَوَائِفِ النَّبَاتَاتِ الْمُزَيَّنَةِ الْمُزَهَّرَةِ الْمُتَلَوِّنَةِ ؛ وَنُثِرَتْ فِيهَا مِئَاتُ آلاَفٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ ؛ فَجَمِيعُ تِلْكَ النَّبَاتَاتِ الْمُنَقَّشَةِ ، وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُتَزَيِّنَةِ ، فِي رَوْضَةِ الْأَرْضِ هٰذِهِ ، تُعْلِنُ بِصُوَرِهَا الْمُنْتَظِمَةِ ، وَأَشْكَالِهَا الْمَوْزُونَةِ : بِأَنَّنَا مُعْجِزَاتٌ وَخَوَارِقُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعٍ وَاحِدٍ حَكِيمٍ ، وَأَدِلَّاءُ وَشُهَدَاءُ عَلٰى وَحْدَانِيَّتِهِ . .

وَكَذَا نَنْظُرُ إِلٰى رُؤُوسِ الْأَشْجَارِ ، فِي تِلْكَ الرَّوْضَةِ ؛ فَنَرٰى أَثْمَاراً وَأَزْهَاراً فِي صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ ، قَدْ خُلِقَتْ عَلٰى وَجْهٍ مِنَ الْجَمَالِ وَاللَّطَافَةِ ، وَالْكَرَمِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ فَهٰؤُلاَءِ بِرُمَّتِهَا تُعْلِنُ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ : بِأَنَّنَا مُعْجِزَاتُ هَدَايَا رَحْمٰنٍ ذِي جَمَالٍ ، وَخَوَارِقُ إِحْسَانَاتِ رَحِيمٍ ذِي كَمَالٍ . فَمَا فِي حَدِيقَةِ الْكَائِنَاتِ ، مِنَ الْأَجْرَامِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، وَمَا فِي رَوْضَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، وَمَا عَلٰى رُؤُوسِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ ، مِنَ الْأَزْهَارِ وَالثَّمَرَاتِ ، تَشْهَدُ وَتُعْلِنُ وَتَقُولُ بِصَوْتٍ عَالٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ : إِنَّ خَالِقَنَا وَمُصَوِّرَنَا وَمُهْدِيَنَا الْقَدِيرَ ذَا الْجَمَالِ ، وَالْحَكِيمَ بِلاَ مِثَالٍ ، وَالْكَرِيمَ الْكَثِيرَ النَّوَالِ ، قَدِيرٌ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلاَ يَثْقُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ؛ وَلاَ يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ قُدْرَتِهِ شَيْءٌ ؛ وَإِنَّ الذَّرَّاتِ وَالْكَوَاكِبَ مُتَسَاوِيَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَتِهِ ؛ وَالصَّغِيرُ مُصَنَّعٌ بِقَدَرِ الْكَبِيرِ ؛ بَلِ الصَّغِيرُ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبِيرِ صَنْعَةً . . وَإِنَّ الْوَقَائِعَ الَّتِي هِيَ عَجَائِبُ قُدْرَتِهِ ، فِي كُلِّ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ ، تَشْهَدُ عَلٰى أَنَّ ذٰلِكَ الْقَدِيرَ الْمُطْلَقَ ، مُقْتَدِرٌ عَلٰى عَجَائِبِ الْمُمْكِنَاتِ ، فِي كُلِّ الْأَزْمِنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ ؛ فَكَمَا أَنَّ مَنْ أَتٰى بِأَمْسِ ، يَأْتِي بِالْغَدِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ ذٰلِكَ الْقَدِيرَ الَّذِي أَنْشَأَ الْمَاضِي ، يُنْشِئُ الْمُسْتَقْبَلَ أَيْضاً ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الصَّانِعَ الْحَكِيمَ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا ، يَخْلُقُ الْآخِرَةَ أَيْضاً . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ ذٰلِكَ الْقَدِيرَ ذَا الْجَلاَلِ ، هُوَ الْمَعْبُودُ بِالْحَقِّ وَحْدَهُ ؛ فَهُوَ الْمَحْمُودُ بِالْإِطْلاَقِ وَحْدَهُ أَيْضاً ؛ وَكَمَا أَنَّ الْعِبَادَةَ مَخْصُوصَةٌ بِهِ ؛ فَالْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ

خَاصٌّ بِهِ أَيْضاً . .

فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتْرُكَ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ نَتَائِجِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، وَأَكْمَلُ ثَمَرَاتِ الْكَائِنَاتِ ، أَنْ يَتْرُكَهُ سُدًى ؛ وَيُحِيلَهُ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالتَّصَادُفِ ؛ وَيَقْلِبَ حِكْمَتَهُ الْبَاهِرَةَ بِالْعَبَث ؟ حَاشَاهُ ؛ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُنْشِئَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ شَجَرَةً ؛ وَيُدَبِّرَهَا بِغَايَةِ الاِهْتِمَامِ ؛ وَيُرَبِّيَهَا بِغَايَةِ دَرَجَةِ الْحِكْمَةِ ؛ وَلَا يَنْظُرَ إِلٰى ثَمَرَاتِهَا الَّتِي هِيَ غَايَتُهَا وَفَائِدَتُهَا ؛ وَلَا يَهْتَمَّ بِهَا ؛ فَتَتَفَرَّقَ إِلٰى أَيْدٍ لُصُوصٍ ، وَأَمَاكِنَ سُدًى ؛ وَتَضِيعَ ؟ كَلَّا ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَيْهَا ؛ وَلَا يَهْتَمَّ بِهَا ؛ فَإِنَّ الاِهْتِمَامَ بِالشَّجَرَةِ ، لِأَجْلِ ثَمَرَتِهَا . .

هٰذَا ، فَأَكْمَلُ ثَمَرَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَنَتَائِجِهَا وَغَايَاتِهَا ، وَذُو الشُّعُورِ مِنْهَا ، هُوَ الْإِنْسَانُ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَ صَانِعُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْحَكِيمُ ، غَيْرَهُ ، الْحَمْدَ وَالْعِبَادَةَ ، وَالشُّكْرَ وَالْمَحَبَّةَ ، الَّتِي هِيَ ثَمَرَاتُ هٰذِهِ الثَّمَرَاتِ ذَوَاتِ الشُّعُورِ ؛ فَيُنَزِّلَ حِكْمَتَهُ الْبَاهِرَةَ ، إِلٰى دَرَكَةِ الْعَدَمِ ؛ أَوْ يُقَلِّبَ قُدْرَتَهُ الْمُطْلَقَةَ بِالْعَجْزِ ؛ أَوْ يُحَوِّلَ عِلْمَهُ الْمُحِيطَ إِلَى الْجَهْلِ ؟ حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ؛ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ الشُّكْرُ وَالْعِبَادَةُ الَّتِي يُظْهِرُهَا نَوْعُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ ذَوِي الشُّعُورِ ، وَذَوُو الشُّعُورِ الَّذِينَ هُمُ الْمَدَارُ لِلْمَقَاصِدِ الرَّبَّانِيَّةِ ، فِي بِنَاءِ قَصْرِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، إِزَاءَ النِّعَمِ الَّتِي صَارُوا مَظْهَراً لَهَا ، إِلٰى غَيْرِ صَانِعِ ذٰلِكَ الْقَصْرِ ؛ وَأَنْ يَسْمَحَ ذٰلِكَ الصَّانِعُ الْجَلِيلُ ، بِوُصُولِ الشُّكْرِ وَالْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ غَايَةُ الْغَايَاتِ ، إِلٰى غَيْرِهِ ؟ . وَكَذَا هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَبَّبَ ذٰلِكَ الصَّانِعُ إِلٰى ذَوِي الشُّعُورِ ، بِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ أَنْوَاعِ نِعْمَتِهِ ، وَيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ ، بِمَا لَا نِهَايَةَ لَهَا مِنْ مُعْجِزَاتِ صَنْعَتِهِ ؛ ثُمَّ يَتْرُكَ شُكْرَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ ، وَحَمْدَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ ، وَامْتِنَانَهُمْ وَمَعْرِفَتَهُمْ ، لِلْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ؛ وَلَا يَهْتَمَّ بِهَا ؛ وَيُنْكِرَ حِكْمَتَهُ الْمُطْلَقَةَ ؛ وَيُنَزِّلَ سَلْطَنَةَ رُبُوبِيَّتِهِ إِلٰى دَرَكَةِ الْعَدَمِ ؟ كَلَّا ؛ حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ؛ وَهَلْ يُمْكِنُ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُقَ الرَّبِيعَ ؛ وَيُوجِدَ كُلَّ الثَّمَرَاتِ ؛ وَيُنْشِئَ كُلَّ التُّفَّاحَاتِ الْمُتَّحِدَةِ السِّكَّكِ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ،

أَنْ يَخْلُقَ تُفَّاحَةً هِيَ مِثَالٌ مُصَغَّرٌ لَهَا ؛ وَيُطْعِمَهَا أَحَداً نِعْمَةً ؛ وَيَفُوزَ بِشُكْرِهِ ؛ وَيَشْتَرِكَ الْمَحْمُودَ بِالْإِطْلَاقِ ، فِي الْحَمْدِ ؟ حَاشَاهُ ؛ لِأَنَّ مَنْ خَلَقَ تُفَّاحَةً ، فَهُوَ الَّذِي يُوجِدُ كُلَّ تُفَّاحَاتٍ تَرِدُ إِلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا أَيْضاً ؛ فَإِنَّ السِّكَّةَ وَاحِدَةٌ ؛ وَإِنَّ مَنْ أَوْجَدَ التَّفَافِيحَ ، فَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الْحُبُوبَ وَالثَّمَرَاتِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الرِّزْقِ ، فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا ؛ فَإِذاً إِنَّ مَنْ يُعْطِي أَصْغَرَ ذِي حَيَاةٍ ، أَصْغَرَ نِعْمَةٍ ، فَهُوَ خَالِقُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَهُوَ الرَّزَّاقُ الْجَلِيلُ نَفْسُهُ ؛ فَإِذاً إِنَّ الشُّكْرَ وَالْحَمْدَ ، عَائِدٌ إِلَيْهِ نَفْسِهِ ؛ فَإِذاً إِنَّ حَقِيقَةَ الْكَائِنَاتِ ، تَقُولُ دَائِماً بِلِسَانِ الْحَقِّ : (لَهُ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ) . .

﴿اَلْكَلِمَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ ﴿يُحْيِي﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّهُ وَحْدَهُ ، هُوَ الَّذِي يُعْطِي الْحَيَاةَ ؛ فَإِذاً إِنَّ خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ ، هُوَ وَحْدَهُ أَيْضاً ؛ لِأَنَّ رُوحَ الْكَائِنَاتِ ، وَنُورَهَا وَخَمِيرَتَهَا ، وَأَسَاسَهَا وَنَتِيجَتَهَا وَخُلَاصَتَهَا ، هِيَ الْحَيَاةُ ؛ فَمَنْ أَعْطَى الْحَيَاةَ ؛ فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ الْكَائِنَاتِ ؛ وَهُوَ الْمُحْيِي وَالْحَيُّ الْقَيُّومُ . .

فَنُشِيرُ إِلَى بُرْهَانٍ أَعْظَمَ ، لِهٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ ، عَلَى هٰذَا الْوَجْهِ ؛ وَهُوَ : أَنَّنَا نَرَى جَيْشَ ذَوِي الْحَيَاةِ الْمُحْتَشِمَ غَايَةَ الِاحْتِشَامِ ، قَدْ أُسِّسَتْ خِيَامُهُمْ فِي صَحْرَاءِ وَجْهِ الْأَرْضِ . نَعَمْ : نَرَى فِي كُلِّ فَصْلِ رَبِيعٍ ، جَيْشاً جَدِيداً ، مِنْ جُيُوشِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، قَدْ ظَهَرَ فِي الْمَيْدَانِ وَارِداً عَنِ الْغَيْبِ ؛ وَسُحِبَ تَحْتَ السِّلَاحِ عَنْ جَدِيدٍ ؛ وَنَنْظُرُ إِلَى هٰذَا الْجَيْشِ ؛ فَنَرَى أَقْوَاماً مُخْتَلِفَةً مُتَنَوِّعَةً ، أَكْثَرَ مِنْ مِئَتَيْ أَلْفِ طَائِفَةٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ ، وَأَزْيَدَ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ مِلَّةٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ . فَمَنْ لَهُ عَيْنٌ ، يَرَى بِالْمُشَاهَدَةِ ، وَمَنْ لَهُ قَلْبٌ ، يُصَدِّقُ بِعَيْنِ الْيَقِينِ : أَنَّ قَائِداً أَعْظَمَ ، لَا يَنْسَى أَحَداً مِنْهُمْ ؛ وَلَا يَلْتَبِسُهُمْ وَلَا يَخْتَلِطُهُمْ وَلَا يُؤَخِّرُ مُدَّتَهُمْ ؛ وَيُعْطِي جَمِيعَ أُولَائِكَ الْمِلَلِ وَالطَّوَائِفِ الْمُخْتَلِفَةِ الزَّائِدَةِ عَنْ ثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ ، أَرْزَاقَهُمْ وَثِيَابَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمُ الْمُخْتَلِفَةَ ، فِي وَقْتِهَا الْمُقَدَّرِ ، بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ، وَتَمَامِ الْمِيزَانِ ؛ وَيُدَرِّبُهُمْ تَدْرِيبَاتٍ مُخْتَلِفَةً ؛ وَيُسَرِّحُهُمْ تَسْرِيحَاتٍ مُتَبَايِنَةً ، بِمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَبِمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ ، وَبِرَحْمَتِهِ الَّتِي لَا تَنْفَدُ ، وَمِنْ خَزِينَتِهِ الَّتِي لَا

تَفْنٰى ؛ مَعَ أَنَّ كُلَّ مِلَّةٍ وَطَائِفَةٍ ، ثِيَابُهَا وَأَرْزَاقُهَا مُخْتَلِفَةٌ ؛ وَتَدْرِيبَاتُهَا وَتَسْرِيحَاتُهَا مُتَفَاوِتَةٌ ؛ وَأَسْلِحَتُهَا وَأَوْقَاتُ تَجَنُّدِهَا مُتَبَايِنَةٌ ؛ كَمَا أُوضِحَ وَأُثْبِتَ فِي مَقَالَةٍ أُخْرٰى . .

فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَدَخَّلَ أَحَدٌ فِي هٰذَا الْإِحْيَاءِ وَالْإِدَارَةِ ، وَفِي هٰذِهِ التَّرْبِيَةِ وَالْإِعَاشَةِ ، غَيْرُ صَاحِبِ عِلْمٍ مُحِيطٍ يُحِيطُ بِذٰلِكَ الْجَيْشِ مَعَ شُؤُونِهِ ، وَصَاحِبِ قُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ تُدِيرُ ذٰلِكَ الْجَيْشَ بِجَمِيعِ لَوَازِمِهِ ؛ وَأَنْ يُخَالِطَهَا وَيَكُونَ لَهُ حِصَّةٌ فِيهَا غَيْرُهُ ؟ حَاشَاهُ مِئَاتِ أَلْفِ مَرَّةٍ . وَمِنَ الْمَعْلُومِ : أَنَّهُ إِذَا وُجِدَتْ فِي كَتِيبَةٍ ، عَشْرُ مِلَلٍ ، يَعْسُرُ تَجْهِيزُهَا مُخْتَلِفَةً ، بِقَدَرِ عَشْرِ كَتَائِبَ ؛ فَلِذٰلِكَ اضْطُرَّ النَّاسُ الْعَجَزَةُ ، إِلَى التَّجْهِيزِ عَلٰى نَمَطٍ وَاحِدٍ ، بِالضَّرُورَةِ ؛ مَعَ أَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ يُجَهِّزُ مِلَلاً تَزِيدُ عَلٰى ثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ ، فِي جَيْشِهِ الْمُحْتَشِمِ هٰذَا ، أَجْهِزَةً حَيَوِيَّةً مُخْتَلِفَةً ؛ وَيُعْطِيهَا تِلْكَ الْأَجْهِزَةَ بِانْتِظَامٍ وَحِكْمَةٍ ، بِشَكْلٍ هَيِّنٍ ، وَبِوَجْهٍ سَهْلٍ ، بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا إِشْكَالٍ ؛ وَيُنْطِقُ ذٰلِكَ الْجَيْشَ الْعَظِيمَ ، بِلِسَانٍ وَاحِدٍ ، بِقَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾ ؛ وَيُقْرِئُ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ الْعُظْمٰى ، فِي مَسْجِدِ الْكَائِنَاتِ ، قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿اَللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ إِلٰى آخِرِهِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ السَّابِعَةُ :﴾ ﴿وَيُمِيتُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّهُ الَّذِي يُعْطِي الْمَوْتَ ؛ يَعْنِي : كَمَا أَنَّهُ يُعْطِي الْحَيَاةَ ؛ فَهُوَ الَّذِي يَقْبِضُ الْحَيَاةَ ؛ وَيُعْطِي الْمَوْتَ أَيْضاً . نَعَمْ : إِنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ تَمْزِيقاً وَانْطِفَاءً ؛ فَيُسْنَدَ إِلَى الْأَسْبَابِ ؛ وَيُحَالَ عَلَى الطَّبِيعَةِ ؛ بَلْ كَمَا أَنَّ بَذْراً ، يَمُوتُ فَيَنْفَسِدُ ظَاهِراً ؛ وَلٰكِنْ يَمْضِي بَاطِناً ، إِلٰى تَخْمِيرِ سُنْبُلَةٍ ، وَإِلٰى حَيَاتِهَا ؛ يَعْنِي : يَمْضِي مِنْ حَيَاةِ الْبَذْرِ الْجُزْئِيَّةِ ، إِلٰى حَيَاةِ السُّنْبُلِ الْكُلِّيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ يُرَى الْمَوْتُ فِي الظَّاهِرِ ، انْحِلَالاً وَانْطِفَاءً ؛ مَعَ أَنَّهُ يَصِيرُ فِي الْحَقِيقَةِ ، مَبْدَأً وَمُقَدِّمَةً وَعُنْوَاناً لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، لِلْإِنْسَانِ . فَإِذاً إِنَّ الْقَدِيرَ الْمُطْلَقَ الَّذِي يُعْطِي الْحَيَاةَ وَيُدَبِّرُهَا ، هُوَ الَّذِي يُوجِدُ الْمَوْتَ أَيْضاً بِلَا شَكٍّ . .

وَنُشِيرُ إِلٰى بُرْهَانٍ أَعْظَمَ ، لِمَرْتَبَةِ التَّوْحِيدِ الْعُظْمٰى ، فِي هٰذِهِ الْكَلِمَةِ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ : وَهُوَ أَنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ، سَيَّالَةٌ بِالْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ سَيَّارَةٌ بِالْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ ؛ وَهٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ ، تَجْرِي مُتَمَادِياً ، فِي نَهَرِ الزَّمَانِ ؛ وَتُرْسَلُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ وَيُلْبَسُ عَلَيْهَا

الْوُجُودُ الظَّاهِرِيُّ ، فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ ثُمَّ تُمْطَرُ وَتُنْزَلُ إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ مُنْتَظِماً ، بِالْإِذْنِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَتَرِدُ مُتَمَادِياً عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَتَمُرُّ بِالْحَالِ ؛ وَتَتَنَفَّسُ فِيهِ ؛ وَتَنْصَبُّ فِي الْمَاضِي ، بِالْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ ؛ فَيُؤَدّٰى سَيَلَانُ هٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ هٰذَا ، فِي دَائِرَةِ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ ، بِأُسْلُوبٍ حَكِيمٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَسَيَرَانُهَا هٰذَا ، فِي دَائِرَةِ الْحِكْمَةِ وَالِانْتِظَامِ ، بِأُسْلُوبٍ عَلِيمٍ لِلْغَايَةِ ، وَجَرَيَانُهَا هٰذَا ، فِي دَائِرَةِ الشَّفَقَةِ وَالْمِيزَانِ ، بِوَجْهٍ رَحِيمٍ ، بِحِكَمٍ وَمَصَالِحَ ، وَغَايَاتٍ وَنَتَائِجَ ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا . فَإِذاً إِنَّ قَدِيراً ذَا جَلَالٍ ، وَحَكِيماً ذَا كَمَالٍ ، يُحْيِي بِقُدْرَتِهِ مُتَمَادِياً ، طَوَائِفَ الْمَوْجُودَاتِ ، وَمَا يُوجَدُ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ ، وَمَا يَتَشَكَّلُ مِنْ تِلْكَ الطَّوَائِفِ مِنَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُوَظِّفُهَا ؛ ثُمَّ يُسَرِّحُهَا بِالْحِكْمَةِ ؛ وَيَجْعَلُهَا مَظْهَراً لِلْمَوْتِ ؛ وَيُرْسِلُهَا إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ وَيُحَوِّلُهَا مِنْ دَائِرَةِ الْقُدْرَةِ إِلٰى دَائِرَةِ الْعِلْمِ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي النَّافِذَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمَكْتُوبِ الثَّالِثِ وَالثَّلَاثِينَ . . فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُقْتَدِراً عَلٰى تَحْوِيلِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، بِهَيْئَتِهَا الْمَجْمُوعَةِ ؛ وَلَمْ يَنْفُذْ حُكْمُهُ فِي كُلِّ الْأَزْمِنَةِ ؛ وَلَمْ تَكْفِ قُدْرَتُهُ لِإِحْيَاءِ الْعَوَالِمِ وَإِمَاتَتِهَا ، كَفَرْدٍ وَاحِدٍ ؛ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحْيِيَ الرِّبَاعَ ؛ وَيُعَلِّقَهَا بِوَجْهِ الْأَرْضِ ، كَزَهْرَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ ثُمَّ يَجُزَّهَا عَنْهُ بِالْمَوْتِ ، هَلْ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَمْلِكَ الْمَوْتَ وَالْإِمَاتَةَ ؟ نَعَمْ : مِنَ الضَّرُورِيِّ : أَنْ يَكُونَ مَوْتُ أَصْغَرِ حَيٍّ ، كَحَيَاتِهِ ، بِقَانُونِ رَبٍّ ذِي جَلَالٍ ، بِيَدِهِ كُلُّ حَقَائِقِ الْحَيَاةِ ، وَأَنْوَاعِ الْمَمَاتِ ، وَبِإِذْنِهِ وَأَمْرِهِ ، وَبِقُوَّتِهِ وَعِلْمِهِ . .

اَلْكَلِمَةُ الثَّامِنَةُ : ﴿وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّ حَيَاتَهُ دَائِمَةٌ ، أَزَلِيَّةٌ وَأَبَدِيَّةٌ ، لَا يَعْرِضُ عَلَيْهَا الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ ، وَالْعَدَمُ وَالزَّوَالُ ؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ ذَاتِيَّةٌ لَهُ ؛ وَالْأَمْرُ الذَّاتِيُّ لَا يَزُولُ . نَعَمْ : إِنَّ الْأَزَلِيَّ أَبَدِيٌّ قَطْعاً ؛ وَالْقَدِيمَ بَاقٍ بَتَاتاً ؛ وَالْوَاجِبَ الْوُجُودِ سَرْمَدِيٌّ أَلْبَتَّةَ . نَعَمْ : إِنَّ حَيَاةً يَكُونُ كُلُّ الْوُجُودِ ، بِكُلِّ أَنْوَارِهِ ، ظِلَّهَا ، كَيْفَ يَعْرِضُ عَلَيْهَا الْعَدَمُ ؟ . نَعَمْ : إِنَّ حَيَاةً يَكُونُ الْوُجُودُ الْوَاجِبُ ، لَازِمَهَا وَعُنْوَانَهَا ، لَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهَا الْعَدَمُ وَالْفَنَاءُ قَطْعاً ، بِأَيِّ جِهَةٍ . نَعَمْ : إِنَّ حَيَاةً يَظْهَرُ بِجِلْوَتِهَا ، كُلُّ أَنْوَاعِ الْحَيَاةِ مُتَمَادِياً ؛ وَيَسْتَنِدُ إِلَيْهَا كُلُّ الْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ مِنَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَقُومُ بِهَا دَائِماً ، لَنْ يَعْرِضَ

عَلَيْهَا الْفَنَاءُ وَالزَّوَالُ قَطْعاً، بِأَيِّ وَجْهٍ. نَعَمْ: إِنَّ حَيَاةً يُورِثُ لَمْعَةٌ مِنْ جِلْوَتِهَا، وَحْدَةً لِأَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ مَعْرُوضَةٍ لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ؛ فَتَجْعَلُهَا مَظْهَراً لِلْبَقَاءِ؛ وَتُنْقِذُهَا عَنِ التَّمَزُّقِ؛ وَتَحْفَظُ وُجُودَهَا؛ وَتَجْعَلُهَا مَظْهَراً لِنَوْعِ بَقَاءٍ؛ يَعْنِي: أَنَّ الْحَيَاةَ تُورِثُ وَحْدَةً لِكَثْرَةٍ؛ وَتُبْقِيهَا؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ الْحَيَاةُ؛ تُمَزَّقُ الْكَثْرَةُ؛ وَتَذْهَبُ إِلَى الْفَنَاءِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ تِلْكَ الْحَيَاةَ الْوَاجِبَةَ الَّتِي تَكُونُ أَمْثَالُ تِلْكَ اللَّمَعَاتِ الْحَيَوِيَّةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، جِلْوَةً وَاحِدَةً لَهَا، لَا يَقْتَرِبُ مِنْهَا الزَّوَالُ وَالْفَنَاءُ. وَالشَّاهِدُ الْقَاطِعُ لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ، هُوَ زَوَالُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَفَنَاؤُهَا؛ يَعْنِي: أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ، كَمَا تَدُلُّ وَتَشْهَدُ بِوُجُودِهَا وَحَيَاتِهَا، عَلٰى حَيَاةِ ذٰلِكَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَعَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ تِلْكَ الْحَيَاةِ[١]؛ كَذٰلِكَ تَدُلُّ وَتَشْهَدُ بِمَوْتِهَا وَزَوَالِهَا، عَلٰى بَقَاءِ تِلْكَ الْحَيَاةِ وَسَرْمَدِيَّتِهَا؛ لِأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ، بَعْدَمَا تَذْهَبُ إِلَى الْعَدَمِ؛ تَأْتِي أَمْثَالُهَا إِلٰى مَكَانِهَا؛ فَتَصِيرُ مَظْهَراً لِلْحَيَاةِ مِثْلَهَا أَيْضاً؛ فَلِذٰلِكَ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ يُوجَدُ حَيٌّ دَائِمٌ، يُجَدِّدُ جَلَوَاتِ الْحَيَاةِ دَائِماً. فَكَمَا أَنَّ الْحُبَابَاتِ عَلٰى وَجْهِ نَهَرٍ جَارٍ إِزَاءَ الشَّمْسِ، تَتَلَأْلَأُ وَتَذْهَبُ؛ وَأَنَّ الْحُبَابَاتِ الْآتِيَةَ، تُظْهِرُ عَيْنَ التَّلَأْلُؤِ؛ فَتَتَلَأْلَأُ طَائِفَةٌ وَرَاءَ طَائِفَةٍ؛ وَتَنْطَفِئُ وَتَذْهَبُ؛ فَتَدُلُّ بِكَيْفِيَّةِ هٰذَا الِانْطِفَاءِ وَالتَّلَأْلُؤِ، عَلٰى دَوَامِ شَمْسٍ دَائِمَةٍ عَالِيَةٍ؛ كَذٰلِكَ يَشْهَدُ تَبَدُّلُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَمُنَاوَبَتُهُمَا فِي هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ السَّيَّارَةِ، عَلٰى بَقَاءِ حَيٍّ بَاقٍ وَعَلٰى دَوَامِهِ.. نَعَمْ: إِنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ مَرَايَا؛ وَلٰكِنْ كَمَا أَنَّ الظُّلْمَةَ تَكُونُ مِرْآةً لِلنُّورِ؛ وَكَمَا أَنَّ الظُّلْمَةَ مَهْمَا كَانَتْ شَدِيدَةً، تُظْهِرُ إِشْرَاقَ النُّورِ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ؛ كَذٰلِكَ تَصِيرُ الْمَوْجُودَاتُ، مَرَايَا فِي جِهَةِ الضِّدِّيَّةِ، بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ. فَمَثَلاً: كَمَا أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ تَصِيرُ بِعَجْزِهَا، مِرْآةً لِقُدْرَةِ الصَّانِعِ؛ وَبِفَقْرِهَا مِرْآةً لِغِنَاهُ؛ كَذٰلِكَ تَصِيرُ بِفَنَائِهَا، مِرْآةً

---

(١) إِنَّ انْتِقَالَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي الْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، إِلٰى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا، إِزَاءَ نُمْرُوذَ، هُوَ انْتِقَالٌ وَتَرَقٍّ مِنَ الْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ الْجُزْئِيَّيْنِ، إِلَى الْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ الْكُلِّيَّيْنِ، وَإِظْهَارٌ لِأَوْسَعِ دَائِرَةِ ذٰلِكَ الدَّلِيلِ، وَأَشْرَقِهَا. وَإِلَّا فَلَيْسَ تَرْكاً لِلدَّلِيلِ الْخَفِيِّ، وَتَرَقِّياً إِلَى الدَّلِيلِ الظَّاهِرِ؛ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)..

لِبَقَائِهِ . نَعَمْ : إِنَّ فَقْرَ سَطْحِ الْأَرْضِ ، وَالْأَشْجَارِ الَّتِي عَلَيْهِ ، فِي الشِّتَاءِ ، وَثَرْوَتَهُمَا وَغِنَاهُمَا الْمُشْرِقَ ، فِي الرَّبِيعِ ، يَصِيرَانِ مِرْآةً لِقُدْرَةِ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، وَلِرَحْمَةِ غَنِيٍّ عَلَى الْإِطْلَاقِ . نَعَمْ : إِنَّ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا ، كَأَنَّهَا تُنَاجِي كَـ«أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ» ؛ وَتَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ : (يَا إِلٰهَنَا أَنْتَ رَبُّنَا ، لِأَنَّنَا عَبِيدٌ وَعَاجِزُونَ عَنْ تَرْبِيَةِ أَنْفُسِنَا ؛ فَإِذاً أَنْتَ الَّذِي يُرَبِّينَا ؛ وَأَنْتَ الْخَالِقُ ؛ لِأَنَّنَا مَخْلُوقُونَ ؛ وَنَحْنُ نُخْلَقُ ؛ وَأَنْتَ الرَّزَّاقُ ؛ لِأَنَّنَا مُحْتَاجُونَ إِلَى الرِّزْقِ ؛ وَلَا تَنَالُهُ أَيْدِينَا ؛ فَإِذاً أَنْتَ الَّذِي يَخْلُقُنَا وَيَرْزُقُنَا ؛ وَأَنْتَ الْمَالِكُ ؛ لِأَنَّنَا مَمْلُوكُونَ ، يَتَصَرَّفُ فِينَا غَيْرُنَا ؛ فَإِذاً أَنْتَ مَالِكُنَا ؛ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ صَاحِبُ الْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ ؛ وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى ذِلَّتِنَا ؛ نَرَى عَلَيْنَا جَلَوَاتِ عِزَّةٍ ؛ فَإِذاً نَحْنُ مَرَايَا عِزَّتِكَ ؛ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ الْمُطْلَقُ ؛ لِأَنَّنَا فُقَرَاءُ يُعْطَى لِيَدِ فَقْرِنَا غِنًى لَا تَنَالُهُ ؛ فَإِذاً أَنْتَ الْغَنِيُّ ؛ وَأَنْتَ الْمُعْطِي ؛ وَأَنْتَ الْحَيُّ الْبَاقِي ؛ لِأَنَّنَا نَمُوتُ ؛ وَنَرَى فِي مَوْتِنَا وَحَيَاتِنَا ، جَلَوَاتِ مُحْيٍ دَائِمٍ ؛ وَأَنْتَ الْبَاقِي ؛ لِأَنَّنَا نَرَى دَوَامَكَ وَبَقَاءَكَ ، فِي فَنَائِنَا وَزَوَالِنَا ؛ وَأَنْتَ الْمُجِيبُ وَالْمُعْطِي ؛ لِأَنَّنَا نَحْنُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ نُنَادِي وَنَطْلُبُ ؛ وَنَتَضَرَّعُ وَنَبْتَهِلُ دَائِماً ، بِأَلْسِنَتِنَا الْقَالِيَّةِ وَالْحَالِيَّةِ ؛ فَتُنْجَزُ مَطَالِبُنَا ؛ وَتُعْطَى مَقَاصِدُنَا ؛ فَإِذاً أَنْتَ الْمُجِيبُ) ؛ وَهٰكَذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، كُلِّيّاً وَجُزْئِيّاً ، كَـ«أُوَيْسٍ قَرَنِيٍّ» ، لَهُ مَظْهَرِيَّةٌ فِي صُورَةِ مُنَاجَاةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ؛ وَأَنَّهَا تُعْلِنُ الْقُدْرَةَ الْإِلٰهِيَّةَ ، وَالْكَمَالَ الرَّبَّانِيَّ ، بِعَجْزِهَا وَفَقْرِهَا وَقُصُورِهَا . .

اَلْكَلِمَةُ التَّاسِعَةُ : ﴿بِيَدِهِ الْخَيْرُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ بِيَدِهِ ؛ وَجَمِيعَ الْحَسَنَاتِ فِي دَفْتَرِهِ ؛ وَجَمِيعَ الْإِحْسَانَاتِ فِي خَزِينَتِهِ . فَإِذاً مَنْ يُرِيدُ الْخَيْرَ ؛ فَلْيَطْلُبْ مِنْهُ ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْحَسَنَةَ ؛ فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ . .

وَنُشِيرُ إِلَى أَمَارَاتٍ دَلِيلٍ وَاسِعٍ ، وَإِلَى لَمَعَاتِهِ ، مِنْ دَلَائِلِ الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَذٰلِكَ لِإِظْهَارِ حَقِيقَةِ هٰذِهِ الْكَلِمَةِ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ؛ وَنَقُولُ : إِنَّ لِلصَّانِعِ الْمُوجِدِ الْمُتَصَرِّفِ بِالْأَفْعَالِ الْمَشْهُودَةِ فِي الْكَائِنَاتِ ، عِلْماً مُحِيطاً ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْعِلْمَ خَاصَّةٌ لَازِمَةٌ ضَرُورِيَّةٌ لِذَاتِهِ ؛ يَسْتَحِيلُ انْفِكَاكُهُ ؛ فَكَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ ذَاتُ الشَّمْسِ ؛ وَلَا يُوجَدَ

ضِيَاؤُهَا ؛ كَذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ بِآلَافِ دَرَجَةٍ زَائِدَةٍ عَنْ ذٰلِكَ ، أَنْ يَنْفَكَّ عِلْمُ مُوجِدِ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْمُنْتَظِمَةِ ، عَنْهُ ؛ وَكَمَا أَنَّ هٰذَا الْعِلْمَ الْمُحِيطَ ، لَازِمٌ لِذٰلِكَ الذَّاتِ ؛ كَذٰلِكَ لَازِمٌ لِكُلِّ شَيْءٍ أَيْضاً ، بِجِهَةِ التَّعَلُّقِ ؛ يَعْنِي : لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْهُ شَيْءٌ مَّا ؛ فَكَمَا لَا يُمْكِنُ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ الْمُقَابِلَةِ لِلشَّمْسِ بِدُونِ حِجَابٍ ، أَنْ لَا تَرَاهَا الشَّمْسُ ؛ كَذٰلِكَ يَسْتَحِيلُ وَلَا يُمْكِنُ بِأَلْفِ دَرَجَةٍ ، أَنْ تَخْتَفِيَ الْأَشْيَاءُ الْمُقَابِلَةُ لِنُورِ عِلْمِ ذٰلِكَ الْعَلِيمِ ذِي الْجَلَالِ ، عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ الْحُضُورُ ؛ يَعْنِي : أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مُقَابِلٌ لَهُ فِي دَائِرَةِ نَظَرِهِ ، وَفِي دَائِرَةِ شُهُودِهِ ؛ وَلَهُ نُفُوذٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ . فَهٰذِهِ الشَّمْسُ الْجَامِدَةُ ، وَهٰذَا الْإِنْسَانُ الْعَاجِزُ ، وَشُعَاعُ هٰذَا الْجِهَازِ الْإِلِكْتِرُونِيِّ ، الَّذِي لَا شُعُورَ لَهُ ، وَأَمْثَالُهَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَنْوَارِ ، إِذَا رَأَتْ أَنْوَارُهَا ، كُلَّ مَا فِي مُقَابِلَتِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ ؛ وَنَفَذَتْ فِيهَا ؛ مَعَ أَنَّهَا حَادِثَةٌ نَاقِصَةٌ عَارِضَةٌ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَخْتَفِي شَيْءٌ مَّا ، عَنْ نُورِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ الذَّاتِيِّ ، الْمُحِيطِ الْوَاجِبِ ؛ وَلَا يَبْقٰى خَارِجاً عَنْهُ قَطْعاً ؛ وَلِلْكَائِنَاتِ عَلَامَاتٌ وَآيَاتٌ لَا يَحْصُرُهَا الْحَدُّ وَالْحِسَابُ ، تُشِيرُ إِلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ جَمِيعَ الْحِكَمِ الْمَشْهُودَةِ فِي كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ، تُشِيرُ إِلٰى ذٰلِكَ الْعِلْمِ ؛ لِأَنَّ مَنْ يُؤَدِّي الْعَمَلَ ، عَلٰى وَجْهِ الْعِنَايَةِ وَاللُّطْفِ ؛ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَعْلَمُ وَيَصْنَعُ عَلٰى عِلْمٍ . .

وَكَذَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ الْمُنْتَظِمَةِ فِي مِيزَانٍ ، وَكُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ جَمِيعِ الْهَيْئَاتِ الْمَقِيسَةِ الْمَوْزُونَةِ فِي انْتِظَامٍ ، يُشِيرُ أَيْضاً إِلٰى ذٰلِكَ الْعِلْمِ الْمُحِيطِ ؛ لِأَنَّ أَدَاءَ الْعَمَلِ بِانْتِظَامٍ ، يَكُونُ بِالْعِلْمِ ؛ وَمَنْ يَصْنَعُ عَلٰى وَجْهِ الْحَذَاقَةِ ، بِالْمِقْيَاسِ وَالْمِيزَانِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَصْنَعُ مُسْتَنِداً إِلٰى عِلْمٍ قَوِيٍّ . .

وَكَذَا أَنَّ الْمَقَادِيرَ الْمُنْتَظِمَةَ الْمَشْهُودَةَ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَالْأَشْكَالَ الَّتِي قُصَّتْ حَسَبَ الْحِكَمِ وَالْمَصَالِحِ ، وَالْأَوْضَاعَ وَالْهَيْئَاتِ الْمُثْمِرَةَ الَّتِي كَأَنَّهَا نُظِّمَتْ بِدُسْتُورِ الْقَضَاءِ ، وَمِقْيَاسِ الْقَدَرِ ، تَدُلُّ عَلٰى عِلْمٍ مُحِيطٍ . **نَعَمْ : إِنَّ تَصْوِيرَ الْأَشْيَاءِ بِصُوَرٍ مُنْتَظِمَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَتَشْكِيلَ كُلِّ شَيْءٍ بِشَكْلٍ مَخْصُوصٍ بِهِ ، وَلَائِقٍ بِوُجُودِهِ وَبِمَصَالِحِ حَيَاتِهِ ، إِنَّمَا**

يَكُونُ بِعِلْمٍ مُحِيطٍ ؛ وَلاَ تَكُونُ بِصُورَةٍ أُخْرٰى . .

وَكَذَا أَنَّ إِعْطَاءَ الرِّزْقِ ، لِذَوِي الْحَيَاةِ ، مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ، فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ، بِوَجْهٍ لاَئِقٍ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا يَكُونُ بِعِلْمٍ مُحِيطٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ يَرْزُقُ ، لاَ بُدَّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الرِّزْقِ ؛ وَيَعْرِفَهُمْ وَيَعْلَمَ وَقْتَ الرِّزْقِ ؛ وَيُدْرِكَ احْتِيَاجَهُمْ ؛ ثُمَّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْزُقَهُمْ بِوَجْهٍ مُنَاسِبٍ . .

وَكَذَا أَنَّ مَوْتَ جَمِيعِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، وَآجَالَهَا الْمَعْقُودَةَ بِقَانُونٍ مِنَ التَّعَيُّنِ ، تَحْتَ عُنْوَانِ الْإِبْهَامِ ، تَدُلُّ عَلٰى عِلْمٍ مُحِيطٍ ؛ لِأَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يُشَاهَدْ ظَاهِراً ، وَقْتٌ مُعَيَّنٌ لِآجَالِ أَفْرَادِهَا ؛ إِلَّا أَنَّ أَجَلَ تِلْكَ الطَّائِفَةِ ، مُعَيَّنٌ فِي زَمَنٍ مَحْدُودٍ بَيْنَ حَدَّيْنِ . فَحِفْظُ نَتِيجَةِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ، وَثَمَرَتِهِ وَنَوَاتِهِ الَّتِي تُدِيمُ وَظِيفَتَهُ وَرَاءَهُ ، حِينَ ذٰلِكَ الْأَجَلِ ، وَتَحْوِيلُهَا إِلَى حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ ، يَدُلُّ عَلٰى ذٰلِكَ الْعِلْمِ الْمُحِيطِ أَيْضاً . .

وَكَذَا أَنَّ تَلْطِيفَ الرَّحْمَةِ ، بِصُورَةٍ شَامِلَةٍ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَلاَئِقَةٍ بِكُلِّ مَوْجُودٍ ، يَدُلُّ عَلٰى عِلْمٍ مُحِيطٍ ، فِي رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ يُعِيشُ أَطْفَالَ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ بِاللَّبَنِ ؛ وَيُغِيثُ نَبَاتَ الْأَرْضِ الْمُحْتَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ ، بِالْمَطَرِ مَثَلاً ؛ فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ يَعْرِفُ الْأَطْفَالَ ؛ وَيَعْلَمُ احْتِيَاجَهَا ؛ وَيَرٰى تِلْكَ النَّبَاتَاتِ ؛ وَيُدْرِكُ لُزُومَ الْمَطَرِ لَهَا ؛ ثُمَّ يُرْسِلُهُ ؛ وَهٰكَذَا يَدُلُّ مَا لاَ حَدَّ لَهَا مِنْ جَلَوَاتِ رَحْمَتِهِ الْحَكِيمَةِ الْكَرِيمَةِ ، عَلٰى عِلْمٍ مُحِيطٍ . .

وَكَذَا أَنَّ كَمَالَ السُّهُولَةِ ، فِي إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ وَإِبْدَاعِهَا ، يَدُلُّ عَلٰى عِلْمٍ أَكْمَلَ ؛ لِأَنَّ السُّهُولَةَ فِي أَمْرٍ وَوَضْعٍ ، مُتَنَاسِبَةٌ مَعَ دَرَجَةِ الْعِلْمِ وَالْمَهَارَةِ . فَمَهْمَا زَادَ عِلْمُهُ ؛ يَصْنَعُ سَهْلاً بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، نَنْظُرُ إِلَى الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي كُلٌّ مِنْهَا مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ الصَّنْعَةِ ؛ فَنَرٰى أَنَّهَا تُخْلَقُ بِدَرَجَةٍ مُحَيِّرَةٍ ، مِنَ السُّهُولَةِ بِدُونِ كُلْفَةٍ وَلاَ إِشْكَالٍ ، فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ ؛ وَلٰكِنْ بِصُورَةٍ مُعْجِزَةٍ . فَإِذاً إِنَّهُ يُوجَدُ عِلْمٌ ؛ فَلِذٰلِكَ تُخْلَقُ الْمَوْجُودَاتُ ، بِسُهُولَةٍ لاَ حَدَّ لَهَا . .

وَهٰكَذَا تُوجَدُ آلاَفُ عَلاَمَةٍ صَادِقَةٍ ، كَالْأَمَارَاتِ الْمَذْكُورَةِ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ لِمُتَصَرِّفِ

هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، عِلْماً مُحِيطاً ؛ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ، بِكُلِّ شُؤُونِهِ ؛ ثُمَّ يَصْنَعُهُ . فَإِذَا كَانَ لِصَاحِبِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، عِلْمٌ عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَرَى النَّاسَ وَأَعْمَالَهُمْ ؛ وَيَعْلَمُ مَا يَلِيقُ بِهِ الْإِنْسَانُ وَيَسْتَحِقُّهُ ؛ وَيُعَامِلُهُمْ بِمُقْتَضَى الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ؛ وَسَوْفَ يُعَامِلُهُمْ بِمُقْتَضَاهُمَا . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! تَعَقَّلْ وَتَأَمَّلْ : أَنَّهُ مَنْ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ بِكَ ؛ وَيَنْظُرُ إِلَيْكَ ؛ فَاعْلَمْ وَانْتَبِهْ . .

فَإِنْ قِيلَ : لَا يَكْفِي الْعِلْمُ وَحْدَهُ . وَالْإِرَادَةُ لَازِمَةٌ أَيْضاً ؛ وَلَوْلَا الْإِرَادَةُ لَا يَكْفِي الْعِلْمُ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا ، كَمَا تَدُلُّ وَتَشْهَدُ عَلٰى عِلْمٍ مُحِيطٍ ؛ كَذٰلِكَ تَدُلُّ عَلٰى إِرَادَةِ صَاحِبِ ذٰلِكَ الْعِلْمِ الْمُحِيطِ ، إِرَادَةٍ كُلِّيَّةٍ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ إِعْطَاءَ تَشَخُّصٍ مُنْتَظِمٍ لِلْغَايَةِ ، لِكُلِّ شَيْءٍ ، لَاسِيَّمَا لِكُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، بِاحْتِمَالٍ مُعَيَّنٍ بَيْنَ احْتِمَالَاتٍ مُشَوَّشَةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، وَبِطَرِيقٍ مُنْتِجٍ بَيْنَ طُرُقٍ عَقِيمَةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ؛ وَقَدْ كَانَ مُتَرَدِّداً بَيْنَ إِمْكَانَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، يَدُلُّ عَلٰى إِرَادَةٍ كُلِّيَّةٍ ، بِجِهَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ لِأَنَّ مَا يُعْطَى لِكُلِّ شَيْءٍ ، مِنَ الشَّكْلِ الْمَوْزُونِ ، وَالتَّشَخُّصِ الْمُنْتَظِمِ ، بِمِقْيَاسٍ حَسَّاسٍ ، وَمِيزَانٍ لَطِيفٍ لِلْغَايَةِ ، وَبِانْتِظَامٍ دَقِيقٍ ، وَنِظَامٍ رَقِيقٍ ، لِحَدِّ الْغَايَةِ ، مِنْ عَنَاصِرَ جَامِدَةٍ جَارِيَةٍ بِلَا مِيزَانٍ كَالسَّيْلِ ، مُخْتَلِطَةٍ وَمُتَنَاسِقَةٍ ، وَفِي طُرُقٍ عَقِيمَةٍ غَيْرِ مُثْمِرَةٍ ، بَيْنَ احْتِمَالَاتٍ وَإِمْكَانَاتٍ بِلَا حَدٍّ ، مُحِيطَةٍ بِوُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ ، يَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ وَالْبَدَاهَةِ ، بَلْ بِالْمُشَاهَدَةِ ، عَلٰى أَنَّهُ أَثَرُ إِرَادَةٍ كُلِّيَّةٍ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ انْتِخَابَ وَضْعٍ ، بَيْنَ أَوْضَاعٍ بِلَا حَدٍّ ، إِنَّمَا يَكُونُ بِتَخْصِيصٍ وَبِتَرْجِيحٍ ، وَقَصْدٍ وَإِرَادَةٍ ؛ وَيُخَصَّصُ بِعَمْدٍ وَطَلَبٍ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ التَّخْصِيصَ يَقْتَضِي الْمُخَصِّصَ ؛ وَالتَّرْجِيحَ يَسْتَلْزِمُ الْمُرَجِّحَ ؛ وَإِنَّ الْمُخَصِّصَ وَالْمُرَجِّحَ هُوَ الْإِرَادَةُ ؛ فَإِنَّ إِيجَادَ بَدَنٍ فِي حُكْمِ جِهَازٍ لِمِئَاتِ آلَاتٍ وَأَدَوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ كَالْإِنْسَانِ مَثَلاً ، مِنْ نُطْفَةِ مَاءٍ ، وَإِيجَادَ طَائِرٍ لَهُ مِئَاتُ أَعْضَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنْ بَيْضَةٍ بَسِيطَةٍ ، وَإِنْشَاءَ شَجَرَةٍ مُنْقَسِمَةٍ إِلَى مِئَاتِ أَقْسَامٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنْ نَوَاةٍ بَسِيطَةٍ ؛ كَمَا تَشْهَدُ عَلَى

الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ ؛ تَدُلُّ بِوَجْهٍ قَطْعِيٍّ وَضَرُورِيٍّ لِلْغَايَةِ ، عَلٰى وُجُودِ إِرَادَةٍ كُلِّيَّةٍ فِي صَانِعِهَا ؛ فَيُخَصِّصُ بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ ، كُلَّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ؛ وَيُعْطِي بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ ، كُلَّ جُزْءٍ ، وَكُلَّ عُضْوٍ ، وَكُلَّ قِسْمٍ مِنْهُ ، شَكْلاً خَاصّاً ؛ وَيُلْبِسُهُ وَضْعاً آخَرَ . .

اَلْحَاصِلُ : كَمَا أَنَّ تَشَابُهَ الْأَعْضَاءِ الْمُهِمَّةِ ، فِي الْحَيَوَانَاتِ مَثَلاً ، وَتَوَافُقَهَا بِاعْتِبَارِ الْأُسُسِ وَالنَّتَائِجِ ، وَإِظْهَارَهَا سِكَّةً وَاحِدَةً مِنْ سِكَكِ الْوَحْدَةِ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ صَانِعَ عُمُومِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَاحِدٌ أَحَدٌ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ تَشَخُّصَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةَ ، وَتَعَيُّنَاتِهَا الْحَكِيمَةَ ، وَتَمَيُّزَاتِهَا الْمُتَخَالِفَةَ ، فِي سِيمَاهَا ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ صَانِعَهَا الْوَاحِدَ ، فَاعِلٌ مُخْتَارٌ وَمُرِيدٌ ؛ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ؛ وَيَتْرُكُ مَا لَا يَشَاءُ ؛ وَيَفْعَلُ بِقَصْدٍ وَإِرَادَةٍ . .

فَإِذَا وُجِدَتِ الدَّلَالَاتُ وَالشَّهَادَاتُ ، عَلَى الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ، وَالْإِرَادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، بِعَدَدِ الْمَوْجُودَاتِ ، بَلْ بِعَدَدِ شُؤُونِهَا ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ نَفْيَ بَعْضِ الْفَلَاسِفَةِ ، لِلْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَإِنْكَارَ بَعْضِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ لِلْقَدَرِ ، وَادِّعَاءَ بَعْضِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، عَدَمَ اطِّلَاعِهِ عَلَى الْجُزْئِيَّاتِ ، وَإِسْنَادَ الطَّبِيعِيِّينَ بَعْضَ الْمَوْجُودَاتِ ، إِلَى الطَّبِيعَةِ وَالْأَسْبَابِ ، تَكَاذُبٌ مُضَاعَفٌ عَدَدَ الْمَوْجُودَاتِ ، وَجِنَّةُ ضَلَالَةٍ مُتَضَاعِفَةٌ بِعَدَدِ شُؤُونِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ فَإِنَّ مَنْ يُكَذِّبُ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ شَهَادَاتٍ صَادِقَةٍ ، يَكُونُ قَدِ اقْتَرَفَ أُكْذُوبَةً لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَقَوْلُهُ عَلٰى عِلْمٍ : **«طَبْعاً طَبْعاً»** بَدَلَ أَنْ يَقُولَ : **«مَا شَاءَ اللّٰهُ ؛ مَا شَاءَ اللّٰهُ»** ، فِي أُمُورٍ تُوجَدُ بِمَشِيئَةِ اللّٰهِ ، خَطَأٌ وَمُخَالِفٌ لِلْحَقِيقَةِ ؛ فَقِسْ عَلٰى مَدَى خِلَافِهِ وَخَطَئِهِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الْعَاشِرَةُ : ﴾ ﴿وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّهُ لَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ؛ فَمَا يُوجَدُ فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، يَقْتَدِرُ أَنْ يُلْبِسَ عَلٰى تِلْكَ الْأَشْيَاءِ ، الْوُجُودَ ، بِغَايَةِ السُّهُولَةِ ؛ وَذٰلِكَ سَهْلٌ وَهَيِّنٌ عَلَيْهِ ؛ كَأَنَّهُ يَأْمُرُ فَقَطْ ؛ فَتَصْنَعُ الْأَشْيَاءُ بِالسُّهُولَةِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَنْ يَقُولَ لَهُۥ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ؛ فَكَمَا أَنَّ صَانِعاً مَاهِراً لِلْغَايَةِ ، يَمَسُّ بِيَدِهِ الْعَمَلَ ؛ أَوْ لَا يَمَسُّهُ ؛ فَيَشْتَغِلُ ذٰلِكَ الشَّيْءُ بِوَجْهٍ سَهْلٍ جِدّاً ؛ وَيُقَالُ لِإِفَادَةِ تِلْكَ السُّرْعَةِ وَالْمَهَارَةِ : إِنَّ ذٰلِكَ الْعَمَلَ وَالصَّنْعَةَ مُسَخَّرَةٌ لَهُ ؛

كَأَنَّهُ تَحْصُلُ الْأَعْمَالُ ؛ وَتُوجَدُ الصَّنَائِعُ بِأَمْرِهِ وَمَسِّهِ ؛ كَذٰلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالٰى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَنْ يَقُولَ لَهُۥ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، إِشَارَةً إِلٰى تَسْخِيرِ الْأَشْيَاءِ ، وَإِطَاعَتِهَا فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، إِزَاءَ قُدْرَةِ الْقَدِيرِ ذِي الْجَلَالِ ، وَإِلٰى أَنَّ تِلْكَ الْقُدْرَةَ تَعْمَلُ بِدُونِ كُلْفَةٍ ، وَبِسُهُولَةٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ . .

وَسَنُبَيِّنُ مِنْ أَسْرَارِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعُظْمٰى ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، خَمْسَةَ أَسْرَارٍ فِي خَمْسِ نِكَاتٍ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ أَكْبَرَ شَيْءٍ ، سَهْلٌ بِقَدَرِ أَصْغَرِ شَيْءٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَأَنَّ إِيجَادَ نَوْعٍ بِعُمُومِ أَفْرَادِهِ ، هَيِّنٌ لَا كُلْفَةَ فِيهِ ، بِقَدَرِ فَرْدٍ وَاحِدٍ ؛ وَأَنَّ خَلْقَ الْجَنَّةِ ، يَسِيرٌ بِقَدَرِ رَبِيعٍ ؛ وَإِيجَادَ رَبِيعٍ ، سَهْلٌ بِقَدَرِ زَهْرَةٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى تِلْكَ الْقُدْرَةِ ؛ وَقَدْ أُثْبِتَ ذٰلِكَ بِسِتَّةِ تَمْثِيلَاتٍ تُوضِحُ هٰذَا السِّرَّ وَتُثْبِتُهُ ؛ وَهِيَ : سِرُّ النُّورَانِيَّةِ ، وَسِرُّ الشَّفَّافِيَّةِ ، وَسِرُّ الْمُوَازَنَةِ ، وَسِرُّ الِانْتِظَامِ ، وَسِرُّ الْإِطَاعَةِ ، وَسِرُّ التَّجَرُّدِ ، الْمَذْكُورَةُ فِي آخِرِ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ الْبَاحِثَةِ عَنِ الْحَشْرِ ، وَفِي بَيَانِ الْأَسَاسِ الثَّانِي ، فِي مَسْأَلَةِ الْحَشْرِ ، فِي الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ، الْبَاحِثَةِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ ، وَالْحَشْرِ ، وَبَقَاءِ الرُّوحِ ؛ وَبُيِّنَ بِهَا : أَنَّ النُّجُومَ سَهْلَةٌ كَالذَّرَّاتِ ؛ وَأَنَّ أَفْرَاداً لَا حَدَّ لَهَا ، تُخْلَقُ بِسُهُولَةٍ وَبِلَا كُلْفَةٍ ، بِقَدَرِ فَرْدٍ وَاحِدٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ . وَلَمَّا كَانَتْ هٰذِهِ الْأَسْرَارُ السِّتَّةُ قَدْ أُثْبِتَتْ فِي تَيْنِكَ الْمَقَالَتَيْنِ ؛ نُحِيلُهَا عَلَيْهِمَا ؛ فَنَخْتَصِرُهَا هُنَا . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ الدَّلِيلَ الْقَاطِعَ ، وَالْبُرْهَانَ السَّاطِعَ ، عَلٰى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مُتَسَاوٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، هُوَ : أَنَّنَا نَرٰى بِأَعْيُنِنَا ، فِي إِيجَادِ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ : أَنَّهُ يُوجَدُ إِتْقَانٌ وَحُسْنُ صَنْعَةٍ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، فِي سَخَاوَةٍ وَكَثْرَةٍ بِلَا حَدٍّ ؛ وَكَذَا يُرٰى امْتِيَازٌ وَتَفْرِيقٌ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، فِي امْتِزَاجٍ وَاخْتِلَاطٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَكَذَا يُوجَدُ غُلُوُّ الصَّنْعَةِ ، وَحُسْنُ الْخِلْقَةِ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، فِي بَذْلٍ وَوُسْعَةٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَكَذَا تُخْلَقُ الْأَشْيَاءُ ، بِسُهُولَةٍ وَسُرْعَةٍ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، مَعَ احْتِيَاجِهَا إِلٰى أَزْمِنَةٍ وَأَجْهِزَةٍ كَثِيرَةٍ ،

فِي صُورَةٍ مُصَنَّعَةٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ كَأَنَّ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ الصِّنَاعِيَّةَ ، تُوجَدُ دَفْعَةً مِنَ الْعَدَمِ . .

هٰذَا فَمَا نَرٰى بِالْمُشَاهَدَةِ ، فِي كُلِّ فَصْلٍ ، مِنْ فَعَّالِيَّةِ الْقُدْرَةِ هٰذِهِ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، تَدُلُّ قَطْعاً عَلٰى أَنَّ أَكْبَرَ شَيْءٍ ، هَيِّنٌ بِقَدَرِ أَصْغَرِ شَيْءٍ ؛ وَأَنَّ إِيجَادَ أَفْرَادٍ بِلَا حَدٍّ وَإِدَارَتَهَا ، سَهْلَةٌ بِقَدَرِ إِيجَادِ فَرْدٍ وَاحِدٍ ، وَإِدَارَتِهِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقُدْرَةِ الَّتِي هِيَ مَنْبَعُ هٰذِهِ الْأَفْعَالِ . .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ أَكْبَرَ كُلٍّ ، يَسْهُلُ بِقَدَرِ أَصْغَرِ جُزْءٍ ؛ وَأَنَّ إِيجَادَ كُلِّيٍّ كَثِيرِ الْأَفْرَادِ ، هَيِّنٌ بِقَدَرِ جُزْئِيٍّ وَاحِدٍ ؛ وَأَنَّ أَدْنٰى جُزْئِيٍّ ، يَظْهَرُ فِيهِ أَعْلٰى قِيمَةٍ صِنَاعِيَّةٍ ، وَذٰلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَةِ الصَّانِعِ الْقَدِيرِ الَّذِي يَحْكُمُ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، بِهٰذِهِ التَّصَرُّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمَشْهُودَةِ . وَيَنْبَعُ سِرُّ حِكْمَةِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، عَنْ ثَلَاثَةِ مَنَابِعَ : أَوَّلاً عَنْ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ ؛ وَثَانِياً عَنْ يُسْرِ الْوَحْدَةِ ؛ وَثَالِثاً عَنْ تَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ . .

اَلْمَنْبَعُ الْأَوَّلُ : وَهُوَ إِمْدَادُ الْوَاحِدِيَّةِ : هُوَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، وَجَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، إِذَا كَانَتْ مُلْكَ مَالِكٍ وَاحِدٍ ، يَسْتَطِيعُ حِينَئِذٍ ، أَنْ يَحْشِدَ قُوَّةَ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، وَرَاءَ شَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ وَيُدَبِّرَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، كَشَيْءٍ وَاحِدٍ سُهُولَةً ، بِجِهَةِ الْوَاحِدِيَّةِ . وَلِتَقْرِيبِ هٰذَا السِّرِّ إِلَى الْفَهْمِ ، بِتَمْثِيلٍ مَّا ، نَقُولُ : كَمَا أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ لِمَمْلَكَةٍ ، سُلْطَانٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ؛ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْشِدَ قُوَّةً مَعْنَوِيَّةً لِجَيْشٍ ، وَرَاءَ كُلِّ فَرْدٍ ، بِجِهَةِ قَانُونِ وَحْدَةِ السَّلْطَنَةِ تِلْكَ ؛ وَلِذٰلِكَ يَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ الْفَرْدُ ، أَنْ يَأْسِرَ مَلِكاً ؛ وَأَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ ، بِاسْمِ سُلْطَانِهِ ؛ وَكَذَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدَبِّرَ جَمِيعَ الْجَيْشِ ، وَكُلَّ الْمُوَظَّفِينَ ؛ كَمَا يَسْتَخْدِمُ مُجَنَّدًا ؛ وَيُدَبِّرُ مُوَظَّفاً ، بِسِرِّ وَاحِدِيَّةِ السَّلْطَنَةِ ؛ فَكَأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ بِسِرِّ وَاحِدِيَّةِ السَّلْطَنَةِ ، أَنْ يَبْعَثَ كُلَّ شَيْءٍ ، إِلٰى إِمْدَادِ فَرْدٍ وَاحِدٍ ؛ وَأَنْ يُسْنِدَ كُلَّ فَرْدٍ ، إِلٰى قُوَّةٍ بِقَدَرِ جَمِيعِ الْأَفْرَادِ ؛ يَعْنِي : يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَمِدَّ ذٰلِكَ الْفَرْدُ ، مِنْ جَمِيعِ الْأَفْرَادِ . فَإِذَا انْحَلَّ حَبْلُ وَاحِدِيَّةِ السَّلْطَنَةِ ذٰلِكَ ؛ وَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى الْفَوْضٰى ؛ يَفْقِدُ بَغْتَةً كُلُّ فَرْدٍ ، قُوَّةً بِلَا حَدٍّ ؛ وَيَسْقُطُ عَنْ مَقَامٍ عَالٍ مِنَ النُّفُوذِ ؛ وَيَنْزِلُ إِلٰى مَقَامِ إِنْسَانٍ عَادِيٍّ ؛ وَيَشْكُلُ حِينَئِذٍ إِدَارَتُهُمْ وَاسْتِخْدَامُهُمْ ، بِعَدَدِ الْأَفْرَادِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ _ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى _

أَنَّ صَانِعَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، لِكَوْنِهِ وَاحِداً ، يَحْشِدُ أَسْمَاءَهُ الْمُتَوَجِّهَةَ إِلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، إِزَاءَ شَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ وَيُنْشِئُهُ فِي صُورَةٍ قَيِّمَةٍ بِلاَ نِهَايَةٍ ؛ وَإِذَا لَزِمَ ؛ يَنْظُرُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ وَيُوَجِّهُهَا إِلَيْهِ ؛ وَيَمُدُّهُ بِهَا ؛ وَيَصْنَعُهُ مُتْقَناً ؛ وَيَخْلُقُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ أَيْضاً ؛ وَيَتَصَرَّفُ فِيهَا ؛ وَيُدَبِّرُهَا كَشَيْءٍ وَاحِدٍ ، بِسِرِّ تِلْكَ الْوَاحِدِيَّةِ . .

هٰذَا فَبِسِرِّ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ هٰذَا ، تُشَاهَدُ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، كَيْفِيَّةٌ عَالِيَةٌ رَفِيعَةٌ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، مِنْ جِهَةِ الصَّنْعَةِ وَالْقِيمَةِ ، فِي بَذْلٍ وَرُخْصٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ . .

اَلْمَنْبَعُ الثَّانِي : وَهُوَ يُسْرُ الْوَحْدَةِ : هُوَ أَنَّ أُمُوراً تَكُونُ بِأُسْلُوبِ الْوَحْدَةِ ، فِي مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ، مِنْ يَدٍ وَاحِدَةٍ ، بِقَانُونٍ وَاحِدٍ ، تُنْتِجُ سُهُولَةً فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ . وَإِذَا تَفَرَّقَتْ إِلَى مَرَاكِزَ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَقَوَانِينَ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَأَيْدٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، تُورِثُ مُشْكِلاَتٍ . فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ أَجْهِزَةَ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْجَيْشِ ، إِذَا أُعْمِلَتْ مِنْ مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ، بِقَانُونٍ وَاحِدٍ ، وَبِأَمْرِ قَائِدٍ أَعْظَمَ ؛ تَهُونُ بِقَدَرِ فَرْدٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِذَا أُعْمِلَتْ أَجْهِزَتُهُمْ فِي مَعَامِلَ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَفِي مَرَاكِزَ مُخْتَلِفَةٍ ؛ يَلْزَمُ لِأَجْهِزَةِ فَرْدٍ وَاحِدٍ ، جَمِيعُ مَعَامِلَ عَسْكَرِيَّةٍ لاَزِمَةٍ لِأَجْهِزَةِ جَيْشٍ . فَإِذاً إِنَّهُ إِنِ أُسْنِدَ إِلَى الْوَحْدَةِ ؛ يَسْهُلُ جَيْشٌ بِقَدَرِ فَرْدٍ ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْوَحْدَةُ ؛ يُشْكِلُ فَرْدٌ بِقَدَرِ جَيْشٍ ، فِي جِهَةِ أَجْهِزَتِهِ ؛ وَكَذَا إِذَا أُعْطِيَتْ ثَمَرَاتُ شَجَرَةٍ ، مَادَّةَ الْحَيَاةِ ، فِي جِهَةِ الْوَحْدَةِ ، بِالاِسْتِنَادِ إِلَى مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ، وَقَانُونٍ وَاحِدٍ ، وَأَصْلٍ وَاحِدٍ ؛ تَسْهُلُ آلاَفُ ثَمَرَاتٍ ، كَثَمَرَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَإِذَا رُبِطَتْ كُلُّ ثَمَرَةٍ بِمَرْكَزٍ آخَرَ ؛ وَأُرْسِلَ إِلَيْهَا مَوَادُّ حَيَوِيَّةٌ أُخْرَى ؛ تُشْكِلُ كُلُّ ثَمَرَةٍ ، بِقَدَرِ كُلِّ الشَّجَرَةِ ؛ لِأَنَّ الْمَوَادَّ الْحَيَوِيَّةَ اللاَّزِمَةَ لِلشَّجَرَةِ كُلِّهَا ، تَلْزَمُ لِكُلِّ ثَمَرَةٍ أَيْضاً ؛ فَكَذٰلِكَ ـ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ـ إِنَّ صَانِعَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، لِكَوْنِهِ وَاحِداً أَحَداً ، يَعْمَلُ بِالْوَحْدَةِ ؛ فَتَسْهُلُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ ، بِقَدَرِ شَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ وَيَصْنَعُ شَيْئاً وَاحِداً ، قَيِّماً بِقَدَرِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، مِنْ جِهَةِ الصَّنْعَةِ ؛ وَيَخْلُقُ أَفْرَاداً لاَ حَدَّ لَهَا ، فِي صُورَةٍ قَيِّمَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَيُظْهِرُ جُودَهُ الْمُطْلَقَ ، وَسَخَاوَتَهُ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، وَخَلاَّقِيَّتَهُ الَّتِي لاَ نِهَايَةَ لَهَا ، بِلِسَانِ هٰذَا الْبَذْلِ بِلاَ حَدٍّ ، وَالرُّخْصِ بِلاَ نِهَايَةٍ ، الْمَشْهُودَيْنِ . .

اَلْمَنْبَعُ الثَّالِثُ : وَهُوَ تَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ : هُوَ أَنَّ الصَّانِعَ ذَا الْجَلَالِ ، لِكَوْنِهِ لَيْسَ جِسْماً وَلَا جِسْمَانِيّاً ، لَا يَحْصُرُهُ الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ ، تَحْتَ الْقَيْدِ ؛ وَلَا يَمْنَعُ الْكَوْنُ وَالْمَكَانُ ، شُهُودَهُ وَحُضُورَهُ ؛ وَلَا يَحْجُبُ الْوُسَطَاءُ وَالْأَجْرَامُ أَفْعَالَهُ ؛ وَلَا يَكُونُ فِي تَوَجُّهِهِ ، تَجَزُّؤٌ وَانْقِسَامٌ ؛ وَلَا يَمْنَعُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ؛ وَيَفْعَلُ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الْأَفْعَالِ ، كَفِعْلٍ وَاحِدٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يُدْرِجُ عَالَماً ، فِي فَرْدٍ وَاحِدٍ ؛ كَمَا يُدْرِجُ مَعْنًى ، شَجَرَةً جَسِيمَةً ، فِي نَوَاةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَيُدَوِّرُ فِي يَدِ قُدْرَتِهِ ، جَمِيعَ الْعَالَمِ ، كَفَرْدٍ وَاحِدٍ . . فَنَقُولُ كَمَا أَوْضَحْنَا هٰذَا السِّرَّ ، فِي مَقَالَاتٍ أُخْرَى : كَمَا أَنَّ تِمْثَالَ الشَّمْسِ ، الَّذِي لَا قَيْدَ لَهُ بِدَرَجَةٍ مَّا ، يَتَمَثَّلُ بِاعْتِبَارِ النُّورَانِيَّةِ ، فِي كُلِّ شَفَّافٍ مُشْرِقٍ ؛ فَإِذَا قَابَلَتِ الْمَرَايَا بِآلَافٍ وَمَلَايِينَ ، نُورَهَا ؛ تُوجَدُ جِلْوَتُهَا الْمِثَالِيَّةُ بِالذَّاتِ ، فِي كُلٍّ مِنْهَا ، كَمِرْآةٍ وَاحِدَةٍ ، بِدُونِ انْقِسَامٍ ؛ فَإِنْ كَانَ لِلْمِرْآةِ اسْتِعْدَادٌ ؛ تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ بِعَظَمَتِهَا ، أَنْ تُظْهِرَ آثَارَهَا فِيهَا ؛ فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مَانِعاً لَهَا ، عَنْ شَيْءٍ ؛ وَيَكُونُ الْآلَافُ كَالْوَاحِدِ ؛ وَتَدْخُلُ بِسُهُولَةٍ ، آلَافَ أَمْكِنَةٍ ، كَمَكَانٍ وَاحِدٍ ؛ وَيَكُونُ كُلُّ مَكَانٍ ، مَظْهَراً لِجِلْوَةِ تِلْكَ الشَّمْسِ ، بِقَدَرِ آلَافِ أَمْكِنَةٍ . .

هٰذَا ــ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ــ فَإِنَّ لِصَانِعِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، ذِي الْجَلَالِ ، تَجَلِّياً بِسِرِّ تَوَجُّهِ الْأَحَدِيَّةِ ، بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ الَّتِي هِيَ أَنْوَارٌ ، وَبِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ النُّورِيَّةِ ، بِحَيْثُ يَكُونُ حَاضِراً وَنَاظِراً فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَلَيْسَ فِي أَيِّ مَكَانٍ ؛ وَلَا يَكُونُ فِي تَوَجُّهِهِ انْقِسَامٌ ؛ وَيَفْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ ، فِي عَيْنِ الْآنِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، بِدُونِ كُلْفَةٍ وَلَا مُزَاحَمَةٍ . فَبِسِرِّ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ ، وَيُسْرِ الْوَحْدَةِ ، وَتَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ هٰذِهِ ، إِذَا أُسْنِدَتِ الْمَوْجُودَاتُ ، إِلَى صَانِعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ تَسْهُلُ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتُ ؛ وَتَهُونُ كَمَوْجُودٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ وَيَكُونُ كُلُّ مَوْجُودٍ ، قَيِّماً بِقَدَرِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنْ جِهَةِ حُسْنِ الصَّنْعَةِ ؛ كَمَا أَنَّ وُجُودَ دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ بِلَا حَدٍّ ، فِي كُلِّ فَرْدٍ ، بَيْنَ بَذْلِ الْمَوْجُودَاتِ بِلَا حَدٍّ ، يَدُلُّ عَلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَإِنْ لَمْ تُسْنَدْ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتُ مُبَاشَرَةً ، إِلَى صَانِعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ يَشْكُلُ حِينَئِذٍ كُلُّ مَوْجُودٍ ، بِقَدَرِ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَتَسْقُطُ جَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَتَنْزِلُ إِلَى قِيمَةِ مَوْجُودٍ وَاحِدٍ فَقَطْ . .

فَمِنْ هٰذَا السِّرِّ ، أَنَّ السُّوفِسْطَائِيِّينَ الَّذِينَ هُمْ أَسْبَقُ أَهْلِ الْفَلْسَفَةِ ، لِكَوْنِهِمْ صَرَفُوا وُجُوهَهُمْ ، عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ، نَظَرُوا إِلَى طَرِيقِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ؛ فَرَأَوْا أَنَّ طَرِيقَ الشِّرْكِ أَكْثَرُ إِشْكَالاً ، مِنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ ، مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ، وَغَيْرُ مَعْقُولٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَنْكَرُوا وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَاسْتَقَالُوا عَنِ الْعَقْلِ بِاضْطِرَارٍ . .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ إِيجَادَ الْجَنَّةِ ، سَهْلٌ بِقَدَرِ رَبِيعٍ ؛ وَإِيجَادَ رَبِيعٍ ، هَيِّنٌ بِقَدَرِ زَهْرَةٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ الْقَدِيرِ الْمُتَصَرِّفِ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، بِهٰذِهِ الْأَفْعَالِ الْمَشْهُودَةِ ؛ وَأَنَّ مَحَاسِنَ صَنْعَةِ زَهْرَةٍ ، وَلَطَائِفَ خِلْقَتِهَا ، تَكُونُ لَطِيفَةً وَقَيِّمَةً بِقَدَرِ رَبِيعٍ ، حَسَبَ تِلْكَ الْقُدْرَةِ . . وَسِرُّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ . .

اَلْأَوَّلُ : مَا فِي الصَّانِعِ مِنَ الْوُجُوبِ مَعَ التَّجَرُّدِ ؛ وَالثَّانِي : مُبَايَنَةُ مَاهِيَّتِهِ ، مَعَ عَدَمِ التَّقَيُّدِ ؛ وَالثَّالِثُ : عَدَمُ التَّحَيُّزِ ، مَعَ عَدَمِ التَّجَزُّؤِ . .

اَلسِّرُّ الْأَوَّلُ : وَهُوَ سَبَبِيَّةُ الْوُجُوبِ وَالتَّجَرُّدِ ، لِيُسْرٍ بِلَا حَدٍّ ، وَلِسُهُولَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، سِرٌّ دَقِيقٌ لِلْغَايَةِ ؛ فَنُقَرِّبُهُ مِنَ الْفَهْمِ بِتَمْثِيلٍ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ مَرَاتِبَ الْوُجُودِ مُخْتَلِفَةٌ ؛ وَعَوَالِمَ الْوُجُودِ مُتَفَاوِتَةٌ ؛ فَلِاخْتِلَافِهَا تَكُونُ ذَرَّةٌ مِنْ طَبَقَةٍ ذَاتِ رُسُوخٍ فِي الْوُجُودِ ، بِقَدَرِ جَبَلٍ مِنْ طَبَقَةٍ أَخَفَّ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ ؛ وَتَسْتَوْعِبُ ذٰلِكَ الْجَبَلَ . فَمَثَلاً : إِنَّ الْقُوَّةَ الْحَافِظَةَ الَّتِي هِيَ بِقَدَرِ خَرْدَلَةٍ فِي الرَّأْسِ ، مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، تَحْتَوِي عَلَى وُجُودٍ مِنْ عَالَمِ الْمَعْنَى ، مِقْدَارَ مَكْتَبَةٍ ؛ وَإِنَّ مِرْآةً بِقَدَرِ ظُفْرٍ ، مِنَ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ ، تَحْتَوِي عَلَى بَلَدٍ جَسِيمٍ ، مِنْ طَبَقَةِ وُجُودِ عَالَمِ الْمِثَالِ ؛ فَلَوْ كَانَ لِتِلْكَ الْمِرْآةِ ، وَتِلْكَ الْحَافِظَةِ اللَّتَيْنِ هُمَا مِنْ ذٰلِكَ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ ، شُعُورٌ وَقُوَّةُ إِيجَادٍ ؛ لَاسْتَطَاعَتَا أَنْ تَتَصَرَّفَا بِقُوَّةِ وُجُودِهِمَا الْخَارِجِيِّ بِقَدَرِ ذَرَّةٍ صَغِيرَةٍ ، تَصَرُّفاً وَتَحَوُّلاً بِلَا حَدٍّ ، فِي ذٰلِكَ الْوُجُودِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْمِثَالِيِّ . . فَإِذاً إِنَّ الْوُجُودَ مَهْمَا ارْتَسَخَ ؛ يَزْدَادُ قُوَّةً ؛ فَيَصِيرُ شَيْءٌ قَلِيلٌ ، فِي حُكْمِ الْكَثِيرِ ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ الْوُجُودُ ، مُجَرَّداً عَنِ الْمَادَّةِ ؛ وَلَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ الْقَيْدِ ، بَعْدَمَا كَسَبَ الرُّسُوخَ التَّامَّ ؛ تَسْتَطِيعُ جِلْوَةٌ جُزْئِيَّةٌ مِنْهُ حِينَئِذٍ ، أَنْ تُدَوِّرَ عَوَالِمَ كَثِيرَةً ، مِنْ سَائِرِ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ الْخَفِيفَةِ . .

هٰذَا ــ وَلِلهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى ــ فَإِنَّ صَانِعَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، ذَا الْجَلَالِ ، وَاجِبٌ وُجُودُهُ ؛ يَعْنِي : أَنَّ وُجُودَهُ ذَاتِيٌّ أَزَلِيٌّ وَأَبَدِيٌّ ؛ وَعَدَمَهُ مُمْتَنِعٌ ؛ وَزَوَالَهُ مُحَالٌ ؛ وَأَنَّ وُجُودَهُ أَشَدُّ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ رُسُوخاً وَأَسَاساً ، وَأَقْوَاهَا وَأَكْمَلُهَا ؛ وَسَائِرُ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ ، فِي حُكْمِ ظِلٍّ ضَعِيفٍ لِلْغَايَةِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى وُجُودِهِ ؛ وَأَنَّ وُجُودَ الْوَاجِبِ رَاسِخٌ وَحَقِيقِيٌّ ؛ وَوُجُودَ الْمُمْكِنَاتِ خَفِيفٌ وَضَعِيفٌ ، بِحَيْثُ نَزَّلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، كَمُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ ، سَائِرَ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ ، إِلٰى دَرَجَةِ الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالِ ؛ فَقَالُوا : «لَا مَوْجُودَ إِلَّا هُوَ» ؛ يَعْنِي : حَكَمُوا بِأَنَّهُ لَا يَحِقُّ أَنْ يُطْلَقَ الْوُجُودُ ، عَلَى الْأَشْيَاءِ الْأُخْرٰى ؛ وَلَيْسَتْ لَائِقَةً بِعُنْوَانِ الْوُجُودِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى وُجُودِ الْوَاجِبِ . فَوُجُودُ الْمَوْجُودَاتِ ، الْحَادِثُ الْعَارِضِيُّ ، وَثُبُوتُ الْمُمْكِنَاتِ ، الَّذِي لَا قَرَارَ وَلَا قُوَّةَ لَهُ ، يَسْهُلَانِ وَيَخِفَّانِ قَطْعاً فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، إِزَاءَ قُدْرَةِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، الذَّاتِيَّةِ الْوَاجِبَةِ ؛ وَإِنَّ إِحْيَاءَ جَمِيعِ الْأَرْوَاحِ وَمُحَاكَمَتَهَا ، فِي الْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ، هَيِّنٌ عَلَيْهَا ، بِقَدَرِ أَوْرَاقٍ وَأَزْهَارٍ وَأَثْمَارٍ يَحْشُرُهَا وَيَنْشُرُهَا فِي رَبِيعٍ ، بَلْ فِي حَدِيقَةٍ ، بَلْ فِي شَجَرَةٍ . .

اَلسِّرُّ الثَّانِي : وَهُوَ سَبَبِيَّةُ مُبَايَنَةِ الْمَاهِيَّةِ ، وَعَدَمِ التَّقَيُّدِ ، لِلسُّهُولَةِ : هُوَ أَنَّ صَانِعَ الْكَائِنَاتِ ، لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْكَائِنَاتِ الْبَتَّةَ ؛ وَأَنَّ مَاهِيَّتَهُ لَا تُشْبِهُ مَاهِيَّةً مَّا ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ مَا فِي دَائِرَةِ الْكَائِنَاتِ ، مِنَ الْمَوَانِعِ وَالْعَوَائِقِ ، لَا تَسُدُّ أَمَامَهُ ؛ وَلَا تُقَيِّدُ أَحْكَامَهُ ؛ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُدَوِّرَهَا دَفْعَةً . فَإِنْ أُحِيلَتْ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، مَا يُشَاهَدُ فِي وَجْهِ الْكَائِنَاتِ ، مِنَ التَّصَرُّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ ؛ تُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَاطٍ وَمَشَاكِلَ بِحَيْثُ لَا يَبْقَى انْتِظَامٌ أَصْلاً ؛ كَمَا لَا يَبْقَى شَيْءٌ مَّا ، فِي الْوُجُودِ ؛ بَلْ لَا يَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ . فَكَمَا أَنَّ صَنْعَةَ الْبِنَاءِ فِي الْقِبَابِ الْمُعَقَّدَةِ مَثَلاً ، إِذَا أُسْنِدَتْ إِلَى الْحِجَارَةِ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ ؛ وَأَنَّ إِدَارَةَ الْكَتِيبَةِ ، الْعَائِدَةَ إِلَى الضَّابِطِ ، إِذَا تُرِكَتْ إِلَى الْأَفْرَادِ ؛ فَإِمَّا لَا يُوجَدُ أَصْلاً ؛ أَوْ يَتَّخِذُ كَيْفِيَّةً غَيْرَ مُنْتَظِمَةٍ ، بَيْنَ اخْتِلَاطٍ وَمَشَاكِلَ كَثِيرَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ إِذَا أُسْنِدَتِ الصَّنْعَةُ ، إِلٰى صَانِعٍ لَيْسَ مِنْ نَوْعِ الْحَجَرِ ؛ لِيُشَكِّلَ كَيْفِيَّةً لِلْحِجَارَةِ فِي تِلْكَ الْقِبَابِ ؛ وَفُوِّضَ إِدَارَةُ الْأَفْرَادِ فِي الْكَتِيبَةِ ،

إِلٰى ضَابِطٍ حَائِزٍ لِمَاهِيَّةِ الْقِيَادَةِ ، بِاعْتِبَارِ الْمَرْتَبَةِ ؛ تَهُونُ الصَّنْعَةُ ؛ وَيَسْهُلُ التَّدْبِيرُ وَالْإِدَارَةُ ؛ لِأَنَّ الْأَحْجَارَ وَالْأَنْفَارَ ، يَمْنَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ؛ وَأَمَّا الصَّانِعُ وَالضَّابِطُ ، فَيَنْظُرَانِ إِلٰى كُلِّ جِهَةٍ ؛ وَيُدَبِّرَانِ بِدُونِ مَانِعٍ ؛ كَذٰلِكَ ـ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى ـ فَإِنَّ مَاهِيَّةَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، الْقُدُسِيَّةَ ، لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَاهِيَّاتِ الْمُمْكِنَاتِ ؛ بَلْ إِنَّ جَمِيعَ حَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ ، أَشِعَّةُ اسْمِ «الْحَقِّ» الَّذِي هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ تِلْكَ الْمَاهِيَّةِ ، أَسْمَائِهَا الْحُسْنٰى . فَإِذَا كَانَتْ مَاهِيَّتُهُ الْمُقَدَّسَةُ ، وَاجِبَةَ الْوُجُودِ ، وَمُجَرَّدَةً عَنِ الْمَادَّةِ ، وَمُخَالِفَةً لِجَمِيعِ الْمَاهِيَّاتِ ؛ وَلَيْسَ لَهَا مِثْلٌ وَمَثِيلٌ وَمِثَالٌ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ إِدَارَةَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَتَرْبِيَتَهَا ، سَهْلَةٌ بِقَدْرِ رَبِيعٍ ، بَلْ بِقَدْرِ شَجَرَةٍ ؛ وَأَنَّ إِيجَادَ الْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ، وَدَارِ الْآخِرَةِ ، وَالْجَنَّةِ وَجَهَنَّمَ ، هَيِّنٌ بِقَدْرِ إِحْيَاءِ أَشْجَارٍ مَاتَتْ فِي فَصْلِ خَرِيفٍ ، إِحْيَائِهَا عَنْ جَدِيدٍ فِي رَبِيعٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَةِ ذٰلِكَ الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ ، تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ . .

اَلسِّرُّ الثَّالِثُ : وَهُوَ سَبَبِيَّةُ عَدَمِ التَّحَيُّزِ ، وَعَدَمِ التَّجَزُّؤِ ، لِلسُّهُولَةِ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛

وَسِرُّ ذٰلِكَ : أَنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيرَ لَمَّا كَانَ مُنَزَّهاً عَنِ الْمَكَانِ ؛ يُعَدُّ حَاضِراً بِقُدْرَتِهِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ قَطْعاً ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُ تَجَزُّؤٌ وَانْقِسَامٌ ؛ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ ، إِلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَطْعاً ؛ وَلَمَّا كَانَ حَاضِراً فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمُتَوَجِّهاً إِلٰى كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَإِذاً لَا تُمَانِعُ الْمَوْجُودَاتُ وَالْوَسَائِطُ وَالْأَجْرَامُ ، أَفْعَالَهُ وَلَا تَعُوقُهَا ؛ بَلْ إِنْ فُرِضَ اللُّزُومُ ـ وَلَا لُزُومَ أَصْلاً ـ تَصِيرُ الْأَشْيَاءُ ، فِي حُكْمِ وَسَائِلِ التَّسْهِيلِ ، وَوَسَائِطِ وُصُولِ الْحَيَاةِ ، وَأَسْبَابِ سُرْعَةِ الْأَفْعَالِ ، كَخُطُوطِ الْكَهْرَبَاءِ ، وَأَغْصَانِ الشَّجَرِ ، وَأَعْصَابِ الْإِنْسَانِ ؛ بَلْ تَصِيرُ فِي حُكْمِ وَسِيلَةِ التَّسْهِيلِ وَالتَّسْرِيعِ وَالْإِيصَالِ ، فَضْلاً عَنِ التَّعْوِيقِ وَالتَّقْيِيدِ ، وَالْمَنْعِ وَالْمُدَاخَلَةِ ؛ فَإِذاً إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يَصِيرُ وَسِيلَةً لِلسُّهُولَةِ ، فِي جِهَةِ الْإِطَاعَةِ وَالِانْقِيَادِ لِتَصَرُّفَاتِ قُدْرَةِ الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ ؛ إِنْ حَصَلَ الِاحْتِيَاجُ ؛ وَلَا احْتِيَاجَ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيرَ ، يَخْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ ، فِي صُورَةٍ لَائِقَةٍ بِذٰلِكَ الشَّيْءِ ، بِسُرْعَةٍ وَسُهُولَةٍ ، بِدُونِ كُلْفَةٍ وَلَا مُعَالَجَةٍ ؛ وَيَخْلُقُ الْكُلِّيَّاتِ سَهْلَةً بِقَدَرِ الْجُزْئِيَّاتِ ؛ وَيَخْلُقُ

الْجُزْئِيَّاتِ مُصَنَّعَةً بِقَدَرِ الْكُلِّيَّاتِ. نَعَمْ: إِنَّ مَنْ خَلَقَ الْكُلِّيَّاتِ، وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ؛ فَلا شَكَّ أَنَّهُ الَّذِي خَلَقَ أَيْضاً، مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ وَأَفْرَادِ ذَوِي الْحَيَاةِ؛ وَلا يَكُونُ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ الصَّغِيرَةَ، ثَمَرَاتُ تِلْكَ الْكُلِّيَّاتِ، وَنَوَاهَا وَأَمْثِلَتُهَا الْمُصَغَّرَةُ؛ وَكَذَا مَنْ أَوْجَدَ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ؛ فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ، وَالْعَنَاصِرَ الْمُحِيطَةَ بِالْجُزْئِيَّاتِ؛ لِأَنَّنَا نَرى أَنَّ الْجُزْئِيَّاتِ، فِي حُكْمِ النَّوى وَالنُّسَخِ الصَّغِيرَةِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُلِّيَّاتِ؛ فَإِذاً لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَالْعَنَاصِرُ الْكُلِّيَّةُ، بِيَدِ مَنْ خَلَقَ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ؛ حَتّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يُدْرِجَ خُلاصَاتِ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الْكُلِّيَّةِ الْمُحِيطَةِ، وَمَعَانِيَهَا وَأَمْثِلَتَهَا، فِي تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ الْأَمْثِلَةِ الْمُصَغَّرَةِ، بِدَسَاتِيرِ حِكْمَتِهِ، وَمَوَازِينِ عِلْمِهِ. نَعَمْ: إِنَّ الْجُزْئِيَّاتِ لَيْسَتْ مُتَخَلِّفَةً عَنِ الْكُلِّيَّاتِ، فِي جِهَةِ عَجَائِبِ الصَّنْعَةِ، وَغَرَائِبِ الْخِلْقَةِ؛ وَإِنَّ الْأَزْهَارَ لَيْسَتْ أَسْفَلَ مِنَ النُّجُومِ؛ وَإِنَّ النَّوى لَيْسَتْ أَدْنى مِنَ الْأَشْجَارِ؛ بَلْ إِنَّ مَا فِي النَّوَاةِ، مِنَ الشَّجَرَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ نَقْشُ الْقَدَرِ، أَعْجَبُ مِمَّا فِي الْحَدِيقَةِ، مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُجَسَّمَةِ الَّتِي هِيَ نَسْجُ الْقُدْرَةِ؛ وَإِنَّ خِلْقَةَ الْإِنْسَانِ أَعْجَبُ مِنْ خِلْقَةِ الْعَالَمِ؛ فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا كُتِبَ قُرْآنُ حِكْمَةٍ، عَلى جَوْهَرَةٍ فَرْدٍ، بِذَرَّاتِ الْأَثِيرِ؛ يَكُونُ أَهَمَّ قِيمَةً، مِنْ قُرْآنِ عَظَمَةٍ، مَكْتُوبٍ بِنُجُومٍ، فِي وَجْهِ السَّمَاءِ؛ كَذٰلِكَ تُوجَدُ جُزْئِيَّاتٌ صَغِيرَةٌ جِدّاً؛ هِيَ أَعْلى مِنَ الْكُلِّيَّاتِ، مِنْ حَيْثُ مُعْجِزَاتُ الصَّنْعَةِ..

اَلْخَامِسَةُ: لَقَدْ بَيَّنَّا بِدَرَجَةٍ مَّا، فِي بَيَانَاتِنَا السَّابِقَةِ، أَسْرَارَ الْيُسْرِ الَّذِي لا حَدَّ لَهُ، وَالسُّرْعَةِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ، وَسُرْعَةِ الْأَفْعَالِ بِلا نِهَايَةٍ، وَإِيجَادِ الْأَشْيَاءِ بِسُهُولَةٍ بِلا نِهَايَةٍ، مِمَّا يُشَاهَدُ فِي إِيجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبَيَّنَّا حِكَمَهَا بَعْضَ الْبَيَانِ. فَوُجُودُ الْأَشْيَاءِ بِهٰذِهِ السُّرْعَةِ بِلا نِهَايَةٍ، وَالسُّهُولَةِ بِلا حَدٍّ، يُنْتِجُ قَنَاعَةً قَطْعِيَّةً، لِأَهْلِ الْهِدَايَةِ، بِأَنَّ الْجَنَّاتِ تَسْهُلُ بِقَدَرِ الرِّبَاعِ؛ وَالرِّبَاعَ بِقَدَرِ الْحَدَائِقِ؛ وَالْحَدَائِقَ بِقَدَرِ الْأَزْهَارِ، بِالنِّسْبَةِ إِلى قُدْرَةِ مَنْ يَخْلُقُ الْمَخْلُوقَاتِ؛ وَأَنَّ حَشْرَ نَوْعِ الْبَشَرِ وَنَشْرَهُ، سَهْلٌ عَلَيْهِ، كَإِمَاتَةِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَإِحْيَائِهَا،

بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؛ وَأَنَّ إِحْيَاءَ جَمِيعِ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ ، هَيِّنٌ بِقَدَرِ اجْتِمَاعِ جَيْشٍ مُنْتَشِرٍ لِلاِسْتِرَاحَةِ ، بِصَيْحَةِ بُوقٍ ؛ وَذٰلِكَ بِتَصْرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ . فَهٰذِهِ السُّرْعَةُ بِلَا حَدٍّ ، وَالسُّهُولَةُ بِلَا نِهَايَةٍ ، دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ ، وَبُرْهَانٌ يَقِينِيٌّ ، عَلٰى كَمَالِ قُدْرَةِ الصَّانِعِ ، وَعَلٰى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، سَهْلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ؛ مَعَ أَنَّ تَشْكِيلَ الْأَشْيَاءِ ، وَإِيجَادَهَا بِقُدْرَةِ الصَّانِعِ ، ذٰلِكَ التَّشْكِيلَ الَّذِي يَسْهُلُ فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ، صَارَ فِي نَظَرِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، سَبَباً لِلاِلْتِبَاسِ بِالتَّشَكُّلِ بِنَفْسِهَا ، الْمُسْتَحِيلِ أَلْفَ دَرَجَةٍ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُمْ يَرَوْنَ وُجُودَ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ الْعَادِيَّةِ ، سَهْلاً جِدّاً ؛ فَلِذٰلِكَ يَتَوَهَّمُونَ تَشْكِيلَهَا تَشَكُّلاً ؛ يَعْنِي : أَنَّهَا لَا تُخْلَقُ ؛ بَلْ تُوجَدُ بِنَفْسِهَا . فَتَعَالَ انْظُرْ إِلَى دَرَجَاتِ الْحُمْقِ بِلَا نِهَايَةٍ ، حَيْثُ يَجْعَلُونَ دَلِيلَ قُدْرَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، دَلِيلاً لِعَدَمِهَا ؛ وَيَفْتَحُونَ بَابَ مُحَالَاتٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ إِذْ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ أَنْ تُعْطَى كُلَّ ذَرَّةٍ كُلِّ مَخْلُوقٍ ، أَوْصَافَ الْكَمَالِ ، اللَّازِمَةَ لِصَانِعِ الْعَالَمِ ، كَالْقُدْرَةِ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَالْعِلْمِ الْمُحِيطِ ؛ حَتّٰى يُمْكِنَ أَنْ يَتَشَكَّلَ بِنَفْسِهِ . .

اَلْكَلِمَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ؛ تَعْنِي : أَنَّكُمْ سَوْفَ تَرْجِعُونَ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، إِلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ ؛ وَتُسَافِرُونَ إِلَى الْمَقَرِّ الْأَبَدِيِّ ، مَقَرِّ سَلْطَنَةِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ؛ وَتَذْهَبُونَ مِنْ كَثْرَةِ الْأَسْبَابِ ، إِلٰى دَائِرَةِ قُدْرَةِ الْوَاحِدِ ذِي الْجَلَالِ ؛ وَتَسِيرُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَأَنَّ مَرْجِعَكُمْ عَتَبَتُهُ ؛ وَمَلْجَأَكُمْ رَحْمَتُهُ . وَهٰكَذَا تُوجَدُ لِهٰذِهِ الْكَلِمَةِ ، حَقَائِقُ كَثِيرَةٌ مِثْلُ هٰذِهِ ؛ تُفِيدُهَا هٰذِهِ الْكَلِمَةُ . أَمَّا الْحَقِيقَةُ الَّتِي تُفِيدُ بِأَنَّكُمْ سَوْفَ تَرْجِعُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ فَقَدْ أُثْبِتَتْ بِبَرَاهِينِ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ ، الاِثْنَيْ عَشَرَ الْقَطْعِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ ، وَبِأُسُسِ الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ، أُسُسِهَا السِّتَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِدَلَائِلَ قَاطِعَةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، إِثْبَاتاً قَطْعِيّاً لَا يَتْرُكُ الْحَاجَةَ إِلٰى بَيَانٍ آخَرَ ؛ فَإِنَّ تَيْنِكَ الْمَقَالَتَيْنِ ، قَدْ أَثْبَتَتَا فِي دَرَجَةٍ قَطْعِيَّةٍ أَنَّ الشَّمْسَ الَّتِي غَرَبَتْ ، سَتَطْلُعُ صَبَاحَ غَدٍ مِنْ جَدِيدٍ : أَنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي هِيَ الشَّمْسُ الْمَعْنَوِيَّةُ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا ، سَوْفَ تَطْلُعُ أَيْضاً ، بِصُورَةٍ بَاقِيَةٍ ، فِي صَبَاحِ الْحَشْرِ ، بَعْدَ غُرُوبِهَا بِخَرَابِ

الدُّنْيَا ؛ وَأَنَّ بَعْضاً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، يُصْبِحُونَ مَظْهَراً لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَبَعْضاً آخَرَ مِنْهُمْ ، لِلشَّقَاوَةِ الْأَبَدِيَّةِ . .

فَإِذَا كَانَتِ الْمَقَالَتَانِ الْعَاشِرَةُ وَالتَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ ، قَدْ أَثْبَتَتَا هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ بِكَمَالِهَا ؛ نُفَوِّضُ الْكَلَامَ إِلَيْهِمَا ؛ وَإِنَّمَا نَقُولُ : إِنَّ صَانِعَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَخَالِقَ هٰؤُلَاءِ النَّاسِ ، الْحَكِيمَ الرَّحِيمَ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ عِلْمٍ مُحِيطٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَإِرَادَةٍ كُلِّيَّةٍ بِلَا حَدٍّ ، وَقُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ، عَلٰى مَا أُثْبِتَ قَطْعاً فِي الْبَيَانَاتِ السَّابِقَةِ ؛ قَدْ وَعَدَ بِالْجَنَّةِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، لِأَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَصُحُفِهِ السَّمَاوِيَّةِ . فَإِذَا كَانَ قَدْ وَعَدَ ؛ فَإِنَّهُ يُنْجِزُهُ قَطْعاً ؛ لِأَنَّ الْخُلْفَ فِي وَعْدِهِ ، مُحَالٌ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ عَدَمَ إِيفَاءِ وَعْدِهِ ، نَقْصٌ شَنِيعٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَالْكَامِلُ الْمُطْلَقُ ، مُنَزَّهٌ وَمُقَدَّسٌ عَنِ النَّقْصِ ؛ فَإِنَّ عَدَمَ الْإِنْجَازِ بِمَا وَعَدَهُ ، إِمَّا مِنْ جَهْلِهِ ، أَوْ مِنْ عَجْزِهِ لَا يُنْجِزُ ؛ مَعَ أَنَّ الْجَهْلَ وَالْعَجْزَ ، مُسْتَحِيلَانِ فِي حَقِّ ذٰلِكَ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ ، وَالْعَلِيمِ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ فَخُلْفُ الْوَعْدِ أَيْضاً مُسْتَحِيلٌ لِذٰلِكَ . .

وَكَذَا أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَعَلٰى رَأْسِهِمْ فَخْرُ الْعَالَمِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) يَرْجُونَ مِنْ ذٰلِكَ الرَّحِيمِ الْكَرِيمِ ؛ وَيَتَضَرَّعُونَ وَيَبْتَهِلُونَ إِلَيْهِ دَائِماً ؛ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَهُمْ يَطْلُبُونَهَا مَعَ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنٰى ، مِثْلِ الرَّبِّ وَاللّٰهِ ، وَرُبُوبِيَّتَهُ وَسَلْطَنَتَهُ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا اسْمُ الرَّحْمٰنِ وَالرَّحِيمِ ، وَالْعَادِلِ وَالْحَكِيمِ ، وَشَفَقَتَهُ وَرَحْمَتَهُ ، وَعَدَالَتَهُ وَحِكْمَتَهُ ، تَقْتَضِي دَائِرَةَ الْآخِرَةِ ؛ وَتَسْتَلْزِمُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَتَشْهَدُ عَلٰى تَحَقُّقِهَا ؛ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ ؛ بَلْ إِنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ بِجَمِيعِ حَقَائِقِهَا ، تُشِيرُ إِلٰى دَارِ الْآخِرَةِ ؛ كَمَا أُثْبِتَ فِي الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ . .

وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، ذٰلِكَ الْمَنْشُورَ الْأَعْظَمَ ، يُبَيِّنُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ؛ وَيُعَلِّمُهَا بِآلَافِ آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ ، وَبَرَاهِينِهِ الصَّادِقَاتِ الْقَاطِعَاتِ ؛ وَأَنَّ الْحَبِيبَ الْأَكْرَمَ مَفْخَرَ نَوْعِ الْبَشَرِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) قَدْ رَأٰى تِلْكَ الْحَقِيقَةَ وَأَرَاهَا ؛ وَأَثْبَتَهَا وَأَعْلَنَهَا وَدَرَّسَهَا بِجَمِيعِ قُوَّتِهِ ، فِي جَمِيعِ حَيَاتِهِ ، مُسْتَنِداً إِلٰى آلَافِ مُعْجِزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، بِعَدَدِ أَنْفَاسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ ؛ وَاحْشُرْنَا وَنَاشِرَ هٰذَا الْكِتَابِ ، وَصَاحِبَهُ «سَعِيداً» ، وَوَالِدَيْنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَخَوَاتِنَا ، تَحْتَ لِوَائِهِ ؛ وَارْزُقْنَا شَفَاعَتَهُ ؛ وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، مَعَ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! آمِينَ آمِينَ آمِينَ . .

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا . . رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۞ . . رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ . . رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ . . وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾

ذَيْلٌ لِلْكَلِمَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ :

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . .﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۞ . . ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾

إِلٰى آخِرِهَا . .

سُؤَالٌ : أَنَّكَ قُلْتَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ : إِنَّ فِي الْوَحْدَةِ ، سُهُولَةً فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَفِي الْكَثْرَةِ وَالشِّرْكِ ، تَقَعُ مُشْكِلَاتٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَتَقُولُ : إِنَّ فِي الْوَحْدَةِ ، سُهُولَةً فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَفِي الشِّرْكِ ، صُعُوبَةً فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ؛ مَعَ أَنَّ مَا بَيَّنْتَهُ مِنَ الْمُشْكِلَاتِ وَالْمُحَالَاتِ ، تَجْرِي فِي جَانِبِ الْوَحْدَةِ أَيْضاً . .

مَثلاً : تَقُولُ : إِنْ لَمْ تَكُنِ الذَّرَّاتُ مَأْمُورَةً ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ ، إِمَّا عِلْمٌ مُحِيطٌ ، أَوْ قُدْرَةٌ مُطْلَقَةٌ ، أَوْ جِهَازَاتٌ وَمَطَابِعُ بِلا حَدٍّ ؛ وَهٰذَا مُحَالٌ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ تِلْكَ الذَّرَّاتِ ، لَوْ كَانَتْ مَأْمُورَاتٍ إِلٰهِيَّةً ؛ تَلْزَمُ مَظْهَرِيَّةٌ كَذٰلِكَ أَيْضاً ؛ حَتّٰى تَسْتَطِيعَ أَنْ تُؤَدِّيَ وَظَائِفَهَا الْمُنْتَظِمَةَ بِلا حَدٍّ . فَأَطْلُبُ حَلَّ هٰذَا الْإِشْكَالِ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّنَا قَدْ أَوْضَحْنَا وَأَثْبَتْنَا فِي مَقَالاتٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ ، إِذَا أُسْنِدَتْ إِلٰى صَانِعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ تَكُونُ سَهْلَةً وَهَيِّنَةً كَمَوْجُودٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ وَإِنْ أُسْنِدَتْ إِلَى الطَّبِيعَةِ وَالْأَسْبَابِ الْمُتَعَدِّدَةِ ؛ تُشْكِلُ ذُبَابَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ وَتَصْعُبُ بِقَدَرِ السَّمَاوَاتِ ؛ وَزَهْرَةٌ بِقَدَرِ رَبِيعٍ ؛ وَثَمَرَةٌ بِقَدَرِ حَدِيقَةٍ . فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ ، قَدْ أُوضِحَتْ وَأُثْبِتَتْ فِي مَقَالاتٍ أُخْرٰى ؛ نُفَوِّضُهَا إِلٰى تِلْكَ الْمَقَالاتِ ؛ وَنُبَيِّنُ هُنَا ثَلاثَةَ تَمْثِيلاتٍ تُحَصِّلُ اطْمِئْنَانَ النَّفْسِ ، إِزَاءَ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ ؛ وَذٰلِكَ بِثَلاثِ إِشَارَاتٍ فَقَطْ . .

اَلتَّمْثِيلُ الْأَوَّلُ : أَنَّ ذَرَّةً شَفَّافَةً لامِعَةً لا تَسَعُ بِالذَّاتِ نُوراً بِقَدَرِ رَأْسِ ثِقَابٍ ؛ وَلا تَكُونُ مَصْدَراً لَهُ عَلٰى حِدَتِهَا ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهَا بِالْأَصَالَةِ ، نُورٌ كَذَرَّةٍ جُزْئِيَّةٍ ، بِقَدَرِ جِرْمِهَا وَمِقْدَارَ مَاهِيَّتِهَا ؛ وَلٰكِنْ إِذَا انْتَسَبَتْ تِلْكَ الذَّرَّةُ إِلَى الشَّمْسِ ؛ وَفَتَحَتْ عَيْنَهَا إِزَاءَهَا ؛ وَنَظَرَتْ إِلَيْهَا ؛ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْتَوِيَ عَلٰى تِلْكَ الشَّمْسِ الْعَظِيمَةِ ، بِضِيَائِهَا وَأَلْوَانِهَا السَّبْعَةِ وَحَرَارَتِهَا ، حَتّٰى مَسَافَتِهَا ؛ وَتَصِيرُ مَظْهَراً لِنَوْعٍ مِنْ تَجَلِّيهَا الْأَعْظَمِ . فَإِذاً إِنَّ تِلْكَ الذَّرَّةَ إِذَا بَقِيَتْ بِنَفْسِهَا ؛ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ بِقَدَرِ ذَرَّةٍ فَقَطْ ؛ وَإِنْ عُدَّتْ مَأْمُورَةً وَمَنْسُوبَةً وَمِرْآةً لِلشَّمْسِ ؛ فَإِنَّهَا تَسْتَطِيعُ كَالشَّمْسِ ، أَنْ تُظْهِرَ بَعْضَ نَمَاذِجِهَا الْجُزْئِيَّةِ ، فِي إِجْرَاءَاتِهَا ؛ كَذٰلِكَ ـ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى ـ فَإِنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ ، بَلْ كُلَّ ذَرَّةٍ ، إِنْ أُسْنِدَ إِلٰى نَفْسِهِ ، وَإِلَى الشِّرْكِ وَالْكَثْرَةِ ، وَالْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ؛ فَلا بُدَّ حِينَئِذٍ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ كُلُّ ذَرَّةٍ ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ ، صَاحِبَ عِلْمٍ مُحِيطٍ ، وَقُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ ، وَإِمَّا أَنْ يَتَشَكَّلَ فِيهِ مَطَابِعُ وَجِهَازَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ بِلا حَدٍّ ؛ حَتّٰى يَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤَدِّيَ وَظَائِفَهُ الْعَجِيبَةَ الْمُودَعَةَ إِلَيْهِ ؛ وَإِنْ أُسْنِدَتْ تِلْكَ الذَّرَّاتُ إِلَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؛ يَصِيرُ حِينَئِذٍ كُلُّ مَصْنُوعٍ ، وَكُلُّ ذَرَّةٍ ، مَنْسُوباً إِلَيْهِ ؛ وَيَكُونُ

بِمَثَابَةِ مَأْمُورِهِ ؛ وَهٰذَا الاِنْتِسَابُ يَجْعَلُهُ مَظْهَراً لِلتَّجَلِّي ؛ وَبِهٰذَا الْمَظْهَرِيَّةِ وَالاِنْتِسَابِ ، يَسْتَنِدُ إِلٰى عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ لاَ نِهَايَةَ لَهُمَا ؛ فَيَفْعَلُ بِقُوَّةِ خَالِقِهِ ، أَفْعَالاً وَوَظَائِفَ تَزِيدُ عَنْ قُوَّتِهِ الذَّاتِيَّةِ مَلاَيِينَ مَرَّاتٍ ، بِسِرِّ ذٰلِكَ الاِنْتِسَابِ وَالاِسْتِنَادِ . .

اَلتَّمْثِيلُ الثَّانِي : أَنَّ أَخَوَيْنِ أَحَدُهُمَا جَسُورٌ يَعْتَمِدُ عَلٰى نَفْسِهِ ؛ وَالْآخَرُ وَطَنِيٌّ مُتَحَمِّسٌ ؛ فَالَّذِي يَعْتَمِدُ عَلٰى نَفْسِهِ ، لاَ يَنْتَسِبُ إِلَى الدَّوْلَةِ ، فِي زَمَنِ الْحَرْبِ ؛ وَيُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ عَلٰى حِدَتِهِ ؛ فَيُضْطَرُّ إِلٰى حَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ عَلٰى ظَهْرِهِ ؛ وَهُوَ مُضْطَرٌّ أَنْ يَحْمِلَ أَجْهِزَتَهُ وَمُعَدَّاتِهِ حَسَبَ قُوَّتِهِ ؛ فَيُجَادِلُ بِمِقْدَارِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ الصَّغِيرَةِ ، عَرِيفاً فَقَطْ مِنْ جَيْشِ الْعَدُوِّ ؛ فَلاَ يَتَأَتّٰى مِنْ يَدِهِ شَيْءٌ زَائِدٌ . .

وَالْأَخُ الْآخَرُ لاَ يَعْتَمِدُ عَلٰى نَفْسِهِ ؛ وَيَعْلَمُ نَفْسَهُ عَاجِزَةً لاَ قُوَّةَ لَهَا ؛ فَانْتَسَبَ إِلَى السُّلْطَانِ ؛ وَسُجِّلَ فِي الدِّيوَانِ ؛ فَصَارَ جَيْشٌ عَظِيمٌ ، نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ لَهُ بِذٰلِكَ الاِنْتِسَابِ ؛ وَاقْتَحَمَ الْحَرْبَ بِذٰلِكَ الاِسْتِنَادِ ، بِقُوَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ تَحْشِدُ وَرَاءَهُ ، قُوَّةَ جَيْشٍ مَعْنَوِيَّةً ، بِهِمَّةِ السُّلْطَانِ ؛ حَتّٰى لَقِيَ مُشِيراً كَبِيراً لِلْمَلِكِ ، بَيْنَ جَيْشِ الْعَدُوِّ الْمَغْلُوبِ ؛ فَقَالَ : تَعَالَ ؛ إِنِّي آسِرُكَ بِاسْمِ سُلْطَانِي ؛ فَيَأْسِرُهُ وَيَأْتِي بِهِ . .

وَسِرُّ هٰذَا الْحَالِ وَحِكْمَتُهُ : هِيَ أَنَّ الْأَوَّلَ الْمَدَنِيَّ ، كَانَ مُضْطَرّاً إِلٰى حَمْلِ أَجْهِزَتِهِ وَمَنْبَعِ قُوَّتِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْمَلَ إِلاَّ شَيْئاً جُزْئِيّاً لِلْغَايَةِ ؛ وَأَمَّا هٰذَا الْمُوَظَّفُ ، فَلَيْسَ مُضْطَرّاً إِلٰى حَمْلِ مَنْبَعِ قُوَّتِهِ ؛ بَلْ يَحْمِلُهُ الْجَيْشُ وَالسُّلْطَانُ ؛ وَهٰذَا الرَّجُلُ يَرْبِطُ نَفْسَهُ بِهٰذَا الاِنْتِسَابِ ، بِتِلْكَ الْقُوَّةِ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، كَرَبْطِ جِهَازِهِ بِخَطِّ الْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ الْمَوْجُودِ ، بِسِلْكٍ صَغِيرٍ ؛ فَكَذٰلِكَ ـ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى ـ إِنْ أُسْنِدَ كُلُّ مَخْلُوقٍ ، وَكُلُّ ذَرَّةٍ ، إِلَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ مُبَاشَرَةً ؛ وَانْتَسَبَتْ إِلَيْهِ ؛ فَحِينَئِذٍ تَهْدِمُ النَّمْلَةُ قَصْرَ فِرْعَوْنَ عَلٰى رَأْسِهِ ؛ وَتَرْمِي بِهِ عَلٰى وَجْهِهِ ؛ وَتَقْتُلُ الذُّبَابَةُ ، النُّمْرُوذَ ؛ وَتُلْقِيهِ فِي جَهَنَّمَ ؛ وَتُدْخِلُ جُرْثُومَةٌ ، ظَالِماً جَبَّاراً أَشَدَّ فِي الْقَبْرِ ؛ وَتَصِيرُ نَوَاةُ الصَّنَوْبَرِ الَّتِي هِيَ بِقَدْرِ حَبَّةِ الْقَمْحِ ، فِي حُكْمِ الْمَصْنَعِ وَالْجِهَازِ لِشَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ كَجَبَلٍ ؛ وَتَعْمَلُ ذَرَّاتُ الْهَوَاءِ ، فِي تَشَكُّلِ جَمِيعِ

الْأَزْهَارِ وَالْأَثْمَارِ ، وَفِي أَعْمَالِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، مُنْتَظِماً وَلَطِيفاً ، بِقُوَّةِ ذٰلِكَ الِانْتِسَابِ ، وَبِحَوْلِ سَيِّدِهَا وَبِأَمْرِهِ . فَكُلُّ هٰذِهِ السُّهُولَةِ تَنْشَأُ بِالْبَدَاهَةِ عَنِ الِانْتِسَابِ وَالتَّسْخِيرِ . فَإِنْ عَادَ الْأَمْرُ إِلَى الْفَوْضَى ؛ وَتُرِكَتْ لِنَفْسِهَا وَلِلْأَسْبَابِ وَالْكَثْرَةِ ؛ وَسُلِكَ فِي طَرِيقِ الشِّرْكِ ؛ يَعْمَلُ حِينَئِذٍ كُلُّ شَيْءٍ ، قَدْرَ جِرْمِهِ ، وَمِقْدَارَ شُعُورِهِ . .

اَلتَّمْثِيلُ الثَّالِثُ : أَنَّ صَاحِبَيْنِ يُرِيدَانِ أَنْ يَكْتُبَا جُغْرَافِيَّةً إِحْصَائِيَّةً ، فِي أَحْوَالِ بِلَادٍ لَمْ يَشْهَدَاهَا أَصْلاً . فَأَحَدُهُمَا يَنْتَسِبُ إِلَى سُلْطَانِ تِلْكَ الْبِلَادِ ؛ فَيَدْخُلُ دَائِرَةَ الْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ ؛ وَيَرْبِطُ جِهَازَ هَاتِفِهِ ، بِخَطِّ هَاتِفِ الْحُكُومَةِ ، بِسِلْكٍ فِي قِيمَةِ عَشَرَةِ فُلُوسٍ ؛ فَيَتَّصِلُ بِكُلِّ مَكَانٍ ؛ وَيُرَاسِلُهَا وَيَأْخُذُ عَنْهَا الْمَعْلُومَاتِ ؛ فَيَصْنَعُ تَصْنِيفاً مُصَنَّعاً ، فِي جُغْرَافِيَّةِ الْإِحْصَاءِ ، مُنْتَظِماً وَمُكَمَّلاً لِلْغَايَةِ . . وَأَمَّا الصَّاحِبُ الْآخَرُ : فَإِمَّا أَنَّهُ يَسِيرُ خَمْسِينَ سَنَةً دَائِماً ؛ وَيَرَى كُلَّ مَكَانٍ ؛ وَيَسْمَعُ كُلَّ حَادِثٍ بِمَشَاكِلَ ؛ وَإِمَّا أَنَّهُ يُنْفِقُ مَلَايِينَ نُقُودٍ ؛ فَيَصِيرُ كَالسُّلْطَانِ ، مَالِكَ الْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ ، بِقَدَرِ أَسْلَاكِ بَرْقِ الْحُكُومَةِ وَهَاتِفِهَا ؛ حَتّٰى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَصْنَعَ ذٰلِكَ التَّصْنِيفَ الْمُكَمَّلَ ، كَصَاحِبِهِ الْأَوَّلِ ؛ كَذٰلِكَ ـ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى ـ إِنْ أُسْنِدَتِ الْأَشْيَاءُ وَالْمَخْلُوقَاتُ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، إِلَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؛ يَصِيرُ حِينَئِذٍ كُلُّ شَيْءٍ ، مَظْهَراً بِذٰلِكَ الِارْتِبَاطِ ؛ وَيُحَصِّلُ بِالِانْعِكَاسِ لِتَجَلِّي تِلْكَ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ ، الِاتِّصَالَ بِقَوَانِينِ حِكْمَتِهَا ، وَدَسَاتِيرِ عِلْمِهَا ، وَنَوَامِيسِ قُدْرَتِهَا ؛ فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ حِينَئِذٍ ، بِحَوْلِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، مَظْهَراً لِجِلْوَةٍ رَبَّانِيَّةٍ بِمَثَابَةِ بَصَرِهِ الَّذِي يُبْصِرُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَوَجْهِهِ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، وَكَلَامِهِ الَّذِي يَنْفُذُ فِي كُلِّ شَيْءٍ . فَإِنِ انْقَطَعَ ذٰلِكَ الِانْتِسَابُ ؛ يَنْقَطِعُ ذٰلِكَ الشَّيْءُ عَنْ كُلِّ الْأَشْيَاءِ أَيْضاً ؛ فَيَنْحَصِرُ فِي صِغَرِ بِقَدَرِ جِرْمِهِ ؛ فَلَا بُدَّ فِي ذٰلِكَ الْحَالِ أَنْ يَكُونَ مَالِكَ أُلُوهِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ ؛ حَتّٰى يَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ فِي الْوَضْعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَعْمَالِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ فِي طَرِيقِ الْوَحْدَةِ وَالْإِيمَانِ ، سُهُولَةً وَيُسْراً فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَفِي الشِّرْكِ وَالْأَسْبَابِ ، إِشْكَالاً وَصُعُوبَةً فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ؛ لِأَنَّ فَرْداً وَاحِداً ، يُرَتِّبُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً عَلٰى كَيْفِيَّةٍ ؛ وَيَسْتَحْصِلُ عَنْهَا نَتِيجَةً ، بِدُونِ كُلْفَةٍ . فَلَوْ فُوِّضَ اتِّخَاذُ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ ،

وَاسْتِحْصَالُ تِلْكَ النَّتِيجَةِ ، إِلَى تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ ؛ لَمَا أَمْكَنَ أَنْ تُتَّخَذَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ ؛ وَتُسْتَحْصَلَ تِلْكَ النَّتِيجَةُ ، إِلَّا بِتَكَلُّفَاتٍ وَحَرَكَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً . .

فَمَثَلاً : إِنَّ الْكَيْفِيَّةَ السَّمَاوِيَّةَ الْمَحْبُوبَةَ الْجَاذِبَةَ ؛ وَهِيَ تَسْيِيرُ جَيْشِ النُّجُومِ ، وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى صُورَةِ التَّسْبِيحِ وَالِاحْتِشَامِ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ النَّتِيجَةَ الْأَرْضِيَّةَ الْحَكِيمَةَ الْعُلْوِيَّةَ ؛ وَهِيَ تَرَتُّبُ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ ، كَتَبَدُّلِ الْفُصُولِ ، كُلَّ لَيْلَةٍ وَكُلَّ سَنَةٍ ، بِسَوْقِهَا تَحْتَ قِيَادَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، فِي مَيْدَانِ السَّمَاوَاتِ ؛ إِذَا أُسْنِدَتْ إِلَى الْوَحْدَةِ ؛ يُعَيِّنُ ذٰلِكَ السُّلْطَانُ الْأَزَلِيُّ ، بِسُهُولَةٍ ، فَرْداً مِثْلَ كُرَةِ الْأَرْضِ ، قَائِداً عَلَى الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ ، لِأَجْلِ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ ، وَتِلْكَ النَّتِيجَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ تَقُومُ الْأَرْضُ ، مِنْ نَشْوَةِ الْخِدْمَةِ ، إِلَى الذِّكْرِ وَالسَّمَاعِ ، **كَالْمَوْلَوِيِّ** ، بَعْدَمَا تَتَلَقَّى الْأَمْرَ ؛ فَتَحْصُلُ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ الْجَمِيلَةُ ؛ وَتَتَرَتَّبُ تِلْكَ النَّتِيجَةُ الْمُهِمَّةُ ، بِنَفَقَةٍ قَلِيلَةٍ . . وَإِنْ قِيلَ لِلْأَرْضِ : «**اسْكُنِي وَلَا تُخَالِطِي**» ؛ وَفُوِّضَ اسْتِحْصَالُ تِلْكَ النَّتِيجَةِ ، وَتِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ ، إِلَى السَّمَاوَاتِ ؛ وَسُلِكَ مِنَ الْوَحْدَةِ ، إِلَى الْكَثْرَةِ وَالشِّرْكِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ تَسِيرَ مَلَايِينُ نُجُومٍ أَعْظَمَ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ ، آلَافَ دَرَجَاتٍ ؛ وَأَنْ تَقْطَعَ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً ، وَفِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، مَسَافَةَ مِلْيَارَاتِ سِنِينَ ، كُلَّ يَوْمٍ ، وَكُلَّ سَنَةٍ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي **الْمَكْتُوبِ الثَّانِي** . .

نَتِيجَةُ الْمَرَامِ : أَنَّ الْقُرْآنَ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ ، يُسَلِّمُونَ مَصْنُوعَاتٍ بِلَا حَدٍّ ، إِلَى صَانِعٍ وَاحِدٍ ؛ وَيُسْنِدُونَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً ؛ فَيَسْلُكُونَ وَيَسُوقُونَ فِي طَرِيقٍ سَهْلٍ بِدَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَأَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالطُّغْيَانِ ، يُسْنِدُونَ مَصْنُوعاً وَاحِداً ، إِلَى أَسْبَابٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَيَسْلُكُونَ فِي طَرِيقٍ صَعْبٍ بِدَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ . فَفِي هٰذَا الْحَالِ ، يَكُونُ مَصْنُوعٌ وَاحِدٌ فِي طَرِيقِ الضَّلَالِ ، مُتَسَاوِياً مَعَ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، فِي طَرِيقِ الْقُرْآنِ ؛ بَلْ إِنَّ صُدُورَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ، مِنَ الْوَاحِدِ ، أَسْهَلُ وَأَهْوَنُ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْ صُدُورِ وَاحِدٍ عَنْ أَشْيَاءَ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَذٰلِكَ كَمَا أَنَّ ضَابِطاً وَاحِداً ، يُدَبِّرُ أَلْفَ جُنْدِيٍّ ، كَفَرْدٍ وَاحِدٍ ، بِسُهُولَةٍ ؛ وَإِذَا فُوِّضَ تَدْبِيرُ فَرْدٍ وَاحِدٍ ، إِلَى أَلْفِ ضَابِطٍ ؛ يُشْكِلُ بِقَدْرِ أَلْفِ جُنْدِيٍّ ؛ وَيُؤَدِّي إِلَى النِّزَاعِ . .

فَهٰذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ ، تَضْرِبُ بِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، عَلٰى رُؤُوسِ أَهْلِ الشِّرْكِ ؛ وَتُمَزِّقُهَا ؛ وَتَقُولُ : ﴿ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، بِعَدَدِ ذَرَّاتِ الْكَائِنَاتِ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، آمِينَ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

اَللّٰهُمَّ يَا أَحَدُ ، يَا وَاحِدُ ، يَا صَمَدُ ! يَا مَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ! يَا مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ! وَيَا مَنْ يُحْيِي وَيُمِيتُ ! يَا مَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ ! وَيَا مَنْ هُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ! يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ! بِحَقِّ أَسْرَارِ هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ اجْعَلْ نَاشِرَ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَرُفَقَاءَهُ وَصَاحِبَهَا «سَعِيداً» ، مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْكَامِلِينَ ، وَمِنَ الصِّدِّيقِينَ الْمُحَقِّقِينَ ، وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ، آمِينَ . . اَللّٰهُمَّ بِحَقِّ سِرِّ أَحَدِيَّتِكَ اجْعَلْ نَاشِرَ هٰذَا الْكِتَابِ ، نَاشِراً لِأَسْرَارِ التَّوْحِيدِ ؛ وَقَلْبَهُ مَظْهَراً لِأَنْوَارِ الْإِيمَانِ ؛ وَلِسَانَهُ نَاطِقاً بِحَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، آمِينَ آمِينَ آمِينَ . .

اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَآ أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ۞ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ۞..﴾

أَيُّهَا الْغَافِلُ الَّذِي يُوجَدُ فِي بَيْتِهِ، وَالِدَتُهُ الْعَجُوزُ، أَوْ وَالِدُهُ الْهَرِمُ، أَوْ عَاجِزٌ أَوْ عَلِيلٌ مِنْ أَقَارِبِهِ، أَوْ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ! تَأَمَّلْ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ؛ وَانْظُرْ إِلَيْهَا: كَيْفَ تَجْلِبُ الشَّفَقَةَ، إِلَى الْوَالِدَيْنِ الْهَرِمَيْنِ، فِي خَمْسِ طَبَقَاتٍ عَلٰى صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ، فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ. نَعَمْ: إِنَّ الْحَقِيقَةَ الْعُلْيَا فِي الدُّنْيَا، هِيَ شَفَقَةُ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَلٰى أَوْلَادِهِمْ؛ وَإِنَّ أَعْلَى الْحُقُوقِ، هُوَ حَقُّ حُرْمَتِهِمْ، إِزَاءَ تِلْكَ الشَّفَقَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَفْدُونَ بِحَيَاتِهِمْ؛ وَيَصْرِفُونَهَا عَلٰى حَيَاةِ أَوْلَادِهِمْ، بِكَمَالِ اللَّذَّةِ. فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ؛ فَإِنَّ مِنْ حَقِّ كُلِّ وَلَدٍ لَمْ تَسْقُطْ إِنْسَانِيَّتُهُ؛ وَلَمْ يَنْقَلِبْ إِلَى السَّبُعِ، أَنْ يَحْتَرِمَ خَالِصاً، أُولٰٓئِكَ الْأَصْدِقَاءَ الْفِدَائِيِّينَ الصَّادِقِينَ الْمُحْتَرَمِينَ؛ وَأَنْ يَخْدُمَهُمْ صَمِيماً؛ وَيُحَصِّلَ رِضَاهُمْ؛ وَيُفَرِّحَ قُلُوبَهُمْ. فَالْعَمُّ وَالْعَمَّةُ، فِي

حُكمِ الأَبِ ؛ وَالْخَالُ وَالْخَالَةُ ، بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ . فَاسْتِثْقَالُ وُجودِ أُولَئِكَ الشِّيبِ الْمُبارَكِينَ ، وَتَمَنِّي مَوْتِهِمْ ، دَنَاءَةٌ وَفِقْدَانُ وِجْدَانٍ ؛ فَاعْلَمْ وَانْتَبِهْ . .

نَعَمْ : إِنَّ تَمَنِّيَ زَوَالِ حَيَاةِ مَنْ يَفْدِي حَيَاتَكَ بِحَيَاتِهِ ، ظُلْمٌ شَنِيعٌ ، وَفِقْدَانُ وِجْدَانٍ ؛ فَافْهَمْ . .

فَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْمُبْتَلَى بِبَلاءِ الْمَعِيشَةِ ! إِنَّ عَمُودَ الْبَرَكَةِ ، وَوَسِيلَةَ الرَّحْمَةِ ، وَدَافِعَةَ الْبَلِيَّةِ فِي دَارِكَ ، هُوَ ذٰلِكَ الْهَرِمُ ، أَوْ قَرِيبُكَ الأَعْمَى فِي بَيْتِكَ ، الَّذِي تَسْتَثْقِلُهُ . . إِيَّاكَ وَأَنْ تَقُولَ : إِنَّ مَعِيشَتِي ضَيِّقٌ ؛ فَلا أَسْتَطِيعُ الإِنْفَاقَ ؛ فَإِنَّهُ لَوْلا الْبَرَكَةُ النَّازِلَةُ مِنْ أَجْلِهِمْ ؛ لازْدَادَ ضِيقُ مَعِيشَتِكَ أَكْثَرَ ؛ فَاعْتَقِدْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ عَنِّي ؛ فَإِنِّي أَعْلَمُ كَثِيراً مِنْ دَلائِلِهَا الْقَاطِعَةِ ؛ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أُقْنِعَكَ ؛ وَلٰكِنِّي أَخْتَصِرُ ؛ لِئَلّا يَطُولَ الْكَلامُ ؛ فَاقْتَنِعْ بِكَلامِي هٰذَا ؛ وَأُقْسِمُ أَنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، حَقِيقَةٌ قَاطِعَةٌ لِلْغَايَةِ ؛ حَتّى إِنَّ نَفْسِي وَشَيْطَانِي أَيْضاً ، اسْتَسْلَمَا أَمَامَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَلا بُدَّ أَنْ تُقْنِعَكَ حَقِيقَةٌ نَقَضَتْ عِنَادَ نَفْسِي ؛ وَأَفْحَمَتْ شَيْطَانِي . .

نَعَمْ : إِنَّ الْخَالِقَ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيمَ ، اللَّطِيفَ الْكَرِيمَ ، ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، بِشَهَادَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ كَمَا يُرْسِلُ أَرْزَاقَ الأَطْفَالِ وَرَاءَهُمْ ؛ وَيُجْرِيهَا إِلَى أَفْوَاهِهِمْ ، مِنْ قَنَوَاتِ الثُّدِيِّ ، بِصُورَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ إِذْ يَبْعَثُ بِهِمْ إِلَى الدُّنْيَا ؛ كَذٰلِكَ يُرْسِلُ أَرْزَاقَ الشِّيبِ الَّذِينَ صَارُوا بِمَثَابَةِ الصِّبْيَانِ ؛ وَيَلِيقُونَ بِالرَّحْمَةِ ؛ وَيَحْتَاجُونَ إِلَى الشَّفَقَةِ أَكْثَرَ مِنَ الصِّبْيَانِ ؛ وَيَبْعَثُ بِهَا فِي صُورَةِ الْبَرَكَةِ أَيْضاً ؛ وَلا يَحْمِلُ نَفَقَتَهُمْ عَلَى طُمَعَاءِ النَّاسِ وَبُخَلائِهِمْ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ ، تَذْكُرُ وَتُنَادِي بِلِسَانِ الْحَالِ ، بِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تُفِيدُهَا آيَةُ : ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝﴾ ، وَآيَةُ : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَآبَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ إِلَى آخِرِهَا ؛ حَتّى إِنَّ أَرْزَاقَ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ تَرِدُ فِي صُورَةِ الْبَرَكَةِ أَيْضاً ، فَضْلاً عَنِ الأَقَارِبِ الشِّيبِ ؛ وَذٰلِكَ مِثْلُ السَّنَانِيرِ الَّتِي جُعِلَتْ رُفَقَاءَ لِلنَّاسِ ؛ وَيُرْسِلُ أَرْزَاقَهَا بَيْنَ أَرْزَاقِهِمْ . وَأَذْكُرُ مِثَالاً شَاهَدْتُهُ أَنَا ؛ وَيُؤَيِّدُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ

أَصْدِقَائِيَ الْمُقَرَّبِينَ ، يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ لِي وَجْبَةٌ مُعَيَّنَةٌ كُلَّ يَوْمٍ ، نِصْفُ الرَّغِيفِ ، قَبْلَ عَامَيْنِ أَوْ ثَلاثَةِ أَعْوَامٍ ، وَكَانَتْ رَغَائِفُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ صَغِيرَةً ؛ فَكَثِيراً مَا كَانَ لا يَكْفِينِي ؛ ثُمَّ قَدِمَتْ عَلَيَّ أَرْبَعُ سَنَانِيرَ ضُيُوفاً ؛ فَكَانَ عَيْنُ تِلْكَ الْوَجْبَةِ تَكْفِينِي وَإِيَّاهُمْ ؛ وَتَفْضُلُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ فَتَكَرَّرَ هٰذَا الْحَالُ ؛ وَأَقْنَعَنِي أَنِّي كُنْتُ أَسْتَفِيدُ مِنْ بَرَكَةِ السَّنَانِيرِ ؛ وَأُعْلِنُ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِمْلاً عَلَيَّ ؛ وَإِنِّي كُنْتُ أَمُنُّ مِنْهَا ؛ لا هِيَ مِنِّي . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! إِذَا قَدِمَ حَيَوَانٌ عَلٰى صُورَةِ السَّبُعِ ، إِلٰى مَنْزِلِ الْإِنْسَانِ ضَيْفاً ؛ يَكُونُ مَدَاراً لِلْبَرَكَةِ ؛ فَإِذاً إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَإِنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ الَّذِينَ هُمْ أَكْمَلُ النَّاسِ ، وَإِنَّ الْعَجَزَةَ وَالشِّيبَ الْمَرْضٰى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ هُمْ أَلْيَقُ بِالْحُرْمَةِ وَالْمَرْحَمَةِ ، وَإِنَّ الْأَقَارِبَ الَّذِينَ هُمْ أَلْيَقُ وَأَحَقُّ بِالشَّفَقَةِ وَالْخِدْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ ، بَيْنَ الشِّيبِ الْمَرْضٰى ، وَإِنَّ الْوَالِدَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا أَحَقُّ الْأَصْدِقَاءِ ، وَأَصْدَقُ الْأَحِبَّاءِ ، بَيْنَ الْأَقَارِبِ أَيْضاً ، إِذَا كَانُوا فِي بَيْتٍ ، فِي حَالِ الشِّيبِ ؛ كَيْفَ يَكُونُونَ وَسِيلَةَ الْبَرَكَةِ ، وَوَاسِطَةَ الرَّحْمَةِ ، وَسَبَبَ دَفْعِ الْمُصِيبَةِ ، بِسِرِّ حَدِيثِ ﴿لَوْلَا الشُّيُوخُ الرُّكَّعُ ؛ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْبَلَاءُ صَبّاً﴾ ؛ يَعْنِي : لَوْلا شُيُوخُكُمُ الَّذِينَ انْحَنَتْ ظُهُورُهُمْ ؛ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْبَلايَا ، كَالسَّيْلِ ؛ فَقِسْ عَلَيْهِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! احْمِلْ عَقْلَكَ إِلٰى رَأْسِكَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَمُتْ ؛ فَسَتَشِيبُ ؛ وَإِذَا لَمْ تَحْتَرِمْ وَالِدَيْكَ ؛ فَلَنْ يَخْدُمَكَ أَوْلادُكَ أَيْضاً ، بِسِرِّ «أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ» . فَإِنْ أَحْبَبْتَ آخِرَتَكَ ؛ فَهَاكَ دَفِينَةً مُهِمَّةً ؛ فَاخْدُمْهُمَا وَحَصِّلْ رِضَاءَهُمَا ؛ وَإِنْ أَحْبَبْتَ دُنْيَاكَ ؛ فَفَرِّحْهُمَا أَيْضاً ؛ حَتّٰى تَجْرِيَ حَيَاتُكَ ، ذَاتَ رَاحَةٍ ؛ وَرِزْقُكَ ، ذَا بَرَكَةٍ ، مِنْ أَجْلِهِمَا . وَإِلّا فَإِنِ اسْتَثْقَلْتَهُمَا ؛ وَتَمَنَّيْتَ مَوْتَهُمَا ؛ وَأَوْجَعْتَ قُلُوبَهُمَا الرَّقِيقَةَ السَّرِيعَةَ التَّأَلُّمِ ؛ تَصِيرُ بِذٰلِكَ ، مَظْهَراً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ . وَإِنْ تُرِدْ رَحْمَةَ الرَّحْمٰنِ ؛ فَارْحَمْ وَدَائِعَ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنِ ، وَأَمَانَاتِهِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ . . وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِيَ الْأُخْرَوِيِّينَ ، اسْمُهُ «مُصْطَفٰى چَاوِيش» ؛ فَكُنْتُ أَرَاهُ مُوَفَّقاً فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ؛ وَلَمْ أَعْلَمْ سِرَّ ذٰلِكَ ؛ ثُمَّ فَهِمْتُ أَنَّ سَبَبَ ذٰلِكَ النَّجَاحِ ، هُوَ أَنَّ ذٰلِكَ الْفَاضِلَ عَرَفَ حُقُوقَ وَالِدَيْهِ

الشَّيْخَيْنِ ؛ وَرَاعَى تِلْكَ الْحُقُوقَ تَامَّةً ؛ وَوَجَدَ مِنْ أَجْلِهِمَا رَاحَةً وَرَحْمَةً . وَأَرْجُو أَنَّهُ عَمَرَ آخِرَتَهُ أَيْضاً ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَعِيداً ؛ فَلْيَتَشَبَّهْ بِهِ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى مَنْ قَالَ : ﴿الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ﴾ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

إِنَّ هٰذَا الْمَكْتُوب مَبْحَثَانِ. وَمَبْحَثُهُ الْأَوَّلُ يَدْعُو أَهْلَ الْإِيمَانِ، إِلَى الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ..

اَلْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ.. اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞.. وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞..﴾

إِنَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى النِّفَاقِ وَالشِّقَاقِ، وَالْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ التَّحَزُّبِ وَالْعِنَادِ وَالْحَسَدِ، شَنِيعٌ وَمَرْدُودٌ، إِضْرَارٌ وَظُلْمٌ، وَسُمٌّ لِلْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ، حَسَبَ الْحَقِيقَةِ، وَالْحِكْمَةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي هِيَ الْإِنْسَانِيَّةُ الْكُبْرٰى، وَحَسَبَ الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.. وَنُبَيِّنُ مِنْ وُجُوهِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ، الْكَثِيرَةِ جِدّاً، خَمْسَةَ أَوْجُهٍ..

﴿اَلْوَجْهُ الْأَوَّلُ :﴾ أَنَّهُ ظُلْمٌ فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ . فَيَا أَيُّهَا الْمُتَعَسِّفُ الَّذِي يُضْمِرُ الْحِقْدَ وَالْعَدَاوَةَ لِلْمُؤْمِنِ ! كَمَا أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي سَفِينَةٍ أَوْ فِي مَنْزِلٍ ؛ وَمَعَكَ تِسْعَةُ أَبْرِيَاءَ ، وَمُجْرِمٌ وَاحِدٌ ؛ وَسَعٰى أَحَدٌ لِإِغْرَاقِ تِلْكَ السَّفِينَةِ ، أَوْ إِحْرَاقِ ذٰلِكَ الْمَنْزِلِ ؛ تَعْلَمُ مَدٰى ظُلْمِهِ ؛ وَتَصْرُخُ بِحَيْثُ تُسْمِعُ السَّمَاوَاتِ ظُلْمَهُ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ لَوْ كَانَ بَرِيءٌ وَاحِدٌ ، وَتِسْعَةُ مُجْرِمِينَ ؛ لَا تُغْرَقُ تِلْكَ السَّفِينَةُ أَيْضاً ، بِأَيِّ قَانُونِ الْعَدْلِ أَصْلاً ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : إِنَّكَ إِذَا حَقَدْتَ عَلٰى مُؤْمِنٍ ؛ وَعَادَيْتَهُ مِنْ أَجْلِ صِفَةٍ جَانِيَةٍ ضَارَّةٍ بِكَ ، وَمَنْفُورَةٍ لَكَ ؛ مَعَ أَنَّ فِي بَدَنِهِ الَّذِي هُوَ مَنْزِلٌ رَبَّانِيٌّ ، وَسَفِينَةٌ إِلٰهِيَّةٌ ، عِشْرِينَ صِفَةً مَعْصُومَةً ، لَا تِسْعَ صِفَاتٍ ، كَالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْجِوَارِ ؛ وَحَاوَلْتَ بِإِضْمَارِ الْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ ، غَرْقَ تِلْكَ السَّفِينَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَرُسُوبَهَا ؛ أَوْ تَمَنَّيْتَ هَدْمَ ذٰلِكَ الْمَنْزِلِ الْمَعْنَوِيِّ وَإِحْرَاقَهُ مَعْنًى ؛ فَإِنَّ مُحَاوَلَتَكَ أَوْ تَمَنِّيَكَ ذٰلِكَ ، ظُلْمٌ شَنِيعٌ غَدَّارٌ مِثْلُهُ . .

﴿اَلْوَجْهُ الثَّانِي :﴾ أَنَّهُ ظُلْمٌ فِي نَظَرِ الْحِكْمَةِ أَيْضاً ؛ إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ : أَنَّ الْعَدَاوَةَ وَالْمَحَبَّةَ ، ضِدَّانِ كَالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ ؛ وَهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ مَعاً ، فِي مَعْنَاهُمَا الْحَقِيقِيِّ . فَإِنْ وُجِدَتِ الْمَحَبَّةُ حَقِيقِيّاً ، فِي قَلْبٍ ، حَسَبَ رُجْحَانِ أَسْبَابِهَا ؛ تَكُونُ الْعَدَاوَةُ مَجَازِيَّةً ؛ وَتَنْقَلِبُ إِلٰى صُورَةِ التَّرَحُّمِ حِينَئِذٍ . نَعَمْ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُحِبُّ أَخَاهُ ؛ وَعَلَيْهِ أَنْ يُحِبَّهُ ؛ وَلٰكِنَّهُ إِنَّمَا يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ لِسُوئِهِ ؛ وَيَجْتَهِدُ لِإِصْلَاحِهِ بِاللُّطْفِ ، لَا بِالتَّحَكُّمِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يَجُوزُ بِنَصِّ الْحَدِيثِ ، أَنْ يَسْخَطَ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ ؛ فَيَقْطَعَ الْمُكَالَمَةَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَإِنْ غَلَبَتْ أَسْبَابُ الْعَدَاوَةِ ؛ فَوُجِدَتِ الْعَدَاوَةُ بِحَقِيقَتِهَا ، فِي قَلْبٍ ؛ تَصِيرُ الْمَحَبَّةُ مَجَازِيَّةً ؛ وَتَدْخُلُ فِي صُورَةِ التَّصَنُّعِ وَالتَّمَلُّقِ حِينَئِذٍ . .

فَيَا أَيُّهَا الْمُتَعَسِّفُ ! انْظُرِ الْآنَ إِلٰى مَدٰى ظُلْمِ الْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ لِأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ ؛ إِذْ كَمَا أَنَّكَ إِذَا زَعَمْتَ أَنَّ الْحَصَى الْعَادِيَّةَ ، أَشْرَفُ مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَأَعْظَمُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ؛ تَهْذِي هَذَيَاناً شَنِيعاً ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : إِذَا رَجَّحْتَ بَعْضَ أَخْطَاءٍ بِمَثَابَةِ الْحَصَى الْعَادِيَّةِ ، مِمَّا تُؤَدِّي إِلَى الْعَدَاوَةِ لِلْمُؤْمِنِ ، عَلَى الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ فِي حُرْمَةِ الْكَعْبَةِ ، وَعَلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ

فِي عَظَمَةِ جَبَلِ أُحُدٍ ؛ مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَوْصَافِ الإِسْلاَمِيَّةِ ، كَالْإِيمَانِ وَالْإِسْلاَمِ ، تَقْتَضِي الْمَحَبَّةَ وَالاتِّفَاقَ ؛ يَكُونُ ذٰلِكَ التَّرْجِيحُ ظُلْماً عَظِيماً وَاعْتِسَافاً وَسَخَافَةً بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ؛ إِنْ كَانَ لَكَ عَقْلٌ تَفْهَمُهُ . .

نَعَمْ : إِنَّ تَوْحِيدَ الْإِيمَانِ ، يَقْتَضِي تَوْحِيدَ الْقُلُوبِ ؛ وَإِنَّ وَحْدَةَ الاعْتِقَادِ ، تَقْتَضِي الْوَحْدَةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ . نَعَمْ : لَا تُنْكِرُ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ مَعَ أَحَدٍ ، فِي كَتِيبَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ تَشْعُرُ بِذٰلِكَ ، بِرَابِطَةِ صَدَاقَةٍ مَعَ ذٰلِكَ الشَّخْصِ ؛ وَإِذَا كُنْتَ مَعَهُ ، تَحْتَ قِيَادَةِ قَائِدٍ وَاحِدٍ ؛ تَتَلَقّى مِنْ ذٰلِكَ ، عَلاَقَةَ رِفَاقَةٍ ؛ وَإِذَا كُنْتَ مَعَهُ ، فِي وَطَنٍ وَاحِدٍ ؛ تُحِسُّ بِذٰلِكَ ، بِمُنَاسَبَةِ أُخُوَّةٍ ؛ مَعَ أَنَّ لِلْإِيمَانِ عَلاَقَاتِ وَحْدَةٍ ، وَرَوَابِطَ اتِّفَاقٍ ، وَمُنَاسَبَاتِ أُخُوَّةٍ ، عَدَدَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي أَرَاكَهَا الْإِيمَانُ ؛ وَأَعْلَمَهَا لَكَ ، بِمَا أَلْهَمَهُ مِنَ النُّورِ وَالشُّعُورِ . فَمَثَلاً : إِنَّ خَالِقَكُمَا وَاحِدٌ ؛ وَمَالِكَكُمَا وَاحِدٌ ؛ وَمَعْبُودَكُمَا وَاحِدٌ ؛ وَرَازِقَكُمَا وَاحِدٌ ؛ وَهٰكَذَا إِلَى أَلْفِ وَحْدَاتٍ ؛ وَإِنَّ نَبِيَّكُمَا وَاحِدٌ ؛ وَدِينَكُمَا وَاحِدٌ ؛ وَقِبْلَتَكُمَا وَاحِدَةٌ ؛ وَهٰكَذَا إِلَى مِئَةِ وَحْدَةٍ ؛ ثُمَّ إِنَّ قَرْيَتَكُمَا وَاحِدَةٌ ؛ وَحُكُومَتَكُمَا وَاحِدَةٌ ؛ وَبِلاَدَكُمَا وَاحِدَةٌ ؛ وَهٰكَذَا إِلَى عَشْرِ وَحْدَاتٍ . . فَإِذَا رَجَّحْتَ مَا لَا قِيمَةَ وَلَا ثَبَاتَ لَهُ ، كَنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ ، مِنْ أُمُورٍ تُؤَدِّي إِلَى الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَالْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ ؛ وَأَضْمَرْتَ الْحِقْدَ عَلَى الْمُؤْمِنِ ؛ وَعَادَيْتَهُ عَدَاوَةً حَقِيقِيَّةً ؛ مَعَ أَنَّهُ تُوجَدُ بَيْنَكُمَا ، سَلاَسِلُ مَعْنَوِيَّةٌ تَرْبِطُ بَيْنَ الْكَائِنَاتِ وَالْكُرَاتِ ؛ وَيَقْتَضِي هٰذَا الْقَدْرُ مِنَ الْوَحْدَاتِ ، الْوَحْدَةَ وَالتَّوْحِيدَ ، وَالْوِفَاقَ وَالاتِّفَاقَ ، وَالْمَحَبَّةَ وَالْأُخُوَّةَ ؛ يَكُونُ ذٰلِكَ التَّرْجِيحُ وَالْحِقْدُ وَالْعَدَاوَةُ ، إِسَاءَةَ أَدَبٍ ، أَمَامَ تِلْكَ الرَّوَابِطِ الْوَحْدَوِيَّةِ ، وَاسْتِخْفَافاً بِتِلْكَ الْأَسْبَابِ الْوُدِّيَّةِ ، وَظُلْماً وَاعْتِسَافاً ، عَلَى تِلْكَ الْمُنَاسَبَاتِ الْأَخَوِيَّةِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَمُتْ قَلْبُكَ ؛ وَلَمْ يَخْمُدْ عَقْلُكَ ؛ تَفْهَمْ ذٰلِكَ . .

﴿اَلْوَجْهُ الثَّالِثُ :﴾ أَنَّ الْعَدَاوَةَ وَإِضْمَارَ الْحِقْدِ ، عَلَى مُؤْمِنٍ ، مِمَّا هُوَ بِمَثَابَةِ الْإِدَانَةِ لِسَائِرِ صِفَاتِهِ الْمَعْصُومَةِ ، مِنْ أَجْلِ صِفَةٍ جَانِيَةٍ فِيهِ ، يَكُونُ ظُلْماً بِلاَ حَدٍّ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرٰى﴾ ؛ وَلاَسِيَّمَا إِذَا سَخِطَ عَنْ صِفَةٍ سَيِّئَةٍ لِلْمُؤْمِنِ ؛

وَغَضِبَ عَنْهَا ؛ فَشَمَّلَ عَدَاوَتَهُ ، عَلٰى أَقَارِبِ ذٰلِكَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَظْلِمُ ظُلْماً عَظِيماً يُفَادُ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾ ؛ وَقَدْ أَنْذَرَكَ الْحَقِيقَةُ وَالشَّرِيعَةُ وَالْحِكْمَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِذٰلِكَ ؛ فَكَيْفَ تَجِدُ نَفْسَكَ مُحِقَّةً ؛ وَتَقُولُ : إِنَّ لِي حَقّاً . . فَالسَّيِّئَاتُ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ ، كَثِيفَةٌ كَالشَّرِّ وَالتُّرَابِ ، فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا تَنْعَكِسَ وَلَا تَسْرِيَ إِلَى الْغَيْرِ ؛ فَإِنْ دَرَسَ غَيْرُهُ عَنْهُ ؛ وَعَمِلَ الشَّرَّ ؛ فَتِلْكَ مَسْأَلَةٌ أُخْرٰى . وَأَمَّا الْحَسَنَاتُ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ الْمَحَبَّةِ ؛ فَهِيَ نُورٌ كَالْمَحَبَّةِ ؛ وَمِنْ شَأْنِهَا السِّرَايَةُ وَالِانْعِكَاسُ ؛ وَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ صَارَ قَوْلُهُمْ : «صَدِيقُ الصَّدِيقِ صَدِيقٌ» ، مِنْ قَبِيلِ ضُرُوبِ الْأَمْثَالِ ؛ وَلِذٰلِكَ أَيْضاً يَسِيرُ عَلٰى أَلْسِنَةِ الْعُمُومِ قَوْلُهُمْ : «تُعْشَقُ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ، لِأَجْلِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ» . .

فَيَا أَيُّهَا الْمُتَعَسِّفُ ! هٰكَذَا تَرَاهُ الْحَقِيقَةُ ؛ فَإِنْ كُنْتَ عَارِفاً بِالْحَقِيقَةِ ؛ تَفْهَمُ أَنَّ الْعَدَاوَةَ لِأَخٍ مُؤْمِنٍ لَا تُحِبُّهُ ، وَلِأَقَارِبِهِ الْمَعْصُومِينَ الْمَحْبُوبِينَ ، خِلَافُ الْحَقِيقَةِ . .

﴿اَلْوَجْهُ الرَّابِعُ :﴾ أَنَّهُ ظُلْمٌ أَيْضاً ، فِي نَظَرِ الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ ؛ فَاسْتَمِعْ إِلٰى عِدَّةِ دَسَاتِيرَ تَكُونُ أَسَاساً لِهٰذَا الْوَجْهِ الرَّابِعِ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ مَسْلَكَكَ وَأَفْكَارَكَ حَقّاً ؛ فَلَكَ حَقٌّ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ مَسْلَكِي حَقٌّ ؛ أَوْ أَنَّهُ أَحْسَنُ ؛ وَلٰكِنْ لَا حَقَّ لَكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ الْحَقَّ ، هُوَ مَسْلَكِي فَقَطْ ؛ فَإِنَّ نَظَرَكَ الْمُتَعَسِّفَ ، وَفِكْرَكَ الْقَاصِرَ ، لَا يَكُونَانِ حَكَماً ؛ وَلَا يَحْكُمَانِ عَلٰى مَسْلَكِ الْغَيْرِ ، بِالْبُطْلَانِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ : (وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ۞ وَلٰكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا) . .

اَلدُّسْتُورُ الثَّانِي : أَنَّ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ ، أَنْ يَكُونَ كُلُّ كَلَامِكَ حَقّاً ؛ وَلٰكِنْ لَا حَقَّ لَكَ ، أَنْ تَقُولَ كُلَّ حَقٍّ ؛ وَلْيَكُنْ كُلُّ قَوْلِكَ صِدْقاً ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ مِنَ الصِّدْقِ ، قَوْلُ كُلِّ صِدْقٍ ؛ لِأَنَّ مِثْلَكَ مِمَّنْ لَا تَخْلُصُ نِيَّتُهُ ؛ قَدْ يَطْعَنُ الْأَعْصَابَ بِالنَّصِيحَةِ ؛ فَتُنْتِجُ عَكْسَ الْعَمَلِ . .

اَلدُّسْتُورُ الثَّالِثُ : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْعَدَاوَةَ ؛ فَعَادِ مَا فِي قَلْبِكَ مِنَ الْعَدَاوَةِ ؛ وَاعْمَلْ لِرَفْعِهِ ؛ وَعَادِ نَفْسَكَ الْأَمَّارَةَ ، وَهَوَاهَا مِمَّا هُوَ أَضَرُّ بِكَ ؛ وَاعْمَلْ لِإِصْلَاحِهَا ؛ وَلَا تُعَادِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَجْلِ تِلْكَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ؛ وَإِنْ تُرِدِ الْعُدْوَانَ ؛ فَإِنَّ الْكُفَّارَ وَالزَّنَادِقَةَ كَثِيرُونَ ؛ فَعَادِهِمْ . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ صِفَةَ الْمَحَبَّةِ لَائِقَةٌ بِالْمَحَبَّةِ ؛ كَذٰلِكَ خَصْلَةُ الْعَدَاوَةِ لَائِقَةٌ هِيَ نَفْسُهَا بِالْعَدَاوَةِ ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَغْلِبَ عَلٰى خَصْمِكَ ؛ فَادْفَعْ سَيِّئَتَهُ بِالْحَسَنَةِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ دَفَعْتَهَا بِالسَّيِّئَةِ ؛ تَزْدَادُ الْخُصُومَةُ ؛ وَيُضْمِرُ الْحِقْدَ قَلْباً ؛ وَيُدِيمُ الْعَدَاوَةَ ؛ وَلَوْ صَارَ مَغْلُوباً ظَاهِراً ؛ وَإِنْ قَابَلْتَهُ بِالْحَسَنَةِ ؛ يَنْدَمُ وَيَصِيرُ صَدِيقاً لَكَ ؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِ ، أَنْ يَكُونَ كَرِيماً ؛ فَيُسَخَّرُ لَكَ بِإِكْرَامِكَ ، بِحُكْمِ قَوْلِهِ : (إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ۞ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا) ؛ حَتّٰى إِنَّهُ لَوْ كَانَ لَئِيماً ظَاهِراً ؛ فَهُوَ كَرِيمٌ فِي جِهَةِ الْإِيمَانِ . نَعَمْ : مِمَّا يَقَعُ كَثِيراً ، أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ لِلَئِيمٍ : إِنَّكَ كَرِيمٌ كَرِيمٌ ، يَتَكَرَّمُ ؛ وَإِذَا قُلْتَ لِكَرِيمٍ : إِنَّكَ لَئِيمٌ لَئِيمٌ ، يَتَلَأَّمُ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَأَلْقِ السَّمْعَ إِلٰى دَسَاتِيرَ قُدْسِيَّةٍ قُرْآنِيَّةٍ ، كَقَوْلِهِ : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ۞ . . وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞﴾ ؛ فَإِنَّ فِيهَا السَّعَادَةَ وَالسَّلَامَةَ . .

اَلدُّسْتُورُ الرَّابِعُ : أَنَّ أَهْلَ الْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ ، يَعْتَدِي وَيَظْلِمُ عَلٰى نَفْسِهِ ، وَعَلٰى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ، وَعَلَى الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ يَتْرُكُ نَفْسَهُ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ ؛ وَيُقَاسِي بِنَفْسِهِ عَذَاباً نَاشِئاً عَنْ نِعَمٍ نَازِلَةٍ عَلٰى خَصْمِهِ ، وَأَلَماً وَارِداً عَنْ خَوْفِهِ ؛ فَيَظْلِمُ نَفْسَهُ بِالْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ . وَإِنْ نَشَأَتِ الْعَدَاوَةُ عَنِ الْحَسَدِ ؛ فَهِيَ عَذَابٌ كُلِّيّاً ؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ يَسْحَقُ الْحَاسِدَ ؛ وَيُهْلِكُهُ وَيُحْرِقُهُ أَوَّلاً ؛ وَضَرَرُهُ فِي حَقِّ الْمَحْسُودِ ، إِمَّا قَلِيلٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ . .

وَوَسِيلَةُ النَّجَاةِ عَنِ الْحَسَدِ : هِيَ أَنْ يُفَكِّرَ الْحَاسِدُ ، فِي عَاقِبَةِ أُمُورٍ يَحْسُدُ لَهَا ؛ حَتّٰى يَفْهَمَ أَنَّ مَا فِي رَقِيبِهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْقُوَّةِ ، وَالْمَرْتَبَةِ وَالثَّرْوَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، فَانِيَةٌ مُوَقَّتَةٌ ؛ وَفَائِدَتُهَا قَلِيلَةٌ ؛ وَمِحْنَتُهَا كَثِيرَةٌ ؛ وَإِنْ كَانَتْ مَزَايَا أُخْرَوِيَّةً ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِيهَا الْحَسَدُ ؛ فَإِنْ حَسَدَ فِيهَا أَيْضاً ؛ فَإِمَّا أَنَّهُ مُرَاءٍ يُرِيدُ إِفْنَاءَ أَمْوَالِ الْآخِرَةِ ، فِي الدُّنْيَا ؛ وَإِمَّا أَنَّهُ يَظُنُّ

الْمَحْسُودَ مُرَائِياً ؛ فَيَظْلِمُهُ وَيَبْغِي عَلَيْهِ ؛ وَكَذَا أَنَّهُ يَفْرَحُ عَنْ مَصَائِبَ تُصِيبُ الْمَحْسُودَ ؛ وَيَحْزَنُ عَنْ نِعَمٍ تَرِدُ عَلَيْهِ ؛ فَيَسْخَطُ عَنْ إِحْسَانَاتٍ يُحْسِنُ بِهَا الْقَدَرُ وَالرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ فِي حَقِّهِ ؛ فَكَأَنَّهُ يَنْتَقِدُ الْقَدَرَ ؛ وَيَعْتَرِضُ عَلَى الرَّحْمَةِ ؛ فَمَنِ انْتَقَدَ الْقَدَرَ ؛ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ عَلَى السَّنْدَانِ فَيَكْسِرُهُ ؛ وَمَنِ اعْتَرَضَ عَلَى الرَّحْمَةِ ؛ يُحْرَمُ عَنِ الرَّحْمَةِ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! أَيُّ إِنْصَافٍ يَقْبَلُ ، وَأَيُّ عَقْلٍ يَسَعُهُ ، أَنْ يُقَابِلَ شَيْئاً لَا يُوَازِي يَوْماً مِنَ الْعَدَاوَةِ ، بِسَنَةٍ مِنَ الْحِقْدِ وَالْعَدَاوَةِ ؟ عَلٰى أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْنِدَ إِلٰى أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ ، سَيِّئَةً تُصِيبُكَ مِنْهُ ؛ وَأَنْ تَجْعَلَهُ مَحْكُوماً عَلَيْهِ كُلِّيّاً ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلاً : فِيهَا حِصَّةٌ لِلْقَدَرِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تُخْرِجَهَا ؛ وَتُقَابِلَهَا بِالرِّضَا . .

وَثَانِياً : لَا بُدَّ أَنْ تُمَيِّزَ حِصَّةَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ أَيْضاً ؛ فَلَا تُعَادِيَ ذٰلِكَ الرَّجُلَ ؛ بَلْ تُشْفِقُ عَلَيْهِ حَيْثُ صَارَ مَغْلُوباً لِنَفْسِهِ ؛ وَتَنْتَظِرُ نَدَامَتَهُ . .

وَثَالِثاً : أَبْصِرْ خَطِيئَتَكَ الَّتِي لَا تَرَاهَا ؛ أَوْ لَا تُرِيدُ أَنْ تَرَاهَا فِي نَفْسِكَ ؛ وَأَعْطِهَا حِصَّةً أَيْضاً ؛ ثُمَّ إِنْ قَابَلْتَ مَا بَقِيَ مِنْ حِصَّةٍ صَغِيرَةٍ ، بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ، الَّذِي هُوَ أَسْلَمُ وَأَسْرَعُ غَلَبَةً عَلٰى خَصْمِكَ ؛ تَنْجُو عَنِ الظُّلْمِ وَالضَّرَرِ . وَإِلَّا فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ بِحِرْصٍ شَدِيدٍ ، وَحِقْدٍ دَائِمٍ ، وَعَدَاوَةٍ مُتَمَادِيَةٍ ؛ كَأَنَّهُ يَلْبَثُ فِي الدُّنْيَا دَائِماً ؛ وَيَبْقٰى مَعَهُ أَبَداً ، لِأُمُورٍ دُنْيَوِيَّةٍ فَانِيَةٍ ، زَائِلَةٍ مُوَقَّتَةٍ ، لَا قِيمَةَ لَهَا ؛ وَلَا تَزِنُ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ، كَمَثَلِ يَهُودِيٍّ صَائِغٍ سَكْرَانَ وَمَجْنُونٍ ، يَشْتَرِي قِطَعَ الزُّجَاجِ وَالْجَمَدِ ، بِثَمَنِ الْجَوَاهِرِ ؛ فَذٰلِكَ ظُلْمٌ مُفَادٌ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ ، أَوْ سُكْرٌ وَنَوْعٌ مِنْ جُنُونٍ . .

هٰذَا ؛ فَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّ نَفْسَكَ ؛ فَلَا تُخَلِّ أَنْ يَدْخُلَ فِي قَلْبِكَ ، فِكْرَةُ الِانْتِقَامِ وَالْعَدَاوَةِ الْمُضِرَّتَيْنِ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ، لِلْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ . وَإِنْ دَخَلَتَا فِي قَلْبِكَ ؛ فَلَا تُصْغِ إِلٰى كَلَامِهِمَا ؛ فَانْظُرْ وَاسْتَمِعْ إِلَى «الْحَافِظِ الشِّيرَازِيِّ» الْعَارِفِ بِالْحَقِيقَةِ ، يَقُولُ : (دُنْيَانَه مَتَاعِيسْتْ كه أَرْزَدْ بَنِزَاعِي) ؛ يَعْنِي : أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مَتَاعاً يُوَازِي نِزَاعاً ؛ لِأَنَّهَا فَانِيَةٌ مُوَقَّتَةٌ ؛ فَلَا قِيمَةَ لَهَا . فَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا الْعَظِيمَةُ هٰكَذَا ؛ تَفْهَمُ أَنَّ أُمُورَهَا الْجُزْئِيَّةَ ، لَا قِيمَةَ لَهَا ؛ وَقَالَ أَيْضاً :

(آسَايِشِي دُوكِيتِي تَفْسِيرِ إِينْ دُو حَرْفَسْتْ ﷺ بَا دُوسْتَانْ مُرُوَّتْ ، بَا دُشْمَنَانْ مُدَارَا) ؛ يَعْنِي : أَنَّ حَرْفَيْنِ يُفَسِّرَانِ أَمْنَ الدَّارَيْنِ وَسَلَامَهُمَا ؛ وَيَفُوزَانِ بِهِمَا ؛ وَهُمَا الْمُعَاشَرَةُ عَلٰى وَجْهِ الْمُرُوءَةِ ، لِأَصْدِقَائِهِ ؛ وَالْمُعَامَلَةُ عَلٰى وَجْهِ الْمُصَالَحَةِ لِأَعْدَائِهِ . .

فَإِنْ قُلْتَ : لَيْسَ الِاخْتِيَارُ بِيَدِي ؛ فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ تُوجَدُ فِي فِطْرَتِي ؛ وَأَيْضاً إِنَّهُمْ طَعَنُوا فِي أَعْصَابِي ؛ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْرِضَ عَنْهَا . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُظْهِرْ أَثَراً مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ ، وَالْخَصْلَةِ السَّيِّئَةِ ؛ وَلَمْ يَعْمَلْ بِأَمْثَالِ الْغِيبَةِ ، وَبِمُقْتَضَاهَا ؛ وَفَهِمَ خَطَأَهُ ؛ فَلَا يَضُرُّ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الِاخْتِيَارُ بِيَدِكَ ؛ وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُعْرِضَ عَنْهَا ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَتَكَ بِخَطَئِكَ ، وَفَهْمَكَ بِأَنَّكَ غَيْرُ مُحِقٍّ فِي تِلْكَ الْخَصْلَةِ ، ذٰلِكَ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ نَدَامَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، وَتَوْبَةٍ خَفِيَّةٍ ، وَاسْتِغْفَارٍ ضِمْنِيٍّ ، يُنْقِذُكَ عَنْ شَرِّهَا . فَقَدْ كَتَبْنَا هٰذَا الْمَبْحَثَ مِنْ هٰذَا الْمَكْتُوبِ ؛ حَتّٰى يُحَصِّلَ هٰذَا الِاسْتِغْفَارَ الْمَعْنَوِيَّ ؛ وَلِئَلَّا يَعْلَمَ الْبَاطِلَ حَقّاً ؛ وَلَا يُشَهِّرَ خَصْمَهُ الْمُحِقَّ بِالْبُطْلَانِ . .

﴿ حَادِثَةٌ مَحَلُّ تَدَبُّرٍ : ﴾ لَقَدْ رَأَيْتُ فِي زَمَنٍ مَّا ، مِنْ نَتِيجَةِ هٰذَا التَّحَزُّبِ عَلٰى وَجْهِ الْغَرَضِ : أَنَّ مُتَدَيِّناً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، زَيَّفَ فِي دَرَجَةِ التَّكْفِيرِ ، عَالِماً صَالِحاً مُخَالِفاً لِفِكْرِهِ السِّيَاسِيِّ ؛ وَمَدَحَ عَلٰى وَجْهِ الِاحْتِرَامِ ، مُنَافِقاً مُوَافِقاً لَهُ فِي فِكْرِهِ ؛ فَتَنَفَّرْتُ عَنْ هٰذِهِ النَّتَائِجِ السَّيِّئَةِ لِلسِّيَاسَةِ ؛ فَقُلْتُ : **«أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالسِّيَاسَةِ»** ؛ وَأَعْرَضْتُ عَنِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ ، مُنْذُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ . .

﴿ اَلْوَجْهُ الْخَامِسُ : ﴾ يُبَيِّنُ أَنَّ الْعِنَادَ وَالتَّحَزُّبَ ، مُضِرَّانِ لِلْغَايَةِ ، حَسَبَ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ . .

فَإِنْ قِيلَ : ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ : **«أَنَّ اخْتِلَافَ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»** ؛ وَالِاخْتِلَافُ يَقْتَضِي التَّحَزُّبَ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ مَرَضَ الِاخْتِلَافِ ، يُنْقِذُ الْعَوَامَّ الْمَظْلُومِينَ ، عَنْ شَرِّ الْخَوَاصِّ الظَّالِمِينَ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا اتَّفَقَتْ خَوَاصُّ قَصَبَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ ؛ يَسْحَقُونَ الْعَوَامَّ الْمَظْلُومِينَ ؛ وَإِذَا وُجِدَ التَّحَزُّبُ ؛

يَلْتَجِئُ الْمَظْلُومُ إِلَى جَانِبٍ ؛ فَيُنْقِذُ نَفْسَهُ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْحَقِيقَةَ تَتَظَاهَرُ بِتَمَامِهَا ، مِنْ تَصَادُمِ الْأَفْكَارِ ، وَتَخَالُفِ الْعُقُولِ . .

فَالْجَوَابُ : نَقُولُ عَلَى السُّؤَالِ الْأَوَّلِ : إِنَّ الاخْتِلافَ فِي الْحَدِيثِ إِيجَابِيٌّ ؛ يَعْنِي : أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ ، يَسْعَى لِتَعْمِيرِ مَسْلَكِهِ ، وَرَوَاجِهِ ؛ وَلا يَسْعَى لِتَخْرِيبِ غَيْرِهِ وَإِبْطَالِهِ ؛ بَلْ يَسْعَى لِتَكْمِيلِهِ وَإِصْلاحِهِ . وَأَمَّا الاخْتِلافُ السَّلْبِيُّ ؛ وَهُوَ سَعْيُ بَعْضٍ لِتَخْرِيبِ بَعْضٍ ، عَلَى وَجْهِ الْغَرَضِ وَالْعَدَاوَةِ ؛ فَهُوَ مَرْدُودٌ فِي نَظَرِ الْحَدِيثِ ؛ لِأَنَّ الْمُتَنَاحِرِينَ لا يَعْمَلُونَ عَمَلاً إِيجَابِيّاً . .

وَنَقُولُ عَلَى السُّؤَالِ الثَّانِي : إِنَّ التَّحَزُّبَ ، إِنْ كَانَ بِاسْمِ الْحَقِّ ؛ يَكُونُ مَلْجَأً لِلْمُحِقِّينَ ؛ وَلَكِنَّ التَّحَزُّبَ بِحِسَابِ النَّفْسِ ، وَعَلَى وَجْهِ الْغَرَضِ ، كَمَا فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ ؛ فَإِنَّهُ مَلْجَأٌ لِلْمُبْطِلِينَ ؛ فَيُشَكِّلُ لَهُمْ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ يَتَحَزَّبُ عَلَى وَجْهِ الْغَرَضِ ، إِنْ أَتَاهُ الشَّيْطَانُ ؛ وَأَعَانَ فِكْرَهُ ؛ وَأَظْهَرَ وَلاءَهُ ؛ يَقْرَأُ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، الرَّحْمَةَ عَلَى ذٰلِكَ الشَّيْطَانِ ؛ وَإِنْ جَاءَ إِلَى جَانِبِ الْمُعَارِضِ ، رَجُلٌ كَالْمَلَكِ ؛ يُظْهِرُ لَهُ بَغْياً بِحَيْثُ يَقْرَأُ اللَّعْنَةَ عَلَيْهِ ، حَاشَاهُ . .

وَنَقُولُ عَلَى السُّؤَالِ الثَّالِثِ : إِنَّ تَصَادُمَ الْأَفْكَارِ ، الَّذِي يَكُونُ بِاسْمِ الْحَقِّ ، وَبِحِسَابِ الْحَقِيقَةِ ، يَخْتَلِفُ فِي الْوَسَائِلِ ، مَعَ الاتِّفَاقِ فِي الْمَقْصَدِ وَالْأَسَاسِ ؛ فَيُظْهِرُ كُلَّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْحَقِيقَةِ ؛ وَيَخْدُمُ الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ ؛ وَلٰكِنَّ تَصَادُمَ الْأَفْكَارِ ، عَلَى وَجْهِ الْغَرَضِ وَالْوَلاءِ ، وَعَلَى أُسْلُوبٍ مِنْ دَعْوَى الاشْتِهَارِ وَالرِّيَاءِ ، بِحِسَابِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ الْمُتَفَرْعِنَةِ ، لا تَخْرُجُ عَنْهُ بَارِقَةُ الْحَقِيقَةِ ؛ بَلْ تَفُورُ مِنْهُ نَارُ الْفِتْنَةِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ الاتِّفَاقُ لازِماً فِي الْمَقْصَدِ ؛ مَعَ أَنَّهُ لا تُوجَدُ نُقْطَةُ تَلاقِي أَفْكَارِ أَمْثَالِ أُولٰئِكَ ، فِي كُرَةِ الْأَرْضِ أَيْضاً ؛ وَيَسْلُكُ عَلَى وَجْهٍ مُفْرِطٍ بِلا نِهَايَةٍ ؛ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ بِاسْمِ الْحَقِّ ؛ فَيُؤَدِّي إِلَى أَنْوَاعِ انْشِقَاقٍ ، لا تَقْبَلُ الالْتِئَامَ ؛ وَحَالُ الْعَالَمِ ، شَاهِدٌ عَلَى هٰذَا . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الدَّسَاتِيرَ الْعَالِيَةَ ، مِنَ الْحُبِّ لِلّٰهِ ، وَالْبُغْضِ فِي اللهِ ، وَالْحُكْمِ لِلّٰهِ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ دُسْتُورَ الْأَعْمَالِ ؛ يَسْتَوْلِي النِّفَاقُ وَالشِّقَاقُ . نَعَمْ : إِنَّهُ إِذَا لَمْ يَقُلْ بِالْبُغْضِ فِي اللهِ ، وَالْحُكْمِ لِلّٰهِ ؛ وَلَمْ يُرَاعِ تِلْكَ الدَّسَاتِيرَ ؛ فَإِنَّهُ يَظْلِمُ ؛ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَعْدِلَ . .

﴿ حَادِثَةٌ مَحَلُّ عِبْرَةٍ : ﴾ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيّاً (رضي الله عنه) أَلْقَى بِكَافِرٍ عَلَى الْأَرْضِ ؛ فَلَمَّا سَلَّ سَيْفَهُ ؛ وَأَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ رَأْسَهُ ؛ بَصَقَ عَلَيْهِ ذٰلِكَ الْكَافِرُ ؛ فَتَرَكَهُ الْإِمَامُ ؛ وَلَمْ يَذْبَحْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ ذٰلِكَ الْكَافِرُ : لِمَاذَا لَمْ تَذْبَحْنِي ؛ فَقَالَ : كُنْتُ أَذْبَحُكَ لِلّٰهِ ؛ وَلٰكِنْ بَصَقْتَ عَلَيَّ ؛ فَثَارَ بِيَ الْغَضَبُ ؛ فَانْتَقَضَ إِخْلَاصِي ؛ لِأَنَّهُ خَالَطَهُ حَظُّ نَفْسِي ؛ فَلِذٰلِكَ مَا ذَبَحْتُكَ ؛ فَقَالَ لَهُ ذٰلِكَ الْكَافِرُ : كَانَ ذٰلِكَ ، لِإِثَارَةِ غَضَبِكَ ؛ لِتَذْبَحَنِي فَوْراً ؛ فَإِذَا كَانَ دِينُكُمْ صَافِياً وَخَالِصاً بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ؛ فَذٰلِكَ الدِّينُ حَقٌّ . .

﴿ وَقِصَّةٌ مَدَارُ دِقَّةٍ : ﴾ ظَهَرَ عَلَى حَاكِمٍ ، أَثَرُ الْغَضَبِ ، حِينَمَا قَطَعَ يَدَ سَارِقٍ ؛ فَعَزَلَهُ لِذٰلِكَ ، عَنْ تِلْكَ الْوَظِيفَةِ ، آمِرُهُ الَّذِي كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِإِمْعَانٍ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ قَطَعَهَا بِاسْمِ الشَّرِيعَةِ ، وَبِحِسَابِ الْقَانُونِ الْإِلٰهِيِّ ؛ لَأَشْفَقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ؛ وَقَطَعَهَا بِحَيْثُ لَا يَغْضَبُ عَلَيْهِ ؛ وَلَا يَرْحَمُهُ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ الْعَمَلَ بِالْعَدْلِ ؛ لِأَنَّهُ أَخْرَجَ حَظّاً لِنَفْسِهِ ، عَنْ ذٰلِكَ الْحُكْمِ . .

﴿ حَالَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ مَحَلُّ تَأَسُّفٍ ؛ وَمَرَضٌ اجْتِمَاعِيٌّ مُدْهِشٌ ، يُبْكِي قَلْبَ الْإِسْلَامِ : ﴾

إِنَّ نِسْيَانَ الْعَدَاوَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ وَتَرْكَهَا ، فِي ظُهُورِ الْأَعْدَاءِ الْخَارِجِيَّةِ وَتَهَاجُمِهَا ، الَّتِي هِيَ مَصْلَحَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ ، يَعْمَلُهَا أَقْوَامٌ أَشَدُّ بَدَاوَةً أَيْضاً ؛ وَيَقْدِرُ لَهَا قَدْرَهَا ؛ فَمَا لِهٰؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْخِدْمَةَ لِلْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ لَا يَنْسَوْنَ عَدَاوَاتٍ جُزْئِيَّةً ؛ فَيُمَهِّدُونَ الطَّرِيقَ لِهُجُومِ الْأَعْدَاءِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُوجَدُ أَعْدَاءٌ بِلَا حَدٍّ ، اسْتَعَدَّتْ لِلتَّهَاجُمِ ، بَعْضُهَا وَرَاءَ بَعْضٍ . فَهٰذَا الْحَالُ سُقُوطٌ وَوَحْشَةٌ ، وَخِيَانَةٌ لِلْحَيَاةِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . .

﴿ حِكَايَةٌ مَدَارُ عِبْرَةٍ : ﴾ كَانَتْ لِعَشِيرَةِ **«حَسَنَانْ»** مِنْ عَشَائِرِ الْبَدَوِيِّينَ ، قَبِيلَتَانِ مُتَعَادِيَتَانِ ؛ وَقَدْ قَتَلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ شَخْصاً عَلَى الِاحْتِمَالِ ؛ فَكَانَ

إِذَا عَارَضَتْهُمَا قَبِيلَةٌ كَعَشِيرَةِ «سِيپْكَانْ» أَوْ «حَيْدَرَانْ» ؛ تَنْسَى تَانِكَ الطَّائِفَتَانِ الْعَادِيَتَانِ ، الْعَدَاوَةَ الْقَدِيمَةَ ؛ وَتَتَسَانَدَانِ ؛ وَلَا تَذْكُرَانِ الْعَدَاوَةَ الدَّاخِلِيَّةَ ؛ حَتَّى تَدْفَعَا تِلْكَ الْعَشِيرَةَ الْخَارِجِيَّةَ . .

فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ! هَلْ تَعْلَمُونَ كَمْ تُوجَدُ أَعْدَاءٌ فِي حُكْمِ عَشَائِرَ اسْتَعَدَّتْ لِلِاعْتِدَاءِ عَلَى عَشِيرَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ؟ فَإِنَّهَا تُوجَدُ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ دَائِرَةٍ ، كَدَوَائِرَ مُتَدَاخِلَةٍ ؛ وَقَدْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ مُضْطَرِّينَ إِلَى الِاسْتِعْدَادِ لِلدِّفَاعِ ، مُتَسَانِدِينَ وَمُتَّفِقِينَ إِزَاءَ كُلِّ دَائِرَةٍ مِنْهَا ؛ فَهَلْ يَلِيقُ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، بِأَيِّ وَجْهٍ ، الْعِنَادُ عَلَى وَجْهِ الْعَدَاوَةِ ، وَالتَّحَزُّبُ عَلَى وَجْهِ الْغَرَضِ ، مِمَّا هُوَ بِمَثَابَةِ تَسْهِيلِ هُجُومِ الْأَعْدَاءِ ، وَفَتْحِ الْأَبْوَابِ لِدُخُولِهِمْ فِي حَرِيمِ الْإِسْلَامِ ؟. وَتِلْكَ الدَّوَائِرُ الْعَادِيَةُ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَعْدَاءٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ بِحِرْصٍ وَغَضَبٍ ، بَعْضُهُمْ وَرَاءَ بَعْضٍ ؛ وَاسْتَعَدُّوا بِحَالَةٍ ضَارَّةٍ بِكُمْ ، بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالْإِلْحَادِ ، إِلَى عَالَمِ أَهْلِ الْكُفْرِ ، وَإِلَى أَهْوَالِ الدُّنْيَا وَمَصَائِبِهَا ؛ وَإِنَّ حِصْنَكَ وَمَكْمَنَكَ وَسِلَاحَكَ الْقَوِيَّ ، ضِدَّ هٰؤُلَاءِ كُلِّهَا ، هِيَ الْأُخُوَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ . فَزِلْزَالُ هٰذِهِ الْقَلْعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، بِوَسَائِلَ وَخُصُومَاتٍ صَغِيرَةٍ ، خِلَافُ وِجْدَانٍ ، وَخِلَافُ مَصَالِحَ إِسْلَامِيَّةٍ ؛ فَاعْلَمْ وَانْتَبِهْ . .

وَقَدْ وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ شَرِيفَةٍ : أَنَّ أَشْخَاصاً مُدْهِشَةً مُضِرَّةً مِنْ أَشْخَاصِ آخِرِ الزَّمَانِ ، الَّذِينَ يَقُودُونَ النِّفَاقَ وَالزَّنْدَقَةَ ، كَالسُّفْيَانِيِّ وَالدَّجَّالِ ، يَسْتَفِيدُونَ مِنْ شِقَاقِ الْإِسْلَامِ وَالْبَشَرِ وَحِرْصِهِمْ ؛ فَيُفْسِدُونَ نَوْعَ الْبَشَرِ ؛ وَيَأْسِرُونَ عَالَمَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَ . .

فَيَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ! إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ لَا تَدْخُلُوا تَحْتَ الْأَسْرِ فِي الذُّلِّ ؛ فَارْجِعُوا بِعُقُولِكُمْ إِلَى رُؤُوسِكُمْ ؛ وَادْخُلُوا فِي قَلْعَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ؛ وَتَحَصَّنُوا فِي قَلْعَتِهِ الْقُدُسِيَّةِ . وَإِلَّا فَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُحَافِظُوا عَلَى حَيَاتِكُمْ ؛ وَلَا أَنْ تُدَافِعُوا عَنْ حُقُوقِكُمْ . وَمِنَ الْمَعْلُومِ : أَنَّ صَبِيّاً ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضْرِبَ بَطَلَيْنِ ؛ إِذْ هُمَا يَتَصَارَعَانِ . وَإِذَا

وُجِدَ جَبَلانِ فِي مِيزَانٍ فِي تَوَازُنٍ ؛ تَسْتَطِيعُ حَصَاةٌ أَنْ تُفْسِدَ مُوَازَنَتَهُمَا ؛ وَتَلْعَبَ بِهِمَا ؛ فَتَرْفَعَ أَحَدَهُمَا إِلَى الْأَعْلَى ؛ وَالْآخَرَ إِلَى الْأَسْفَلِ ..

فَيَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ! إِنَّ قُوَّتَكُمْ تَنْزِلُ مِنْ أَجْلِ احْتِرَاصَاتِكُمْ وَتَحَزُّبَاتِكُمُ الْخُصُومِيَّةِ ، إِلَى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ تُسْحَقُوا بِقُوَّةٍ يَسِيرَةٍ . فَإِنْ كَانَ لَكُمْ عَلاقَةٌ بِحَيَاتِكُمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ فَاجْعَلُوا دُسْتُورَ ﴿الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً﴾ ذٰلِكَ الدُّسْتُورَ الْعَالِيَ ، دُسْتُورَ حَيَاتِكُمْ ؛ وَانْجُوا عَنِ السَّفَالَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَالشَّقَاوَةِ الْأَبَدِيَّةِ ..

﴿اَلْوَجْهُ السَّادِسُ :﴾ أَنَّ الْحَيَاةَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، وَصِحَّةَ الْعُبُودِيَّةِ ، تَتَزَلْزَلانِ بِالْعِنَادِ وَالْعَدَاوَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَضِيعُ الْإِخْلاصُ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةُ النَّجَاةِ ، وَوَاسِطَةُ الْخَلاصِ ؛ فَإِنَّ مُعَانِداً مُتَحَزِّباً ، يُرِيدُ التَّفَوُّقَ عَلَى خَصْمِهِ ، فِي أَعْمَالِهِ الْخَيْرِيَّةِ ؛ فَلا يُوَفَّقُ جِدّاً لِلْعَمَلِ الْخَالِصِ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ؛ وَكَذَا أَنَّهُ يُرَجِّحُ فِي أَحْكَامِهِ وَمُعَامَلاتِهِ ، مُتَحَزِّبَهُ فَلا يَعْدِلُ . هٰذَا فَيَضِيعُ بِالْخُصُومَةِ وَالْعَدَاوَةِ ، مَا هُوَ أَسَاسُ الْأَفْعَالِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، مِنَ الْإِخْلاصِ وَالْعَدَالَةِ ..

وَهٰذَا الْوَجْهُ السَّادِسُ طَوِيلٌ جِدّاً ؛ وَلٰكِنَّ اسْتِعْدَادَ الْمَقَامِ قَاصِرٌ ؛ فَنَخْتَصِرُهُ ..

اَلْمَبْحَثُ الثَّانِي :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۞ .. وَكَأَيِّنْ مِنْ دَآبَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞﴾ ..

يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ! لَقَدْ عَلِمْتُمْ سَابِقاً مَدٰى ضَرَرِ الْعَدَاوَةِ ؛ فَاعْلَمُوا أَنَّ أَشَدَّ مَرَضٍ مُدْهِشٍ وَمُضِرٍّ لِلْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَيْضاً بِقَدَرِ الْعَدَاوَةِ ، هُوَ الْحِرْصُ . فَالْحِرْصُ عِلَّةٌ وَذِلَّةٌ ، وَسَبَبُ خَيْبَةٍ ؛ وَيَأْتِي بِالْحِرْمَانِ وَالسَّفَالَةِ . نَعَمْ : إِنَّ ذِلَّةَ مِلَّةِ الْيَهُودِ وَسَفَالَتَهُمْ ، الَّذِينَ يَصُولُونَ عَلَى الدُّنْيَا بِالْحِرْصِ ، أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ ، شَاهِدٌ قَاطِعٌ عَلٰى هٰذَا الْحُكْمِ . نَعَمْ : إِنَّ الْحِرْصَ يُظْهِرُ سُوءَ تَأْثِيرِهِ ، فِي عَالَمِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، مِنْ أَوْسَعِ دَائِرَةٍ ، إِلٰى أَدْنٰى فَرْدٍ . وَإِنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ شِبْهَ التَّوَكُّلِ ، مَدَارُ الرَّاحَةِ ؛ وَيُظْهِرُ حُسْنَ تَأْثِيرِهِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، بِعَكْسِ الْحِرْصِ ..

هٰذَا ، فَإِنَّ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ الْمُحْتَاجَةَ إِلَى الرِّزْقِ ، الَّتِي هِيَ نَوْعٌ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، تَقِفُ فِي مَكَانِهَا مُتَوَكِّلَةً وَمُقْتَنِعَةً ؛ لَا تُظْهِرُ الْحِرْصَ ؛ فَيَأْتِيهَا أَرْزَاقُهَا عَادِيَةً إِلَيْهَا ؛ وَتُرَبِّي الْأَوْلَادَ أَكْثَرَ مِنَ الْحَيَوَانِ بِكَثِيرٍ .. أَمَّا الْحَيَوَانَاتُ فَإِنَّهَا تَعْدُو وَرَاءَ رِزْقِهَا بِالْحِرْصِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا تَحْصُلُ عَلٰى رِزْقِهَا ، إِلَّا بِنَقْصٍ وَمَشَاقَّ كَثِيرَةٍ ..

وَكَذَا أَنَّ إِيتَاءَ الرِّزْقِ الْمَشْرُوعِ الْمُكَمَّلِ اللَّطِيفِ ، مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، لِلْأَطْفَالِ الْمُتَوَكِّلَةِ بِلِسَانِ حَالِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ، وَرِزْقَ السِّبَاعِ الْمُفْتَرِسَةِ بِحِرْصٍ ، عَلٰى رِزْقِهَا الْخَبِيثِ غَيْرِ الْمَشْرُوعِ الَّذِي تَحْصُلُ عَلَيْهِ بِمَشَاقَّ كَثِيرَةٍ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الْحِرْصَ سَبَبُ الْخَيْبَةِ ؛ وَالتَّوَكُّلَ وَالْقَنَاعَةَ ، وَسِيلَةُ الرَّحْمَةِ ، فِي دَائِرَةِ الْحَيَوَانَاتِ ..

وَكَذَا أَنَّ مَا يَذُوقُهُ شَعْبُ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَتَعَلَّقُونَ بِالدُّنْيَا بِحِرْصٍ ؛ وَيَرْتَبِطُونَ بِالْحَيَاةِ بِعِشْقٍ ، أَشَدَّ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ ، مِنْ صَفْعَةِ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ الَّتِي يَذُوقُونَهَا عَنْ كُلِّ الشُّعُوبِ ، بِسَبَبِ ثَرْوَةٍ رِبَوِيَّةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ ؛ يَرْبَحُونَهَا بِمِحَنٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَفَائِدَتُهَا لَهُمْ قَلِيلَةٌ ؛ وَإِنَّمَا يَخْدُمُونَهَا خَزَنَةً ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الْحِرْصَ مَعْدِنُ الذِّلَّةِ وَالْخَسَارَةِ ، فِي دَائِرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ . .

وَكَذَا تُوجَدُ وَقَائِعُ كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ عَلٰى أَنَّ إِنْسَاناً حَرِيصاً ، يَقَعُ كُلَّ وَقْتٍ فِي الْخَسَارَةِ ؛ حَتّٰى صَارَ قَوْلُهُمْ : «اَلْحَرِيصُ خَائِبٌ خَاسِرٌ» ، فِي حُكْمِ ضَرْبِ الْمَثَلِ ؛ وَقُبِلَ حَقِيقَةً عَامَّةً ، فِي نَظَرِ الْعُمُومِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَاطْلُبِ الْمَالَ لَا بِالْحِرْصِ ، بَلْ بِالْقَنَاعَةِ ؛ حَتّٰى يَأْتِيَ كَثِيراً ؛ إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ الْمَالَ كَثِيراً . .

وَأَهْلُ الْقَنَاعَةِ وَأَهْلُ الْحِرْصِ يُشْبِهَانِ شَخْصَيْنِ يَدْخُلَانِ دِيوَانَ أَمِيرٍ كَبِيرٍ ؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا فِي نَفْسِهِ : حَسْبِي أَنْ يَقْبَلَنِي فَقَطْ ؛ فَأَنْجُوَ عَنِ الْبَرْدِ فِي الْخَارِجِ ؛ فَإِنْ أَعْطَوْنِي ، وَلَوْ كُرْسِيّاً فِي الْأَسْفَلِ ؛ فَذٰلِكَ لُطْفٌ . .

وَالرَّجُلُ الثَّانِي : كَأَنَّ لَهُ حَقّاً ؛ وَكُلَّ أَحَدٍ مُضْطَرٌّ إِلَى احْتِرَامِهِ ؛ يَقُولُ مُفْتَخِراً : عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَنِي الْكُرْسِيَّ الْأَعْلٰى ؛ فَيَدْخُلُ بِذٰلِكَ الْحِرْصِ ؛ وَيَشْخَصُ بَصَرُهُ إِلٰى مَقَامَاتٍ عَالِيَةٍ ؛ وَيُرِيدُ السَّيْرَ إِلَيْهَا ؛ وَلٰكِنَّ صَاحِبَ الدَّارِ ، يُرْجِعُهُ وَيُجْلِسُهُ بِالْأَسْفَلِ . وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَهُ ؛ فَإِنَّهُ يَسْخَطُ عَنْهُ فِي نَفْسِهِ ، بَدَلاً عَنِ الشُّكْرِ ؛ وَلَا يَشْكُرُهُ ؛ بَلْ يَنْتَقِدُهُ ؛ فَيَسْتَثْقِلُ مِنْهُ صَاحِبُ الدَّارِ . .

وَالرَّجُلُ الْأَوَّلُ يَدْخُلُ مُتَوَاضِعاً ؛ وَيُرِيدُ الْقُعُودَ عَلٰى كُرْسِيٍّ فِي الْأَسْفَلِ ؛ فَيَسْتَحْسِنُ صَاحِبُ الدَّارِ ، قَنَاعَتَهُ تِلْكَ ؛ وَيَقُولُ لَهُ : تَقَدَّمْ إِلٰى كُرْسِيٍّ أَعْلٰى ؛ وَهُوَ يَزِيدُ فِي تَشَكُّرَاتِهِ شَيْئاً فَشَيْئاً ؛ وَيَزْدَادُ امْتِنَاناً لَهُ . .

هٰذَا ، فَالدُّنْيَا مَنْزِلُ الرَّحْمٰنِ ؛ وَسَطْحُ الْأَرْضِ مَائِدَةُ رَحْمَةٍ ؛ وَدَرَجَاتُ الْأَرْزَاقِ ، وَمَرَاتِبُ النِّعْمَةِ ، فِي حُكْمِ الْكَرَاسِيِّ . .

وَكَذَا يُمْكِنُ أَنْ يُحِسَّ كُلُّ أَحَدٍ ، بِسُوءِ تَأْثِيرِ الْحِرْصِ ، حَتّى فِي أَصْغَرِ الْأُمُورِ . فَمَثَلاً : إِذَا سَأَلَ سَائِلَانِ شَيْئاً ؛ يُحِسُّ كُلُّ أَحَدٍ فِي نَفْسِهِ ، بِالِاسْتِثْقَالِ عَنِ السَّائِلِ الْمُلِحِّ بِالْحِرْصِ ؛ فَلَا يُعْطِيهِ ؛ وَيُحِسُّ بِالرَّحْمَةِ عَلَى السَّائِلِ الْآخَرِ السَّاكِتِ ؛ فَيُعْطِيهِ . . وَكَذَا فَرَّ نَوْمُكَ بِاللَّيْلِ مَثَلاً ؛ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنَامَ ؛ وَبَقِيتَ غَيْرَ مُبَالٍ بِهِ ؛ يَعُودُ نَوْمُكَ . وَإِنْ طَلَبْتَ النَّوْمَ بِالْحِرْصِ ؛ وَرَدَّدْتَ : يَا لَلْأَمَانِ ! أَنْ أَنَامَ ؛ تُنَفِّرُ نَوْمَكَ كُلِّيّاً . . وَكَذَا تَنْتَظِرُ أَحَداً بِالْحِرْصِ لِنَتِيجَةٍ مُهِمَّةٍ مَثَلاً ؛ فَرَدَّدْتَ : يَا لَلْأَمَانِ ! إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ ؛ فَأَفْنَى الْحِرْصُ صَبْرَكَ أَخِيراً ؛ فَتَقُومُ تَذْهَبُ ؛ وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ يَأْتِي ذٰلِكَ الرَّجُلُ ؛ وَلٰكِنْ تَبْطُلُ تِلْكَ النَّتِيجَةُ الَّتِي كُنْتَ تَنْتَظِرُهَا . .

وَسِرُّ هٰذِهِ الْأَحْدَاثِ ، هُوَ : أَنَّهُ كَمَا يَتَرَتَّبُ وُجُودُ رَغِيفٍ ، عَلَى الْمَزْرَعَةِ وَالْبَيْدَرِ وَالرَّحَى وَالْمَخْبَزِ ؛ كَذٰلِكَ يُوجَدُ فِي تَرْتِيبِ الْأَشْيَاءِ ، تَأَنِّي حِكْمَةٍ ؛ فَلَا يُرَاعِي الْإِنْسَانُ مَا فِي تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْمُرَتَّبَةِ ، مِنَ الْمَرَاقِي الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ حَيْثُ لَا يَعْمَلُ بِالتَّأَنِّي ، بِسَبَبِ الْحِرْصِ ؛ فَإِمَّا يَهْبِطُ ؛ فَيَسْقُطُ ؛ وَإِمَّا يَنْقُصُ مِرْقَاةً ؛ فَلَا يَطْلَعُ إِلَى الْمَقْصَدِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ الَّذِينَ هَامُوا بِآفَةِ الْعَيْشِ ؛ وَسَكِرُوا بِحِرْصِ الدُّنْيَا ! كَيْفَ تَرْتَكِبُونَ كُلَّ ذِلَّةٍ ؛ وَتَقْبَلُونَ كُلَّ مَالٍ ؛ وَلَا تَقُولُونَ : إِنَّهُ حَلَالٌ أَمْ حَرَامٌ ؛ وَتَفْدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ أُمُورٍ لَازِمَةٍ لِحَيَاةِ الْآخِرَةِ ، فِي سَبِيلِ الْحِرْصِ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَمْرٌ ضَارٌّ وَذُو بَلْوَى بِهٰذَا الْقَدَرِ ؟ حَتّى إِنَّكُمْ تَتْرُكُونَ الزَّكَاةَ الَّتِي هِيَ رُكْنٌ مُهِمٌّ مِنَ الْأَرْكَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فِي سَبِيلِ الْحِرْصِ ؛ مَعَ أَنَّ الزَّكَاةَ سَبَبُ الْبَرَكَاتِ ، وَدَافِعُ الْبَلِيَّاتِ ، لِكُلِّ أَحَدٍ . وَمَنْ لَا يَدْفَعُ الزَّكَاةَ ؛ يَخْرُجُ عَنْ يَدِهِ مَالٌ مِقْدَارَ الزَّكَاةِ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ أَوْ يَدْفَعُهُ إِلَى مَحَالَّ لَا لُزُومَ لَهَا ؛ أَوْ تَنْزِلُ مُصِيبَةٌ ؛ فَتَقْبِضُهُ . .

وَقَدْ سُئِلْتُ فِي رُؤْيَا خَيَالِيَّةٍ عَجِيبَةٍ ذَاتِ حَقِيقَةٍ ، فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى : مِمَّ كَانَتْ هٰذِهِ الْمَجَاعَةُ ، وَهٰذِهِ الضَّائِعَاتُ الْمَالِيَّةُ ، وَالْمَشَاقُّ الْبَدَنِيَّةُ ، الَّتِي أَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ ؟ .

فَكُنْتُ قُلْتُ فِي الرُّؤْيَا : إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَلَبَ مِنَّا مِنْ مَالِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ هُوَ ، وَاحِداً

فِي عَشَرَةٍ[١] ، مِنْ بَعْضِ الْأَمْوَالِ ، أَوْ وَاحِداً فِي أَرْبَعِينَ[٢] ، مِنْ بَعْضٍ آخَرَ ؛ حَتَّى يُحَصِّلَ لَنَا دَعَوَاتِ الْفُقَرَاءِ ؛ وَيَمْنَعَ حِقْدَهُمْ وَحَسَدَهُمْ ؛ فَطَمِعْنَا فِيهِ ؛ وَلَمْ نَدْفَعْهُ لِحِرْصِنَا ؛ فَقَبَضَ اللّٰهُ تَعَالٰى زَكَاتَهُ الْمُتَرَاكِمَةَ ، ثَلَاثِينَ فِي الْأَرْبَعِينَ ، وَثَمَانِيَةً فِي الْعَشَرَةِ ؛ وَكَذَا طَلَبَ مِنَّا مَجَاعَةً لَهَا سَبْعُونَ حِكْمَةً ، فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فِي شَهْرٍ فَقَطْ ؛ فَأَشْفَقْنَا عَلٰى أَنْفُسِنَا ؛ فَلَمْ نَحْمِلْ مَجَاعَةً لَذِيذَةً مُوَقَّتَةً ؛ فَأَكْرَهَنَا اللّٰهُ تَعَالٰى ، خَمْسَ سِنِينَ ، عَلٰى نَوْعٍ مِنْ صِيَامٍ ذِي بَلْوٰى بِسَبْعِينَ جِهَةً ، جَزَاءً لِذٰلِكَ . .

وَكَذَا طَلَبَ مِنَّا نَوْعاً مِنْ تَدْرِيبٍ رَبَّانِيٍّ ، طَيِّبٍ عُلْوِيٍّ ، وَمُفِيدٍ نُورَانِيٍّ ، سَاعَةً وَاحِدَةً فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً ؛ فَتَكَاسَلْنَا ؛ وَمَا أَدَّيْنَا تِلْكَ الصَّلَاةَ وَالدُّعَاءَ ؛ وَأَلْحَقْنَا تِلْكَ السَّاعَةَ الْوَاحِدَةَ ، بِالسَّاعَاتِ الْأُخْرٰى ؛ وَضَيَّعْنَاهَا ؛ فَأَقَامَ اللّٰهُ تَعَالٰى ، بِنَا نَوْعاً مِنْ صَلَاةٍ ، بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّدْرِيبِ وَالسِّبَاقِ ، خَمْسَةَ أَعْوَامٍ ، كَفَّارَةً لَهَا ؛ فَقُلْتُ ذٰلِكَ ؛ ثُمَّ أَفَقْتُ وَفَكَّرْتُ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ فِي تِلْكَ الرُّؤْيَا الْخَيَالِيَّةِ ، حَقِيقَةً مُهِمَّةً جِدّاً . . فَإِنَّ مَنْشَأَ جَمِيعِ الْفَوَاحِشِ وَالْمَفَاسِدِ ، فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، كَلِمَتَانِ . .

إِحْدَاهُمَا : مَاذَا عَلَيَّ أَنْ يَمُوتَ غَيْرِي مِنَ الْجُوعِ ، بَعْدَمَا كُنْتُ شَبْعَانَ ؟ .

اَلثَّانِيَةُ : اِعْمَلْ أَنْتَ ؛ آكُلْ أَنَا . . وَالَّذِي يُدِيمُ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ ، هُوَ دَوَامُ الرِّبَا ، وَتَرْكُ الزَّكَاةِ . .

وَالْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تُدَاوِي هٰذَيْنِ الْمَرَضَيْنِ الِاجْتِمَاعِيَّيْنِ الْمُدْهِشَيْنِ ، هِيَ وُجُوبُ الزَّكَاةِ ، وَحُرْمَةُ الرِّبَا ، بِإِجْرَاءِ الزَّكَاةِ ، فِي صُورَةِ دُسْتُورٍ عَامٍّ . وَأَيْضاً أَنَّ أَهَمَّ رُكْنٍ لِسَعَادَةِ حَيَاةِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بَلْ أَهَمَّ عَمُودٍ لِلْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، لَا فِي الْأَشْخَاصِ وَالْجَمَاعَاتِ الْمَخْصُوصَةِ

---

(١) يَعْنِي : وَاحِداً فِي عَشَرَةٍ مِمَّا يُعْطِيهِ كُلَّ سَنَةٍ جَدِيداً ، مِنَ الْأَمْوَالِ كَالْحِنْطَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(٢) يَعْنِي : مِنْ أَرْبَعِينَ أَعْطَاهَا قَدِيماً ؛ فَيُعْطِي كُلَّ سَنَةٍ ، مِنْ تِلْكَ الْأَرْبَعِينَ ، عَشَرَةً مِنْ جَدِيدٍ عَلَى الْأَقَلِّ ، بِجِهَةِ الرِّبْحِ التِّجَارِيِّ ، وَالنَّسْلِ الْحَيَوَانِيِّ فِي الْغَالِبِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

فَقَطْ ، بَلْ فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ، هُوَ الزَّكَاةُ ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي الْبَشَرِ طَبَقَتَانِ خَوَاصٌّ وَعَوَامٌّ . فَالَّذِي يُؤَمِّنُ الرَّحْمَةَ وَالْإِحْسَانَ ، مِنَ الْخَوَاصِّ إِلَى الْعَوَامِّ ؛ وَالْاِحْتِرَامَ وَالْإِطَاعَةَ ، مِنَ الْعَوَامِّ تِجَاهَ الْخَوَاصِّ ، هُوَ الزَّكَاةُ . وَإِلَّا يَنْزِلُ الظُّلْمُ وَالتَّحَكُّمُ ، مِنَ الْأَعْلَى ، عَلَى رُؤُوسِ الْعَوَامِّ ؛ وَيَفُورُ الْحِقْدُ وَالْعِصْيَانُ ، عَنِ الْعَوَامِّ ضِدَّ الْأَغْنِيَاءِ ؛ فَتَكُونُ طَبَقَتَا الْبَشَرِ ، فِي جِدَالٍ مَعْنَوِيٍّ ، وَنِزَاعٍ اخْتِلَافِيٍّ مُسْتَمِرٍّ ؛ فَيَتَدَرَّجُ ذٰلِكَ ، إِلٰى أَنْ يَشْرَعَ بِالصِّرَاعِ فِي صُورَةِ جِدَالِ السَّعْيِ وَرَأْسِ الْمَالِ ؛ كَمَا كَانَ فِي رُوسِيَا ؛ عَلٰى مَا أُثْبِتَ وَبُيِّنَ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ، فِي بَحْثِ مُوَازَنَةِ حِكَمِ الْقُرْآنِ ، مَعَ الْمَدَنِيَّةِ . .

فَيَا أَهْلَ الْكَرَمِ وَالْوِجْدَانِ ، وَيَا أَهْلَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ ! إِذَا لَمْ تَكُنِ الْإِحْسَانَاتُ بِاسْمِ الزَّكَاةِ ؛ فَلَهَا ثَلَاثُ مَضَارَّ ؛ وَأَحْيَاناً تَزُولُ بِدُونِ فَائِدَةٍ ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَدْفَعْ بِاسْمِ اللّٰهِ ؛ فَتَمُنُّ مَعْنًى ؛ وَتَجْعَلُ الْفَقِيرَ الْبَائِسَ ، تَحْتَ أَسْرِ الْمِنَّةِ ؛ وَتَبْقَى مَحْرُوماً عَنْ دُعَائِهِ الْمَقْبُولِ ؛ وَأَيْضاً تَظُنُّ نَفْسَكَ صَاحِبَ الْمَالِ ؛ فَتَكْفُرُ بِالنِّعْمَةِ ؛ مَعَ أَنَّكَ مُوَظَّفٌ مَأْمُورٌ بِتَوْزِيعِ مَالِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، عَلٰى عِبَادِهِ . وَإِنْ أَعْطَيْتَهَا بِاسْمِ الزَّكَاةِ ؛ تَفُوزُ بِثَوَابٍ ؛ وَتُؤَدِّي شُكْرَانَ نِعْمَةٍ ؛ حَيْثُ أَعْطَيْتَهَا بِاسْمِ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ وَلَا يُضْطَرُّ ذٰلِكَ الْمُحْتَاجُ إِلَى التَّبَصْبُصِ ؛ فَلَا يَنْتَقِضُ عِزَّةُ نَفْسِهِ ؛ وَيُقْبَلُ دُعَاؤُهُ فِي حَقِّكَ . .

نَعَمْ : أَيْنَ دَفْعُ مَا يُسَاوِي الزَّكَاةَ ، بَلْ أَزْيَدَ مِنْهَا ، فِي صُورَةِ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ ، أَوْ فِي صُوَرٍ أُخْرٰى ، وَتَحْصِيلُ مَضَارَّ مِثْلِ الرِّيَاءِ وَالشُّهْرَةِ ، وَكَالتَّذْلِيلِ وَالْمِنَّةِ ؟ وَأَيْنَ فِعْلُ تِلْكَ الْإِحْسَانَاتِ ، بِاسْمِ الزَّكَاةِ ، وَأَدَاءِ الْفَرْضِ ، وَكَسْبُ الثَّوَابِ وَالْإِخْلَاصِ ، وَكَسْبُ دُعَاءٍ مَقْبُولٍ ؟ .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ ﴾ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي قَالَ : ﴿ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ﴾ ؛ وَقَالَ : ﴿ الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنٰى ﴾ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ آمِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ . .

خَاتِمَةٌ فِي حَقِّ الْغِيبَةِ :

بِاسْمِهِ .. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

إِنَّ تَنْفِيرَ آيَةٍ وَاحِدَةٍ ، مِنْ أَمْثِلَةِ مَقَامِ الذَّمِّ وَالزَّجْرِ ، مِنَ النُّقْطَةِ الْخَامِسَةِ ، مِنَ الشُّعَاعِ الْأَوَّلِ ، مِنَ الشُّعْلَةِ الْأُولٰى ، مِنَ الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ، عَنِ الْغِيبَةِ فِي سِتَّةِ أَوْجُهٍ ، بِصُورَةٍ مُعْجِزَةٍ ، يُظْهِرُ بِتَمَامِهِ أَنَّ الْغِيبَةَ أَمْرٌ شَنِيعٌ فِي نَظَرِ الْقُرْآنِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تَتْرُكِ الْحَاجَةَ إِلٰى بَيَانٍ آخَرَ .. نَعَمْ : لَا بَيَانَ بَعْدَ بَيَانِ الْقُرْآنِ ؛ وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ يَذُمُّ الذَّمَّ سِتَّ دَرَجَاتٍ ؛ وَيَزْجُرُ بِشِدَّةٍ عَنِ الْغِيبَةِ سِتَّ مَرَاتِبَ ، فِي آيَةِ : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾ ؛ فَإِذَا تَوَجَّهَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ ، إِلَى الْمُغْتَابِينَ بِالْفِعْلِ ؛ يَكُونُ مَعْنَاهَا عَلَى الْوَجْهِ الْآتِي ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّهُ مَعْلُومٌ : أَنَّ الْهَمْزَةَ فِي صَدْرِ الْآيَةِ ، لِلِاسْتِفْهَامِ بِمَعْنٰى «أَيَا عَجَباً» ؛ فَيَدْخُلُ ذٰلِكَ الْمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِيُّ كَالْمَاءِ ، فِي جَمِيعِ كَلِمَاتِ الْآيَةِ ؛ فَفِي كُلِّ كَلِمَةٍ ، حُكْمٌ ضِمْنِيٌّ ..

[فَالْأُولٰى :] تَقُولُ بِالْهَمْزَةِ : أَلَا يُوجَدُ عَقْلُكُمُ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ؛ حَيْثُ لَا يَفْهَمُ أَمْراً شَنِيعاً بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ؟ .

[اَلثَّانِيَةُ :] تَقُولُ بِلَفْظِ (يُحِبُّ) : هَلْ فَسَدَ قَلْبُكُمُ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْمَحَبَّةِ وَالنَّفْرَةِ ؛ فَيُحِبَّ أَمْراً مَنْفُوراً أَشَدَّ ؟ .

[اَلثَّالِثَةُ :] تَقُولُ بِكَلِمَةِ (أَحَدُكُمْ) : مَاذَا صَارَتْ مَدَنِيَّتُكُمْ وَحَيَاتُكُمُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ الَّتِي تَسْتَفِيدُ حَيَاتَهَا مِنَ الْجَمَاعَةِ ؛ حَتّٰى تَقْبَلَ عَمَلاً يُسَمِّمُ حَيَاتَكُمْ بِهٰذَا الْوَجْهِ ؟ .

[اَلرَّابِعَةُ :] تَقُولُ بِجُمْلَةِ (أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ) : مَاذَا صَارَتْ إِنْسَانِيَّتُكُمْ ؛ حَيْثُ تُمَزِّقُونَ هٰكَذَا أَصْحَابَكُمْ ، بِالْأَضْرَاسِ شِبْهَ السِّبَاعِ ؟ .

﴾اَلْخَامِسَةُ :﴿ تَقُولُ بِكَلِمَةِ (أَخِيهِ) : أَلَا تُوجَدُ رِقَّةُ جِنْسِيَّتِكُمْ ، وَصِلَةُ رَحِمِكُمْ ؛ فَتَضْرِسُونَ هٰكَذَا بِدُونِ إِنْصَافٍ ، الشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ لِمَظْلُومٍ هُوَ أَخُوكُمْ بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَأَلَا يُوجَدُ عَقْلُكُمْ ؛ حَيْثُ تَعَضُّونَ أَعْضَاءَكُمْ ، بِأَسْنَانِكُمْ كَالْمَجَانِينِ ؟ .

﴾اَلسَّادِسَةُ :﴿ تَقُولُ بِلَفْظِ (مَيْتاً) : أَيْنَ وِجْدَانُكُمْ ؟ وَهَلْ فَسَدَتْ فِطْرَتُكُمْ ؛ فَتَفْعَلُونَ بِأَحَدِ إِخْوَتِكُمْ ، عَمَلاً مُسْتَكْرَهاً مِثْلَ أَكْلِ لَحْمِهِ ؛ وَهُوَ فِي حَالَةٍ مُحْتَرَمَةٍ ؟ .

فَإِذاً إِنَّ الذَّمَّ وَالْغِيبَةَ ، مَذْمُومَانِ عَقْلاً وَقَلْباً ، وَإِنْسَانِيَّةً وَوِجْدَاناً ، وَفِطْرَةً وَمِلِّيَّةً ، بِإِفَادَةِ هٰذِهِ الْآيَةِ ، وَبِدَلَالَةِ الْكَلِمَاتِ دَلَالَاتٍ مُخْتَلِفَةً . فَانْظُرْ أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ ، كَيْفَ تَزْجُرُ عَنْ ذٰلِكَ الْجُرْمِ ، سِتَّ دَرَجَاتٍ ، عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ؛ وَذٰلِكَ بِذَمِّهَا الذَّمَّ ، سِتَّ مَرَاتِبَ ، عَلٰى وَجْهِ الْإِيجَازِ . .

إِنَّ الْغِيبَةَ سِلَاحٌ دَنِيءٌ أَكْثَرَ مَا يَسْتَعْمِلُهُ أَهْلُ الْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ وَالْعِنَادِ . وَصَاحِبُ عِزَّةِ النَّفْسِ لَا يَتَنَزَّلُ إِلٰى هٰذَا السِّلَاحِ الْخَبِيثِ ؛ فَلَا يَسْتَعْمِلُهُ ؛ وَذٰلِكَ كَمَا قَالَ رَجُلٌ شَهِيرٌ : (أُكَبِّرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بِغِيبَةٍ ❁ فَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ لَا لَهُ جُهْدُ) ؛ يَعْنِي : أَنِّي أَسْمُو بِنَفْسِي ؛ وَلَا أَتَنَزَّلُ أَنْ أَجْزِيَ عَدُوِّي بِالْغِيبَةِ ؛ لِأَنَّ الْغِيبَةَ سِلَاحُ الضُّعَفَاءِ وَالْأَذِلَّاءِ وَالْأَسَافِلِ . .

وَالْغِيبَةُ هِيَ : أَنَّ الْمُغْتَابَ لَوْ كَانَ حَاضِراً ؛ وَسَمِعَهَا ؛ لَاسْتَكْرَهَ ؛ وَسَخِطَ عَنْهَا . فَإِنْ صَدَقَهَا ؛ فَهِيَ الْغِيبَةُ نَفْسُهَا . وَإِنْ كَذَبَهَا ؛ فَهِيَ غِيبَةٌ وَافْتِرَاءٌ ، وَذَنْبٌ شَنِيعٌ مُضَاعَفٌ . .

وَالْغِيبَةُ تَجُوزُ فِي عِدَّةِ مَوَادَّ مَخْصُوصَةٍ . .

مِنْهَا : أَنَّهُ يَذْكُرُهَا لِشَخْصٍ مُوَظَّفٍ ، فِي صُورَةِ الشَّكْوٰى ؛ حَتّٰى يُعِينَهُ ؛ فَيُزِيلَ عَنْهُ ذٰلِكَ الْمُنْكَرَ ، وَتِلْكَ الْخَطِيئَةَ ؛ وَيَقْبِضَ عَنْهُ حَقَّهُ . .

وَمِنْهَا : أَنَّ أَحَداً ، يُرِيدُ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي الْعَمَلِ ؛ فَيَسْتَشِيرُ بِكَ ؛ وَأَنْتَ تَقُولُ : لَا تُشَارِكْ مَعَهُ ؛ فَإِنَّكَ تَسْتَضِرُّ مِنْهُ ؛ وَذٰلِكَ لِأَدَاءِ حَقِّ الْمَشُورَةِ ، وَلِمَحْضِ الْمَصْلَحَةِ ، بِدُونِ

الْغَرَضِ . .

وَمِنْهَا : أَنَّ مَقْصُودَهُ لَيْسَ التَّحْقِيرَ وَالتَّشْهِيرَ ؛ بَلْ يَقُولُ بِقَصْدِ التَّعْرِيفِ وَالتَّوْصِيفِ : إِنَّ ذٰلِكَ الْأَعْرَجَ الْهَائِمَ ، سَارَ إِلٰى مَكَانِ كَذَا . .

وَمِنْهَا : أَنَّ ذٰلِكَ الْمُغْتَابَ ، فَاسِقٌ مُتَجَاهِرٌ ؛ يَعْنِي : لَا يَسْتَحْيِي عَنِ الْفِسْقِ ؛ بَلْ يَفْتَخِرُ بِسَيِّئَاتٍ يَقْتَرِفُهَا ؛ وَيَتَلَذَّذُ بِظُلْمِهِ ؛ وَيَفْعَلُهَا عَلَانِيَةً بِدُونِ اسْتِحْيَاءٍ . .

فَفِي هٰذِهِ الْمَوَادِّ الْمَخْصُوصَةِ ، تَجُوزُ الْغِيبَةُ لِمَحْضِ الْحَقِّ وَالْمَصْلَحَةِ بِدُونِ الْغَرَضِ . وَإِلَّا فَإِنَّ الْغِيبَةَ تَأْكُلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَتُفْنِيهَا ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ وَتُفْنِيهَا . . فَإِنِ اغْتَابَ أَوِ اسْتَمَعَ مُخْتَاراً ؛ فَلْيَقُلْ حِينَئِذٍ : «اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِمَنِ اغْتَبْنَاهُ» ؛ ثُمَّ مَتٰى لَقِيَ الْمُغْتَابَ ؛ فَلْيَقُلْ : اِجْعَلْنِي فِي حِلٍّ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ أَبَداً ، بِعَدَدِ عَاشِرَاتِ دَقَائِقِ عُمُرِكَ ، وَذَرَّاتِ وُجُودِكَ . .

أَخِي الْعَزِيزَ الْغَيُورَ ، الْجَادَّ ذَا الْحَقِيقَةِ ، الْخَالِصَ ذَا الدِّرَايَةِ ! .

إِنَّ أَمْثَالَنَا مِنْ إِخْوَانِ الْحَقِيقَةِ وَالْآخِرَةِ ، لَا يُشَكِّلُ اخْتِلَافُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، مَانِعاً لِمُحَاوَرَتِهِمْ وَمُؤَانَسَتِهِمْ ؛ فَلَوْ كَانَ وَاحِدٌ فِي الْمَشْرِقِ ؛ وَوَاحِدٌ فِي الْمَغْرِبِ ؛ وَوَاحِدٌ فِي الْمَاضِي ؛ وَوَاحِدٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَوَاحِدٌ فِي الدُّنْيَا ؛ وَوَاحِدٌ فِي الْآخِرَةِ ، يُمْكِنُ أَنْ يُعَدُّوا مَعاً ؛ وَأَنْ يَتَحَاوَرُوا ، لَاسِيَّمَا أَنَّ مَنْ يَكُونُونَ فِي وَظِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ، لِمَقْصَدٍ وَاحِدٍ ، يَكُونُ بَعْضُهُمْ فِي حُكْمِ بَعْضٍ بِعَيْنِهِ . .

وَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ عِنْدِي كُلَّ صَبَاحٍ ؛ وَأُهْدِي لَكُمْ قِسْماً ثُلُثاً مِنْ كَسْبِي ؛ تَقَبَّلَهُ اللهُ ؛ وَإِنَّكُمْ فِي الدُّعَاءِ مَعَ «عَبْدِ الْمَجِيدِ وَعَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ؛ وَتَأْخُذُونَ حِصَّتَكُمْ كُلَّ وَقْتٍ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

وَإِنَّ بَعْضَ مَشَاكِلِكُمْ حَسَبَ الدُّنْيَا ، أَثَّرَ عَلَيَّ نَبْذَةً بِحِسَابِكَ ؛ وَلٰكِنْ لَمَّا لَمْ تَكُنِ الدُّنْيَا بَاقِيَةً ؛ وَكَانَ فِي مَصَائِبِهَا نَوْعٌ مِنَ الْخَيْرِ ؛ وَرَدَ عَلَى قَلْبِي ، بَدَلاً عَنْكَ : أَنَّهُ يَمْضِي

هٰذَا أَيْضاً ، يَا فُلاَنُ ! وَفَكَّرْتُ «أَنْ لَا عَيْشَ إِلّا عَيْشُ الْآخِرَةِ» ؛ وَقَرَأْتُ : ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ؛ وَقُلْتُ : ﴿إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ؛ فَتَسَلَّيْتُ بَدَلاً عَنْكَ ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، إِذَا أَحَبَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِهِ ؛ يُسْخِطُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا ؛ وَيُرِيهَا قَبِيحَةً ؛ وَإِنَّكَ ــ إِنْ شَاءَ اللهُ ــ لَمِنْ صِنْفِ أُولاَئِكَ الْمَحْبُوبِينَ . . وَلاَ يُؤَثِّرَنَّ عَلَيْكَ كَثْرَةُ الْمَوَانِعِ لِنَشْرِ الْمَقَالاَتِ ؛ فَإِنَّ الْمِقْدَارَ الَّذِي نَشَرْتَهُ ، إِذَا صَارَ مَظْهَراً لِرَحْمَةٍ ؛ سَتَفْتَحُ تِلْكَ النَّوَى النُّورِيَّةُ ، أَزْهَاراً كَثِيرَةً ، بِصُورَةٍ مُبَارَكَةٍ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

إِنَّكُمْ تَسْأَلُونَ بَعْضَ أَسْئِلَةٍ ؛ أَخِي الْعَزِيزَ ! إِنَّ غَالِبَ الْمَقَالاَتِ وَالْمَكْتُوبَاتِ الْمُؤَلَّفَةِ ، كَانَ يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ بِصُورَةٍ دَفْعِيَّةٍ آنِيَّةٍ ، بِدُونِ اخْتِيَارٍ ؛ فَكَانَ يَصِيرُ لَطِيفاً . وَإِنْ أُجِبْ مُتَفَكِّراً بِالاِخْتِيَارِ وَبِالْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ ، «كَسَعِيدِ الْقَدِيمِ» ؛ فَإِنَّهُ يَقَعُ خَامِداً ؛ وَيَكُونُ نَاقِصاً ؛ وَقَدْ صَارَ فَتْرَةً ، تَوَقَّفَتِ الطُّلُوعَاتُ الْقَلْبِيَّةُ ؛ وَانْكَسَرَ سَوْطُ الْقُوَّةِ الْحَافِظَةِ ؛ وَلٰكِنْ أَكْتُبُ أَجْوِبَةً مُخْتَصَرَةً لِلْغَايَةِ ؛ لِئَلّا تَبْقٰى بِدُونِ جَوَابٍ . .

﴿سُؤَالُكُمُ الْأَوَّلُ :﴾ كَيْفَ يَحِقُّ أَنْ يَكُونَ أَحْسَنُ مَا يَدْعُو الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : حَقُّهُ أَنْ يَكُونَ فِي دَائِرَةِ أَسْبَابِ الْقَبُولِ ؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ يَكُونُ مَقْبُولاً فِي ضِمْنِ بَعْضِ الشَّرَائِطِ ؛ وَيَزْدَادُ قَبُولُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اجْتِمَاعِ شَرَائِطِ الْقَبُولِ . .

فَمِنْهَا : أَنْ يَتَنَظَّفَ مَعْنَوِيّاً بِالاِسْتِغْفَارِ ، عِنْدَمَا يَدْعُو ؛ ثُمَّ يَذْكُرَ الصَّلَوَاتِ الشَّرِيفَةَ الَّتِي هِيَ دُعَاءٌ مَقْبُولٌ ، كَالشَّفِيعِ ؛ وَأَنْ يَأْتِيَ بِالصَّلَوَاتِ فِي الْآخِرِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُ يُقْبَلُ دُعَاءٌ بَيْنَ دُعَاءَيْنِ مَقْبُولَيْنِ ؛ وَأَنْ يَدْعُوَ لَهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ؛ يَعْنِي : غِيَاباً ؛ وَأَنْ يَدْعُوَ بِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ ، مِنَ الدَّعَوَاتِ الْمَأْثُورَةِ ، مِثْلِ ﴿اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ لِي وَلَهُمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ، وَمِثْلِ ﴿رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ، مِنَ الدَّعَوَاتِ الْجَامِعَةِ ؛ وَأَنْ يَدْعُوَ بِالْخُلُوصِ وَالْخُشُوعِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ ؛ وَأَنْ يَدْعُوَ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ ، لاَسِيَّمَا بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ ، وَفِي الْأَمَاكِنِ الْمُبَارَكَةِ ، لاَسِيَّمَا

فِي الْمَسَاجِدِ ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ ، لاسِيَّمَا سَاعَةِ الْإِجَابَةِ ، وَفِي الشُّهُورِ الثَّلاثَةِ ، لاسِيَّمَا اللَّيَالِي الْمَشْهُورَةِ ، وَفِي رَمَضَانَ ، لاسِيَّمَا لَيْلَةِ الْقَدْرِ ؛ فَإِنَّ مِنَ الْمَأْمُولِ الْأَكِيدِ ، أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ بِهٰذِهِ الشُّرُوطِ ، مَقْرُوناً بِالْقَبُولِ ؛ فَذٰلِكَ الدُّعَاءُ الْمَقْبُولُ ، إِمَّا يُرى أَثَرُهُ بِعَيْنِهِ فِي الدُّنْيَا ؛ أَوْ يُتَقَبَّلُ لِآخِرَةِ مَنْ دُعِيَ لَهُ ، وَفِي جِهَةِ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ . فَإِذاً إِنْ لَمْ يَحْصُلْ عَيْنُ الْمَطْلُوبِ ؛ لاَ يُقَالُ : إِنَّ الدُّعَاءَ لَمْ يُتَقَبَّلْ ؛ بَلْ يُقَالُ : إِنَّهُ تُقُبِّلَ فِي صُورَةٍ أَحْسَنَ . .

سُؤَالُكُمْ الثَّانِي : هَلْ يَلِيقُ أَنْ يُقَالَ : (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، لِغَيْرِ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ ، بِهٰذَا الْمَعْنٰى ، عَلٰى مَا يُقَالُ لَهُمْ ؟ .

اَلْجَوَابُ : نَعَمْ : يُقَالُ . لِأَنَّ جُمْلَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) لَيْسَتْ شِعَاراً مَخْصُوصاً بِالصَّحَابَةِ ، كَكَلاَمِ (عليه الصلاة والسلام) الَّذِي هُوَ شِعَارٌ مَخْصُوصٌ بِالرَّسُولِ الْأَكْرَمِ . **بَلْ يَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ لِأَمْثَالِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ ، وَالشَّيْخِ الْجِيلاَنِيِّ وَالْإِمَامِ الْغَزَّالِيِّ وَالْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِينَ نَالُوا مَقَامَ الرِّضَا وَكَانُوا فِي الْوِلاَيَةِ الْكُبْرَى الَّتِي يُقَالُ لَهَا : وِرَاثَةُ النُّبُوَّةِ ، كَالصَّحَابَةِ .** وَلٰكِنْ فِي عُرْفِ الْعُلَمَاءِ يُقَالُ لِلصَّحَابَةِ : (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، وَلِلتَّابِعِينَ وَتَبَعِهِمْ : (رَحِمَهُ اللهُ) ، وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ : (غَفَرَهُ اللهُ) ، وَلِلْأَوْلِيَاءِ : (قُدِّسَ سِرُّهُ) . .

سُؤَالُكُمْ الثَّالِثُ : هَلْ أَئِمَّةُ الْمُجْتَهِدِينَ الْعِظَامُ ، أَفْضَلُ أَوَّلاً ، أَمْ أَقْطَابُ الطُّرُقِ الْحَقَّةِ وَأَعَاظِمُهُمْ ، أَفْضَلُ ؟ .

اَلْجَوَابُ : لَيْسَ عُمُومُ الْمُجْتَهِدِينَ ؛ بَلْ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، هُمْ فَوْقَ الْأَقْطَابِ وَسَلاَطِينِ الْأَوْلِيَاءِ ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَ الْأَقْطَابِ الْخَارِقِينَ ، **كَالسُّلْطَانِ الْجِيلاَنِيِّ** ، مَالِكُونَ لِمَقَامٍ أَشْرَقَ فِي جِهَةٍ مَّا ، فِي الْفَضَائِلِ الْخُصُوصِيَّةِ ؛ وَلٰكِنَّ الْفَضِيلَةَ الْكُلِّيَّةَ ، هِيَ لِلْأَئِمَّةِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ بَعْضَ سَلاَطِينِ الطَّرِيقَةِ ، هُمْ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ ؛ فَلِذٰلِكَ لاَ يُقَالُ : إِنَّ عُمُومَ الْمُجْتَهِدِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَقْطَابِ ؛ وَلٰكِنْ يُقَالُ : **إِنَّ الْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ ، أَفْضَلُ بَعْدَ الصَّحَابَةِ وَالْمَهْدِيِّ** . .

﴿سُؤَالُكُمُ الرَّابِعُ :﴾ مَا هِيَ الْحِكْمَةُ وَالْغَايَةُ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى ، وَضَعَ فِي وُجُودِ الْأَشْيَاءِ ، تَرْتِيباً كَدَرَجَاتِ مِرْقَاةٍ ؛ وَذٰلِكَ بِمُقْتَضَى اسْمِ الْحَكِيمِ ؛ فَالَّذِي لَا صَبْرَ لَهُ ، لَا يَتَحَرَّكُ بِتَأَنٍّ ؛ فَإِمَّا يَقْفِزُ عَلَى الدَّرَجَاتِ فَيَسْقُطُ ؛ أَوْ يَنْقُصُهَا ؛ فَلَا يَطْلَعُ إِلٰى سَقْفِ الْمَقْصُودِ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ الْحِرْصُ ، سَبَبَ الْحِرْمَانِ ؛ وَالصَّبْرُ مِفْتَاحَ الْمُشْكِلَاتِ ؛ فَصَارَ قَوْلُهُمْ : «اَلْحَرِيصُ خَائِبٌ خَاسِرٌ ؛ وَالصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ» ، مِنْ قَبِيلِ ضُرُوبِ الْأَمْثَالِ ؛ فَالْمُرَادُ : أَنَّ عِنَايَةَ اللّٰهِ تَعَالٰى وَتَوْفِيقَهُ ، مَعَ الصَّابِرِينَ ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ . .

أَحَدُهَا : الصَّبْرُ وَالِاتِّقَاءُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ . وَهٰذَا الصَّبْرُ تَقْوٰى ؛ فَيَجْعَلُهُ مَظْهَراً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ . .

اَلثَّانِي : هُوَ الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ ؛ وَهُوَ تَوَكُّلٌ وَتَسْلِيمٌ ؛ فَيَجْعَلُهُ مَظْهَراً لِشَرَفِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ . . ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ . وَأَمَّا تَرْكُ الصَّبْرِ ، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الشَّكْوٰى عَنِ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ وَيَنْشَأُ عَنْهُ انْتِقَادُ أَفْعَالِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، وَاتِّهَامُ رَحْمَتِهِ ، وَرَفْضُ حِكْمَتِهِ . . نَعَمْ : إِنَّ الْإِنْسَانَ الْعَاجِزَ الضَّعِيفَ يَبْكِي الْبَتَّةَ بِصُورَةِ الشَّكْوٰى ، إِزَاءَ ضَرْبَةِ الْمُصِيبَةِ ؛ وَلٰكِنْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الشَّكْوٰى إِلَيْهِ ، لَا مِنْهُ ؛ وَأَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ يَعْقُوبُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى اللّٰهِ﴾ ؛ يَعْنِي : عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُوَ الْمُصِيبَةَ إِلَى اللّٰهِ . وَإِلَّا فَإِنْ تَأَوَّهَ وَتَأَفَّفَ وَقَالَ : مَاذَا فَعَلْتُ ؛ فَنَزَلَ بِي هٰذَا الْحَالُ ؛ كَأَنَّهُ يَشْكُو اللّٰهَ إِلَى النَّاسِ الْعَجَزَةِ ؛ فَيُهَيِّجُ رِقَّتَهُمْ ؛ فَذٰلِكَ ضَرَرٌ وَلَا مَعْنٰى لَهُ . .

اَلصَّبْرُ الثَّالِثُ : هُوَ الصَّبْرُ عَلَى الْعِبَادَةِ ؛ فَهٰذَا الصَّبْرُ يُخْرِجُهُ إِلٰى مَقَامِ الْمَحْبُوبِيَّةِ ؛ وَيَسُوقُهُ إِلٰى جَانِبِ الْعُبُودِيَّةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ . .

﴿سُؤَالُكُمُ الْخَامِسُ :﴾ أَنَّ سِنَّ التَّكْلِيفِ يُعْتَبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ؛ فَكَيْفَ كَانَ

النَّبيُّ (عليه الصلاة والسلام) يَعْبُدُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : كَانَ يَعْبُدُ بِبَقِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ، الَّتِي كَانَتْ تَدُومُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ ، تَحْتَ حُجُبٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ بِصُورَةِ الْفَرْضِ وَالضَّرُورَةِ ؛ بَلْ كَانَ يَعْبُدُ بِصُورَةِ النَّدْبِ وَالِاخْتِيَارِ . وَهٰذِهِ الْحَقِيقَةُ طَوِيلَةٌ ؛ فَلْتَبْقَ مُخْتَصَرَةً الْآنَ . .

﴿ سُؤَالُكُمُ السَّادِسُ : ﴾ مَا هِيَ الْحِكْمَةُ فِي مَجِيءِ النُّبُوَّةِ ، عَلٰى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ الَّذِي يُعْتَبَرُ سِنَّ الْكَمَالِ ، وَفِي كَوْنِ عُمُرِ سَعَادَتِهِ ، ثَلَاثاً وَسِتِّينَ سَنَةً ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ حِكَمَهَا كَثِيرَةٌ . . إِحْدَاهَا : أَنَّ النُّبُوَّةَ تَكْلِيفٌ ثَقِيلٌ وَعَظِيمٌ لِلْغَايَةِ ؛ فَيُتَحَمَّلُ ذٰلِكَ التَّكْلِيفُ الثَّقِيلُ ، بِانْكِشَافِ الْمَلَكَاتِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَبِتَكَمُّلِ الِاسْتِعْدَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ . وَزَمَانُ ذٰلِكَ التَّكَمُّلِ ، سِنُّ الْأَرْبَعِينَ . .

وَأَيْضاً أَنَّ الْفُتُوَّةَ وَالشَّبِيبَةَ الَّتِي هِيَ زَمَانُ هَيَجَانِ الْهَوَسَاتِ النَّفْسِيَّةِ ، وَأَوَانُ غَلَيَانِ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ ، وَأَوْقَاتُ فَوَرَانِ الِاحْتِرَاصَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، لَا تُوَافِقُ وَظَائِفَ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ مَحْضُ وَظَائِفَ إِلٰهِيَّةٍ وَأُخْرَوِيَّةٍ وَقُدْسِيَّةٍ ؛ فَإِنَّهُ مَهْمَا كَانَ قَبْلَ الْأَرْبَعِينَ ، جَادّاً وَخَالِصاً ؛ يَرِدُ بِبَالِ دُعَاةِ الشُّهْرَةِ تَوَهُّمٌ ؛ وَيَقُولُونَ : لَعَلَّهُ يَسْعٰى لِشَأْنِ الدُّنْيَا وَشَرَفِهَا ؛ فَلَا يَنْجُو فَوْراً عَنِ اتِّهَامِهِمْ ؛ وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ، يَشْرَعُ النُّزُولُ إِلٰى جَانِبِ الْقَبْرِ ؛ وَيَتَرَاءٰى إِلَيْهِ الْآخِرَةُ ، أَكْثَرَ مِنَ الدُّنْيَا ؛ يَنْجُو عَنْ ذٰلِكَ الِاتِّهَامِ ؛ وَيُوَفَّقُ فَوْراً ، فِي أَعْمَالِهِ وَحَرَكَاتِهِ الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ وَيُخَلِّصُ النَّاسُ ؛ وَيَنْجُونَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ . .

وَأَمَّا كَوْنُ عُمُرِ سَعَادَتِهِ ، ثَلَاثاً وَسِتِّينَ ؛ فَمِنْ حِكَمِهِ الْكَثِيرَةِ : أَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ مُكَلَّفُونَ شَرْعاً ، بِحُبِّ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عليه الصلاة والسلام) ، وَبِاحْتِرَامِهِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، وَبِعَدَمِ التَّنَفُّرِ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ شُؤُونِهِ ، وَبِتَحْسِينِ كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يَتْرُكُ حَبِيبَهُ الْأَكْرَمَ ، فِي زَمَنِ الشَّيْبِ ذِي الْمِحْنَةِ وَالْمُصِيبَةِ ، بَعْدَ السِّتِّينَ ؛ بَلْ يَبْعَثُهُ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلٰى ؛ وَيَرْفَعُهُ إِلَيْهِ ، فِي الثَّلَاثِ وَالسِّتِّينَ الَّتِي هِيَ الْعُمُرُ الْغَالِبُ لِلْأُمَّةِ الَّتِي هُوَ إِمَامُهَا ؛ وَيُثْبِتُ أَنَّهُ إِمَامٌ فِي كُلِّ

جِهَةٍ . .

﴿ سُؤَالُكُمُ السَّابِعُ : ﴾ (خَيْرُ شَبَابِكُمْ ، مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُولِكُمْ ؛ وَشَرُّ كُهُولِكُمْ ، مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ) ؛ هَلْ هُوَ حَدِيثٌ ؟ وَمَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هٰذَا ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنِّي سَمِعْتُهُ حَدِيثاً . وَالْمُرَادُ : أَنَّ خَيْرَ الشُّبَّانِ ، هُوَ الَّذِي يَذْكُرُ الْمَوْتَ ؛ وَيَعْمَلُ لِآخِرَتِهِ كَالْكَهْلِ ؛ وَلَا يَصِيرُ أَسِيراً لِهَوَسَاتِ الشَّبِيبَةِ ؛ وَلَا يَغْرَقُ فِيهَا ؛ وَأَنَّ شَرَّ كُهُولِكُمْ ، هُوَ الَّذِي يُرِيدُ التَّشَبُّهَ بِالشُّبَّانِ ، فِي الْغَفْلَةِ وَالْهَوَسَاتِ ؛ وَيَتْبَعُ الْهَوَسَاتِ النَّفْسِيَّةَ ، شِبْهَ الصِّبْيَانِ . .

وَإِنَّ مَا رَأَيْتُهُ فِي لَوْحَتِكَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي ؛ فَإِنِّي عَلَّقْتُهُ عَلٰى رَأْسِي ، كَلَوْحَةِ الْحِكْمَةِ ؛ فَأَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛ وَأَدْرُسُ مِنْهُ ، كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ؛ وَصُورَتُهُ الصَّحِيحَةُ ، هِيَ : (إِنْ أَرَدْتَ الْخَلِيلَ ؛ كَفَى اللهُ) : نَعَمْ : إِنَّهُ إِنْ كَانَ خَلِيلاً ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ خَلِيلٌ . (وَإِنْ أَرَدْتَ الْأَصْدِقَاءَ ؛ كَفَى الْقُرْآنُ) : نَعَمْ : إِنَّهُ يَجْتَمِعُ خَيَالاً بِمَنْ فِيهِ ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ ؛ وَيَتَفَرَّجُ عَلٰى وَقَائِعِهِمْ ؛ فَيَأْنَسُ بِهِمْ . (وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَالَ ؛ كَفَى الْقَنَاعَةُ) : نَعَمْ : مَنِ اقْتَنَعَ اقْتَصَدَ ؛ وَمَنِ اقْتَصَدَ وَجَدَ الْبَرَكَةَ . (وَإِنْ أَرَدْتَ الْعَدُوَّ ؛ كَفَتِ النَّفْسُ) : نَعَمْ : مَنْ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ ؛ وَجَدَ الْبَلَاءَ ؛ وَوَقَعَ فِي الْمِحْنَةِ ؛ وَمَنْ لَمْ يُعْجَبْ بِنَفْسِهِ ؛ وَجَدَ الصَّفَاءَ ؛ وَرَاحَ إِلَى الرَّحْمَةِ . (وَإِنْ أَرَدْتَ النَّصِيحَةَ ؛ كَفَى الْمَوْتُ) : نَعَمْ : مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ ؛ نَجَا عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا ؛ وَعَمِلَ لِآخِرَتِهِ جِدّاً . .

وَإِنِّي أُلْحِقُ بِمَسْأَلَتِكُمُ السَّابِعَةِ ، ثَامِنَةً ؛ وَهِيَ : أَنَّ حَافِظاً ، تَلَا قَبْلَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، عُشْراً مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ ، إِلٰى قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞﴾ ؛ فَإِذَا بِنُكْتَةٍ ، خَطَرَتْ بِالْقَلْبِ ، بِصُورَةٍ آنِيَّةٍ ؛ وَكُلُّ مَا يَعُودُ إِلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ غَالٍ ؛ وَمَهْمَا كَانَ صَغِيراً فِي الظَّاهِرِ ؛ فَهُوَ كَبِيرٌ حَسَبَ الْقِيمَةِ . نَعَمْ : إِنَّ مَا يُعِينُ عَلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ لَيْسَ صَغِيراً ؛ فَإِذاً لَا يُقَالُ : إِنَّ هٰذِهِ نُكْتَةٌ صَغِيرَةٌ لَا تَلِيقُ بِهٰذَا الْإِيضَاحِ وَالِاهْتِمَامِ ؛ فَلَا

شَكَّ أَنَّ «إِبْرَاهِيمَ خُلُوصِيَّ» التِّلْمِيذَ وَالْمُخَاطَبَ الْأَوَّلَ، فِي هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْمَسَائِلِ، وَالَّذِي يَقْدِرُ النِّكَاتَ الْقُرْآنِيَّةَ قَدْرَهَا؛ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَمِعَ تِلْكَ النُّكْتَةَ؛ إِذاً فَاسْتَمِعْ؛ وَهِيَ نُكْتَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ أَحْسَنِ قِصَّةٍ، وَنُكْتَةٌ عُلْوِيَّةٌ لَطِيفَةٌ، ذَاتُ بِشَارَةٍ وَإِعْجَازٍ، مِنْ آيَةِ ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، الَّتِي تُخْبِرُ عَنْ خَاتِمَةِ قِصَّةِ يُوسُفَ (عليه السلام)، الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الْقَصَصِ؛ وَهِيَ: أَنَّ مَا فِي آخِرِ سَائِرِ الْقَصَصِ الْمَسْعُودَةِ وَالْمُفَرِّحَةِ، مِنْ غُصَصِ أَخْبَارِ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ، وَأَلَمِهَا، يُنَغِّصُ وَيَنْقُصُ اللَّذَّةَ الْخَيَالِيَّةَ الْمُسْتَفَادَةَ مِنَ الْقِصَّةِ، لاسِيَّمَا أَنَّ الْإِخْبَارَ بِمَوْتِهِ وَفِرَاقِهِ، حِينَ تُخْبِرُ أَنَّهُ كَانَ فِي كَمَالِ الْفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ، أَشَدُّ أَلَماً؛ وَيُنْطِقُ السَّامِعِينَ بِالتَّأَوُّهِ. وَهٰذِهِ الْآيَةُ تُخْبِرُ عَنْ مَوْتِ يُوسُفَ (عليه السلام)، فِي حِينٍ كَانَ أَكْبَرَ سَعَادَةً وَفَرَحاً فِي الدُّنْيَا؛ وَهُوَ الْقِسْمُ الْأَشْرَقُ مِنْ قِصَّتِهِ؛ حَيْثُ صَارَ عَزِيزَ مِصْرَ؛ وَاجْتَمَعَ بِوَالِدَيْهِ؛ وَتَعَارَفَ عَلٰى إِخْوَتِهِ؛ وَتَحَابَّ مَعَهُمْ؛ فَتُخْبِرُ عَنْهُ بِهٰذَا الْوَجْهِ؛ وَتَقُولُ: إِنَّ يُوسُفَ نَفْسَهُ، طَلَبَ وَفَاتَهُ، مِنَ اللهِ تَعَالٰى؛ لِيَكُونَ مَظْهَراً لِحَالٍ أَسْعَدَ وَأَشْرَقَ مِنْ هٰذَا الْحَالِ الْفَرِحِ السَّعِيدِ؛ وَتُوُفِّيَ وَصَارَ مَظْهَراً لِتِلْكَ السَّعَادَةِ؛ فَتَعْنِي: أَنَّ وَرَاءَ الْقَبْرِ، حَالَةً أَكْثَرَ فَرَحاً، وَسَعَادَةً جَاذِبَةً أَلَذَّ مِنْ تِلْكَ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ اللَّذِيذَةِ؛ فَلِذٰلِكَ طَلَبَ عَارِفٌ بِالْحَقِيقَةِ، مِثْلُ يُوسُفَ (عليه السلام)، الْمَوْتَ الْأَلِيمَ لِلْغَايَةِ، بَيْنَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ اللَّذِيذَةِ؛ حَتّٰى يَكُونَ مَظْهَراً لِلسَّعَادَةِ الْأُخْرٰى..

فَانْظُرْ إِلٰى بَلاغَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ هٰذِهِ، كَيْفَ أَخْبَرَ عَنْ خَاتِمَةِ قِصَّةِ يُوسُفَ؟. فَلَا يُورِثُ فِي ذٰلِكَ الْخَبَرِ، أَلَماً وَتَأَسُّفاً لِلسَّامِعِينَ؛ بَلْ يُلْحِقُهُ بِشَارَةً وَسُرُوراً؛ وَيُرْشِدُ قَائِلاً: اعْمَلُوا لِمَا وَرَاءَ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ فِيهِ اللَّذَّةَ وَالسَّعَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ؛ وَيُظْهِرُ صِدِّيقِيَّةَ يُوسُفَ الْعَالِيَةَ؛ وَيَقُولُ: إِنَّ أَشْرَقَ حَالاتِ الدُّنْيَا، وَأَفْرَحَهَا أَيْضاً، لا يُغْفِلُهُ وَلا يَفْتِنُهُ؛ وَإِنَّهُ يَطْلُبُ الْآخِرَةَ كَذٰلِكَ..

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي..

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ، (رضي الله عنه)..

اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَآءُ ۞ .. وَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۞﴾ ..

﴿سُؤَالٌ :﴾ كَيْفَ يَصْلُحُ ، وَبِأَيِّ صُورَةٍ يُمْكِنُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ التَّرْبِيَةِ عَلٰى وَجْهِ الشَّفَقَةِ ، وَالتَّدْبِيرِ عَلٰى شَكْلِ الْمَصْلَحَةِ ، وَاللُّطْفِ عَلٰى صُورَةِ الْمَحَبَّةِ ، الَّتِي يَقْتَضِيهَا اسْمُ «الرَّحِيمِ وَالْحَكِيمِ وَالْوَدُودِ» ، مِنْ أَعَاظِمِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَبَيْنَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ ، وَالزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ، وَالْمُصِيبَةِ وَالْمَشَقَّةِ الْمُدْهِشَةِ الْمُوحِشَةِ ؟ . فَلْنَسْتَطِبْ مُضِيَّ الْإِنْسَانِ فِي سَبِيلِ الْمَوْتِ ؛ لِأَنَّهُ يَسِيرُ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَلٰكِنْ أَيُّ شَفَقَةٍ وَمَرْحَمَةٍ تَكُونُ ، وَأَيُّ حِكْمَةٍ وَمَصْلَحَةٍ تُوجَدُ ، وَأَيُّ لُطْفٍ وَرَحْمَةٍ يُمْكِنُ فِي إِفْنَاءِ أَنْوَاعِ هٰذِهِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ وَأَزْهَارِهَا ، الْحَيَّةِ اللَّطِيفَةِ الظَّرِيفَةِ ، وَطَوَائِفِ الْحَيَوَانَاتِ اللَّائِقَةِ بِالْوُجُودِ ، وَالْعَاشِقَةِ لِلْحَيَاةِ ، وَالْمُشْتَاقَةِ إِلَى الْبَقَاءِ ، إِفْنَاءً مُتَمَادِياً ، بِدُونِ أَنْ يُهْمِلَ أَحَداً مِنْهَا ، وَفِي إِعْدَامِهَا بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ، بِدُونِ أَنْ يَسْمَحَ لَهَا بِفَتْحِ عُيُونِهَا ، وَفِي اسْتِعْمَالِهَا بِالْمَشَقَّةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْمَحَ لَهَا بِالتَّنَفُّسِ ، وَفِي تَغْيِيرِهَا بِالْمَصَائِبِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُكَ أَحَداً مِنْهَا فِي الرَّاحَةِ ، وَفِي إِمَاتَتِهَا بِدُونِ أَنْ يَسْتَثْنِيَ أَحَداً مِنْهَا ، وَفِي زَوَالِهَا بِدُونِ أَنْ يَمْكُثَ وَاحِدٌ مِنْهَا ، وَفِي فِرَاقِهَا بِدُونِ أَنْ يَرْضٰى أَحَدٌ مِنْهَا ؟ .

اَلْجَوَابُ : سَنَجْتَهِدُ لِلْإِنْظَارِ مِنْ بُعْدٍ بَعِيدٍ ، إِلٰى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْعُظْمَى ، الْوَسِيعَةِ جِدّاً ، وَالْعَمِيقَةِ جِدّاً ، وَالرَّفِيعَةِ جِدّاً ، الَّتِي تَحُلُّ هٰذَا السُّؤَالَ ، بِخَمْسَةِ رُمُوزٍ تُظْهِرُ الدَّاعِيَ وَالْمُقْتَضِيَ ، وَبِخَمْسِ إِشَارَاتٍ تُبَيِّنُ الْغَايَاتِ وَالْفَوَائِدَ . .

اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ : خَمْسَةُ رُمُوزٍ :

﴿ اَلرَّمْزُ الْأَوَّلُ : ﴾ كَمَا أَنَّ صَانِعاً حَاذِقاً ، يَجْعَلُ رَجُلاً مِسْكِيناً ، مِقْيَاساً إِزَاءَ أَجْرٍ لَائِقٍ بِهِ ؛ لِيَصْنَعَ لِبَاساً غَالِياً ، عَلٰى صُورَةٍ مُصَنَّعَةٍ مُرَصَّعَةٍ ؛ فَيَقُصُّ ذٰلِكَ اللِّبَاسَ ؛ وَيَقْطَعُهُ عَلٰى ذٰلِكَ الْمِسْكِينِ ؛ وَيُقَصِّرُهُ وَيُطَوِّلُهُ لِإِظْهَارِ صَنْعَتِهِ وَمَهَارَتِهِ ؛ وَيُقْعِدُ ذٰلِكَ الرَّجُلَ ؛ وَيُقِيمُهُ وَيُعْطِيهِ أَوْضَاعاً مُخْتَلِفَةً ؛ فَهَلْ لِهٰذَا الْمِسْكِينِ ، حَقٌّ أَنْ يَقُولَ لِذٰلِكَ الصَّانِعِ : لِمَاذَا تَمَسُّ هٰذَا الثَّوْبَ الَّذِي زَيَّنَنِي ؛ فَتُبَدِّلُهُ وَتُغَيِّرُهُ ؛ وَتُقْعِدُنِي وَتُقِيمُنِي ؛ فَتُفْسِدُ اسْتِرَاحَتِي ؟ كَمَا قِيلَ فِي أَوَاخِرِ الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : فَإِنَّ الصَّانِعَ ذَا الْجَلَالِ ، اتَّخَذَ مَاهِيَّةَ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ مِقْيَاساً ؛ فَيُلْبِسُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، لَاسِيَّمَا ذِي حَيَاةٍ ، لِبَاسَ بَدَنٍ مُرَصَّعٍ بِالْحَوَاسِّ ؛ لِإِظْهَارِ كَمَالَاتِ صَنْعَتِهِ ، بِنُقُوشِ أَسْمَائِهِ ؛ فَيَصْنَعُ عَلَيْهِ نُقُوشاً ، بِقَلَمِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ؛ فَيُظْهِرُ جَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ ؛ وَيُعْطِي كُلَّ مَوْجُودٍ ، كَمَالاً وَلَذَّةً وَفَيْضاً ، عَلٰى وَجْهٍ لَائِقٍ بِهِ ؛ لِيَكُونَ لَهُ أَجْراً ؛ فَهَلْ يَحِقُّ لِشَيْءٍ ، إِزَاءَ ذٰلِكَ الصَّانِعِ ذِي الْجَلَالِ الْمُظْهِرِ لِسِرِّ (مَالِكُ الْمُلْكِ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ) ، أَنْ يَقُولَ : إِنَّكَ تُؤْذِينِي وَتُفْسِدُ اسْتِرَاحَتِي ؟ حَاشَاهُ . نَعَمْ : لَا حَقَّ لِلْمَوْجُودَاتِ ؛ وَلَيْسَ لَهَا ، أَنْ تَدَّعِيَ الْحَقَّ إِزَاءَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، بِأَيِّ جِهَةٍ ؛ بَلْ حَقُّهَا أَنْ تُؤَدِّيَ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ دَائِماً ، حَقَّ مَا أَعْطَاهَا مِنْ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ مَا أُعْطِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ ، وُقُوعَاتٌ تَقْتَضِي الْعِلَلَ ؛ وَلٰكِنَّ الْمَرَاتِبَ الَّتِي لَمْ تُعْطَ ، هِيَ إِمْكَانَاتٌ ؛ وَالْإِمْكَانَاتُ أَعْدَامٌ ؛ وَلَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَالْأَعْدَامُ لَا تَقْتَضِي الْعِلَلَ ؛ وَمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ لَا يَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ ؛ فَمَثَلاً : لَيْسَ لِلْمَعَادِنِ أَنْ تَشْكُوَ وَتَقُولَ : لِمَاذَا لَمْ نَكُنْ نَبَاتِيَّةً ؟ بَلْ حَقُّهَا الشُّكْرَانُ لِفَاطِرِهَا ، لِصَيْرُورَتِهَا مَظْهَراً

لِلْوُجُودِ الْمَعْدِنِيِّ ؛ وَأَمَّا الْحَيَوَانُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَشْكُوَ وَيَقُولَ : لِمَاذَا لَمْ أَكُنْ إِنْسَاناً ؟ بَلْ إِنَّ حَقَّهُ الَّذِي عَلَيْهِ ، هُوَ الشُّكْرَانُ ؛ حَيْثُ أُعْطِيَ جَوْهَرَ رُوحٍ غَالٍ ، مَعَ الْحَيَاةِ وَالْوُجُودِ ؛ وَهٰكَذَا فَقِسْ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمُشْتَكِي ! إِنَّكَ لَمْ تَبْقَ مَعْدُوماً ؛ فَلَبِسْتَ نِعْمَةَ الْوُجُودِ ؛ وَذُقْتَ الْحَيَاةَ ؛ وَلَمْ تَبْقَ جَامِداً ؛ وَلَمْ تَصِرْ حَيَوَاناً ؛ وَوَجَدْتَ نِعْمَةَ الْإِسْلَامِ ؛ وَلَمْ تَبْقَ فِي الضَّلَالِ ؛ وَرَأَيْتَ نِعْمَةَ الصِّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ ؛ وَهٰكَذَا . .

فَيَا كَفُورَ النِّعَمِ ! أَيْنَ أَنْتَ تَفُوزُ بِالْحَقِّ بَعْدُ ؟ فَلَا تَشْكُرُ اللهَ تَعَالٰى ، عَلٰى مَا آتَاكَ مِنْ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ مَحْضُ نِعْمَةٍ ؛ فَتَشْكُو عَنِ اللهِ تَعَالٰى ، بِحِرْصٍ بَاطِلٍ ؛ حَيْثُ لَمْ تُؤْتَ مَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْإِمْكَانَاتِ وَالْعَدَمِيَّاتِ ، مِنْ نِعَمٍ عَالِيَةٍ لَمْ تَقَعْ بِيَدِكَ ؛ وَلَسْتَ حَقِيقاً بِهَا ؛ فَيَا عَجَباً لِشَخْصٍ ! أَنْ يَطْلَعَ إِلٰى مَرْتَبَةٍ ذَاتِ دَرَجَاتٍ عَالِيَةٍ ، كَالطُّلُوعِ إِلٰى رَأْسِ الْمَنَارَةِ ؛ وَيَجِدَ مَقَاماً كَبِيراً ؛ وَيَرٰى فِي كُلِّ دَرَجَةٍ ، نِعْمَةً عَظِيمَةً ؛ فَلَمْ يَشْكُرْ لِمُوهِبِ تِلْكَ النِّعَمِ ؛ وَيَشْكُو قَائِلاً : لِمَاذَا لَمْ أَطْلَعْ إِلٰى مَا هُوَ أَعْلٰى مِنْ تِلْكَ الْمَنَارَةِ ؛ فَيَبْكِي وَيَرْتَعِشُ ؛ فَالْمَجَانِينُ أَيْضاً يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَمْ بَاطِلاً يَعْمَلُهُ ؛ وَكَمْ كُفْرَانَ نِعْمَةٍ يَقَعُ فِيهِ ؛ وَكَمْ جُنُوناً كَبِيراً يَفْعَلُهُ ؟ .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْغَافِلُ الْحَرِيصُ بِلَا قَنَاعَةٍ ، وَالْمُسْرِفُ بِلَا اقْتِصَادٍ ، وَالشَّاكِي بِلَا حَقٍّ ! اِعْلَمْ قَطْعاً : أَنَّ الْقَنَاعَةَ شُكْرَانٌ ذُو تِجَارَةٍ ؛ وَالْحِرْصَ كُفْرَانٌ ذُو خَسَارَةٍ ؛ وَالِاقْتِصَادَ احْتِرَامٌ لِلنِّعْمَةِ نَافِعٌ وَجَمِيلٌ ؛ وَأَنَّ الْإِسْرَافَ اسْتِخْفَافٌ بِالنِّعْمَةِ ضَارٌّ وَشَنِيعٌ . فَإِنْ كَانَ لَكَ عَقْلٌ ؛ فَتَعَلَّمِ الْقَنَاعَةَ ؛ وَاسْعَ لِلرِّضَا . وَإِنْ لَمْ تَتَحَمَّلْ ؛ فَقُلْ : يَا صَبُورُ ! وَاطْلُبِ الصَّبْرَ ؛ وَارْضَ بِحَقِّكَ ؛ وَلَا تَشْتَكِ ؛ وَاعْلَمْ مِمَّنْ وَإِلٰى مَنْ تَشْتَكِي ؛ فَاسْكُتْ . وَإِنْ تُرِدْ أَنْ تَشْتَكِيَ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ فَاشْتَكِ نَفْسَكَ إِلَى اللهِ ؛ لِأَنَّ فِيهَا الْقُصُورَ . .

﴿ اَلرَّمْزُ الثَّانِي : ﴾ أَنَّ حِكْمَةً مِنْ حِكَمِ تَبْدِيلِ الْخَالِقِ ذِي الْجَلَالِ ، وَتَجْدِيدِهِ

لِلْمَوْجُودَاتِ مُتَمَادِياً ، بِفَعَّالِيَّةِ رُبُوبِيَّتِهِ ، فِي صُورَةٍ مُوجِبَةٍ لِلْحَيْرَةِ وَالدَّهْشَةِ ، هِيَ : كَمَا أَنَّ الْفَعَّالِيَّةَ وَالْحَرَكَةَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ ، تَنْشَأُ عَنِ اشْتِهَاءٍ وَاشْتِيَاقٍ ، وَلَذَّةٍ وَمَحَبَّةٍ ؛ حَتّٰى يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ فِي كُلِّ فَعَّالِيَّةٍ ، نَوْعاً مِنَ اللَّذَّةِ ؛ بَلْ إِنَّ كُلَّ فَعَّالِيَّةٍ ، نَوْعٌ مِنَ اللَّذَّةِ ؛ وَإِنَّ اللَّذَّةَ أَيْضاً ، مُتَوَجِّهَةٌ إِلٰى كَمَالٍ ، بَلْ نَوْعٌ مِنَ الْكَمَالِ . فَإِذَا كَانَتِ الْفَعَّالِيَّةُ ، تُشِيرُ إِلٰى كَمَالٍ ، وَلَذَّةٍ وَجَمَالٍ ؛ وَكَانَ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، وَالْكَمَالُ الْمُطْلَقُ ، وَالْكَامِلُ ذُو الْجَلَالِ ، جَامِعاً لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْكَمَالَاتِ ، فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ لِذٰلِكَ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، شَفَقَةً مُقَدَّسَةً بِلَا حَدٍّ ، وَمَحَبَّةً مُنَزَّهَةً بِلَا نِهَايَةٍ ، بِوَجْهٍ لَائِقٍ بِوُجُوبِ وُجُودِهِ وَقُدْسِيَّتِهِ ، وَبِصُورَةٍ مُوَافِقَةٍ لِاسْتِغْنَائِهِ الذَّاتِيِّ ، وَغِنَاهُ الْمُطْلَقِ ، وَبِشَكْلٍ مُنَاسِبٍ بِتَنَزُّهِهِ الذَّاتِيِّ ، وَكَمَالِهِ الْمُطْلَقِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ لَهُ شَوْقاً مُقَدَّساً بِلَا حَدٍّ ، نَاشِئاً عَنْ تِلْكَ الشَّفَقَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَالْمَحَبَّةِ الْمُنَزَّهَةِ ؛ وَأَنَّ لَهُ سُرُوراً مُقَدَّساً بِلَا حَدٍّ ، نَاشِئاً عَنْ ذٰلِكَ الشَّوْقِ الْمُقَدَّسِ ؛ وَأَنَّ لَهُ لَذَّةً مُقَدَّسَةً بِلَا حَدٍّ ـ إِنْ جَازَ تَعْبِيرُهَا ـ نَاشِئَةً عَنْ ذٰلِكَ السُّرُورِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ لَهُ مَعَ تِلْكَ اللَّذَّةِ الْمُقَدَّسَةِ ، امْتِنَاناً مُقَدَّساً لَا حَدَّ لَهُ ، وَافْتِخَاراً مُقَدَّساً بِلَا حَدٍّ ـ إِنْ جَازَ تَعْبِيرُهُ ـ عَائِداً إِلَى الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، نَاشِئاً عَنِ امْتِنَانِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَكَمَالَاتِهَا النَّاشِئَةِ عَنْ تَكَمُّلِ اسْتِعْدَادِهَا ، وَعَنْ خُرُوجِهِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ ، بَيْنَ فَعَّالِيَّةِ قُدْرَتِهِ ، بِجِهَةِ رَحْمَتِهِ بِلَا حَدٍّ ؛ فَتَقْتَضِي فَعَّالِيَّةً بِلَا حَدٍّ ، بِصُورَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْفَعَّالِيَّةَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، تَقْتَضِي أَيْضاً تَبْدِيلاً وَتَغْيِيراً ، وَتَحْوِيلاً وَتَخْرِيباً بِلَا حَدٍّ ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ التَّغْيِيرَ وَالتَّبْدِيلَ بِلَا حَدٍّ ، يَقْتَضِي أَيْضاً الْمَوْتَ وَالْعَدَمَ ، وَالزَّوَالَ وَالْفِرَاقَ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي آخِرِ الْمَسْأَلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْمَكْتُوبِ الثَّامِنَ عَشَرَ . .

وَفِي زَمَنٍ تَظَاهَرَ فِي نَظَرِي ، مَا بَيَّنَتْهُ الْحِكْمَةُ الْبَشَرِيَّةُ ، فِي حَقِّ غَايَاتِ الْمَصْنُوعَاتِ ، مِنَ الْفَوَائِدِ ، بِدُونِ قِيمَةٍ جِدّاً ؛ وَعَلِمْتُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَةَ تَرِدُ إِلَى الْعَبَثِ ؛ فَلِذٰلِكَ إِمَّا تَقَعُ الْفَلَاسِفَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ ، فِي ضَلَالَةِ الطَّبِيعَةِ ؛ أَوْ يَكُونُونَ سُوفِسْطَائِيِّينَ ؛ أَوْ يُنْكِرُونَ اخْتِيَارَ الصَّانِعِ ؛ أَوْ يَقُولُونَ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْخَالِقِ : إِنَّهُ مُوجِبٌ بِالذَّاتِ ؛ فَبَعَثَتِ الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ

حِينَئِذٍ ، (اسْمَ الْحَكِيمِ) إِلٰى إِمْدَادِي ؛ فَأَرَانِي غَايَاتٍ عَظِيمَةً لِلْمَصْنُوعَاتِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ كُلَّ مَصْنُوعٍ ، مَكْتُوبٌ رَبَّانِيٌّ يُطَالِعُهُ جَمِيعُ ذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَهٰذِهِ الْغَايَةُ كَفَتْنِي سَنَةً ؛ ثُمَّ انْكَشَفَتْ خَوَارِقُ فِي الصَّنْعَةِ ؛ فَبَاشَرَتْ تِلْكَ الْغَايَةُ ، بِعَدَمِ الْكِفَايَةِ ؛ فَأُرِيَتْ غَايَةٌ أُخْرٰى أَعْظَمُ كَثِيراً ؛ يَعْنِي : أَنَّ أَهَمَّ غَايَاتِ كُلِّ مَصْنُوعٍ ، تَنْظُرُ إِلٰى صَانِعِهِ ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّهَا : هِيَ أَنْ يَعْرِضَ كَمَالَاتِ صَنْعَتِهِ ، وَنُقُوشَ أَسْمَائِهِ ، وَمُرَصَّعَاتِ حِكْمَتِهِ ، وَهَدَايَا رَحْمَتِهِ ، عَلٰى نَظَرِهِ ؛ وَأَنْ يَصِيرَ مِرْآةً لِجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ؛ وَهٰذِهِ الْغَايَةُ كَفَتْنِي فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ؛ ثُمَّ تَرَاءَتْ مُعْجِزَاتُ الْقُدْرَةِ ، وَشُؤُونَاتُ الرُّبُوبِيَّةِ ، فِي التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ السَّرِيعِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ، بَيْنَ الْفَعَّالِيَّةِ الْمُحَيِّرَةِ ، فِي صَنْعَةِ الْأَشْيَاءِ وَإِيجَادِهَا ؛ فَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ هٰذِهِ الْغَايَةُ أَيْضاً ، بِعَدَمِ الْكِفَايَةِ ؛ بَلْ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْزَمُ أَيْضاً دَاعٍ وَمُقْتَضٍ عَظِيمٌ بِقَدَرِ هٰذِهِ الْغَايَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ أُرِيتِ الْمُقْتَضِيَاتُ الَّتِي فِي هٰذَا الرَّمْزِ الثَّانِي ؛ وَالْغَايَاتُ الَّتِي فِي الْإِشَارَاتِ الْآتِيَةِ ؛ وَأُعْلِمَ لِي يَقِيناً : أَنَّ مَا فِي الْكَائِنَاتِ ، مِنْ فَعَّالِيَّةِ الْقُدْرَةِ ، وَسَيْرِ الْأَشْيَاءِ وَسَيَلَانِهَا ، مُفِيدَةٌ لِلْمَعْنٰى ؛ بِحَيْثُ يُنْطِقُ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ ، أَنْوَاعَ الْكَائِنَاتِ ، بِتِلْكَ الْفَعَّالِيَّةِ ؛ فَكَأَنَّ حَرَكَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَوْجُودَاتِهَا الْمُتَحَرِّكَةَ ، كَلِمَاتٌ فِي ذٰلِكَ النُّطْقِ ؛ وَإِنَّ التَّحَرُّكَ تَكَلُّمٌ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الزَّوَالَ وَالْحَرَكَاتِ النَّاشِئَةَ عَنِ الْفَعَّالِيَّةِ ، تَكَلُّمَاتٌ تَسْبِيحِيَّةٌ ؛ وَأَنَّ الْفَعَّالِيَّةَ فِي الْكَائِنَاتِ أَيْضاً ، نُطْقٌ وَإِنْطَاقٌ بِدُونِ صَوْتٍ ، لِلْكَائِنَاتِ وَأَنْوَاعِهَا . .

﴿ اَلرَّمْزُ الثَّالِثُ : ﴾ أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تَسِيرُ إِلَى الزَّوَالِ وَالْعَدَمِ ؛ بَلْ تَمْضِي مِنْ دَائِرَةِ الْقُدْرَةِ ، إِلٰى دَائِرَةِ الْعِلْمِ ؛ وَتَذْهَبُ مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ وَتَتَوَجَّهُ مِنْ عَالَمِ التَّغَيُّرِ وَالْفَنَاءِ ، إِلٰى عَالَمِ النُّورِ وَالْبَقَاءِ ؛ وَأَنَّ الْجَمَالَ وَالْكَمَالَ فِي الْأَشْيَاءِ ، عَائِدَانِ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَأَنَّهُمَا نُقُوشُهَا وَجَلَوَاتُهَا ، فِي نُقْطَةِ نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ بَاقِيَةً ؛ وَجَلَوَاتُهَا دَائِمَةً ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ نُقُوشَهَا تَتَجَدَّدُ وَتَتَبَدَّلُ وَتَتَجَمَّلُ ؛ وَلَا تَذْهَبُ إِلَى الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ ؛ بَلْ تَتَبَدَّلُ تَعَيُّنَاتُهَا الِاعْتِبَارِيَّةُ فَقَطْ ؛ وَأَنَّ حَقَائِقَهَا وَمَاهِيَّاتِهَا وَهُوِيَّاتِهَا الْمِثَالِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، وَمَظْهَرُ الْفَيْضِ وَالْكَمَالِ بَاقِيَةٌ ؛

فَالَّتِي لَا تَكُونُ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، يَعُودُ مَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، إِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ مُبَاشَرَةً ؛ وَالشَّرَفُ عَائِدٌ إِلَيْهَا ؛ وَالْمَدْحُ يَكُونُ عَلٰى حِسَابِهَا ؛ وَالْحُسْنُ حُسْنُهَا ؛ وَالْمَحَبَّةُ تَسِيرُ إِلَيْهَا ؛ فَلَا تُورِثُهَا تِلْكَ الْمَرَايَا ، ضَرَراً بِتَبَدُّلِهَا . وَإِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ؛ وَلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ ؛ فَإِنَّ زَوَالَهَا وَفِرَاقَهَا ، لَيْسَ عَدَماً وَفَنَاءً ؛ بَلْ إِنَّهَا تَنْجُو عَنِ الْوُجُودِ الْجِسْمَانِيِّ ، وَعَنْ وَرْطَةِ وَظِيفَةِ الْحَيَاةِ ؛ وَتُسَلِّمُ مَا كَسَبَتْهُ مِنْ ثَمَرَاتِ الْوَظِيفَةِ ، إِلٰى أَرْوَاحِهَا الْبَاقِيَةِ ؛ فَتَسْتَنِدُ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ الْبَاقِيَةُ أَيْضاً ، إِلٰى أَسْمَاءٍ إِلٰهِيَّةٍ ؛ وَتَدُومُ ؛ بَلْ تَسِيرُ إِلٰى سَعَادَةٍ لَائِقَةٍ بِهَا . وَإِنْ كَانَ أُولَائِكَ الْأَحْيَاءُ ذَوُو الْأَرْوَاحِ ، مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ ؛ فَإِنَّ ذَهَابَهُمْ سَيْرٌ وَسَفَرٌ إِلٰى عَالَمِ الْبَقَاءِ ، الَّذِي هُوَ مَدَارُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْكَمَالَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، وَإِلٰى مَنَازِلَ وَبِلَادٍ أُخْرٰى ، مِنْ مَمَالِكِ ذٰلِكَ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ ، كَعَالَمِ الْبَرْزَخِ ، وَعَالَمِ الْمِثَالِ ، وَعَالَمِ الْأَرْوَاحِ ، الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَأَنْوَرُ مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَلَيْسَ مَوْتاً وَعَدَماً ، وَزَوَالاً وَفِرَاقاً ؛ بَلْ وِصَالٌ إِلَى الْكَمَالَاتِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الصَّانِعُ ذُو الْجَلَالِ ، مَوْجُوداً وَبَاقِياً ؛ وَكَانَتْ صِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ ، دَائِمَةً وَسَرْمَدِيَّةً ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ جَلَوَاتِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَنُقُوشَهَا ، تَتَجَدَّدُ فِي بَقَاءٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ وَلَيْسَتْ تَخْرِيباً وَفَنَاءً ، وَإِعْدَاماً وَزَوَالاً . وَمِنَ الْمَعْلُومِ : أَنَّ الْإِنْسَانَ ، بِجِهَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ذُو عَلَاقَةٍ بِأَكْثَرِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَمُتَلَذِّذٌ بِسَعَادَتِهَا ، وَمُتَأَلِّمٌ بِهَلَاكِهَا ، وَذُو عَلَاقَةٍ بِذَوِي الْحَيَاةِ خُصُوصاً ، وَبِنَوْعِ الْبَشَرِ بِخُصُوصٍ ، وَبِأَهْلِ الْكَمَالِ خَاصَّةً ، الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيَسْتَحْسِنُهُمْ ؛ وَيَصِيرُ أَشَدَّ تَأَلُّماً بِآلَامِهِمْ ، وَأَزْيَدَ سَعَادَةً بِسَعَادَاتِهِمْ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَفْدِي بِسَعَادَتِهِ وَرَاحَتِهِ ، لِأَجْلِ سَعَادَتِهِمْ ، كَوَالِدَةٍ شَفِيقَةٍ . هٰذَا ؛ فَكُلُّ مُؤْمِنٍ ، يَسْتَطِيعُ حَسَبَ دَرَجَتِهِ ، أَنْ يَكُونَ مَسْعُوداً بِسَعَادَةِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَبِبَقَائِهَا وَنَجَاتِهَا عَنِ الْعَدَمِ ، وَبِكَوْنِهَا مَكْتُوبَاتٍ رَبَّانِيَّةً قَيِّمَةً ؛ وَأَنْ يَفُوزَ بِنُورٍ بِقَدَرِ الدُّنْيَا ؛ وَيَسْتَفِيدُ كُلُّ أَحَدٍ ، عَنْ هٰذَا النُّورِ ، حَسَبَ دَرَجَتِهِ ، بِنُورِ الْقُرْآنِ ، وَسِرِّ الْإِيمَانِ . وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ ؛ يَتَأَلَّمُ بِهَلَاكِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَبِفَنَائِهَا وَإِعْدَامِهَا الظَّاهِرِيِّ ، وَبِآلَامِهَا مَعَ آلَامِهِ ؛ إِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ كُفْرَهُ يَمْلَأُ

دُنْيَاهُ عَدَماً ؛ وَيَصُبُّهَا عَلٰى رَأْسِهِ ؛ فَيَسِيرُ إِلٰى جَهَنَّمَ ، قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهَا . .

﴿ اَلرَّمْزُ الرَّابِعُ : ﴾ كَمَا أَنَّ لِسُلْطَانٍ مَّا ، دَوَائِرَ تَنْظِيمَاتٍ ، مُخْتَلِفَةً وَمُتَغَايِرَةً ، نَاشِئَةً عَنْ عَنَاوِينَ وَصِفَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، كَالسُّلْطَانِ وَالْخَلِيفَةِ وَالْحَاكِمِ وَالْقَائِدِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ لِأَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنٰى ، تَجَلِّيَاتٍ مُتَنَوِّعَةً لَا يَحْصُرُهَا الْحَدُّ وَالْحِسَابُ . وَتَنَوُّعُ الْمَخْلُوقَاتِ وَاخْتِلاَفُهَا ، يَنْشَأُ عَنْ تَنَوُّعِ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ ؛ كَمَا ذَكَرْنَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ . .

هٰذَا ؛ فَبِسِرِّ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ جَمَالٍ وَكَمَالٍ ، يَطْلُبُ فِطْرَةً ، أَنْ يَرٰى جَمَالَهُ وَكَمَالَهُ ؛ وَأَنْ يُظْهِرَهُمَا ؛ تَقْتَضِي تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الْمُخْتَلِفَةُ أَيْضاً ، التَّظَاهُرَ بِصُورَةٍ دَائِمَةٍ ، بِحِسَابِ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، لِكَوْنِهَا دَائِمَةً وَسَرْمَدِيَّةً ؛ يَعْنِي : تَقْتَضِي مُشَاهَدَةَ نُقُوشِهَا ؛ يَعْنِي : تَقْتَضِي أَنْ تَرٰى جِلْوَةَ جَمَالِهَا ، وَانْعِكَاسَ كَمَالِهَا ؛ وَتُظْهِرَهُمَا فِي مَرَايَا نُقُوشِهَا ؛ يَعْنِي : تَقْتَضِي تَجْدِيدَ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ الْكَبِيرِ ، وَمَكْتُوبَاتِ الْمَوْجُودَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، آناً فَآناً ؛ يَعْنِي : تَقْتَضِي كِتَابَةً مُفِيدَةً لِلْمَعْنٰى ، مِنْ آنٍ إِلٰى آنٍ ؛ يَعْنِي : كِتَابَةَ آلاَفِ مَكْتُوبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَتَقْتَضِي عَرْضَ كُلِّ مَكْتُوبٍ ، عَلٰى نَظَرِ مُطَالَعَةِ جَمِيعِ ذَوِي الشُّعُورِ ، وَإِقْرَاءَهُ عَلَيْهِمْ ، مَعَ إِظْهَارِهِ لِنَظَرِ شُهُودِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسِ ، وَالْمُسَمَّى الْأَقْدَسِ . .

فَانْظُرْ إِلٰى هٰذَا الشِّعْرِ ذِي الْحَقِيقَةِ ، الَّذِي يُشِيرُ إِلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ : (إِنَّ أَوْرَاقَ كِتَابِ الْعَالَمِ ، هِيَ الْأَنْوَاعُ غَيْرُ الْمَعْدُودَةِ ❁ وَإِنَّ حُرُوفَهُ وَكَلِمَاتِهِ ، هِيَ الْأَفْرَادُ غَيْرُ الْمَحْدُودَةِ ❁ وَإِنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ فِي الْعَالَمِ ، لَفْظٌ مُجَسَّمٌ مُفِيدٌ لِلْمَعْنٰى ❁ كُتِبَ فِي مَعْمَلِ لَوْحِ الْحَقِيقَةِ الْمَحْفُوظِ[1] ❁) ؛ وَ (تَأَمَّلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا ❁ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلٰى إِلَيْكَ رَسَائِلُ ❁) . .

﴿ اَلرَّمْزُ الْخَامِسُ : ﴾ نُكْتَتَانِ . النُّكْتَةُ الْأُولٰى : لَمَّا كَانَ الْحَقُّ تَعَالٰى مَوْجُوداً ؛

---

(١) أَصْلُ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : (كِتَابِ عَالَمِكْ يَاپْرَاقْلَرِي ، أَنْوَاعِ نَا مَعْدُودْ ❁ حُرُوفْ إِيلَه كَلِمَاتِي دَخِي ، أَفْرَادِ نَا مَحْدُودْ ❁ يَا زِلْمِشْ دَسْتْگَاهِ لَوْحِ مَحْفُوظِ حَقِيقَتْدَه ❁ مُجَسَّمْ لَفْظِ مَعْنِيدَارْدِرْ عَالَمْدَه هَرْ مَوْجُودْ ❁) . .
اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷻ) . .

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُوداً ؛ وَإِذَا وُجِدَ الاِنْتِسَابُ إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ تُوجَدُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ ، يَسْتَحْصِلُ بِالاِنْتِسَابِ إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، ارْتِبَاطاً بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، بِسِرِّ الْوَحْدَةِ . .

فَإِذاً إِنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ عَلِمَ هُوَ ، انْتِسَابَهُ إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ أَوْ عُلِمَ انْتِسَابُهُ إِلَيْهِ ؛ فَهُوَ ذُو مُنَاسَبَةٍ مَعَ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، بِسِرِّ الْوَحْدَةِ . فَإِذاً إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَظْهَراً لِأَنْوَارِ الْوُجُودِ بِلَا حَدٍّ ، فِي نُقْطَةِ ذٰلِكَ الاِنْتِسَابِ ؛ فَلَا فِرَاقَ وَلَا زَوَالَ ، فِي تِلْكَ النُّقْطَةِ ؛ فَالْآنُ الْوَاحِدُ السَّيَّالُ مِنَ الْحَيَاةِ ، مَدَارٌ لِأَنْوَارِ الْوُجُودِ بِلَا حَدٍّ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ الاِنْتِسَابُ ؛ وَلَمْ يُعْلَمْ ، يَكُونُ مَظْهَراً لِأَنْوَاعِ الْفِرَاقِ وَالزَّوَالِ وَالْعَدَمِ بِلَا حَدٍّ ؛ لِأَنَّ لَهُ فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ، فِرَاقاً وَافْتِرَاقاً وَزَوَالاً ، إِزَاءَ كُلِّ مَوْجُودٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ ذَا عَلَاقَةٍ بِهِ . فَإِذاً يُحْمَلُ عَلٰى وُجُودِهِ الشَّخْصِيِّ أَنْوَاعُ الْعَدَمِ وَالْفِرَاقِ بِلَا حَدٍّ ؛ فَلَوْ بَقِيَ فِي الْوُجُودِ ، مِلْيُونَ سَنَةٍ أَيْضاً ، بِدُونِ انْتِسَابٍ ؛ لَمَا كَانَ بِقَدَرِ آنٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَاةِ ، فِي ذٰلِكَ الاِنْتِسَابِ ، فِي النُّقْطَةِ الْأُولٰى ؛ فَلِذٰلِكَ قَالَ أَهْلُ الْحَقِيقَةِ : «إِنَّ آناً سَيَّالاً مِنَ الْوُجُودِ الْمُنَوَّرِ ، مُرَجَّحٌ عَلٰى مِلْيُونِ عَامٍ مِنَ الْوُجُودِ الْأَبْتَرِ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ آناً وَاحِداً مِنَ الْوُجُودِ ، بِالاِنْتِسَابِ إِلٰى وُجُودِ الْوَاجِبِ ، مُرَجَّحٌ عَلٰى مِلْيُونِ عَامٍ ، مِنْ وُجُودٍ بِلَا انْتِسَابٍ ؛ وَلِهٰذَا السِّرِّ أَيْضاً قَالَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ : «إِنَّ أَنْوَارَ الْوُجُودِ ، إِنَّمَا هِيَ بِمَعْرِفَةِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ» ؛ يَعْنِي : تُشَاهَدُ الْكَائِنَاتُ فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ، بَيْنَ أَنْوَارِ الْوُجُودِ ، مُمْتَلِئَةً بِالْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ وَذَوِي الشُّعُورِ . وَإِنْ كَانَتْ بِدُونِ مَعْرِفَتِهِ ، تُحِيطُ ظُلُمَاتُ الْعَدَمِ ، وَآلَامُ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ، بِكُلِّ مَوْجُودٍ ؛ وَتُشَاهَدُ الدُّنْيَا فِي نَظَرِ ذٰلِكَ الْإِنْسَانِ ، عَلٰى صُورَةِ مَوْطِنٍ وَحْشَةٍ ، فَارِغٍ وَخَالٍ . .

نَعَمْ : كَمَا أَنَّ كُلَّ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَرَاتِ شَجَرَةٍ ، لَهَا نِسَبٌ إِزَاءَ الثَّمَرَاتِ عَلٰى رَأْسِ الشَّجَرَةِ ؛ وَلَهَا وُجُودَاتٌ عَارِضِيَّةٌ ، بِعَدَدِهَا ؛ لِأَنَّ لَهَا إِخْوَاناً وَأَصْحَاباً بِتِلْكَ النِّسَبِ . فَمَتَى اقْتُطِفَتْ تِلْكَ الثَّمَرَةُ ، عَنْ رَأْسِ الشَّجَرَةِ ؛ يَحْصُلُ لَهَا فِرَاقٌ وَزَوَالٌ ، إِزَاءَ كُلِّ ثَمَرَةٍ ؛ وَتَكُونُ

كُلُّ ثَمَرَةٍ ، فِي حُكْمِ الْمَعْدُومِ لَهَا ؛ وَيَحْصُلُ لَهَا ظُلْمَةُ عَدَمٍ خَارِجِيَّةٌ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، مَوْجُودَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، فِي نُقْطَةِ الاِنْتِسَابِ إِلٰى قُدْرَةِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الاِنْتِسَابُ ؛ تُوجَدُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، عَدَمَاتٌ خَارِجِيَّةٌ ، عَدَدَ الْأَشْيَاءِ . .

هٰذَا ؛ فَانْظُرْ مِنْ هٰذَا الرَّمْزِ ، إِلٰى عَظَمَةِ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ ؛ وَأَبْصِرْ ظُلُمَاتِ الضَّلَالِ الْمُدْهِشَةَ . فَإِذاً إِنَّ الْإِيمَانَ ، عُنْوَانٌ لِلْحَقِيقَةِ الْعَالِيَةِ الثَّابِتَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، الَّتِي بُيِّنَتْ فِي هٰذَا الرَّمْزِ ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا بِالْإِيمَانِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِيمَانُ ؛ يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ ، مَعْدُوماً وَمُظْلِماً ، لِمَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ ؛ كَمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مَعْدُومٌ لِلْأَعْمَى الْأَصَمِّ الْأَخْرَسِ الْمَجْنُونِ . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ لِلدُّنْيَا وَالْأَشْيَاءِ ، ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ . الْوَجْهُ الْأَوَّلُ يَنْظُرُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَهِيَ مَرَايَا لَهَا ؛ وَلَا يَدْخُلُ الزَّوَالُ وَالْفِرَاقُ وَالْعَدَمُ ، فِي هٰذَا الْوَجْهِ ؛ بَلْ يُوجَدُ فِيهِ التَّجَدُّدُ . .

وَوَجْهُهَا الثَّانِي يَنْظُرُ إِلَى الْآخِرَةِ وَعَالَمِ الْبَقَاءِ ؛ وَهُوَ فِي حُكْمِ مَزْرَعَتِهَا ؛ وَيُوجَدُ فِي هٰذَا الْوَجْهِ ، إِنْضَاجُ الثَّمَرَاتِ وَالْفَوَاكِهِ الْبَاقِيَةِ ؛ وَهُوَ يَخْدُمُ الْبَقَاءَ ؛ وَيَجْعَلُ الْأُمُورَ الْفَانِيَةَ ، فِي حُكْمِ الْبَاقِي ؛ وَلَيْسَ فِي هٰذَا الْوَجْهِ أَيْضاً ، مَوْتٌ وَزَوَالٌ ؛ بَلْ فِيهِ جَلَوَاتُ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ . .

وَوَجْهُهَا الثَّالِثُ يَنْظُرُ إِلَى الْفَانِينَ : أَيْ إِلَيْنَا ؛ فَهُوَ مَعْشُوقُ الْفَانِينَ وَأَهْلِ الْهَوَسَاتِ ، وَمَحَلُّ تِجَارَةِ أَهْلِ الشُّعُورِ ، وَمَيْدَانُ امْتِحَانِ الْمُوَظَّفِينَ ؛ فَيُوجَدُ لِلْعِلَاجِ لِآلَامِ الْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ ، وَالْمَوْتِ وَالْعَدَمِ ، فِي هٰذَا الْوَجْهِ الثَّالِثِ ، وَلِجُرُوحِهَا ، جَلَوَاتُ الْبَقَاءِ وَالْحَيَاةِ ، فِي بَاطِنِ ذٰلِكَ الْوَجْهِ الثَّالِثِ . .

الْحَاصِلُ : أَنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ السَّيَّالَةَ ، وَهٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ السَّيَّارَةَ ، مَرَايَا مُتَحَرِّكَةٌ ، وَمَظَاهِرُ مُتَبَدِّلَةٌ ، لِتَجْدِيدِ أَنْوَارِ إِيجَادِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَأَنْوَارِ وُجُودِهِ . .

اَلْمَقَامُ الثَّانِي : مُقَدِّمَةٌ وَخَمْسُ إِشَارَاتٍ . .

اَلْمُقَدِّمَةُ : مَبْحَثَانِ . .

﴿اَلْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ :﴾ سَيُكْتَبُ فِي هٰذِهِ الْإِشَارَاتِ الْخَمْسِ الْآتِيَةِ ، بَعْضُ تَمْثِيلَاتٍ ، مِنْ قَبِيلِ نَظَّارَاتٍ صَغِيرَةٍ طَفِيفَةٍ ، لِرَصْدِ شُؤُونَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَهٰذِهِ التَّمْثِيلَاتُ لَا تَحْتَوِي حَقِيقَةَ شُؤُونَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَلَا تُحِيطُ بِهَا ؛ وَلَا تَكُونُ مِقْيَاساً لَهَا ؛ وَلٰكِنْ تُمَكِّنُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا ؛ وَإِنَّ التَّعْبِيرَاتِ الَّتِي لَا تُنَاسِبُ شُؤُونَاتِ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، فِي تِلْكَ التَّمْثِيلَاتِ الْآتِيَةِ ، وَفِي الرُّمُوزِ السَّابِقَةِ ، هِيَ عَائِدَةٌ إِلَى قُصُورِ التَّمْثِيلَاتِ . .

فَمَثَلاً : إِنَّ مَعَانِيَ اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ وَالِامْتِنَانِ ، الْمَعْلُومَةَ لَنَا ، لَا تُفِيدُ الشُّؤُونَاتِ الْمُقَدَّسَةَ ؛ وَلٰكِنَّهَا عَنَاوِينُ الْمُلَاحَظَةِ ، وَمَرَاصِيدُ التَّفَكُّرِ ؛ وَكَذَا تُثْبِتُ هٰذِهِ التَّمْثِيلَاتُ ، حَقِيقَةَ قَانُونٍ مُحِيطٍ وَعَظِيمٍ ، فِي شُؤُونَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بِإِظْهَارِ سِنِّ ذٰلِكَ الْقَانُونِ ، فِي مِثَالٍ صَغِيرٍ . فَمَثَلاً : قِيلَ : إِنَّ زَهْرَةً تَذْهَبُ عَنِ الْوُجُودِ ؛ فَتَتْرُكُ آلَافَ وُجُودٍ ؛ وَتَذْهَبُ كَذٰلِكَ ؛ فَبِذٰلِكَ يُثْبِتُ قَانُوناً عَظِيماً ، مِنْ قَوَانِينِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَهٰذَا الْقَانُونُ يَجْرِي فِي كُلِّ الرَّبِيعِ ، بَلْ فِي الْمَوْجُودَاتِ فِي كُلِّ الدُّنْيَا . .

نَعَمْ : بِأَيِّ قَانُونٍ يُبَدِّلُ الْخَالِقُ الرَّحِيمُ ؛ وَيُجَدِّدُ لِبَاسَ رِيشِ طَائِرٍ ؛ يُجَدِّدُ ذٰلِكَ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ ، بِعَيْنِ الْقَانُونِ ، لِبَاسَ كُرَةِ الْأَرْضِ ، كُلَّ سَنَةٍ ؛ وَيُبَدِّلُ بِعَيْنِ ذٰلِكَ الْقَانُونِ ، شَكْلَ الدُّنْيَا ، كُلَّ عَصْرٍ ؛ وَيُغَيِّرُ صُورَةَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُبَدِّلُهَا بِعَيْنِ الْقَانُونِ ، وَقْتَ الْقِيَامَةِ ؛ وَكَذَا بِأَيِّ قَانُونٍ يُحَرِّكُ الذَّرَّةَ ، كَالْمَوْلَوِيِّ ؛ يُدَوِّرُ بِعَيْنِ الْقَانُونِ ، كُرَةَ الْأَرْضِ ، كَالْمَوْلَوِيِّ الْمَجْذُوبِ النَّاهِضِ إِلَى السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ ؛ وَيُحَوِّلُ الْعَوَالِمَ هٰكَذَا ؛ وَيُسَيِّرُ الْمَنْظُومَةَ الشَّمْسِيَّةَ بِذٰلِكَ الْقَانُونِ ؛ وَكَذَا بِأَيِّ قَانُونٍ يُجَدِّدُ ذَرَّاتِ الْخَلَايَا فِي بَدَنِكَ ؛ وَيَعْمُرُهَا وَيُحَلِّلُهَا ؛ يُجَدِّدُ بِعَيْنِ الْقَانُونِ ، حَدِيقَتَكَ كُلَّ سَنَةٍ ؛ وَيُجَدِّدُهَا مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ، فِي كُلِّ فَصْلٍ ؛ وَيُجَدِّدُ بِعَيْنِ

الْقَانُونِ ، وَجْهَ الْأَرْضِ ؛ وَيَبْسُطُ عَلَيْهِ نِقَاباً جَدِيداً ، فِي كُلِّ فَصْلِ الرَّبِيعِ ؛ وَكَذَا بِأَيِّ قَانُونِ الْحِكْمَةِ يُحْيِي ذٰلِكَ الصَّانِعُ الْقَدِيرُ ، ذُبَابَةً ؛ يُحْيِي بِعَيْنِ الْقَانُونِ ، شَجَرَةَ الدُّلْبِ هٰذِهِ الَّتِي أَمَامَنَا ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ؛ وَيُحْيِي بِذٰلِكَ الْقَانُونِ ، كُرَةَ الْأَرْضِ أَيْضاً ، فِي ذٰلِكَ الرَّبِيعِ ؛ وَيُحْيِي بِعَيْنِ الْقَانُونِ ، الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْحَشْرِ أَيْضاً . فَيَقُولُ الْقُرْآنُ ، إِشَارَةً إِلَى هٰذَا السِّرِّ : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؛ وَهٰكَذَا فَقِسْ . .

فَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْ قَوَانِينِ الرُّبُوبِيَّةِ ، مِثْلُ هٰذِهِ ؛ يَجْرِي مِنَ الذَّرَّةِ ، إِلَى مَجْمُوعِ الْعَالَمِ . فَانْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ هٰذِهِ الْقَوَانِينِ ، فِي فَعَّالِيَّةِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَتَأَمَّلْ فِي وُسْعَتِهَا ؛ وَأَبْصِرْ سِرَّ الْوَحْدَةِ فِيهَا ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ قَانُونٍ ، بُرْهَانٌ لِلْوَحْدَةِ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْقَوَانِينَ الْكَثِيرَةَ الْعَظِيمَةَ جِدّاً ، تُثْبِتُ وَحْدَانِيَّةَ الصَّانِعِ ، وَعِلْمَهُ وَإِرَادَتَهُ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ ، لِكَوْنِهَا وَاحِدَةً وَمُحِيطَةً ؛ مَعَ أَنَّ كُلّاً مِنْهَا ، جِلْوَةُ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ . .

هٰذَا ؛ فَأَكْثَرُ التَّمْثِيلَاتِ فِي أَكْثَرِ الْمَقَالَاتِ ، يُشِيرُ فِي الْمُدَّعٰى ، إِلٰى وُجُودِ عَيْنِ الْقَانُونِ ، بِإِظْهَارِ أَسْنَانِ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْقَوَانِينِ ، بِأَمْثِلَةٍ جُزْئِيَّةٍ ؛ فَإِذَا أُظْهِرَ تَحَقُّقُ الْقَانُونِ بِالتَّمْثِيلِ ؛ يُثْبَتُ الْمُدَّعٰى ، بِصُورَةٍ يَقِينِيَّةٍ ، كَالْبُرْهَانِ الْمَنْطِقِيِّ . فَإِذاً إِنَّ أَكْثَرَ التَّمْثِيلَاتِ فِي الْمَقَالَاتِ ، هِيَ فِي حُكْمِ بَرَاهِينَ يَقِينِيَّةٍ ، وَحُجَجٍ قَاطِعَةٍ . .

﴿اَلْمَبْحَثُ الثَّانِي :﴾ أَنَّ لِكُلِّ ثَمَرَةٍ وَكُلِّ زَهْرَةٍ ، غَايَاتٍ وَحِكَماً ، بِقَدَرِ مَا لِشَجَرَةٍ مِنَ الْأَثْمَارِ وَالْأَزْهَارِ ؛ وَتِلْكَ الْحِكَمُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ ؛ فَقِسْمٌ مِنْهَا يَنْظُرُ إِلَى الصَّانِعِ ؛ وَيُظْهِرُ نُقُوشَ أَسْمَائِهِ ؛ وَقِسْمٌ مِنْهَا يَنْظُرُ إِلَى ذَوِي الشُّعُورِ ؛ فَهِيَ مَكْتُوبَاتٌ قَيِّمَةٌ ، وَكَلِمَاتٌ مُفِيدَةٌ ، فِي أَنْظَارِهِمْ ؛ وَقِسْمٌ مِنْهَا يَنْظُرُ إِلٰى نَفْسِهِ وَحَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ ؛ وَلَهُ حِكَمٌ حَسَبَ مَنَافِعِ الْإِنْسَانِ ؛ إِنْ كَانَ مُفِيداً لَهُ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي الْحَقِيقَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ . .

هٰذَا فَبَيْنَمَا كُنْتُ أَتَفَكَّرُ فِي وَقْتٍ مَّا ، أَنَّ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ، غَايَاتٍ كَثِيرَةً ، مِثْلَ هٰذِهِ ؛ إِذْ وَرَدَتْ عَلَى الْبَالِ ، هٰذِهِ الْفِقْرَاتُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الْغَايَاتِ الْكُلِّيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ بِالْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ ، وَبِمَثَابَةِ الْمُذَكِّرَةِ لِأَسَاسَاتِ الْإِشَارَاتِ الْخَمْسِ الْآتِيَةِ :

﴿وَهٰذِهِ الْمَوْجُودَاتُ الْجَلِيلَةُ ، مَظَاهِرُ سَيَّالَةٌ ، وَمَرَايَا جَوَّالَةٌ ، لِتَجَدُّدِ تَجَلِّيَاتِ أَنْوَارِ إِيجَادِهِ سُبْحَانَهُ ، بِتَبَدُّلِ التَّعَيُّنَاتِ الاِعْتِبَارِيَّةِ أَوَّلاً ، مَعَ اسْتِحْفَاظِ الْمَعَانِي الْجَمِيلَةِ ، وَالْهُوِيَّاتِ الْمِثَالِيَّةِ ؛ وَثَانِياً ، مَعَ إِنْتَاجِ الْحَقَائِقِ الْغَيْبِيَّةِ ، وَالنُّسُوجِ اللَّوْحِيَّةِ ؛ وَثَالِثاً ، مَعَ نَشْرِ الثَّمَرَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، وَالْمَنَاظِرِ السَّرْمَدِيَّةِ ؛ وَرَابِعاً ، مَعَ إِعْلَانِ التَّسْبِيحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَإِظْهَارِ الْمُقْتَضَيَاتِ الْأَسْمَائِيَّةِ ؛ وَخَامِساً ، لِظُهُورِ الشُّؤُونَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ ، وَالْمَشَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ﴾ . .

فَفِي هٰذِهِ الْفِقْرَاتِ الْخَمْسِ ، تُوجَدُ أَسَاسَاتُ الْإِشَارَاتِ الَّتِي سَنَبْحَثُ عَنْهَا ، فِيمَا سَيَأْتِي . نَعَمْ : إِنَّ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ، لَاسِيَّمَا ذَوِي الْحَيَاةِ ، خَمْسَ طَبَقَاتٍ مِنَ الْحِكَمِ وَالْغَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ فَكَمَا أَنَّ شَجَرَةً مُثْمِرَةً ، تُثْمِرُ أَغْصَانُهَا الَّتِي بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ؛ كَذٰلِكَ تَكُونُ لِكُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، غَايَاتٌ وَحِكَمٌ خَمْسُ طَبَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْفَانِي ! إِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْقَلِبَ حَقِيقَتُكَ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ نَوَاةٍ جُزْئِيَّةٍ ، بِشَجَرَةٍ بَاقِيَةٍ ؛ وَأَنْ تَسْتَحْصِلَ عَشْرَ طَبَقَاتٍ مِنْ ثَمَرَاتِهَا ، وَعَشَرَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ غَايَاتِهَا الَّتِي تُبَيَّنُ فِي الْإِشَارَاتِ الْخَمْسِ ؛ فَاحْصُلْ عَلَى الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ . وَإِلَّا فَإِنَّكَ سَتَبْقَى مَحْصُوراً فِي تِلْكَ النَّوَاةِ ؛ وَتَفْسُدُ مَعَ الْحِرْمَانِ عَنْ جَمِيعِ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ وَالْغَايَاتِ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الْأُولَى :﴾ أَنَّ فِقْرَةَ (فَأَوَّلاً ، بِتَبَدُّلِ التَّعَيُّنَاتِ الاِعْتِبَارِيَّةِ ، مَعَ اسْتِحْفَاظِ الْمَعَانِي الْجَمِيلَةِ ، وَالْهُوِيَّاتِ الْمِثَالِيَّةِ) ، تُفِيدُ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ ، بَعْدَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْوُجُودِ ، يَذْهَبُ هُوَ نَفْسُهُ إِلَى الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ ظَاهِراً ؛ وَلٰكِنْ تَبْقَى الْمَعَانِي الَّتِي أَفَادَهَا ؛ وَتُحْفَظُ ؛ وَتَبْقَى هُوِيَّتُهُ الْمِثَالِيَّةُ ، وَصُورَتُهُ وَمَاهِيَّتُهُ ، فِي عَالَمِ الْمِثَالِ ، وَفِي الْأَلْوَاحِ الْمَحْفُوظَةِ الَّتِي هِيَ نَمَاذِجُ عَالَمِ الْمِثَالِ ؛ وَفِي الْقُوَى الْحَافِظَةِ الَّتِي هِيَ نَمَاذِجُ الْأَلْوَاحِ الْمَحْفُوظَةِ . فَإِذاً إِنَّهُ يَفْقِدُ وُجُوداً صُورِيّاً . وَيَكْسِبُ مِئَاتِ وُجُودٍ مَعْنَوِيٍّ وَعِلْمِيٍّ ؛ فَمَثَلاً : كَمَا تُعْطَى حُرُوفَاتُ الْمَطْبَعَةِ الَّتِي تَكُونُ مَدَاراً لِطَبْعِ صَحِيفَةٍ ، وَضْعاً وَتَرْتِيباً ؛ وَتَكُونُ مَدَاراً لِطَبْعِ صَحِيفَةٍ ؛ وَتُعْطِي تِلْكَ الصَّحِيفَةُ ، صُورَتَهَا وَهُوِيَّتَهَا ، أَوْرَاقاً مُتَعَدِّدَةً مَطْبُوعَةً ؛ وَتَنْشُرُ مَعَانِيَهَا ، عَلَى عُقُولٍ كَثِيرَةٍ ؛

ثُمَّ يُبَدَّلُ وَضْعُ تِلْكَ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبُهَا ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ اللُّزُومُ إِلَيْهِ ؛ وَأَيْضاً يَلْزَمُ طَبْعُ صَحَائِفَ أُخْرٰى ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْأَرْضِيَّةَ ، لَاسِيَّمَا النَّبَاتِيَّةِ ، يُعْطِيهَا قَلَمُ الْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ ، تَرْتِيباً وَوَضْعاً ؛ فَتُحْدِثُهَا الْقُدْرَةُ ، فِي صَحِيفَةِ الرَّبِيعِ ؛ فَتُفِيدُ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتُ ، مَعَانِيَهَا الْجَمِيلَةَ ؛ وَتَمْضِي صُوَرُهَا وَهُوِيَّاتُهَا ، إِلٰى دَفْتَرِ عَالَمِ الْغَيْبِ ، كَعَالَمِ الْمِثَالِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ ، أَنْ يُبَدِّلَ ذٰلِكَ الْوَضْعَ ؛ حَتّٰى تُكْتَبَ صَحِيفَةُ الرَّبِيعِ الْآخَرِ الَّذِي سَيَأْتِي ؛ فَتُفِيدَ هِيَ مَعَانِيَهَا أَيْضاً . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ فِقْرَةَ **(وَثَانِياً ، مَعَ إِنْتَاجِ الْحَقَائِقِ الْغَيْبِيَّةِ ، وَالنُّسُوجِ اللَّوْحِيَّةِ)** ، تُشِيرُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، جُزْئِيّاً كَانَ أَوْ كُلِّيّاً ، وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَا حَيَاةٍ ، يُنْتِجُ حَقَائِقَ غَيْبِيَّةً كَثِيرَةً ، مَعَ مَا يَتْرُكُ مِنْ صُوَرٍ ، بِعَدَدِ أَطْوَارِ حَيَاتِهِ ، عَلَى اللَّوْحِ الْمِثَالِيِّ الَّذِي هُوَ فِي دَفَاتِرِ عَالَمِ الْمِثَالِ ؛ فَتُكْتَبُ مِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ ، تَرْجَمَةُ حَيَاتِهِ الْمُفِيدَةُ ، وَالْمُسَمَّاةُ بِمُقَدَّرَاتِ الْحَيَاةِ ؛ وَتَكُونُ مُطَالَعَةً لِلرُّوحَانِيَّاتِ ، بَعْدَمَا يَذْهَبُ عَنِ الْوُجُودِ ؛ فَكَمَا أَنَّ زَهْرَةً مَثَلاً ، تَذْهَبُ عَنِ الْوُجُودِ ؛ وَلٰكِنْ تَتْرُكُ مِئَاتٍ مِنْ بُذَيْرَاتِهَا ، فِي الْوُجُودِ ؛ وَمَاهِيَّتَهَا ، فِي الْبُذَيْرَاتِ ، مَعَ مَا تَتْرُكُهُ مِنْ آلَافِ صُوَرِهَا ، فِي الْأَلْوَاحِ الْمَحْفُوظَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَفِي الْقُوَى الْحَافِظَةِ الَّتِي هِيَ نَمَاذِجُ صَغِيرَةٌ ، لِلْأَلْوَاحِ الْمَحْفُوظَةِ ؛ فَتُقْرِئُ ذَوِي الشُّعُورِ ، التَّسْبِيحَاتِ الرَّبَّانِيَّةَ ، وَالنُّقُوشَ الْأَسْمَائِيَّةَ ، الَّتِي أَفَادَتْهَا بِأَطْوَارِ حَيَاتِهَا ؛ ثُمَّ تَذْهَبُ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ فَصْلَ الرَّبِيعِ الْمُنَقَّشِ بِالْمَصْنُوعَاتِ الْجَمِيلَةِ ، فِي مَزْهَرَةِ وَجْهِ الْأَرْضِ ، زَهْرَةٌ تَزُولُ وَتَذْهَبُ إِلَى الْعَدَمِ ظَاهِراً ؛ وَلٰكِنَّهَا تَتْرُكُ حَقَائِقَ غَيْبِيَّةً أَفَادَتْهَا بِعَدَدِ بُذُورِهَا ، وَهُوِيَّاتٍ مِثَالِيَّةً نَشَرَتْهَا بِعَدَدِ أَزْهَارِهَا ، وَحِكَماً رَبَّانِيَّةً أَظْهَرَتْهَا بِعَدَدِ مَوْجُودَاتِهَا ، بَدَلاً عَنْهَا فِي الْوُجُودِ ؛ ثُمَّ تَخْتَفِي عَنَّا ؛ وَكَذَا أَنَّ ذٰلِكَ الرَّبِيعَ الرَّاحِلَ ، يُخَلِّي الْمَكَانَ ، لِنَظَائِرِهِ مِنْ سَائِرِ الرِّبَاعِ ؛ حَتّٰى تَأْتِيَ وَتُؤَدِّيَ الْوَظِيفَةَ . فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الرَّبِيعَ يَخْلَعُ وُجُوداً ظَاهِرِيّاً ؛ وَيَلْبَسُ أَلْفَ وُجُودٍ مَعْنَوِيٍّ . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ فِقْرَةَ **(وَثَالِثاً ، مَعَ نَشْرِ الثَّمَرَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، وَالْمَنَاظِرِ السَّرْمَدِيَّةِ)** ، تُفِيدُ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْمَلٌ وَمَزْرَعَةٌ تُنْتِجُ الْمَحْصُولَاتِ الْمُنَاسِبَةَ بِسُوقِ الْآخِرَةِ . وَقَدْ

أَثْبَتْنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَقَالاَتِ : أَنَّهُ كَمَا تُبْعَثُ أَعْمَالُ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ، إِلَى سُوقِ الآخِرَةِ ؛ كَذٰلِكَ يُؤَدِّي سَائِرُ مَوْجُودَاتِ الدُّنْيَا ، وَظَائِفَ كَثِيرَةً ؛ وَتُنْتِجُ مَحْصُولاَتٍ وَافِرَةً ، بِحِسَابِ الآخِرَةِ ؛ بَلْ إِنَّ كُرَةَ الأَرْضِ تَسِيرُ لِأَجْلِهَا ؛ بَلْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : لِذٰلِكَ تَقْطَعُ هٰذِهِ السَّفِينَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ، مَسَافَةَ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَتَدُورُ حَوْلَ مَيْدَانِ الْحَشْرِ . فَمَثَلاً : إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَمَنَّوْنَ الْبَتَّةَ ، أَنْ يَتَذَكَّرُوا وَقَائِعَ الدُّنْيَا ؛ وَيَنْقُلَهَا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ؛ بَلْ إِنَّهُمْ يَتَطَلَّعُونَ كَثِيراً ، أَنْ يَرَوْا أَلْوَاحَ تِلْكَ الْوَقَائِعِ ، وَأَمْثِلَتَهَا ؛ فَإِذَا شَاهَدُوا تِلْكَ الأَلْوَاحَ وَالْوَقَائِعَ ، كَالْمُشَاهَدَةِ فِي أَسْتَارِ السِّينَمَا ؛ يَتَلَذَّذُونَ كَثِيراً بِلاَ شَكٍّ ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ مُحَاوَرَاتِ وَقَائِعِ الدُّنْيَا ، وَمَنَاظِرَ حَادِثَاتِهَا ، سَتُوجَدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فِي الْمَنَاظِرِ السَّرْمَدِيَّةِ ، بِإِشَارَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ، فِي الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ مَنْزِلُ السَّعَادَةِ ، وَدَارُ اللَّذَّةِ . .

هٰذَا فَغَيْبُوبَةُ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْجَمِيلَةِ ، مَعَ تَظَاهُرِهَا فِي آنٍ وَاحِدٍ ، وَوُرُودُهَا وَمُضِيُّهَا مُتَعَاقِبَةً ، يُرَى أَنَّهَا فِي حُكْمِ أَدَوَاتِ مَصْنَعٍ ، لِتَشْكِيلِ الْمَنَاظِرِ السَّرْمَدِيَّةِ ؛ فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْمَدَنِيَّةِ يَضْبِطُونَ صُوَرَ الأَوْضَاعِ الْجَمِيلَةِ أَوِ الْغَرِيبَةِ ، لِإِبْقَاءِ الأَوْضَاعِ الْفَانِيَةِ وَإِهْدَائِهَا إِلَى أَهْلِ الاِسْتِقْبَالِ ؛ فَيُهْدُونَهَا بِأَسْتَارِ السِّينَمَا ، إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَيُظْهِرُونَ الزَّمَانَ الْمَاضِيَ ، فِي زَمَانِ الْحَالِ وَالاِسْتِقْبَالِ ؛ وَيُدْرِجُونَهُ فِيهِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : إِنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الرَّبِيعِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ ، بَعْدَمَا تَقْضِي حَيَاةً قَصِيرَةً ، يُقَيِّدُ صَانِعُهَا الْحَكِيمُ ، غَايَاتِهَا الْعَائِدَةَ إِلَى عَالَمِ الْبَقَاءِ ، فِي ذٰلِكَ الْعَالَمِ ؛ مَعَ أَنَّ تَقْيِيدَ مَا أَدَّتْهَا فِي أَطْوَارِ حَيَاتِهَا ، مِنَ الْوَظَائِفِ الْحَيَوِيَّةِ ، وَالْمُعْجِزَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ ، فِي الْمَنَاظِرِ السَّرْمَدِيَّةِ ، فِي الْعَالَمِ الأَبَدِيِّ ، مِنْ مُقْتَضَى اسْمِ الْحَكِيمِ وَالرَّحِيمِ وَالْوَدُودِ . .

﴿الإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ أَنَّ فِقْرَةَ (وَرَابِعاً ، مَعَ إِعْلاَنِ التَّسْبِيحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَإِظْهَارِ الْمُقْتَضَيَاتِ الأَسْمَائِيَّةِ) ، تُفِيدُ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ تُسَبِّحُ أَنْوَاعاً مُتَعَدِّدَةً مِنَ التَّسْبِيحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، بِأَطْوَارِ حَيَاتِهَا ؛ وَتُظْهِرُ الْحَالاَتِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الأَسْمَاءُ الإِلٰهِيَّةُ ؛ وَتَسْتَلْزِمُهَا ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ

اسْمَ الرَّحِيمِ يَقْتَضِي فِعْلَ الشَّفَقَةِ ؛ وَاسْمَ الرَّزَّاقِ يَقْتَضِي إِعْطَاءَ الرِّزْقِ ؛ وَاسْمَ اللَّطِيفِ يَسْتَلْزِمُ التَّلْطِيفَ ؛ وَهٰكَذَا لِكُلِّ الْأَسْمَاءِ فَرْداً فَرْداً مُقْتَضَيَاتٌ ؛ فَكُلُّ ذِي حَيَاةٍ ، يُظْهِرُ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ ، مُقْتَضَيَاتِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُسَبِّحُ الصَّانِعَ الْحَكِيمَ بِعَدَدِ جِهَازَاتِهِ ؛ فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ إِنْسَاناً ، يَأْكُلُ ثِمَاراً لَطِيفَةً ؛ فَتَتَمَزَّقُ تِلْكَ الثِّمَارُ ، فِي مَعِدَتِهِ ؛ وَتَذُوبُ وَتَفْنٰى فِيهَا ظَاهِراً ؛ وَلٰكِنْ تُورِثُ لَذَّةً وَذَوْقاً ، عَلٰى وَجْهِ الْفَعَّالِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْخَلَايَا الْبَدَنِيَّةِ ؛ مَا عَدَا فَمَهُ وَمَعِدَتَهُ ؛ مَعَ أَنَّهَا تَصِيرُ مَدَاراً لِوُجُودِ حِكَمٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، كَتَرْبِيَةِ الْوُجُودِ ، وَإِدَامَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي أَقْطَارِ الْبَدَنِ ؛ وَيَرْقٰى ذٰلِكَ الطَّعَامُ نَفْسُهُ ، مِنَ الْوُجُودِ النَّبَاتِيِّ ؛ وَيَصْعَدُ إِلٰى طَبَقَةِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ، حِينَمَا تَخْتَفِي فِي حِجَابِ الزَّوَالِ ، يَبْقٰى لِكُلٍّ مِنْهَا ، تَسْبِيحَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً ، فِي مَكَانِهَا ؛ مَعَ أَنَّهَا تَتْرُكُ نُقُوشَ أَسْمَاءٍ إِلٰهِيَّةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ؛ وَتُسَلِّمُ مُقْتَضَيَاتِهَا إِلٰى أَيْدِي تِلْكَ الْأَسْمَاءِ ؛ يَعْنِي : تُودِعُهَا إِلٰى وُجُودٍ بَاقٍ ؛ فَتَذْهَبُ كَذٰلِكَ . .

فَيَا عَجَباً ! إِذَا بَقِيَتْ آلَافُ وُجُودٍ مَظْهَرٍ لِنَوْعٍ مِنَ الْبَقَاءِ ، بِذَهَابِ وُجُودٍ فَانٍ مُؤَقَّتٍ ، بَاقِيَةً فِي مَكَانِ ذٰلِكَ الْوُجُودِ الْفَانِي ؛ فَهَلْ يُقَالُ : وَا أَسَفَا لَهُ ! أَوْ إِنَّهُ صَارَ عَبَثاً ؛ أَوْ لِمَاذَا زَالَ هٰذَا الْمَخْلُوقُ الْمَحْبُوبُ ؛ وَهَلْ يُشْتَكٰى كَذٰلِكَ ؟ بَلْ إِنَّ الرَّحْمَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْمَحَبَّةَ تَقْتَضِي كَذٰلِكَ ، فِي حَقِّهِ ؛ وَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَذٰلِكَ ؛ وَإِلَّا يَلْزَمُ تَرْكُ آلَافِ مَنَافِعَ ؛ لِئَلَّا يَرِدَ ضَرَرٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ؛ فَحِينَئِذٍ تَقَعُ آلَافُ ضَرَرٍ ؛ فَإِذاً إِنَّ اسْمَ «الرَّحِيمِ وَالْحَكِيمِ وَالْوَدُودِ» ، لَيْسَتْ مُعَارِضَةً لِلزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ؛ بَلْ تَسْتَلْزِمُهُمَا وَتَقْتَضِيهِمَا . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ أَنَّ فِقْرَةَ (وَخَامِساً ، لِظُهُورِ الشُّؤُونَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ ، وَالْمَشَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ) ، تُفِيدُ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ ، لَاسِيَّمَا ذَوِي الْحَيَاةِ ، بَعْدَمَا تَزُولُ عَنِ الْوُجُودِ الصُّورِيِّ ؛ تَتْرُكُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً بَاقِيَةً ؛ فَتَذْهَبُ كَذٰلِكَ ؛ وَأَنَّ فِي شُؤُونَاتِ رُبُوبِيَّةِ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي الرَّمْزِ الثَّانِي ، مَحَبَّةً لَا حَدَّ لَهَا ، وَشَفَقَةً لَا نِهَايَةَ لَهَا ، وَافْتِخَاراً بِلَا غَايَةٍ ، وَامْتِنَاناً مُقَدَّساً ، وَسُرُوراً بِلَا حَدٍّ ـ إِنْ جَازَ التَّعْبِيرُ ـ وَلَذَّةً مُقَدَّسَةً ، وَفَرَحاً مُنَزَّهاً بِلَا

حَدٍّ ـ لا خَطَأً فِي التَّعْبِيرِ ـ بِوَجْهٍ مُوَافِقٍ لِقُدُسِيَّتِهِ وَاسْتِغْنَاءِ كَمَالِهِ ، وَبِصُورَةٍ لائِقَةٍ بِذَاتِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ تُرَى آثَارُهَا بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ فَتُسَاقُ الْمَوْجُودَاتُ بِسُرْعَةٍ ، فِي الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ، بِالتَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ ؛ وَتُبْعَثُ دَائِماً ، مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ ، بَيْنَ الْفَعَّالِيَّةِ الْمُحَيِّرَةِ ، الَّتِي تَقْتَضِيهَا تِلْكَ الشُّؤُونَاتُ ؛ وَأَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ ، فِي تَمَوُّجٍ بَيْنَ سَيْرٍ وَسَيَلانٍ ، وَحَرَكَةٍ وَجَوَلانٍ دَائِمٍ ، تَحْتَ جَلَوَاتِ تِلْكَ الشُّؤُونَاتِ ؛ وَأَنَّهَا تُذِيعُ نِيَاحَاتِ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ، عَلٰى آذَانِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ، وَنَغَمَاتِ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ ، عَلٰى سَمْعِ أَهْلِ الْهِدَايَةِ . .

فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، يَتْرُكُ كُلُّ مَوْجُودٍ ، فِي الْوُجُودِ ، مَعَانِيَ وَكَيْفِيَّاتٍ وَحَالاتٍ تَكُونُ مَدَارَاتٍ بَاقِيَةً ، لِتَظَاهُرِ الشُّؤُونَاتِ الْبَاقِيَةِ ، لِلْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ فَيَذْهَبُ كَذٰلِكَ ؛ وَأَيْضاً يَتْرُكُ ذٰلِكَ الْمَوْجُودُ ، أَحْوَالاً وَأَطْوَاراً قَضَاهَا فِي جَمِيعِ مُدَّةِ حَيَاتِهِ ، وَوُجُوداً مُفَصَّلاً أَيْضاً ، يُمَثِّلُ وُجُودَهُ الْخَارِجِيَّ ؛ يَتْرُكُهَا فِي دَوَائِرِ الْوُجُودِ الْعِلْمِيِّ ، كَالإِمَامِ الْمُبِينِ ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، وَاللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، الَّتِي هِيَ عَنَاوِينُ الْعِلْمِ الأَزَلِيِّ ؛ فَيَذْهَبُ كَذٰلِكَ ؛ فَإِذاً إِنَّ كُلَّ فَانٍ ، يَتْرُكُ وُجُوداً وَاحِداً ؛ وَيَكْسِبُ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ ، آلافَ وُجُودٍ بَاقٍ . فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ بَعْضَ مَوَادَّ عَادِيَّةٍ ، تُلْقَى فِي جِهَازِ مَصْنَعٍ خَارِقٍ ؛ فَتَحْتَرِقُ فِيهِ ؛ وَتَفْنَى ظَاهِراً ؛ وَلٰكِنْ تَتَرَسَّبُ أَدْوِيَةٌ وَمَوَادٌّ كِيمَوِيَّةٌ قَيِّمَةٌ كَثِيرَةٌ ، فِي أَنَابِيقِ ذٰلِكَ الْمَصْنَعِ ؛ وَكَذَا تَدُورُ دَوَالِيبُ ذٰلِكَ الْمَصْنَعِ ، بِقُوَّةِ تِلْكَ الْمَادَّةِ وَبُخَارِهَا ؛ فَتَكُونُ مَدَاراً لِنَسْجِ الأَقْمِشَةِ مِنْ جَانِبٍ ؛ وَبَعْضُهَا لِطَبْعِ الْكُتُبِ ؛ وَبَعْضُهَا لإِعْمَالِ أَشْيَاءٍ قَيِّمَةٍ كَالسُّكَّرِ ؛ وَهٰكَذَا . . فَإِذاً تُخْتَرَعُ آلافُ أَشْيَاءٍ ، بِاحْتِرَاقِ تِلْكَ الْمَوَادِّ الْعَادِيَّةِ ، وَبِفَنَائِهَا ظَاهِراً ؛ فَإِذاً يَزُولُ وُجُودٌ عَادِيٌّ ؛ وَيُورِثُ وُجُودَاتٍ عَالِيَةً كَثِيرَةً . . هٰذَا فَهَلْ يُقَالُ : وَا أَسَفَا لِتِلْكَ الْمَادَّةِ الْعَادِيَّةِ ؟ وَهَلْ يُشْتَكٰى أَنَّهُ لِمَاذَا لَمْ يَتَأَلَّمْ لَهَا صَاحِبُ الْمَصْنَعِ ؛ فَأَحْرَقَهَا وَأَهْلَكَ تِلْكَ الْمَوَادَّ الْمَحْبُوبَةَ ؟ .

كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ـ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الأَعْلٰى ـ فَإِنَّ الْخَالِقَ الْحَكِيمَ الرَّحِيمَ الْوَدُودَ ، يُحَرِّكُ مَصْنَعَ الْكَائِنَاتِ ، بِمُقْتَضَى الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَوَدَّةِ ؛ وَيَجْعَلُ كُلَّ وُجُودٍ فَانٍ ، نَوَاةً لِوُجُودَاتٍ بَاقِيَةٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَيَجْعَلُهُ مَدَاراً لِمَقَاصِدِهِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَمَظْهَراً لِشُؤُونَاتِهِ السُّبْحَانِيَّةِ ؛

وَيَتَّخِذُهُ مِداداً لِقَلَمِ قَدَرِهِ ؛ وَيَجْعَلُهُ مَكُّوكاً لِنَسْجِ قُدْرَتِهِ ؛ وَهٰكَذَا يَنْهَضُ بِالْكَائِنَاتِ ، إِلَى الْفَعَّالِيَّةِ ، بِفَعَّالِيَّةِ قُدْرَتِهِ ، لِغَايَاتٍ غَالِيَةٍ ، وَمَقَاصِدَ عَالِيَةٍ أُخْرٰى ، لَا نَعْلَمُهَا ؛ فَيُثِيرُ الذَّرَّاتِ إِلَى الْجَوَلَانِ ؛ وَالْمَوْجُودَاتِ إِلَى السَّيَرَانِ ؛ وَالْحَيَوَانَاتِ إِلَى السَّيَلَانِ ؛ وَالسَّيَّارَاتِ إِلَى الدَّوَرَانِ ؛ وَيُنْطِقُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُقْرِئُهَا آيَاتِهِ بِلَا صَوْتٍ ؛ وَيَسْتَنْسِخُهَا بِهَا ؛ وَجَعَلَ الْمَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِيَّةَ ، فِي جِهَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ الْهَوَاءَ ، نَوْعَ عَرْشٍ لِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ وَعُنْصُرَ النُّورِ ، عَرْشاً آخَرَ لِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ؛ وَالْمَاءَ ، عَرْشاً آخَرَ لِإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَالتُّرَابَ ، نَوْعَ عَرْشٍ لِحِفْظِهِ وَإِحْيَائِهِ ؛ وَيُسَيِّرُ ثَلَاثَةً مِنْ تِلْكَ الْعُرُوشِ ، فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِيَّةِ . .

فَاعْلَمْ قَطْعاً أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْعَالِيَةَ اللَّامِعَةَ ، الَّتِي بُيِّنَتْ فِي هٰذِهِ الرُّمُوزِ الْخَمْسَةِ ، وَالْإِشَارَاتِ الْخَمْسِ ، تُرٰى بِنُورِ الْقُرْآنِ ؛ وَتُسْتَمْلَكُ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ . وَإِلَّا تَقَعُ مَوْقِعَ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْبَاقِيَةِ ، ظُلُمَاتٌ هَائِلَةٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَتَكُونُ الدُّنْيَا ، مَالِئَةً بِأَنْوَاعِ الْفِرَاقِ وَالزَّوَالِ ، وَمُمْتَلِئَةً بِأَنْوَاعِ الْعَدَمِ ، لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ؛ وَتَصِيرُ الْكَائِنَاتُ ، فِي حُكْمِ جَهَنَّمَ لَهُمْ ؛ وَيُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، عَدَمٌ بِلَا حَدٍّ ، مَعَ وُجُودٍ آنِيٍّ ؛ وَتَكُونُ الْأَزْمِنَةُ الْمَاضِيَةُ وَالْمُسْتَقْبَلَةُ كُلُّهَا ، مَمْلُوءَةً بِظُلُمَاتِ الْعَدَمِ لَهُمْ ؛ وَيَجِدُ نُورَ وُجُودٍ حَزِينٍ ، فِي زَمَانِ حَالٍ قَصِيرٍ فَقَطْ ؛ وَلٰكِنْ يُرٰى بِسِرِّ الْقُرْآنِ ، وَنُورِ الْإِيمَانِ ، نُورُ وُجُودٍ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ ؛ وَيَصِيرُ ذَا عَلَاقَةٍ بِذٰلِكَ النُّورِ ؛ وَيُؤَمِّنُ سَعَادَتَهُ الْأَبَدِيَّةَ بِهِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّنَا نَقُولُ بِأُسْلُوبِ شَاعِرٍ مِصْرِيٍّ : (أُنَادِي يَا حَقُّ ، يَا مَوْجُودُ ! ❁ يَا حَيُّ ، يَا مَعْبُودُ ! ❁ يَا حَكِيمُ ، يَا مَقْصُودُ ! ❁ يَا رَحِيمُ ، يَا وَدُودُ ! ❁ حَتّٰى(١) يَصِيرَ النَّفَسُ كَالْبَحْرِ ❁ وَيَتَمَزَّقَ الْقَفَصُ ❁ وَيَنْقَطِعَ هٰذَا الصَّوْتُ ❁) . .

وَأَقُولُ صَائِحاً : (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ❁ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَادِقُ

---

(١) أَصْلُ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : (دَرْيَا أُولُنْجَه نَفَسْ ؛ پَارَه لَنِنْجَه قَفَصْ ❁ تَاگَسِلِنْجَه بُوسَسْ ❁ چَاغِيرِمْ دُوسْت دُوسْت ❁) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

الْوَعْدِ الْأَمِينُ) . .

وَأُثْبِتُ مُؤْمِناً : (أَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ ۞ وَالْجَنَّةَ حَقٌّ ؛ وَالنَّارَ حَقٌّ ۞ وَأَنَّ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ حَقٌّ ۞ وَأَنَّ اللهَ رَحِيمٌ حَكِيمٌ وَدُودٌ ۞ وَأَنَّ الرَّحْمَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْمَحَبَّةَ ، مُحِيطَةٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَشُؤُونَاتِهَا) . .

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . .

(اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً ، وَلِحَقِّهِ أَدَاءً ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ ، آمِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞) . .

[سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ حَدِيقَةَ أَرْضِهِ مَشْهَرَ صَنْعَتِهِ ، مَحْشَرَ خِلْقَتِهِ ، مَظْهَرَ قُدْرَتِهِ ، مَدَارَ حِكْمَتِهِ ، مَزْهَرَ رَحْمَتِهِ ، مَزْرَعَ جَنَّتِهِ ، مَمَرَّ الْمَخْلُوقَاتِ ، مَسِيلَ الْمَوْجُودَاتِ ، مَكِيلَ الْمَصْنُوعَاتِ ۞ . .

فَمُزَيِّنُ الْحَيَوَانَاتِ ، مُنَقِّشُ الطُّيُورَاتِ ، مُثْمِرُ الشَّجَرَاتِ ، مُزْهِرُ النَّبَاتَاتِ ، مُعْجِزَاتُ عِلْمِهِ ، خَوَارِقُ صُنْعِهِ ، هَدَايَا جُودِهِ ، بَرَاهِينُ لُطْفِهِ ، دَلَائِلُ الْوَحْدَةِ ، لَطَائِفُ الْحِكْمَةِ ، شَوَاهِدُ الرَّحْمَةِ ۞ . .

تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ ، مِنْ زِينَةِ الْأَثْمَارِ ، تَسَجُّعُ الْأَطْيَارِ ، فِي نَسْمَةِ الْأَسْحَارِ ، تَهَزُّجُ الْأَمْطَارِ ، عَلٰى خُدُودِ الْأَزْهَارِ ، تَزَيُّنُ الْأَزْهَارِ ، تَبَرُّجُ الْأَثْمَارِ ، فِي هٰذِهِ الْجِنَانِ ، تَرَحُّمُ الْوَالِدَاتِ ، عَلَى الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ ، فِي كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ وَالْإِنْسَانِ ، تَعَرُّفُ وَدُودٍ ، تَوَدُّدُ رَحْمٰنٍ ، تَرَحُّمُ حَنَّانٍ ، تَحَنُّنُ مَنَّانٍ ، لِلْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ ، وَالرُّوحِ وَالْحَيَوَانِ ، وَالْمَلَكِ وَالْجَانِّ ۞] . .

اَلذَّيْلُ الْأَوَّلُ لِلْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ :

بِاسْمِهِ : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ..

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ ..

اِسْتَمِعْ إِلٰى خَمْسِ نِكَاتٍ لِهٰذِهِ الْآيَةِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنٰى «أَيُّهَا النَّاسُ ! مَا هِيَ قِيمَتُكُمْ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ؟» ..

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : ﴾ أَنَّ الدُّعَاءَ سِرٌّ عَظِيمٌ لِلْعُبُودِيَّةِ ؛ بَلْ إِنَّهُ فِي حُكْمِ رُوحِ الْعُبُودِيَّةِ . وَالدُّعَاءُ عَلٰى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ ؛ كَمَا ذَكَرْنَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ..

اَلنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ الدُّعَاءِ : هُوَ بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ ؛ حَيْثُ تَدْعُو جَمِيعُ الْحُبُوبِ وَالْبُذُورِ ، بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ ، الْفَاطِرَ الْحَكِيمَ : «أَنْ أَعْطِنَا النُّشُوءَ وَالنَّمَاءَ ؛ وَاجْعَلْ حَقِيقَتَنَا الصَّغِيرَةَ مُتَسَنْبِلَةً ؛ وَحَوِّلْهَا إِلٰى حَقِيقَةِ الشَّجَرَةِ الْكُبْرٰى ؛ لِنُظْهِرَ نُقُوشَكَ مُفَصَّلَةً» . وَمِنْ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الدُّعَاءِ بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ ، اجْتِمَاعُ الْأَسْبَابِ ؛ فَإِنَّهُ دُعَاءٌ لِإِيجَادِ الْمُسَبَّبِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الْأَسْبَابَ تَتَّخِذُ كَيْفِيَّةً تَكُونُ فِي حُكْمِ لِسَانِ الْحَالِ ؛ وَتَدْعُو الْمُسَبَّبَ ؛ وَتَطْلُبُهُ مِنَ الْقَدِيرِ ذِي الْجَلَالِ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ الْمَاءَ وَالْحَرَارَةَ ، وَالتُّرَابَ وَالضِّيَاءَ ، تَتَّخِذُ حَوْلَ نَوَاةٍ ، كَيْفِيَّةً هِيَ لِسَانُ دُعَاءٍ ؛ فَتَقُولُ : «يَا خَالِقَنَا ! اِجْعَلْ هٰذِهِ النَّوَاةَ شَجَرَةً» ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ تِلْكَ الشَّجَرَةَ الَّتِي هِيَ مُعْجِزَةٌ خَارِقَةٌ لِلْقُدْرَةِ ، لَا تُسْنَدُ إِلٰى تِلْكَ الْمَوَادِّ الْبَسِيطَةِ الْجَامِدَةِ الَّتِي لَا شُعُورَ لَهَا ؛ وَإِسْنَادُهَا إِلَيْهَا مُحَالٌ . فَإِذاً إِنَّ اجْتِمَاعَ الْأَسْبَابِ ، نَوْعٌ مِنَ الدُّعَاءِ ..

اَلنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الدُّعَاءِ : هُوَ بِلِسَانِ الِاحْتِيَاجِ الْفِطْرِيِّ ؛ فَإِنَّهُ نَوْعُ دُعَاءٍ ، مِنَ الْخَالِقِ الرَّحِيمِ ؛ لِيُعْطِيَ جَمِيعَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ ، حَاجَاتِهِمْ

وَمَطَالِبَهُمُ الَّتِي لَيْسَتْ فِي دَاخِلِ اقْتِدَارِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَكِيماً رَحِيماً ، يُرْسِلُهَا إِلَيْهِمْ ، فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ، مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ، فِي خَارِجِ اقْتِدَارِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ ؛ وَأَيْدِيهِمْ لَا تَنَالُ إِلَيْهَا . فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الْإِحْسَانَ ، نَتِيجَةُ الدُّعَاءِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ مَا يَصْعَدُ مِنَ الْكَائِنَاتِ جَمِيعاً ، إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، هُوَ دُعَاءٌ . فَتَطْلُبُ الْأَسْبَابُ ، الْمُسَبَّبَاتِ ، مِنَ اللهِ تَعَالَى . .

اَلنَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ الدُّعَاءِ : هُوَ دُعَاءُ ذَوِي الشُّعُورِ ، فِي دَائِرَةِ الِاحْتِيَاجِ . وَهٰذَا عَلَى قِسْمَيْنِ ؛ فَإِنْ وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ الِاضْطِرَارِ ؛ أَوْ كَانَ مُنَاسِباً تَامّاً بِالِاحْتِيَاجِ الْفِطْرِيِّ ؛ أَوْ قَرُبَ إِلَى لِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ ؛ أَوْ كَانَ بِلِسَانِ الْقَلْبِ الصَّافِي الْخَالِصِ ؛ فَهُوَ مَقْبُولٌ بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ . فَالْكَشْفِيَّاتُ الْبَشَرِيَّةُ ، وَالْقِسْمُ الْأَعْظَمُ مِنَ التَّرَقِّيَاتِ الْبَشَرِيَّةِ ، هِيَ نَتِيجَةُ نَوْعٍ مِنَ الدُّعَاءِ . وَإِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا بِخَوَارِقِ الْمَدَنِيَّةِ ، وَالْأُمُورَ الَّتِي يَظُنُّونَهَا مَدَارَ الِافْتِخَارِ لِكَشْفِيَّاتِهِمْ ، هِيَ نَتِيجَةُ دُعَاءٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ فَإِنَّهَا دُعِيَتْ بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ ، بِلِسَانٍ خَالِصٍ ، فَأُعْطِيَتْ لَهُمْ ؛ فَإِنَّ الدَّعَوَاتِ بِلِسَانِ الِاسْتِعْدَادِ ، وَلِسَانِ الِاحْتِيَاجِ الْفِطْرِيِّ ، مَقْبُولَةٌ دَائِماً ؛ إِنْ كَانَتْ فِي دَاخِلِ الشَّرَائِطِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ مَانِعٌ أَيْضاً . .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : هُوَ الدُّعَاءُ الْمَشْهُورُ ؛ وَهُوَ نَوْعَانِ أَيْضاً ؛ أَحَدُهُمَا فِعْلِيٌّ ؛ وَالْآخَرُ قَوْلِيٌّ . فَالْحَرْثُ مَثَلاً ، دُعَاءٌ فِعْلِيٌّ ؛ فَإِنَّهُ لا يَطْلُبُ الرِّزْقَ مِنَ التُّرَابِ ؛ بَلِ التُّرَابُ بَابٌ لِخَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ فَيَقْرَعُ بَابَ الرَّحْمَةِ بِالْمِحْرَاثِ . .

وَنَطْوِي تَفْصِيلَاتِ سَائِرِ الْأَقْسَامِ ؛ فَنَذْكُرُ بَعْضَ أَسْرَارِ الدُّعَاءِ الْقَوْلِيِّ فَقَطْ ، فِيمَا سَيَأْتِي مِنَ النِّكَاتِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ تَأْثِيرَ الدُّعَاءِ عَظِيمٌ ، لَاسِيَّمَا إِذَا دَامَ الدُّعَاءُ ؛ وَاكْتَسَبَ كُلِّيَّةً ؛ فَإِنَّ إِنْتَاجَهُ غَالِبٌ بَلْ دَائِمٌ ؛ حَتّى يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ خِلْقَةِ الْعَالَمِ ، هُوَ الدُّعَاءُ ؛ يَعْنِي : أَنَّ دُعَاءَ نَوْعِ الْبَشَرِ أَوَّلاً ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِ عَالَمُ الْإِسْلَامِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ «مُحَمَّدٌ الْعَرَبِيُّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، ذٰلِكَ الدُّعَاءُ الْمُعَظَّمُ ، سَبَبٌ لِخَلْقِ الْعَالَمِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ

خَالِقَ الْعَالَمِ، عَلِمَ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ: أَنَّ ذٰلِكَ الْإِنْسَانَ الْكَرِيمَ، سَيَطْلُبُ بِاسْمِ نَوْعِ الْبَشَرِ، بَلْ بِحِسَابِ الْمَوْجُودَاتِ، سَعَادَةً أَبَدِيَّةً، وَمَظْهَرِيَّةً لِلْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ؛ فَقَبِلَ ذٰلِكَ الدُّعَاءَ الَّذِي سَيَأْتِي؛ فَخَلَقَ الْكَائِنَاتِ..

فَإِذَا كَانَ لِلدُّعَاءِ، سَعَةٌ وَقِيمَةٌ عَظِيمَةٌ، بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ لَا تُقْبَلَ دَعَوَاتُ ثَلَاثِمِئَةِ مِلْيُونٍ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ، وَدَعَوَاتُ مَنْ لَا يَحْصُرُهُمُ الْحَدُّ وَالْحِسَابُ، مِنْ صُلَحَاءِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ، بِالْاِتِّفَاقِ كُلَّ وَقْتٍ، فِي أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ، وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ الْعُظْمَى الْإِلٰهِيَّةِ، فِي حَقِّ ذَاتِ «مُحَمَّدٍ» (ﷺ)؛ وَكَيْفَ لَا تُقْبَلُ دَعَوَاتُهُمْ؛ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُرَدَّ تِلْكَ الدَّعَوَاتُ؟. فَإِذَا كَانَتْ قَدِ اكْتَسَبَتْ هٰذَا الْقَدْرَ، مِنَ الْكُلِّيَّةِ وَالْوُسْعَةِ وَالدَّوَامِ؛ وَبَلَغَتْ إِلَى دَرَجَةِ لِسَانِ الْاِسْتِعْدَادِ، وَالْاِحْتِيَاجِ الْفِطْرِيِّ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ ذٰلِكَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (ﷺ) يَكُونُ مِنْ حَيْثُ نَتِيجَةُ الدُّعَاءِ، عَلَى مَقَامٍ وَمَرْتَبَةٍ، لَوِ اجْتَمَعَتِ الْعُقُولُ كُلُّهَا؛ وَصَارَتْ عَقْلاً وَاحِداً؛ لَمَا أَحَاطَتْ بِحَقِيقَةِ ذٰلِكَ الْمَقَامِ بِتَمَامِهَا..

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ! إِنَّ لَكَ شَفِيعاً مِثْلَهُ، فِي يَوْمِ الْمَحْشَرِ؛ فَاتَّبِعْ سُنَّةَ هٰذَا الشَّفِيعِ؛ لِتَجْلُبَ إِلَيْكَ شَفَاعَتَهُ..

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ حَبِيبَ اللهِ؛ فَأَيُّ احْتِيَاجٍ لَهُ، إِلَى هٰذَا الْقَدْرِ مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالدَّعَوَاتِ؟.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ ذٰلِكَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ، ذُو صِلَةٍ بِسَعَادَةِ جَمِيعِ أُمَّتِهِ، وَذُو حِصَّةٍ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ سَعَادَاتِ جَمِيعِ أَفْرَادِ أُمَّتِهِ، وَذُو عَلَاقَةٍ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ مَصَائِبِهِمْ. فَمَنْ تَكُونُ مَرَاتِبُ السَّعَادَاتِ وَالْكَمَالَاتِ، فِي حَقِّهِ بِلَا حَدٍّ؛ مَعَ أَنَّهُ يَتَمَنَّى بِحَرَارَةٍ، أَنْوَاعَ سَعَادَاتٍ بِلَا حَدٍّ، لِأَفْرَادِ أُمَّتِهِ بِلَا حَدٍّ، فِي زَمَانٍ بِلَا حَدٍّ؛ وَيَتَأَثَّرُ عَنْ أَنْوَاعِ شَقَائِهِمْ بِلَا حَدٍّ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَائِقٌ بِمَا لَا حَدَّ لَهَا، مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالدُّعَاءِ وَالرَّحْمَةِ، وَمُحْتَاجٌ إِلَيْهَا..

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ يُدْعَا أَحْيَاناً ، لِأُمُورٍ تَقَعُ قَطْعاً ، كَالدُّعَاءِ فِي صَلاَةِ الْخُسُوفِ وَالْكُسُوفِ مَثَلاً ؛ وَقَدْ يُدْعَا أَحْيَاناً ، لِأُمُورٍ لَا تَقَعُ أَصْلاً . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ ؛ فَيُعْلِنُ الْعَبْدُ ، عَجْزَهُ وَفَقْرَهُ ، بِالدُّعَاءِ . وَأَمَّا الْمَقَاصِدُ الظَّاهِرِيَّةُ ، فَإِنَّهَا أَوْقَاتُ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ ، وَتِلْكَ الْعِبَادَةِ الدُّعَائِيَّةِ ؛ وَلَيْسَتْ فَوَائِدَهُ الْحَقِيقِيَّةَ ؛ فَإِنَّ فَائِدَةَ الْعِبَادَةِ تَنْظُرُ إِلَى الْآخِرَةِ . فَإِنْ لَمْ تَحْصُلِ الْمَقَاصِدُ الدُّنْيَوِيَّةُ ؛ فَلَا يُقَالُ : إِنَّ ذٰلِكَ الدُّعَاءَ لَمْ يُتَقَبَّلْ ؛ بَلْ يُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يَنْقَضِ وَقْتُ الدُّعَاءِ بَعْدُ ؛ كَمَا أَوْضَحْنَا فِي **مَقَالَاتٍ** أُخْرٰى . .

وَكَذَا هَلْ يُمْكِنُ أَنْ لَا يُعْطَى أَهْلُ الْإِيمَانِ ، السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ الَّتِي يَطْلُبُونَهَا دَائِماً ، فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ ، بِكَمَالِ الْخُلُوصِ وَالْاِشْتِيَاقِ وَالدُّعَاءِ ؛ وَأَنْ لَا يَقْبَلَ **ذٰلِكَ الْكَرِيمُ الْمُطْلَقُ ، وَالرَّحِيمُ الْمُطْلَقُ** ، الَّذِي لَا حَدَّ لِرَحْمَتِهِ ، بِشَهَادَةِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، دُعَاءَ جَمِيعِ أُولَائِكَ ؛ وَأَنْ لَا تَحْصُلَ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ ؟ .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ قَبُولَ الدُّعَاءِ الْقَوْلِيِّ الْاِخْتِيَارِيِّ ، عَلٰى وَجْهَيْنِ ؛ فَإِمَّا أَنَّهُ يُقْبَلُ بِعَيْنِ مَطْلُوبِهِ ؛ أَوْ يُعْطَى أَوْلَى مِنْهُ ؛ فَمَثَلاً : يَطْلُبُ أَحَدٌ ، وَلَداً ذَكَراً ؛ فَيُعْطِي اللهُ تَعَالٰى ، وَلَداً أُنْثٰى كَمَرْيَمَ ؛ فَلَا يُقَالُ : إِنَّ دُعَاءَهُ لَمْ يُتَقَبَّلْ ؛ بَلْ يُقَالُ : تُقُبِّلَ بِصُورَةٍ أَوْلٰى . وَكَذَا يَدْعُو أَحْيَاناً لِسَعَادَةِ دُنْيَاهُ ؛ فَيُتَقَبَّلُ دُعَاؤُهُ لِآخِرَتِهِ ؛ فَلَا يُقَالُ : إِنَّ دُعَاءَهُ رُدَّ ؛ بَلْ يُقَالُ : تُقُبِّلَ بِصُورَةٍ أَنْفَعَ ؛ وَهٰكَذَا . .

فَإِذَا كَانَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ حَكِيماً ؛ فَنَحْنُ نَطْلُبُ مِنْهُ ؛ وَهُوَ يُجِيبُنَا ؛ وَلٰكِنَّهُ يُعَامِلُ بِنَا حَسَبَ حِكْمَتِهِ . فَعَلَى الْمَرِيضِ أَنْ لَا يَتَّهِمَ حِكْمَةَ الطَّبِيبِ ؛ فَالْمَرِيضُ يَسْأَلُ الْعَسَلَ ؛ وَالطَّبِيبُ الْحَاذِقُ يُعْطِيهِ صُولْفَاتُو ، لِحُمَّاهُ ؛ فَلَا يُقَالُ : إِنَّ الطَّبِيبَ لَمْ يُصْغِ إِلَيَّ ؛ بَلْ أَصْغٰى إِلٰى أَنِينِهِ وَصُرَاخِهِ ؛ وَسَمِعَهُ وَأَجَابَهُ ؛ وَقَضٰى أَوْلَى الْمَقْصُودِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ أَحْسَنَ ثَمَرَاتِ الدُّعَاءِ وَنَتَائِجِهِ ، وَأَلْطَفَهَا وَأَلَذَّهَا وَأَعْجَلَهَا ، هِيَ : أَنَّ الدَّاعِيَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُوجَدُ أَحَدٌ يَسْمَعُ لِنِدَائِهِ ؛ وَيُوصِلُ الدَّوَاءَ إِلٰى

دَائِهِ ؛ وَيَرْحَمُ عَلَيْهِ ؛ وَتَنَالُ يَدُ قُدْرَتِهِ ، إِلَى كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ وَحِيداً ، فِي خَانِ الدُّنْيَا الْكَبِيرِ هٰذَا ؛ بَلْ يُوجَدُ رَبٌّ كَرِيمٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيُؤَانِسُهُ ؛ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُوفِيَ بِمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ حَوَائِجِهِ ؛ وَأَنْ يَدْفَعَ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ ؛ فَيَتَصَوَّرُ نَفْسَهُ ، فِي حُضُورِ رَبٍّ كَذٰلِكَ ؛ وَيُحِسُّ بِفَرَحٍ وَانْشِرَاحٍ ؛ وَيُلْقِي مِنْ فَوْقِهِ ، حِمْلاً ثَقِيلاً بِقَدَرِ الدُّنْيَا ؛ وَيَقُولُ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ الدُّعَاءَ رُوحُ الْعُبُودِيَّةِ ، وَنَتِيجَةُ إِيمَانٍ خَالِصٍ ؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ يُعْلِنُ بِدُعَائِهِ : «أَنَّهُ يُوجَدُ أَحَدٌ يَحْكُمُ عَلَى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَيَعْلَمُ أَدَقَّ أُمُورِي ؛ وَلَهُ اطِّلَاعٌ عَلَيْهِ ؛ وَيَقْتَدِرُ أَنْ يَقْضِيَ أَقْصٰى مَقَاصِدِي ؛ وَيَرٰى كُلَّ أَحْوَالِي ؛ وَيَسْمَعُ صَوْتِي ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ جَمِيعَ أَصْوَاتِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْمَعُ صَوْتِي أَيْضاً ؛ وَإِنَّهُ يَفْعَلُ كُلَّ الْأُمُورِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَتَوَقَّعُ مِنْهُ صُغْرَيَاتِ أُمُورِي أَيْضاً ؛ وَأَطْلُبُهَا مِنْهُ» . .

هٰذَا ؛ فَانْظُرْ إِلٰى مَا يُنْتِجُهُ الدُّعَاءُ ، مِنْ وُسْعَةِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ ، وَمَا يُظْهِرُهُ مِنْ حَلَاوَةِ نُورِ الْإِيمَانِ وَصَفْوَتِهِ ؛ وَافْهَمْ سِرَّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ ؛ وَاسْمَعْ لِأَمْرِ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ : (وَلَوْلَا أَنَّهُ أَرَادَ الْإِعْطَاءَ ؛ لَمَا أَعْطَى الدُّعَاءَ) ؛ كَمَا قِيلَ : (اَگَرْنَه خَواهِي دَادْ ؛ نَه دَادِي خَواهْ)[1] . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ ، عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللهِ ،

وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ ؛ وَسَلِّمْنَا وَسَلِّمْ دِينَنَا ؛ آمِينَ ﴿ . .

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ . .

---

(١) مَعْنَى الْفِقْرَةِ الْفَارِسِيَّةِ : (لَوْلَا أَرَادَ الْعَطَاءَ ؛ لَمَا أَعْطَى الدُّعَاءَ) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

اَلذَّيْلُ الثَّانِي لِلْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ :

بِاسْمِهِ : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرٰى ۞ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى ۞ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوٰى ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى ۞ لَقَدْ رَأٰى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى ۞﴾ . .

سَنُبَيِّنُ خَمْسَ نِكَاتٍ ، فِي قِسْمِ الْمِعْرَاجِ ، مِنَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّ «سُلَيْمَانَ» الْفَاضِلَ كَاتِبَ الْمَوْلِدِ ، يُبَيِّنُ قِصَّةَ عِشْقٍ حَزِينٍ ، فِي حَقِّ الْبُرَاقِ الَّذِي أُتِيَ بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يُفِيدُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ حَقِيقَةً ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ؛ وَبَنَاهَا عَلَى الرِّوَايَةِ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْحَقِيقَةُ هٰذِهِ ؛ وَهِيَ : أَنَّ مَخْلُوقَاتِ عَالَمِ الْبَقَاءِ ، لَهَا عَلَاقَةٌ جِدِّيَّةٌ ، بِنُورِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ فَإِنَّهُ بِالنُّورِ الَّذِي جَاءَ بِهِ ، سَتُعْمَرُ الْجَنَّةُ وَدَارُ الْآخِرَةِ ، بِالْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؛ وَلَوْلَاهُ ؛ لَمَا كَانَتْ تِلْكَ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ ؛ وَلَمَا عُمِرَتِ الْجَنَّةُ ؛ وَبَقِيَتْ خَرَاباً بِدُونِ صَاحِبٍ ، فِي جِهَةٍ مَّا ؛ فَكَمَا أَنَّ قِصَّةَ عِشْقِ الْبُلْبُلِ لِلْوَرْدِ ؛ هِيَ : أَنَّ بُلْبُلَ الْوَرْدِ ، انْتُخِبَ فِي مُقَدِّمَةِ الْبَلَابِلِ ، خَطِيباً رَبَّانِيّاً ؛ وَانْتُخِبَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ، نَوْعٌ مِنَ الْبَلَابِلِ ؛ لِتُعْلِنَ إِزَاءَ قَافِلَةِ النَّبَاتَاتِ الْقَادِمَةِ مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، وَالْحَامِلَةِ لِأَرْزَاقِ الْحَيَوَانَاتِ ، احْتِيَاجَاتِ طَوَائِفِ الْحَيَوَانَاتِ ، إِلَى طَوَائِفِ النَّبَاتَاتِ ، احْتِيَاجَاتٍ شَدِيدَةً شَبِيهَةً بِالْعِشْقِ ، وَبَالِغَةً إِلَى دَرَجَةِ الْعِشْقِ ؛ وَأَنَّ نَغَمَاتِ تِلْكَ الْبَلَابِلِ ، تَصْفِيقٌ وَحُسْنُ اسْتِقْبَالٍ مُسَبِّحٌ ، مِنْ قَبِيلِ التَّرْحِيبِ بِهَا ، عَلَى رُؤُوسِ أَجْمَلِ النَّبَاتَاتِ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي الْغُصْنِ الرَّابِعِ مِنَ الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : إِنَّ

«مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، الَّذِي هُوَ سَبَبُ خِلْقَةِ الْأَفْلَاكِ ، وَوَسِيلَةُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ كَمَا أَنَّ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَخْدُمُهُ مِنْ نَوْعِ الْمَلَائِكَةِ ، بِكَمَالِ الْمَحَبَّةِ ؛ وَيُظْهِرُ انْقِيَادَ الْمَلَائِكَةِ ، وَإِطَاعَتَهُمْ ، وَسِرَّ سُجُودِهِمْ لِآدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، حَتّٰى نَوْعَ حَيَوَانَاتِهَا أَيْضاً ، لَهَا عَلَاقَةٌ بِذَاتِهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ فَأُفِيدَتْ عَلَاقَتُهَا بِهِ ، بِحِسِّيَّاتٍ عِشْقِيَّةٍ ، مِنْ حِسِّيَّاتِ الْبُرَاقِ الَّذِي رَكِبَهُ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالَى ، الْمُنَزَّهَةَ الَّتِي هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ قِصَصِ الْمِعْرَاجِ النَّبَوِيِّ ، قَدْ أُفِيدَتْ بِتَعْبِيرِ (صِرْتُ عَاشِقاً لَكَ)(١) . فَهٰذِهِ التَّعْبِيرَاتُ ، لَا تُنَاسِبُ بِالْمَعْنَى الْعُرْفِيِّ ، قُدْسِيَّةَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَاسْتِغْنَاءَهُ الذَّاتِيَّ . وَلَمَّا كَانَ «سُلَيْمَانُ» الْفَاضِلُ ، مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ، وَأَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، بِدَلَالَةِ مَظْهَرِيَّةِ مَوْلِدِهِ لِرَغْبَةِ الْعَامَّةِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ مَا أَرَادَهُ مِنَ الْمَعْنٰى صَحِيحٌ ؛ وَهُوَ أَنَّ لِلذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، جَمَالاً وَكَمَالاً بِلَا حَدٍّ ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ، الْمُنْقَسِمَةَ عَلٰى جَمِيعِ أَقْسَامِ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ أَمَارَاتُ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ، وَإِشَارَاتُهُمَا وَآيَاتُهُمَا ؛ فَكَمَا أَنَّ صَاحِبَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ، يُحِبُّ بِالْبَدَاهَةِ جَمَالَهُ وَكَمَالَهُ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ يُحِبُّ الذَّاتُ ذُو الْجَلَالِ أَيْضاً ، جَمَالَهُ كَثِيراً جِدّاً ؛ وَيُحِبُّهُ بِمَحَبَّةٍ لَائِقَةٍ بِذَاتِهِ ؛ وَيُحِبُّ أَيْضاً أَسْمَاءَهُ الَّتِي هِيَ شُعَاعَاتُ جَمَالِهِ ؛ فَإِذَا أَحَبَّ أَسْمَاءَهُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يُحِبُّ صَنْعَتَهُ الَّتِي تُظْهِرُ جَمَالَ أَسْمَائِهِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ يُحِبُّ مَصْنُوعَاتِهِ أَيْضاً الَّتِي هِيَ مِرْآةٌ لِجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ؛ فَإِذَا أَحَبَّ مَا يُظْهِرُ جَمَالَهُ وَكَمَالَهُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يُحِبُّ مَحَاسِنَ مَخْلُوقَاتِهِ الَّتِي تُشِيرُ إِلٰى جَمَالِ أَسْمَائِهِ ، وَكَمَالِهَا . وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ يُشِيرُ بِآيَاتِهِ ، إِلٰى هٰذِهِ الْأَنْوَاعِ الْخَمْسَةِ مِنَ الْمَحَبَّةِ . .

هٰذَا ؛ فَلَمَّا كَانَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، أَكْمَلَ فَرْدٍ بَيْنَ الْمَصْنُوعَاتِ ، وَأَعْلٰى شَخْصِيَّةٍ مُمْتَازَةٍ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَيَسْتَحْسِنُ الصَّنْعَةَ الْإِلٰهِيَّةَ ؛ وَيُشَهِّرُهَا بِصَيْحَةٍ مِنَ

---

(١) نَصُّ الْمِصْرَاعِ التُّرْكِيِّ : (سَكَّا عَاشِقْ أُولْمِيشَمْ ❁) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رَحِمَهُ اللهُ) . .

الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ ؛ وَفَتَحَ بِلِسَانِ الْقُرْآنِ ، مَا فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مِنْ خَزَائِنِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ؛ وَيُبَيِّنُ بِلِسَانِ الْقُرْآنِ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ مُشْرِقَةٍ ، دَلَالَاتِ آيَاتِ الْكَائِنَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ ، عَلٰى كَمَالِ صَانِعِهَا ؛ وَيُؤَدِّي مُؤَدَّى الْمِرْآةِ لِلْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِعُبُودِيَّتِهِ الْكُلِّيَّةِ ؛ وَصَارَ مَظْهَراً أَتَمَّ لِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِجَامِعِيَّةِ مَاهِيَّتِهِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَصِحُّ لِهٰذَا ، أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْجَمِيلَ ذَا الْجَلَالِ يُحِبُّ بِمَحَبَّتِهِ لِجَمَالِهِ ، «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عليه الصلاة والسلام) الَّذِي هُوَ أَكْمَلُ مِرْآةٍ ذَاتِ شُعُورٍ ، لِذٰلِكَ الْجَمَالِ ؛ وَكَذَا يُحِبُّ بِمَحَبَّتِهِ لِأَسْمَائِهِ ، «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عليه الصلاة والسلام) الَّذِي هُوَ أَلْمَعُ مِرْآةٍ لِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ ؛ وَيُحِبُّ مَنْ يَتَشَبَّهُونَ بِـ «مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ» (عليه الصلاة والسلام) أَيْضاً ، حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ ؛ وَكَذَا يُحِبُّ لِحُبِّهِ صَنْعَتَهُ ، «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عليه الصلاة والسلام) الَّذِي يُذِيعُ صَنْعَتَهُ ، فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، بِأَعْلٰى صَوْتٍ ؛ وَيُعْلِنُهَا بِصَيْحَةٍ مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ ، تُرِنُّ سَمْعَ السَّمَاوَاتِ ؛ وَتُثِيرُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ إِلَى الْجَذْبَةِ ؛ وَيُحِبُّ مَنْ يَتَّبِعُونَهُ أَيْضاً ؛ وَكَذَا يُحِبُّ لِحُبِّهِ صَنْعَتَهُ ، «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عليه الصلاة والسلام) الَّذِي هُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ بِالْاِتِّفَاقِ ، الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ ذَوِي الشُّعُورِ ، الَّذِينَ هُمْ أَكْمَلُ ذَوِي الْحَيَاةِ ، الَّذِينَ هُمْ أَكْمَلُ مَصْنُوعَاتِهِ أَيْضاً ؛ وَيُحِبُّهُ أَكْثَرَ بِلَا شَكٍّ ؛ وَكَذَا يُحِبُّ لِحُبِّهِ مَحَاسِنَ أَخْلَاقِ مَخْلُوقَاتِهِ ، «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عليه الصلاة والسلام) الَّذِي هُوَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا ، فِي مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ بِالْاِتِّفَاقِ ؛ وَيُحِبُّ مَنْ يُشْبِهُونَهُ أَيْضاً ، حَسَبَ الدَّرَجَاتِ . فَإِذاً إِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالٰى ، أَحَاطَتْ بِالْكَائِنَاتِ ، كَرَحْمَتِهِ أَيْضاً . .

هٰذَا ؛ فَالْمَقَامُ الْأَعْلٰى ، فِي كُلِّ وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِهَا الْخَمْسَةِ الْمَذْكُورَةِ ، مَخْصُوصٌ بِـ «مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ» (عليه الصلاة والسلام) ، بَيْنَ أُولٰئِكَ الْمَحْبُوبِينَ الَّذِينَ لَا حَدَّ لَهُمْ ؛ فَلِذٰلِكَ مُنِحَ لَهُ لَقَبُ «حَبِيبِ اللهِ» . .

هٰذَا ؛ فَإِنَّ «سُلَيْمَانَ» الْفَاضِلَ بَيَّنَ هٰذَا الْمَقَامَ الْأَعْلٰى مِنَ الْمَحْبُوبِيَّةِ ، بِتَعْبِيرِ (إِنِّي صِرْتُ عَاشِقاً لَكَ) . وَهٰذَا التَّعْبِيرُ مِرْصَادٌ لِلتَّفَكُّرِ ، وَإِشَارَةٌ إِلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، مِنْ بُعْدٍ بَعِيدٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَمَعَ هٰذَا ؛ فَلَمَّا كَانَ هٰذَا التَّعْبِيرُ ، يُوهِمُ مَعْنًى غَيْرَ مُنَاسِبٍ بِشَأْنِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ فَالْأَوْلٰى

أَنْ يُقَالَ بَدَلاً عَنْ هٰذَا التَّعْبِيرِ : (إِنِّي صِرْتُ رَاضِياً عَنْكَ) . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ الْقِصَصَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْقِسْمِ الْمِعْرَاجِيِّ ، لاَ تُفِيدُ تِلْكَ الْحَقَائِقَ الْقُدُسِيَّةَ النَّزِيهَةَ ، بِالْمَعَانِي الْمَعْلُومَةِ لَنَا ؛ بَلْ إِنَّ تِلْكَ الْمُحَاوَرَاتِ ، عَنَاوِينُ الْمُلاَحَظَةِ ، وَمَرَاصِيدُ التَّفَكُّرِ ، وَإِشَارَاتٌ إِلَى الْحَقَائِقِ الْعُلْوِيَّةِ الْغَامِضَةِ ، وَإِخْطَارَاتٌ لِبَعْضِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، وَكِنَايَاتٌ لِبَعْضِ مَعَانٍ غَيْرِ قَابِلَةٍ لِلتَّعْبِيرِ . وَإِلّا ؛ فَلَيْسَتْ قِصَّةً بِالْمَعَانِي الْمَعْلُومَةِ لَنَا . وَنَحْنُ لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَفِيدَ تِلْكَ الْحَقَائِقَ ، بِخَيَالِنَا ، مِنْ تِلْكَ الْمُحَاوَرَاتِ ؛ بَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَفِيدَ بِقُلُوبِنَا ، ذَوْقاً إِيمَانِيّاً مُهَيِّجاً ، وَنَشْوَةً رُوحِيَّةً نُورَانِيَّةً ؛ لِأَنَّهُ كَمَا لاَ نَظِيرَ ، وَلاَ شَبِيهَ ، وَلاَ مِثْلَ لِلّٰهِ تَعَالٰى ، فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ ؛ كَذٰلِكَ لاَ مِثْلَ لَهُ فِي شُؤُونَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ فَكَمَا لاَ تُشْبِهُ صِفَاتُهُ ، صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ لاَ تُشْبِهُ مَحَبَّتُهُ أَيْضاً بِمَحَبَّتِهَا . فَإِذاً إِنَّنَا نَقْبَلُ هٰذِهِ التَّعْبِيرَاتِ ، مِنْ قَبِيلِ الْمُتَشَابِهَاتِ ؛ فَنَقُولُ : إِنَّ لِلّٰهِ تَعَالٰى ، بَعْضَ شُؤُونَاتٍ كَمَحَبَّتِهِ ، هِيَ عَلٰى وَجْهٍ مُنَاسِبٍ بِوُجُوبِ وُجُودِهِ ، وَبِقُدُسِيَّتِهِ ، وَفِي صُورَةٍ مُوَافِقَةٍ لِاسْتِغْنَائِهِ الذَّاتِيِّ ، وَكَمَالِهِ الْمُطْلَقِ . فَيُذَكِّرُهَا بِقِصَّةِ الْقِسْمِ الْمِعْرَاجِيِّ . .

وَقَدْ أَوْضَحَتِ الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلاَثُونَ ، الْبَاحِثَةُ عَنِ الْمِعْرَاجِ النَّبَوِيِّ ، الْحَقَائِقَ الْمِعْرَاجِيَّةَ ، فِي دَائِرَةِ الْأُصُولِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ فَنَخْتَصِرُ هٰهُنَا اكْتِفَاءً بِهَا . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ التَّعْبِيرَ «بِأَنَّهُ رَأَى اللهَ تَعَالٰى وَرَاءَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ» ، يُفِيدُ بُعْدَ الْمَكَانِ ؛ مَعَ أَنَّ الْوَاجِبَ الْوُجُودِ ، مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَكَانِ ؛ وَأَقْرَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلٰى كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَمَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هٰذَا ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، قَدْ بُيِّنَتْ مُفَصَّلَةً بِالْبَرَاهِينِ ، فِي الْمَقَالَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلاَثِينَ ؛ وَنَقُولُ هُنَا هٰذَا الْقَدَرَ فَقَطْ : وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى قَرِيبٌ مِنَّا لِلْغَايَةِ ؛ وَنَحْنُ بَعِيدُونَ عَنْهُ غَايَةَ الْبُعْدِ ؛ فَكَمَا أَنَّ الشَّمْسَ قَرِيبَةٌ مِنَّا لِلْغَايَةِ ، بِوَاسِطَةِ الْمِرْآةِ الَّتِي بِأَيْدِينَا ؛ وَيَصِيرُ كُلُّ شَيْءٍ شَفَّافٍ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، نَوْعَ عَرْشٍ وَمَنْزِلٍ لَهَا ؛ فَلَوْ كَانَ لِلشَّمْسِ شُعُورٌ ؛ لَتَحَاوَرَتْ بِنَا ، بِوَاسِطَةِ مِرْآتِنَا ؛ وَلٰكِنَّنَا بَعِيدُونَ عَنْهَا ، أَرْبَعَةَ آلاَفِ سَنَةٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الشَّمْسَ

الْأَزَلِيَّة ، أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، بِلا تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ ؛ لِأَنَّهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ ، وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْمَكَانِ ؛ وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مَّا ، حِجَاباً لَهُ ؛ وَلٰكِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، بَعِيدٌ عَنْهُ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ . فَمِنْ هٰذَا السِّرِّ يَنْشَأُ بُعْدُ مَسَافَةِ الْمِعْرَاجِ ، مَعَ سِرِّ عَدَمِ الْمَسَافَةِ ، الَّذِي يُفِيدُ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ؛ وَكَذَا يَنْشَأُ مِنْهُ سِرُّ عُرُوجِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عليه الصلاة والسلام) ، طَاوِياً فِي سُلُوكِهِ ، مَسَافَةً كَثِيرَةً ، وَسِرُّ مَجِيئِهِ فِي آنٍ وَاحِدٍ . وَإِنَّ مِعْرَاجَ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عليه الصلاة والسلام) ، هُوَ سَيْرُهُ وَسُلُوكُهُ ، وَعُنْوَانُ وِلَايَتِهِ ؛ فَكَمَا أَنَّ أَهْلَ الْوِلَايَةِ يَعْرُجُونَ إِلٰى دَرَجَةِ حَقِّ الْيَقِينِ ، مِنْ دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ ، بِالسَّيْرِ وَالسُّلُوكِ الرُّوحَانِيِّ ، بِتَرَقٍّ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، إِلٰى أَرْبَعِينَ عَاماً ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ (عليه الصلاة والسلام) ، الَّذِي هُوَ سُلْطَانُ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ ، لَمْ يَعْرُجْ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ فَقَطْ ، بَلْ بِجِسْمِهِ وَحَوَاسِّهِ وَلَطَائِفِهِ ؛ فَفَتَحَ جَادَّةً كُبْرٰى ؛ وَسَلَكَ إِلٰى أَعْلٰى مَرَاتِبِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، بِمِعْرَاجِهِ الَّذِي هُوَ الْكَرَامَةُ الْكُبْرٰى لِوِلَايَتِهِ ، فِي أَرْبَعِينَ دَقِيقَةً ، عِوَضاً عَنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ؛ وَطَلَعَ إِلَى الْعَرْشِ ، بِسُلَّمِ الْمِعْرَاجِ ؛ وَشَاهَدَ بِعَيْنِهِ ، عَيْنَ الْيَقِينِ ، فِي مَقَامِ «قَابَ قَوْسَيْنِ» ، مَا هُوَ أَعْظَمُ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ ، وَالْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ؛ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ ؛ وَرَأَى السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَتَرَكَ تِلْكَ الْجَادَّةَ الْكُبْرَى الَّتِي فَتَحَهَا بِبَابِ ذٰلِكَ الْمِعْرَاجِ ، مَفْتُوحَةً ؛ فَيَسْلُكُ جَمِيعُ أَوْلِيَاءِ أُمَّتِهِ ، فِي ظِلِّ ذٰلِكَ الْمِعْرَاجِ ، بِالسَّيْرِ وَالسُّلُوكِ ، عَلٰى وَجْهٍ رُوحَانِيٍّ وَقَلْبِيٍّ ، حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ . .

﴿ النُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ تِلَاوَةَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ ، مَعَ الْقِسْمِ الْمِعْرَاجِيِّ ، عَادَةٌ حَسَنَةٌ وَنَافِعَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَعَادَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ ؛ بَلْ هِيَ مَدَارُ صُحْبَةٍ حُلْوَةٍ لَامِعَةٍ لَطِيفَةٍ لِلْغَايَةِ ، لِلْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ بَلْ هِيَ دَرْسٌ أَحْلٰى وَأَطْيَبُ ، لِتَذْكِيرِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ بَلْ هِيَ أَقْوٰى وَاسِطَةٍ مُؤَثِّرَةٍ وَمُهَيِّجَةٍ ، لِإِظْهَارِ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ ، وَلِتَحْرِيكِ مَحَبَّةِ اللهِ ، وَالْعِشْقِ النَّبَوِيِّ . أَدَامَ اللهُ تَعَالٰى ، هٰذِهِ الْعَادَةَ إِلَى الْأَبَدِ ؛ وَرَحِمَ اللهُ تَعَالَى ، الَّذِينَ كَتَبُوا الْمَوْلِدَ ، مِثْلَ «سُلَيْمَانَ» الْفَاضِلِ ؛ وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَثْوَاهُمْ . آمِينَ . .

خَاتِمَةٌ :

لَمَّا كَانَ خَالِقُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، يَخْلُقُ فِي كُلِّ نَوْعٍ ، فَرْداً مُمْتَازاً ، مُكَمَّلاً جَامِعاً ، يَجْعَلُهُ مَدَارَ فَخْرِ ذٰلِكَ النَّوْعِ ، وَمَدَارَ كَمَالِهِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَخْلُقُ بِتَجَلِّي الاسْمِ الْأَعْظَمِ فِي أَسْمَائِهِ ، فَرْداً مُمْتَازاً مُكَمَّلاً ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَكَمَا كَانَ فِي أَسْمَائِهِ ، اسْمٌ أَعْظَمُ ؛ يَكُونُ فِي مَصْنُوعَاتِهِ أَيْضاً ، فَرْدٌ أَكْمَلُ ؛ وَيَجْمَعُ الْكَمَالَاتِ الْمُنْتَشِرَةَ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، فِي ذٰلِكَ الْفَرْدِ الْأَكْمَلِ ؛ فَيَجْعَلُهُ مَدَارَ نَظَرِهِ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْفَرْدَ يَكُونُ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ لِأَنَّ أَكْمَلَ أَنْوَاعِ الْكَائِنَاتِ ، هُمْ ذَوُو الْحَيَاةِ ؛ وَيَكُونُ ذٰلِكَ الْفَرْدُ ، بَيْنَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، مِنْ ذَوِي الشُّعُورِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ لِأَنَّ أَكْمَلَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، بَيْنَ أَنْوَاعِهِمْ ، هُمْ ذَوُو الشُّعُورِ ؛ وَيَكُونُ ذٰلِكَ الْفَرْدُ ، مِنَ الْإِنْسَانِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَعِدَّ لِتَرَقِّيَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، بَيْنَ ذَوِي الشُّعُورِ ، هُوَ الْإِنْسَانُ ؛ وَيَكُونُ ذٰلِكَ الْفَرْدُ ، مِنْ بَيْنِ الْإِنْسَانِ ، «مُحَمَّداً» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ تَارِيخٍ أَصْلاً ، مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى الْآنِ ، أَنْ يُظْهِرَ فَرْداً مِثْلَهُ ؛ وَلَنْ يُظْهِرَهُ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ الْفَرْدَ الْكَرِيمَ ، قَدْ حَصَرَ نِصْفَ كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَخُمُسَ نَوْعِ الْبَشَرِ ، تَحْتَ سَلْطَنَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَأَدَامَهَا بِكَمَالِ الاحْتِشَامِ ، أَلْفاً وَثَلَاثَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَاماً ؛ وَصَارَ فِي حُكْمِ أُسْتَاذِ الْكُلِّ ، لِجَمِيعِ أَهْلِ الْكَمَالِ ، فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَقَائِقِ ؛ وَمَلَكَ أَعْلٰى دَرَجَاتِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ ، بِاتِّفَاقِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ ؛ وَتَحَدّٰى جَمِيعَ الدُّنْيَا ، عَلٰى حِدَتِهِ ، فِي بِدَايَةِ أَمْرِهِ ؛ وَأَظْهَرَ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، الَّذِي هُوَ وِرْدُ أَلْسِنَةِ أُنَاسٍ يَزِيدُونَ عَلٰى مِئَةِ مِلْيُونٍ ، كُلَّ دَقِيقَةٍ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ إِنْسَاناً مِثْلَهُ ، هُوَ ذٰلِكَ الْفَرْدُ الْمُمْتَازُ ؛ وَلَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ ؛ وَهُوَ نَوَاةُ هٰذَا الْعَالَمِ ، وَثَمَرَتُهُ ؛ عَلَيْهِ وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، بِعَدَدِ أَنْوَاعِ الْكَائِنَاتِ وَمَوْجُودَاتِهَا . .

فَافْهَمْ أَنَّ اسْتِمَاعَ مَوْلِدِ مِثْلِ هٰذَا الْفَرْدِ الْكَرِيمِ ، وَمِعْرَاجِهِ ؛ يَعْنِي سَمَاعَ مَبْدَأِ تَرَقِّيَاتِهِ وَمُنْتَهَاهَا ؛ يَعْنِي مَعْرِفَةَ تَرْجَمَةِ حَيَاتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، أَيُّ مُسَامَرَةٍ عُلْوِيَّةٍ دِينِيَّةٍ ، ذَاتِ ذَوْقٍ وَفَخْرٍ

وَنُورٍ ، وَنَشْوَةٍ وَخَيْرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَقْبَلُونَ ذٰلِكَ **الْفَرْدَ الْكَرِيمَ** ، رَئِيساً وَسَيِّداً ، وَإِمَاماً وَشَفِيعاً لَهُمْ ..

يَا رَبِّ ! بِحُرْمَةِ الْحَبِيبِ الْأَكْرَمِ (عليه الصلاة والسلام) ، وَبِحَقِّ الاِسْمِ الْأَعْظَمِ ، اجْعَلْ قُلُوبَ نَاشِرِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَرُفَقَائِهِمْ ، مَظْهَراً لِلْأَنْوَارِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَأَقْلَامَهُمْ ، نَاشِرَةً لِلْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَامْنَحْهُمُ الاِسْتِقَامَةَ فِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . آمِينَ ❁ ..

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ❁﴾ ..

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي ..

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) ..

اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

قَدْ سُئِلَ مِنَ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، عَلٰى أَنْ يَكُونَ خَمْساً وَعِشْرِينَ نُكْتَةً ، فِي بَيَانِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ آيَةً ، مِنْ سُورَةِ يٰسٓ ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يَأْتِ زَمَانُهُ بَعْدُ ؛ فَلَمْ يُؤَلَّفْ . .

اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..﴾

إِنَّ هٰذَا الْمَكْتُوبَ السَّادِسَ وَالْعِشْرِينَ ، أَرْبَعَةُ مَبَاحِثَ تَقِلُّ مُنَاسَبَةُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ . .

اَلْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ :

حَاشِيَةٌ مُوضِحَةٌ لِجُمْلَةِ (حَتَّى الشَّيْطَانُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَهَا) ، الَّتِي قَالَهَا ذٰلِكَ الْعَامِّيُّ ذُو السَّمْعِ ، فِي فَهْمِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، إِزَاءَ طَبَقَةِ الْعَوَامِّ الَّذِينَ هُمْ ذَوُو أَسْمَاعٍ فَقَطْ ؛ وَذٰلِكَ فِي الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ ، مِنَ الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . .

إِنَّ الْمَبْحَثَ الْأَوَّلَ الَّذِي يُلْزِمُ إِبْلِيسَ ؛ وَيُفْحِمُ الشَّيْطَانَ ؛ وَيُسْكِتُ أَهْلَ الطُّغْيَانِ ؛ وَهُوَ حُجَّةُ الْقُرْآنِ ، عَلَى الشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ ، وَاقِعَةٌ تَرِدُ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، دَسِيسَةً هَائِلَةً لِلشَّيْطَانِ ، بَيْنَ الْمُحَاكَمَةِ الْحِيَادِيَّةِ ؛ وَقَدْ كَتَبْتُ قِسْماً مُجْمَلاً مِنْ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ ، فِي «اللَّمَعَاتِ» قَبْلَ عَشْرِ سِنِينَ . .

وَذٰلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَسْتَمِعُ إِلَى الْحُفَّاظِ ، فِي جَامِعِ بَايَزِيدَ الشَّرِيفِ ، بِـ«إِسْطَنْبُولَ» فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، قَبْلَ إِحْدٰى عَشْرَةَ سَنَةً ، مِنْ تَأْلِيفِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ فَإِذَا بِهَاتِفٍ لَمْ أَرَ شَخْصَهُ ؛ وَلٰكِنْ تُخُيِّلَ إِلَيَّ كَأَنِّي أَسْمَعُ صَوْتاً مَعْنَوِيّاً ؛ فَصَرَفَ ذِهْنِي إِلَيْهِ ؛ فَاسْتَمَعْتُ خَيَالاً ؛ فَنَظَرْتُ أَنَّهُ يَقُولُ لِي : إِنَّكَ تَرَى الْقُرْآنَ عَالِياً وَلَامِعاً جِدّاً ؛ فَحَاكِمْهُ مُحَاكَمَةً حِيَادِيَّةً ؛ وَانْظُرْ إِلَيْهِ كَذٰلِكَ ؛ يَعْنِي : اِفْتَرِضْهُ كَلَامَ بَشَرٍ ؛ وَانْظُرْ إِلَيْهِ ؛ فَهَلْ تَرَى تِلْكَ الْمَزَايَا وَالْمَحَاسِنَ ؟ . وَالْحَقِيقَةُ : أَنِّي اغْتَرَرْتُ بِهِ ؛ فَافْتَرَضْتُهُ كَلَامَ الْبَشَرِ ؛ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ كَذٰلِكَ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّهُ كَمَا إِذَا حُوِّلَ زِرُّ كَهْرَبَاءِ شَارِعِ «بَايَزِيدَ» ؛ وَأُطْفِئَتْ ؛ تَقَعُ السَّاحَةُ فِي الظُّلْمَةِ ؛ كَذٰلِكَ شَرَعَتْ أَنْوَارُ الْقُرْآنِ الْمُشْرِقَةُ ، فِي الْاِخْتِفَاءِ ، بِذٰلِكَ الْاِفْتِرَاضِ ؛ فَعَلِمْتُ حِينَئِذٍ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ مَعِي ، هُوَ الشَّيْطَانُ ؛ فَيَهْوِي بِي إِلَى الْوَرْطَةِ ؛ فَاسْتَمْدَدْتُ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَإِذَا بِنُورٍ وَرَدَ عَلٰى قَلْبِي ؛ وَأَعْطٰى قُوَّةً قَاطِعَةً لِلدِّفَاعِ ؛ فَحِينَئِذٍ ابْتَدَأَتِ الْمُنَاظَرَةُ ضِدَّ الشَّيْطَانِ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ : فَقُلْتُ أَيُّهَا الشَّيْطَانُ : إِنَّ الْمُحَاكَمَةَ بِلَا انْحِيَازٍ ، هِيَ كَيْفِيَّةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ ؛ مَعَ أَنَّ الْمُحَاكَمَةَ الْحِيَادِيَّةَ الَّتِي تَقُولُونَ أَنْتَ وَتَلَامِيذُكَ فِي النَّاسِ ، إِنَّمَا هِيَ الْتِزَامٌ لِلْجَانِبِ الْمُخَالِفِ ؛ وَلَيْسَتِ انْحِيَازاً ؛ بَلْ إِلْحَادٌ مُؤَقَّتٌ ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَى الْقُرْآنِ ، بِأَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ ، وَمُحَاكَمَتَهُ كَذٰلِكَ ، هِيَ اتِّخَاذٌ لِلشِّقِّ الْمُخَالِفِ ، أَسَاساً ، وَالْتِزَامٌ لِلْبَاطِلِ ؛ وَلَيْسَ حِيَاداً ؛ بَلْ هُوَ انْحِيَازٌ إِلَى الْبَاطِلِ . .

فَقَالَ الشَّيْطَانُ : فَإِذاً لَا تَقُلْ : إِنَّهُ كَلَامُ اللهِ ، وَلَا كَلَامُ الْبَشَرِ ؛ وَافْتَرِضْهُ فِي الْبَيْنِ ؛ وَانْظُرْ إِلَيْهِ ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ ذٰلِكَ لَا يَكُونُ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُ إِذَا وُجِدَ مَالٌ مُنَازَعٌ فِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ الْمُدَّعِيَانِ مُتَقَارِبَيْنِ ؛ وَوُجِدَ قُرْبُ الْمَكَانِ ؛ فَحِينَئِذٍ يُودَعُ ذٰلِكَ الْمَالُ ، بِيَدِ أَحَدٍ مِنْ غَيْرِهِمَا ، أَوْ بِمَكَانٍ تَنَالُهُ أَيْدِيهِمَا ؛ فَأَيُّهُمَا أَثْبَتَهُ ؛ يَأْخُذُهُ هُوَ ؛ وَإِنْ كَانَ ذَانِكَ الْمُدَّعِيَانِ مُتَبَاعِدَيْنِ ؛ وَكَانَ أَحَدُهُمَا بِالْمَشْرِقِ ؛ وَالْآخَرُ بِالْمَغْرِبِ ؛ فَحِينَئِذٍ مَنْ كَانَ صَاحِبَ الْيَدِ ، يُتْرَكُ بِيَدِهِ حَسَبَ الْقَاعِدَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَرْكُهُ بَيْنَهُمَا . .

هٰذَا ؛ فَالْقُرْآنُ مَتَاعٌ قَيِّمٌ ؛ فَمَهْمَا كَانَ كَلَامُ الْبَشَرِ ، بَعِيداً عَنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالٰى ؛ فَإِنَّ

ذَيْنِكَ الطَّرَفَيْنِ ، مُتَبَاعِدَانِ بِذٰلِكَ الْقَدَرِ ، بَلْ بِلَا حَدٍّ . فَإِذاً لَا يُمْكِنُ تَرْكُهُ بَيْنَ ذَيْنِكَ الطَّرَفَيْنِ الْمُتَبَاعِدَيْنِ مِنَ الثَّرىٰ إِلَى الثُّرَيَّا ؛ وَأَيْضاً لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا ؛ لِأَنَّهُمَا ضِدَّانِ كَالنَّقِيضَيْنِ ، مِثْلَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ ؛ فَلَا يُمْكِنُ الْوَاسِطَةُ . فَإِذاً إِنَّ صَاحِبَ الْيَدِ لِلْقُرْآنِ ، هُوَ الطَّرَفُ الْإِلٰهِيُّ ؛ فَإِذاً يُقْبَلُ فِي يَدِهِ ؛ فَيُنْظَرُ كَذٰلِكَ ، إِلَى دَلَائِلِ الْإِثْبَاتِ ؛ فَإِنْ نَقَضَ الطَّرَفُ الْآخَرُ ، جَمِيعَ الدَّلَائِلِ الْعَائِدَةِ إِلَىٰ كَوْنِهِ كَلَامَ اللهِ ، وَاحِداً وَاحِداً ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ ؛ وَإِلَّا فَلَا يَمُدُّهَا ؛ هَيْهَاتَ . .

فَأَيَّةُ يَدٍ ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْلَعَ جَمِيعَ مَسَامِيرِ هٰذِهِ الدُّرَّةِ الْمُعَظَّمَةِ ، الَّتِي سُمِّرَتْ عَلَى الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ ، بِمَسَامِيرِ آلَافِ الْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ ؛ وَأَنْ تَقْطَعَ تِلْكَ الْعَمَدَ ؛ فَتُسْقِطَ تِلْكَ الدُّرَّةَ ؟ .

فَيَا أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ! إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ ، يُحَاكِمُونَ بِهٰذِهِ الْمُحَاكَمَةِ ، عَلَىٰ هٰذِهِ الصُّورَةِ ، رَغْماً لَكَ ؛ حَتّىٰ إِنَّهُمْ يَزْدَادُونَ إِيمَاناً بِالْقُرْآنِ ، فِي أَصْغَرِ دَلِيلٍ أَيْضاً . . وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّذِي تُرِيهِ أَنْتَ وَتَلَامِيذُكَ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا افْتُرِضَ كَلَامَ الْبَشَرِ ؛ يَعْنِي : إِذَا أُلْقِيَتْ تِلْكَ الدُّرَّةُ الْمُعَظَّمَةُ الْمَعْقُودَةُ بِالْعَرْشِ ، إِلَى الْأَرْضِ ؛ يَلْزَمُ بُرْهَانٌ وَاحِدٌ ، فِي قُوَّةِ جَمِيعِ الْمَسَامِيرِ ، وَفِي مَتَانَةِ بَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ ؛ حَتّىٰ يَرْفَعَهَا عَنِ الْأَرْضِ ؛ فَيُسَمِّرَهَا عَلَى الْعَرْشِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ لِيَنْجُوَ عَنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ ؛ وَيَبْلُغَ إِلَىٰ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ ؛ مَعَ أَنَّ النَّجَاحَ لِهٰذَا ، صَعْبٌ جِدّاً ؛ فَلِذٰلِكَ يَفْقِدُ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ ، إِيمَانَهُمْ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، تَحْتَ صُورَةِ الْمُحَاكَمَةِ الْحِيَادِيَّةِ ، بِدَسِيسَتِكَ . .

فَعَادَ الشَّيْطَانُ وَقَالَ : إِنَّ الْقُرْآنَ يُشْبِهُ كَلَامَ الْبَشَرِ ؛ وَهُوَ فِي أُسْلُوبِ مُحَاوَرَتِهِمْ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ ؛ فَلَوْ كَانَ كَلَامَ اللهِ ؛ لَكَانَ لَهُ أُسْلُوبٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، بِكُلِّ جِهَةٍ ، يَلِيقُ بِهِ ؛ فَكَمَا لَا تُشْبِهُ صَنْعَتُهُ صَنْعَةَ الْبَشَرِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا يُشْبِهَ كَلَامُهُ أَيْضاً ، كَلَامَ الْبَشَرِ . .

فَقُلْتُ جَوَاباً لَهُ : كَمَا أَنَّ نَبِيَّنَا بَقِيَ فِي الْبَشَرِيَّةِ ، فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَأَطْوَارِهِ ، مَا عَدَا مُعْجِزَاتِهِ وَخَصَائِصَهُ ؛ فَأَطَاعَ الْعَادَاتِ الْإِلٰهِيَّةَ ، وَالْأَوَامِرَ التَّكْوِينِيَّةَ ؛ وَصَارَ مُنْقَاداً لَهَا

كَالْبَشَرِ ؛ وَهُوَ أَيْضاً يُقَاسِي الْبَرْدَ ؛ وَيُعَانِي الْأَلَمَ وَهٰكَذَا ؛ فَلَمْ يُمْنَحْ كَيْفِيَّةً خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ وَأَطْوَارِهِ ؛ حَتّٰى يَكُونَ إِمَاماً بِأَفعَالِهِ ؛ وَيَكُونَ هَادِياً بِأَطْوَارِهِ لِأُمَّتِهِ ؛ وَيُدَرِّسَ بِجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ . فَلَوْ كَانَ خَارِقاً لِلْعَادَةِ ، فِي كُلِّ أَطْوَارِهِ ؛ لَمَا كَانَ إِمَاماً بِالذَّاتِ ، بِكُلِّ جِهَةٍ ؛ وَلَمَا كَانَ مُرْشِداً مُطْلَقاً ، لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ وَلَمَا كَانَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، إِمَامٌ لِأَهْلِ الشُّعُورِ ، وَمُرْشِدٌ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَهَادٍ لِأَهْلِ الْكَمَالِ ، وَمُعَلِّمٌ لِأَهْلِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَإِذاً مِنَ الضَّرُورِيِّ وَالْقَطْعِيِّ ، أَنْ يَكُونَ عَلٰى نَمَطِ مُحَاوَرَةِ الْبَشَرِ وَأُسْلُوبِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ يَقْتَبِسُونَ عَنْهُ مُنَاجَاتِهِمْ ؛ وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ دَعَوَاتِهِمْ ؛ وَيَذْكُرُونَ بِلِسَانِهِ مَسَائِلَهُمْ ؛ وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ آدَابَ مُعَاشَرَتِهِمْ ؛ وَهٰكَذَا ؛ يَجْعَلُهُ كُلُّ أَحَدٍ مَرْجِعاً ؛ فَإِذاً لَوْ كَانَ عَلٰى أُسْلُوبِ كَلَامِ اللهِ ، الَّذِي سَمِعَهُ مُوسٰى (عليه السلام) فِي طُورِ سَيْنَاءَ ؛ لَمَا تَحَمَّلَ الْبَشَرُ هٰذَا الْكَلَامَ ، فِي السَّمَاعِ وَالِاسْتِمَاعِ ؛ وَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْعَلَهُ مَرْجِعاً . وَإِنَّ وَاحِداً مِثْلَ مُوسٰى (عليه السلام) مِنْ أُولِي الْعَزْمِ ، مَا تَحَمَّلَ إِلَّا سَمَاعَ عِدَّةِ كَلِمَاتٍ ؛ فَقَالَ مُوسٰى (عليه السلام) : (أَهٰكَذَا كَلَامُكَ ؟ قَالَ اللهُ : لِي قُوَّةُ جَمِيعِ الْأَلْسِنَةِ) . .

فَعَادَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً وَقَالَ : إِنَّ كَثِيرِينَ يَذْكُرُونَ ذٰلِكَ النَّوْعَ مِنَ الْمَسَائِلِ ، بِاسْمِ الدِّينِ ، كَمَسَائِلِ الْقُرْآنِ ؛ أَفَلَا يُمْكِنُ لِذٰلِكَ ، أَنْ يَصْنَعَ بَشَرٌ ، شَيْئاً مِثْلَ هٰذَا ، بِاسْمِ الدِّينِ ؟ .

فَقُلْتُ جَوَاباً لَهُ ، بِنُورِ الْقُرْآنِ : ﴿ أَوَّلاً : ﴾ إِنَّ إِنْسَاناً مُتَدَيِّناً ، يَقُولُ لِحُبِّ الدِّينِ : إِنَّ الْحَقَّ كَذَا ؛ وَالْحَقِيقَةَ هٰذَا ؛ وَأَمْرَ اللهِ كَذَا . وَإِلَّا ، فَلَا يُنْطِقُ اللهَ تَعَالٰى ، عَلٰى هَوٰى نَفْسِهِ ؛ وَلَا يَتَجَاوَزُ عَنْ حَدِّهِ ، بِدَرَجَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَلَا يُقَلِّدُ اللهَ ؛ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي مَكَانِهِ تَعَالٰى ؛ وَيَرْتَعِدُ عَنْ دُسْتُورِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾ . .

﴿ وَثَانِياً : ﴾ لَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ بِأَيِّ جِهَةٍ ، أَنْ يَصْنَعَ بَشَرٌ كَذٰلِكَ ؛ وَيُوَفَّقَ عَلٰى حِدَتِهِ ؛ بَلْ مِنَ الْمُحَالِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ أَشْخَاصاً مُتَقَارِبِينَ ، يُمْكِنُ أَنْ يُقَلِّدَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَمَنْ يَكُونُونَ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُهُمْ فِي صُورَةِ بَعْضٍ ؛ وَإِنَّ الْمُتَقَارِبِينَ حَسَبَ الْمَرْتَبَةِ ، يُمْكِنُ أَنْ يُقَلِّدَ بَعْضُهُمْ مَقَامَ بَعْضٍ ؛ فَيُغْفِلُونَ النَّاسَ مُؤَقَّتاً لَا

دَائِماً ؛ لِأَنَّ مَا فِي أَطْوَارِهِ وَأَحْوَالِهِ ، مِنْ أَنْوَاعِ التَّصَنُّعِ وَالتَّكَلُّفِ ، يُظْهِرُ تَصَنُّعَهُ ؛ فَلَا تَدُومُ حِيلَتُهُ ، فِي أَنْظَارِ أَهْلِ الدِّقَّةِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ . وَإِنْ كَانَ السَّاعِي لِلتَّقْلِيدِ بِالتَّصَنُّعِ ، بَعِيداً عَنِ الْآخَرِ غَايَةَ الْبُعْدِ ؛ كَأَنْ يُرِيدَ رَجُلٌ عَادِيٌّ ، أَنْ يُقَلِّدَ دَاهِيَةً مِثْلَ «ابْنِ سِينَا» فِي الْعِلْمِ ؛ وَأَنْ يَتَلَبَّسَ رَاعٍ ، بِكَيْفِيَّةِ سُلْطَانٍ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْدَعُ أَحَداً قَطْعاً ؛ بَلْ يَصِيرُ هُوَ نَفْسُهُ مَسْخَرَةً ؛ وَيُنَادِي كُلُّ حَالٍ لَهُ : أَنَّ هٰذَا مُتَصَنِّعٌ . .

هٰذَا فَإِذَا افْتُرِضَ الْقُرْآنُ ، كَلَامَ الْبَشَرِ ؛ حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ حَاشَا ؛ فَكَمَا أَنَّ مِنَ الْمُحَالِ ، أَنْ يَتَرَاءٰى حُبَاحِبٌ ، لِأَهْلِ الرَّصْدِ ، نَجْماً حَقِيقِيّاً ، بِلَا تَكَلُّفٍ ، أَلْفَ سَنَةٍ ؛ وَأَنْ يُظْهِرَ ذُبَابٌ ، صُورَةَ الطَّاؤُوسِ ، بِلَا تَصَنُّعٍ ، لِأَهْلِ الْعَرْضِ ، سَنَةً تَامَّةً ؛ وَأَنْ يَتَلَبَّسَ مُجَنَّدٌ عَادِيٌّ مُتَصَنِّعٌ ، بِطَوْرِ مُشِيرٍ عَالٍ شَهِيرٍ ؛ وَيَقْعُدَ فِي مُقَامِهِ ؛ وَيَبْقٰى كَذٰلِكَ ، زَمَناً كَثِيراً ؛ وَلَا يُشْعِرَ حِيلَتَهُ ؛ وَأَنْ يُظْهِرَ رَجُلٌ مُفْتَرٍ كَاذِبٌ غَيْرُ مُعْتَقِدٍ ، كَيْفِيَّةَ رَجُلٍ أَعْلٰى صَادِقٍ وَأَمِينٍ وَمُعْتَقِدٍ ، فِي مُدَّةِ عُمُرِهِ دَائِماً ؛ وَيُظْهِرَ طَوْرَهُ بِدُونِ مَخَافَةٍ ، إِزَاءَ أَدَقِّ الْأَنْظَارِ ؛ وَيَخْتَفِيَ تَصَنُّعُهُ ، عَلٰى أَنْظَارِ الدُّهَاةِ ؛ وَمَا هٰذَا إِلَّا مِئَةُ دَرَجَةِ مُحَالٍ ؛ وَلَنْ يَقُولَ ذُو عَقْلٍ أَصْلاً : إِنَّهُ مُمْكِنٌ ؛ وَإِنَّ الِافْتِرَاضَ كَذٰلِكَ ، هَذَيَانٌ كَفَرْضِ مُحَالٍ بَدِيهِيٍّ ، وَاقِعاً ؛ **كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ افْتِرَاضَ الْقُرْآنِ ، كَلَامَ الْبَشَرِ ؛ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ مَاهِيَّةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ الَّذِي يُتَلَقّٰى نَجْمَ حَقِيقَةٍ ، بَلْ شَمْسَ كَمَالَاتٍ ، نَاشِرَةً لِأَنْوَارِ الْحَقَائِقِ دَائِماً ، وَلَمَّاعَةً فِي سَمَاءِ الْإِسْلَامِ بِالْمُشَاهَدَةِ ، اخْتِلَاقاً خُرَافِيّاً لِبَشَرٍ مُتَصَنِّعٍ ، فِي حُكْمِ حُبَاحِبٍ حَاشَاهُ ؛ وَأَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْأَقْرَبُونَ مِنْهُ ، وَالنَّاظِرُونَ إِلَيْهِ بِدِقَّةٍ ؛ وَأَنْ يَعْلَمُوهُ نَجْماً عَالِياً ، وَمَنْبَعاً لِلْحَقَائِقِ ؛ وَمَا هٰذَا إِلَّا مِئَةُ دَرَجَةِ مُحَالٍ ؛ مَعَ أَنَّكَ أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ! إِنْ تَقَدَّمْتَ فِي شَيْطَنَتِكَ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَجْعَلَ لِهٰذَا إِمْكَاناً ؛ وَأَنْ تُقْنِعَ أَيَّ عَقْلٍ لَمْ يَفْسُدْ ؛ وَلٰكِنَّكَ تَغُرُّ بِالْإِنْظَارِ مِنْ بَعِيدٍ مَعْنًى جِدّاً ؛ وَتُرِي النَّجْمَ صَغِيراً كَالْحُبَاحِبِ . .**

﴿ وَثَالِثاً : ﴾ يَلْزَمُ أَيْضاً ، مِنْ فَرْضِ الْقُرْآنِ ، كَلَامَ الْبَشَرِ : أَنْ تَكُونَ حَقِيقَةُ فُرْقَانٍ مُعْجِزِ بَيَانٍ ، مُذَهَّبٍ بِالْمَزَايَا الْعَالِيَةِ ، وَمُوصِلٍ إِلَى السَّعَادَةِ ، وَنَاشِرٍ لِلْحَيَاةِ ، وَأَقْوٰى رُوحاً ،

وَأَعْلَى حَقِيقَةً ، وَأَكْثَرَ جَمْعاً ، بِآثَارِهِ وَتَأْثِيرَاتِهِ وَنَتَائِجِهِ لِعَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالْمُشَاهَدَةِ ، أَنْ تَكُونَ حَقِيقَتُهُ الْخَفِيَّةُ ، تَصْنِيعَ فِكْرِ إِنْسَانٍ وَحِيدٍ ، بِدُونِ مُعَاوَنَةٍ وَبِلَا عِلْمٍ ، حَاشَاهُ ؛ وَأَنْ لَا تَرَى الذَّكَاءَاتُ الْعَظِيمَةُ ، وَالدَّهَاءَاتُ الْعَالِيَةُ النَّاظِرَةُ إِلَيْهِ فِي قُرْبِهَا ، وَالْمُدَقِّقَةُ فِيهِ بِاهْتِمَامٍ ، أَثَرَ التَّقْلِيدِ وَالتَّصَنُّعِ فِيهِ ، فِي أَيِّ زَمَانٍ ، وَفِي أَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً ؛ وَأَنْ تَجِدَ فِيهِ الْجِدَّ وَالتَّصْمِيمَ وَالْإِخْلَاصَ دَائِماً ؛ وَمَا هٰذَا إِلَّا مِئَةُ دَرَجَةِ مُحَالٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ هَذَيَانٌ فِكْرِيٌّ يُخْجِلُ الشَّيْطَانَ أَيْضاً ، شَبِيهٌ بِرُؤْيَةِ مُحَالٍ مُضَاعَفٍ ، وَاقِعاً ؛ وَذٰلِكَ بِأَنْ يُفْتَرَضَ رَجُلٌ يُقْبَلُ وَيُتَلَقَّى أَرْفَعَ وَأَشْرَقَ وَأَعْلَى خَصْلَةً ؛ وَيُرَبِّي الصِّدِّيقِينَ ؛ وَيُدَرِّسُ الْأَمَانَةَ وَالْإِيمَانَ ، وَالْأَمْنَ وَالْإِخْلَاصَ ، وَالْجِدَّ وَالِاسْتِقَامَةَ ؛ وَيُظْهِرُهَا فِي جَمِيعِ حَيَاتِهِ ، بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، أَنْ يُفْتَرَضَ أَدْنَى شَخْصٍ ، بِلَا أَمْنٍ وَلَا إِخْلَاصٍ وَلَا اعْتِقَادٍ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَسَطٌ ؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللهِ بِفَرْضِ الْمُحَالِ ؛ يَسْقُطُ سُقُوطَهُ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْفَرْشِ ؛ وَلَا يَبْقَى فِي الْوَسَطِ ؛ فَيَصِيرُ مَنْبَعَ الْخُرَافَاتِ ؛ وَقَدْ كَانَ مَجْمَعَ الْحَقَائِقِ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي أَظْهَرَ ذٰلِكَ الْمَنْشُورَ الْخَارِقَ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ رَسُولَ اللهِ ــ حَاشَاهُ ثُمَّ حَاشَاهُ ــ يَلْزَمُ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ ، إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ ؛ وَأَنْ يَهْبِطَ مِنْ دَرَجَةِ مَنْبَعِ الْكَمَالَاتِ ، إِلَى مَقَامِ مَعْدِنِ الدَّسَائِسِ ؛ فَلَا يَبْقَى فِي الْوَسَطِ ؛ لِأَنَّ مَنِ افْتَرَى وَكَذَبَ بِاسْمِ اللهِ ؛ يَهْوِي إِلَى أَدْنَى دَرَجَةٍ ؛ فَمَهْمَا كَانَتْ رُؤْيَةُ الذُّبَابِ ، عَلَى صُورَةِ الطَّاؤُوسِ ، بِصُورَةٍ دَائِمَةٍ ، وَمُشَاهَدَةُ أَوْصَافِهِ الْعَظِيمَةِ ، فِي الذُّبَابِ كُلَّ وَقْتٍ ، مُحَالاً ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ أَيْضاً ، مُحَالٌ كَذٰلِكَ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ مَجْنُونٍ سَكْرَانَ لَا عَقْلَ لَهُ فِطْرَةً ؛ حَتّٰى يُعْطِيَ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ احْتِمَالاً . .

﴿ وَرَابِعاً : ﴾ يَلْزَمُ أَيْضاً مِنْ فَرْضِ الْقُرْآنِ ، كَلَامَ الْبَشَرِ : أَنْ يُفْتَرَضَ الْقُرْآنُ الَّذِي هُوَ قَائِدٌ مُقَدَّسٌ لِلْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ جَيْشٍ مُحْتَشَمٍ ، مِنْ بَنِي آدَمَ ، اخْتِلَاقاً لَا أَصْلَ وَلَا قِيمَةَ وَلَا قُوَّةَ لَهُ ؛ حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ حَاشَا ؛ مَعَ أَنَّهُ نَظَّمَ ذٰلِكَ الْجَيْشَ الْعَظِيمَ الْجَرَّارَ ؛ وَأَخَذَهُ تَحْتَ انْضِبَاطٍ ؛ وَجَهَّزَهُ تَجْهِيزاً مَادِّيّاً وَمَعْنَوِيّاً ؛ وَيُعَلِّمُ عُقُولَ جَمِيعِ أَفْرَادِ

ذٰلِكَ الْجَيْشِ ؛ وَيُرَبِّي قُلُوبَهُمْ ؛ وَيُسَخِّرُ أَرْوَاحَهُمْ ؛ وَيُطَهِّرُ وِجْدَانَهُمْ ؛ وَيَسْتَعْمِلُ أَعْضَاءَهُمْ ؛ وَيَسْتَخْدِمُ جَوَارِحَهُمْ ، حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ ، بِقَوَانِينِهِ الْقَوِيَّةِ ، وَدَسَاتِيرِهِ الْأَسَاسِيَّةِ ، وَأَوَامِرِهِ النَّافِذَةِ ، بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ الْجَيْشُ الْجَرَّارُ ، أَنْ يَفْتَحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ؛ فَيَلْزَمُ بِفَرْضِ ذٰلِكَ ، قَبُولُ مِئَةِ دَرَجَةٍ مِنَ الْمُحَالِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يُفْتَرَضَ إِنْسَانٌ كَرِيمٌ ، مَدَارُ الْفَخْرِ حَقّاً ، لِنَوْعِ الْبَشَرِ ، بَلْ لِلْكَائِنَاتِ ، بِشُؤُونَاتِهِ الشَّهِيرَةِ ، الَّتِي أَثَارَتِ الْعَالَمَ إِلَى الضَّجِيجِ ؛ وَيُدَرِّسُ بَنِي آدَمَ ، قَوَانِينَ الْحَقِّ ، بِأَفْعَالِهِ الْجِدِّيَّةِ ؛ وَيُعَلِّمُ الْبَشَرَ ، دَسَاتِيرَ الْحَقِيقَةِ ، بِأَفْعَالِهِ الصَّمِيمَةِ ؛ وَيُظْهِرُ أُصُولَ السَّعَادَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ ؛ وَيُؤَسِّسُهَا بِأَقْوَالِهِ الْخَالِصَةِ الْمَعْقُولَةِ ، فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ ؛ وَيَخَافُ مِنْ عَذَابِ اللهِ كَثِيراً ، بِشَهَادَةِ جَمِيعِ تَرْجَمَةِ حَيَاتِهِ ؛ وَيَعْرِفُ اللهَ ؛ وَيُعَرِّفُهُ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَيَقُودُ خُمُسَ نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَنِصْفَ كُرَةِ الْأَرْضِ ، بِكَمَالِ الْحِشْمَةِ ، أَلْفاً وَثَلَاثَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَاماً ، أَنْ يُفْتَرَضَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ عَنِ اللهِ ؛ وَلَا يَعْرِفُهُ ؛ وَلَا يَتَّقِي عَنِ الْكَذِبِ ؛ وَلَا يَعْرِفُ عِزَّتَهُ ؛ فَيَلْزَمُ بِفَرْضِ ذٰلِكَ ، ارْتِكَابُ مِئَةِ دَرَجَةٍ مِنَ الْمُحَالِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَسَطٌ ؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللهِ ، بِفَرْضِ الْمُحَالِ ؛ وَسَقَطَ عَنِ الْعَرْشِ ؛ لَا يَبْقَى فِي الْوَسَطِ ؛ بَلْ يَلْزَمُ أَنْ يُقْبَلَ أَنَّهُ مَالُ كَذَّابٍ فِي الْأَرْضِ ؛ وَهٰذَا ، أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ! وَإِنْ صِرْتَ شَيْطَاناً مُضَاعَفاً مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَخْدَعَ بِهِ عَقْلاً لَمْ يَفْسُدْ ؛ وَأَنْ تُقْنِعَ بِهِ قَلْباً لَمْ يَتَفَسَّخْ . .

فَعَادَ الشَّيْطَانُ وَقَالَ : كَيْفَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُقْنِعَ ؟ وَقَدْ أَقْنَعْتُ أَكْثَرَ النَّاسِ ، وَمَشَاهِيرَ عُقَلَائِهِمْ ؛ وَأَنْكَرْتُ بِهِمْ «الْقُرْآنَ وَمُحَمَّداً» . .

فَالْجَوَابُ : ﴿ أَوَّلاً : ﴾ أَنَّهُ إِذَا نُظِرَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ يُرَى أَكْبَرُ شَيْءٍ ، كَأَصْغَرِ شَيْءٍ ؛ وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِنَجْمٍ : إِنَّهُ بِقَدْرِ مَشْعَلٍ . .

﴿ وَثَانِياً : ﴾ إِذَا نُظِرَ نَظَراً تَبَعِيّاً وَسَطْحِيّاً ؛ يُمْكِنُ أَنْ يُرَى شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ لِلْغَايَةِ ، مُمْكِناً . فَفِي زَمَنٍ مَّا نَظَرَ رَجُلٌ هَرِمٌ ، إِلَى السَّمَاءِ ، لِرُؤْيَةِ هِلَالِ رَمَضَانَ ؛ فَنَزَلَتْ شَعْرَةٌ بَيْضَاءُ عَلَى عَيْنِهِ ؛ فَظَنَّ تِلْكَ الشَّعْرَةَ هِلَالاً ؛ فَقَالَ : رَأَيْتُ الْهِلَالَ ؛ فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ

الْهِلَالُ ، تِلْكَ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ ؛ وَلٰكِنَّهُ نَظَرَ قَصْداً وَبِالذَّاتِ ، إِلَى الْهِلَالِ ؛ وَتَرَاءَتْ تِلْكَ الشَّعْرَةُ ، ثَانِياً وَبِالتَّبَعِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَلَقَّى ذٰلِكَ الْمُحَالَ مُمْكِناً . .

﴿ وَثَالِثاً : ﴾ أَنَّ عَدَمَ الْقَبُولِ شَيْءٌ ؛ وَالْإِنْكَارَ شَيْءٌ آخَرُ ؛ فَعَدَمُ الْقَبُولِ ، عَدَمُ مُبَالَاةٍ ، وَإِغْمَاضُ عَيْنٍ ، وَنَفْيٌ شِبْهُ جَهْلٍ ؛ فَيَخْتَفِي فِي هٰذِهِ الصُّورَةِ ، أُمُورٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ ؛ فَلَا يَشْتَغِلُ بِهَا عَقْلُهُ . وَأَمَّا الْإِنْكَارُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَدَمَ قَبُولٍ ؛ بَلْ قَبُولُ عَدَمٍ ؛ وَحُكْمٌ يُضْطَرُّ عَقْلُهُ إِلَى الْحَرَكَةِ فِيهِ ؛ فَيَسْلُبُ شَيْطَانٌ مِثْلُكَ ، عَقْلَهُ مِنْ يَدِهِ ، فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ؛ ثُمَّ يُلْقِمُهُ الْإِنْكَارَ ؛ وَأَيْضاً أَنَّكَ أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ! أَلْقَمْتَ أُولٰئِكَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي عَلٰى صُورَةِ أَشْقِيَاءِ النَّاسِ ، الْكُفْرَ وَالْإِنْكَارَ الْمُنْتِجَ لِمُحَالَاتٍ كَثِيرَةٍ ، بِدَسَائِسَ شَيْطَانِيَّةٍ تُرِي الْبَاطِلَ حَقّاً ؛ وَالْمُحَالَ مُمْكِناً ، مِثْلِ الْغَفْلَةِ وَالضَّلَالَةِ ، وَالسَّفْسَطَةِ وَالْعِنَادِ ، وَالْمَغْلَطَةِ وَالْمُكَابَرَةِ ، وَالْإِغْفَالِ وَالتَّقْلِيدِ . .

﴿ وَرَابِعاً : ﴾ يَلْزَمُ أَيْضاً مِنْ فَرْضِ الْقُرْآنِ ، كَلَامَ الْبَشَرِ : أَنْ يُتَصَوَّرَ كِتَابٌ يُرْشِدُ بِالْمُشَاهَدَةِ ، الْأَقْطَابَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالْأَصْفِيَاءَ الْمُتَلَأْلِئِينَ كَالنُّجُومِ ، فِي سَمَاءِ عَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَيُعَلِّمُ بِالْبَدَاهَةِ ، جَمِيعَ طَبَقَاتِ أَهْلِ الْكَمَالِ ، الْحَقَّ وَالْحَقَّانِيَّةَ ، وَالصِّدْقَ وَالصَّدَاقَةَ ، وَالْأَمْنَ وَالْأَمَانَةَ دَائِماً ؛ وَيُؤَمِّنُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ ، بِحَقَائِقِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَبِدَسَاتِيرِ الْأَرْكَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَيَلْزَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ حَقّاً خَالِصاً ، وَحَقِيقَةً خَالِصَةً ، وَصَادِقاً غَايَةَ الصِّدْقِ ، وَجَادّاً غَايَةَ الْجِدِّ ، بِشَهَادَةِ إِجْرَاءَاتِهِ هٰذِهِ ، أَنْ يُتَصَوَّرَ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِضِدِّ أَوْصَافِهِ وَأَنْوَارِهِ وَتَأْثِيرَاتِهِ ؛ وَأَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ مَجْمُوعَةِ مُلَفَّقَاتٍ وَمُفْتَرَيَاتٍ ؛ حَاشَاهُ حَاشَاهُ ؛ وَذٰلِكَ هَذَيَانٌ كُفْرِيٌّ شَنِيعٌ ، يُخْجِلُ وَيُرْجِفُ السُّوفِسْطَائِيِّينَ وَالشَّيَاطِينَ أَيْضاً ؛ مَعَ أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يُفْتَرَضَ إِنْسَانٌ أَعْلٰى صَادِقٍ وَأَمِينٍ وَمَتِينٍ وَمُعْتَقِدٍ ، بِشَهَادَةِ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا ، وَبِدَلَالَةِ عُبُودِيَّتِهِ الصَّافِيَةِ الْخَالِصَةِ ، وَتَقْوَاهُ الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ بِالْاِتِّفَاقِ ، الَّتِي أَظْهَرَهَا فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ ، وَبِاقْتِضَاءِ أَخْلَاقِهِ الْحَسَنَةِ الَّتِي شُوهِدَتْ فِيهِ بِالْاِتِّفَاقِ ، وَبِتَصْدِيقِ جَمِيعِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، وَأَصْحَابِ الْكَمَالَاتِ الَّذِينَ رَبَّاهُمْ ؛ أَنْ يُفْتَرَضَ فِي كَيْفِيَّةٍ بِدُونِ اعْتِقَادٍ وَلَا أَمْنٍ ،

لَا يَخَافُ مِنَ اللهِ ؛ وَلَا يَجْتَنِبُ عَنِ الْكَذِبِ ؛ حَاشَاهُ ثُمَّ حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ حَاشَا ؛ فَيَلْزَمُ ارْتِكَابُ صُورَةٍ مِنَ الْمُحَالَاتِ ، أَشَدَّ شَنَاعَةً وَكَرَاهَةً ، وَارْتِكَابُ كَيْفِيَّةٍ مِنَ الضَّلَالَةِ ، أَشَدَّ ظُلْماً وَظُلْمَةً . .

اَلْحَاصِلُ : كَمَا أَنَّ طَبَقَةَ الْعَوَامِّ ذَوِي الْآذَانِ ، قَالَتْ فِي فَهْمِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ : «إِذَا قِيسَ الْقُرْآنُ عَلَى جَمِيعِ الْكُتُبِ الَّتِي تُوجَدُ فِي الدُّنْيَا ؛ وَسَمِعْتُهَا ؛ لَا يُشْبِهُ أَحَداً مِنْهَا ؛ وَلَيْسَ فِي دَرَجَتِهَا ؛ فَإِذاً إِنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا تَحْتَ الْكُلِّ ؛ أَوْ لَهُ دَرَجَةٌ فَوْقَ الْكُلِّ ؛ فَشِقُّ كَوْنِهِ تَحْتَ الْكُلِّ مُحَالٌ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يَقُولُهُ أَيُّ عَدُوٍّ ؛ وَلَا يَقْبَلُهُ حَتَّى الشَّيْطَانُ أَيْضاً ؛ فَإِذاً إِنَّ الْقُرْآنَ فَوْقَ كُلِّ الْكُتُبِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ مُعْجِزٌ» ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ ؛ كَذَلِكَ بِعَيْنِهِ نَقُولُ نَحْنُ أَيْضاً ، بِأَقْطَعِ الْحُجَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِالسَّبْرِ وَالتَّقْسِيمِ ، حَسَبَ عِلْمِ الْأُصُولِ وَفَنِّ الْمَنْطِقِ : أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ، وَيَا تَلَامِذَةَ الشَّيْطَانِ ! إِنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا كَلَامُ اللهِ ، نَزَلَ مِنَ الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ ، وَالِاسْمِ الْأَعْظَمِ ؛ وَإِمَّا إِنَّهُ اخْتِلَاقُ بَشَرٍ فِي الْأَرْضِ ، غَيْرِ مُعْتَقِدٍ ، لَا يَخَافُ مِنَ اللهِ ؛ وَلَا يَعْرِفُهُ ؛ حَاشَاهُ ثُمَّ حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ حَاشَاهُ . وَإِنَّ هٰذَا ، أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ! لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَهُ ؛ وَمَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُولَهُ ؛ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُولَهُ ، أَمَامَ الْحُجَجِ السَّابِقَةِ . فَإِذاً إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، بِالضَّرُورَةِ وَبِلَا شُبْهَةٍ ؛ لِأَنَّهُ لَا وَسَطَ لَهُ ؛ وَلِأَنَّهُ مُحَالٌ لَا يُمْكِنُ ؛ كَمَا أَثْبَتْنَا بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ؛ فَرَأَيْتَهُ وَسَمِعْتَهُ . .

وَكَذَا أَنَّ «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، إِمَّا رَسُولُ اللهِ ، وَأَكْمَلُ كُلِّ الرُّسُلِ ، وَأَفْضَلُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَإِمَّا أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يُفْتَرَضَ[1] بَشَراً غَيْرَ مُعْتَقِدٍ ؛ سَقَطَ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ ؛ حَيْثُ افْتَرَى عَلَى اللهِ ؛ وَلَا يَعْرِفُ اللهَ ؛ وَلَا يُؤْمِنُ بِعَذَابِ اللهِ ؛ حَاشَاهُ

---

(١) إِنِّي اضْطُرِرْتُ مُرْتَعِداً إِلَى اسْتِعْمَالِ هٰذِهِ التَّعْبِيرَاتِ ، عَلَى صُورَةِ فَرْضِ الْمُحَالِ ؛ لِإِظْهَارِ مُحَالِيَّةِ فِكْرِ أَهْلِ الضَّلَالِ كُلِّيّاً ، وَلِإِظْهَارِ فَسَادِ فِكْرِهِمُ الْكُفْرِيِّ مِنْ أَصْلِهِ ، مُسْتَنِداً إِلَى ذِكْرِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، كُفْرِيَّاتِ الْكُفَّارِ ، وَتَعْبِيرَاتِهِمُ الْغَلِيظَةَ ، لِأَجْلِ إِبْطَالِهَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ حَاشَاهُ . وَإِنَّ هٰذا ، يَا إِبْلِيسُ ! لَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ ، وَلَا مَنْ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَلَاسِفَةِ أُورُوبَّا ، وَمُنَافِقِي آسِيا ، أَنْ تَقُولُوا هٰذَا ؛ وَمَا اسْتَطَعْتُمْ وَلَا تَسْتَطِيعُونَ ؛ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَقُولُوا ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَنْ يَسْمَعُ هٰذَا الشِّقَّ وَيَقْبَلُهُ ؛ فَلِذٰلِكَ يَقُولُ أَشَدُّ أُولَائِكَ الْفَلَاسِفَةِ إِفْسَاداً ، وَأَفْسَدُ أُولَائِكَ الْمُنَافِقِينَ وِجْدَاناً ، الَّذِينَ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ : إِنَّ «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) كَانَ كَثِيرَ الْعَقْلِ ، وَحَمِيدَ الْأَخْلَاقِ جِدّاً . .

فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ ، مُنْحَصِرَةً عَلَى شِقَّيْنِ ؛ وَكَانَ الشِّقُّ الثَّانِي مُحَالاً ؛ وَلَا يَدَّعِي أَحَدٌ هٰذَا أَصْلاً ؛ وَقَدْ أَثْبَتْنَا بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ ، أَنَّهُ لَا وَسَطَ لَهَا ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) رَسُولُ اللهِ بِالضَّرُورَةِ ، وَأَكْمَلُ جَمِيعِ الرُّسُلِ ، وَأَفْضَلُ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ ، بِالْبَدَاهَةِ ، وَبِحَقِّ الْيَقِينِ ، رَغْماً لَكَ وَلِحِزْبِ الشَّيْطَانِ . .

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، بِعَدَدِ الْمَلَكِ وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ . .

اِعْتِرَاضٌ ثَانٍ صَغِيرٌ لِلشَّيْطَانِ :

إِنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أَقْرَأُ سُورَةَ ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ ؛ قَرَأْتُ هٰذِهِ الْآيَاتِ : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۞ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۞ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۞ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۞ وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۞ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۞﴾ ؛ فَقَالَ الشَّيْطَانُ : إِنَّكُمْ تَجِدُونَ أَهَمَّ فَصَاحَةِ الْقُرْآنِ ، فِي سَلَاسَتِهِ وَوُضُوحِهِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَنْتَقِلُ فِي هٰذِهِ الْآيَاتِ ، مِنْ أَيْنَ إِلَى أَيْنَ ؟ فَيَقْفِزُ مِنَ السَّكَرَاتِ إِلَى الْقِيَامَةِ ؛ وَيَنْتَقِلُ مِنْ نَفْخِ الصُّورِ ، إِلَى خِتَامِ الْمُحَاسَبَةِ ؛ وَمِنْهُ يَذْكُرُ الْإِدْخَالَ فِي جَهَنَّمَ . فَأَيُّ سَلَاسَةٍ تَبْقَى فِي هٰذِهِ الْاِنْتِقَالَاتِ الْعَجِيبَةِ ؟ وَإِنَّ الْقُرْآنَ يُوَحِّدُ أَمْثَالَ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُتَبَاعِدَةِ ، فِي أَكْثَرِ مَوَاضِعِهِ ؛ فَأَيْنَ تَبْقَى السَّلَاسَةُ وَالْفَصَاحَةُ ، بِمِثْلِ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةِ غَيْرِ الْمُنَاسِبَةِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ مِنْ أَهَمِّ أُسسِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، بَعْدَ الْبَلاغَةِ ، هُوَ الإِيجَازَ ؛ فَإِنَّ الإِيجَازَ أَسَاسُ أَحْكَمُ وَأَهَمُّ ، لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ؛ وَأَنَّ هٰذَا الإِيجَازَ الْمُعْجِزَ ، فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، كَثِيرٌ وَلَطِيفٌ بِحَيْثُ يَكُونُ أَهْلُ التَّدْقِيقِ ، فِي الْحَيْرَةِ أَمَامَهُ . .

فَمَثَلاً : إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿وَقِيلَ يَآ أَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ وَيَا سَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ، يُبَيِّنُ حَادِثَةَ الطُّوفَانِ الْعَظِيمَةَ ، بِنَتَائِجِهَا ، بِعِدَّةِ جُمَلٍ قَصِيرَةٍ ، بَيَاناً مُوجَزاً وَمُعْجِزاً ؛ أَسْجَدَ لِبَلاغَتِهِ كَثِيراً مِنْ أَهْلِ الْبَلاغَةِ . .

وَكَذَا إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ۞ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ مَثَلاً ، يُبَيِّنُ حَادِثَاتِ قَوْمِ ثَمُودَ ، وَنَتَائِجَهَا الْعَجِيبَةَ الْمُهِمَّةَ ، وَسُوءَ عَاقِبَتِهِمْ ، بِعِدَّةِ جُمَلٍ قَصِيرَةٍ ، بِإِعْجَازٍ فِي إِيجَازٍ ، وَبِوَجْهٍ سَلِسٍ وَوَاضِحٍ ، لَا يُخِلُّ بِالْفَهْمِ . .

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادٰى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ مَثَلاً ؛ فَإِنَّ جُمَلاً كَثِيرَةً ، مَطْوِيَّةٌ مِنْ كَلِمَةِ ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ إِلٰى جُمْلَةِ ﴿فَنَادٰى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ الْجُمَلَ غَيْرَ الْمَذْكُورَةِ ، لَا تُخِلُّ بِالْفَهْمِ ؛ وَلَا تَضُرُّ بِالسَّلاسَةِ . فَذَكَرَ الْأُسُسَ الْمُهِمَّةَ ، مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ وَأَحَالَ الْبَوَاقِيَ ، عَلَى الْعَقْلِ . .

وَكَذَا طُوِيَتْ سَبْعُ جُمَلٍ أَوْ ثَمَانِيَةٌ ، بِالْإِيجَازِ ، مِنْ كَلِمَةِ ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ ، فِي سُورَةِ يُوسُفَ ؛ وَلَا تُخِلُّ بِالْفَهْمِ أَصْلاً ؛ وَلَا تَضُرُّ بِالسَّلاسَةِ . فَهٰذَا النَّوْعُ مِنَ الْإِيجَازِ الْمُعْجِزِ ، كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَطِيفٌ جِدّاً . .

وَأَمَّا آيَاتُ سُورَةِ قٓ ؛ فَإِنَّ مَا فِيهَا مِنَ الْإِيجَازِ ، عَجِيبٌ وَمُعْجِزٌ جِدّاً ؛ لِأَنَّهَا تُشِيرُ إِلٰى مُسْتَقْبَلِ الْكَافِرِ ، ذٰلِكَ الْمُسْتَقْبَلِ الْهَائِلِ جِدّاً ، وَالْمَدِيدِ كَثِيراً ، الَّذِي يَكُونُ يَوْمُهُ الْوَاحِدُ ،

خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ؛ وَتَضَعُ بِأَصَابِعِهَا ، عَلَى الْحَادِثَاتِ الْمُهِمَّةِ الْأَلِيمَةِ ، الَّتِي تُصِيبُ الْكَافِرَ ، فِي الاِنْقِلاَبَاتِ الْهَائِلَةِ ، مِنْ ذٰلِكَ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً ؛ فَتُسَيِّرُ الْفِكْرَ ، عَلَيْهَا كَالْبَرْقِ ؛ وَتَعْرِضُ عَلَى النَّظَرِ ، ذٰلِكَ الزَّمَانَ الْمَدِيدَ جِدّاً ، كَصَحِيفَةٍ حَاضِرَةٍ ؛ وَتُحِيلُ بِالْحَادِثَاتِ الَّتِي لَمْ تُذْكَرْ ، عَلَى الْخَيَالِ ؛ وَتُبَيِّنُهَا بِسَلاَسَةٍ عَالِيَةٍ . .

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . .

هٰذَا ، فَيَا أَيُّهَا الشَّيْطَانُ ! إِنْ بَقِيَ لَكَ الْآنَ ، كَلاَمٌ آخَرُ ؛ فَاذْكُرْهُ . .

يَقُولُ الشَّيْطَانُ : إِنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُقَاوِمَ وَأُدَافِعَ أَمَامَ هٰذِهِ الْبَيَانَاتِ ؛ وَلٰكِنْ يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنَ الْحَمَاقَى ؛ يَسْتَمِعُونَنِي ؛ وَكَثِيرٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، عَلٰى صُورَةِ الْإِنْسِ ؛ يُعِينُونَنِي ، وَفَرَاعِنَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْفَلاَسِفَةِ يَدْرُسُونَ عَنِّي ، مَسَائِلَ تُثِيرُ كِبْرَهُمْ ؛ فَيَسُدُّونَ أَمَامَ نَشْرِ أَمْثَالِ أَقْوَالِكَ هٰذِهِ ؛ فَلِهٰذَا لاَ أَسْتَسْلِمُ لَكَ بِسِلاَحِي . .

﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . .

اَلْمَبْحَثُ الثَّانِي :

كُتِبَ هٰذَا الْمَبْحَثُ ، إِزَاءَ حَيْرَةِ مَنْ يَخْدُمُونَنِي دَائِماً ، حَيْرَةً نَاشِئَةً عَنِ اخْتِلاَفٍ عَجِيبٍ يَرَوْنَهُ فِي أَخْلاَقِي ، وَلِتَعْدِيلِ حُسْنِ ظَنِّ تِلْمِيذَيْنِ لِي ، فِي حَقِّي ، زِيَادَةً عَلٰى حَدِّي . .

إِنِّي أَرٰى أَنَّ بَعْضَ كَمَالاَتٍ عَائِدَةٍ إِلٰى حَقَائِقِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، يُسْنَدُ إِلٰى وُسَطَاءَ يَدُلُّونَ عَلٰى تِلْكَ الْحَقَائِقِ ؛ وَهٰذَا خَطَأٌ ؛ لِأَنَّ قُدْسِيَّةَ الْمَأْخَذِ ، تُؤَثِّرُ تَأْثِيراً فِي قُوَّةِ بَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ ؛ فَبِذٰلِكَ يُلْزِمُ الْعُمُومَ ، عَلٰى قَبُولِ الْأَحْكَامِ ؛ فَمَتٰى أَظَلَّ الدَّالُّ وَالْوَكِيلُ : أَيْ تَوَجَّهَ النَّاسُ إِلَيْهِمَا ؛ يَغِيبُ مَا فِي ذٰلِكَ الْمَأْخَذِ ، مِنْ تَأْثِيرِ الْقُدْسِيَّةِ ؛ فَلِهٰذَا السِّرِّ سَأُبَيِّنُ حَقِيقَةً ، لِإِخْوَانِيَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ التَّوَجُّهَ إِلَيَّ ، أَكْثَرَ مِنْ حَدِّي بِكَثِيرٍ ؛ وَهِيَ : أَنَّ إِنْسَاناً مَا ،

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَخْصِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ ؛ وَتُظْهِرُ تِلْكَ الشَّخْصِيَّاتُ ، أَخْلاقاً مُخْتَلِفَةً . .

مَثَلاً : إِنَّ مُوَظَّفاً كَبِيراً ، يَكُونُ لَهُ شَخْصِيَّةٌ تَقْتَضِي الْوَقَارَ ؛ وَتَسْتَلْزِمُ أَطْوَاراً تُحَافِظُ عَلٰى عِزَّةِ الْمَقَامِ ؛ حِينَمَا يَكُونُ فِي مَقَامِ التَّوْظِيفِ . فَإِظْهَارُ التَّوَاضُعِ مَثَلاً ، لِكُلِّ زَائِرٍ ، تَذَلُّلٌ وَتَنْزِيلٌ لِلْمَقَامِ ؛ وَلٰكِنَّ شَخْصِيَّتَهُ فِي دَارِهِ ، تَقْتَضِي بَعْضَ أَخْلاقٍ ، بِعَكْسِ الْمَقَامِ ؛ فَمَهْمَا تَوَاضَعَ ؛ يَكُونُ أَوْلٰى ؛ وَإِذَا أَظْهَرَ وَقَاراً يَسِيراً ؛ يَكُونُ تَكَبُّراً ؛ وَهٰكَذَا ؛ فَإِذاً إِنَّ لِإِنْسَانٍ مَّا ، شَخْصِيَّةً بِاعْتِبَارِ وَظِيفَتِهِ ؛ تُخَالِفُ شَخْصِيَّتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ ، فِي نِقَاطٍ كَثِيرَةٍ . فَإِنْ كَانَ صَاحِبُ تِلْكَ الْوَظِيفَةِ ، لائِقاً بِهَا حَقِيقَةً ، وَمُسْتَعِدّاً لَهَا تَمَاماً ؛ يَتَقَارَبُ شَخْصِيَّتَاهُ تَانِكَ . وإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعِدّاً لَهَا ؛ كَأَنْ أُقِيمَ مُجَنَّدٌ ، فِي مُقَامِ مُشِيرٍ مَثَلاً ؛ تَقَعُ تَانِكَ الشَّخْصِيَّتَانِ مُتَبَاعِدَتَيْنِ ؛ وَلا تَقْبَلُ خَصَائِلُ ذٰلِكَ الْمُجَنَّدِ ، خَصَائِلُهُ الشَّخْصِيَّةُ الْعَادِيَّةُ الْحَقِيرَةُ ، التَّأْلِيفَ مَعَ الْأَخْلاقِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا الْمَقَامُ . هٰذَا ؛ فَإِنَّ فِي أَخِيكُمُ الْبَائِسِ هٰذَا ، ثَلاثَ شَخْصِيَّاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ ؛ وَإِنَّهَا مُتَبَاعِدَةٌ كُلَّ الْبُعْدِ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ لِي شَخْصِيَّةً مُؤَقَّتَةً عَائِدَةً إِلَى الْقُرْآنِ فَحَسْبُ ، فِي جِهَةِ كَوْنِي دَلَّالاً عَلٰى خَزِينَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، تِلْكَ الْخَزِينَةِ الْعَالِيَةِ ؛ فَتُوجَدُ أَخْلاقٌ عَالِيَةٌ جِدّاً ، تَقْتَضِيهَا تِلْكَ الدَّلَّالِيَّةُ ؛ وَهِيَ لَيْسَتْ أَخْلاقِي ؛ وَلَسْتُ مَالِكاً لَهَا ؛ بَلْ هِيَ سَجَايَا يَقْتَضِيهَا ذٰلِكَ الْمَقَامُ ، وَتِلْكَ الْوَظِيفَةُ ؛ فَمَا تَرَوْنَهُ فِيَّ ، مِنْ هٰذَا النَّوْعِ ؛ فَلَيْسَ لِي ؛ وَلا تَنْظُرُوا بِهِ إِلَيَّ ؛ فَإِنَّهُ لِلْمَقَامِ . .

اَلشَّخْصِيَّةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ شَخْصِيَّةٌ تُوهَبُ بِإِحْسَانِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ ؛ إِذَا أَتَوَجَّهُ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، حِينَ الْعُبُودِيَّةِ . فَهٰذِهِ الشَّخْصِيَّةُ تُظْهِرُ بَعْضَ آثَارٍ ؛ وَتِلْكَ الْآثَارُ تَنْشَأُ عَنْ نِقَاطٍ هِيَ أُسُسٌ لِمَعْنَى الْعُبُودِيَّةِ ؛ وَهِيَ مَعْرِفَةُ تَقْصِيرِهِ ، وَإِدْرَاكُ عَجْزِهِ وَفَقْرِهِ ، وَالِالْتِجَاءُ بِالتَّذَلُّلِ ، إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَإِنِّي أَرٰى نَفْسِي بِتِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ ، أَشْقٰى وَأَعْجَزَ ، وَأَفْقَرَ وَأَقْصَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَلَوْ مَدَحَتْنِيَ الدُّنْيَا كُلُّهَا ؛ وَأَثْنَتْ عَلَيَّ ؛ لَمَا أَقْنَعَتْنِي أَنِّي فَاضِلٌ وَصَاحِبُ كَمَالٍ . .

وَالثَّالِثَةُ : هِيَ شَخْصِيَّتِي الْحَقِيقِيَّةُ ؛ أَعْنِي أَنَّ لِي شَخْصِيَّةً هِيَ بَقِيَّةُ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ؛ وَهِيَ بَعْضُ أَعْصَابٍ مَوْرُوثَةٍ عَنِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ؛ فَيُوجَدُ فِيهَا أَحْيَاناً ، مَيْلٌ إِلَى الرِّيَاءِ ، وَحُبِّ الْجَاهِ ؛ وَكَذَا أَنِّي لَسْتُ مِنْ أُسْرَةٍ أَصِيلَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ تُرٰى أَخْلاقٌ سُفْلِيَّةٌ دَنِيئَةٌ ، مَعَ اقْتِصَادٍ فِي دَرَجَةِ الْخِسَّةِ . .

فَيَا إِخْوَانِي ! إِنِّي لَا أَذْكُرُ سُوءَ أَحْوَالِ شَخْصِيَّتِي هٰذِهِ ، وَسَيِّئَاتِهَا الْكَثِيرَةَ الْخَفِيَّةَ ؛ لِئَلَّا أُنَفِّرَكُمْ كُلِّيّاً . .

هٰذَا ، فَيَا إِخْوَانِي ! إِنَّ شَخْصِيَّتِي هٰذِهِ ، بَعِيدَةٌ جِدّاً ، عَنِ الْأَخْلاقِ وَالْآثَارِ الْمَوْجُودَةِ فِي وَظِيفَتَيِ الدَّلَّالِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ ؛ لِأَنِّي لَسْتُ مُسْتَعِدّاً ، وَصَاحِبَ مَقَامٍ ؛ وَكَذَا أَنَّ اللهَ تَعَالٰى أَظْهَرَ بِهٰذَا الْوَجْهِ ، قُدْرَتَهُ فِي حَقِّي ، عَلٰى وَجْهِ الرَّحْمَةِ ، بِقَاعِدَةِ : (أَنَّ الِاسْتِعْدَادَ لَيْسَ شَرْطاً لِإِحْسَانِ اللهِ تَعَالٰى) (١) ؛ فَيَسْتَخْدِمُ شَخْصِيَّتِي هٰذِهِ ، الَّتِي هِيَ كَأَدْنٰى مُجَنَّدٍ ، فِي خِدْمَةِ الْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ أَعْلٰى مَقَامٍ مُشِيرِيَّةٍ ؛ فَلَهُ مِئَاتُ آلافِ شُكْرٍ ؛ «فَإِنَّ النَّفْسَ أَدْنٰى مِنَ الْكُلِّ ؛ وَالْوَظِيفَةَ أَعْلٰى مِنَ الْكُلِّ» . . (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) . .

اَلْمَبْحَثُ الثَّالِثُ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثٰى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ؛

يَعْنِي : لِتَعَارَفُوا مُنَاسَبَاتِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ فَتَعَاوَنُوا عَلَيْهَا ؛ وَلَا تَنَاكَرُوا فَتَخَاصَمُوا ؛

يَعْنِي : أَنِّي خَلَقْتُكُمْ طَوَائِفَ وَشُعُوباً وَقَبَائِلَ ؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ؛ وَإِلَّا فَمَا خَلَقْتُكُمْ ؛

(١) نَصُّ الْمِصْرَاعِ الْفَارِسِيِّ : (دَادِ حَقّْ رَا قَابِلِيَّتْ ، شَرْطْ نِيسْتْ) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

لِيَنْظُرَ بَعْضُكُمْ بِالْإِنْكَارِ ، إِلَى بَعْضٍ ، نَظَرَ الْأَجْنَبِيِّ ؛ فَتَعَادَوْا وَتَخَاصَمُوا . .

وَهٰذَا الْمَبْحَثُ سَبْعُ مَسَائِلَ . . ﴿ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : ﴾ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي تُفِيدُهَا هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ، اضْطُرِرْتُ إِلَى كِتَابَتِهَا ، بِقَصْدِ خِدْمَةٍ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ ، وَبِنِيَّةِ تَشْكِيلِ دِفَاعٍ لِهَجَمَاتٍ ظَالِمَةٍ ، لَا بِلِسَانِ «السَّعِيدِ الْجَدِيدِ» الَّذِي يُرِيدُ التَّجَنُّبَ عَنِ الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ، بَلْ بِلِسَانِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» الْمُتَنَاسِبِ مَعَ حَيَاةِ الْإِسْلَامِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ؛ لِأَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلَى الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ نَقُولُ لِبَيَانِ دُسْتُورِ التَّعَارُفِ وَالتَّعَاوُنِ ، الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ هٰذِهِ الْآيَةُ : «إِنَّهُ كَمَا يُقَسَّمُ جَيْشٌ إِلَى الْأَلْوِيَةِ ؛ وَالْأَلْوِيَةُ إِلَى الْفِرَقِ ؛ وَالْفِرَقُ إِلَى الْكَتَائِبِ ؛ وَالْكَتَائِبُ إِلَى السَّرَايَا وَالْأَفْوَاجِ ، حَتَّى الْفَصَائِلِ ؛ لِتُعْرَفَ مُنَاسَبَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، لِكُلِّ فَرْدٍ ؛ وَتُعْلَمَ وَظَائِفُهُ حَسَبَ تِلْكَ الْمُنَاسَبَاتِ ؛ حَتّٰى يُؤَدِّيَ أَفْرَادُ ذٰلِكَ الْجَيْشِ ، وَظِيفَةً عُمُومِيَّةً حَقِيقِيَّةً ، تَحْتَ دُسْتُورِ التَّعَاوُنِ ؛ وَتَبْقَى حَيَاتُهُمُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ ، مَصُونَةً عَنْ هُجُومِ الْأَعْدَاءِ . وَإِلَّا فَلَيْسَ التَّفْرِيقُ وَالاِنْقِسَامُ ؛ لِتُعَارِضَ سَرِيَّةٌ ، إِزَاءَ سَرِيَّةٍ ؛ وَتُخَاصِمَ كَتِيبَةٌ كَتِيبَةً ؛ وَتَعْمَلَ فِرْقَةٌ ضِدَّ فِرْقَةٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : فَإِنَّ الْهَيْئَةَ الاِجْتِمَاعِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، جَيْشٌ عَظِيمٌ ؛ انْقَسَمَ إِلَى الطَّوَائِفِ وَالْقَبَائِلِ ؛ وَلٰكِنْ لَهَا أَلْفُ جِهَةٍ ، وَجِهَةٌ مِنْ جِهَاتِ الْوَحْدَةِ ؛ فَإِنَّ خَالِقَهُمْ وَاحِدٌ ؛ وَرَازِقَهُمْ وَاحِدٌ ؛ وَنَبِيَّهُمْ وَاحِدٌ ؛ وَقِبْلَتَهُمْ وَاحِدَةٌ ؛ وَكِتَابَهُمْ وَاحِدٌ ؛ وَوَطَنَهُمْ وَاحِدٌ ؛ وَهٰكَذَا ، إِلَى آلَافِ جِهَةِ وَحْدَةٍ . فَهٰذِهِ الْوَحَدَاتُ تَقْتَضِي الْأُخُوَّةَ وَالْمَحَبَّةَ وَالْوَحْدَةَ . فَإِذاً إِنَّ الاِنْقِسَامَ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالطَّوَائِفِ ، إِنَّمَا هُوَ لِلتَّعَارُفِ وَالتَّعَاوُنِ ؛ كَمَا أَعْلَنَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ ، لَا لِلتَّنَاكُرِ وَالتَّخَاصُمِ» . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ فِكْرَ الْقَوْمِيَّةِ قَدْ تَقَدَّمَ فِي هٰذَا الْعَصْرِ كَثِيراً ، لَاسِيَّمَا أَنَّ ظَلَمَةَ أُورُوبَّا الدَّسَّاسِينَ يُوقِظُونَ هٰذَا الْفِكْرَ ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، بِشَكْلٍ سَلْبِيٍّ ؛ حَتّٰى يُفَرِّقُوهُمْ فَيَبْتَلِعُوهُمْ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ فِي فِكْرِ الْقَوْمِيَّةِ ، ذَوْقاً نَفْسِيّاً ، وَلَذَّةً غَافِلَةً ، وَقُوَّةً شَائِمَةً ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يُقَالُ لِمَنْ يَشْتَغِلُونَ بِالْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ : اتْرُكُوا فِكْرَ الْقَوْمِيَّةِ ؛

وَلٰكِنَّ فِكْرَ الْقَوْمِيَّةِ ، عَلٰى قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ سَلْبِيٌّ شَائِمٌ ضَارٌّ ، يَتَغَذّٰى بِابْتِلاعِ غَيْرِهِ ؛ وَيَدُومُ بِعَدَاوَةِ مَنْ سِوَاهُ ؛ وَيَتَحَرَّكُ مُتَيَقِّظاً . فَهٰذَا سَبَبٌ لِلْمُخَاصَمَةِ وَالاِخْتِلافِ ؛ فَلِذٰلِكَ قَالَ (ﷺ) فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : مَا مَعْنَاهُ ﴿اَلْإِسْلامِيَّةُ جَبَّتِ الْعَصَبِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ ؛ وَقَالَ اللهُ تَعَالٰى فِي الْقُرْآنِ : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوٰى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ ؛ فَإِنَّ هٰذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ ، وَهٰذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ، لا تَقْبَلانِ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، فِكْرَ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ؛ لِأَنَّ حَمِيَّةَ الْإِسْلامِ ، الْمُقَدَّسَةَ الْإِيجَابِيَّةَ ، لا تَتْرُكُ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا . .

نَعَمْ : يَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ يُوجَدُ أَيُّ عُنْصُرٍ يَكُونُ ثَلاثَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً ؛ وَيَفُوزُ ذٰلِكَ الْفِكْرُ الْعُنْصُرِيُّ ، لِصَاحِبِهِ ، بَدَلاً عَنِ الْإِسْلامِ ، بِذٰلِكَ الْمِقْدَارِ مِنَ الْإِخْوَانِ ، وَبِإِخْوَانٍ أَبَدِيِّينَ ؟ . نَعَمْ : قَدْ شُوهِدَتْ بِالتَّارِيخِ ، أَضْرَارٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً ، لِلْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ الْأُمَوِيِّينَ خَلَطُوا شَيْئاً مِنْ فِكْرِ الْقَوْمِيَّةِ بِسِيَاسَتِهِمْ ؛ فَلِذٰلِكَ أَسْخَطُوا عَالَمَ الْإِسْلامِ ؛ وَقَاسَوْا هُمْ أَنْفُسُهُمْ ، مَهَالِكَ كَثِيرَةً . .

وَكَذَا أَنَّ شُعُوبَ أُورُوبَّا ، سَاقُوا فِكْرَ الْعُنْصُرِيَّةِ إِلَى الْأَمَامِ كَثِيراً ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ فَأَثْبَتَتِ الْأَحْدَاثُ الْهَائِلَةُ ، فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ ، مَدٰى ضَرَرِ الْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، بِنَوْعِ الْبَشَرِ ، مَا عَدَا الْعَدَاوَةَ الْأَبَدِيَّةَ الشَّائِمَةَ كَثِيراً ، بَيْنَ أَلْمَانِيَا وَفِرَنْسَا . .

وَكَذَا تَشَكَّلَتْ فِينَا ، فِي بِدَايَةِ الْحُرِّيَّةِ ، جَمْعِيَّاتُ قَوْمِيِّينَ مُخْتَلِفِينَ ، بِاسْمِ «الْأَنْدِيَةِ» الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، كَانَتْ سَبَباً لِتَفْرِقَةِ الْأَفْئِدَةِ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الرُّومُ وَالْإِرْمَنُ ، بِنِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ كَتَشَعُّبِ الْأَقْوَامِ ، فِي عَهْدِ انْهِدَامِ «قَلْعَةِ بَابِلَ» ، وَتَفَرُّقِهِمْ بِسَبَبِ ذٰلِكَ التَّشَعُّبِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِتَبَلْبُلِ الْأَقْوَامِ . وَإِنَّ الَّذِينَ تَشَتَّتُوا مِنْهُمْ ؛ وَغَارُوا فِي حَنْجَرَةِ الْأَجَانِبِ إِلَى الْآنِ ، دَلَّتْ أَحْوَالُهُمْ عَلٰى ضَرَرِ الْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ . .

وَأَمَّا الْآنَ ؛ فَإِنَّ الْمُعَادَاةَ وَالْمُنَافَرَةَ بِسَبَبِ فِكْرِ الْقَوْمِيَّةِ ، بَيْنَ عَنَاصِرِ الْإِسْلَامِ وَقَبَائِلِهِ ، الَّتِي تُسْحَقُ تَحْتَ تَحَكُّمِ الْأَجَانِبِ ؛ وَهُمْ أَحْوَجُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؛ وَأَذَلُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ؛ وَأَفْقَرُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، هِيَ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تُعَرَّفُ ؛ فَإِنَّهُمْ ، إِذْ فَتَحَتْ أُورُوبَّا الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ ثَعَابِينَ عَظِيمَةٍ ، مَخَالِبَهَا وَاحْتِرَاصَاتِهَا الَّتِي لَا تَعْرِفُ الشَّبَعَ ، لَا يَهْتَمُّونَ بِهَا ؛ بَلْ يُعِينُونَهَا مَعْنًى ، بِجُنُونٍ كَالْمُقَابَلَةِ لِلذُّبَابِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْحَيَّاتِ الْهَائِلَةِ ؛ لِئَلَّا يَعَضَّهُ ذُبَابٌ ؛ فَيُعَادُونَ أَبْنَاءَ الْوَطَنِ فِي «وِلَايَاتِ الشَّرْقِ» ، أَوْ أَبْنَاءَ الدِّينِ فِي جِهَةِ «الْجَنُوبِ» ؛ وَيُجَابِهُونَهُمْ بِفِكْرِ الْعُنْصُرِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ لَهُ أَضْرَارٌ وَمَهَالِكُ كَثِيرَةٌ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْجَنُوبِ أُولَائِكَ ، أَعْدَاءٌ ؛ حَتّٰى يُجَابَهَ ضِدَّهُمْ ؛ وَجَاءَ مِنَ الْجَنُوبِ «ضِيَاءُ الْإِسْلَامِ» ؛ وَيُوجَدُ فِيهِ «نُورُ الْقُرْآنِ» الَّذِي جَاءَ مِنْهُ ؛ وَذٰلِكَ يُوجَدُ بَيْنَنَا ؛ وَيُوجَدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ . .

هٰذَا ، فَالْعَدَاوَةُ لِأَبْنَاءِ الدِّينِ أُولَائِكَ ، تَمَسُّ بِالْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ بِالتَّبَعِ ؛ وَإِنَّ الْعَدَاوَةَ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ ، نَوْعٌ مِنَ الْعَدَاوَةِ لِحَيَاةِ جَمِيعِ هٰؤُلَاءِ الْمُوَاطِنِينَ ، حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ . فَهَدْمُ أَرْكَانِ الْحَيَاتَيْنِ ، بِنِيَّةِ الْخِدْمَةِ لِلْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، بِاسْمِ الْحَمِيَّةِ ، حَمَاقَةٌ لَا حَمِيَّةٌ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ الْقَوْمِيَّةَ الْإِيجَابِيَّةَ ، تَنْشَأُ عَنِ احْتِيَاجِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، احْتِيَاجاً دَاخِلِيّاً ؛ وَهِيَ سَبَبٌ لِلتَّعَاوُنِ وَالتَّسَانُدِ ؛ وَتُؤَمِّنُ قُوَّةً نَافِعَةً ؛ وَتَصِيرُ وَاسِطَةً تُؤَيِّدُ الْأُخُوَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَكْثَرَ تَأْيِيدٍ . وَفِكْرُ الْقَوْمِيَّةِ الْإِيجَابِيَّةِ هٰذَا ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَادِماً لِلْإِسْلَامِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ حِصْناً وَدِرْعاً لَهُ ؛ وَلَا يَقَعَ مَوْقِعَهُ ؛ لِأَنَّ الْأُخُوَّةَ الَّتِي يُنْتِجُهَا الْإِسْلَامُ ، فِيهَا أَلْفُ أُخُوَّةٍ ؛ فَتَبْقٰى تِلْكَ الْأُخُوَّةُ ، فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ ، وَعَالَمِ الْبَرْزَخِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَصِيرُ الْأُخُوَّةُ الْقَوْمِيَّةُ ، بِمَثَابَةِ حِجَابٍ لِلْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ مَهْمَا كَانَتْ قَوِيَّةً أَيْضاً . وَإِلَّا ؛ فَإِنَّ إِقَامَتَهَا مُقَامَهَا ، جِنَايَةٌ عَلٰى وَجْهِ الْحَمَاقَةِ ، مِنْ قَبِيلِ وَضْعِ أَحْجَارِ الْقَلْعَةِ ، مَوْضِعَ خَزِينَةِ الْأَلْمَاسِ فِي الْقَلْعَةِ ، وَإِلْقَاءِ تِلْكَ الْأَلْمَاسَاتِ ، إِلَى الْخَارِجِ ، بِعَيْنِهِ . .

فَيَا أَوْلَادَ هٰذَا الْوَطَنِ ، مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ ! إِنَّكُمْ تَحَدَّيْتُمْ جَمِيعَ الْعَالَمِ ؛ فَأَعْلَنْتُمْ

الْقُرْآنَ حَامِلِينَ لِوَاءَهُ، مُنْذُ أَلْفِ عَامٍ، مِنْ عَهْدِ «الْعَبَّاسِيِّينَ»، لَا سِتِّمِئَةِ عَامٍ؛ وَجَعَلْتُمْ قَوْمِيَّتَكُمْ، حِصْناً لِلْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ؛ وَأَفْحَمْتُمُ الْعَالَمَ كُلَّهُ؛ وَدَفَعْتُمْ تَهَاجُمَاتٍ مُدْهِشَةً؛ حَتّٰى صِرْتُمْ مِصْدَاقاً حَسَناً، لِآيَةِ ﴿يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُٓ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ﴾. فَالْآنَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّقُوا وَتَخَافُوا أَنْ تَتَّبِعُوا دَسَائِسَ أُورُوبَّا وَالْمُنَافِقِينَ الْمُتَشَرِّبِينَ بِمَشْرَبِ الْإِفْرِنْجِ؛ فَتَصِيرُوا مِصْدَاقاً لِلْخِطَابِ فِي أَوَّلِ هٰذِهِ الْآيَةِ..

حَالٌ هِيَ مَطْمَحُ النَّظَرِ: أَنَّ الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ، أَكْثَرُ عُنْصُرٍ بَيْنَ عَنَاصِرِ الْإِسْلَامِ؛ مَعَ أَنَّ الْأَتْرَاكَ فِي كُلِّ أَقْطَارِ الدُّنْيَا مُسْلِمُونَ؛ فَلَمْ يَنْقَسِمْ إِلٰى قِسْمَيْنِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِ مُسْلِمٍ، كَسَائِرِ الْعَنَاصِرِ؛ وَأَيْنَمَا تُوجَدُ طَائِفَةٌ مِنَ التُّرْكِ؛ فَهِيَ مُسْلِمَةٌ؛ وَأَنَّ الْأَتْرَاكَ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنِ الْإِسْلَامِ؛ أَوْ لَمْ يَكُونُوا مُسْلِمِينَ؛ خَرَجُوا عَنْ وَصْفِ التُّرْكِيَّةِ أَيْضاً كَـ«الْمَجَرِ»؛ مَعَ أَنَّ الْعَنَاصِرَ الصَّغِيرَةَ أَيْضاً، يُوجَدُ فِيهَا الْمُسْلِمُ وَغَيْرُ الْمُسْلِمِ..

فَيَا أَيُّهَا الْأَخُ التُّرْكِيُّ! احْذَرْ أَنْتَ خَاصَّةً؛ فَإِنَّ قَوْمِيَّتَكَ قَدِ امْتَزَجَتْ بِالْإِسْلَامِيَّةِ؛ وَلَيْسَتْ قَابِلَةً لِلتَّفْرِيقِ؛ فَإِنْ فَرَّقْتَ؛ فَإِنَّكَ هَالِكٌ؛ وَجَمِيعُ مَفَاخِرِكَ فِي الْمَاضِي، سُجِّلَتْ فِي دَفْتَرِ الْإِسْلَامِ؛ فَهٰذِهِ الْمَفَاخِرُ لَا تُمْحٰى بِأَيِّ قُوَّةٍ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ؛ فَلَا تَمْحُ تِلْكَ الْمَفَاخِرَ، عَنْ قَلْبِكَ بِوَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ وَدَسَائِسِهِمْ..

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ:﴾ أَنَّ الْأَقْوَامَ الَّذِينَ يَنْتَبِهُونَ فِي آسِيَا، يَعْتَنِقُونَ فِكْرَ الْقَوْمِيَّةِ؛ فَيُقَلِّدُونَ أُورُوبَّا بِعَيْنِهَا، بِكُلِّ جِهَةٍ؛ حَتّٰى إِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِوَجْهٍ يَفْدُونَ بِمُقَدَّسَاتٍ كَثِيرَةٍ، فِي ذٰلِكَ السَّبِيلِ؛ وَالْحَالُ أَنَّ قَامَةَ قِيمَةِ كُلِّ شَعْبٍ، تَقْتَضِي لِبَاساً آخَرَ؛ فَلَوْ كَانَ جِنْساً وَاحِداً مِنَ الْقُمَاشِ أَيْضاً؛ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ نَوْعُهُ مُخْتَلِفاً؛ فَلَا يُلْبَسُ عَلَى امْرَأَةٍ، ثَوْبُ دَرَكِيٍّ؛ كَمَا لَا يُلْبَسُ عَلٰى عَالِمٍ هَرِمٍ، لِبَاسُ كَاسِيَةٍ عَارِيَةٍ؛ فَإِنَّ التَّقْلِيدَ الْأَعْمٰى، كَثِيراً مَا يَكُونُ سُخْرِيّاً أَيْضاً..

إِذْ أَوَّلاً: إِنْ كَانَتْ أُورُوبَّا دُكَّاناً وَمُعَسْكَراً؛ فَإِنَّ آسِيَا، بِمَثَابَةِ مَزْرَعَةٍ وَجَامِعٍ؛

فَيَذْهَبُ حَانُوتِيٌّ ، إِلَى الْمَسْرَحِ ؛ وَلَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ مُزَارِعٌ ؛ وَكَيْفِيَّةُ الْجَامِعِ لَا تَتَسَاوَى مَعَ كَيْفِيَّةِ الْمُعَسْكَرِ . .

وَأَيْضاً أَنَّ ظُهُورَ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ فِي آسِيَا ، وَوُرُودَ أَغْلَبِ الْحُكَمَاءِ فِي أُورُوپَّا ، رَمْزٌ وَإِشَارَةٌ مِنَ الْقَدَرِ الْأَزَلِيِّ ، إِلَى أَنَّ مَا يُوقِظُ أَقْوَامَ آسِيَا ؛ وَيَرْقَى بِهِمْ وَيُدَبِّرُهُمْ ، هُوَ الدِّينُ وَالْقَلْبُ . وَأَمَّا الْفَلْسَفَةُ وَالْحِكْمَةُ ، فَلَا بُدَّ أَنْ تُعِينَ الدِّينَ وَالْقَلْبَ ؛ لَا أَنْ تَقَعَ مَوْقِعَهُمَا . .

وَثَانِياً : أَنَّ قِيَاسَ دِينِ الْإِسْلَامِ ، عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَعَدَمَ الْمُبَالَاةِ بِالدِّينِ ، كَأُورُوپَّا ، خَطَأٌ كَبِيرٌ جِدّاً ؛ فَأَوَّلاً أَنَّ أُورُوپَّا ، مَالِكَةٌ لِدِينِهَا ؛ فَإِنَّ أَكَابِرَ أُورُوپَّا ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ «وِيلْسُونْ» ، وَ «لُوئِيدْ جُورجْ» ، وَ «وَنِيزَهْ لُوسْ» ، وَأَمْثَالَهُمْ ، مُتَعَصِّبُونَ لِدِينِهِمْ كَالْبَطَارِكَةِ ؛ فَذٰلِكَ شَاهِدٌ عَلَى أَنَّ أُورُوپَّا ، مَالِكَةٌ لِدِينِهَا ، بَلْ مُتَعَصِّبَةٌ بِجِهَةٍ مَّا . .

وَثَالِثاً : أَنَّ قِيَاسَ الْإِسْلَامِ ، عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، قِيَاسٌ مَعَ الْفَارِقِ ؛ وَذٰلِكَ الْقِيَاسُ بَاطِلٌ ؛ لِأَنَّ أُورُوپَّا ، لَمَّا كَانَتْ مُتَعَصِّبَةً لِدِينِهَا ؛ لَمْ تَكُنْ مُتَمَدِّنَةً ؛ فَتَرَكَتِ التَّعَصُّبَ ؛ فَتَمَدَّنَتْ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الدِّينَ أَنْتَجَ فِيهِمْ قِتَالاً دَاخِلِيّاً ، ثَلَاثَمِئَةِ سَنَةٍ ؛ فَكَانَ وَاسِطَةً بِأَيْدِي الظَّلَمَةِ الْمُسْتَبِدِّينَ ، لِسَحْقِ الْعَوَامِّ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمُتَفَكِّرِينَ ؛ فَلِذٰلِكَ حَصَلَ فِي جَمِيعِهِمْ سَخَطٌ مُؤَقَّتٌ ، ضِدَّ الدِّينِ . وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ : فَالتَّوَارِيخُ شَاهِدَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ إِلَى الْقِتَالِ الدَّاخِلِيِّ ، غَيْرَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، مَتَى مَلَكُوا دِينَهُمْ جِدّاً ؛ رَقُوا رُقِيّاً عَالِياً ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذٰلِكَ الزَّمَانِ . وَالشَّاهِدُ عَلَى هٰذَا ، هُوَ دَوْلَةُ الْأَنْدَلُسِ الْإِسْلَامِيَّةُ ، أَكْبَرُ أُسْتَاذِ أُورُوپَّا ؛ وَمَتَى اتَّخَذَتِ الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، كَيْفِيَّةَ عَدَمِ التَّقَيُّدِ بِالدِّينِ ؛ تَخَلَّفُوا وَوَقَعُوا فِي حَالَةِ الذُّلِّ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْإِسْلَامَ صَارَ حِصْناً وَمَلْجَأً لِلْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ دَائِماً ؛ حَيْثُ يَحْمِي الْإِسْلَامُ الْفُقَرَاءَ وَالْعَوَامَّ ، بِآلَافٍ مِنْ مَسَائِلَ مُشْفِقَةٍ ، كَوُجُوبِ الزَّكَاةِ ، وَحُرْمَةِ الرِّبَا ؛ وَيَحْمِي أَهْلَ الْعِلْمِ ؛ وَيُوقِظُ الْعَقْلَ وَالْعِلْمَ ؛ وَيَسْتَشْهِدُهُمَا بِكَلِمَاتِهِ مِثْلَ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ . . وَ أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . . وَ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ . . ﴾ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا سَبَبَ أَصْلاً لِلسَّخَطِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ . .

وَسِرُّ حِكْمَةِ جِهَةِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ، وَبَيْنَ النَّصْرَانِيَّةِ، وَسَائِرِ الْأَدْيَانِ، هُوَ: أَنَّ أَسَاسَ الْإِسْلَامِ، مَحْضُ تَوْحِيدٍ؛ لَا يُسْنِدُ تَأْثِيراً حَقِيقِيّاً، إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِطِ؛ وَلَا يُعْطِيهَا قِيمَةً بِجِهَةِ الْإِيجَادِ وَالْمَقَامِ. وَأَمَّا النَّصْرَانِيَّةُ فَإِنَّهَا قَبِلَتْ فِكْرَةَ الْوَلَدِيَّةِ؛ فَلِذٰلِكَ تُعْطِي الْوَسَائِطَ وَالْأَسْبَابَ قِيمَةً؛ وَلَا تَكْسِرُ التَّكَبُّرَ؛ حَتّٰى إِنَّهَا تُسْنِدُ جِلْوَةً مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ، إِلَى أَحْبَارِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ؛ فَصَارُوا مِصْدَاقاً لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: ﴿اِتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾؛ فَلِذٰلِكَ يُحَافِظُ مَنْ يَكُونُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، حَسَبَ الدُّنْيَا مِنَ النَّصَارٰى، عَلٰى كِبْرِهِ وَغُرُورِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ يَصِيرُ مُتَدَيِّناً مُتَعَصِّباً، كَ «وِيلْسُونْ» رَئِيسِ أَمْرِيكَا السَّابِقِ. وَمَنْ يَكُونُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعَالِيَةِ، حَسَبَ الدُّنْيَا، فِي الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ دِينُ مَحْضِ التَّوْحِيدِ، فَإِمَّا يَتْرُكُ الْكِبْرَ وَالْغُرُورَ؛ أَوْ يَتْرُكُ التَّدَيُّنَ بِدَرَجَةٍ مَّا؛ فَلِذٰلِكَ يَبْقٰى بَعْضُهُمْ غَيْرَ مُتَقَيِّدِينَ؛ بَلْ يَكُونُونَ مُلْحِدِينَ..

﴿اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ:﴾ نَقُولُ لِمَنْ يَغْلُونَ فِي الْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ، وَفِي مَبْدَأِ الْعُنْصُرِيَّةِ:

أَوَّلاً: إِنَّ سَطْحَ هٰذِهِ الدُّنْيَا، لَاسِيَّمَا بِلَادُنَا هٰذِهِ، قَدْ تَعَرَّضَتْ لِمُهَاجَرَاتٍ وَتَبَدُّلَاتٍ كَثِيرَةٍ، مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ؛ مَعَ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنْ سَائِرِ الْأَقْوَامِ، أَلْقَوْا بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى هٰذَا الْوَطَنِ، كَالْفَرَاشِ؛ فَتَوَطَّنُوا فِيهِ بَعْدَمَا تَشَكَّلَ مَرْكَزُ الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي هٰذَا الْوَطَنِ؛ فَفِي هٰذَا الْحَالِ إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ تُمَيَّزَ الْعَنَاصِرُ الْحَقِيقِيَّةُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ؛ لَوْ فُتِحَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. فَإِذاً إِنَّ بِنَاءَ الْخُطَّةِ وَالْجَمْعِيَّةِ، عَلٰى فِكْرِ الْعُنْصُرِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، لَا مَعْنٰى لَهُ؛ وَهُوَ ضَارٌّ جِدّاً. فَلِذٰلِكَ اضْطُرَّ وَاحِدٌ غَيْرُ مُتَقَيِّدٍ جِدّاً بِالدِّينِ، مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَوْمِيِّينَ، وَدُعَاةِ الْعُنْصُرِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ؛ فَقَالَ: «إِذَا اتَّحَدَ اللِّسَانُ وَالدِّينُ؛ فَالشَّعْبُ وَاحِدٌ».. فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ؛ فَلَا يُنْظَرُ إِلَى الْعُنْصُرِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ؛ بَلْ يُنْظَرُ إِلٰى مُنَاسَبَاتِ اللِّسَانِ وَالدِّينِ وَالْوَطَنِ. فَإِنِ اتَّحَدَتِ الثَّلَاثَةُ؛ فَهُوَ بِذَاتِهِ شَعْبٌ قَوِيٌّ. وَإِنْ نَقَصَ أَحَدُهَا؛ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الْقَوْمِيَّةِ أَيْضاً..

وَثَانِياً: نُبَيِّنُ فَائِدَتَيْنِ، عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ، مِنْ مِئَاتِ فَوَائِدَ اكْتَسَبَتْهَا الْحَمِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

الْمُقَدَّسَةُ ، لِحَيَاةِ أَوْلاَدِ هٰذَا الْوَطَنِ ، الاِجْتِمَاعِيَّةِ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ مَا حَافَظَ عَلٰى حَيَاةِ هٰذِهِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ ، وَعَلٰى وُجُودِهَا ، تِجَاهَ جَمِيعِ الدُّوَلِ الْكَبِيرَةِ مِنْ أُورُوبَّا ؛ وَقَدْ كَانَتْ عِشْرِينَ أَوْ ثَلاَثِينَ مِلْيُوناً ، هُوَ هٰذَا الْفِكْرُ النَّاشِئُ عَنْ نُورِ الْقُرْآنِ ، فِي جَيْشِ هٰذِهِ الدَّوْلَةِ ؛ وَهُوَ : «إِنْ أَمُتْ ؛ فَشَهِيدٌ . وَإِنْ أَقْتُلْ فَغَازٍ» ؛ فَاسْتَقْبَلَ الْمَوْتَ ، ضَاحِكاً فِي وَجْهِهِ ، بِالْعِشْقِ وَبِكَمَالِ الشَّوْقِ ؛ فَزَلْزَلَ أُورُوبَّا دَائِماً . .

فَيَا عَجَباً ! أَيُّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا ، يُسَبِّبُ مِثْلَ هٰذَا الْفِدَاءِ الْعُلْوِيِّ ، فِي أَرْوَاحِ أَفْرَادٍ بَسِيطَةِ الْأَفْكَارِ ، وَصَفِيَّةِ الْقُلُوبِ ، يُمْكِنُ أَنْ يُعْرَضَ ؟ وَأَيُّ حَمِيَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ تُقَامَ مُقَامَهُ ؛ وَتَسُوقَهُمْ إِلٰى فِدَاءِ حَيَاتِهِمْ وَجَمِيعِ دُنْيَاهُمْ طَوْعاً ؟ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ تَعَابِينَ أُورُوبَّا ، وَدُوَلَهَا الْكَبِيرَةَ ، مَتٰى ضَرَبَتْ هٰذِهِ الدَّوْلَةَ الْإِسْلاَمِيَّةَ ، صَفْعَةً ؛ أَبْكَتْ وَأَحَنَّتْ ثَلاَثَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَأَنَّ أَصْحَابَ تِلْكَ الْمُسْتَعْمَرَاتِ كَفُّوا أَيْدِيَهُمْ ؛ وَأَنْزَلُوهَا ؛ وَهُمْ رَافِعُوهَا ؛ كَيْلاَ يُبْكُوا أُولٰئِكَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلاَ يُوجِعُوهُمْ . فَأَيُّ قُوَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ تُقَامَ مُقَامَ قُوَّةِ الظَّهْرِ هٰذِهِ ، الْمَعْنَوِيَّةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لاَ تُسْتَصْغَرُ بِأَيِّ جِهَةٍ ؟ . فَلْيُعْرَضْ . . نَعَمْ : لاَ بُدَّ أَنْ لاَ تُسْخَطَ تِلْكَ الْقُوَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ الْعَظِيمَةُ ، بِالْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، وَالْحَمِيَّةِ الْمُسْتَغْنِيَةِ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ نَقُولُ لِمَنْ يُظْهِرُونَ تَحَمُّسَ الْحَمِيَّةِ ، فِي الْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ هٰذَا الشَّعْبَ ؛ وَتُشْفِقُونَ عَلَيْهِ ؛ فَادْعُوا إِلٰى حَمِيَّةٍ تُعَدُّ شَفَقَةً عَلٰى أَكْثَرِهِمْ . وَإِلَّا ؛ فَإِنَّ الْخِدْمَةَ لِلْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ الْغَافِلَةِ الْمُؤَقَّتَةِ ، لِقِسْمٍ قَلِيلٍ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى الشَّفَقَةِ ، عَلٰى وَجْهٍ يَكُونُ ظُلْماً لِأَكْثَرِهِمْ ؛ لَيْسَتْ حَمِيَّةً ؛ لِأَنَّ الْحَمِيَّةَ الَّتِي تُفْعَلُ بِفِكْرِ الْعُنْصُرِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، يُمْكِنُ أَنْ تَنْفَعَ فَائِدَتُهُ الْمُؤَقَّتَةُ ، اثْنَيْنِ مِنْ ثَمَانِيَةٍ مِنَ الشَّعْبِ ؛ فَيَنَالُونَ شَفَقَةَ تِلْكَ الْحَمِيَّةِ الَّتِي لاَ يَلِيقُونَ بِهَا . وَإِنَّ سِتَّةً مِنْ أُولٰئِكَ الثَّمَانِيَةِ ، إِمَّا كُهُولٌ أَوْ مَرْضٰى ، أَوْ مُصَابُونَ أَوْ صِبْيَانٌ ، أَوْ ضُعَفَاءُ جِدّاً ، أَوْ أَتْقِيَاءُ يَتَفَكَّرُونَ فِي الْآخِرَةِ جِدّاً ؛ فَهٰؤُلاَءِ يَطْلُبُونَ نُوراً وَشَفَقَةً وَتَسْلِيَةً ، لِمَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا ، مِنَ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ ،

أَكْثَرَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ وَيَحْتَاجُونَ إِلَى أَيْدٍ مُبَارَكَةٍ ذَاتِ حَمِيَّةٍ . . فَأَيُّ حَمِيَّةٍ تَسْمَحُ بِإِطْفَاءِ ضِيَاءِ هٰؤُلاَءِ ، وَبِنَقْضِ تَسَلِّيهِمْ ؛ هَيْهَاتَ : أَيْنَ الشَّفَقَةُ عَلَى الشَّعْبِ ؟ وَأَيْنَ الْفِدَاءُ فِي سَبِيلِ الشَّعْبِ ؟ وَإِنَّهُ لاَ يُقْطَعُ الرَّجَاءُ ، عَنِ الرَّحْمَةِ الإِلٰهِيَّةِ ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى اسْتَخْدَمَ هٰؤُلاَءِ الْمُوَاطِنِينَ ، فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَعَيَّنَهُمْ حَمَلَةً لِلِوَائِهِ ، مُنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ ؛ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشَتِّتُ جَيْشَهُمُ الْمُحْتَشِمَ ، وَجَمَاعَتَهُمُ الْمُعَظَّمَةَ ، بِعَوَارِضَ مُؤَقَّتَةٍ ؛ فَيُضِيءُ ذٰلِكَ النُّورَ ؛ وَيُدِيمُ وَظِيفَتَهُمْ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

اَلْمَبْحَثُ الرَّابِعُ :

(تَنْبِيهٌ) : كَمَا أَنَّ الْمَبَاحِثَ الأَرْبَعَةَ ، مِنَ الْمَكْتُوبِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ ، لَيْسَتْ بَيْنَهَا مُنَاسَبَةٌ ؛ كَذٰلِكَ الْمَسَائِلُ الْعَشْرُ ، مِنْ هٰذَا الْمَبْحَثِ الرَّابِعِ ، لَيْسَتْ بَيْنَهَا مُنَاسَبَةٌ أَيْضاً ؛ فَلِذٰلِكَ لاَ بُدَّ أَنْ لاَ تُطْلَبَ الْمُنَاسَبَةُ ؛ فَإِنَّهَا كُتِبَتْ كَمَا وَرَدَتْ ؛ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ رِسَالَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَى تِلْمِيذٍ مُهِمٍّ مِنْ تَلاَمِيذِهِ ، وَأَجْوِبَةٌ أُجِيبَ بِهَا ، عَلَى خَمْسَةِ أَسْئِلَةٍ أَوْ سِتَّةٍ ، لِذٰلِكَ التِّلْمِيذِ . .

﴿ الْمَسْأَلَةُ الأُولَى : ﴾ . . ثَانِياً أَنَّكَ تَقُولُ فِي رِسَالَتِكَ : إِنَّهُمْ قَالُوا فِي تَفْسِيرِ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وَفِي تَعْبِيرِهِ : إِنَّهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ ؛ فَتَسْأَلُ عَنْ حِكْمَةِ ذٰلِكَ الْعَدَدِ . .

يَا أَخِي ! إِنِّي لاَ أَعْلَمُ الآنَ ، حِكْمَةَ ذٰلِكَ الْعَدَدِ ؛ وَلٰكِنْ أَقُولُ هٰذَا الْقَدْرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ جُمَلَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، لَيْسَتْ مُنْحَصِرَةً عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ ؛ بَلْ إِنَّهُ ، لِكَوْنِهِ خِطَاباً لِعُمُومِ طَبَقَاتِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، فِي حُكْمِ كُلِّيٍّ مُتَضَمِّنٍ لِمَعَانٍ إِزَاءَ كُلِّ طَبَقَةٍ ؛ وَإِنَّ الَّتِي بُيِّنَتْ ، هِيَ فِي حُكْمِ جُزْئِيَّاتِ تِلْكَ الْقَاعِدَةِ الْكُلِّيَّةِ ؛ فَكُلُّ مُفَسِّرٍ ، وَكُلُّ عَارِفٍ ، يَذْكُرُ جُزْئِيّاً مِنْ ذٰلِكَ الْكُلِّيِّ ؛ وَيَسْتَنِدُ إِمَّا إِلَى كَشْفِهِ ، أَوْ إِلَى دَلِيلِهِ ، أَوْ إِلَى مَشْرَبِهِ ؛ فَيُرَجِّحُ مَعْنًى ؛ فَفِي هٰذَا أَيْضاً ، اكْتَشَفَتْ طَائِفَةٌ ، مَعْنًى مُوَافِقاً لِذٰلِكَ الْعَدَدِ . .

فَمَثَلاً : إنَّ فِي جُمْلَةِ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۞﴾ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَهْلُ الْوِلَايَةِ ؛ وَيُكَرِّرُونَهَا فِي أَوْرَادِهِمْ بِاهْتِمَامٍ ، جُزْئِيَّاتٍ لَهَا فِي مَعْنَاهَا ، مِنْ بَحْرِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَبَحْرِ الْعُبُودِيَّةِ ، فِي دَائِرَةِ الْوُجُوبِ ، وَدَائِرَةِ الْإِمْكَانِ ، إِلٰى بَحْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَبَحْرَيْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، وَعَالَمِ الشَّهَادَةِ ، وَإِلَى الْبِحَارِ الْمُحِيطَةِ ، فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ ، وَإِلٰى بَحْرِ الرُّومِ ، وَبَحْرِ فَارِسَ ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ ، وَالْبَحْرِ الْأَسْوَدِ وَمَضِيقِهِمَا الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ السَّمَكُ الْمُسَمّٰى بِـ «الْمَرْجَانِ» ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ ، وَالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ ، وَقَنَاةِ السُّوَيْسِ ، وَإِلٰى بِحَارِ الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ ، وَالْمَالِحَةِ ، وَإِلٰى بِحَارِ الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ وَالْمُتَفَرِّقَةِ تَحْتَ طَبَقَةِ التُّرَابِ ، وَبِحَارِهَا الْمَالِحَةِ وَالْمُتَّصِلَةِ فَوْقَهَا ، وَإِلَى الْبِحَارِ الصَّغِيرَةِ الْحُلْوَةِ ، مِنَ الْأَنْهَارِ الْكَبِيرَةِ ، كَـ «دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَالنِّيلِ» ، وَبِحَارِهَا الْمَالِحَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تُخَالِطُهَا ؛ فَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ كُلُّهَا ، مُرَادَةً وَمَقْصُودَةً ؛ وَهِيَ مَعَانِيهَا الْحَقِيقِيَّةُ وَالْمَجَازِيَّةُ . .

فَجُمْلَةُ ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيْضاً ، جَامِعَةٌ لِحَقَائِقَ كَثِيرَةٍ جِدّاً مِثْلِهَا ؛ فَأَهْلُ الْكَشْفِ وَالْحَقِيقَةِ ، يُبَيِّنُونَهَا مُخْتَلِفَةً حَسَبَ كَشْفِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَفْهَمُ هٰكَذَا ؛ وَهُوَ : أَنَّ فِي السَّمَاوَاتِ ، آلَافَ عَوَالِمَ ؛ وَبَعْضُ الْكَوَاكِبِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهَا عَالَماً ؛ وَكُلُّ جِنْسٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْأَرْضِ أَيْضاً عَالَمٌ ؛ حَتّٰى إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ ، عَالَمٌ صَغِيرٌ أَيْضاً . فَتَعْبِيرُ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، مَعْنَاهُ : أَنَّ كُلَّ عَالَمٍ ، يُدَارُ وَيُرَبّٰى وَيُدَبَّرُ بِرُبُوبِيَّةِ اللّٰهِ تَعَالٰى بِدُونِ وَاسِطَةٍ . .

ثَالِثاً : قَالَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : ﴿إِذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ خَيْراً ؛ أَبْصَرَهُمْ بِعُيُوبِ أَنْفُسِهِمْ﴾ ؛ وَقَالَ يُوسُفُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ﴾ . **نَعَمْ** : مَنْ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ ؛ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهَا ؛ فَهُوَ شَقِيٌّ . وَمَنْ رَأَى عَيْبَ نَفْسِهِ ؛ فَهُوَ سَعِيدٌ ؛ فَإِذاً إِنَّكَ سَعِيدٌ ؛ وَلٰكِنْ قَدْ تَكُونُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ ، تَنْقَلِبُ إِلَى اللَّوَّامَةِ أَوِ الْمُطْمَئِنَّةِ ؛ إِلَّا أَنَّهَا تُسَلِّمُ أَسْلِحَتَهَا وَأَجْهِزَتَهَا ، إِلَى الْأَعْصَابِ . وَإِنَّ الْأَعْصَابَ وَالْعُرُوقَ تُؤَدِّي تِلْكَ الْوَظِيفَةَ ، إِلٰى آخِرِ الْعُمُرِ ؛ فَتَرَى آثَارُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ أَيْضاً ؛ مَعَ أَنَّهَا مَاتَتْ مِنْ أَمَدٍ ؛ فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَصْفِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ اشْتَكَوْا عَنِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ؛ وَقَدْ

كَانَتْ نُفُوسُهُمْ مُطْمَئِنَّةً ؛ وَاسْتَغَاثُوا مِنْ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ ؛ مَعَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ سَلِيمَةً وَمُنَوَّرَةً لِلْغَايَةِ . فَمَا فِي هٰؤُلاءِ الْفُضَلاءِ ، لَيْسَ نَفْساً أَمَّارَةً ؛ بَلْ هُوَ وَظِيفَتُهَا الَّتِي سُلِّمَتْ إِلَى الْأَعْصَابِ ؛ وَإِنَّ الْمَرَضَ لَيْسَ قَلْبِيّاً ؛ بَلْ هُوَ مَرَضٌ خَيَالِيٌّ . وَإِنَّ مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ أَخِي الْعَزِيزَ ! لَيْسَ نَفْسَكَ وَأَمْرَاضَ قَلْبِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ؛ بَلْ هِيَ حَالَةٌ ؛ كَمَا ذَكَرْنَا ، انْتَقَلَتْ إِلَى الْأَعْصَابِ ، حَسَبَ الْبَشَرِيَّةِ ، لِإِدَامَةِ الْمُجَاهَدَةِ ؛ وَتُسَبِّبُ لِتَرَقِّيَاتٍ دَائِمَةٍ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ الْمَسَائِلَ الثَّلاثَ الَّتِي سَأَلَهَا «الْعَالِمُ الْعَتِيقُ» تُوجَدُ إِيضَاحَاتُهَا ، فِي أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» . فَالْآنَ نُشِيرُ إِلَيْهَا إِشَارَةً إِجْمَالِيَّةً . .

سُؤَالُهُ الْأَوَّلُ : أَنَّ «مُحْيِيَ الدِّينِ الْعَرَبِيَّ» قَالَ لِـ «فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ» فِي رِسَالَتِهِ : «إِنَّ الْعِلْمَ بِاللّٰهِ ، غَيْرُ الْعِلْمِ بِوُجُودِهِ» ؛ فَيَسْأَلُ أَنَّهُ مَاذَا يَعْنِي هٰذَا الْكَلامُ ؛ وَمَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ ؟ .

فَأَوَّلاً : أَنَّ الْمِثَالَ وَالتَّمْثِيلَ ، فِي الْفَرْقِ بَيْنَ التَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ ، وَالتَّوْحِيدِ الظَّاهِرِيِّ ، فِي مُقَدِّمَةِ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ ، الَّتِي قَرَأْتَهَا لَهُ ، يُشِيرُ إِلَى الْمَقْصُودِ ؛ وَأَنَّ مَقَاصِدَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ ، وَمَوْقِفَيْهَا الثَّانِي وَالثَّالِثَ ، تُوضِحُ الْمَقْصُودَ . .

وَثَانِياً : أَنَّ بَيَانَاتِ أَئِمَّةِ أُصُولِ الدِّينِ ، وَعُلَمَاءِ عِلْمِ الْكَلامِ ، فِي حَقِّ الْعَقَائِدِ ، وَوُجُودِ الْوَاجِبِ ، وَتَوْحِيدِهِ ، لَمْ تَكْفِ فِي نَظَرِ «مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ» ؛ فَلِذَا قَالَ كَذٰلِكَ ، لِـ «فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ» مِنْ أَئِمَّةِ عِلْمِ الْكَلامِ . نَعَمْ : إِنَّ مَا يُكْتَسَبُ بِوَاسِطَةِ عِلْمِ الْكَلامِ ، مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، لا تُنْتِجُ الْمَعْرِفَةَ الْكَامِلَةَ ، وَالْحُضُورَ التَّامَّ ؛ فَإِذَا كَانَتْ بِأُسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ؛ تُنْتِجُ الْمَعْرِفَةَ التَّامَّةَ ؛ وَتُورِثُ الْحُضُورَ الْأَتَمَّ . فَجَمِيعُ أَجْزَاءِ رِسَالَةِ النُّورِ ، تُؤَدِّي خِدْمَةَ سُرُجٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ ، فِي جَادَّةِ ذٰلِكَ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، تِلْكَ الْجَادَّةِ النَّيِّرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ . .

وَأَيْضاً أَنَّ مَعْرِفَةَ اللّٰهِ الَّتِي اسْتَفَادَهَا «فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ» ، بِوَاسِطَةِ عِلْمِ الْكَلامِ ،

مَهْمَا تُرى نَاقِصَةً لِنَظَرِ «مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ» ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْمَعْرِفَةَ الْمُسْتَفَادَةَ بِمَسْلَكِ التَّصَوُّفِ ، نَاقِصَةٌ أَيْضاً كَذٰلِكَ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، بِسِرِّ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ مُبَاشَرَةً ؛ لِأَنَّ مَسْلَكَ «مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ» وَصَلَ إِلٰى حَيْثُ قَالَ : (لَا مَوْجُودَ إِلَّا هُوَ) ؛ فَأَنْكَرَ وُجُودَ الْكَائِنَاتِ ، لِتَحْصِيلِ الْحُضُورِ الدَّائِمِ . وَأَمَّا غَيْرُهُ فَوَقَعُوا فِي شَكْلٍ عَجِيبٍ ؛ حَيْثُ قَالُوا : (لَا مَشْهُودَ إِلَّا هُوَ) ؛ كَمَا حَصَرُوا الْكَائِنَاتِ ، تَحْتَ النِّسْيَانِ الْمُطْلَقِ ، لِتَحْصِيلِ الْحُضُورِ الدَّائِمِ أَيْضاً . وَأَمَّا الْمَعْرِفَةُ الْمَأْخُوذَةُ عَنِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ فَإِنَّهَا تُنْتِجُ الْحُضُورَ الدَّائِمَ ؛ مَعَ أَنَّهَا لَا تَحْكُمُ عَلَى الْكَائِنَاتِ بِالْعَدَمِ ؛ وَلَا تَحْبِسُهَا فِي النِّسْيَانِ الْمُطْلَقِ ؛ بَلْ تُخْرِجُهَا عَنِ الْفَوْضٰى ؛ وَتَسْتَخْدِمُهَا بِاسْمِ اللهِ تَعَالٰى ؛ فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ ، مِرْآةَ الْمَعْرِفَةِ ؛ وَتَفْتَحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، نَافِذَةً لِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالٰى ؛ كَمَا قَالَ سَعْدِيٌّ الشِّيرَازِيُّ : (إِنَّ كُلَّ وَرَقَةٍ ، قِرْطَاسٌ مِنْ مَعْرِفَةِ الصَّانِعِ ، فِي نَظَرِ الْمُتَيَقِّظِ)[1] ..

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي بَعْضِ الْمَقَالَاتِ ، تَمْثِيلاً فِي حَقِّ الْفَرْقِ بَيْنَ مَسْلَكِ عُلَمَاءِ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَالْمِنْهَاجِ الْحَقِيقِيِّ الْمُسْتَفَادِ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ وَهُوَ : أَنَّ بَعْضَهُمْ يَحْفِرُونَ تَحْتَ الْجِبَالِ ، لِلْإِتْيَانِ بِمَاءٍ ؛ فَيَأْتُونَ بِالْمَاءِ ، بِأَنَابِيبَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ؛ وَبَعْضَهُمْ يَحْفِرُ الْبِئْرَ ؛ فَيُخْرِجُ الْمَاءَ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ . فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ شَاقٌّ كَثِيراً ؛ فَيَنْسَدُّ وَيَنْقَطِعُ ؛ وَلٰكِنَّ الْأَهْلَ لِحَفْرِ الْآبَارِ ، وَإِخْرَاجِ الْمَاءِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، يَجِدُونَ الْمَاءَ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، بِدُونِ مَشَقَّةٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : فَإِنَّ عُلَمَاءَ عِلْمِ الْكَلَامِ ، يَقْطَعُونَ الْأَسْبَابَ ، فِي نِهَايَةِ الْعَالَمِ ، بِاسْتِحَالَةِ الدَّوْرِ وَالتَّسَلْسُلِ ؛ ثُمَّ يُثْبِتُونَ بِذٰلِكَ ، وُجُودَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ فَيَسْلُكُ فِي طَرِيقٍ طَوِيلٍ . أَمَّا الْمِنْهَاجُ الْحَقِيقِيُّ لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، فَإِنَّهُ يَجِدُ الْمَاءَ ؛ وَيُخْرِجُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَإِنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُ ، كَعَصَا مُوسٰى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَيْنَمَا ضَرَبَتْ ؛ تَفُورُ بِمَاءِ الْحَيَاةِ ؛ وَتُقْرِئُ كُلَّ شَيْءٍ ، دُسْتُورَ قَوْلِهِ : (وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ۞ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ وَاحِدٌ) ..

---

(١) أَصْلُ الْبَيْتِ الْفَارِسِيِّ : (دَرْ نَظَرِ هُوشْيَارْ ، هَرْوَرَقْ دَفْتَرِيسْتْ أَزْمَعْرِفَتْ كِرْدْكَارْ) .. اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ) ..

وَأَيْضاً أَنَّ الْإيمَانَ لَيْسَ بِالْعِلْمِ فَقَطْ ؛ فَإِنَّ فِي الْإيمَانِ ، حِصَصَ لَطَائِفَ كَثِيرَةٍ ؛ فَكَمَا أَنَّ طَعَاماً إِذَا دَخَلَ الْمَعِدَةَ ؛ يَنْقَسِمُ إِلَى الْأَعْصَابِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ وَيَتَوَزَّعُ عَلَيْهَا ، بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَإِنَّ الْمَسَائِلَ الْإيمَانِيَّةَ أَيْضاً ، الْوَارِدَةَ بِالْعِلْمِ إِلَى الْعَقْلِ ، تَأْخُذُ مِنْهَا الرُّوحُ وَالْقَلْبُ ، وَالسِّرُّ وَالنَّفْسُ ؛ وَهٰكَذَا اللَّطَائِفُ تَأْخُذُ حِصَصَهَا ؛ وَتَمُصُّهَا حَسَبَ دَرَجَاتِهَا ، بَعْدَمَا تَدْخُلُ مَعِدَةَ الْعَقْلِ ؛ فَإِنْ لَمْ تُوجَدْ حِصَصُهَا ؛ فَنَاقِصٌ ؛ فَيُذَكِّرُ «مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيُّ» هٰذِهِ النُّقْطَةَ ، لِـ «فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ» . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ مَا هُوَ وَجْهُ التَّوْفِيقِ بَيْنَ آيَةِ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ آدَمَ﴾ ، وَآيَةِ ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ ؟ .

اَلْجَوَابُ : يُوجَدُ إِيضَاحُهُ فِي الْمَقَالَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ ، وَالثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَفِي الثَّمَرَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْغُصْنِ الْخَامِسِ مِنَ الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ . وَسِرُّهُ الْإِجْمَالِيُّ ، هُوَ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ؛ كَمَا يَصْنَعُ بِقُدْرَتِهِ الْكَامِلَةِ ، أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ وَيُؤَدِّي وَظَائِفَ كَثِيرَةً ، بِشَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ وَيَكْتُبُ أَلْفَ كِتَابٍ ، فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ كَذٰلِكَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ نَوْعاً جَامِعاً ، بَدَلاً عَنْ أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُؤَدِّيَ بِالْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ وَاحِدٌ ، تِلْكَ الْوَظَائِفَ ، بِقَدَرِ الدَّرَجَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يَدَعْ حَدّاً فِطْرِيّاً ، لِقُوَى الْإِنْسَانِ وَحِسِّيَّاتِهِ ؛ وَلَمْ يَضَعْ عَلَيْهَا قَيْداً فِطْرِيّاً ؛ وَتَرَكَهَا مُطْلَقَةً . وَإِنَّ قُوَى سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَحِسِّيَّاتِهَا ، مَحْدُودَةٌ ؛ وَتَحْتَ قَيْدٍ فِطْرِيٍّ ؛ مَعَ أَنَّ كُلَّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى الْإِنْسَانِ ، تَذْهَبُ إِلٰى جَانِبِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِي ؛ كَأَنَّهَا تَجُولُ فِي مَسَافَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مِرْآةٌ لِمَا لَا يَتَنَاهٰى ، مِنْ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَاءِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَأُعْطِيَتْ قُوَاهَا ، اسْتِعْدَاداً لَا نِهَايَةَ لَهُ . .

فَمَثَلاً : إِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أُعْطِيَ جَمِيعَ الدُّنْيَا ؛ لَقَالَ بِالْحِرْصِ : «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» ؟ . وَكَذَا أَنَّهُ يَقْبَلُ بِعُجْبِهِ ، ضَرَرَ آلَافِ إِنْسَانٍ ، لِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ ؛ وَهٰكَذَا لَهُ انْكِشَافٌ فِي الْأَخْلَاقِ

السَّيِّئَةِ ، فِي دَرَجَةٍ لا حَدَّ لَهَا ؛ وَيَصِلُ إِلىٰ دَرَجَةِ النَّمَارِدَةِ وَالْفَرَاعِنَةِ ؛ وَيَصِيرُ ظَلُوماً بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ ؛ كَمَا يَصِيرُ مَظْهَراً لِتَرَقِّيَاتٍ لا حَدَّ لَهَا ، فِي الْأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ أَيْضاً ؛ وَيَرْقىٰ إِلىٰ دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ . .

وَكَذَا أَنَّ الإِنْسَانَ جَاهِلٌ أَمَامَ كُلِّ مَا لا حَدَّ لَهَا . وَأَمَّا الْحَيَوَانُ فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلىٰ أَشْيَاءٍ قَلِيلَةٍ ؛ حِينَمَا يَأْتِي إِلَى الدُّنْيَا ؛ وَيَتَعَلَّمُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، فِي شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ ، بَلْ فِي يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ؛ وَأَحْيَاناً يَتَعَلَّمُ جَمِيعَ شَرَائِطِ حَيَاتِهِ ، فِي سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ ؛ كَأَنَّهُ تَكَمَّلَ فِي عَالَمٍ آخَرَ ؛ وَأَتىٰ كَذٰلِكَ . وَأَمَّا الإِنْسَانُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَقُومُ عَلىٰ قَدَمَيْهِ ، فِي سَنَةٍ وَسَنَتَيْنِ ؛ وَإِنَّمَا يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّفْعِ وَالضَّرَرِ ، فِي خَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً . فَمُبَالَغَةُ **«جَهُولٍ»** تُشِيرُ إِلىٰ هٰذَا أَيْضاً . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّكُمْ تَسْأَلُونَ عَنْ حِكْمَةِ **(جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بِلا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ)** ؛ لَقَدْ ذُكِرَتْ حِكْمَتُهُ ، فِي مَقَالاتٍ كَثِيرَةٍ . وَمِنْ أَسْرَارِ حِكْمَتِهِ : أَنَّ شَخْصَ الإِنْسَانِ وَعَالَمَهُ ، يَتَجَدَّدَانِ كُلَّ زَمَانٍ ؛ فَيَحْتَاجُ إِلىٰ تَجْدِيدِ الْإِيمَانِ ، كُلَّ زَمَانٍ ؛ إِذْ كُلُّ فَرْدٍ مِنَ الإِنْسَانِ ، لَهُ أَفْرَادٌ كَثِيرَةٌ مَعْنَوِيّاً ؛ فَيُعَدُّ أَفْرَاداً أُخْرىٰ ، بِعَدَدِ سَنَوَاتِ عُمْرِهِ ، بَلْ عَدَدَ أَيَّامِهِ ، بَلْ عَدَدَ سَاعَاتِهِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ يَدْخُلُ تَحْتَ الزَّمَانِ ؛ فَيَصِيرُ ذٰلِكَ الْفَرْدُ الْوَاحِدُ ، فِي حُكْمِ مِقْيَاسٍ ؛ فَيَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ ، شَكْلَ فَرْدٍ آخَرَ ؛ وَأَيْضاً كَمَا يُوجَدُ فِي الإِنْسَانِ ، هٰذَا التَّعَدُّدُ وَالتَّجَدُّدُ ؛ فَإِنَّ الْعَالَمَ الَّذِي يَتَوَطَّنُهُ ، سَيَّارٌ أَيْضاً ؛ يَذْهَبُ ذٰلِكَ ؛ وَيَأْتِي آخَرُ مَكَانَهُ ؛ فَيَتَنَوَّعُ دَائِماً ؛ وَيَفْتَحُ كُلَّ يَوْمٍ ، بَابَ عَالَمٍ آخَرَ . **فَالْإِيمَانُ نُورُ حَيَاةِ كُلِّ فَرْدٍ ، فِي ذٰلِكَ الشَّخْصِ ، وَضِيَاءُ الْعَالَمِ الَّذِي يَدْخُلُهُ ؛ وَإِنَّ (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ) مِفْتَاحٌ يَفْتَحُ ذٰلِكَ النُّورَ . .**

وَأَيْضاً لَمَّا كَانَتِ النَّفْسُ وَالْهَوىٰ ، وَالْوَهْمُ وَالشَّيْطَانُ ، يَحْكُمُونَ فِي الإِنْسَانِ ؛ فَكَثِيراً مَا يَسْتَفِيدُونَ عَنْ غَفْلَتِهِ ؛ فَيَحْتَالُونَ كَثِيراً ، لِجَرْحِ إِيمَانِهِ ؛ وَيَخْتَطِفُونَ نُورَ الْإِيمَانِ ، بِالشُّبَهِ وَالْوَسَاوِسِ ؛ وَأَيْضاً لا تَنْقُصُ كَلِمَاتٌ وَحَرَكَاتٌ تُخَالِفُ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ ؛ بَلْ تُؤَثِّرُ تَأْثِيراً فِي دَرَجَةِ الْكُفْرِ ، فِي نَظَرِ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ ؛ يَحْتَاجُ الإِنْسَانُ لِذٰلِكَ ، إِلىٰ تَجْدِيدِ الْإِيمَانِ ،

كُلَّ وَقْتٍ ، وَكُلَّ يَوْمٍ ، وَكُلَّ سَاعَةٍ . .

﴿ سُؤَالٌ : ﴾ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُتَكَلِّمِينَ يَلُفُّونَ الْعَالَمَ ، فِي عُنْوَانِ «الْإِمْكَانِ وَالْحُدُوثِ» الْإِجْمَالِيِّ ؛ فَيَصْعَدُونَ عَلَيْهِ ذِهْناً ؛ ثُمَّ يُثْبِتُونَ الْوَحْدَانِيَّةَ ؛ وَأَنَّ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ ، يَقُولُونَ : (لَا مَشْهُودَ إِلَّا هُوَ) ؛ فَيَنْسَوْنَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَسُدُّونَ عَلَيْهَا بِغِطَاءِ النِّسْيَانِ ، لِتَحْصِيلِ الْحُضُورِ التَّامِّ فِي التَّوْحِيدِ ؛ ثُمَّ يَجِدُونَ الْحُضُورَ التَّامَّ ؛ وَبَعْضٌ آخَرُ مِنْهُمْ ، يَقُولُونَ : (لَا مَوْجُودَ إِلَّا هُوَ) ؛ فَيَلُفُّونَ الْكَائِنَاتِ بِالْخَيَالِ ؛ وَيُلْقُونَهَا إِلَى الْعَدَمِ ، لِوُجُودِ التَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ ، وَالْحُضُورِ التَّامِّ ؛ ثُمَّ يَجِدُونَ الْحُضُورَ التَّامَّ ؛ مَعَ أَنَّكَ تُظْهِرُ فِي الْقُرْآنِ ، جَادَّةً كُبْرٰى خَارِجَةً عَنْ هٰذِهِ الْمَشَارِبِ الثَّلَاثَةِ ؛ وَتَقُولُ شِعَاراً لَهَا : (لَا مَعْبُودَ إِلَّا هُوَ ؛ لَا مَقْصُودَ إِلَّا هُوَ) ؛ فَبَيِّنْ إِجْمَالاً طَرِيقاً مُخْتَصَراً ، وَبُرْهَاناً عَائِداً إِلَى التَّوْحِيدِ ، مِنْ هٰذِهِ الْجَادَّةِ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ جَمِيعَ الْمَقَالَاتِ ، وَجَمِيعَ الْمَكْتُوبَاتِ ، تُبَيِّنُ تِلْكَ الْجَادَّةَ ؛ وَالْآنَ نُشِيرُ مُخْتَصَراً ، إِلٰى حُجَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَبُرْهَانٍ وَاسِعٍ وَطَوِيلٍ مِنْهَا ؛ كَمَا تُرِيدُونَ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ ، يُسْنِدُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ إِلٰى خَالِقِهِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ أَثَرٍ فِي الدُّنْيَا ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ جَمِيعَ الْآثَارِ ، هِيَ آثَارُ مُؤَثِّرِهِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ إِيجَادِيٍّ فِي الْكَائِنَاتِ ، يُثْبِتُ أَنَّ جَمِيعَ الْأَفْعَالِ الْإِيجَادِيَّةِ ، هِيَ أَفْعَالُ فَاعِلِهِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ اسْمٍ تَجَلّٰى عَلَى الْمَوْجُودَاتِ ، يُشِيرُ إِلٰى أَنَّ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ ، هِيَ أَسْمَاءُ مُسَمَّاهُ وَعَنَاوِينُهُ ؛ فَإِذاً إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، بُرْهَانٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ ، وَنَافِذَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مُبَاشَرَةً . نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ أَثَرٍ ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَا حَيَاةٍ ، مِثَالٌ مُصَغَّرٌ لِلْكَائِنَاتِ ، وَنَوَاةٌ لِلْعَالَمِ ، وَثَمَرَةٌ لِكُرَةِ الْأَرْضِ . فَإِذاً إِنَّ الَّذِي أَوْجَدَ ذٰلِكَ الْمِثَالَ الْمُصَغَّرَ ، وَتِلْكَ النَّوَاةَ ، وَتِلْكَ الثَّمَرَةَ ، هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ أَيْضاً ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ لِأَنَّ مُوجِدَ الثَّمَرَةِ لَا يَكُونُ غَيْرَ مُوجِدِ شَجَرَتِهَا . فَإِذاً إِنَّ كُلَّ أَثَرٍ ، يُسْنِدُ جَمِيعَ الْآثَارِ ، إِلٰى مُؤَثِّرِهِ ؛ كَمَا أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ ، يُسْنِدُ أَيْضاً جَمِيعَ الْأَفْعَالِ ، إِلٰى فَاعِلِهِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّنَا نَرٰى أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ إِيجَادِيٍّ ، يُشَاهَدُ أَنَّهُ سِنٌّ قَانُونٍ خَلَّاقِيَّةٍ ، مُمْتَدٌّ مِنَ الذَّرَّةِ إِلَى الشُّمُوسِ ، وَوَاسِعٌ بِحَيْثُ يُحِيطُ بِأَكْثَرِ الْمَوْجُودَاتِ . فَإِذاً إِنَّ مَنْ كَانَ مَالِكَ ذٰلِكَ الْفِعْلِ الْإِيجَادِيِّ

الْجُزْئِيِّ ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فَاعِلَ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ الْمُرْتَبِطَةِ بِذٰلِكَ الْقَانُونِ الْكُلِّيِّ الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَالْمُمْتَدِّ مِنَ الذَّرَّةِ إِلَى الشُّمُوسِ . نَعَمْ : إِنَّ الَّذِي يُحْيِي ذُبَاباً ، هُوَ مَنْ يَخْلُقُ جَمِيعَ الْهَوَامِّ وَالْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرَةِ ؛ وَيُحْيِي كُرَةَ الْأَرْضِ ؛ وَأَيْضاً مَنْ كَانَ يُدَوِّرُ الذَّرَّةَ كَالْمَوْلَوِيِّ ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَيْنَ مَنْ يُحَرِّكُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ مُتَسَلْسِلَةً ، إِلٰى أَنْ يُسَيِّرَ الشَّمْسَ مَعَ سَيَّارَاتِهَا ؛ لِأَنَّ الْقَانُونَ سِلْسِلَةٌ ؛ وَالْأَفْعَالُ مُرْتَبِطَةٌ بِهَا . فَإِذاً إِنَّهُ كَمَا أَنَّ كُلَّ أَثَرٍ ، يُسْنِدُ جَمِيعَ الْآثَارِ إِلٰى مُؤَثِّرِهِ ؛ وَكُلَّ فِعْلٍ إِيجَادِيٍّ ، يَمْلِكُ جَمِيعَ الْأَفْعَالِ لِفَاعِلِهِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ كُلَّ اسْمٍ يَتَجَلّٰى فِي الْكَائِنَاتِ ، يُسْنِدُ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ ، إِلٰى مُسَمَّاهُ ؛ وَيُثْبِتُ أَنَّهَا عَنَاوِينُهُ ؛ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ الْمُتَجَلِّيَةَ فِي الْكَائِنَاتِ ، يَدْخُلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، كَالدَّوَائِرِ الْمُتَدَاخِلَةِ ، وَالْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ فِي الضِّيَاءِ ؛ وَيُعِينُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَيُكَمِّلُ بَعْضُهَا أَثَرَ بَعْضٍ وَيُزَيِّنُهُ ؛ فَمَثَلاً : إِذَا تَجَلّٰى اسْمُ الْمُحْيِي ، عَلٰى شَيْءٍ ؛ وَأَعْطَاهُ الْحَيَاةَ ؛ يَتَجَلّٰى اسْمُ الْحَكِيمِ أَيْضاً ، فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ ؛ فَيُنَظِّمُ بِالْحِكْمَةِ ، جَسَدَ ذٰلِكَ الْحَيِّ ، الَّذِي هُوَ وَكْرُهُ ؛ وَيَتَجَلّٰى فِي عَيْنِ الْحَالِ ، اسْمُ الْكَرِيمِ أَيْضاً ؛ فَيُزَيِّنُ وَكْرَهُ ؛ وَيُرٰى فِي عَيْنِ الْآنِ ، تَجَلِّي اسْمِ الرَّحِيمِ أَيْضاً ؛ فَيُهَيِّئُ بِالشَّفَقَةِ ، حَوَائِجَ ذٰلِكَ الْجَسَدِ ؛ وَيُرٰى فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ، تَجَلِّي اسْمِ الرَّزَّاقِ أَيْضاً ؛ فَيُعْطِي مَا يَلْزَمُ لِبَقَاءِ ذٰلِكَ الْحَيِّ ، مِنْ رِزْقِهِ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ وَهٰكَذَا . . فَإِذاً إِنَّ مَنْ كَانَ الْمُحْيِي اسْمَهُ ؛ فَإِنَّ اسْمَ الْحَكِيمِ النَّيِّرِ فِي الْكَائِنَاتِ ، اسْمُهُ أَيْضاً ؛ وَاسْمَ الرَّحِيمِ الْمُرَبِّي لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِالشَّفَقَةِ ، اسْمُهُ أَيْضاً ؛ وَاسْمَ الرَّزَّاقِ الَّذِي يَرْزُقُ جَمِيعَ ذَوِي الْحَيَاةِ بِكَرَمِهِ ، اسْمُهُ وَعُنْوَانُهُ أَيْضاً ؛ وَهٰكَذَا . . فَإِذاً إِنَّ كُلَّ اسْمٍ ، وَكُلَّ فِعْلٍ ، وَكُلَّ أَثَرٍ ، بُرْهَانُ وَحْدَانِيَّةٍ ، وَطُرَّةُ وَحْدَةٍ ، وَخَاتَمُ أَحَدِيَّةٍ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ جَمِيعَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْمَوْجُودَاتُ ، وَالْمَكْتُوبَةِ فِي صَحَائِفِ الْكَائِنَاتِ ، وَفِي سُطُورِ الْأَعْصَارِ ، هِيَ نُقُوشُ قَلَمِ كَاتِبِهَا . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مَنْ قَالَ : ﴿ أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي ، ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ﴾ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ .. ثَانِياً : أَنَّكُمْ تَسْأَلُونَ فِي رِسَالَتِكُمْ ، مَقْصَداً آخَرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ هَلْ يَكْفِي مُجَرَّدُ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ؟ يَعْنِي : هَلْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ ؛ إِذَا لَمْ يَقُلْ : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾ ؟ . وَجَوَابُ هٰذَا السُّؤَالِ طَوِيلٌ ؛ وَلٰكِنْ نَقُولُ الْآنَ هٰذَا الْقَدَرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ لَا تَنْفَكُّ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرٰى ؛ وَتُثْبِتُ إِحْدَاهُمَا ؛ وَتَتَضَمَّنُ الْأُخْرٰى ؛ وَلَا تَكُونُ إِحْدَاهُمَا بِدُونِ الْأُخْرٰى . فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَوَارِثَهُمْ جَمِيعاً ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ عَلٰى رَأْسِ جَمِيعِ طُرُقِ الْوُصُولِ ؛ فَلَا يُمْكِنُ طَرِيقُ الْحَقِيقَةِ وَالنَّجَاةِ ، خَارِجاً عَنْ جَادَّتِهِ الْكُبْرٰى . وَأَئِمَّةُ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْقِيقِ ، يَقُولُونَ كَـ «سَعْدِيٍّ الشِّيرَازِيِّ» : «يَا سَعْدِيُّ ! مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يُظْفَرَ بِطَرِيقِ الصَّفَا ، بِدُونِ اتِّبَاعِ الْمُصْطَفٰى (ﷺ)[1]» ؛ وَقَالُوا أَيْضاً (كُلُّ الطُّرُقِ مَسْدُودٌ إِلَّا الْمِنْهَاجَ الْمُحَمَّدِيَّ) ؛ وَلٰكِنْ قَدْ يَكُونُ أَحْيَاناً ، يَسْلُكُ بَعْضُهُمْ فِي الْجَادَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا جَادَّةٌ أَحْمَدِيَّةٌ ؛ وَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْجَادَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَكَذَا قَدْ يَكُونُ أَحْيَاناً ، لَا يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ؛ وَلٰكِنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي يَسْلُكُونَ فِيهِ ، هُوَ مِنْ أَجْزَاءِ الْجَادَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَكَذَا قَدْ يَكُونُ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي الْجَادَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، إِمَّا بِكَيْفِيَّةٍ مَجْذُوبَةٍ ، أَوْ بِحَالَةٍ مُسْتَغْرِقَةٍ ، أَوْ بِوَضْعٍ مِنَ الْعُزْلَةِ وَالْبَدَاوَةِ ؛ فَيَكْفِيهِمْ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ؛ وَلٰكِنْ مَعَ هٰذَا ، فَأَهَمُّ جِهَةٍ ، هِيَ أَنَّ عَدَمَ الْقَبُولِ شَيْءٌ ؛ وَقَبُولَ الْعَدَمِ شَيْءٌ آخَرُ . فَهٰذَا النَّوْعُ مِنْ أَهْلِ الْجَذْبَةِ وَأَهْلِ الْعُزْلَةِ ، أَوِ الَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا ؛ فَلَا يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ؛ أَوْ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ ؛ حَتّٰى يَقْبَلُوهُ ؛ فَيَبْقَوْنَ جَاهِلِينَ فِي تِلْكَ النُّقْطَةِ ؛ وَيَعْلَمُونَ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ فَقَطْ ، أَمَامَ الْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَهٰؤُلَاءِ يَصِحُّ أَنْ يَكُونُوا أَهْلَ النَّجَاةِ ؛ وَلٰكِنَّ الَّذِينَ سَمِعُوا النَّبِيَّ ؛ وَعَلِمُوا دَعْوَاهُ ، إِنْ لَمْ يُصَدِّقُوهُ ؛ لَا يَعْرِفُونَ اللهَ ؛ وَلَا تُفِيدُ كَلِمَةُ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ فَقَطْ ، فِي حَقِّهِمْ ، التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ النَّجَاةِ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ الْحَالَ لَيْسَ عَدَمَ الْقَبُولِ ، عَلٰى

---

(١) أَصْلُ الْبَيْتِ الْفَارِسِيِّ : (مُحَالَسْتِ سَعْدِي بَرَاهِ صَفَا ۞ ظَفَرْ بُرْدَنْ جُزْ دَرْپَيِ مُصْطَفٰى) .. اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ) ..

وَجْهِ الْجَهْلِ ، الَّذِي يَكُونُ مَدَارَ الْعُذْرِ بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ بَلْ هُوَ إِنْكَارٌ ، وَقَبُولُ عَدَمٍ . فَمَنْ أَنْكَرَ «مُحَمَّداً» (عليه الصلاة والسلام) ، الَّذِي هُوَ مَدَارُ فَخْرِ الْكَائِنَاتِ ، وَمَدَارُ شَرَفِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بِمُعْجِزَاتِهِ وَآثَارِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَكُونَ مَظْهَراً لِنُورٍ مَّا ؛ وَلَا يَعْرِفُ اللهَ ، بِأَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً .
وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَهٰذَا الْقَدَرُ يَكْفِي الْآنَ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ . . ثَالِثاً : أَنَّ بَعْضَ تَعْبِيرَاتٍ عَائِدَةٍ إِلٰى مَسْلَكِ الشَّيْطَانِ ، فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ الْمُسَمّٰى بِالْمُنَاظَرَةِ مَعَ الشَّيْطَانِ ، وَقَعَتْ غَلِيظَةً جِدّاً ؛ وَأَنَّهَا قَدْ عُدِّلَتْ بِكَلِمَةِ (حَاشَاهُ ، حَاشَاهُ) ، وَبِقُيُودٍ فِي صُورَةِ فَرْضِ الْمُحَالِ ؛ مَعَ أَنَّهَا تُرْجِفُنِي أَيْضاً . وَكَانَ فِي الْجُزْءِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، فِيمَا بَعْدُ ، بَعْضُ تَعْدِيلَاتٍ طَفِيفَةٍ ؛ فَهَلْ صَحَّحْتُمْ نُسْخَتَكُمْ بِهِ ؟ وَإِنِّي أُوَكِّلُ فِكْرَكُمْ ؛ فَلَكُمْ أَنْ تَطْوُوا مَا تَرَوْنَهُ غَيْرَ لَازِمٍ ، مِنْ تِلْكَ التَّعْبِيرَاتِ . .

أَخِي الْعَزِيزَ ! إِنَّ ذٰلِكَ الْمَبْحَثَ ، مُهِمٌّ جِدّاً ؛ لِأَنَّ أُسْتَاذَ أَهْلِ الزَّنْدَقَةِ ، هُوَ الشَّيْطَانُ ؛ فَإِذَا لَمْ يُفْحَمِ الشَّيْطَانُ ؛ لَا يَقْتَنِعُ مُقَلِّدُوهُ . وَقَدْ أُوتِيتُ جُرْأَةً مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، تَعْبِيرَاتِ الْكُفَّارِ الْغَلِيظَةَ ، لِلرَّدِّ عَلَيْهَا ؛ فَاسْتَعْمَلْتُ مُرْتَعِداً ، تَعْبِيرَاتِ أَفْرَادِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ ، الْحُمْقِيَّةَ ، الَّتِي يُضْطَرُّونَ إِلٰى قَبُولِهَا ، بِاقْتِضَاءِ مَسْلَكِهِمْ ؛ وَسَيَقُولُونَهَا مَعْنًى ، بِلِسَانِ الْمَسْلَكِ بِالضَّرُورَةِ ؛ فَذَكَرْتُهَا فِي صُورَةِ فَرْضِ الْمُحَالِ ، لِإِظْهَارِ فَسَادِ الْمَسْلَكِ الشَّيْطَانِيِّ كُلِّيّاً ؛ وَلٰكِنْ ضَيَّقْنَا عَلَيْهِمُ الْمَكَانَ ، بِذٰلِكَ الِاسْتِعْمَالِ ، إِلٰى قَعْرِ الْبِئْرِ ؛ فَاسْتَوْلَيْنَا عَلَى الْمَيْدَانِ ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلٰى آخِرِهِ ، بِحِسَابِ الْقُرْآنِ ؛ وَأَظْهَرْنَا صِبْغَتَهُمُ الْبَاطِنِيَّةَ . .

فَانْظُرْ إِلٰى هٰذَا النَّصْرِ ، فِي هٰذَا الْمِثَالِ : نَفْتَرِضُ مَثَلاً مَنَارَةً عَالِيَةً جِدّاً ، مَاسَّ رَأْسُهَا السَّمَاوَاتِ ؛ وَحُفِرَ تَحْتَهَا بِئْرٌ ، إِلٰى مَرْكَزِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ فَتُنَاقِشُ فِرْقَتَانِ ، لِإِثْبَاتِ أَنَّ شَخْصاً يُسْمَعُ أَذَانُهُ ، فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ ، لِجَمِيعِ النَّاسِ ، هُوَ فِي أَيِّ مَوْقِعٍ مِنْ رَأْسِ الْمَنَارَةِ ، إِلٰى قَعْرِ الْبِئْرِ . .

فَتَقُولُ الْفِرْقَةُ الْأُولٰى : إِنَّهُ عَلٰى رَأْسِ الْمَنَارَةِ ؛ يَقْرَأُ الْأَذَانَ لِلْعَالَمِ ؛ لِأَنَّا نَسْمَعُ أَذَانَهُ ؛

وَإِنَّهُ حَيٌّ وَعَالٍ ؛ وَإِنَّهُ ، وَإِنْ لَمْ يَرَهُ كُلُّ أَحَدٍ ، فِي ذٰلِكَ الْمَقَامِ الرَّفِيعِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ ، فِي مَقَامٍ وَمِرْقَاةٍ ، حَسَبَ دَرَجَتِهِ ؛ إِذْ إِنَّهُ يَصْعَدُ وَيَنْزِلُ ؛ وَبِذٰلِكَ يُعْلَمُ أَنَّهُ يَصْعَدُ إِلَى الْأَعْلٰى ؛ وَأَنَّهُ صَاحِبُ ذٰلِكَ الْمَقَامِ الرَّفِيعِ ، أَيْنَمَا شُوهِدَ . .

وَأَمَّا الْفِئَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الْحَمْقَاءُ ، فَتَقُولُ : كَلَّا ؛ لَيْسَ مَقَامُهُ رَأْسَ الْمَنَارَةِ ؛ وَإِنَّهُ أَيْنَمَا شُوهِدَ ؛ فَمَقَامُهُ قَعْرُ الْبِئْرِ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَصْلاً ، فِي قَعْرِ الْبِئْرِ ؛ وَلَنْ يَرَاهُ فِيهِ ؛ فَلَوْ كَانَ ثَقِيلاً كَالصَّخْرَةِ ، وَغَيْرَ مُخْتَارٍ ، بِالْفَرْضِ ؛ لَوُجِدَ فِي قَعْرِ الْبِئْرِ ؛ وَرَآهُ أَحَدٌ فِيهِ الْبَتَّةَ . .

وَالْآنَ إِنَّ مَيْدَانَ قِتَالِ هَاتَيْنِ الْفِئَتَيْنِ ، مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ ، مِنْ رَأْسِ تِلْكَ الْمَنَارَةِ ، إِلٰى قَعْرِ الْبِئْرِ . .

فَجَمَاعَةُ أَهْلِ النُّورِ : الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا «حِزْبُ اللهِ» ، يُرُونَ مَنْ أَنْظَارُهُمْ رَفِيعَةٌ ، ذٰلِكَ الْمُؤَذِّنَ ، عَلٰى رَأْسِ الْمَنَارَةِ ؛ وَيُرُونَ قَاصِرِي النَّظَرِ ، وَمَنْ لَا تَطْلَعُ أَنْظَارُهُمْ ، إِلٰى تِلْكَ الدَّرَجَةِ ، ذٰلِكَ الْمُؤَذِّنَ الْأَعْظَمَ ، فِي بَعْضِ الْمَرَاقِي ، حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ ؛ وَإِنَّهُمْ تَكْفِيهِمْ أَمَارَةٌ صَغِيرَةٌ ؛ وَتُثْبِتُ لَهُمْ أَنَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ ، لَيْسَ جِسْماً جَامِداً كَالْحَجَرِ ؛ بَلْ هُوَ إِنْسَانٌ كَامِلٌ ؛ إِذَا شَاءَ يَطْلَعُ إِلَى الْأَعْلٰى ؛ فَيُرٰى وَيَقْرَأُ الْأَذَانَ . .

وَأَمَّا الْفِئَةُ الْأُخْرَى : الَّتِي يُقَالُ لَهَا «حِزْبُ الشَّيْطَانِ» ؛ فَإِنَّهَا تَقُولُ : إِمَّا أَنْ تُرُوهُ كُلَّ أَحَدٍ ، عَلٰى رَأْسِ الْمَنَارَةِ ؛ وَإِمَّا أَنَّ مَقَامَهُ قَعْرُ الْبِئْرِ ؛ هٰكَذَا يَحْكُمُونَ ، عَلٰى وَجْهِ الْحُمْقِ ؛ وَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ حُمْقِهِمْ ، أَنَّ عَدَمَ إِرَاءَتِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، عَلٰى رَأْسِ الْمَنَارَةِ ، يَنْشَأُ عَنْ عَدَمِ صُعُودِ نَظَرِ كُلِّ أَحَدٍ ، إِلٰى هُنَالِكَ . وَأَيْضاً أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْتَلُّوا بِصُورَةِ الْمُغَالَطَةِ ، جَمِيعَ الْمَسَافَةِ مَا عَدَا رَأْسَ الْمَنَارَةِ ؛ فَيَخْرُجُ أَحَدٌ ، لِحَلِّ مُنَاقَشَةِ تَيْنِكَ الْجَمَاعَتَيْنِ ؛ وَيَقُولُ لِذٰلِكَ الْحِزْبِ الشَّيْطَانِيِّ : «أَيَّتُهَا الْفِئَةُ الْمَنْحُوسَةُ ! إِنْ كَانَ مَقَامُ ذٰلِكَ الْمُؤَذِّنِ الْأَعْظَمِ ، قَعْرَ الْبِئْرِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ جَامِداً كَالصَّخْرَةِ ، بِلَا حَيَاةٍ وَلَا قُوَّةٍ ؛ وَيَلْزَمُ أَنْ لَا يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُرٰى فِي مَرَاقِي الْبِئْرِ ، وَدَرَجَاتِ الْمَنَارَةِ ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ تَرَوْنَ كَذٰلِكَ ؛ فَلَا شَكَّ

أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ جَامِداً ، بِلَا قُوَّةٍ وَلَا حَقِيقَةٍ ؛ وَأَنَّ رَأْسَ الْمَنَارَةِ ، يَكُونُ مَقَامَهُ الْبَتَّةَ ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِمَّا إِنَّكُمْ تُرُونَهُ فِي قَعْرِ الْبِئْرِ ؛ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُثْبِتُوا هٰذَا ، بِأَيِّ جِهَةٍ ؛ وَلَنْ تُسْمِعُوا أَحَداً أَنَّهُ هُنَاكَ ؛ أَوِ اسْكُتُوا ؛ فَإِنَّ مَيْدَانَ دِفَاعِكُمْ ، قَعْرُ الْبِئْرِ ؛ وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْمَيْدَانِ وَالْمَسَافَةُ الطَّوِيلَةُ ، فَإِنَّهَا مَيْدَانُ هٰذِهِ الْجَمَاعَةِ الْمُبَارَكَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ أَيْنَمَا أَرَوْا ذٰلِكَ الشَّخْصَ ، مَا عَدَا قَعْرَ الْبِئْرِ ؛ يَفُوزُونَ بِالدَّعْوٰى» . .

هٰذَا ؛ فَمَبْحَثُ الْمُنَاظَرَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، يَسْلُبُ الْمَسَافَةَ الْمَدِيدَةَ ، مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْفَرْشِ ، عَنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ ، كَهٰذَا التَّمْثِيلِ ؛ وَيُجْبِرُ حِزْبَ الشَّيْطَانِ ؛ وَيُضَيِّقُهُمْ ؛ وَيَتْرُكُ لَهُمُ الْمَوْقِعَ الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ مُحَالٌ وَمَنْفُورٌ ، وَغَيْرُ مَعْقُولٍ ؛ وَيُضَيِّقُهُمْ إِلٰى أَضْيَقِ ثُقْبٍ لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ ؛ وَيَسْتَوْلِي عَلٰى جَمِيعِ الْمَسَافَةِ ، بِاسْمِ الْقُرْآنِ . فَإِنْ قِيلَ لَهُمْ : كَيْفَ الْقُرْآنُ ؟ يَقُولُونَ : إِنَّهُ كِتَابٌ إِنْسَانِيٌّ لَطِيفٌ ، يُدَرِّسُ الْأَخْلَاقَ ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ حِينَئِذٍ : إِذاً هُوَ كَلَامُ اللّٰهِ ؛ وَإِنَّكُمْ مُضْطَرُّونَ أَنْ تَقْبَلُوا هٰكَذَا ؛ لِأَنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ حَسَبَ مَسْلَكِكُمْ ، أَنْ تَقُولُوا : إِنَّهُ جَمِيلٌ ؛ وَأَيْضاً إِنْ قِيلَ لَهُمْ : كَيْفَ تَعْلَمُونَ النَّبِيَّ ؟ يَقُولُونَ : إِنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ جِدّاً ، وَحَمِيدُ الْأَخْلَاقِ ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ حِينَئِذٍ : إِذاً فَآمِنُوا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَاقِلاً وَحَمِيدَ الْأَخْلَاقِ ؛ فَهُوَ رَسُولُ اللّٰهِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ لِأَنَّ كَلَامَكُمُ الْجَمِيلَ هٰذَا ، لَيْسَ دَاخِلاً فِي حُدُودِكُمْ ؛ وَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَقُولُوا هٰكَذَا ، حَسَبَ مَسْلَكِكُمْ . وَهٰكَذَا يُطَبَّقُ سَائِرُ جِهَاتِ الْحَقِيقَةِ ، عَلٰى سَائِرِ الْإِشَارَاتِ فِي التَّمْثِيلِ . .

فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، أَنَّ ذٰلِكَ الْمَبْحَثَ الْأَوَّلَ الَّذِي نُوظِرَ بِهِ الشَّيْطَانُ ، لَا يُحَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ، لِحِفْظِ إِيمَانِهِمْ ، إِلٰى مَعْرِفَةِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَتَعَلُّمِ بَرَاهِينِهِ الْقَطْعِيَّةِ ؛ فَأَدْنٰى أَمَارَةٍ ، وَأَصْغَرُ دَلِيلٍ ، يُنْقِذُ إِيمَانَهُمْ ؛ وَأَنَّ كُلَّ حَالٍ أَحْمَدِيٍّ ، وَكُلَّ خَصْلَةٍ مُحَمَّدِيَّةٍ ، وَكُلَّ طَوْرٍ نَبَوِيٍّ ، تَصِيرُ فِي حُكْمِ مُعْجِزَةٍ ، عَلٰى أَنَّهُ لَيْسَ فِي أَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ ، فِي قَعْرِ الْبِئْرِ ؛ وَتُثْبِتُ أَنَّ لَهُ مَقَاماً فِي أَعْلٰى عِلِّيِّينَ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ مَسْأَلَةٌ هِيَ مَدَارُ الْعِبْرَةِ ؛ وَإِنِّي مُضْطَرٌّ إِلَى بَيَانِ إِكْرَامٍ رَبَّانِيٍّ ، وَحِمَايَةٍ إِلٰهِيَّةٍ ، عَائِدَيْنِ إِلَى مَحْضِ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، بِدَلَالَةِ سَبْعِ أَمَارَاتٍ تُؤَيِّدُ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، لِبَعْضِ أَصْدِقَائِيَ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِلْوَهْمِ ؛ وَوَقَعُوا فِي الْفُتُورِ ؛ وَذٰلِكَ لِأُنْقِذَ ذٰلِكَ الْقِسْمَ الضَّعِيفَ الْأَعْصَابِ ، مِنْ أَصْدِقَائِي ؛ وَإِنَّ أَرْبَعَةً مِنْ تِلْكَ الْأَمَارَاتِ السَّبْعِ ، كَانُوا أَصْدِقَاءَ ؛ فَاتَّخَذُوا كَيْفِيَّةَ الْأَعْدَاءِ ، لَا لِشَخْصِي ، بَلْ فِي جِهَةِ خِدْمَتِي لِلْقُرْآنِ ، لِمُجَرَّدِ مَقَاصِدَ دُنْيَوِيَّةٍ ؛ فَذَاقُوا الصَّفْعَةَ بِسَبَبِ ذٰلِكَ ، بِعَكْسِ تِلْكَ الْمَقَاصِدِ ؛ وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الْأُخْرَىٰ ، مِنْ تِلْكَ الْأَمَارَاتِ السَّبْعِ ، فَكَانُوا أَصْدِقَاءَ جِدّاً ؛ وَهُمْ أَصْدِقَاءُ دَائِماً ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يُظْهِرُوا مُؤَقَّتاً ، كَيْفِيَّةَ الْمُرُوءَةِ ، الَّتِي تَقْتَضِيهَا الصَّدَاقَةُ ؛ حَتّٰى يَفُوزُوا بِتَوَجُّهِ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ فَيَظْفَرُوا بِبَعْضِ مَقَاصِدَ دُنْيَوِيَّةٍ ؛ وَيَأْمَنُوا عَنْ رُؤُوسِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّ أُولَائِكَ الْأَصْدِقَاءَ الثَّلَاثَةَ لِي ، وَجَدُوا بَعْضَ مَعَاتِبَ ، بِعَكْسِ مَقَاصِدِهِمْ ، مَعَ الْأَسَفِ . .

اَلْأَوَّلُ : مِنَ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ كَانُوا أَوَّلاً أَصْدِقَاءَ ظَاهِراً ؛ ثُمَّ أَظْهَرُوا كَيْفِيَّةَ الْأَعْدَاءِ : مُدِيرٌ تَضَرَّعَ بِعِدَّةِ وَسَائِلَ ؛ وَطَلَبَ نُسْخَةً مِنَ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ ؛ فَأَعْطَيْتُهُ ؛ وَهُوَ تَرَكَ صَدَاقَتِي ؛ فَاتَّخَذَ وَضْعَ الْعَدَاوَةِ ؛ وَأَعْطَاهَا الْوَالِيَ ، بِصُورَةِ الشَّكْوَىٰ وَالْإِخْبَارِ ، لِأَجْلِ التَّرْفِيعِ ؛ فَعُزِلَ فَضْلاً عَنِ التَّرْفِيعِ ، أَثَرَ إِكْرَامٍ لِلْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ . .

اَلثَّانِي : مُدِيرٌ آخَرُ ؛ وَكَانَ صَدِيقاً ؛ فَاتَّخَذَ وَضْعَ الرَّقِيبِ وَالْعَدُوِّ ، لَا لِشَخْصِي ، بَلْ فِي جِهَةِ خِدْمَتِي ، ابْتِغَاءَ رِضَا رُؤَسَائِهِ ، وَبِقَصْدِ الْفَوْزِ بِتَوَجُّهِ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ فَذَاقَ الصَّفْعَةَ ، بِعَكْسِ مَقْصُودِهِ ؛ وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ ، لِسَنَتَيْنِ وَنِصْفٍ ، فِي مَسْأَلَةٍ كَانَتْ لَا تُؤَمِّلُ ؛ ثُمَّ طَلَبَ الدُّعَاءَ ، مِنْ خَادِمٍ لِلْقُرْآنِ ؛ فَلَعَلَّهُ يَنْجُو ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ لِأَنَّهُ دُعِيَ لَهُ . .

اَلثَّالِثُ : مُعَلِّمٌ ؛ وَكَانَ يُرَىٰ صَدِيقاً ؛ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ صَدِيقاً أَيْضاً ؛ ثُمَّ اخْتَارَ كَيْفِيَّةَ عَدَاوَةٍ ؛ لِيَنْتَقِلَ إِلَى «بَارْلَا» ؛ فَيُقِيمَ بِهَا ؛ فَذَاقَ الصَّفْعَةَ ، بِعَكْسِ مَقْصُودِهِ ذٰلِكَ ؛ فَطُرِدَ عَنْ مِهْنَةِ الْمُعَلِّمِ ، إِلَى التَّجَنُّدِ ؛ وَأُبْعِدَ عَنْ «بَارْلَا» . .

اَلرَّابِعُ : مُعَلِّمٌ رَأَيْتُهُ حَافِظاً وَمُتَدَيِّناً ؛ فَلِذٰلِكَ أَظْهَرْتُ لَهُ صَدَاقَةً صَمِيمَةً ، بِنِيَّةِ أَنَّهُ سَيَعْمَلُ صَدَاقَةً لِي ، فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ ثُمَّ اتَّخَذَ تِجَاهَنَا ، كَيْفِيَّةَ جَبَانَةٍ وَبُرُودَةٍ جِدّاً ، بِكَلَامٍ وَاحِدٍ ، لِمُوَظَّفٍ ؛ لِيَظْفَرَ بِتَوَجُّهِ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ ثُمَّ ذَاقَ الصَّفْعَةَ ، بِعَكْسِ ذٰلِكَ الْمَقْصَدِ لَهُ ؛ فَذَاقَ تَعْزِيراً شَدِيداً ، مِنَ الْمُفَتِّشِ ؛ وَعُزِلَ . .

فَهٰؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ ، هٰكَذَا ذَاقُوا الصَّفْعَةَ ، بِاتِّخَاذِهِمْ كَيْفِيَّةَ الْعَدُوِّ ؛ كَمَا أَنَّ ثَلَاثَةً مِنْ أَصْدِقَائِي أَيْضاً ، أُوقِظُوا بِعَكْسِ مَقْصُودِهِمْ ، مِنْ قَبِيلِ نَوْعٍ مِنَ الْإِخْطَارِ ، لَا الصَّفْعَةِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُظْهِرُوا كَيْفِيَّةَ الْمُرُوءَةِ ، الَّتِي تَقْتَضِيهَا الصَّدَاقَةُ الْجَادَّةُ . .

اَلْأَوَّلُ : شَخْصٌ مُحْتَرَمٌ تِلْمِيذٌ لِي ، حَقِيقِيٌّ وَجِدِّيٌّ مُهِمٌّ لِلْغَايَةِ ؛ كَانَ يَكْتُبُ «**الْمَقَالَاتِ**» ؛ وَيَنْشُرُهَا مُتَمَادِياً ؛ فَأَخْفَى مَا كَتَبَهُ مِنَ «**الْمَقَالَاتِ**» ؛ وَتَرَكَ الِاسْتِنْسَاخَ مُؤَقَّتاً ، بِقُدُومِ مَأْمُورٍ كَبِيرٍ مُشَوِّشٍ ، وَبِوُقُوعِ حَادِثَةٍ ؛ حَتّٰى لَا يُلَاقِيَ مَشَقَّةً ؛ وَلَا يُقَاسِيَ شِدَّةً ، عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ وَيَأْمَنَ عَنْ شَرِّهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُ نُصِبَ أَمَامَ عَيْنِهِ ، بَلَاءٌ مِثْلُ الْحُكْمِ عَلَيْهِ ، بِأَلْفِ لِيرَةٍ ، سَنَةً كَامِلَةً ، أَثَرَ خَطَأٍ نَاشِئٍ عَنْ تَعْطِيلِ تِلْكَ الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مُؤَقَّتاً ؛ فَلَمَّا نَوَى الِاسْتِنْسَاخَ ؛ وَعَادَ إِلٰى وَضْعِهِ الْقَدِيمِ ؛ بَرِئَ مِنْ تِلْكَ الدَّعْوٰى ؛ وَفَازَ بِالْبَرَاءَةِ ؛ **لِلّٰهِ الْحَمْدُ** ؛ وَنَجَا عَنْ أَلْفِ لِيرَةٍ ، مَعَ فَقْرِ حَالِهِ . .

اَلثَّانِي : صَدِيقٌ لِي ، جَرِيءٌ جَادٌّ كَرِيمٌ ، مُنْذُ خَمْسِ سِنِينَ ؛ وَقَدْ كَانَ جَارِي ؛ فَلَمْ يَزُرْنِي عِدَّةَ أَشْهُرٍ ، بِدُونِ اخْتِيَارٍ ، وَغَيْرَ مُتَفَكِّرٍ ؛ لِيَفُوزَ بِتَوَجُّهِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَتَوَجُّهِ مُوَظَّفٍ كَبِيرٍ جَاءَ مِنْ جَدِيدٍ ؛ وَيَفُوزَ بِحُسْنِ ظَنِّهِمْ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ لَمْ يَمُرَّ عَلَيَّ ، فِي رَمَضَانَ ، وَفِي الْعِيدِ ؛ مَعَ أَنَّهُ حَدَثَتْ مَسْأَلَةُ الْقَرْيَةِ ؛ فَانْتَقَضَ نُفُوذُهُ ، بِعَكْسِ مَقْصُودِهِ . .

اَلثَّالِثُ : حَافِظٌ كَانَ يَزُورُنِي فِي الْأُسْبُوعِ ، مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ؛ فَصَارَ إِمَاماً ؛ وَتَرَكَنِي شَهْرَيْنِ ؛ لِيَلُفَّ الْعِمَامَةَ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَيَّ فِي الْعِيدِ ؛ فَمُنِعَ خِلَافَ الْمَأْمُولِ ، عَنْ لَفِّ الْعِمَامَةِ ، بِعَكْسِ مَقْصُودِهِ ، بِصُورَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْعَادَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَمَّ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ ثَمَانِيَةً . .

فَمِثْلُ هٰذِهِ الْوَاقِعَاتِ، تُوجَدُ كَثِيراً؛ وَلٰكِنْ لَا أَذْكُرُهَا لِئَلّا تَنْكَسِرَ قُلُوبُ بَعْضِهِمْ. وَهٰذِهِ مَهْمَا كَانَتْ أَمَارَاتٍ ضَعِيفَةً، إِلّا أَنَّهُ يُحَسُّ بِالْقُوَّةِ، فِي اجْتِمَاعِهَا؛ فَبِذٰلِكَ يُفْهَمُ وَيُعْتَقَدُ أَنَّنَا نَخْدُمُ تَحْتَ إِكْرَامٍ إِلٰهِيٍّ، وَحِمَايَةٍ رَبَّانِيَّةٍ؛ لَيْسَ لِشَخْصِي؛ لِأَنِّي لَا أَرَى نَفْسِي، لَائِقَةً بِأَيِّ إِكْرَامٍ، بَلْ فِي جِهَةِ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ فَحَسْبُ؛ فَعَلٰى أَصْدِقَائِي أَنْ يُلَاحِظُوا هٰذَا؛ وَلَا يُبَالُوا بِالْأَوْهَامِ؛ وَلَمَّا كَانَ إِكْرَاماً إِلٰهِيّاً لِخِدْمَتِي؛ وَلَمْ يَكُنْ سَبَباً لِلْفَخْرِ، بَلْ لِلشُّكْرِ؛ وَيُوجَدُ أَمْرُهُ تَعَالٰى بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾؛ أُبَيِّنُ لِأَصْدِقَائِي، بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، بِنَاءً عَلٰى هٰذِهِ الْأَسْرَارِ..

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ:﴾ هِيَ حَاشِيَةُ الْمِثَالِ الثَّالِثِ، لِلنُّقْطَةِ الثَّالِثَةِ، لِلسَّبَبِ الْخَامِسِ، مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ لِلاجْتِهَادِ، مِنَ الْمَقَالَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ..

سُؤَالٌ مُهِمٌّ: يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ: «إِنَّ الْأَلْفَاظَ الْقُرْآنِيَّةَ وَالذِّكْرِيَّةَ، وَسَائِرَ التَّسَابِيحِ، يُنَوِّرُ كُلٌّ مِنْهَا، لَطَائِفَ الْإِنْسَانِ الْمَعْنَوِيَّةَ؛ وَيُغَذِّيهَا غِذَاءً مَعْنَوِيّاً، بِجِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ فَإِذَا لَمْ تُفْهَمْ مَعَانِيهَا؛ لَا تُفِيدُ الْأَلْفَاظُ فَقَطْ؛ وَلَا تَكْفِي؛ وَإِنَّ اللَّفْظَ لِبَاسٌ؛ فَإِذَا بُدِّلَ اللِّبَاسُ؛ وَأُلْبِسَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ، أَلْفَاظاً عَلٰى تِلْكَ الْمَعَانِي بِلِسَانِهَا؛ أَفَلَا يَكُونُ أَنْفَعَ»؟.

اَلْجَوَابُ: أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْقُرْآنِيَّةَ، وَأَلْفَاظَ التَّسْبِيحَاتِ النَّبَوِيَّةِ، لَيْسَتْ لِبَاساً جَامِداً؛ وَإِنَّمَا هِيَ مِثْلُ جِلْدٍ حَيٍّ لِلْجَسَدِ؛ بَلْ صَارَ جِلْداً، بِمُرُورِ الزَّمَانِ. فَاللِّبَاسُ يُبَدَّلُ؛ وَلٰكِنَّ الْجِلْدَ، إِذَا بُدِّلَ؛ يَضُرُّ بِالْبَدَنِ؛ بَلْ إِنَّ الْأَلْفَاظَ الْمُبَارَكَةَ، كَمَا فِي الصَّلَاةِ وَالْأَذَانِ، صَارَتْ أَعْلَاماً وَأَسْمَاءً لِمَعَانِيهَا الْعُرْفِيَّةِ؛ فَالْعَلَمُ وَالِاسْمُ لَا يُبَدَّلُ؛ وَإِنِّي حَقَّقْتُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، حَالَةً جَرَّبْتُهَا فِي نَفْسِي؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ تِلْكَ الْحَالَةَ حَقِيقَةٌ؛ وَهِيَ: أَنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ، يَوْمَ عَرَفَةَ؛ فَأُكَرِّرُهَا مِئَاتِ الْمَرَّاتِ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ بَعْضَ حَوَاسَّ مَعْنَوِيَّةٍ فِيَّ، يَأْخُذُ غِذَاءَهُ، فِي عِدَّةِ مَرَّاتٍ؛ فَيُعْرِضُ عَنْهُ وَيَتَوَقَّفُ؛ وَأَنَّ قِسْماً مِثْلَ

الْقُوَّةِ الْمُفَكِّرَةِ ، يَتَوَجَّهُ إِلٰى جَانِبِ الْمَعْنٰى زَمَناً ؛ وَيَأْخُذُ حِصَّتَهُ فَيَتَوَقَّفُ أَيْضاً ؛ وَأَنَّ قِسْماً مِثْلَ الْقَلْبِ ، يَأْخُذُ حِصَّتَهُ فِي جِهَةِ بَعْضِ مَفَاهِيمَ تَكُونُ مَدَاراً لِذَوْقٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ فَيَسْكُتُ هُوَ أَيْضاً ؛ وَهٰكَذَا هَلُمَّ جَرّاً ، إِلٰى أَنْ يَبْقٰى فِي ذٰلِكَ التَّكْرَارِ ، بَعْضُ لَطَائِفَ فَقَطْ ؛ فَإِنَّهُ يَدُومُ وَيَسْأَمُ بَطِيئاً جِدّاً ؛ وَلَا يَحْتَاجُ بَعْدُ ، إِلَى الْمَعْنٰى وَالتَّدْقِيقِ أَصْلاً ؛ وَلَا تَضُرُّهُ الْغَفْلَةُ ؛ كَمَا تَضُرُّ الْقُوَّةَ الْمُفَكِّرَةَ ؛ وَيَكْفِيهِ اللَّفْظُ مَعَ مَآلٍ إِجْمَالِيٍّ يُشْبِعُهُ اللَّفْظُ ؛ وَيَكْفِيهِ الْمَعْنَى الْعُرْفِيُّ الَّذِي صَارَتِ الْأَلْفَاظُ ، اسْماً وَعَلَماً لَهُ ؛ فَإِنْ لَاحَظَ الْمَعْنٰى حِينَئِذٍ ؛ أَوْرَثَ مَلَلاً ضَارّاً ؛ وَإِنَّ تِلْكَ اللَّطَائِفَ الَّتِي تَدُومُ ، لَيْسَتْ مُحْتَاجَةً إِلَى التَّعَلُّمِ وَالتَّفَهُّمِ ؛ بَلْ تُبْدِي الِاحْتِيَاجَ إِلَى التَّخَطُّرِ وَالتَّوَجُّهِ وَالتَّشْوِيقِ ؛ وَإِنَّ أَلْفَاظَهَا الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ الْجِلْدِ ، تَكْفِيهَا ؛ وَتُؤَدِّي وَظِيفَةَ الْمَعْنٰى ؛ وَإِنَّهَا مَدَارٌ لِفَيْضٍ دَائِمٍ ، لَاسِيَّمَا بِالتَّذَكُّرِ بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَنَّهَا كَلَامُ اللّٰهِ وَتَكَلُّمُهُ . .

فَهٰذِهِ الْحَالَةُ الَّتِي جَرَّبْتُهَا أَنَا بِنَفْسِي ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ إِفَادَةَ الْحَقَائِقِ ، بِلِسَانٍ آخَرَ ، كَالْأَذَانِ وَتَسْبِيحَاتِ الصَّلَاةِ ، وَكَسُورَةِ الْفَاتِحَةِ ، وَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، الَّتِي تُكَرَّرُ دَائِماً ، ضَارَّةٌ جِدّاً ؛ إِذْ بَعْدَمَا تَغِيبُ الْأَلْفَاظُ الْإِلٰهِيَّةُ وَالنَّبَوِيَّةُ ، الَّتِي هِيَ الْمَنْبَعُ الدَّائِمُ ؛ تَغِيبُ الْحِصَّةُ الدَّائِمَةُ ، لِتِلْكَ اللَّطَائِفِ الدَّائِمَةِ أَيْضاً ؛ وَكَذَا يَحْصُلُ أَضْرَارٌ كَضِيَاعِ ثَوَابِ كُلِّ حَرْفٍ ، عَشْرَ حَسَنَاتٍ عَلَى الْأَقَلِّ ، وَكَإِيرَاثِ تَعْبِيرَاتِ الْإِنْسَانِ ، الظُّلْمَةَ لِلرُّوحِ ، بِوَاسِطَةِ التَّرْجَمَةِ بَيْنَ الْغَفْلَةِ ؛ إِذْ لَا يَدُومُ الْحُضُورُ الدَّائِمُ ، فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ لِكُلِّ أَحَدٍ . .

نَعَمْ : كَمَا أَنَّ الْإِمَامَ الْأَعْظَمَ ، قَالَ : إِنَّ (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ) عَلَمٌ وَاسْمٌ لِلتَّوْحِيدِ ؛ نَقُولُ نَحْنُ أَيْضاً : إِنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ الْمُطْلَقَةَ ، مِنَ الْكَلِمَاتِ التَّسْبِيحِيَّةِ وَالذِّكْرِيَّةِ ، لَاسِيَّمَا مَا فِي الْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ ، صَارَتْ فِي حُكْمِ الْعَلَمِ وَالِاسْمِ ؛ فَيُنْظَرُ إِلٰى مَعْنَاهَا الْعُرْفِيِّ الشَّرْعِيِّ ، أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَاهَا اللُّغَوِيِّ ، كَالْعَلَمِ ؛ فَإِذاً لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهَا شَرْعاً ؛ وَإِنَّ مَعْنَاهَا الْمُجْمَلَ اللَّازِمَ عِلْمُهُ ، لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ؛ يَعْنِي مَآلاً مُخْتَصَراً لَهَا ، يَتَعَلَّمُهُ فَوْراً ، أَدْنٰى

عَامِّيٍّ . وَإِنَّ الَّذِينَ يَقْضُونَ جَمِيعَ أَعْمَارِهِمْ بِالْإِسْلَامِ ؛ وَيَمْلَؤُونَ أَدْمِغَتَهُمْ ، بِآلَافٍ مِمَّا لَا يَعْنِيهِمْ ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُوا مَعْذُورِينَ لِعَدَمِ تَعَلُّمِهِمُ الْمَآلَ الْإِجْمَالِيَّ ، لِهٰذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ حَيَاتِهِمُ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَتُعَلَّمُ فِي أُسْبُوعٍ أَوْ أُسْبُوعَيْنِ ؟ وَكَيْفَ يَكُونُونَ مُسْلِمِينَ ؟ وَكَيْفَ يُقَالُ لَهُمُ الْعُقَلَاءُ ؟ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ ، أَنْ يُغَيِّرَ مَحْفَظَةَ مَنَابِعِ ذٰلِكَ النُّورِ ، لِتَكَاسُلِ أَمْثَالِ أُولٰئِكَ الْكُسَالٰى ؛ وَأَيْضاً أَنَّ مَنْ يَقُولُ : «سُبْحَانَ اللهِ» ، مِنْ أَيِّ قَوْمٍ كَانَ ؛ يَعْرِفُ أَنَّهُ يُقَدِّسُ اللهَ تَعَالٰى ؛ أَفَلَا يَكْفِي هٰذَا الْقَدَرُ ؟ فَإِنْ تَوَجَّهَ إِلٰى مَعْنَاهَا بِلِسَانِهِ ؛ يَتَعَلَّمُهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، فِي جِهَةِ الْعَقْلِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُكَرِّرُهَا فِي الْيَوْمِ ، مِئَةَ مَرَّةٍ . فَالْمَآلُ الْإِجْمَالِيُّ مِنَ اللَّفْظِ ، الَّذِي سَرٰى إِلَى اللَّفْظِ ؛ وَامْتَزَجَ بِهِ ، مَدَارٌ لِأَنْوَارٍ وَفُيُوضَاتٍ كَثِيرَةٍ ، مَا عَدَا حِصَّةَ تَعَلُّمِ الْعَقْلِ ، فِي تِلْكَ الْمَرَّاتِ الْمِئَةِ ، لَاسِيَّمَا أَنَّ الْقُدُسِيَّةَ الَّتِي يَتَّخِذُهَا بِاعْتِبَارِ التَّكَلُّمِ الْإِلٰهِيِّ ، وَالْفُيُوضَاتِ وَالْأَنْوَارَ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْ تِلْكَ الْقُدُسِيَّةِ ، أَهَمُّ كَثِيراً . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْقُدُسِيَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَحْفَظَةُ الضَّرُورِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ ، لَا يُقَامُ شَيْءٌ مَّا مُقَامَهَا ؛ وَلَا يَسُدُّ مَسَدَّهَا ؛ وَلَا يُؤَدِّي مُؤَدَّاهَا ؛ وَإِنْ أَفَادَ غَيْرُهَا مُؤَقَّتاً ؛ فَلَا يُفِيدُ دَائِماً ، عُلْوِيّاً وَقُدُسِيّاً . . وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ الَّتِي هِيَ مَحْفَظَةُ النَّظَرِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ ؛ فَلَا يَبْقٰى لُزُومٌ لِتَبْدِيلِهَا ؛ إِذْ يَنْدَفِعُ ذٰلِكَ الِاحْتِيَاجُ ، بِالنَّصِيحَةِ وَبِسَائِرِ التَّدْرِيسِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْوَعْظِ ؛ وَإِنَّ جَامِعِيَّةَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، ذٰلِكَ اللِّسَانِ النَّحْوِيِّ ، وَإِعْجَازَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ ، هِيَ عَلٰى كَيْفِيَّةٍ لَيْسَتْ قَابِلَةً لِلتَّرْجَمَةِ ؛ بَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ : إِنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ ؛ فَمَنْ كَانَ لَهُ شُبْهَةٌ ؛ فَلْيُرَاجِعِ الْمَقَالَةَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي بَيَانِ الْإِعْجَازِ . . وَأَمَّا مَا يُسَمُّونَهُ بِالتَّرْجَمَةِ ؛ فَلَيْسَ إِلَّا مَآلاً نَاقِصاً مُخْتَصَراً لِلْغَايَةِ . فَأَيْنَ مِثْلُ هٰذَا الْمَآلِ ؟ وَأَيْنَ الْمَعَانِي الْحَقِيقِيَّةُ ، لِلْآيَاتِ الْحَيَّةِ الْمُتَشَعِّبَةِ بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ؟ .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ : ﴾ مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ مُحَرَّمَةٌ وَسِرٌّ لِلْوَلَايَةِ : إِنَّ الْفِرْقَةَ الْعَظِيمَةَ ، مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ ، الَّتِي تُسَمّٰى فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، بِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، حَافَظُوا عَلٰى

الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ ، مُتَّبِعِينَ لِلسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ بِمَاهِيَّتِهَا ، فِي دَائِرَةِ الاِسْتِقَامَةِ . وَالْأَكْثَرِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ، نَشَأَتْ عَنْ تِلْكَ الدَّائِرَةِ ؛ وَإِنَّ قِسْماً آخَرَ مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ، شُوهِدَ فِي خَارِجِ بَعْضِ دَسَاتِيرِ **أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ** ، وَفِي جَادَّةٍ مُخَالِفَةٍ لِأُصُولِهِمْ . فَالنَّاظِرُونَ إِلٰى هٰذَا الْقِسْمِ مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ، تَفَرَّقُوا إِلٰى شِقَّيْنِ . .

فَقِسْمٌ مِنْهُمْ أَنْكَرُوا وِلَايَتَهُمْ ، لِكَوْنِهِمْ مُخَالِفِينَ لِأُصُولِ **أَهْلِ السُّنَّةِ** ؛ حَتّٰى إِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلٰى تَكْفِيرِ بَعْضٍ مِنْهُمْ . .

وَالْقِسْمُ الْآخَرُ ؛ وَهُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ، يَقُولُونَ : إِنَّ الْحَقَّ لَيْسَ مُنْحَصِراً عَلٰى مَسَالِكِ **أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ** ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ قَبِلُوا وِلَايَتَهُمْ ؛ فَشَكَّلُوا فِرْقَةً مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُمْ سَلَكُوا إِلَى الضَّلَالِ ؛ فَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ هَادٍ ، لَا يَكُونُ مَهْدِيّاً ؛ فَشَيْخُهُمْ مَعْذُورٌ ؛ لِأَنَّهُ مَجْذُوبٌ ؛ وَأَمَّا هُمْ ، فَلَا يَكُونُونَ مَعْذُورِينَ . .

وَإِنَّ قِسْماً مُتَوَسِّطاً ، لَمْ يُنْكِرُوا وِلَايَةَ أُولٰئِكَ الْأَوْلِيَاءِ ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يَقْبَلُوا مَنْهَجَهُمْ وَمَسْلَكَهُمْ ؛ وَيَقُولُونَ : إِنَّ أَقْوَالَهُمُ الْمُخَالِفَةَ لِلْأُصُولِ ، إِمَّا أَنَّهُمْ غُلِبُوا لِلْحَالِ ؛ فَأَخْطَؤُوا ؛ وَإِمَّا أَنَّهَا شَطَحَاتٌ مِثْلُ مُتَشَابِهَاتٍ لَا يُعْلَمُ مَعْنَاهَا . .

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ ، لَاسِيَّمَا عُلَمَاءِ أَهْلِ الظَّاهِرِ ، اضْطُرُّوا إِلٰى إِنْكَارِ أَوْلِيَاءَ مُهِمَّةٍ جِدّاً ، بَلْ إِلٰى تَضْلِيلِهِمْ ، مَعَ التَّأَسُّفِ ؛ وَذٰلِكَ بِنِيَّةِ الْمُحَافَظَةِ عَلٰى **مَسْلَكِ أَهْلِ السُّنَّةِ . .**

وَأَمَّا أَتْبَاعُهُمْ ؛ وَهُمُ الْقِسْمُ الثَّانِي ؛ فَإِنَّهُمْ تَرَكُوا مَسْلَكَ الْحَقِّ ؛ فَوَقَعُوا فِي الْبِدْعَةِ ، بَلْ فِي الضَّلَالَةِ ؛ وَذٰلِكَ لِزِيَادَةِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِذٰلِكَ الصِّنْفِ مِنَ الْمَشَايِخِ . .

هٰذَا ؛ فَكَانَتْ فِي ذِهْنِي حَالَةٌ فِي حَقِّ هٰذَا السِّرِّ ، تُشْغِلُهُ أَزْمِنَةً كَثِيرَةً جِدّاً ؛ فَدَعَوْتُ فِي زَمَنٍ مَّا ، عَلٰى قِسْمٍ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، بِالْقَهْرِ فِي وَقْتٍ مُهِمٍّ ؛ فَخَرَجَتْ قُوَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ مُدْهِشَةٌ ، ضِدَّ دُعَائِي ؛ فَكَانَتْ تَدْفَعُ دُعَائِي ؛ وَمَنَعَتْنِي ؛ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ ذٰلِكَ الْقِسْمَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، يَجُرُّ مَنِ اتَّخَذَهُمْ وَرَاءَهُ مِنَ النَّاسِ ؛ فَيَسِيرُ وَيُوَفَّقُ فِي إِجْرَاءَاتِهِ الْمُخَالِفَةِ لِلْحَقِّ ،

بِتَسْهِيلاَتِ قُوَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ؛ وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ بِالْإِجْبَارِ ؛ بَلِ امْتَزَجَ ذٰلِكَ ، بِتَشَهٍّ نَاشِئٍ عَنْ قُوَّةِ الْوَلاَيَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَغْتَرُّ قِسْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، بِذٰلِكَ التَّشَهِّي ؛ فَيَسْتَحْسِنُونَهُ ؛ وَلَا يَجِدُونَهُ سَيِّئاً جِدّاً . فَلَمَّا أَحْسَسْتُ هٰذَيْنِ السِّرَّيْنِ ؛ تَدَهَّشْتُ ؛ فَقُلْتُ : «فَسُبْحَانَ اللهِ» : فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ الْوَلاَيَةُ ، فِي غَيْرِ طَرِيقِ الْحَقِّ ؟ وَهَلْ يَلْتَزِمُ أَهْلُ الْحَقِيقَةِ ، تَيَّارَ ضَلاَلَةٍ هَائِلَةٍ بِالْخُصُوصِ ؟ .

ثُمَّ قَرَأْتُ سُورَةَ الْإِخْلاَصِ ، فِي يَوْمٍ مُبَارَكٍ ، مِنْ أَيَّامِ عَرَفَةَ ؛ فَكُنْتُ أُكَرِّرُهَا مِئَاتِ الْمَرَّاتِ ، بِنَاءً عَلٰى عَادَةٍ إِسْلاَمِيَّةٍ مُسْتَحْسَنَةٍ ؛ فَوَرَدَتْ بِبَرَكَتِهَا ، عَلٰى قَلْبِيَ الْعَاجِزِ ، حَقِيقَةٌ هٰكَذَا ، بِرَحْمَةِ اللهِ ، مَعَ الْمَسْأَلَةِ الْمَكْتُوبَةِ بِعُنْوَانِ (جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالٍ مُهِمٍّ) . .

وَالْحَقِيقَةُ ، هِيَ : أَنَّ قِسْماً مِنْ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ مَجْذُوبُونَ ؛ وَهُمْ يَتَرَاءَوْنَ ظَاهِراً ، عُقَلاَءَ وَذَوِي مُحَاكَمَةٍ . وَبَعْضٌ آخَرُ أَيْضاً ، قَدْ يَتَرَاءَى فِي الصَّحْوِ وَدَائِرَةِ الْعَقْلِ ؛ وَأَحْيَاناً يَدْخُلُ حَالاً فِي خَارِجِ الْعَقْلِ وَالْمُحَاكَمَةِ ، مِنْ قَبِيلِ قِصَّةِ «جِبَالِي بَابَا» الْمَشْهُورَةِ ذَاتِ الْمَغْزَى الَّتِي تُحْكَى فِي عَهْدِ «السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ» . فَصِنْفٌ مِنْ هٰذَا الْقِسْمِ ، أَهْلُ الْتِبَاسٍ لاَ يُمَيِّزُ ؛ فَيُطَبِّقُ فِي حَالَةِ الصَّحْوِ ، مَا رَآهُ فِي حَالَةِ السُّكْرِ ؛ فَيُخْطِئُ ؛ وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ أَخْطَأَ . فَقِسْمٌ مِنَ الْمَجْذُوبِينَ ، مَحْفُوظٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؛ فَلاَ يَسْلُكُ الضَّلاَلَ ؛ وَقِسْمٌ آخَرُ مِنْهُمْ ، لَيْسُوا مَحْفُوظِينَ ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يُوجَدُوا فِي فِرَقِ الْبِدْعَةِ وَالضَّلاَلَةِ ؛ بَلِ احْتُمِلَ أَنْ يَكُونُوا بَيْنَ الْكُفَّارِ . فَهٰؤُلاَءِ يَكُونُونَ فِي حُكْمِ الْمَجَانِينِ الْمُبَارَكَةِ مَعْنًى ، لِكَوْنِهِمْ مَجْذُوبِينَ مُؤَقَّتاً أَوْ دَائِماً ؛ وَلَيْسُوا مُكَلَّفِينَ ؛ لِأَنَّهُمْ فِي حُكْمِ الْمَجَانِينِ الْمُبَارَكَةِ الْحُرَّةِ ؛ وَلَا يُؤَاخَذُونَ ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُكَلَّفِينَ ؛ فَيَلْتَزِمُونَ أَهْلَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلاَلَةِ ، مَعَ بَقَاءِ وَلاَيَتِهِمُ الْمَجْذُوبَةِ ؛ وَيُرَوِّجُونَ مَسْلَكَهُمْ بِدَرَجَةٍ مَّا مِنَ التَّرْوِيجِ ؛ فَيُؤَدُّونَ إِلٰى سَبَبِيَّةٍ مَشْؤُومَةٍ ، لِدُخُولِ بَعْضٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ ، فِي ذٰلِكَ الْمَسْلَكِ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ : ﴾ لَقَدِ اقْتُرِحَ بِإِخْطَارٍ مِنْ جَانِبِ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ ، إِيضَاحُ دُسْتُورٍ عَائِدٍ إِلَى الزَّائِرِينَ ؛ فَلِذٰلِكَ كُتِبَ . .

فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً أَنَّ مَنْ يَزُورُنَا ، إِمَّا يَأْتِي فِي جِهَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ فَذٰلِكَ الْبَابُ مَسْدُودٌ ؛ وَإِمَّا يَأْتِي مِنْ جِهَةِ الْحَيَاةِ الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ وَفِي تِلْكَ الْجِهَةِ بَابَانِ ؛ فَإِنَّهُ إِمَّا يَظُنُّ شَخْصِي مُبَارَكاً ، وَصَاحِبَ مَقَامٍ ؛ فَيَأْتِي ؛ فَذٰلِكَ الْبَابُ مَسْدُودٌ أَيْضاً ؛ لِأَنِّي لَا أُعْجَبُ بِنَفْسِي ؛ وَلَا أُعْجَبُ بِمَنْ يُعْجَبُ بِي . وَلِلّٰهِ جَزِيلُ الشُّكْرِ ، حَيْثُ لَمْ يُعْجِبْ إِلَيَّ نَفْسِي . وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ بِجِهَةِ كَوْنِي دَلَّالاً لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، فَحَسْبُ ؛ فَأَقْبَلُ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ ، مَنْ يَدْخُلُونَ مِنْ هٰذَا الْبَابِ ؛ فَهٰؤُلَاءِ يَكُونُونَ عَلٰى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ ؛ فَإِمَّا يَكُونُ صَدِيقاً ؛ أَوْ يَكُونُ أَخاً ؛ أَوْ يَكُونُ تِلْمِيذاً . .

فَخَاصَّةُ الصَّدِيقِ وَشَرْطُهُ : أَنْ يَلْتَزِمَ جِدّاً ، خِدْمَتَنَا الْعَائِدَةَ إِلَى الْمَقَالَاتِ وَالْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ قَطْعاً ؛ وَأَنْ لَا يَمِيلَ قَلْباً ، إِلَى الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ وَالْبِدَعِ ؛ وَأَنْ يَسْعٰى لِلْاسْتِفَادَةِ لِنَفْسِهِ أَيْضاً . .

وَخَاصَّةُ الْأَخِ وَشَرْطُهُ : هُوَ أَنْ يُؤَدِّيَ صَلَوَاتِهِ الْمَفْرُوضَةَ ؛ وَلَا يَرْتَكِبَ الْكَبَائِرَ السَّبْعَ ، مَعَ السَّعْيِ الْجَادِّ لِنَشْرِ الْمَقَالَاتِ حَقِيقِيّاً . .

وَإِنَّ خَاصَّةَ التَّلْمَذَةِ ، وَشَرْطَهَا ، هُوَ : أَنْ يُحِسَّ الْمَقَالَاتِ ، مِثْلَ مَالِهِ وَتَأْلِيفِهِ ؛ فَيَمْلِكُهَا ؛ وَأَنْ يَعْلَمَ أَهَمَّ وَظِيفَتِهِ الْحَيَاتِيَّةِ ، نَشْرَهَا وَخِدْمَتَهَا . فَهٰذِهِ الطَّبَقَاتُ الثَّلَاثُ ، ذَاتُ عَلَاقَةٍ بِثَلَاثِ شَخْصِيَّاتٍ لِي . .

فَالصَّدِيقُ ، ذُو مُنَاسَبَةٍ مَعَ شَخْصِيَّتِي الذَّاتِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ . .

وَالْأَخُ ، ذُو مُنَاسَبَةٍ مَعَ شَخْصِيَّتِي فِي نُقْطَةِ عَبْدِيَّتِي وَالْعُبُودِيَّةِ . .

وَأَمَّا التِّلْمِيذُ ، فَهُوَ ذُو مُنَاسَبَةٍ مَعَ شَخْصِيَّتِي فِي وَظِيفَةِ التَّدْرِيسِ ، وَفِي جِهَةِ كَوْنِي دَلَّالَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . .

وَلِهٰذِهِ الزِّيَارَةِ ، ثَلَاثُ ثَمَرَاتٍ . .

اَلْأُولٰى : هِيَ تَدَرُّسُ الْمُجَوْهَرَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنِّي ، أَوْ مِنَ الْمَقَالَاتِ ، وَلَوْ دَرْساً وَاحِداً . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّهُ يَكُونُ ذَا حِصَّةٍ مِنْ مَكَاسِبِيَ الْأُخْرَوِيَّةِ ، بِاعْتِبَارِ الْعِبَادَةِ . .

اَلثَّالِثَةُ : هِيَ أَنْ نَتَوَجَّهَ مَعاً إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَنَرْبِطَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ؛ فَنَتَسَانَدَ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَنَطْلُبَ التَّوْفِيقَ وَالْهِدَايَةَ . فَإِنْ كَانَ تِلْمِيذاً ؛ يَحْضُرُ عِنْدِي دَائِماً بِاسْمِهِ ؛ وَأَحْيَاناً بِخَيَالِهِ أَيْضاً ، كُلَّ صَبَاحٍ ؛ وَيَصِيرُ ذَا حِصَّةٍ . وَإِنْ كَانَ أَخاً ، يَحْضُرُ فِي دُعَائِي وَمَكَاسِبِي ، بِاسْمِهِ الْخَاصِّ ، وَبِصُورَتِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ؛ وَيَصِيرُ ذَا حِصَّةٍ ؛ ثُمَّ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ الْإِخْوَانِ ؛ فَأُسَلِّمُهُ إِلَى الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَإِذَا قُلْتُ فِي وَقْتِ الدُّعَاءِ : (إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي) ؛ يَكُونُ بَيْنَهُمْ ؛ فَإِنْ لَمْ أَعْلَمْهُمْ ؛ فَإِنَّ الرَّحْمَةَ الْإِلٰهِيَّةَ تَعْلَمُهُمْ وَتَرَاهُمْ . وَإِنْ كَانَ صَدِيقاً ؛ وَأَقَامَ الْفَرَائِضَ ؛ وَتَرَكَ الْكَبَائِرَ ؛ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي دُعَائِي ، بِاعْتِبَارِ عُمُومِيَّةِ الْإِخْوَانِ . وَيُشْتَرَطُ أَنْ يُدْخِلَنِي هٰؤُلَاءِ الطَّبَقَاتُ الثَّلَاثُ ، فِي دَعَوَاتِهِمْ وَمَكَاسِبِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مَنْ قَالَ : ﴿الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً﴾ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝﴾ . .

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ . .﴾ . .

اَللّٰهُمَّ يَا مَنْ أَجَابَ نُوحاً فِي قَوْمِهِ ! ۝ وَيَا مَنْ نَصَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلٰى أَعْدَائِهِ !
وَيَا مَنْ أَرْجَعَ يُوسُفَ إِلٰى يَعْقُوبَ ! ۝ وَيَا مَنْ كَشَفَ الضُّرَّ عَنْ أَيُّوبَ !
وَيَا مَنْ أَجَابَ دَعْوَةَ زَكَرِيَّا ! ۝ وَيَا مَنْ تَقَبَّلَ يُونُسَ بْنَ مَتّٰى !

نَسْأَلُكَ بِأَسْرَارِ أَصْحَابِ هٰذِهِ الدَّعَوَاتِ الْمُسْتَجَابَاتِ ، أَنْ تَحْفَظَنِي وَتَحْفَظَ نَاشِرِي هٰذِهِ الرَّسَائِلِ ، وَرُفَقَاءَهُمْ ، مِن شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؛ وَانْصُرْنَا عَلٰى أَعْدَائِنَا ؛ وَلَا تَكِلْنَا إِلٰى أَنْفُسِنَا ؛ وَاكْشِفْ كُرْبَتَنَا وَكُرْبَتَهُمْ ؛ وَاشْفِ أَمْرَاضَ قُلُوبِنَا وَقُلُوبِهِمْ ؛ آمِينَ آمِينَ آمِينَ . .

اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

هٰذَا الْمَكْتُوبُ ، رَسَائِلُ جَمِيلَةٌ وَلَطِيفَةٌ جِدّاً ، وَعَيْنُ الْحَقِيقَةِ ؛ كَتَبَهَا مُؤَلِّفُ رِسَالَةِ النُّورِ ، إِلٰى تَلَامِيذِهِ ؛ مَعَ رَسَائِلَ كَتَبَهَا تَلَامِذَةُ رِسَالَةِ النُّورِ ، إِلٰى أُسْتَاذِهِمْ ؛ وَكَتَبَهَا بَعْضُهُمْ إِلٰى بَعْضٍ أَحْيَاناً ؛ وَتُفِيدُ فُيُوضَاتٍ لَامِعَةً اسْتَفَاضُوهَا مِنْ مُطَالَعَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ وَهُوَ مَكْتُوبٌ غَنِيٌّ جِدّاً ؛ يَصِيرُ ثَلَاثَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ أَضْعَافِ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يُلْحَقْ بِهَا ؛ وَسَيُنْشَرُ مُسْتَقِلّاً ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى(١) .. اَلْمُؤَلِّفُ (رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالٰى عَنْهُ) ، وَطُلَّابُهُ النَّاشِرُونَ (عَفَا اللّٰهُ تَعَالٰى عَنْهُمْ) ..

(١) وَهِيَ الْمَوْسُوعَةُ النُّورِيَّةُ الْخَامِسَةُ الْمُنْقَسِمَةُ إِلَى «اللَّوَاحِقِ الْبَارْلَائِيَّةِ وَالْقَسْطَمُونِيَّةِ وَالْأَمِرْدَاغِيَّةِ» .. اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللّٰهُ عَنْهُ) ..

اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

وَهٰذَا الْمَكْتُوبُ ثَمَانِي مَسَائِلَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى الَّتِي هِيَ الرِّسَالَةُ الْأُولَى :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۝﴾ . .

. . ثَانِياً : أَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ الْآنَ ، تَعْبِيرَ رُؤْيَاكُمُ الْقَدِيمَةِ ، الَّتِي ظَهَرَ تَعْبِيرُهَا ؛ وَتَظَاهَرَ تَأْوِيلُهَا ، بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، مِنَ الِاجْتِمَاعِ بِي ، قَبْلَ ثَلاثَةَ عَشَرَ عَاماً ؛ أَفَلَيْسَ لِي حَقٌّ ، إِزَاءَ تِلْكَ الرُّؤْيَا الْجَمِيلَةِ ، الْمُبَارَكَةِ الْمُبَشِّرَةِ ، الَّتِي أَظْهَرَتْ مَعْنَاهَا ؛ وَدَرَبَ عَلَيْهَا الزَّمَانُ ، أَنْ أَقُولَ هٰكَذَا الْآنَ : (مَا أَنَا بِلَيْلٍ ، وَلا عَابِدِ اللَّيْلِ ؛ إِنِّي خَادِمُ الشَّمْسِ ؛ فَأُخْبِرُ عَنْهَا . وَإِنَّ الْخَيَالاتِ الَّتِي هِيَ فَخُّ الْأَوْلِيَاءِ ، هِيَ صُوَرُ حِسَانِ الْوُجُوهِ كَالْقَمَرِ ، فِي بُسْتَانِ اللّٰهِ[1]) .

نَعَمْ : يَا أَخِي ! لَقَدْ أَلِفْنَا مَعَكَ ، مُذَاكَرَةَ دَرْسِ الْحَقِيقَةِ الْمَحْضَةِ ؛ فَجَعْلُ الرُّؤْيَا الْمَفْتُوحِ بَابُهَا لِلْخَيَالاتِ ، مَوْضُوعَ بَحْثٍ ، فِي صُورَةٍ تَحْقِيقِيَّةٍ ، لا يُنَاسِبُ مَسْلَكَ التَّحْقِيقِ تَمَاماً ؛

(١) اَلنَّصُّ الْفَارِسِيُّ : (نَهْ شَبَمْ نَهْ شَبْپَرَسْتَمْ ؛ مَنْ غُلامِ شَمْسَمْ ؛ أَزْ شَمْسْ مِي گُويَمْ خَبَرْ ۝ آنْ خَيَالاتْ كِه دَامِ أَوْلِيَاسْتْ ۝ عَكْسِ مَهْرُويَانِ بُوسْتَانِ خُدَاسْتْ ۝) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

فَلِذٰلِكَ نُبَيِّنُ سِتَّ نِكَاتٍ عِلْمِيَّةٍ وَدُسْتُورِيَّةٍ ، مِنْ نِكَاتِ الْحَقِيقَةِ الْعَائِدَةِ إِلَى النَّوْمِ الَّذِي هُوَ أَخٌ صَغِيرٌ لِلْمَوْتِ ، بِمُنَاسَبَةِ تِلْكَ الْحَادِثَةِ النَّوْمِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ ؛ وَسَتُعْبَرُ رُؤْيَاكَ ، فِي النُّكْتَةِ السَّابِعَةِ ، تَعْبِيراً مُخْتَصَراً . .

﴿اَلْأُولٰى :﴾ أَنَّ آيَاتٍ كَثِيرَةً ، كَآيَةِ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ فِي النَّوْمِ وَالرُّؤْيَا ، حَقَائِقَ أَهَمَّ مَسْتُورَةً ؛ كَمَا أَنَّ رُؤْيَا **يُوسُفَ** (عليه السلام) أَسَاسٌ مُهِمٌّ لِسُورَةِ **يُوسُفَ** . .

﴿اَلثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ أَهْلَ التَّحْقِيقِ لَا يُؤَيِّدُونَ التَّفَاؤُلَ بِالْقُرْآنِ ، وَالْاِعْتِمَادَ عَلَى الرُّؤْيَا ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ يَضْرِبُ الْكُفَّارَ ، بِكَثْرَةٍ وَبِوَجْهٍ شَدِيدٍ ؛ فَإِذَا طَلَعَ فِي التَّفَاؤُلِ ، شِدَّتُهُ الْعَائِدَةُ إِلَى الْكَافِرِ ، لِلْإِنْسَانِ الْمُتَفَائِلِ ؛ يُورِثُ الْيَأْسَ ؛ وَيُشَوِّشُ الْقَلْبَ . وَأَيْضاً قَدْ تَكُونُ الرُّؤْيَا خَيْراً ؛ فَتُظَنُّ شَرّاً ؛ لِأَنَّهَا تُرَى أَحْيَاناً ، بِعَكْسِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَتُوقِعُهُ فِي الْيَأْسِ ؛ وَتَكْسِرُ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ وَتُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ ؛ فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنَ الرُّؤْيَا ، تَكُونُ صُورَتُهَا مُدْهِشَةً مُضِرَّةً وَمُلَوَّثَةً ؛ وَيَكُونُ تَعْبِيرُهَا وَمَعْنَاهَا ، حَسَناً جِدّاً ؛ وَلَا يَجِدُ كُلُّ أَحَدٍ ، مَا يُوجَدُ بَيْنَ صُورَةِ الرُّؤْيَا ، وَبَيْنَ حَقِيقَةِ مَعْنَاهَا ، مِنَ الْمُنَاسَبَةِ ؛ فَيَحْزَنُ وَيَيْأَسُ وَيَغْتَمُّ . فَلِهٰذِهِ الْجِهَةِ فَقَطْ ، قُلْتُ أَوَّلاً ، **كَالْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ** ، وَأَهْلِ التَّحْقِيقِ : **(نَه شَبَمْ . نَه شَبْپَرَسْتَمْ)** . .

﴿اَلثَّالِثَةُ :﴾ أَنَّهُ ثَبَتَ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : أَنَّ جُزْءاً وَاحِداً مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءاً ، مِنَ النُّبُوَّةِ ، تَظَاهَرَ فِي النَّوْمِ ، فِي صُورَةِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ . فَإِذاً إِنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ حَقٌّ ؛ وَلَهَا تَعَلُّقٌ بِوَظَائِفِ النُّبُوَّةِ . .

وَهٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ طَوِيلَةٌ وَمُهِمَّةٌ لِلْغَايَةِ ، وَغَامِضَةٌ وَمُتَعَلِّقَةٌ بِالنُّبُوَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ نُؤَخِّرُهَا إِلٰى وَقْتٍ آخَرَ ؛ وَلَا نَفْتَحُ الْآنَ بَابَهَا . .

﴿اَلرَّابِعَةُ :﴾ أَنَّ الرُّؤْيَا عَلٰى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ ؛ فَاثْنَانِ مِنْهَا دَاخِلَانِ فِي **«أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ»** بِتَعْبِيرِ الْقُرْآنِ ؛ لَا يَلِيقَانِ بِالتَّعْبِيرِ ؛ وَلَا قِيمَةَ لَهُمَا ؛ وَإِنْ كَانَ لَهُمَا مَعْنًى . **فَإِمَّا أَنَّ الْقُوَّةَ الْخَيَالِيَّةَ تَصْنَعُ تَرْكِيباً وَتَصْوِيراً ، حَسَبَ مَرَضِ الشَّخْصِ ، مِنِ انْحِرَافِ الْمِزَاجِ ؛ أَوْ أَنَّ**

الْخَيَالَ يَتَذَكَّرُ حَادِثَاتٍ مُثِيرَةً ؛ نَزَلَتْ بِهِ فِي النَّهَارِ أَوْ قَبْلَهُ ؛ حَتّى قَبْلَ سَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ ، فِي عَيْنِ ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَيُعَدِّلُهَا الْخَيَالُ ؛ وَيُصَوِّرُهَا ؛ وَيُعْطِيهَا شَكْلاً آخَرَ . فَهٰذَانِ الْقِسْمَانِ ، هُمَا «أَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ» ، لَا يَلِيقَانِ بِالتَّعْبِيرِ . .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ الَّذِي هُوَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ ، هُوَ : أَنَّ اللَّطِيفَةَ الرَّبَّانِيَّةَ فِي الْمَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، تَجِدُ مُنَاسَبَةً مَعَ عَالَمِ الْغَيْبِ ، بِانْسِدَادِ الْحَوَاسِّ الْمُرْتَبِطَةِ بِعَالَمِ الشَّهَادَةِ ، وَالْمُتَجَوِّلَةِ فِي ذٰلِكَ الْعَالَمِ ؛ وَتَفْتَحُ مَنْفَذاً ، بِتَوَقُّفِ تِلْكَ الْحَوَاسِّ ؛ وَتَنْظُرُ بِذٰلِكَ الْمَنْفَذِ ، إِلَى حَوَادِثَ تَتَهَيَّأُ لِلْوُقُوعِ ؛ وَتُصَادِفُ جِلْوَةً مِنْ قَبِيلِ جِلْوَاتِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَنَمَاذِجِ الْمَكْتُوبَاتِ الْقَدَرِيَّةِ ؛ فَتَرَى بَعْضَ وَقَائِعَ حَقِيقِيَّةٍ ؛ وَيَتَصَرَّفُ الْخَيَالُ أَحْيَاناً ، فِي تِلْكَ الْوَقَائِعِ ؛ وَيُلْبِسُهَا مَلَابِسَ الصُّورَةِ . وَلِهٰذَا الْقِسْمِ أَنْوَاعٌ وَطَبَقَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ فَأَحْيَاناً يَقَعُ كَعَيْنِ مَا رَآهُ ؛ وَأَحْيَاناً يَقَعُ تَحْتَ غِطَاءٍ رَقِيقٍ ؛ وَأَحْيَاناً يُلَفُّ بِغِطَاءٍ سَمِيكٍ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : «أَنَّ الرُّؤْيَا الَّتِي كَانَ يَرَاهَا الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ (عليه الصلاة والسلام) ، فِي بِدَايَةِ الْوَحْيِ ، كَانَتْ تَظْهَرُ صَادِقَةً وَاضِحَةً كَفَلَقِ الصَّبَاحِ . .

﴿ اَلْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ ، هِيَ زِيَادَةُ انْكِشَافِ «الْحِسِّ قَبْلَ الْوُقُوعِ» ؛ وَإِنَّ «الْحِسَّ قَبْلَ الْوُقُوعِ» يُوجَدُ فِي كُلِّ أَحَدٍ ، جُزْئِيّاً أَوْ كُلِّيّاً ؛ حَتّى إِنَّهُ يُوجَدُ فِي الْحَيَوَانَاتِ أَيْضاً ؛ حَتّى إِنَّنِي وَجَدْتُ فِي زَمَنٍ مَّا ، بِوَجْهٍ عِلْمِيٍّ ، حِسَّيْنِ آخَرَيْنِ ، مِنْ هٰذَا «الْحِسِّ قَبْلَ الْوُقُوعِ» ، بِاسْمِ «السَّائِقَةِ وَالشَّائِقَةِ» كَـ«السَّامِعَةِ وَالْبَاصِرَةِ» بِعَيْنِهِمَا ، فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ ، عِلَاوَةً عَلَى الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الْمَشْهُورَةِ . فَأَهْلُ الضَّلَالَةِ ، وَأَصْحَابُ الْفَلْسَفَةِ ، يَقُولُونَ خَطَأً وَحُمْقاً ، لِتِلْكَ الْحَوَاسِّ غَيْرِ الْمَشْعُورِ بِهَا : «السَّوْقَ الطَّبِيعِيَّ» ؛ وَلَيْسَتْ سَوْقاً طَبِيعِيّاً ، حَاشَاهَا ؛ بَلْ هِيَ نَوْعٌ مِنَ الْإِلْهَامِ الْفِطْرِيِّ ؛ فَيَسُوقُ الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ ، الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ بِهِ . .

فَمَثَلاً : إِنَّ بَعْضَ الْحَيَوَانِ كَالْهِرَّةِ ، إِذَا عَمِيَتْ عَيْنَاهُ ؛ يَذْهَبُ بِذٰلِكَ السَّوْقِ الْقَدَرِيِّ ؛ فَيَجِدُ نَبَاتاً يَكُونُ عِلَاجاً لِعَيْنِهِ ؛ فَيَمْسَحُ بِهِ عَيْنَهُ فَتَبْرَأُ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ الْجَوَارِحَ الْآكِلَةَ اللَّحْمِ ،

كَالنُّسُورِ الْمُوَظَّفَةِ بِرَفْعِ جَنَائِزِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ ، وَالَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ مُوَظَّفِي الصِّحِّيَّةِ ، لِوَجْهِ الْأَرْضِ ، يُعْلَمُ لَهَا وُجُودُ جَنَازَةِ حَيَوَانٍ ، مِنْ مَسَافَةِ يَوْمٍ ؛ وَتَجِدُهَا بِذٰلِكَ السَّوْقِ الْقَدَرِيِّ ، وَبِإِلْهَامِ ذٰلِكَ «الْحِسِّ قَبْلَ الْوُقُوعِ» ، وَبِتِلْكَ السَّائِقَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ وَلَدَ النَّحْلِ ، الَّذِي وُلِدَ مِنْ جَدِيدٍ ، يَسِيرُ فِي الْهَوَاءِ ، مَسَافَةَ يَوْمٍ ؛ وَعُمُرُهُ يَوْمٌ ؛ فَلَا يَفْقِدُ أَثَرَهُ فِي الْهَوَاءِ ؛ وَيَرْجِعُ يَدْخُلُ وَكْرَهُ ، بِذٰلِكَ السَّوْقِ الْقَدَرِيِّ ، وَبِإِلْهَامِ تِلْكَ السَّائِقَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَتَكَرَّرُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ، عَلٰى كُلِّ أَحَدٍ : أَنَّهُ بَيْنَمَا يَبْحَثُ عَنْ أَحَدٍ ؛ إِذَا بِالْبَابِ يُفْتَحُ ؛ فَيَأْتِي ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ ، فَوْقَ مَا يُظَنُّ ؛ حَتّٰى إِنَّ مِنْ ضُرُوبِ الْأَمْثَالِ الْكُرْدِيَّةِ : (نَافِ گُرْ بِينَهْ ، پَالَانْدَارْ لِي وَرِينَهْ) ؛ يَعْنِي : إِذَا بَحَثْتَ عَنِ الذِّئْبِ ؛ فَهَيِّئِ الْهِرَاوَةَ ؛ وَاضْرِبْهُ ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي الذِّئْبُ . . فَإِذاً إِنَّ اللَّطِيفَةَ الرَّبَّانِيَّةَ ، تُحِسُّ بِقُدُومِ ذٰلِكَ الْإِنْسَانِ إِجْمَالاً ، بِحِسٍّ قَبْلَ الْوُقُوعِ ؛ وَلٰكِنْ لَا يُحِيطُ بِهِ شُعُورُ الْعَقْلِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَسُوقُهُ إِلَى الْبَحْثِ عَنْهُ ، بِدُونِ اخْتِيَارٍ ، لَا قَصْداً . وَيُبَيِّنُ أَهْلُ الْفِرَاسَةِ أَحْيَاناً ، قُدُومَهُ كَالْكَرَامَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ هٰذَا النَّوْعَ مِنَ الْحَسَّاسِيَّةِ ، كَانَ كَثِيراً فِيَّ ، فِي زَمَنٍ مَّا ؛ فَأَرَدْتُ حَصْرَ هٰذَا الْحَالِ فِي دُسْتُورٍ ؛ وَلٰكِنْ مَا طَابَقَتْ بَيْنَهُمَا ؛ وَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَصْنَعَ ؛ وَلٰكِنَّ هٰذَا الْحِسَّ قَبْلَ الْوُقُوعِ ، يَنْكَشِفُ كَثِيراً ، فِي أَهْلِ الصَّلَاحِ ، لَاسِيَّمَا فِي أَهْلِ الْوِلَايَةِ ؛ فَيُظْهِرُ آثَارَهُ شِبْهَ الْكَرَامَةِ . .

هٰذَا ، فَجَمِيعُ الْعَوَامِّ ، لَهُمْ مَظْهَرِيَّةٌ لِنَوْعٍ مِنَ الْوِلَايَةِ أَيْضاً ؛ حَيْثُ يَرَوْنَ الْأُمُورَ الْغَيْبِيَّةَ وَالِاسْتِقْبَالِيَّةَ ، فِي الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ ، كَالْأَوْلِيَاءِ . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ النَّوْمَ بِمَثَابَةِ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْوِلَايَةِ ، لِلْعَوَامِّ ، فِي جِهَةِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهُ مَعْرِضُ سِينَمَا رَبَّانِيَّةٍ ، مُحْتَشِمَةٍ جَمِيلَةٍ لِلْغَايَةِ ، لِعُمُومِ النَّاسِ ؛ وَلٰكِنَّ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ يَتَفَكَّرُ حَسَناً . وَمَنْ يَتَفَكَّرُ حَسَناً ؛ يَرٰى أَلْوَاحاً حَسَنَةً . وَسَيِّئُ الْأَخْلَاقِ يَتَصَوَّرُ سَيِّئاً ؛ فَلِذٰلِكَ يَرٰى أَلْوَاحاً سَيِّئَةً . .

وَكَذَا أَنَّ النَّوْمَ نَافِذَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ تَنْظُرُ إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ ، فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّهُ مَيْدَانُ سَاحَةِ الْإِطْلَاقِ ، لِلْإِنْسَانِ الْفَانِي الْمُقَيَّدِ ، وَمَعْرِضُ مَظْهَرٍ لِنَوْعٍ مِنَ الْبَقَاءِ ، يَكُونُ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ ، بِمَثَابَةِ الْحَالِ فِيهِ ؛ وَكَذَا هُوَ مُسْتَرَاحٌ لِذَوِي الْأَرْوَاحِ ، الَّذِينَ يُقَاسُونَ

الْمَشَقَّةَ ؛ وَيُسْحَقُونَ تَحتَ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ . فَلِأَمْثَالِ هٰذِهِ الْأَسْرَارِ يُدَرِّسُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، حَقِيقَةَ النَّوْمِ ، بِاهْتِمَامٍ ، بِآيَاتٍ مِنْ قَبِيلِ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾ ..

﴿السَّادِسَةُ :﴾ وَهِيَ أَهَمُّهَا : أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ بَلَغَتْ إِلَى دَرَجَةِ حَقِّ الْيَقِينِ لِي ؛ وَصَارَتْ بِتَجَارِبِيَ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، فِي حُكْمِ حُجَّةٍ قَاطِعَةٍ ، عَلَى أَنَّ الْقَدَرَ الإِلٰهِيَّ ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الرُّؤَى قَدْ بَلَغَتْ إِلَى حَيْثُ تَحَقَّقَ لِي ، لاَسِيَّمَا فِي بِضْعِ سِنِينَ هٰذِهِ : أَنَّ مَا يُصِيبُنِي غَداً مَثَلاً ، مِنْ أَصْغَرِ حَادِثَاتٍ ، وَأَدْنَى مُعَامَلاَتٍ ، بَلْ أَحْقَرِ مُحَاوَرَاتٍ ، هِيَ مَكْتُوبَةٌ وَمُعَيَّنَةٌ قَبْلَ وُقُوعِهَا ؛ وَإِنِّي أَقْرَأُهَا بِعَيْنِي لاَ بِلِسَانِي ، بِرُؤْيَتِهَا لَيْلاً ؛ فَإِنَّ بَعْضَ أَشْخَاصٍ أَرَاهُمْ ، أَوْ مَسَائِلَ أَذْكُرُهَا لَيْلاً ؛ وَلَمْ أَتَصَوَّرْهَا قَطُّ ، تَظْهَرُ بِعَيْنِهَا ، بِتَعْبِيرٍ يَسِيرٍ ، فِي نَهَارِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ؛ وَلَيْسَ مَرَّةً وَلاَ مِئَةً ، بَلْ أَلْفَ مَرَّةٍ . فَإِذاً إِنَّ أَدْنَى حَادِثَاتٍ جُزْئِيَّةٍ ، هِيَ مُقَيَّدَةٌ وَمَكْتُوبَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ ؛ فَإِذاً لاَ صُدْفَةَ ؛ وَلاَ تَرِدُ الْحَادِثَاتُ مُرْسَلَةً ؛ وَلَيْسَتْ غَيْرَ مُنْتَظِمَةٍ ..

﴿السَّابِعَةُ :﴾ أَنَّ تَعْبِيرَ رُؤْيَاكَ الْمُبَشِّرَةِ الْمُبَارَكَةِ اللَّطِيفَةِ ، جَمِيلٌ جِدّاً ، لَنَا وَلِلْقُرْآنِ ؛ وَقَدْ عَبَرَهَا الزَّمَانُ ؛ وَيَعْبُرُهَا ؛ وَلاَ يَتْرُكُ الْحَاجَةَ إِلَى تَعْبِيرِنَا ؛ وَقَدْ ظَهَرَ بَعْضُ تَعْبِيرِهَا لَطِيفاً ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَأَمَّلْتَ تَفْهَمُ ؛ وَلٰكِنْ نُشِيرُ إِلَى نُقْطَةٍ أَوْ نُقْطَتَيْنِ مِنْهُ فَقَطْ ؛ يَعْنِي نُبَيِّنُ حَقِيقَةً ؛ فَالْوَقَائِعُ الَّتِي هِيَ مِنْ قَبِيلِ حَقِيقَةِ رُؤْيَاكَ ، هِيَ تَمَثُّلاَتُ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ ذٰلِكَ الْمَيْدَانَ الْوَاسِعَ ، هُوَ عَالَمُ الإِسْلاَمِ ؛ وَإِنَّ مَا فِي نِهَايَةِ الْمَيْدَانِ مِنَ الْمَسْجِدِ ، هُوَ وِلاَيَةُ «إِسْبَارْطَة» ؛ وَإِنَّ الْمَاءَ الْمُتَغَيِّرَ الْمُتَعَفِّنَ الأَطْرَافِ ، هُوَ وَحَلُ بِدَعِ الزَّمَانِ وَالْحَالِ الْحَاضِرِ ، وَسَفَاهَتُهُ وَعَطَالَتُهُ ؛ وَوُصُولُكَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، بِسُرْعَةٍ وَسَلاَمَةٍ ، بِدُونِ تَلَوُّثٍ ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّكَ مَلَكْتَ الأَنْوَارَ الْقُرْآنِيَّةَ ، قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَبَقِيتَ سَالِماً ، بِدُونِ أَنْ تُفْسِدَ قَلْبَكَ . وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ الصَّغِيرَةُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَهِيَ حَمَلَةُ الْمَقَالاَتِ ، مِثْلُ (حَقِّي ، خُلُوصِي ، صَبْرِي ، سُلَيْمَانَ ، رُشْدِي ، بَكْرٍ ، مُصْطَفَى ، عَلِيٍّ ، زُهْدِي ، لُطْفِي ، خُسْرَوَ ، رَأْفَت) ؛ وَأَمَّا الْكُرْسِيُّ الصَّغِيرُ ، فَهُوَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ ، مِثْلُ (بَارْلاَ) . وَأَمَّا الصَّوْتُ الْعَالِي ، فَهُوَ إِشَارَةٌ

إِلَى مَا فِي «الْمَقَالاتِ» مِنَ الْقُوَّةِ وَسُرْعَةِ الانْتِشَارِ . وَأَمَّا الْمَقَامُ الْمُخَصَّصُ لَكَ ، فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، فَهُوَ الْمَكَانُ الْفَارِغُ لَكَ مِنْ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» . وَأَمَّا أَنَّ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ كَانَتْ بِمَثَابَةِ أَجْهِزَةِ اللاّسِلْكِيِّ ، تُرِيدُ أَنْ تُسْمِعَ الدَّرْسَ لِجَمِيعِ الْعَالَمِ ، فَإِشَارَتُهُ وَحَقِيقَتُهُ سَتَقَعُ فِيمَا بَعْدُ بِتَمَامِهَا ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَإِنَّ أَفْرَادَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ نَوًى صَغِيرَةً الْآنَ ؛ فَسَتَصِيرُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، بِمَثَابَةِ أَشْجَارٍ عَالِيَةٍ ؛ وَيَكُونُونَ مَرَاكِزَ اللاّسِلْكِيَّاتِ وَالْبَرْقِيَّاتِ ، بِالتَّوْفِيقِ الْإِلٰهِيِّ . وَأَمَّا الشَّابُّ الصَّغِيرُ الْمُتَعَمِّمُ ، فَهُوَ أَحَدٌ مُرَشَّحٌ لِلدُّخُولِ بَيْنَ الطَّلَبَةِ وَالنَّاشِرِينَ ، يَتَكَاتَفُ «خُلُوصِيّاً» ؛ بَلْ يَسْبِقُهُ ؛ فَأَظُنُّ بَعْضَهُمْ ؛ وَلٰكِنْ لا أَحْكُمُ قَطْعاً ؛ فَذٰلِكَ الشَّابُّ رَجُلٌ يَتَظَاهَرُ بِقُوَّةِ الْوَلايَةِ . فَعَبِّرْ سَائِرَ النِّقَاطِ بَدَلاً عَنِّي . .

وَإِنَّ التَّكَلُّمَ الطَّوِيلَ ، مَعَ أَصْدِقَاءَ مِثْلِكَ ، لَذِيذٌ وَمَقْبُولٌ ؛ فَلِذٰلِكَ تَكَلَّمْتُ طَوِيلاً ، فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْمُخْتَصَرَةِ ؛ وَلَعَلَّنِي أَسْرَفْتُ ؛ وَلٰكِنْ شَرَعْتُ بِنِيَّةِ الْإِشَارَةِ إِلَى نَوْعٍ مِنْ تَفْسِيرِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْعَائِدَةِ إِلَى النَّوْمِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُعْفَا ذٰلِكَ الْإِسْرَافُ ؛ أَوْ لا يَكُونُ إِسْرَافاً ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

اَلرِّسَالَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي هِيَ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ :

كُتِبَتْ لِرَفْعِ وَحَلِّ مُنَاقَشَةٍ أَهَمَّ ، حَوْلَ الْحَدِيثِ الَّذِي مَآلُهُ : «أَنَّ مُوسَى (عليه السلام) ضَرَبَ صَفْعَةً عَلَى عَيْنِ عَزْرَائِيلَ (عليه السلام)» إِلَى آخِرِهِ ؛ وَقَدْ سَمِعْتُ مُنَاقَشَةً عِلْمِيَّةً ، فِي (أَكْرِيدِيرْ) ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ النِّقَاشَ ، لاسِيَّمَا فِي هٰذَا الزَّمَانِ خَطَأٌ ؛ حَتَّى إِنِّي مَا كُنْتُ أَعْلَمُ النِّقَاشَ ؛ فَسُئِلْتُ مِنْهُ أَيْضاً ؛ وَعُرِضَ عَلَيَّ حَدِيثٌ بِإِشَارَةِ (ق) عَلامَةً لِاتِّفَاقِ حَدِيثِ الشَّيْخَيْنِ ، فِي كِتَابٍ مُعْتَبَرٍ ؛ وَسُئِلَ : هَلْ هُوَ حَدِيثٌ ، أَمْ لا ؟ فَقُلْتُ : يَلْزَمُ الِاعْتِمَادُ عَلَى مَنْ يَحْكُمُ بِاتِّفَاقِ حَدِيثِ الشَّيْخَيْنِ ، فِي كِتَابٍ مُعْتَبَرٍ مِثْلِ هٰذَا ؛ فَإِذاً هُوَ حَدِيثٌ ؛ وَلٰكِنْ لِلْحَدِيثِ بَعْضُ مُتَشَابِهَاتٍ ، كَالْقُرْآنِ ؛ فَلا يَجِدُ مَعْنَاهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ ؛ وَقُلْتُ : يُحْتَمَلُ أَنْ

يَكُونَ ظَاهِرُ هٰذَا الْحَدِيثِ أَيْضاً ، مِنْ قِسْمِ الْمُتَشَابِهَاتِ مِنْ مُشْكِلَاتِ الْأَحَادِيثِ ؛ فَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ صَارَ مَدَارَ الْمُنَاقَشَةِ ؛ لَمَا أَجَبْتُ كَذٰلِكَ مُخْتَصِراً ؛ بَلْ أَجَبْتُ هٰكَذَا . .

أَوَّلاً : أَنَّ الشَّرْطَ الْأَوَّلَ ، لِمُنَاقَشَةِ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْمَسَائِلِ : أَنْ يَكُونَ بِالْإِنْصَافِ ، وَبِنِيَّةِ كَشْفِ الْحَقِّ ، بِدُونِ عِنَادٍ ، وَبَيْنَ مَنْ يَكُونُونَ أَهْلَهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ سَبَباً لِسُوءِ التَّلَقِّي ؛ فَتَجُوزُ مُذَاكَرَتُهَا بِتِلْكَ الصُّورَةِ ؛ **وَالدَّلِيلُ عَلٰى أَنَّ تِلْكَ الْمُذَاكَرَةَ ، كَانَتْ لِأَجْلِ الْحَقِّ ، هُوَ أَنْ لَا يَتَأَثَّرَ بَلْ يَفْرَحَ ؛ إِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ عَلٰى يَدِ الْخَصْمِ ؛ لِأَنَّهُ تَعَلَّمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ ؛ وَإِنْ ظَهَرَ عَلٰى يَدِهِ ؛ فَلَمْ يَتَعَلَّمْ شَيْئاً زَائِداً ؛ بَلْ يُحْتَمَلُ الْوُقُوعُ فِي الْغُرُورِ . .**

ثَانِياً : أَنَّ سَبَبَ الْمُنَاقَشَةِ ، إِنْ كَانَ حَدِيثاً ؛ يَلْزَمُ مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ الْحَدِيثِ ، وَدَرَجَاتِ الْوَحْيِ الضِّمْنِيِّ ، وَأَقْسَامِ التَّكَلُّمِ النَّبَوِيِّ ؛ وَلَا تَجُوزُ مُنَاقَشَةُ مُشْكِلَاتِ الْأَحَادِيثِ ، بَيْنَ الْعَوَامِّ ، وَإِبْرَازُ صِدْقِ كَلَامِهِ ، كَالْمُحَامِي ، بِصُورَةِ إِظْهَارِ الْفَضْلِ ، وَتَحَرِّي الدَّلَائِلِ ، فِي صُورَةِ تَرْجِيحِ نَفْسِهِ ، عَلَى الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ . وَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ ، قَدْ فُتِحَ بَابُهَا ؛ وَصَارَتْ مَدَارَ النِّقَاشِ ؛ وَتُؤَثِّرُ فِي أَذْهَانِ ضُعَفَاءِ عَوَامِّ النَّاسِ ، سُوءَ تَأْثِيرٍ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَنْكَرَ مِثْلَ هٰذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ ، لِعَدَمِ تَوْسِيعِ عَقْلِهِ لَهَا ؛ يَفْتَحُ بَاباً فَرِيعاً ؛ يَعْنِي يَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِإِنْكَارِ الْأَحَادِيثِ الْقَطْعِيَّةِ أَيْضاً ، الَّتِي لَا يَسَعُهَا عَقْلُهُ الصَّغِيرُ ؛ وَإِنْ أَخَذَ مَعْنٰى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ ؛ فَقَبِلَهُ وَنَشَرَهُ كَذٰلِكَ ؛ يَفْتَحُ السَّبِيلَ لِاعْتِرَاضِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَلِقَوْلِهِمْ : إِنَّهَا خُرَافَاتٌ . وَإِذَا كَانَ نَظَرُ الدِّقَّةِ اجْتُلِبَ إِلٰى هٰذَا الْحَدِيثِ الْمُتَشَابِهِ ، بِوَجْهٍ ضَارٍّ غَيْرِ لَازِمٍ ؛ وَوَرَدَ هٰذَا النَّوْعُ مِنَ الْأَحَادِيثِ كَثِيراً ؛ يَلْزَمُ قَطْعاً بَيَانُ حَقِيقَةٍ تُزِيلُ الشُّبُهَاتِ ؛ سَوَاءٌ أَكَانَ هٰذَا الْحَدِيثُ قَطْعِيّاً ؛ أَوْ لَمْ يَكُنْ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ . .

هٰذَا ؛ فَنُشِيرُ إِلٰى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ ، هٰهُنَا إِجْمَالاً ، اكْتِفَاءً بِتَفْصِيلَاتٍ فِي رَسَائِلَ أَلَّفْنَاهَا .

فَمِنْهَا : مَا فِي **الْغُصْنِ الثَّالِثِ** مِنَ **الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ** ، مِنَ **«الْأُصُولِ الِاثْنَيْ عَشَرَ»** ، وَمَا فِي **غُصْنِهَا الرَّابِعِ** ، وَمَا فِي أَسَاسٍ فِي تَقْسِيمِ الْوَحْيِ ، فِي مُقَدِّمَةِ **الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ . . وَذٰلِكَ : أَنَّ الْمَلَكَ لَا يَنْحَصِرُ فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَالْإِنْسَانِ ؛ وَأَنَّهُ فِي حُكْمِ**

كُلِّيٍّ ، إِذْ كَانَ مُشَخَّصاً ؛ وَأَنَّ عَزْرَائِيلَ (عليه السلام) نَاظِرُ الْمَلائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ . وَهَلْ يَقْبِضُ عَزْرَائِيلُ (عليه السلام) بِذَاتِهِ ، رُوحَ كُلِّ مَيِّتٍ ؟ أَوْ يَقْبِضُهَا عَوَنَتُهُ ؟ يُوجَدُ فِي هٰذَا الشَّأْنِ ، ثَلَاثَةُ مَسَالِكَ . .

﴿ اَلْمَسْلَكُ الْأَوَّلُ : ﴾ أَنَّ عَزْرَائِيلَ (عليه السلام) يَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَلَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ ، عَنْ شَيْءٍ ؛ لِأَنَّهُ نُورَانِيٌّ . وَمَا يَكُونُ نُورَانِيّاً ، يُوجَدُ بِذَاتِهِ ، فِي أَمَاكِنَ بِلَا حَدٍّ ؛ وَيَتَمَثَّلُ فِيهَا ، بِوَاسِطَةِ مَرَايَا لَا حَدَّ لَهَا . وَتَمَثُّلَاتُ النُّورَانِيِّ ، مَالِكَةٌ لِخَوَاصِّ ذٰلِكَ الشَّخْصِ النُّورَانِيِّ ؛ وَتُعَدُّ عَيْنَهُ ؛ وَلَيْسَتْ غَيْرَهُ ؛ فَكَمَا أَنَّ أَمْثِلَةَ الشَّمْسِ فِي الْمَرَايَا ، تُظْهِرُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ وَحَرَارَتَهَا ؛ فَإِنَّ أَمْثِلَةَ الرُّوحَانِيِّينَ كَالْمَلَائِكَةِ ، فِي الْمَرَايَا الْمُخْتَلِفَةِ ، مِنْ عَالَمِ الْمِثَالِ ، هِيَ عَيْنُهُمْ ؛ وَتُظْهِرُ خَوَاصَّهُمْ أَيْضاً ؛ لٰكِنَّهُمْ يَتَمَثَّلُونَ حَسَبَ قَابِلِيَّةِ الْمَرَايَا ؛ كَمَا أَنَّ جِبْرَائِيلَ (عليه السلام) كَانَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، فِي الدَّقِيقَةِ الَّتِي يُشَاهَدُ بَيْنَ الْأَصْحَابِ ، عَلٰى صُورَةِ «دِحْيَةَ» ، يُوجَدُ فِي آلَافِ أَمْكِنَةٍ ، عَلٰى صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَيَسْجُدُ أَمَامَ الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ ، بِأَجْنِحَتِهِ الْمُحْتَشِمَةِ الْوَاسِعَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ؛ وَكَانَ لَهُ تَمَثُّلٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، حَسَبَ قَابِلِيَّةِ ذٰلِكَ الْمَكَانِ ؛ وَكَانَ فِي آلَافِ مَكَانٍ ، فِي آنٍ وَاحِدٍ . . فَعَلٰى هٰذَا الْمَسْلَكِ : أَنَّ مِثَالاً جُزْئِيّاً إِنْسَانِيّاً ، لِمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُتَمَثِّلِ لِمِرْآةِ الْإِنْسَانِ ، حِينَ قَبْضِ الرُّوحِ ، تَعَرَّضَ لِصَفْعَةِ رَسُولٍ جَلِيلٍ حَدِيدٍ ، مِنْ أُولِي الْعَزْمِ ، مِثْلِ مُوسٰى (عليه السلام) ، وَسَمَلَ عَيْنَهُ الَّتِي فِي صُورَتِهِ الْمِثَالِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ لِبَاسِ ذٰلِكَ الْمَلَكِ الْمِثَالِيِّ ؛ وَذٰلِكَ لَيْسَ مُحَالاً ؛ وَلَا خَارِقاً لِلْعَادَةِ ؛ وَلَا غَيْرَ مَعْقُولٍ . .

﴿ اَلْمَسْلَكُ الثَّانِي : ﴾ هُوَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْعِظَامَ ، كَجِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَعَزْرَائِيلَ ، هُمْ فِي حُكْمِ نُظَّارٍ عُمُومِيِّينَ ؛ وَلَهُمْ أَعْوَانٌ صِغَارٌ ، مِنْ نَوْعِهِمْ ، يُشْبِهُونَهُمْ ؛ وَأَنَّ أُولَائِكَ الْمُعَاوِنِينَ ، مُخْتَلِفُونَ حَسَبَ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ فَقَابِضُ أَرْوَاحِ الصُّلَحَاءِ[1] نَوْعٌ ؛ وَقَابِضُ

---

(١) إِنَّ وَلِيّاً عَظِيماً مَشْهُوراً فِينَا ، بِلَقَبِ (سَيِّدَا) كَانَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ؛ فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُ =

أَرْوَاحِ أَهْلِ الشَّقَاءِ أَيْضاً ، نَوْعٌ آخَرُ ؛ كَمَا تُشِيرُ آيَةُ ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ۞﴾ إِلٰى أَنَّ قَابِضِي الْأَرْوَاحِ ، طَوَائِفُ مُخْتَلِفَةٌ . .

فَعَلٰى هٰذَا الْمَسْلَكِ ، لَمْ يَصْفَعْ مُوسٰى (عليه السلام) ، عِزْرَائِيلَ (عليه السلام) ؛ بَلْ صَفَعَ جَسَداً مِثَالِيّاً لِوَاحِدٍ مِنْ أَعْوَانِ عِزْرَائِيلَ ، صَفْعَةَ عِشْقٍ ، بِنَاءً عَلٰى جَلَالَتِهِ الْفِطْرِيَّةِ ، وَجَلَادَتِهِ الْخَلْقِيَّةِ ، وَوَجَاهَتِهِ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ وَذٰلِكَ مَعْقُولٌ لِلْغَايَةِ(١) . .

﴿ اَلْمَسْلَكُ الثَّالِثُ : ﴾ أَنَّهُ يُوجَدُ بَعْضُ مَلَائِكَةٍ ، لَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ رَأْسٍ ؛ وَفِي كُلِّ رَأْسٍ ، أَرْبَعُونَ أَلْفَ لِسَانٍ . فَإِذاً لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ عَيْنٍ ؛ وَفِي كُلِّ لِسَانٍ ، أَرْبَعُونَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ ، عَلٰى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ ؛ وَكَمَا بُيِّنَ فِي الْأَسَاسِ الرَّابِعِ مِنَ الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ . نَعَمْ : إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ ، مُوَكَّلِينَ حَسَبَ أَنْوَاعِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ وَيُمَثِّلُونَ تَسَابِيحَ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ ، فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ؛ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كَذٰلِكَ ؛ لِأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ مَثَلاً ، مَخْلُوقَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ تُسَبِّحُ اللّٰهَ تَعَالٰى ؛ وَلَهَا أَنْوَاعٌ بِمَثَابَةِ رُؤُوسٍ ، لَيْسَتْ أَرْبَعِينَ أَلْفاً ، بَلْ مِئَاتُ آلَافٍ ؛ وَلِكُلِّ نَوْعٍ ، أَفْرَادٌ فِي حُكْمِ مِئَاتِ آلَافِ لِسَانٍ . وَهٰكَذَا . فَإِذاً إِنَّ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ عَلٰى كُرَةِ الْأَرْضِ ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ رَأْسٍ ؛ بَلْ مِئَاتُ آلَافِ رَأْسٍ ؛ وَأَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ رَأْسٍ مِنْهَا ، مِئَاتُ آلَافِ لِسَانٍ ؛ وَهٰكَذَا . . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا الْمَسْلَكِ ، يَكُونُ لِعِزْرَائِيلَ (عليه السلام) وُجُوهٌ مُتَوَجِّهَةٌ إِلٰى كُلِّ فَرْدٍ ، وَعُيُونٌ نَاظِرَةٌ إِلَيْهِ ؛ وَإِنَّ صَفْعَ مُوسٰى (عليه السلام) لِعِزْرَائِيلَ (عليه السلام) لَيْسَ لِمَاهِيَّتِهِ

= بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْأَوْلِيَاءِ ؛ فَقَالَ (سَيِّدَا) صَارِخاً : إِنِّي أُحِبُّ طَلَبَةَ الْعُلُومِ كَثِيراً ؛ فَلْيَقْبِضْ رُوحِيَ ، الطَّائِفَةُ الْمَخْصُوصَةُ الْمُوَكَّلَةُ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ طَلَبَةِ الْعُلُومِ ؛ هٰكَذَا تَضَرَّعَ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَشَهِدَ الْجَالِسُونَ عِنْدَهُ ، هٰذِهِ الْوَاقِعَةَ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(١) حَتّٰى إِنَّ رَجُلًا شُجَاعاً لِلْغَايَةِ ، فِي بِلَادِنَا ، رَأَى مَلَكَ الْمَوْتِ ، فِي وَقْتِ السَّكَرَاتِ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ تَقْبِضُ عَلَيَّ فِي الْفِرَاشِ . فَقَامَ وَرَكِبَ فَرَسَهُ . وَأَخَذَ بِيَدِهِ سَيْفَهُ . وَتَحَدَّاهُ . فَتُوُفِّيَ عَلَى الْفَرَسِ وَفَاةَ شُجَاعٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الْأَصْلِيَّةِ ، وَشَاكِلَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ وَلَيْسَ تَحْقِيراً ، وَلَا عَدَمَ قَبُولٍ ، حَاشَاهُ ؛ بَلْ إِنَّهُ تَمَنَّى دَوَامَ وَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ ، وَبَقَاءَهَا ؛ فَلِذٰلِكَ صَفَعَ عَيْناً كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَى أَجَلِهِ بِدِقَّةٍ ؛ وَتُرِيدُ أَنْ تَسُدَّ أَمَامَ خِدْمَتِهِ ؛ وَلَهُ أَنْ يَصْفَعَهَا ..

اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ؛ وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ ؛ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ ..

﴿هُوَ الَّذِيٓ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُٓ إِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ..

اَلرِّسَالَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي هِيَ الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ :

إِنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، جَوَابٌ خَاصٌّ وَخُصُوصِيٌّ وَمُحَرَّمٌ ، عَلَى سُؤَالٍ عُمُومِيٍّ يَسْأَلُهُ جَمِيعُ إِخْوَانِي ، أَكْثَرُهُمْ بِلِسَانِ الْحَالِ ؛ وَبَعْضُهُمْ بِلِسَانِ الْقَالِ ..

اَلسُّؤَالُ : أَنَّكَ تَقُولُ لِكُلِّ مَنْ يَأْتِي لِزِيَارَتِكَ : «لَا تَنْتَظِرُوا مِنْ شَخْصِي هِمَّةً ؛ وَلَا تَعْرِفُوا شَخْصِي مُبَارَكاً ؛ وَإِنِّي لَسْتُ صَاحِبَ مَقَامٍ» ؛ وَتَقُولُ : «كَمَا أَنَّ مُجَنَّداً عَادِيّاً ، يُبَلِّغُ أَوَامِرَ مَقَامِ الْمُشِيرِ ؛ فَإِنِّي أَيْضاً أُبَلِّغُ أَوَامِرَ مَقَامٍ مُشِيرِيَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ؛ وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ رَجُلاً مُفْلِساً ، يَكُونُ دَلّالَ دُكَّانِ أَلْمَاسٍ وَمُجَوْهَرَاتٍ غَنِيَّةٍ وَقَيِّمَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَإِنِّي أَيْضاً دَلّالُ دُكَّانٍ قُرْآنِيٍّ مُقَدَّسٍ» ؛ هٰكَذَا تَقُولُ ؛ مَعَ أَنَّهُ كَمَا تَحْتَاجُ عُقُولُنَا إِلَى الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ قُلُوبَنَا أَيْضاً تَطْلُبُ فَيْضاً ؛ وَأَرْوَاحَنَا تَشْتَهِي نُوراً ؛ وَهٰكَذَا نَطْلُبُ أُمُوراً كَثِيرَةً ، بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَإِنَّا نَظُنُّكَ رَجُلاً يَكْفِي حَاجَاتِنَا ؛ فَنَأْتِي لِزِيَارَتِكَ ؛ وَإِنَّهُ يَلْزَمُ لَنَا صَاحِبُ وِلَايَةٍ ، وَصَاحِبُ هِمَّةٍ ، وَصَاحِبُ كَمَالَاتٍ ، فَضْلاً عَنِ الْعَالِمِ ؛ فَإِنْ كَانَتْ حَقِيقَةُ الْحَالِ ، كَمَا تَقُولُ ؛ فَقَدْ أَتَيْنَا لِزِيَارَتِكَ خَطَأً ؛ هٰكَذَا يَقُولُ لِسَانُ حَالِهِمْ ..

فَالْجَوَابُ : اسْتَمِعُوا لِخَمْسِ نِقَاطٍ ؛ ثُمَّ تَفَكَّرُوا : هَلْ زِيَارَتُكُمْ بَاطِلَةٌ ، أَمْ نَافِعَةٌ ؛ فَاحْكُمُوا حِينَئِذٍ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى :﴾ كَمَا أَنَّ مُجَنَّداً مِسْكِيناً ، وَخَادِماً عَادِيّاً ، لِسُلْطَانٍ مَّا ، يُقَدِّمُ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ ، بِاسْمِ السُّلْطَانِ ، أَوْسَامَهُ وَهَدَايَاهُ السُّلْطَانِيَّةَ ؛ وَيَمُنُّ بِهَا عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنْ قَالَتِ الْمُلُوكُ وَالْمُشِيرُونَ : لِمَاذَا نَتَوَاضَعُ لِهٰذَا الْمُجَنَّدِ الْعَادِيِّ ؛ فَنَقْبَلُ مِنْ يَدِهِ الْإِحْسَانَ وَالْأَوْسَامَ ؛ فَذَاكَ جُنُونٌ عَلٰى وَجْهِ الْغُرُورِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَقُمْ ذٰلِكَ الْمُجَنَّدُ ، لِلْمُشِيرِ ، فِي خَارِجِ وَظِيفَتِهِ ؛ وَرَأٰى نَفْسَهُ أَعْلٰى مِنْهُ ؛ فَذٰلِكَ جُنُونٌ عَلٰى وَجْهِ الْبَلَاهَةِ . وَأَيْضاً إِنْ سَارَ أَحَدٌ مِنْ أُولَائِكَ الْمُلُوكِ الْمَسْرُورِينَ ، ضَيْفاً إِلٰى غُرْفَةِ ذٰلِكَ الْمُجَنَّدِ ، مُتَوَاضِعاً وَمُتَشَكِّراً ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ السُّلْطَانَ الَّذِي يَرٰى وَيَعْلَمُ ذٰلِكَ الْحَالَ ؛ يَبْعَثُ الْمَائِدَةَ ، مِنَ الْمَطْبَخِ السُّلْطَانِيِّ ، لِضَيْفِ خَادِمِهِ الصَّادِقِ ، ذٰلِكَ الضَّيْفِ الْمُحْتَرَمِ ؛ لِئَلَّا يُخْجِلَ ذٰلِكَ الْمُجَنَّدَ الَّذِي لَا يَجِدُ غَيْرَ الْخُبْزِ الْيَابِسِ ؛ فَكَذٰلِكَ إِنَّ خَادِماً صَادِقاً لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، مَهْمَا كَانَ عَادِيّاً ؛ فَإِنَّهُ يُبَلِّغُ أَوَامِرَهُ ، إِلٰى أَكَابِرِ النَّاسِ ، بِاسْمِ الْقُرْآنِ ، بِدُونِ تَجَنُّبٍ ؛ وَيَبِيعُ أَلْمَاسَاتِ الْقُرْآنِ الْعَالِيَةَ ، لِأَغْنَاهُمْ رُوحاً ؛ وَلَيْسَ مُتَضَرِّعاً وَمُتَذَلِّلاً ، بَلْ مُفْتَخِراً وَمُسْتَغْنِياً . وَإِنَّهُمْ مَهْمَا كَانُوا كُبَرَاءَ ؛ لَا يَتَكَبَّرُونَ عَلٰى ذٰلِكَ الْخَادِمِ الْعَادِيِّ ؛ وَهُوَ مُبَاشِرٌ بِالْوَظِيفَةِ . وَإِنَّ ذٰلِكَ الْخَادِمَ ، لَا يَجِدُ فِي مُرَاجَعَتِهِمْ إِلَيْهِ ، مَدَارَ غُرُورٍ ؛ وَلَا يَتَجَاوَزُ عَنْ حَدِّهِ أَيْضاً . وَإِنْ نَظَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَيْنِ زَبَائِنِ تِلْكَ الْخَزِينَةِ الْقُدُسِيَّةِ ، إِلٰى ذٰلِكَ الْخَادِمِ الْبَائِسِ ، بِنَظَرِ الْوَلَايَةِ ؛ وَيَعْرِفُوهُ كَبِيراً ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ شَأْنِ مَرْحَمَةِ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، تِلْكَ الْمَرْحَمَةِ الْقُدُسِيَّةِ : أَنْ تُمِدَّهُمْ مَدَداً ؛ وَتُهِمَّهُمْ هِمَّةً ؛ وَتُفِيضَ عَلَيْهِمْ ، مِنَ الْخَزِينَةِ الْخَاصَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِدُونِ خَبَرٍ وَتَدَخُّلٍ لِذٰلِكَ الْخَادِمِ أَصْلاً ؛ لِئَلَّا تُخْجِلَ خَادِمَهَا ذٰلِكَ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ الْإِمَامَ الرَّبَّانِيَّ ، وَمُجَدِّدَ الْأَلْفِ الثَّانِي أَحْمَدَ الْفَارُوقِيَّ ، قَالَ : إِنَّ انْكِشَافَ مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَوُضُوحَهَا ، مُرَجَّحٌ عِنْدِي عَلٰى آلَافٍ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْكَرَامَاتِ ؛ وَإِنَّ غَايَةَ جَمِيعِ الطُّرُقِ وَنَتِيجَتَهَا ، هِيَ انْكِشَافُ

الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَوُضُوحُهَا . . فَإِذَا كَانَ بَطَلٌ مِثْلُهُ ، مِنْ أَبْطَالِ الطَّرِيقَةِ ، يَحْكُمُ مِثْلَ هٰذَا الْحُكْمِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ «الْمَقَالَاتِ» الَّتِي تُبَيِّنُ بِكَمَالِ الْوُضُوحِ ، حَقَائِقَ الْإِيمَانِ ؛ وَتَرَشَّحَتْ عَنْ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ ؛ تُنْتِجُ نَتَائِجَ مَطْلُوبَةً عَنِ الْوِلَايَةِ . .

﴿ اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ «السَّعِيدَ الْقَدِيمَ» نَزَلَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ الْغَافِلِ ، صَفَعَاتٌ هَائِلَةٌ ، قَبْلَ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ هٰذَا الْوَقْتِ ؛ فَتَصَوَّرَ قَضِيَّةَ «أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ» ؛ فَرَأَىٰ نَفْسَهُ فِي الْوَحَلِ ؛ فَاسْتَمَدَّ وَتَحَرّىٰ سَبِيلاً ؛ وَطَلَبَ مُنْقِذاً ؛ فَرَأَىٰ أَنَّ الطُّرُقَ مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَبَقِيَ فِي التَّرَدُّدِ ؛ فَتَفَاءَلَ بِكِتَابِ «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ الشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ» ، الْمُسَمّىٰ بِفُتُوحِ الْغَيْبِ ؛ فَظَهَرَ فِي التَّفَاؤُلِ هٰذَا الْكَلَامُ : (أَنْتَ فِي دَارِ الْحِكْمَةِ ؛ فَاطْلُبْ طَبِيباً يُدَاوِي قَلْبَكَ) ؛ وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنِّي كُنْتُ حِينَئِذٍ ، مِنْ أَعْضَاءِ «دَارِ الْحِكْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» ؛ وَكَأَنِّي كُنْتُ حَكِيماً مُعَالِجاً لِتَدَاوِي جِرَاحَاتِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ مَعَ أَنِّي كُنْتُ أَشَدَّ مَرَضاً ؛ وَعَلَى الْمَرِيضِ أَنْ يَعْتَنِيَ أَوَّلاً بِنَفْسِهِ ؛ ثُمَّ لَهُ أَنْ يَعْتَنِيَ بِالْمَرْضىٰ ؛ فَيَقُولُ لِي «حَضْرَةُ الشَّيْخِ» : إِنَّكَ أَنْتَ مَرِيضٌ ؛ فَاطْلُبْ لَكَ طَبِيباً ؛ فَقُلْتُ : كُنْ أَنْتَ طَبِيبِي ؛ فَجَعَلْتُ أَعُدُّ نَفْسِي مُخَاطَباً لَهُ ؛ فَقَرَأْتُ ذٰلِكَ الْكِتَابَ ؛ كَأَنَّهُ يُخَاطِبُنِي ؛ وَلٰكِنَّ كِتَابَهُ كَانَ شَدِيداً جِدّاً ؛ يَكْسِرُ غُرُورِي كَسْراً هَائِلاً ؛ فَعَمِلَ فِي نَفْسِي ، عَمَلِيَّاتٍ جِرَاحِيَّةً شَدِيدَةً ؛ فَمَا تَحَمَّلْتُهَا ؛ فَقَرَأْتُهُ إِلَىٰ نِصْفِهِ ، عَادّاً نَفْسِي مُخَاطَباً لَهُ ؛ فَلَمْ يَبْقَ تَحَمُّلِي لِإِنْهَائِهِ ؛ فَوَضَعْتُ ذٰلِكَ الْكِتَابَ فِي الْمَكْتَبَةِ ؛ وَلٰكِنْ ثُمَّ زَالَتِ الْآلَامُ الْوَارِدَةُ عَنِ الْعَمَلِيَّاتِ الْمُتَشَفِّيَةِ ؛ وَأَتَتِ اللَّذَّةُ ؛ فَقَرَأْتُ كِتَابَ أُسْتَاذِيَ الْأَوَّلِ ذَاكَ تَمَاماً ؛ وَاسْتَفَدْتُ كَثِيراً ؛ وَاسْتَمَعْتُ لِوِرْدِهِ وَمُنَاجَاتِهِ ؛ فَاسْتَفَضْتُ كَثِيراً . .

ثُمَّ رَأَيْتُ كِتَابَ «الْمَكْتُوبَاتِ» لِلْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ ؛ فَتَنَاوَلْتُهُ ؛ وَفَتَحْتُهُ مُتَفَائِلاً تَفَاؤُلاً حَسَناً ؛ وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ لَفْظَ (بَدِيعِ الزَّمَانِ) يُوجَدُ فِي جَمِيعِ مَكْتُوبَاتِهِ ، فِي مَوْضِعَيْنِ فَقَطْ ؛ فَفُتِحَ لِي ذَانِكَ الْمَكْتُوبَانِ فَجْأَةً ؛ فَرَأَيْتُ قَدْ كُتِبَ فِي أَوَّلِ ذَيْنِكَ الْمَكْتُوبَيْنِ ، أَنَّهُ مَكْتُوبٌ إِلَىٰ «مِيرْزَا بَدِيعِ الزَّمَانِ» ؛ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللهِ ! إِنَّ هٰذَا يُخَاطِبُنِي ؛ لِأَنَّ اسْمَ وَالِدِي كَانَ (مِيرْزَا) ؛ وَكَانَ لَقَبُ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، (بَدِيعَ الزَّمَانِ) ، فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ وَلَمْ أَكُنْ

أَعْلَمُ رِجَالاً اشْتَهَرُوا بِذٰلِكَ اللَّقَبِ ، سِوى «بَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمَذَانِيِّ» ، فِي سَنَةِ ثَلاثِمِئَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ فِي زَمَنِ الْإِمَامِ ، رَجُلٌ كَذٰلِكَ أَيْضاً ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ذَيْنِكَ الْمَكْتُوبَيْنِ ؛ وَكَانَ حَالُ ذٰلِكَ الرَّجُلِ ، يُشْبِهُ حَالِي ؛ فَلِذَا وَجَدْتُ ذَيْنِكَ الْمَكْتُوبَيْنِ ، دَوَاءً لِدَائِي ؛ وَلٰكِنَّ الْإِمَامَ ؛ كَمَا يُوصِي فِي ذَيْنِكَ الْمَكْتُوبَيْنِ ؛ يُوصِي فِي كَثِيرٍ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ ، عَلٰى وَجْهِ الْإِصْرَارِ ، بِهٰذَا الْإِيصَاءِ : (أَنْ وَحِّدِ الْقِبْلَةَ) ؛ يَعْنِي : «أَنِ اتَّخِذْ أَحَداً ، أُسْتَاذاً ؛ فَاسْلُكْ مِنْ وَرَائِهِ ؛ وَلَا تَشْتَغِلْ بِغَيْرِهِ» . فَتَوْصِيَتُهُ الْأَهَمُّ هٰذِهِ ، لَمْ تُوَافِقِ اسْتِعْدَادِي وَأَحْوَالِيَ الرُّوحِيَّةَ ؛ فَمَهْمَا تَفَكَّرْتُ : هَلْ أَسْلُكُ مِنْ وَرَاءِ هٰذَا ، أَمْ ذَاكَ ، أَوْ آخَرَ ؟ فَبَقِيتُ فِي تَحَيُّرٍ ؛ فَفِي كُلٍّ مِنْهُمْ ، خَاصِّيَّاتٌ جَاذِبَةٌ مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَلَمْ أَكُنْ أَكْتَفِي بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي ذٰلِكَ التَّحَيُّرِ ؛ إِذْ وَرَدَ عَلٰى قَلْبِي ، بِرَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى : أَنَّ رَأْسَ هٰذِهِ الطُّرُقِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَمَنْبَعَ هٰذِهِ الْجَدَاوِلِ ، وَشَمْسَ هٰذِهِ السَّيَّارَاتِ ، هُوَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ؛ وَأَنَّ تَوْحِيدَ الْقِبْلَةِ الْحَقِيقِيَّ ، إِنَّمَا يَكُونُ فِي هٰذَا ؛ فَإِذاً إِنَّهُ هُوَ الْمُرْشِدُ الْأَعْلٰى ، وَالْأُسْتَاذُ الْأَقْدَسُ أَيْضاً ؛ فَاعْتَصَمْتُ بِهِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ اسْتِعْدَادِيَ النَّاقِصَ الْمُشَتَّتَ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ ذٰلِكَ الْمُرْشِدِ الْحَقِيقِيِّ ؛ فَيَمُصَّ فَيْضَهُ الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ مَاءِ الْحَيَاةِ ، بِالْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ ؛ وَلٰكِنْ يُمْكِنُ بِفَيْضِهِ أَيْضاً ، أَنْ نُرِيَ أَهْلَ الْقَلْبِ ، وَأَصْحَابَ الْحَالِ ، ذٰلِكَ الْفَيْضَ ، حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ . فَإِذاً إِنَّ تِلْكَ الْمَقَالَاتِ ، وَتِلْكَ الْأَنْوَارَ ، الْوَارِدَةَ عَنِ الْقُرْآنِ ، لَيْسَتْ مَسَائِلَ عِلْمِيَّةً عَقْلِيَّةً فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّهَا مَسَائِلُ إِيمَانِيَّةٌ قَلْبِيَّةٌ ، وَرُوحِيَّةٌ وَحَالِيَّةٌ ، وَبِمَثَابَةِ مَعَارِفَ إِلٰهِيَّةٍ ، قَيِّمَةٍ عَالِيَةٍ جِدّاً . .

اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ أَصْحَابَ الْوِلَايَةِ الْكُبْرٰى ، ذَاتِ الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَبَعِهِمْ ، كَانُوا يَأْخُذُونَ حِصَصَ جَمِيعِ لَطَائِفِهِمْ ، عَنِ الْقُرْآنِ ؛ وَكَانَ الْقُرْآنُ ، لَهُمْ مُرْشِداً حَقِيقِيّاً وَكَافِياً ؛ فَيَدُلُّ ذٰلِكَ ، عَلٰى أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ؛ كَمَا يُفِيدُ الْحَقَائِقَ ؛ يَفِيضُ فُيُوضَاتِ الْوِلَايَةِ الْكُبْرٰى ، عَلٰى أَهْلِهَا أَيْضاً . نَعَمْ : إِنَّ الْمُرُورَ مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، عَلٰى وَجْهَيْنِ . .

أَحَدُهُمَا : هُوَ أَنْ يَدْخُلَ بَرْزَخَ الطَّرِيقَةِ ؛ فَيَقْطَعَ الْمَرَاتِبَ ، بِالسَّيْرِ وَالسُّلُوكِ ؛ فَيَمْضِي

إِلَى الْحَقِيقَةِ . .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : هُوَ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى الْحَقِيقَةِ مُبَاشَرَةً ، بِاللُّطْفِ الْإِلٰهِيِّ ، بِدُونِ الْمُرُورِ عَلٰى بَرْزَخِ الطَّرِيقَةِ . فَهٰذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْقَصِيرُ الْعَالِي ، الْخَاصُّ بِالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ . .

فَإِذاً إِنَّ الْأَنْوَارَ الْمُتَرَشِّحَةَ عَنِ الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَإِنَّ الْمَقَالاتِ الْمُتَرْجِمَةَ لِتِلْكَ الْأَنْوَارِ ، يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَالِكَةً لِتِلْكَ الْخَاصَّةِ ؛ وَإِنَّهَا مَالِكَةٌ لَهَا . .

﴿ اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ نُثْبِتُ بِخَمْسَةِ أَمْثِلَةٍ جُزْئِيَّةٍ : أَنَّ «الْمَقَالاتِ» ؛ كَمَا تُعَلِّمُ الْحَقَائِقَ ؛ تُؤَدِّي وَظِيفَةَ الْإِرْشَادِ أَيْضاً . .

﴿ اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ : ﴾ أَنِّي أَنَا اعْتَقَدْتُ بِتَجَارِبِيَ الْمُتَعَدِّدَةِ آلافَ مَرَّاتٍ ؛ وَلَيْسَتْ عَشْرَةً ، وَلَا مِئَةً : «أَنَّ الْمَقَالاتِ وَالْأَنْوَارَ الْوَارِدَةَ عَنِ الْقُرْآنِ ؛ كَمَا تُدَرِّسُ عَقْلِي ؛ تُلَقِّنُ قَلْبِي أَيْضاً ، الْإِيمَانَ الْحَالِيَّ ؛ وَتُعْطِي رُوحِي ، الْإِيمَانَ الذَّوْقِيَّ» ؛ وَهٰكَذَا ؛ حَتّٰى إِنَّهُ ، كَمَا يَنْتَظِرُ مُرِيدُ شَيْخٍ صَاحِبِ كَرَامَةٍ ، الْمَدَدَ وَالْهِمَّةَ ، مِنْ شَيْخِهِ ، لِحَاجَاتِهِ ؛ فَإِنَّنِي أَيْضاً ، بَيْنَمَا أَنْتَظِرُ حَاجَاتِي ، مِنْ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، ذَاتِ الْكَرَامَةِ ؛ تَحْصُلُ لِي تِلْكَ الْحَاجَاتُ ، مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ بِحَيْثُ لا أَرْجُو وَلَا أَحْتَسِبُ . فَأَذْكُرُ مِثَالَيْنِ صَغِيرَيْنِ ، مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ فَقَطْ . .

أَحَدُهُمَا : هُوَ مَا سَبَقَ إِيضَاحُهُ وَتَفْصِيلُهُ ، فِي الْمَكْتُوبِ السَّادِسَ عَشَرَ : أَنَّ رَغِيفاً كَبِيراً أُظْهِرَ بِوَجْهٍ خَارِقٍ ، عَلٰى رَأْسِ شَجَرَةِ الْقَطِرَانِ ، لِضَيْفِيَ الْمُسَمّٰى بِـ«سُلَيْمَانَ» ؛ فَأَكَلْنَا يَوْمَيْنِ ، مِنْ تِلْكَ الْهَدِيَّةِ الْغَيْبِيَّةِ . .

وَثَانِيهِمَا : مَسْأَلَةٌ لَطِيفَةٌ وَصَغِيرَةٌ لِلْغَايَةِ ؛ وَقَعَتْ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ ؛ فَأَذْكُرُهَا ؛ وَهِيَ : أَنَّهُ وَرَدَ بِبَالِي قَبْلَ الْفَجْرِ : أَنَّ أَقْوَالاً ذُكِرَتْ مِنْ جَانِبِي ، بِوَجْهٍ يُورِثُ الْوَسْوَسَةَ ، لِقَلْبِ رَجُلٍ ؛ فَقُلْتُ : لَيْتَنِي رَأَيْتُهُ ؛ فَأَزَلْتُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الاضْطِرَابِ ؛ وَفِي عَيْنِ الدَّقِيقَةِ ، لَزِمَ لِي جُزْءٌ مِنْ كِتَابِي ، ذَهَبَ إِلَى قَرْيَةِ (نِيسَ) ؛ فَقُلْتُ : لَيْتَهُ وَصَلَ إِلٰى يَدِي ؛ فَجَلَسْتُ بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ ؛ فَرَأَيْتُ ذٰلِكَ الرَّجُلَ نَفْسَهُ ، دَخَلَ مِنَ الْبَابِ ؛ وَبِيَدِهِ ذٰلِكَ الْجُزْءُ مِنَ

الْكِتَابِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي بِيَدِكَ ؟ قَالَ : لَا أَعْلَمُ ؛ وَإِنَّمَا أَعْطَانِيهِ أَحَدٌ أَمَامَ الْبَابِ ؛ وَقَالَ : إِنَّهُ جَاءَ مِنْ (نِيسَ) ؛ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللهِ ! إِنَّ قُدُومَ هٰذَا الرَّجُلِ مِنْ بَيْتِهِ ، وَوُرُودَ هٰذِهِ الْمَقَالَةِ مِنْ (نِيسَ) فِي مِثْلِ هٰذَا الْوَقْتِ ، لَا يُشْبِهُ التَّصَادُفَ أَصْلاً ؛ وَإِنَّ الَّذِي أَعْطَى مِثْلَ هٰذَا الْجُزْءِ مِنَ الْكِتَابِ ، بِيَدِ مِثْلِ هٰذَا الرَّجُلِ ، فِي نَفْسِ الدَّقِيقَةِ ؛ فَأَرْسَلَهُ إِلَيَّ ؛ لَا شَكَّ أَنَّهُ هِمَّةُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ : إِنَّ وَاحِداً يَعْلَمُ مَا لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُ ، مِنْ أَخْفَى مَطَالِبِ قَلْبِي وَأَدْنَاهَا ؛ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَرْحَمُ عَلَيَّ ؛ وَيَحْمِينِي . فَإِذاً لَا أَشْتَرِي مِنَّةَ الدُّنْيَا ، بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّانِي :﴾ أَنَّ ابْنَ أَخِي «عَبْدَ الرَّحْمٰنِ» الْمَرْحُومَ ، كَانَ فَارَقَنِي مُنْذُ ثَمَانِي سِنِينَ ؛ فَتَلَوَّثَ بِغَفْلَةِ الدُّنْيَا وَأَوْهَامِهَا ؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ حُسْنُ ظَنٍّ بِي ، زَائِدٌ عَنْ حَدِّي بِكَثِيرٍ ؛ فَكَانَ يَطْلُبُ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدِي ؛ وَلَا يَحْصُلُ بِيَدِي ، مِنَ الْهِمَّةِ ؛ وَكَانَ يَتَوَقَّعُ الْمَدَدَ . فَأَمَدَّتْهُ هِمَّةُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَأَوْصَلَتْ إِلَى يَدِهِ «الْمَقَالَةَ الْعَاشِرَةَ» فِي حَقِّ الْحَشْرِ ، قُبَيْلَ وَفَاتِهِ ، بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ؛ فَطَهَّرَتْهُ تِلْكَ «الْمَقَالَةُ» ، عَنْ أَقْذَارِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَعَنِ الْأَوْهَامِ وَالْغَفْلَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَظْهَرَ ثَلَاثَ كَرَامَاتٍ ظَاهِرَةٍ ، فِي رِسَالَتِهِ الَّتِي كَتَبَهَا قَبْلَ وَفَاتِهِ ؛ كَأَنَّهُ تَرَقَّى إِلَى مَرْتَبَةِ الْوَلَايَةِ . فَأُدْرِجَتْ بَيْنَ فِقْرَاتِ «الْمَكْتُوبِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ» ؛ فَلْيُرَاجَعْ إِلَيْهِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الثَّالِثُ :﴾ كَانَ لِي تِلْمِيذٌ وَأَخٌ أُخْرَوِيٌّ ، مِنْ أَهْلِ الْقَلْبِ ، اسْمُهُ «الْحَسَنُ الْفَاضِلُ» مِنْ (بُورْدُورَ) ؛ فَكَانَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِي ، أَزْيَدَ مِنْ حَدِّي بِكَثِيرٍ ؛ وَيَتَوَقَّعُ عَنِّي أَنَا الْبَائِسَ ، الْمَدَدَ مِثْلَ مَا يُتَوَقَّعُ الْهِمَّةُ عَنْ وَلِيٍّ عَظِيمٍ ؛ فَأَعْطَيْتُ أَحَداً يُقِيمُ بِضَوَاحِي (بُورْدُورَ) ، الْمَقَالَةَ الثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثِينَ فَجْأَةً ، بِدُونِ أَيِّ مُنَاسَبَةٍ ، عَلٰى أَنْ يُطَالِعَهَا ؛ ثُمَّ تَذَكَّرْتُ «الْحَسَنَ الْفَاضِلَ» ؛ فَقُلْتُ : إِنْ سِرْتَ إِلَى (بُورْدُورَ) ؛ فَأَعْطِهَا «الْحَسَنَ الْفَاضِلَ» ؛ فَلْيُطَالِعْهَا خَمْسَةَ أَوْ سِتَّةَ أَيَّامٍ . فَانْطَلَقَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ؛ وَأَعْطَاهَا «الْحَسَنَ الْفَاضِلَ» مُبَاشَرَةً ؛ وَقَدْ بَقِيَ أَجَلُهُ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْماً . فَكَمَا يَمُصُّ إِنْسَانٌ ظَمْآنُ ، مَاءً عَذْباً كَمَاءِ الْكَوْثَرِ ؛ إِذْ يُصَادِفُهُ ؛

كَذٰلِكَ هُوَ أَيْضاً اعْتَنَقَ الْمَقَالَةَ الثَّانِيَةَ وَالثَّلاثِينَ ؛ فَطَالَعَهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ؛ وَتَفَيَّضَ مِنْهَا مُتَمَادِياً ؛ فَوَجَدَ الدَّوَاءَ لِدَائِهِ بِتَمَامِهِ ، لاسِيَّمَا فِي بَحْثِ مَحَبَّةِ اللهِ ، فِي مَوْقِفِهَا الثَّالِثِ ؛ وَوَجَدَ فِيهَا الْفَيْضَ الَّذِي كَانَ يَتَوَقَّعُهُ عَنِ الْقُطْبِ الْأَعْظَمِ ؛ فَذَهَبَ إِلَى الْمَسْجِدِ سَلِيماً ؛ وَصَلّٰى ؛ فَسَلَّمَ هُنَاكَ رُوحَهُ إِلَى الرَّحْمٰنِ ؛ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ . .

﴿اَلْمِثَالُ الرَّابِعُ :﴾ أَنَّ «الْخُلُوصِيَّ الْكَرِيمَ» وَجَدَ فِي «الْمَقَالاتِ النُّورِيَّةِ» الْمُتَرْجِمَةِ لِلْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، الْهِمَّةَ وَالْمَدَدَ ، وَالْفَيْضَ وَالنُّورَ ، أَزْيَدَ مِنَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ طَرِيقَةٌ أَهَمُّ وَأَكْثَرُ تَأْثِيراً ؛ وَذٰلِكَ بِشَهَادَةِ فِقْرَاتِهِ الَّتِي فِي «الْمَكْتُوبِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ» . .

﴿اَلْمِثَالُ الْخَامِسُ :﴾ أَنَّ أَخِي «عَبْدَ الْمَجِيدِ» كَانَ أَحَسَّ تَشَتُّتاً ، أَثَرَ وَفَاةِ ابْنِ أَخِي «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَبَيْنَ سَائِرِ أَحْوَالٍ أَلِيمَةٍ أُخْرٰى ؛ وَكَانَ يَتَوَقَّعُ مَا لا يَحْصُلُ بِيَدِي ، مِنَ الْمَدَدِ وَالْهِمَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَكُنْتُ لا أُرَاسِلُهُ ؛ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَجْأَةً ، عِدَّةَ مَقَالاتٍ مُهِمَّةٍ ؛ وَهُوَ بَعْدَمَا طَالَعَهَا ، يَكْتُبُ إِلَيَّ ؛ وَيَقُولُ : لَقَدْ نَجَوْتُ ؛ الْحَمْدُ لِلّٰهِ ؛ فَكِدْتُ أَفْقِدُ شُعُورِي ؛ وَقَدْ أَصْبَحَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ ، مِنْ هٰذِهِ «الْمَقَالاتِ» ، بِمَثَابَةِ مُرْشِدٍ ؛ وَإِنِّي ، وَإِنْ فَارَقْتُ مُرْشِداً ، إِلّا أَنِّي وَجَدْتُ دَفْعَةً ، كَثِيراً مِنَ الْمُرْشِدِينَ ؛ فَنَجَوْتُ ؛ هٰكَذَا كَانَ يَكْتُبُ ؛ فَنَظَرْتُ أَنَّ «عَبْدَ الْمَجِيدِ» دَخَلَ مَسْلَكاً جَمِيلاً ؛ فَنَجَا حَقّاً ، عَنْ أَحْوَالِهِ الْقَدِيمَةِ تِلْكَ . .

وَهٰكَذَا تُوجَدُ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْخَمْسَةِ ؛ وَهِيَ تَدُلُّ عَلٰى «أَنَّ الْعُلُومَ الْإِيمَانِيَّةَ ، وَالْأَدْوِيَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، لاسِيَّمَا إِذَا أُخِذَتْ عَنْ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ مُبَاشَرَةً ؛ وَجُرِّبَتْ دَوَاءً لِجِرَاحَاتِهِ ، وَبِنَاءً عَلَى الاحْتِيَاجِ ؛ فَلا شَكَّ أَنَّهَا تَكْفِي مَنْ يُحِسُّونَ بِاحْتِيَاجِهِمْ ؛ وَيَسْتَعْمِلُونَهَا بِإِخْلاصٍ جِدِّيٍّ ؛ وَهِيَ حَسْبُهُمْ» . وَإِنَّ الصَّيْدَلِيَّ وَالدَّلّالَ الَّذِي يَبِيعُهَا وَيُعْلِنُهَا ، سَوَاءٌ أَكَانَ عَادِيّاً أَوْ عَالِياً ، مُفْلِساً أَوْ غَنِيّاً ، فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ ، لا يُفَرِّقُ كَثِيراً . نَعَمْ : لا حَاجَةَ إِلَى الدُّخُولِ تَحْتَ شُعْلَةِ الْمَشَاعِلِ ، إِذَا وُجِدَتِ الشَّمْسُ ؛ فَإِذَا كُنْتُ أَدُلُّ عَلَى الشَّمْسِ ؛ فَلا مَعْنٰى وَلا لُزُومَ لِطَلَبِ نُورِ الشَّمْعَةِ مِنِّي ، لاسِيَّمَا إِذَا لَمْ

تُوجَدْ عِنْدِي ؛ بَلِ اللاّزِمُ أَنْ يُعِينُونِي بِالدُّعَاءِ وَالْعَوْنِ الْمَعْنَوِيِّ ، بَلْ بِالْهِمَّةِ ؛ وَمِنْ حَقِّي أَنْ أَسْتَمِدَّ وَأَطْلُبَ الْمَدَدَ مِنْهُمْ ؛ وَيَحِقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتَنِعُوا بِالْفَيْضِ الَّذِي يَسْتَفِيضُونَ مِنَ الْأَنْوَارِ . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، صَلاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً ؛

وَلِحَقِّهِ أَدَاءً ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ ❁ . .

﴿ رِسَالَةٌ صَغِيرَةٌ خُصُوصِيَّةٌ ، تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ تَتِمَّةً لِلْمَسْأَلَةِ الثَّالِثَةِ ، مِنَ الْمَكْتُوبِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ : ﴾

أَخَوَيَّ الْأُخْرَوِيَّيْنِ ، وَتِلْمِيذَيَّ الْفَعَّالَيْنِ «خُسْرَوَ الْفَاضِلَ وَرَأْفَتَ الْكَرِيمَ» ! .

كُنَّا نُحِسُّ ثَلاثَ كَرَامَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ ، فِي الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، الْمُسَمَّاةِ بِالْمَقَالاتِ ؛ وَإِنَّكُمَا أَلْحَقْتُمَا بِهَا ، بِسَعْيِكُمَا وَشَوْقِكُمَا ، كَرَامَةً رَابِعَةً أَيْضاً . .

أَمَّا الثَّلاثُ الَّتِي نَعْلَمُهَا ، فَأُولاهَا : هِيَ السُّهُولَةُ وَالسُّرْعَةُ فَوْقَ الْعَادَةِ فِي تَأْلِيفِهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ الْمَكْتُوبَ التَّاسِعَ عَشَرَ الَّذِي هُوَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ ، أُلِّفَ فِي الْجَبَلِ وَالْحَدِيقَةِ ، بِلا كِتَابٍ ، فِي ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، ثَلاثَ سَاعَاتٍ أَوْ أَرْبَعاً ؛ وَيَكُونُ الْمَجْمُوعُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً ؛ وَأُلِّفَتِ الْمَقَالَةُ الثَّلاثُونَ ، فِي خَمْسِ سَاعَاتٍ أَوْ سِتٍّ ، فِي زَمَنٍ مِنَ الْمَرَضِ ؛ وَأُلِّفَ مَبْحَثُ الْجَنَّةِ ؛ وَهُوَ الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ ، فِي سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ ، فِي حَدِيقَةِ «سُلَيْمَانَ» بِالْوَادِي ؛ وَقَدْ بَقِينَا أَنَا وَ«التَّوْفِيقُ» ، مَعَ «سُلَيْمَانَ» ، فِي الْحَيْرَةِ لِهٰذِهِ السُّرْعَةِ ؛ وَهٰكَذَا كَانَ فِي تَأْلِيفِهَا ، هٰذِهِ الْكَرَامَةُ الْقُرْآنِيَّةُ ؛ كَمَا أَنَّ الثَّانِيَةَ مِنْهَا : هِيَ أَنَّ فِي كِتَابَتِهَا ، سُهُولَةً وَاشْتِيَاقاً فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَعَدَمَ مَلَلٍ ؛ فَإِنَّهُ تَظْهَرُ وَاحِدَةٌ مِنْ هٰذِهِ «الْمَقَالاتِ» . فَإِذاً إِنَّهُ يُشْرَعُ فِي كِتَابَتِهَا ، بِكَمَالِ الاِشْتِيَاقِ ، فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ ، بَيْنَ أَسْبَابٍ تُورِثُ الْأَرْوَاحَ

وَالْعُقُولَ ، السَّآمَةَ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَهِيَ تُرَجَّحُ بَيْنَ مَشَاغِلَ مُهِمَّةٍ ، عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَهٰكَذَا . .

وَالْكَرَامَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ تِلاوَةَ هٰذِهِ «الْمَقَالاتِ» ، لا تُورِثُ الْمَلَلَ أَيْضاً ، لاسِيَّمَا إِذَا أُحِسَّ الِاحْتِيَاجُ ؛ فَكُلَّمَا تُلِيَتْ ، يُؤْخَذُ عَنْهَا الذَّوْقُ ؛ وَلا يُسْأَمُ مِنْهَا . .

هٰذَا ؛ فَإِنَّكُمَا أَثْبَتُّمَا كَرَامَةً قُرْآنِيَّةً رَابِعَةً أَيْضاً ؛ فَإِنَّ أَخاً لَنَا مِثْلَ «خُسْرَوَ» الَّذِي يُطْلِقُ هُوَ عَلٰى نَفْسِهِ «الْكَسْلانَ» ؛ وَقَدْ سَمِعَ «الْمَقَالاتِ» ، مُنْذُ خَمْسِ سِنِينَ ؛ فَتَكَاسَلَ لِلْكِتَابَةِ جِدّاً ؛ وَلَمْ يَشْرَعْ فِيهَا ؛ قَدْ كَتَبَ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ كِتَاباً ، بِجُودَةٍ وَدِقَّةٍ ؛ فَهِيَ كَرَامَةٌ رَابِعَةٌ لِلْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، بِلا شَكٍّ ، لاسِيَّمَا أَنَّهُ قُدِّرَتْ تَمَاماً ، قِيمَةُ «النَّوَافِذِ الثَّلاثِ وَالثَّلاثِينَ» الَّتِي هِيَ «الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ» ؛ فَكُتِبَتْ بِغَايَةِ الدِّقَّةِ وَالْجُودَةِ. نَعَمْ : إِنَّهَا رِسَالَةٌ أَقْوٰى وَأَشْرَقُ ، لِمَعْرِفَةِ اللهِ ، وَالْإِيمَانِ بِاللهِ ، إِلَّا أَنَّ النَّوَافِذَ الَّتِي فِي الصَّدْرِ ، سُلِكَ فِيهَا بِغَايَةِ الْإِجْمَالِ وَالِاخْتِصَارِ ؛ وَلٰكِنَّهَا تَنْكَشِفُ شَيْئاً فَشَيْئاً ؛ وَتَتَلَمَّعُ أَكْثَرَ ؛ إِذْ إِنَّ أَكْثَرَ «الْمَقَالاتِ» تَبْدَأُ أَوَائِلُهَا مُجْمَلَةً ؛ ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتُنَوَّرُ ؛ كُلَّمَا مَضَتْ ، بِخِلافِ سَائِرِ الْمُؤَلَّفَاتِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ الَّتِي هِيَ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَةُ :

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالٍ فِي حَقِّ حَادِثَةٍ جُزْئِيَّةٍ ، تَكُونُ مَدَارَ الِانْتِبَاهِ لِإِخْوَانِي . .

إِخْوَانِيَ الْأَعِزَّاءَ ! إِنَّكُمْ تَسْأَلُونَ أَنَّهُ اعْتُدِيَ عَلٰى مَسْجِدِكُمُ الشَّرِيفِ ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، بِدُونِ سَبَبٍ ، بِقُدُومِ ضَيْفٍ مُبَارَكٍ ؛ فَمَا هِيَ مَاهِيَّةُ هٰذِهِ الْحَادِثَةِ ؟ وَلِمَاذَا يُخَالِطُونَكَ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أُبَيِّنُ أَرْبَعَ نِقَاطٍ بِاضْطِرَارٍ ، بِلِسَانِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ؛ فَلَعَلَّهَا تَكُونُ مَدَارَ الِانْتِبَاهِ لِإِخْوَانِي ؛ وَإِنَّكُمْ تَأْخُذُونَ مِنْهَا جَوَابَكُمْ . .

﴿ اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى : ﴾ أَنَّ مَاهِيَّةَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ ، دَسِيسَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ ، وَمُهَاجَمَةٌ نِفَاقِيَّةٌ ، لِحِسَابِ الزَّنْدَقَةِ ، وَبِمَحْضِ الْهَوٰى ، وَبِخِلَافِ الْقَانُونِ ، لِإِلْقَاءِ الرُّعْبِ ، عَلٰى قُلُوبِنَا ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ؛ وَلِإِيرَاثِ الْفُتُورِ لِلْجَمَاعَةِ ؛ وَلِحَذَرِ اجْتِمَاعِي بِالضُّيُوفِ . وَمِنَ الْغَرَائِبِ : أَنِّي سِرْتُ إِلٰى جِهَةٍ مَّا ، لِلتَّنَزُّهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، قَبْلَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ؛ فَرَأَيْتُ فِي عَوْدَتِي ، حَيَّةً سَوْدَاءَ طَوِيلَةً ؛ كَأَنَّ حَيَّتَيْنِ أُوثِقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرٰى ؛ فَجَاءَتْ مِنْ جِهَةِ يَسَارِي ؛ فَمَرَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِي ؛ فَسَأَلْتُ صَاحِبِي : هَلْ تَدَهَّشْتَ عَنْ تِلْكَ الْحَيَّةِ ؛ وَخِفْتَ مِنْهَا ؟ وَهَلْ رَأَيْتَهَا ؟ فَقَالَ : أَيَّ شَيْءٍ ؟ فَقُلْتُ : هٰذِهِ الْحَيَّةَ الْفَزِيعَةَ ؛ قَالَ : كَلَّا ؛ مَا رَأَيْتُهَا ؛ وَلَا أَرَاهَا ؛ قُلْتُ : فَسُبْحَانَ اللهِ : كَيْفَ لَمْ تَرَ حَيَّةً جَسِيمَةً بِهٰذَا الْقَدَرِ ؛ وَقَدْ مَرَّتْ مِنْ بَيْنِنَا ؟ . وَلَمْ يَرِدْ بِبَالِي شَيْءٌ حِينَئِذٍ ؛ ثُمَّ سَنَحَ بِقَلْبِي : أَنَّ هٰذِهِ إِشَارَةٌ لَكَ ؛ فَاحْذَرْ ؛ فَتَفَكَّرْتُ أَنَّهَا مِنْ قَبِيلِ حَيَّاتٍ أَرَاهَا فِي اللَّيَالِي ؛ أَعْنِي : أَنَّ الْحَيَّاتِ الَّتِي كُنْتُ أَرَاهَا فِي اللَّيَالِي ، هِيَ : أَنَّهُ مَتٰى جَاءَ إِلَيَّ ، مَأْمُورٌ ، بِنِيَّةِ الْخِيَانَةِ ؛ كُنْتُ أَرَاهُ عَلٰى صُورَةِ الْحَيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنِّي ذَكَرْتُ مَرَّةً لِلْمُدِيرِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ إِذَا تَأْتِي بِنِيَّةٍ سَيِّئَةٍ ؛ أَرَاكَ عَلٰى صُورَةِ الْحَيَّةِ ؛ فَاحْذَرْ ؛ وَكَثِيراً مَا كُنْتُ أَرٰى سَلَفَهُ كَذٰلِكَ . فَإِذاً إِنَّ هٰذِهِ الْحَيَّةَ الَّتِي رَأَيْتُهَا ظَاهِراً ، إِشَارَةٌ إِلٰى أَنَّ خِيَانَتَهُمْ لَا تَبْقٰى هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، فِي النِّيَّةِ فَقَطْ ؛ بَلْ تَتَّخِذُ صُورَةَ اعْتِدَاءٍ فِعْلِيٍّ . فَالِاعْتِدَاءُ فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ ، وَإِنْ كَانَ صَغِيراً فِي الظَّاهِرِ ؛ وَيُرَادُ التَّصْغِيرُ ، إِلَّا أَنَّ ذٰلِكَ الْمُوَظَّفَ أَمَرَ الدَّرَكَ ، بِاشْتِرَاكِ مُعَلِّمٍ لَا وِجْدَانَ لَهُ ، وَبِتَحْرِيضِهِ ؛ فَقَالَ : ائْتُوا بِأُولَائِكَ الضُّيُوفِ ؛ وَهُمْ فِي دَاخِلِ الْمَسْجِدِ ، وَفِي تَسْبِيحَاتِ الصَّلَاةِ ؛ وَكَانَ الْمَقْصُودُ إِغْضَابِي وَمُقَابَلَتِي بِالطَّرْدِ ، بِعَصَبِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، إِزَاءَ هٰذِهِ الْمُعَامَلَةِ النَّفْسِيَّةِ الْمَحْضَةِ ، فَوْقَ الْقَانُونِ ؛ وَلَمْ يَعْلَمْ ذٰلِكَ الشَّقِيُّ : أَنَّ «السَّعِيدَ» لَا يُدَافِعُ بِشِقِّ الْعَصَا الْمَكْسُورَةِ بِيَدِهِ ؛ وَفِي لِسَانِهِ سَيْفٌ أَلْمَاسِيٌّ وَارِدٌ مِنْ مَعْمَلِ الْقُرْآنِ ؛ بَلْ إِنَّهُ يَسْتَعْمِلُ ذٰلِكَ السَّيْفَ هٰكَذَا ؛ وَلٰكِنَّ الدَّرَكَ كَانَ عُقُولُهُمْ فِي رُؤُوسِهِمْ ؛ فَانْتَظِرُوا إِلٰى خِتَامِ

الصَّلاةِ وَالتَّسْبِيحَاتِ ؛ حَيْثُ لا يَتَدَخَّلُ أَيُّ دَوْلَةٍ وَأَيُّ حُكُومَةٍ ، فِي الصَّلاةِ وَفِي الْمَسْجِدِ ، مَا لَمْ تَنْتَهِ الْوَظِيفَةُ الدِّينِيَّةُ ؛ فَغَضِبَ الْمُوَظَّفُ ، مِنْ هٰذَا ؛ وَقَالَ : إِنَّ الدَّرَكَ لا يَسْتَمِعُونَ لِي ؛ فَبَعَثَ وَرَاءَهُمْ بِحَارِسِ الْمَرْعَى ؛ وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالَى ، لا يُجْبِرُنِي عَلَى الاِشْتِغَالِ بِأَمْثَالِ هٰؤُلاءِ الْحَيَّاتِ . وَهٰذِهِ وَصِيَّتِي لِإِخْوَانِي أَيْضاً : أَنْ لا تَشْتَغِلُوا بِهٰؤُلاءِ ، مَا لَمْ تَكُنْ ضَرُورَةٌ قَطْعِيَّةٌ ؛ وَلا تَنْزِلُوا إِلَى دَرَجَتِهِمْ ؛ فَلا تَكَلَّمُوا مَعَهُمْ ، مِنْ قَبِيلِ «أَنَّ جَوَابَ الْأَحْمَقِ ، هُوَ السُّكُوتُ» ؛ وَلٰكِنِ احْذَرُوا مِنْ هٰذَا : وَهُوَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ إِظْهَارَ نَفْسِهِ ضَعِيفَةً ، إِزَاءَ حَيَوَانٍ مُفْتَرِسٍ ، يُشَجِّعُهُ إِلَى الْهُجُومِ ؛ فَإِنَّ إِظْهَارَ الضَّعْفِ ، إِزَاءَ أَصْحَابِ وِجْدَانِ السِّبَاعِ ، بِالتَّصَنُّعِ لَهُمْ ؛ يَسُوقُهُمْ إِلَى الاِعْتِدَاءِ ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَعَلَى الْأَصْدِقَاءِ ، أَنْ يَتَعَامَلُوا مُتَيَقِّظِينَ ؛ حَتَّى لا يَسْتَفِيدَ أَتْبَاعُ الزَّنْدَقَةِ ، عَنْ غَفْلَةِ الْأَصْدِقَاءِ وَتَهَاوُنِهِمْ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ ، لا تُهَدِّدُ بِنَهْيِهَا ، مَنْ يَكُونُ آلَةً لِلظُّلْمِ ، وَمُلْتَزِماً لَهُ فَقَطْ ؛ بَلْ تُهَدِّدُ بِالدَّهْشَةِ وَالشِّدَّةِ ، مَنْ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ أَدْنَى مَيْلٍ أَيْضاً ؛ إِذْ كَمَا أَنَّ الرِّضَا بِالْكُفْرِ كُفْرٌ ؛ فَإِنَّ الرِّضَا بِالظُّلْمِ ظُلْمٌ أَيْضاً ؛ فَقَدْ عَبَّرَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ ، عَنْ جَوْهَرَةٍ مِنْ جَوَاهِرِ هٰذِهِ الْآيَةِ ، هٰكَذَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ ، بِقَوْلِهِ : (إِنَّ مُعِينَ الظَّالِمِ ، مِنْ أَرْبَابِ الدَّنَاءَةِ ، فِي الدُّنْيَا ؛ وَهُوَ كَلْبٌ يَتَذَوَّقُ مِنَ الْخِدْمَةِ لِلصَّيَّادِ الَّذِي لا إِنْصَافَ لَهُ)[1] . نَعَمْ : إِنَّ بَعْضَهُمْ يَعْمَلُ عَمَلَ الْحَيَّاتِ ؛ وَبَعْضَهُمْ يَعْمَلُ عَمَلَ الْكِلابِ ؛ فَإِنَّ مَنْ يَعْمَلُ التَّجَسُّسَ ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ ، لِضَيْفٍ مُبَارَكٍ ؛ وَهُوَ فِي دُعَاءٍ مُبَارَكٍ ؛ فَيُخْبِرُ عَلَيْنَا ؛ وَيَتَعَرَّضُ لَنَا ؛ كَأَنَّنَا فَعَلْنَا الْجِنَايَةَ ؛ فَلا شَكَّ أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ بِالصَّفْعَةِ الَّتِي هِيَ فِي مَآلِ هٰذَا الشِّعْرِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ سُؤَالٌ : يُقَالُ : إِذَا كُنْتَ تَعْتَمِدُ عَلَى هِمَّةِ الْقُرْآنِ ، لِإِصْلاحِ أَشَدِّ

---

(١) نَصُّ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : (مُعِينِ ظَالِمِكْ دُنْيَادَه ، أَرْبَابِ دَنَائَتْدِرْ ۞ كُوپَكْدِرْ ذَوْقْ آلاَنْ صَيَّادِ بِي إِنْصَافِه ، خِدْمَتْدَنْ) . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

الْمُلْحِدِينَ تَمَرُّداً وَتَعَنُّداً ؛ وَلِإِرْشَادِهِمْ بِفَيْضِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَبِنُورِهِ ؛ وَإِنَّكَ تَعْمَلُ ذٰلِكَ فِعْلاً ؛ فَلِمَاذَا لَا تَدْعُو هٰؤُلَاءِ الْمُتَجَاوِزِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي مَقْرَبٍ مِنْكَ ؛ وَلَا تُرْشِدُهُمْ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُهِمَّةِ لِأُصُولِ الشَّرِيعَةِ : «أَنَّ الرَّاضِيَ بِالضَّرَرِ ، لَا يُنْظَرُ لَهُ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَنْ يَرْضَى بِالضَّرَرِ ، عَلٰى عِلْمٍ مِنْهُ ، لَا يُشْفَقُ عَلَيْهِ ؛ وَلَا يُنْظَرُ لِنَفْعِهِ . هٰذَا ، فَإِنِّي وَإِنْ أَدَّعِي بِالاسْتِنَادِ إِلٰى قُوَّةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ : أَنِّي مُسْتَعِدٌّ لِإِلْزَامِ أَشَدِّ مُلْحِدٍ مُتَمَرِّدٍ ، خِلَالَ بِضْعِ سَاعَاتٍ ؛ وَإِنْ لَمْ أُقْنِعْهُ ، بِشَرْطِ أَنْ لَا يَكُونَ دَنِيئاً جِدّاً ؛ وَلَا يَسْتَلِذَّ كَالْحَيَّةِ ، بِبَثِّ سُمِّ الضَّلَالَةِ ، إِلَّا أَنَّ وِجْدَاناً سَقَطَ إِلَى الدَّنَاءَةِ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَوَقَعَ فِي النِّفَاقِ بِحَيْثُ يَبِيعُ دِينَهُ بِدُنْيَاهُ ، عَلٰى حُبٍّ ؛ وَيُبَدِّلُ جَوَاهِرَ الْحَقِيقَةِ ، بِقِطَعِ الزُّجَاجِ الْخَبِيثِ الضَّارِّ ، عَلٰى عِلْمٍ ؛ فَإِنَّ ذِكْرَ الْحَقَائِقِ ، لِأَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ الْحَيَّاتِ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ ، اسْتِخْفَافٌ بِالْحَقَائِقِ ، يَكُونُ «كَتَعْلِيقِ الدُّرَرِ ، فِي أَعْنَاقِ الْبَقَرِ» ، كَمَا فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ ؛ لِأَنَّ فَاعِلِي هٰذِهِ الْأَعْمَالِ ، سَمِعُوا الْحَقِيقَةَ ، عَنْ رِسَالَةِ النُّورِ ، عِدَّةَ مَرَّاتٍ ؛ وَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ تَزْيِيفَ الْحَقَائِقِ ، إِزَاءَ ضَلَالَاتِ الزَّنْدَقَةِ ، عَلٰى عِلْمٍ ؛ فَأَمْثَالُ هٰؤُلَاءِ يَسْتَلِذُّونَ مِنَ السُّمِّ ، كَالْحَيَّاتِ . .

اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ الْمُعَامَلَاتِ الَّتِي عُومِلَتْ بِي ، فِي هٰذِهِ السِّنِينَ السَّبْعِ ، كَانَتْ نَفْسِيَّةً مَحْضَةً ، وَخَارِجَةً عَنِ الْقَانُونِ ؛ لِأَنَّ قَوَانِينَ الْمَنْفِيِّينَ وَالْمَسْجُونِينَ وَالْأَسْرٰى ظَاهِرَةٌ ؛ فَإِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ بِأَقَارِبِهِمْ ؛ وَلَا يُمْنَعُونَ عَنِ الِاخْتِلَاطِ ، حَسَبَ الْقَانُونِ ؛ وَإِنَّ الْعِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ مَصُونَةٌ عَنِ التَّجَاوُزِ ، فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَدَوْلَةٍ ؛ وَإِنَّ أَمْثَالِي أَقَامُوا بِالْمُدُنِ ، مَعَ أَقَارِبِهِمْ وَأَحْبَابِهِمْ ؛ وَلَمْ يُمْنَعُوا لَا عَنِ الْمُخَالَطَةِ ، وَلَا عَنِ الْمُرَاسَلَةِ ، وَلَا عَنِ السِّيَاحَةِ ؛ وَإِنِّي مُنِعْتُ عَنْهَا ؛ حَتّٰى إِنَّهُ اعْتُدِيَ عَلٰى مَسْجِدِي وَعِبَادَتِي ؛ وَاجْتُهِدَ لِإِكْرَاهِي عَلٰى تَرْكِ تَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ؛ وَهُوَ سُنَّةٌ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ ، فِي تَسْبِيحَاتِ الصَّلَاةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ رَجُلاً أُمِّيّاً اسْمُهُ «شَبَابُ» الْفَاضِلُ ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْقُدَمَاءِ فِي مَدِينَةِ (بُورْدُور) ، جَاءَ إِلٰى هُنَا مَعَ أُمِّ زَوْجَتِهِ ، لِتَبْدِيلِ الْهَوَاءِ ؛ فَأَتٰى إِلَيَّ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ مِنْ أَبْنَاءِ وَطَنِي ؛ فَطُولِبَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، بِثَلَاثَةِ

مُسَلَّحِينَ مِنَ الدَّرَكِ ؛ فَاجْتَهَدَ ذٰلِكَ الْمُوَظَّفُ ، لِسَتْرِ الْخَطَإِ الَّذِي عَمِلَهُ خِلافَ الْقَانُونِ ؛ فَقَالَ : «سَامِحُوا وَلَا تَنْزَعِجُوا ؛ فَإِنَّهَا وَظِيفَةٌ» ؛ ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ؛ وَقَالَ : اِذْهَبْ . . فَإِذَا قِيسَ سَائِرُ الْأُمُورِ وَالْمُعَامَلاتِ ، عَلٰى هٰذِهِ الْوَاقِعَةِ ؛ يُفْهَمُ أَنَّهَا مُعَامَلَةٌ حَسَبَ مَحْضِ الْهَوٰى ، أُعَامَلُ بِهَا ؛ فَيُسَلِّطُونَ عَلَيَّ الْحَيَّاتِ وَالْكِلابَ ؛ وَإِنِّي لا أَنزِلُ إِلٰى دَرَجَتِهِمْ ؛ فَأَشْتَغِلَ بِهِمْ ؛ وَأُفَوِّضُ أُولٰئِكَ الْمُضِرِّينَ ، إِلَى اللهِ تَعَالٰى ، لِدَفْعِ شَرِّهِمْ ؛ عَلٰى أَنَّ الَّذِينَ أَحْدَثُوا الْحَادِثَةَ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ التَّهْجِيرِ ، هُمْ فِي بِلَادِهِمُ الْآنَ ؛ وَالرُّؤَسَاءُ الْأَقْوِيَاءُ ، هُمْ عَلٰى رُؤُوسِ الْعَشَائِرِ ؛ وَسُرِّحَ كُلُّ أَحَدٍ ؛ وَإِنِّي لَيْسَ لِي صِلَةٌ بِدُنْيَاهُمْ ، تَعْساً لَهَا ؛ مَعَ أَنَّهُمُ اسْتَثْنَوْنِي وَشَخْصَيْنِ آخَرَيْنِ ؛ فَقُلْتُ لِهٰذَا الْحَالِ أَيْضاً : لا بَأْسَ بِهِ ؛ وَلٰكِنَّ وَاحِداً مِنْهُمَا ، نُصِبَ مُفْتِياً بِبَلْدَةٍ ؛ فَيَسِيحُ كُلَّ جِهَةٍ سِوٰى وَطَنِهِ ؛ وَيَذْهَبُ إِلٰى أَنْقَرَةَ أَيْضاً ؛ وَالْآخَرُ تُرِكَ عَلٰى حَالٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْتَمِعَ بِكُلِّ أَحَدٍ ؛ وَهُوَ فِي إِسْطَنْبُولَ ، بَيْنَ أَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنْ أَبْنَاءِ وَطَنِهِ ؛ مَعَ أَنَّ هٰذَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ لَيْسَا وَحِيدَيْنِ وَمُنْفَرِدَيْنِ مِثْلِي ؛ فَلَهُمَا نُفُوذٌ كَبِيرٌ ، إِلٰى مَا شَاءَ اللهُ ؛ وَكَذَا وَكَذَا . . هٰذَا ، مَعَ أَنَّهُمْ ضَيَّقُوا عَلَيَّ فِي قَرْيَةٍ ؛ وَشَدَّدُوا عَلَيَّ بِأَشَدِّ أُنَاسٍ لا وِجْدَانَ لَهُمْ ؛ وَإِنِّي اسْتَطَعْتُ أَنْ أُسَافِرَ مَرَّتَيْنِ ، فِي سِتِّ سَنَوَاتٍ ، إِلٰى قَرْيَةٍ عَلٰى مَسَافَةِ عِشْرِينَ دَقِيقَةً ؛ كَمَا أَنَّهُمْ يَسْحَقُونَنِي تَحْتَ اسْتِبْدَادٍ مُضَاعَفٍ ، بِحَيْثُ لَمْ يُدْفَعْ لِيَ الرُّخْصَةُ لِلسَّيْرِ إِلٰى تِلْكَ الْقَرْيَةِ ، وَلِتَبْدِيلِ الْهَوَاءِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ؛ مَعَ أَنَّ الْقَانُونَ فِي حَقِّي ، هُوَ عَدَمُ الْقَانُونِ ؛ وَإِنَّ الْمُوَظَّفِينَ هُنَا ، يَسْتَعْمِلُونَ نُفُوذَ الْحُكُومَةِ ، فِي أَغْرَاضٍ شَخْصِيَّةٍ ؛ وَلٰكِنِّي أَشْكُرُ لِأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ ، مِئَاتِ آلافِ شُكْرٍ ؛ وَأَقُولُ فِي صُورَةِ تَحْدِيثِ النِّعْمَةِ : إِنَّ جَمِيعَ تَضْيِيقَاتِهِمْ وَاسْتِبْدَادَاتِهِمْ هٰذِهِ ، تَصِيرُ بِمَثَابَةِ قِطَعِ الْحَطَبِ ، لِنَارِ الْغَيْرَةِ وَالْهِمَّةِ الْمُوقِدَةِ لِلْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ فَتُشْعِلُهَا وَتُضِيئُهَا ؛ وَإِنَّ تِلْكَ الْأَنْوَارَ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي تُلاقِي تِلْكَ التَّضْيِيقَاتِ ؛ وَتَنْبَسِطُ بِحَرَارَةِ الْغَيْرَةِ ؛ صَيَّرَتْ هٰذِهِ الْوِلَايَةَ ، بَلْ أَكْثَرَ الْبِلادِ ، بِمَثَابَةِ مَدْرَسَةٍ ، بَدَلاً عَنْ قَرْيَةِ (بَارْلا) ؛ وَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَنِي مَسْجُوناً فِي قَرْيَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ (بَارْلا) صَارَتْ كُرْسِيَّ الدَّرْسِ ؛ وَأَمَاكِنُ كَثِيرَةٌ مِثْلُ (إِسْپَارْطَة) ، صَارَتْ فِي حُكْمِ الْمَدْرَسَةِ ، رَغْماً لِلزَّنَادِقَةِ . «اَلْحَمْدُ للهِ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي» . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ

مِنَ الْمَكْتُوبِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ ، هِيَ رِسَالَةُ الشُّكْرِ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

إِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ يُبَيِّنُ بِالتَّكْرَارِ ، بِآيَاتٍ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ . . أَفَلَا يَشْكُرُونَ . . وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ . . لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . بَلِ اللّٰهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ : أَنَّ الْأَمْرَ الْأَهَمَّ الَّذِي يَطْلُبُهُ الْخَالِقُ الرَّحْمٰنُ ، مِنْ عِبَادِهِ ، هُوَ الشُّكْرُ ؛ وَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الشُّكْرِ ، بِغَايَةِ الِاهْتِمَامِ ، فِي الْفُرْقَانِ الْحَكِيمِ ؛ وَيُبَيِّنُ تَرْكَ الشُّكْرِ ، عَلٰى صُورَةِ تَكْذِيبِ النِّعَمِ وَإِنْكَارِهَا ؛ وَيُهَدِّدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بِصُورَةٍ شَدِيدَةٍ وَرَهِيبَةٍ ، إِحْدٰى وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ، بِهٰذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ «الرَّحْمٰنِ» ؛ وَيُظْهِرُ أَنَّ تَرْكَ الشُّكْرِ ، تَكْذِيبٌ وَإِنْكَارٌ . .

نَعَمْ : كَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، يُظْهِرُ الشُّكْرَ ، نَتِيجَةَ الْخِلْقَةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَبِيرَ الَّذِي هُوَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الشُّكْرَ ، أَهَمُّ نَتَائِجِ خِلْقَةِ الْعَالَمِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أُمْعِنَ النَّظَرُ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ يُرٰى أَنَّ هَيْئَاتِ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ عَلٰى صُورَةٍ تُنْتِجُ الشُّكْرَ ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ ، يَنْظُرُ بِدَرَجَةٍ مَّا ، إِلَى الشُّكْرِ ؛ وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ ؛ كَأَنَّ أَهَمَّ ثَمَرَاتِ شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ ، هُوَ الشُّكْرُ ؛ وَأَعْلٰى مَحْصُولَاتٍ يُنْتِجُهَا مَصْنَعُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، هُوَ الشُّكْرُ ؛ لِأَنَّنَا نَرٰى فِي خِلْقَةِ الْعَالَمِ : أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ نُظِّمَتْ عَلٰى شَكْلِ دَائِرَةٍ خُلِقَتِ الْحَيَاةُ ، نُقْطَةً مَرْكَزِيَّةً فِيهَا ؛ فَتَنْظُرُ جَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ ، إِلَى الْحَيَاةِ ؛ وَتَخْدُمُهَا ؛ وَتُوصِلُ لَوَازِمَ الْحَيَاةِ إِلَيْهَا . فَإِذاً إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْكَائِنَاتِ ، يَنْتَخِبُ مِنْهَا الْحَيَاةَ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ أَوْجَدَ عَوَالِمَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، عَلٰى صُورَةِ دَائِرَةٍ يَتْرُكُ

الْإِنْسَانَ ، فِي النُّقْطَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ ؛ كَأَنَّ الْغَايَاتِ الْمَقْصُودَةَ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، تَتَمَرْكَزُ فِيهِ ؛ فَيَجْمَعُ جَمِيعَ ذَوِي الْحَيَاةِ حَوْلَهُ ؛ وَيَجْعَلُهَا خَادِمَةً وَمُسَخَّرَةً لَهُ ؛ وَيَجْعَلُهُ حَاكِماً عَلَيْهَا . فَإِذاً إِنَّ الْخَالِقَ ذَا الْجَلَالِ ، يَنْتَخِبُ الْإِنْسَانَ ، بَيْنَ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَيُرِيدُهُ وَيَخْتَارُهُ فِي الْعَالَمِ ؛ ثُمَّ نَرَى أَنَّ عَالَمَ الْإِنْسَانِيَّةِ ، بَلْ عَالَمَ الْحَيَوَانِ أَيْضاً ، يُنَظَّمُ بِمَثَابَةِ دَائِرَةٍ ؛ وَوُضِعَ الرِّزْقُ فِي النُّقْطَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ ؛ وَجَعَلَ نَوْعَ الْإِنْسَانِ كُلَّهُ ، حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ ؛ كَأَنَّهَا تَعْشَقُ الرِّزْقَ ؛ فَجَعَلَهَا جَمِيعاً ، خَادِمَةً وَمُسَخَّرَةً لِلرِّزْقِ ؛ وَالَّذِي يَحْكُمُ عَلَيْهَا هُوَ الرِّزْقُ ؛ وَجَعَلَ الرِّزْقَ أَيْضاً ، خَزِينَةً وَاسِعَةً غَنِيَّةً ، بِحَيْثُ صَارَتْ جَامِعَةً لِنِعَمٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ حَتّٰى إِنَّهُ وُضِعَ فِي اللِّسَانِ ، مُوَيْزِينَاتٌ دَقِيقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، عَدَدَ الْمَطْعُومَاتِ ، بِجِهَازٍ يُسَمّٰى بِـ «الْقُوَّةِ الذَّائِقَةِ» ، لِمَعْرِفَةِ طُعُومِ نَوْعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، مِنْ أَنْوَاعِ الرِّزْقِ الْكَثِيرَةِ . فَإِذاً إِنَّ أَعْجَبَ حَقِيقَةٍ وَأَغْرَبَهَا ، وَأَغْنَاهَا وَأَحْلَاهَا ، وَأَجْمَعَهَا وَأَبْدَعَهَا ، بَيْنَ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ فِي الرِّزْقِ . . **وَالْآنَ نَرٰى ، كَمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ اجْتَمَعَ حَوْلَ الرِّزْقِ ؛ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الرِّزْقَ أَيْضاً بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ ، قَائِمٌ بِالشُّكْرِ ، مَادَّةً وَمَعْنًى ، حَالاً وَقَالاً ؛ وَيَحْصُلُ بِالشُّكْرِ ؛ وَيُنْتِجُ الشُّكْرَ ؛ وَيُظْهِرُ الشُّكْرَ ؛ لِأَنَّ الِاشْتِهَاءَ وَالِاشْتِيَاقَ إِلَى الرِّزْقِ ، نَوْعٌ مِنَ الشُّكْرِ الْفِطْرِيِّ ؛ وَالتَّلَذُّذُ وَالذَّوْقُ أَيْضاً ، شُكْرٌ غَيْرُ شُعُورِيٍّ ؛ بِحَيْثُ يُوجَدُ هٰذَا الشُّكْرُ ، فِي جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ ؛ وَلٰكِنَّ الْإِنْسَانَ يُبَدِّلُ مَاهِيَّةَ ذٰلِكَ الشُّكْرِ الْفِطْرِيِّ ، بِالْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ ؛ فَيَذْهَبُ مِنَ الشُّكْرِ إِلَى الشِّرْكِ . .**

وَكَذَا أَنَّ الصُّوَرَ الْمُزَيَّنَةَ الْجَمِيلَةَ ، وَالرَّوَائِحَ الطَّيِّبَةَ ، وَالطُّعُومَ اللَّذِيذَةَ لِلْغَايَةِ ، فِي النِّعَمِ الَّتِي هِيَ الرِّزْقُ ، هِيَ دَوَاعِي الشُّكْرِ ؛ تَدْعُو ذَوِي الْحَيَاةِ إِلَى الشَّوْقِ ؛ وَتَسُوقُهُمْ إِلٰى نَوْعٍ مِنَ الِاسْتِحْسَانِ وَالِاحْتِرَامِ ؛ فَتُجْبِرُهُمْ عَلٰى فِعْلِ شُكْرٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ وَتَجْلِبُ أَنْظَارَ ذَوِي الشُّعُورِ إِلَى التَّدَبُّرِ ؛ وَتُرَغِّبُهُمْ فِي الِاسْتِحْسَانِ ؛ وَتُشَوِّقُهُمْ إِلٰى الِاحْتِرَامِ لِلنِّعَمِ ؛ وَتُرْشِدُهُمْ بِذٰلِكَ ، إِلَى الشُّكْرِ ، قَوْلاً وَفِعْلاً ؛ وَتَحْمِلُهُمْ عَلٰى فِعْلِ الشُّكْرِ ؛ وَتُذِيقُهُمْ فِي الشُّكْرِ ، أَعْلٰى لَذَّةٍ ، وَأَحْلٰى ذَوْقٍ ؛ يَعْنِي : تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ هٰذَا الرِّزْقَ وَالنِّعْمَةَ اللَّذِيذَةَ ، تَكْتَسِبُ بِالشُّكْرِ ، الْتِفَاتاً رَحْمَانِيّاً مُتَضَمِّناً لِلَذَّةٍ دَائِمَةٍ ، وَذَوْقٍ حَقِيقِيٍّ بِلَا حَدٍّ ، مَعَ لَذَّتِهَا الظَّاهِرِيَّةِ الْقَصِيرَةِ

الْمُؤَقَّتَةِ ؛ يَعْنِي : تُفَكِّرُ فِي الْتِفَاتِ مَالِكِ خَزَائِنِ الرَّحْمَةِ ، الْمَالِكِ الْكَرِيمِ ، الْتِفَاتاً لَذِيذاً بِلَا حَدٍّ ؛ فَتُذِيقُ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَيْضاً ، ذَوْقاً بَاقِياً ، مِنْ أَذْوَاقِ الْجَنَّةِ ، إِذَاقَةً مَعْنَوِيَّةً . .

هٰذَا ، فَالرِّزْقُ ، مَعَ كَوْنِهِ خَزِينَةً جَامِعَةً ، غَنِيَّةً وَقَيِّمَةً كَذٰلِكَ ، بِوَاسِطَةِ الشُّكْرِ ، يَسْقُطُ عَنِ الْقِيمَةِ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، بِتَرْكِ الشُّكْرِ ؛ فَإِنَّ «الْقُوَّةَ الذَّائِقَةَ» فِي اللِّسَانِ ، حِينَمَا تَتَوَجَّهُ إِلَى الرِّزْقِ ، بِحِسَابِ اللهِ تَعَالٰى ؛ يَعْنِي : تَتَوَجَّهُ بِالْوَظِيفَةِ الشُّكْرَانِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، تَكُونُ بِمَثَابَةِ نَاظِرٍ حَامِدٍ ، وَمُفَتِّشٍ شَاكِرٍ عَالِي الْقَدْرِ ، لِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ مَطَابِخِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَإِنْ كَانَ بِحِسَابِ النَّفْسِ ؛ بِأَنْ تَوَجَّهَتْ إِلَى الرِّزْقِ ، بِدُونِ تَصَوُّرِ شُكْرِ مُنْعِمِهِ ؛ تَسْقُطُ تِلْكَ الْقُوَّةُ الذَّائِقَةُ ، مِنْ مَقَامِ النَّاظِرِ الْعَالِي الْقَدْرِ ، إِلَى دَرَجَةِ حَاجِبِ مَصْنَعِ الْبَطْنِ ، وَبَوَّابِ إِصْطَبْلِ الْمَعِدَةِ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي «الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ» ؛ فَكَمَا أَنَّ خَادِمَ الرِّزْقِ هٰذَا ، يَسْقُطُ إِلَى هٰذِهِ الدَّرَجَةِ ، بِتَرْكِ الشُّكْرِ ؛ كَذٰلِكَ تَسْقُطُ مَاهِيَّةُ الرِّزْقِ ، وَسَائِرُ خُدَّامِهِ أَيْضاً ؛ وَتَنْزِلُ مِنَ الْمَقَامِ الْأَعْلٰى ، إِلَى الْمَقَامِ الْأَدْنٰى ؛ وَتَنْحَطُّ إِلَى كَيْفِيَّةٍ مُخَالِفَةٍ وَمُضَادَّةٍ لِحِكْمَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ . . وَمِقْيَاسُ الشُّكْرِ : هُوَ الْقَنَاعَةُ وَالِاقْتِصَادُ ، وَالرِّضَا وَالِامْتِنَانُ . وَمِيزَانُ عَدَمِ الشُّكْرِ : هُوَ الْحِرْصُ وَالْإِسْرَافُ ، وَتَرْكُ الِاحْتِرَامِ ، وَأَكْلُ مَا يُصَادِفُهُ ، بِدُونِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . .

نَعَمْ : كَمَا أَنَّ الْحِرْصَ ، تَرْكُ الشُّكْرِ ؛ فَهُوَ سَبَبُ الْخَيْبَةِ ، وَوَاسِطَةُ الذِّلَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ النَّمْلَ الْمُبَارَكَ الْمَالِكَ لِلْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ كَأَنَّهُ بَقِيَ تَحْتَ الْأَقْدَامِ يُسْحَقُ ، بِوَاسِطَةِ الْحِرْصِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْنَعُ ؛ فَلَوْ أَمْكَنَهُ ؛ لَجَمَعَ آلَافَ حَبَّةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَكْفِيهِ فِي السَّنَةِ ، عِدَّةُ حَبَّاتٍ مِنَ الْقَمْحِ ؛ وَكَأَنَّ النَّحْلَ الْمُبَارَكَ ، يَطِيرُ فَوْقَ الرُّؤُوسِ ، مِنْ أَجْلِ قَنَاعَتِهِ ؛ وَيُحْسِنُ إِلَى الْإِنْسَانِ ، بِالْعَسَلِ ؛ وَيُطْعِمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ يَقْنَعُ . .

نَعَمْ : إِنَّ اسْمَ «الرَّحْمٰنِ» ذٰلِكَ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ لِلّٰهِ ، بَعْدَ لَفْظَةِ (اللهِ) الْعَلَمِ الذَّاتِيِّ ، وَالِاسْمِ الْأَعْظَمِ لِلذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، يَنْظُرُ إِلَى الرِّزْقِ ؛ وَيُوصَلُ إِلَيْهِ ، بِمَا فِي الرِّزْقِ مِنَ الشُّكْرِ . .

وَكَذَا أَنَّ الْمَعْنَى الْأَظْهَرَ لِلرَّحْمٰنِ ، هُوَ الرَّزَّاقُ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ لِلشُّكْرِ أَنْوَاعاً ؛ وَأَجْمَعُ تِلْكَ

الْأَنْوَاعِ وَمُلَخَّصُهَا الْعُمُومِيُّ ، هُوَ الصَّلاَةُ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ فِي الشُّكْرِ ، إِيمَاناً صَافِياً ، وَتَوْحِيداً خَالِصاً ؛ لِأَنَّ مَنْ يَأْكُلُ تُفَّاحَةً ؛ وَيَقُولُ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ» ؛ يُعْلِنُ بِذٰلِكَ الشُّكْرِ : أَنَّ تِلْكَ التُّفَّاحَةَ ، تُحْفَةُ يَدِ الْقُدْرَةِ ، وَهَدِيَّةُ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ مُبَاشَرَةً ؛ فَيُسَلِّمُ بِقَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ ذٰلِكَ ، كُلَّ شَيْءٍ ، جُزْئِيّاً كَانَ أَوْ كُلِّيّاً ، إِلٰى يَدِ قُدْرَتِهِ تَعَالٰى ؛ وَيَعْرِفُ جِلْوَةَ الرَّحْمَةِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيُبَيِّنُ بِالشُّكْرِ إِيمَاناً حَقِيقِيّاً ، وَتَوْحِيداً خَالِصاً . .

وَنُبَيِّنُ مَدٰى وُقُوعِ الْإِنْسَانِ الْغَافِلِ ، فِي الْخَسَارَةِ ، بِكُفْرَانِ النِّعْمَةِ ؛ فَنَذْكُرُ وَجْهاً فَقَطْ ، مِنْ وُجُوهِهِ الْكَثِيرَةِ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكَلَ نِعْمَةً لَذِيذَةً ؛ فَإِنْ شَكَرَ عَلَيْهَا ؛ تَصِيرُ تِلْكَ النِّعْمَةُ الَّتِي أَكَلَهَا ، نُوراً وَثَمَرَةً أُخْرَوِيَّةً لِلْجَنَّةِ ، بِوَاسِطَةِ ذٰلِكَ الشُّكْرِ ؛ وَتُورِثُ ذَوْقاً دَائِماً ، وَلَذَّةً عَظِيمَةً ، بِتَفَكُّرِ كَوْنِهَا أَثَرَ الْتِفَاتِ رَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ وَذٰلِكَ بِمَا أَوْرَثَتْهُ مِنَ اللَّذَّةِ ؛ فَيَبْعَثُ بِأَمْثَالِ هٰذِهِ اللُّبَابِ وَالْخُلاَصَاتِ وَالْمَوَادِّ الْمَعْنَوِيَّةِ ، إِلَى الْمَقَامَاتِ الْعُلْوِيَّةِ . وَمَوَادُّهَا الْمَادِّيَّةُ الثُّفْلِيَّةُ وَالْقِشْرِيَّةُ ؛ يَعْنِي بِهَا : الَّتِي قَضَتْ وَظِيفَتَهَا ؛ وَبَقِيَتْ بِلاَ لُزُومٍ ؛ تَصِيرُ فَضَلاَتٍ ؛ وَتَعُودُ إِلٰى أَصْلِهَا ؛ يَعْنِي : تَنْقَلِبُ إِلَى الْعَنَاصِرِ . وَإِنْ لَمْ يَشْكُرْ عَلَيْهَا ؛ تَتْرُكُ تِلْكَ اللَّذَّةُ الْمُؤَقَّتَةُ ، أَلَماً وَأَسَفاً ، بِزَوَالِهَا ؛ وَهِيَ نَفْسُهَا تَصِيرُ قَاذُورَاتٍ ؛ فَتَنْقَلِبُ إِلَى الْفَحْمِ ، النِّعْمَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي مَاهِيَّةِ الْأَلْمَاسِ . وَإِنَّ الْأَرْزَاقَ الزَّائِلَةَ ، تُثْمِرُ بِالشُّكْرِ ثَمَرَاتٍ بَاقِيَةً ، وَلَذَائِذَ دَائِمَةً . وَالنِّعْمَةُ بِدُونِ الشُّكْرِ ، تَرْجِعُ مِنْ أَحْسَنِ صُورَةٍ ، إِلٰى صُورَةٍ قَبِيحَةٍ ؛ لِأَنَّ عَاقِبَةَ الرِّزْقِ حَسَبَ ذٰلِكَ الْغَافِلِ ، هِيَ الْفَضَلاَتُ ، بَعْدَ لَذَّةٍ مُوَقَّتَةٍ . .

نَعَمْ : إِنَّ لِلرِّزْقِ ، صُورَةً لاَئِقَةً بِالْعِشْقِ ، تُرٰى تِلْكَ الصُّورَةُ بِالشُّكْرِ . وَإِلَّا فَإِنَّ عِشْقَ أَهْلِ الْغَفْلَةِ وَالضَّلاَلَةِ لِلرِّزْقِ ، بَهِيمِيَّةٌ ؛ وَهٰكَذَا ؛ فَقِسْ عَلٰى هٰذَا ، مَدٰى مَا يَخْسَرُ أَهْلُ الضَّلاَلَةِ وَالْغَفْلَةِ . .

وَإِنَّ الْمُحْتَاجَ إِلٰى أَكْثَرِ أَنْوَاعِ الرِّزْقِ ، بَيْنَ أَنْوَاعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، هُوَ الْإِنْسَانُ ؛ وَقَدْ خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالَى ، الْإِنْسَانَ ، عَلٰى صُورَةِ مِرْآةٍ جَامِعَةٍ لِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ ، وَمُعْجِزَةٍ لِلْقُدْرَةِ ، مَالِكَةٍ لِجِهَازَاتٍ تَعْرِفُ وَتَزِنُ جَمِيعَ مُدَّخَرَاتِ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ، وَخَلِيفَةٍ لِلْأَرْضِ حَاوٍ لِآلاَتٍ تَزِنُ

دَقَائِقَ أَوْضَاعِ جَلَوَاتِ جَمِيعِ أَسْمَائِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَعْطَاهُ احْتِيَاجاً بِلَا حَدٍّ ؛ وَجَعَلَهُ مُحْتَاجاً إِلٰى مَا لَا حَدَّ لَهُ ، مِنْ أَنْوَاعِ الرِّزْقِ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ . وَإِنَّ وَاسِطَةَ إِصْعَادِ الْإِنْسَانِ ، حَسَبَ هٰذِهِ الْجَامِعِيَّةِ ، إِلٰى أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ الَّذِي هُوَ أَعْلٰى مَقَامٍ ، هِيَ الشُّكْرُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشُّكْرُ ؛ يَسْقُطُ إِلٰى أَسْفَلِ سَافِلِينَ ؛ وَيَرْتَكِبُ ظُلْماً عَظِيماً . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْأَسَاسَ الْأَعْظَمَ ، مِنَ الْأُسُسِ الْأَرْبَعَةِ ، لِطَرِيقِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحْبُوبِيَّةِ ، الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ الْأَعْلٰى وَالْأَسْمٰى ، هُوَ الشُّكْرُ ؛ فَعُبِّرَ عَنْ تِلْكَ الْأُسُسِ الْأَرْبَعَةِ ، هٰكَذَا : (أَيُّهَا الْعَزِيزُ !(١) يَلْزَمُ فِي الطَّرِيقِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْعَجْزِ ، أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ : الْعَجْزُ الْمُطْلَقُ ، وَالْفَقْرُ الْمُطْلَقُ ، وَالشَّوْقُ الْمُطْلَقُ ، وَالشُّكْرُ الْمُطْلَقُ) . .

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ۞ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الشَّاكِرِينَ وَالْحَامِدِينَ وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، آمِينَ ۞ وَآخِرُ دَعْوٰيهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ . .

اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ الَّتِي هِيَ الرِّسَالَةُ السَّادِسَةُ :

فِي بَيَانِ مَسْلَكِ الْفِرْقَةِ الْوَهَّابِيَّةِ . .

وَسَتُنْشَرُ فِي مَجْمُوعَةِ «الْكَرَامَاتِ الْغَيْبِيَّةِ» ؛

إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

(١) اَلنَّصُّ الْأَصْلِيُّ بِالْفَارِسِيِّ : (دَرْ طَرِيقِ عَجْزَمَنْدِي ، لَازِمْ آمَدْ چَارْ چِيزْ ۞ عَجْزِ مُطْلَقْ ، فَقْرِ مُطْلَقْ ، شَوْقِ مُطْلَقْ ، شُكْرِ مُطْلَقْ ، أَيْ عَزِيزْ !) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ الَّتِي هِيَ الرِّسَالَةُ السَّابِعَةُ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ . .

هٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ سَبْعُ إِشَارَاتٍ . . وَنُبَيِّنُ أَوَّلاً ، سَبْعَةَ أَسْبَابٍ تُظْهِرُ عِدَّةَ أَسْرَارِ الْعِنَايَةِ ، عَلٰى صُورَةِ تَحْدِيثِ النِّعْمَةِ . .

﴿اَلسَّبَبُ الْأَوَّلُ :﴾ أَنِّي رَأَيْتُ فِي وَاقِعَةٍ صَادِقَةٍ ، مِنْ قَبْلِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، وَفِي أَوَائِلِهَا : أَرٰى أَنِّي تَحْتَ جَبَلِ «أَرَارَاتَ» الْمَشْهُورِ ؛ فَإِذَا بِذٰلِكَ الْجَبَلِ ، انْفَجَرَ بِدَهْشَةٍ ؛ وَفَرَّقَ قِطَعاً مِثْلَ الْجِبَالِ ، إِلٰى كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الدُّنْيَا ؛ فَنَظَرْتُ بَيْنَ تِلْكَ الدَّهْشَةِ ، أَنَّ وَالِدَتِي الْمَرْحُومَةَ عِنْدِي ؛ فَقُلْتُ : يَا أُمَّهْ ! لَا تَخَافِي ؛ فَإِنَّهُ أَمْرُ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَهُوَ رَحِيمٌ وَحَكِيمٌ ؛ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، إِذَا بِـ «رَجُلٍ مُعْتَبَرٍ» يَقُولُ آمِراً لِي : «بَيِّنْ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ» ؛ فَانْتَبَهْتُ ؛ وَفَهِمْتُ أَنَّهُ سَيَقَعُ انْفِجَارٌ عَظِيمٌ ؛ وَسَيَكْسِرُ مَا حَوْلَ الْقُرْآنِ ، مِنَ الْأَسْوَارِ ، بَعْدَ ذٰلِكَ الِانْقِلَابِ وَالِانْفِجَارِ ؛ فَيُدَافِعُ الْقُرْآنُ نَفْسُهُ ، عَنْ نَفْسِهِ مُبَاشَرَةً ؛ وَيُتَهَاجَمُ عَلَى الْقُرْآنِ ؛ وَيَكُونُ إِعْجَازُهُ ، دِرْعَ فُولَاذٍ لَهُ ؛ وَيَكُونُ رَجَلٌ مِثْلِي ، مُرَشَّحاً لِإِظْهَارِ نَوْعٍ مِنْ هٰذَا الْإِعْجَازِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، فَوْقَ حَدِّي ؛ وَعَلِمْتُ أَنِّي مُرَشَّحٌ . فَإِذَا كَانَ إِعْجَازُ الْقُرْآنِ ؛ قَدْ حَصَلَ بَيَانُهُ بِدَرَجَةٍ مَّا ، بِـ «الْمَقَالَاتِ» ؛ فَإِنَّ إِظْهَارَ مَا فِي خِدْمَتِنَا ، مِنَ الْعِنَايَاتِ الَّتِي تَكُونُ بِحِسَابِ ذٰلِكَ الْإِعْجَازِ ، وَمِنْ قَبِيلِ رَشَحَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ ، إِعَانَةٌ لِلْإِعْجَازِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِظْهَارِ . .

﴿اَلسَّبَبُ الثَّانِي :﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، لَمَّا كَانَ مُرْشِدَنَا وَأُسْتَاذَنَا وَإِمَامَنَا ؛ وَكَانَ فِي كُلِّ الْآدَابِ دَلِيلَنَا ؛ وَهُوَ يَمْدَحُ نَفْسَهُ ؛ فَنَحْنُ نَمْدَحُ تَفْسِيرَهُ أَيْضاً ، اتِّبَاعاً لِدَرْسِهِ ؛ وَأَيْضاً لَمَّا كَانَتِ «الْمَقَالَاتُ» الْمُؤَلَّفَةُ ، نَوْعاً مِنْ تَفْسِيرِهِ ؛ وَكَانَتْ تِلْكَ الرَّسَائِلُ ، حَقَائِقَ الْقُرْآنِ ،

وَأَمْوَالَ حَقَائِقِهِ ؛ وَكَانَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، يُعْلِنُ هُوَ نَفْسَهُ ، بِكَمَالِ الْحِشْمَةِ ؛ وَيَذْكُرُ كَمَالَاتِهِ ؛ وَيَمْدَحُ نَفْسَهُ ، بِمَا يَلِيقُ بِهِ ، فِي أَكْثَرِ السُّوَرِ ، لَاسِيَّمَا فِي السُّوَرِ الْمَبْدُوءَةِ بِـ(الٓر ، وَحٰمٓ) ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّنَا مُكَلَّفُونَ بِإِظْهَارِ الْعِنَايَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي هِيَ عَلَامَةٌ لِقَبُولِ تِلْكَ الْخِدْمَةِ ، وَمِنْ لَمَعَاتِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، الَّتِي انْعَكَسَتْ فِي «الْمَقَالَاتِ» ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ أُسْتَاذَنَا ذٰلِكَ ، يَفْعَلُ وَيُدَرِّسُ كَذٰلِكَ . .

﴿اَلسَّبَبُ الثَّالِثُ :﴾ أَنِّي لَا أَقُولُ فِي حَقِّ «الْمَقَالَاتِ» بِصُورَةِ التَّوَاضُعِ ؛ بَلْ أَقُولُ لِبَيَانِ حَقِيقَةٍ مَّا : «إِنَّ مَا فِي «الْمَقَالَاتِ» ، مِنَ الْحَقَائِقِ وَالْكَمَالَاتِ ، لَيْسَتْ لِي ؛ بَلْ هِيَ لِلْقُرْآنِ ؛ وَتَرَشَّحَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ حَتّٰى إِنَّ «الْمَقَالَةَ الْعَاشِرَةَ» بَعْضُ قَطَرَاتٍ تَرَشَّحَتْ مِنْ مِئَاتِ آيَاتِ الْقُرْآنِ . وَسَائِرُ الرَّسَائِلِ أَيْضاً ، كَذٰلِكَ عَلَى الْعُمُومِ . فَإِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ كَذٰلِكَ ؛ وَكُنْتُ فَانِياً ؛ وَسَأَرْتَحِلُ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا يُعَلَّقَ بِي مَا سَيَبْقٰى مِنْ أَمْرٍ وَأَثَرٍ ؛ وَلَا حَقَّ أَنْ يُعَلَّقَ بِي ؛ وَإِذَا كَانَ مِنْ دَيْدَنِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالطُّغْيَانِ ، أَنْ يُزَيِّفُوا أَثَراً لَا يُوَافِقُ وَشَأْنَهُمْ ، بِتَزْيِيفِ صَاحِبِ الْأَثَرِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا تُعَلَّقَ الرَّسَائِلُ الْمَعْقُودَةُ بِنُجُومِ سَمَاءِ الْقُرْآنِ ، بِعَمُودٍ رَمِيمٍ مِثْلِي يُمْكِنُ أَنْ يَسْقُطَ ؛ وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَدَاراً لِاعْتِرَاضَاتٍ وَانْتِقَادَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَأَيْضاً إِذَا كَانَتِ الْمَزَايَا الْمَوْجُودَةُ فِي أَثَرٍ ، تُطْلَبُ فِي عُرْفِ النَّاسِ ، فِي أَطْوَارِ مُؤَلِّفِهِ الَّذِي يَظُنُّونَهُ مَصْدَرَ ذٰلِكَ الْأَثَرِ وَمَنْبَعَهُ ؛ وَكَانَ تَمْلِيكُ تِلْكَ الْحَقَائِقِ الْعَالِيَةِ ، وَالْجَوَاهِرِ الْغَالِيَةِ ، لِمُفْلِسٍ مِثْلِي ، وَلِشَخْصِيَّتِي الَّتِي لَا تُظْهِرُ فِي نَفْسِهَا ، وَاحِدَةً مِنَ الْأَلْفِ مِنْهَا ، ظُلْماً عَظِيماً لِلْحَقِيقَةِ ، عَلٰى هٰذَا الْعُرْفِ ؛ فَلِذٰلِكَ أُضْطَرُّ أَنْ أُظْهِرَ أَنَّ الرَّسَائِلَ لَيْسَتْ مَالِي ؛ بَلْ هِيَ مَالُ الْقُرْآنِ ؛ وَصَارَتْ مَظْهَراً لِرَشَحَاتِ مَزَايَا الْقُرْآنِ . نَعَمْ : إِنَّ خَوَاصَّ عَنَاقِيدِ الْعِنَبِ اللَّذِيذِ ، لَا تُطْلَبُ فِي غُصْنِهِ الْيَابِسِ . هٰذَا ؛ وَإِنِّي أَيْضاً ، بِمَثَابَةِ غُصْنٍ يَابِسٍ كَذٰلِكَ» . .

﴿اَلسَّبَبُ الرَّابِعُ :﴾ أَنَّ التَّوَاضُعَ قَدْ يَسْتَلْزِمُ كُفْرَانَ النِّعْمَةِ ؛ بَلْ يَصِيرُ كُفْرَانَ النِّعْمَةِ ؛ وَأَنَّ تَحْدِيثَ النِّعْمَةِ قَدْ يَكُونُ فَخْراً ؛ وَكِلَاهُمَا ضَرَرٌ ؛ فَالْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ لِهٰذَا ؛ حَتّٰى لَا

يَحْدُثَ مِنْهُ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ ؛ وَلَا يَصِيرَ فَخْراً ، هِيَ : أَنْ يَعْتَرِفَ بِالْمَزَايَا وَالْكَمَالاتِ ؛ وَلٰكِنْ بِدُونِ التَّمَلُّكِ ؛ فَيُظْهِرَ أَنَّهَا أَثَرُ إِنْعَامِ الْمُنْعِمِ الْحَقِيقِيِّ . فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ أَحَداً ، أَلْبَسَكَ ثَوْباً فَاخِراً ، مُرَصَّعاً وَمُزَيَّناً ؛ وَتَجَمَّلْتَ بِهِ كَثِيراً ؛ فَقَالَ لَكَ النَّاسُ : إِنَّكَ جَمِيلٌ جِدّاً ؛ وَقَدْ تَجَمَّلْتَ كَثِيراً ؛ مَا شَاءَ اللهُ ؛ فَإِنْ قُلْتَ مُتَوَاضِعاً : حَاشَ لِلّٰهِ ، مَنْ أَنَا ؛ وَأَيْنَ الْجَمَالُ ؛ وَمَا هٰذَا ؟ يَكُونُ كُفْرَانَ نِعْمَةٍ حِينَئِذٍ ؛ وَيَصِيرُ سُوءَ أَدَبٍ ، أَمَامَ الصَّانِعِ الْمَاهِرِ الَّذِي أَلْبَسَكَ الْحُلَّةَ ؛ وَإِنْ قُلْتَ مُفْتَخِراً : نَعَمْ إِنِّي جَمِيلٌ جِدّاً ؛ وَأَيْنَ يُوجَدُ جَمِيلٌ مِثْلِي ؟ أَرُونِي أَحَداً مِثْلِي ؛ فَذٰلِكَ يَكُونُ فَخْراً عَلَى وَجْهِ الْغُرُورِ حِينَئِذٍ ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ لِلنَّجَاةِ عَنِ الْكُفْرَانِ وَالْفَخْرِ : نَعَمْ تَجَمَّلْتُ ؛ وَلٰكِنَّ الْجَمَالَ لِلِّبَاسِ ؛ وَلِمَنْ أَلْبَسَنِيَ اللِّبَاسَ ، بِالتَّبَعِ ؛ وَلَيْسَ لِي ؛ فَكَذٰلِكَ أَقُولُ أَيْضاً ، مُنَادِياً لِكُرَةِ الْأَرْضِ ؛ إِنْ بَلَغَهَا صَوْتِي : إِنَّ «الْمَقَالاتِ» جَمِيلَةٌ ؛ وَإِنَّهَا حَقَائِقُ ؛ وَلٰكِنَّهَا لَيْسَتْ لِي ؛ وَإِنَّمَا هِيَ شُعَاعَاتٌ تَلَمَّعَتْ مِنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ ؛ وَأَقُولُ بِدُسْتُورِ قَوْلِهِ : (مَا إِنْ مَدَحْتُ مُحَمَّداً بِمَقَالَتِي ۞ لٰكِنْ مَدَحْتُ مَقَالَتِي بِمُحَمَّدٍ) أَقُولُ : (وَمَا مَدَحْتُ الْقُرْآنَ بِكَلِمَاتِي ؛ وَلٰكِنْ مَدَحْتُ كَلِمَاتِي بِالْقُرْآنِ) ؛ أَعْنِي : أَنِّي لَمْ أُجَمِّلْ حَقَائِقَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ؛ وَلَمْ أُبَيِّنْهَا جَمِيلَةً ؛ بَلْ حَقَائِقُ الْقُرْآنِ الْجَمِيلَةُ ، أَحْسَنَتْ تَعْبِيرَاتِي ؛ وَأَعْلَتْهَا أَيْضاً . فَإِذَا كَانَ هٰكَذَا ؛ فَإِظْهَارُ مَحَاسِنِ مَرَايَا الْقُرْآنِ ، الْمُسَمَّاةِ بِـ «الْمَقَالاتِ» ، وَإِظْهَارُ الْعِنَايَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى ذٰلِكَ الِانْعِكَاسِ ، بِاسْمِ جَمَالِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، تَحْدِيثُ نِعْمَةٍ مَقْبُولٌ . .

﴿ اَلسَّبَبُ الْخَامِسُ : ﴾ أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ، قَبْلَ زَمَنٍ كَثِيرٍ : أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ عَنِ الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةِ ، لِلْأَوْلِيَاءِ الْقَدِيمَةِ ؛ وَحَصَلَتْ قَنَاعَتُهُ : «أَنَّهُ سَيَظْهَرُ نُورٌ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ؛ فَيُفَرِّقُ ظُلُمَاتِ الْبِدَعِ» . وَقَدِ انْتَظَرْتُ كَثِيراً ، ظُهُورَ نُورٍ هٰكَذَا ؛ وَأَنْتَظِرُ ؛ وَلٰكِنَّ الْأَزْهَارَ تَأْتِي فِي الرَّبِيعِ ؛ فَيَلْزَمُ التَّمْهِيدُ لِأَمْثَالِ تِلْكَ الْأَزْهَارِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّا نُمَهِّدُ السَّبِيلَ بِخِدْمَتِنَا هٰذِهِ ، لِأُولَائِكَ الْكِرَامِ النُّورَانِيِّينَ . فَإِذَا لَمْ تَكُنْ عَائِدَةً إِلَى أَنْفُسِنَا ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ فِي بَيَانِ الْعِنَايَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْأَنْوَارِ الْمُسَمَّاةِ

بِـ «الْمَقَالاتِ» ، مَا يَكُونُ مَدَارَ الْفَخْرِ وَالْغُرُورِ ؛ بَلْ يَكُونُ تَحْدِيثَ النِّعْمَةِ ، وَمَدَارَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ . .

﴿اَلسَّبَبُ السَّادِسُ :﴾ أَنَّ الْعِنَايَاتِ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتِي هِيَ وَاسِطَةُ تَرْغِيبٍ ، وَمُكَافَأَةٌ عَاجِلَةٌ ، لِخِدْمَتِنَا لِلْقُرْآنِ ، بِسَبَبِ تَأْلِيفِ «الْمَقَالاتِ» ، هِيَ تَوْفِيقٌ . وَالتَّوْفِيقُ يُعْلَنُ ؛ وَإِنْ مَضَتْ عَنِ التَّوْفِيقِ ؛ فَإِنَّمَا تَكُونُ إِكْرَاماً إِلٰهِيّاً . وَإِظْهَارُ الْإِكْرَامِ الْإِلٰهِيِّ ، شُكْرٌ مَعْنَوِيٌّ ؛ وَإِنْ مَضَتْ عَنْهُ أَيْضاً ؛ فَإِنَّمَا تَكُونُ كَرَامَةً قُرْآنِيَّةً صِرْنَا مَظْهَراً لَهَا ، بِدُونِ تَدَخُّلِ اخْتِيَارِنَا أَصْلاً . وَإِظْهَارُ كَرَامَةٍ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ ، وَرَدَتْ بِدُونِ اخْتِيَارٍ وَلَا خَبَرٍ ، يَكُونُ بِلا ضَرَرٍ ؛ وَإِنِ ارْتَقَتْ فَوْقَ الْكَرَامَاتِ الْعَادِيَّةِ ؛ فَحِينَئِذٍ إِنَّمَا تَكُونُ شُعَلَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْمَعْنَوِيِّ . فَإِذَا كَانَ الْإِعْجَازُ يُعْلَنُ ؛ فَلا شَكَّ أَنَّ إِظْهَارَ مَا يُعِينُ الْإِعْجَازَ ، يَكُونُ بِحِسَابِ الْإِعْجَازِ ؛ فَلا يَكُونُ مَدَارَ الْفَخْرِ وَالْغُرُورِ ؛ بَلْ هُوَ مَدَارُ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ . .

﴿اَلسَّبَبُ السَّابِعُ :﴾ أَنَّ ثَمَانِينَ فِي الْمِئَةِ ، مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ؛ حَتّٰى يَنْفُذُوا إِلَى الْحَقِيقَةِ ؛ وَيَعْرِفُوا الْحَقِيقَةَ ؛ فَيَقْبَلُوهَا الْحَقِيقَةَ ؛ بَلْ إِنَّهُمْ يَقْبَلُونَ بِالتَّقْلِيدِ ، مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْمَسَائِلِ ، عَنْ أَشْخَاصٍ مَقْبُولَةٍ وَمُعْتَمَدٍ عَلَيْهَا ، بِنَاءً عَلَى الظَّاهِرِ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ ؛ حَتّٰى إِنَّ حَقِيقَةً قَوِيَّةً ، يَرَوْنَهَا ضَعِيفَةً بِيَدِ شَخْصٍ ضَعِيفٍ ؛ وَإِنَّ مَسْأَلَةً بِلا قِيمَةٍ ، إِذَا رَأَوْهَا بِيَدِ رَجُلٍ قَيِّمٍ ؛ يَتَلَقَّوْنَهَا قَيِّمَةً . فَبِنَاءً عَلَى ذٰلِكَ أُعْلِنُ بِاضْطِرَارٍ ؛ كَيْلا أُنَزِّلَ فِي نَظَرِ أَكْثَرِ النَّاسِ ، قِيمَةَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِيَدِ ضَعِيفٍ بَائِسٍ مِثْلِي ، لَا قِيمَةَ لَهُ : أُعْلِنُ أَنَّ أَحَداً ، يَسْتَخْدِمُنَا بِدُونِ اخْتِيَارٍ وَخَبَرٍ مِنَّا ؛ وَيَسْتَعْمِلُنَا فِي أُمُورٍ مُهِمَّةٍ ، بِغَيْرِ عِلْمٍ لَنَا . وَدَلِيلُنَا هُوَ : أَنَّنَا نَصِيرُ مَظْهَراً لِبَعْضِ عِنَايَاتٍ وَتَسْهِيلاتٍ خَارِجَةٍ عَنْ شُعُورِنَا وَاخْتِيَارِنَا . فَإِذاً إِنَّنَا مُضْطَرُّونَ إِلَى إِعْلانِ تِلْكَ الْعِنَايَاتِ ، صَائِحِينَ . .

هٰذَا ، فَبِنَاءً عَلَى الْأَسْبَابِ السَّبْعَةِ السَّابِقَةِ ، نُشِيرُ إِلَى عِدَّةِ عِنَايَاتٍ رَبَّانِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى :﴾ هِيَ التَّوَافُقَاتُ ؛ وَقَدْ بُيِّنَتْ فِي النُّكْتَةِ الْأُولٰى ، مِنَ الْمَسْأَلَةِ الثَّامِنَةِ ، مِنَ الْمَكْتُوبِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ سِتِّينَ صَحِيفَةً ، مِنَ الْإِشَارَةِ الثَّالِثَةِ ، إِلَى الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ ، فِي مَكْتُوبِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، مَا عَدَا صَحِيفَتَيْنِ ، يَنْظُرُ مَا يَزِيدُ عَلَى مِئَتَيْ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (ﷺ) بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، بِكَمَالِ الْمُوَازَنَةِ ، فِي جَمِيعِ الصَّفَحَاتِ الْبَاقِيَةِ ، فِي نُسْخَةِ مُسْتَنْسِخٍ بِلَا خَبَرٍ ، وَبِدُونِ عِلْمٍ مِنْهُ . فَمَنْ نَظَرَ إِلَى صَحِيفَتَيْنِ ، بِالْإِمْعَانِ وَالْإِنْصَافِ ؛ يُصَدِّقُ أَنَّهُ لَيْسَ تَصَادُفاً ؛ مَعَ أَنَّهُ لَوْ حَصَلَ التَّصَادُفُ ؛ يَكُونُ تَوَافُقاً نَاقِصاً ؛ إِذَا وُجِدَتْ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَلِمَاتٌ مُتَمَاثِلَةٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ تَتَوَافَقَ تَمَاماً ، فِي صَحِيفَةٍ أَوْ صَحِيفَتَيْنِ فَقَطْ . فَإِذَا نَظَرَتْ كَلِمَاتُ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (ﷺ) بَعْضُهَا إِلَى وَجْهِ بَعْضٍ ، بِكَمَالِ الْمِيزَانِ ، هٰكَذَا ، فِي جَمِيعِ الصَّفَحَاتِ ، سَوَاءٌ أَكَانَتِ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً أَوْ أَزْيَدَ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَصَادُفاً ، فِي ذٰلِكَ الْحَالِ . .

وَأَيْضاً أَنَّ تَوَافُقاً لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يُغَيِّرَهُ ثَمَانِيَةُ مُسْتَنْسِخِينَ مُخْتَلِفِينَ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِيهِ إِشَارَةً غَيْبِيَّةً قَوِيَّةً ؛ فَكَمَا أَنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، بَلَغَتْ إِلَى دَرَجَةِ الْإِعْجَازِ ؛ فَلَا حَدَّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبْلُغَهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ التَّوَافُقَاتِ فِي «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ» الَّذِي هُوَ مِرْآةٌ لِلْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَفِي «الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ» الَّتِي هِيَ تُرْجُمَانٌ لِلْمُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَفِي أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي هِيَ نَوْعٌ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، تُظْهِرُ دَرَجَةً مِنَ الْغَرَابَةِ ، فَوْقَ جَمِيعِ الْكُتُبِ ؛ وَيُفْهَمُ مِنْ ذٰلِكَ : أَنَّهَا نَوْعٌ مِنْ كَرَامَةِ الْمُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحْمَدِيَّةِ ، تَجَلَّى وَتَمَثَّلَ فِي تِلْكَ الْمَرَايَا . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ الْعِنَايَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الثَّانِيَةَ الْعَائِدَةَ إِلَى الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، هِيَ : أَنَّهُ تَعَالَى أَحْسَنَ إِلَيَّ ، بِإِخْوَانٍ أَقْوِيَاءَ ، ذَوِي جِدٍّ وَإِخْلَاصٍ ، وَحَمَاسَةٍ وَفِدَاءٍ ؛ أَقْلَامُهُمْ سُيُوفٌ أَلْمَاسِيَّةٌ ؛ وَجَعَلَهُمْ مُعَاوِنِينَ لِوَحِيدٍ مِثْلِي ، نِصْفِ أُمِّيٍّ بِلَا قَلَمٍ ، فِي دِيَارِ الْغُرْبَةِ ، وَفِي حَالٍ مَمْنُوعٍ عَنْ الْاِخْتِلَاطِ ؛ وَحَمَلَ عَلَى تِلْكَ الْكَوَاهِلِ الْقَوِيَّةِ ، مَا كَانَتْ تَثْقُلُ كَثِيراً ، عَلَى كَاهِلِيَ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ ، مِنَ الْوَظِيفَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَخَفَّفَ حِمْلِي ، مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ الْمُبَارَكَةَ ، هُمْ فِي حُكْمِ آلَاتِ الْبَرْقِ وَاللَّاسِلْكِيِّ ، بِتَعْبِيرِ «خُلُوصِيٍّ» ، وَبِمَثَابَةِ أَجْهِزَةٍ تُنْتِجُ

كَهْرَبَاءَ مَصْنَعِ النُّورِ ، بِتَعْبِيرِ «صَبْرِيَّ» ، مَعَ مَزَايَاهُمُ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَخَوَاصِّهِمُ الْقَيِّمَةِ ؛ بِحَيْثُ يُشْبِهُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، فِي الشَّوْقِ وَالْحَمِيَّةِ ، وَالسَّعْيِ وَالْجِدِّ ، مِنْ قَبِيلِ التَّوَافُقَاتِ الْغَيْبِيَّةِ ، بِتَعْبِيرِ «صَبْرِيَّ» أَيْضاً ؛ فَنَشْرُهُمْ لِلْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَالْأَنْوَارِ الْإِيمَانِيَّةِ ، إِلَى الْأَقْطَارِ ، وَإِيصَالُهُمْ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، وَخِدْمَتُهُمْ هٰذِهِ ، بِكَمَالِ الشَّوْقِ وَالْجِدِّ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، يَعْنِي : فِي زَمَانٍ تَبَدَّلَتِ الْحُرُوفُ ؛ وَلَا تُوجَدُ الْمَطْبَعَةُ ؛ وَيَحْتَاجُ كُلُّ أَحَدٍ ، إِلَى الْأَنْوَارِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَتُوجَدُ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ ، تُورِثُ الْفُتُورَ ؛ وَتَكْسِرُ الشَّوْقَ ، هِيَ كَرَامَةٌ قُرْآنِيَّةٌ مُبَاشَرَةً ، وَعِنَايَةٌ إِلٰهِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ . **نَعَمْ** : كَمَا أَنَّ لِلْوَلَايَةِ كَرَامَةً ؛ فَإِنَّ لِلنِّيَّةِ الْخَالِصَةِ ، كَرَامَةً أَيْضاً ؛ وَلِلْخُلُوصِ أَيْضاً كَرَامَةً ، لَاسِيَّمَا أَنَّ التَّسَانُدَ الْجَادَّ الْخَالِصَ ، بَيْنَ إِخْوَانٍ فِي دَائِرَةِ أُخُوَّةٍ خَالِصَةٍ لِلّٰهِ ، يَحْصُلُ لَهُ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ حَتّٰى إِنَّ الشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ ، لِمِثْلِ هٰذِهِ الْجَمَاعَةِ ، يَكُونُ فِي حُكْمِ وَلِيٍّ كَامِلٍ ؛ فَيَصِيرُ مَظْهَراً لِلْعِنَايَاتِ . .

فَيَا إِخْوَانِي وَأَصْحَابِي فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ! كَمَا أَنَّ إِعْطَاءَ جَمِيعِ الشَّرَفِ وَالْغَنِيمَةِ ، لِرَقِيبِ فَوْجٍ فَتَحَ حِصْناً ، ظُلْمٌ وَخَطَأٌ ؛ كَذٰلِكَ لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُعْطُوا بَائِساً مِثْلِي ، مَا فِي الْفُتُوحَاتِ الْحَاصِلَةِ بِأَقْلَامِكُمْ ، وَبِقُوَّةِ شَخْصِكُمُ الْمَعْنَوِيِّ ، مِنَ الْعِنَايَاتِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ تُوجَدُ فِي جَمَاعَةٍ مُبَارَكَةٍ مِثْلِ هٰذِهِ ، إِشَارَةٌ غَيْبِيَّةٌ قَوِيَّةٌ ، فَضْلاً عَنْ تَوَافُقَاتٍ غَيْبِيَّةٍ ؛ وَإِنِّي أَرَاهَا ؛ وَلٰكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرِيَهَا الْجَمِيعَ وَكُلَّ أَحَدٍ . .

﴿ الْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ إِثْبَاتَ أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، لِجَمِيعِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ الْمُهِمَّةِ ، حَتّٰى إِزَاءَ أَشَدِّ مُعَانِدٍ أَيْضاً ، بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ ، هِيَ عِنَايَةٌ إِلٰهِيَّةٌ ، وَإِشَارَةٌ غَيْبِيَّةٌ قَوِيَّةٌ جِدّاً ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ ، مَا اعْتَرَفَ بِعَجْزِهِ فِي فَهْمِهَا ، «ابْنُ سِينَا» الَّذِي يُعْتَبَرُ أَعْظَمَ دَاهِيَةٍ ؛ وَقَالَ : «إِنَّ الْعَقْلَ لَا يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى هٰذِهِ» . وَإِنَّ رِسَالَةَ «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» تُعَلِّمُ الْعَوَامَّ وَالصِّبْيَانَ أَيْضاً ، تِلْكَ الْحَقَائِقَ الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، بِدَهَائِهِ . .

وَأَيْضاً أَنَّ عَلَّامَةً عَظِيماً مِثْلَ «سَعْدِ التَّفْتَازَانِيِّ» حَاوَلَ لِحَلِّ سِرِّ الْقَدَرِ ، وَجُزْءِ

الاخْتِيَارِ مَثَلاً ؛ فَمَا حَلَّهُ إلّا فِي أَرْبَعِينَ صَحِيفَةً أَوْ خَمْسِينَ ، فِي كِتَابِهِ الْمُسَمّى بِـ«التَّلْوِيحِ» الْمُسَمّى بِالْمُقَدِّمَاتِ الاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ الْمَشْهُورَة ؛ وَلَمْ يُعَلِّمْهُ إلّا لِلْخَوَاصِّ . وَقَدْ بَيَّنَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» ، نَفْسَ تِلْكَ الْمَسَائِلِ بِتَمَامِهَا ، وَبِوَجْهٍ تُعَلِّمُهَا لِكُلِّ أَحَدٍ ، فِي «الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ» الْبَاحِثَةِ عَنِ الْقَدَرِ ، فِي صَحِيفَتَيْنِ مِنَ الْمَبْحَثِ الثَّانِي . وَبَيَانُهُ هٰذَا ، إنْ لَمْ يَكُنْ عِنَايَةً ؛ فَمَا هُوَ ؟ .

وَكَذَا أَنَّ ذٰلِكَ الطِّلْسِمَ الْمُشْكِلَ الْحَلِّ ، وَذٰلِكَ الْمُعَمَّى الْمُوجِبَ لِلْحَيْرَةِ ، الْمُسَمّى بِطِلْسِمِ الْكَائِنَاتِ ، وَسِرِّ خِلْقَةِ الْعَالَمِ ، الَّذِي تَرَكَ الْعُقُولَ فِي الْحَيْرَةِ ؛ وَلَمْ يُكْتَشَفْ بِيَدِ أَيَّةِ فَلْسَفَةٍ أَصْلاً ؛ وَكُشِفَ بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ ؛ قَدِ اكْتُشِفَ فِي «الْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ» ، وَفِي «النُّكْتَةِ ذَاتِ الرَّمْزِ» فِي آخِرِ الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَفِي «الْحِكَمِ السِّتِّ» لِتَحَوُّلَاتِ الذَّرَّاتِ ، مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّلَاثِينَ ؛ وَإنَّهَا اكْتَشَفَتْ وَبَيَّنَتْ طِلْسِمَ الْفَعَّالِيَّةِ الْمُحَيِّرَةِ فِي الْكَائِنَاتِ ، وَمُعَمّى خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ وَعَاقِبَتِهَا ، وَسِرَّ حِكْمَةِ الْحَرَكَاتِ ، فِي تَحَوُّلَاتِ الذَّرَّاتِ ؛ وَهِيَ مُتَدَاوَلَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يُنْظَرَ إلَيْهَا . .

وَكَذَا أَنَّ الْمَقَالَةَ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ ، وَالْمَقَالَةَ الثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثِينَ ، قَدْ بَيَّنَتَا بِكَمَالِ الْوُضُوحِ ، سِرَّ الْأَحَدِيَّةِ ، مَعَ وَحْدَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بِدُونِ الشَّرِيكِ ، وَحَقَائِقَ الْقُرْبِ الإلٰهِيِّ بِلا نِهَايَةٍ ، مَعَ بُعْدِنَا بِدُونِ نِهَايَةٍ ، تِلْكَ الْحَقَائِقَ الْمُوجِبَةَ لِلْحَيْرَةِ ؛ كَمَا أَنَّ الْمَكْتُوبَ الْعِشْرِينَ الَّذِي بَيَّنَ بِكَمَالِ الْوُضُوحِ : أَنَّ الذَّرَّاتِ وَالسَّيَّارَاتِ ، مُتَسَاوِيَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْقُدْرَةِ الإلٰهِيَّةِ ؛ وَأَنَّ إحْيَاءَ جَمِيعِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، فِي الْحَشْرِ الْأَعْظَمِ ، هَيِّنٌ عَلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ ، بِقَدَرِ إحْيَاءِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَأَنَّ تَدَخُّلَ الشِّرْكِ ، فِي خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، بَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ ، فِي دَرَجَةِ الامْتِنَاعِ ، قَدْ كَشَفَ فِي بَيَانِ كَلِمَةِ (وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ، هُوَ وَذَيْلُهَا الْحَاوِي لِثَلَاثَةِ تَمْثِيلَاتٍ ، هٰذَا السِّرَّ الْعَظِيمَ لِلْوَحْدَةِ . .

وَكَذَا أَنَّ فِي الْحَقَائِقِ الإيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ ، اتِّسَاعاً بِحَيْثُ لَا يُحِيطُ بِهَا أَعْظَمُ ذَكَاءٍ بَشَرِيٍّ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ ظُهُورَ الْأَكْثَرِ الْمُطْلَقِ ، مِنْ تِلْكَ الْحَقَائِقِ بِدَقَائِقِهَا ، فِي رَجُلٍ

مُنْقَبِضٍ مِثْلِي ، مُشَوَّشِ الذِّهْنِ ، وَمُشَتَّتِ الْحَالِ ، يُؤَلِّفُ بِسُرْعَةٍ ؛ وَلَمْ يَكُنْ مَا يُرَاجِعُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ ؛ إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةٌ غَيْبِيَّةٌ قَوِيَّةٌ ، وَجِلْوَةٌ لِلْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَأَثَرُ الْإِعْجَازِ الْمَعْنَوِيِّ لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ مُبَاشَرَةً . .

﴿ اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ قَدْ أُحْسِنَ إِلَيْنَا بِخَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ رِسَالَةً ، بِحَيْثُ لَا تُؤَلَّفُ بِسَعْيِ إِنْسَانٍ مِثْلِي ، يَتَفَكَّرُ قَلِيلاً ؛ وَيَتْبَعُ الظُّهُورَاتِ ؛ وَلَا يَجِدُ الْوَقْتَ لِلتَّدْقِيقِ ؛ بَلْ وَلَا بِسَعْيِ هَيْئَةٍ مِنْ أَهْلِ التَّدْقِيقِ ، مُرَكَّبَةٍ مِنْ ذَوِي ذَكَاءَاتٍ كَبِيرَةٍ ، وَبِعِنَايَتِهَا . فَتَأْلِيفُهَا عَلَى ذٰلِكَ الْوَجْهِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا أَثَرُ لِعِنَايَةِ اللهِ مُبَاشَرَةً ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْحَقَائِقِ الْغَامِضَةِ ، تُدَرَّسُ فِي جَمِيعِ هٰذِهِ الرَّسَائِلِ ، بِوَاسِطَةِ التَّمْثِيلَاتِ ، إِلَى أَدْنَى الْعَوَامِّ وَالْأُمِّيِّينَ ؛ مَعَ أَنَّ كِبَارَ الْعُلَمَاءِ ، يَقُولُونَ : إِنَّ أَكْثَرَ تِلْكَ الْحَقَائِقِ لَا تُفْهَمُ ؛ فَلَا يُعَلِّمُونَهَا لِلْعَوَامِّ ، بَلْ وَلَا لِلْخَوَاصِّ أَيْضاً . فَهٰذَا التَّسْهِيلُ وَالْبَيَانُ السَّهْلُ الْخَارِقُ ، بِحَيْثُ يُدَرِّسُ أَبْعَدَ الْحَقَائِقِ ، بِأَقْرَبِ وَجْهٍ ، بِيَدِ شَخْصٍ مِثْلِي ، مَعْرِفَتُهُ بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ قَلِيلَةٌ ؛ وَأَقْوَالُهُ مُغْلَقَةٌ ؛ لَا يُفْهَمُ أَكْثَرُهَا ؛ وَقَدِ اشْتَهَرَ مُنْذُ الْقَدِيمِ ، بِأَنَّهُ يُعَقِّدُ الْحَقَائِقَ الظَّاهِرَةَ أَيْضاً ؛ وَصَدَّقَتْ تَآلِيفُهُ الْقَدِيمَةُ ذٰلِكَ الِاشْتِهَارَ السَّيِّئَ ؛ لَا شَكَّ أَنَّهُ أَثَرٌ لِلْعِنَايَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَلَا يَكُونُ أَثَرَهُ بِلَا شَكٍّ ؛ وَأَنَّهُ جِلْوَةٌ مِنَ الْإِعْجَازِ الْمَعْنَوِيِّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَتَمَثُّلٌ وَانْعِكَاسٌ لِلتَّمْثِيلَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ . .

﴿ اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ الرَّسَائِلَ كَافَّةً ، قَدِ انْتَشَرَتْ جِدّاً ؛ وَأَنَّ الطَّوَائِفَ وَطَبَقَاتِ النَّاسِ ، مِنْ أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ ، إِلَى أَدْنَى الْعَوَامِّ ، وَمِنْ أَعْظَمِ وَلِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْقَلْبِ ، إِلَى أَشَدِّ فَيْلَسُوفٍ مُعَانِدٍ وَمُلْحِدٍ ؛ قَدْ رَأَوْا تِلْكَ الرَّسَائِلَ ؛ وَقَرَؤُوهَا ؛ وَذَاقَ بَعْضُهُمْ صَفَعَاتِهَا ؛ مَعَ أَنَّهَا لَمْ يُنْتَقَدْ عَلَيْهَا ؛ وَاسْتَفَادَ مِنْهَا كُلُّ طَائِفَةٍ ، حَسَبَ دَرَجَاتِهَا ؛ فَتِلْكَ كَرَامَةٌ قُرْآنِيَّةٌ ، وَأَثَرُ عِنَايَةٍ رَبَّانِيَّةٍ مُبَاشَرَةً ؛ كَمَا أَنَّ تَأْلِيفَ تِلْكَ الرَّسَائِلِ الَّتِي لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِنَتِيجَةِ تَحَرِّيَاتٍ وَتَدْقِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ ، تَأْلِيفاً بِسُرْعَةٍ فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَفِي أَوْقَاتِ الِانْقِبَاضِ الْمُضَايِقِ الْمُشَوِّشِ لِإِدْرَاكِي وَفِكْرِي ، إِكْرَامٌ رَبَّانِيٌّ ، وَأَثَرُ عِنَايَةٍ أَيْضاً . .

نَعَمْ : إِنَّ أَكْثَرَ إِخْوَانِي ، وَجَمِيعَ أَصْحَابِي وَالْمُسْتَنْسِخِينَ الَّذِينَ عِنْدِي ، يَعْلَمُونَ أَنَّ

الْأَجْزَاءَ الْخَمْسَةَ مِنَ «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ» قَدْ أُلِّفَتْ خِلالَ عِدَّةِ أَيَّامٍ ، فِي سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلاثِ سَاعَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَمَجْمُوعُهَا فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً ، بِدُونِ الْمُرَاجَعَةِ إِلَى أَيِّ كِتَابٍ ؛ حَتّى إِنَّ «الْجُزْءَ الرَّابِعَ» الَّذِي هُوَ أَهَمُّ جُزْءٍ ؛ وَأَظْهَرَ خَاتَماً ظَاهِراً ، لِلنُّبُوَّةِ فِي كَلِمَةِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (ﷺ) قَدْ كُتِبَ عَنْ ظَهْرِ الْغَيْبِ ، أَرْبَعَ سَاعَاتٍ ، بِالْجَبَلِ وَتَحْتَ الْمَطَرِ ؛ وَإِنَّ رِسَالَةً دَقِيقَةً وَمُهِمَّةً ، مِثْلَ «الْمَقَالَةِ الثَّلاثِينَ» ، قَدْ أُلِّفَتْ سِتَّ سَاعَاتٍ ، فِي حَدِيقَةٍ ؛ كَمَا أَنَّ «الْمَقَالَةَ الثَّامِنَةَ وَالْعِشْرِينَ» ، أُلِّفَتْ فِي سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ تَقْرِيباً ، فِي حَدِيقَةِ «سُلَيْمَانَ» ؛ وَهٰكَذَا كَانَ أَكْثَرُ الرَّسَائِلِ ؛ وَيَعْلَمُ أَصْدِقَائِي أَنِّي كُنْتُ مُنْذُ الْقَدِيمِ ، لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبَيِّنَ أَظْهَرَ الْحَقَائِقِ أَيْضاً ؛ بَلْ كُنْتُ لا أَعْلَمُهَا ؛ إِذْ كُنْتُ مُنْقَبِضاً وَمُتَضَايِقاً ، لاسِيَّمَا إِذَا زَادَ الْمَرَضُ أَيْضاً ، عَلٰى ذٰلِكَ الانْقِبَاضِ ؛ يَمْنَعُنِي عَنِ الدَّرْسِ وَالتَّأْلِيفِ أَكْثَرَ ؛ مَعَ أَنَّ أَهَمَّ الْمَقَالاتِ وَالرَّسَائِلِ ، أُلِّفَتْ بِأَسْرَعِ وَجْهٍ ، فِي أَشَدِّ زَمَنِي ضِيقاً وَمَرَضاً ؛ فَإِذا لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ ، إِكْرَاماً رَبَّانِيّاً ، وَعِنَايَةً إِلٰهِيَّةً ، وَكَرَامَةً قُرْآنِيَّةً ، مُبَاشَرَةً ؛ فَمَا هُوَ ؟ .

وَكَذَا أَنَّ أَيَّ كِتَابٍ كَانَ ، إِذَا بَحَثَ عَنْ مِثْلِ هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ ، يَضُرُّ بَعْضُ مَسَائِلِهِ ، بِبَعْضِ النَّاسِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تُنْشَرْ كُلُّ مَسْأَلَةٍ ، لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ وَالْحَالُ أَنَّ هٰذِهِ الرَّسَائِلَ ، لَمْ تُورِثْ قَطُّ ضَرَراً ، كَسُوءِ التَّأْثِيرِ ، وَعَكْسِ الْعَمَلِ ، وَتَخْدِيشِ الْأَذْهَانِ ، فِي أَيِّ أَحَدٍ ، إِلَى الْآنِ ؛ وَقَدْ سَأَلْتُ الْكَثِيرِينَ ، عَنْ ذٰلِكَ ؛ وَذٰلِكَ مُتَحَقِّقٌ عِنْدَنَا : أَنَّهُ إِشَارَةٌ غَيْبِيَّةٌ ، وَعِنَايَةٌ رَبَّانِيَّةٌ مُبَاشَرَةً . .

﴿ الْإِشَارَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ أَنَّهُ تَحَقَّقَ الْآنَ عِنْدِي : أَنَّ أَكْثَرَ حَيَاتِي ، مَضَتْ عَلٰى وَجْهٍ خَارِجٍ عَنِ اخْتِيَارِي وَاقْتِدَارِي ، وَعَنْ شُعُورِي وَتَدْبِيرِي ؛ وَأُعْطِيَتْ تَيَّاراً بِشَكْلٍ غَرِيبٍ ؛ حَتّى تُنْتِجَ هٰذَا النَّوْعَ ، مِنَ الرَّسَائِلِ الَّتِي تَخْدُمُ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ؛ وَكَأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِيَ الْعِلْمِيَّةِ ، صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْمُقَدِّمَاتِ الْإِحْضَارِيَّةِ ؛ وَكَانَتْ بِصُورَةٍ يَكُونُ إِظْهَارُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِـ«الْمَقَالاتِ» ، نَتِيجَةً لَهَا ؛ حَتّى إِنَّ تَجَرُّدِي بِدُونِ سَبَبٍ ، وَبِخِلافِ مُرَادِي ، وَإِمْرَارِي لِلْحَيَاةِ ، فِي قَرْيَةٍ فَقَطْ ، مُخَالِفاً لِمَشْرَبِي ، وَتَرْكِي لِلْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ ، مُتَنَفِّراً عَنْ كَثِيرٍ مِنْ

رَوَابِطِهَا وَقَوَاعِدِهَا ، الَّتِي آنَسْتُهَا مُنْذُ الْقَدِيمِ ، فِي هٰذِهِ السِّنِينَ السَّبْعِ ، مِنْ نَفْيِي وَغُرْبَتِي ، لَمْ تَبْقَ شُبْهَتِي : أَنَّ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةَ أُعْطِيَتْ لِتَأْدِيَةِ هٰذِهِ الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مُبَاشَرَةً ، بِصُورَةٍ خَالِصَةٍ صَافِيَةٍ ؛ حَتّٰى إِنَّ أَنْوَاعَ التَّضْيِيقِ وَالتَّشْدِيدِ ، الَّتِي عُومِلَتْ بِي ظُلْماً ، مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ أَعْتَقِدُ أَنَّهَا فُعِلَتْ مِنْ جَانِبِ يَدِ عِنَايَةٍ ، عَلٰى وَجْهِ الرَّحْمَةِ ، لِحَصْرِ الْفِكْرِ عَلَى الْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَلِعَدَمِ تَشْتِيتِ النَّظَرِ ؛ حَتّٰى إِنِّي كُنْتُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُشْتَاقاً كَثِيراً إِلَى الْمُطَالَعَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ أُعْطِيَ رُوحِي ، مَنْعاً وَمُجَانَبَةً عَنْ مُطَالَعَةِ سَائِرِ الْكُتُبِ كُلِّيّاً ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَجْبَرَنِي عَلٰى تَرْكِ الْمُطَالَعَةِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ التَّسَلِّي وَالْأُنْسِ ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْغُرْبَةِ ؛ كَانَ ذٰلِكَ لِتَكُونَ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ ، أُسْتَاذاً مُطْلَقاً مُبَاشَرَةً . .

وَكَذَا أَنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ الْمُطْلَقَةَ مِنَ الْآثَارِ وَالرَّسَائِلِ الْمُؤَلَّفَةِ ، قَدْ أُحْسِنَ بِهَا آنِيّاً وَدَفْعِيّاً ، بِنَاءً عَلٰى حَاجَةٍ تَوَلَّدَتْ عَنْ رُوحِي ، بِدُونِ أَيِّ سَبَبٍ نَاشِئٍ عَنِ الْخَارِجِ ؛ ثُمَّ لَمَّا عَرَضْتُهَا عَلٰى بَعْضِ أَصْدِقَائِي ؛ قَالُوا : إِنَّهَا أَدْوِيَةٌ لِأَمْرَاضِ هٰذَا الزَّمَانِ ؛ وَبَعْدَمَا انْتَشَرَتْ عَلِمْتُ مِنْ أَكْثَرِ إِخْوَانِي : أَنَّهَا تَصِيرُ بِمَثَابَةِ عِلَاجٍ لَائِقٍ بِالدَّاءِ ، وَمُوَافِقٍ لِلِاحْتِيَاجِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ . .

هٰذَا ؛ فَالْحَالَاتُ الْمَذْكُورَةُ الْخَارِجَةُ عَنْ دَائِرَةِ شُعُورِي ، وَالْأَحْوَالُ الْجَارِيَةُ عَلٰى حَيَاتِي ، وَتَتَبُّعَاتِي فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ ، عَلٰى خِلَافِ الْعَادَةِ ، بِدُونِ اخْتِيَارِي ، لَمْ تَتْرُكِ الشُّبْهَةَ عِنْدِي : أَنَّهَا إِكْرَامٌ رَبَّانِيٌّ ، وَعِنَايَةٌ إِلٰهِيَّةٌ ؛ لِتَكُونَ مُنْجَرَّةً إِلٰى نَتِيجَةٍ قُدُسِيَّةٍ مِثْلِ هٰذِهِ . .

﴿ اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ قَدْ شَاهَدْنَا بِأَبْصَارِنَا ، مِئَةَ أَثَرٍ مِنْ آثَارِ الْإِكْرَامِ الْإِلٰهِيِّ ، وَالْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَالْكَرَامَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، بِدُونِ مُبَالَغَةٍ ، خِلَالَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ أَوْ سِتٍّ ، فِي عَهْدِ خِدْمَتِنَا هٰذِهِ ؛ وَقَدْ أَشَرْنَا إِلٰى بَعْضِهَا ، فِي «**الْمَكْتُوبِ السَّادِسَ عَشَرَ**» ؛ وَبَيَّنَّا بَعْضَهَا ، فِي الْمَسَائِلِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، فِي الْمَبْحَثِ الرَّابِعِ ، مِنَ «**الْمَكْتُوبِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ**» ؛ وَبَعْضاً مِنْهَا فِي الْمَسْأَلَةِ الثَّالِثَةِ ، مِنَ «**الْمَكْتُوبِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ**» ؛ وَإِنَّ أَصْحَابِيَ الْمُقَرَّبِينَ ، يَعْلَمُونَ هٰذَا ؛ وَإِنَّ صَاحِبِيَ الدَّائِمَ «سُلَيْمَانَ» الْفَاضِلَ يَعْلَمُ أَكْثَرَهَا ؛ **وَلَاسِيَّمَا أَنَّنَا نَصِيرُ مَظْهَراً لِتَسْهِيلَاتٍ فَوْقَ الْمَأْمُولِ ، عَلٰى وَجْهِ الْكَرَامَةِ ، فِي نَشْرِ الْمَقَالَاتِ وَالرَّسَائِلِ ،**

وَتَصْحِيحِهَا ، وَفِي تَمْكِينِهَا فِي مَكَانِهَا ، وَفِي تَبْيِيضِهَا وَتَسْوِيدِهَا ؛ وَلاَ تَبْقَى لَنَا شُبْهَةٌ : أَنَّهَا كَرَامَةٌ قُرْآنِيَّةٌ ؛ وَأَمْثِلَةُ هٰذِهِ ، مِئَاتٌ ؛ وَكَذَا نُرَبَّى فِي أَمْرِ الْمَعِيشَةِ ، بِشَفَقَةٍ بِحَيْثُ يُحْسِنُ إِلَيْنَا ، صَاحِبُ الْعِنَايَةِ ، الَّذِي يَسْتَخْدِمُنَا ، أَصْغَرَ مَطَالِبِ قُلُوبِنَا ، بِصُورَةٍ فَوْقَ الْمَأْمُولِ ، لِطُمَأْنِينَةِ قُلُوبِنَا ؛ وَهٰكَذَا .. فَهٰذَا الْحَالُ إِشَارَةٌ غَيْبِيَّةٌ قَوِيَّةٌ لِلْغَايَةِ ، إِلَى أَنَّنَا نُسْتَخْدَمُ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَيُؤَدَّى بِنَا الْخِدْمَةُ الْقُرْآنِيَّةُ ، فِي دَائِرَةِ الرِّضَا ، وَتَحْتَ الْعِنَايَةِ ؛ (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) ..

﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً وَلِحَقِّهِ أَدَاءً ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً ۞ آمِينَ ۞ ..

جَوَابٌ عَلَى سُؤَالٍ مُحَرَّمٍ :

كَانَ سِرُّ الْعِنَايَةِ هٰذَا ، كُتِبَ مُحَرَّماً مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَأُلْحِقَ بِآخِرِ «الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ» ؛ وَكَيْفَ كَانَ ؛ فَقَدْ نَسِيَهُ أَكْثَرُ الْمُسْتَنْسِخِينَ ؛ فَلَمْ يَكْتُبُوهُ . فَإِذاً إِنَّ مَقَامَهُ اللاَّئِقَ الْمُنَاسِبَ كَانَ هُنَا ؛ فَلِذَا بَقِيَ مُخْتَفِياً ..

تَسْأَلُنِي : لِمَاذَا يُوجَدُ فِي «الْمَقَالاَتِ» الَّتِي كَتَبْتَهَا مِنَ الْقُرْآنِ ، قُوَّةٌ وَتَأْثِيرٌ ، قَلَّمَا تُوجَدُ فِي أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ وَالْعَارِفِينَ ؟ . فَقَدْ تُوجَدُ فِي سَطْرٍ ، قُوَّةٌ بِقَدَرِ صَحِيفَةٍ ؛ وَقَدْ يُوجَدُ فِي صَحِيفَةٍ ، تَأْثِيرٌ بِقَدَرِ كِتَابٍ ..

اَلْجَوَابُ : (جَوَابٌ جَمِيلٌ) : أَقُولُ بِدُونِ مُبَالاَةٍ ؛ لِأَنَّ الشَّرَفَ عَائِدٌ إِلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ؛ وَلَيْسَ عَائِداً إِلَيَّ : إِنَّهُ كَذٰلِكَ ، بِاعْتِبَارِ الْأَكْثَرِيَّةِ ؛ لِأَنَّ «الْمَقَالاَتِ» الْمُؤَلَّفَةَ ، تَصْدِيقٌ ؛ وَلَيْسَتْ تَصَوُّراً ؛ وَإِيمَانٌ ؛ وَلَيْسَتْ تَسْلِيماً ؛ وَشَهَادَةٌ وَشُهُودٌ ؛ وَلَيْسَتْ مَعْرِفَةً ؛ وَتَحْقِيقٌ ؛ وَلَيْسَتْ تَقْلِيداً ؛ وَإِذْعَانٌ ؛ وَلَيْسَتِ الْتِزَاماً ؛ وَحَقِيقَةٌ ؛ وَلَيْسَتْ تَصَوُّفاً ؛ وَبُرْهَانٌ فِي ضِمْنِ الدَّعْوَى ؛ وَلَيْسَتْ دَعْوَى .. وَحِكْمَةُ هٰذَا السِّرِّ ، هِيَ : أَنَّ الْأُصُولَ الْإِيمَانِيَّةَ ،

كَانَتْ مَحْفُوظَةً فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ؛ وَكَانَ التَّسْلِيمُ قَوِيّاً ؛ وَكَانَتْ مَعَارِفُ الْعَارِفِينَ ، وَبَيَانَاتُهُمْ فِي الْفُرُوعِ ، مَقْبُولَةً وَكَافِيَةً ؛ وَلَوْ كَانَتْ بِدُونِ دَلِيلٍ ؛ وَلٰكِنَّ الضَّلاَلَةَ الْعِلْمِيَّةَ ، مَدَّتْ يَدَهَا ، إِلَى الْأُسُسِ وَالْأَرْكَانِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَحْسَنَ «الْحَكِيمُ الرَّحِيمُ» ذُو الْجَلاَلِ ، الَّذِي يُحْسِنُ لِكُلِّ دَاءٍ ، دَوَاءً لاَئِقاً بِهِ ؛ أَحْسَنَ إِلَى تَآلِيفِيَ الْعَائِدَةِ إِلَى خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، بِشُعْلَةٍ مِنْ تَمْثِيلاَتِ «الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَشْرَقِ مَظْهَرِ إِعْجَازِهِ ، رَحْمَةً بِعَجْزِي وَضَعْفِي ، وَبِفَقْرِي وَاحْتِيَاجِي. فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ : لَقَدْ أُظْهِرَ أَبْعَدُ الْحَقَائِقِ ، قَرِيبَةً لِلْغَايَةِ ، بِمِنْظَارِ سِرِّ التَّمْثِيلِ ؛ وَجُمِعَتِ الْمَسَائِلُ الْمُتَفَرِّقَةُ أَشَدَّ تَفَرُّقٍ ، بِجِهَةِ وَحْدَةِ سِرِّ التَّمْثِيلِ ؛ وَأُصْعِدَ بِسُهُولَةٍ ، إِلَى أَعْلَى الْحَقَائِقِ ، بِمِرْقَاةِ سِرِّ التَّمْثِيلِ ؛ وَتَحَصَّلَ يَقِينٌ إِيمَانِيٌّ قَرِيبٌ مِنَ الشُّهُودِ ، بِالْحَقَائِقِ الْغَيْبِيَّةِ ، وَالْأُسُسِ الْإِسْلاَمِيَّةِ ، بِنَافِذَةِ سِرِّ التَّمْثِيلِ ؛ فَاضْطُرَّ الْوَهْمُ وَالْخَيَالُ ، حَتَّى النَّفْسُ وَالْهَوٰى ، مَعَ الْعَقْلِ ، إِلَى التَّسْلِيمِ ؛ كَمَا اضْطُرَّ الشَّيْطَانُ ، إِلَى تَسْلِيمِ السِّلاَحِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ مَهْمَا وُجِدَ الْحُسْنُ وَالتَّأْثِيرُ فِي آثَارِي ؛ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ لَمَعَاتِ التَّمْثِيلاَتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَإِنَّ حَظِّيَ ، هُوَ الطَّلَبُ مَعَ شِدَّةِ احْتِيَاجِي ، وَتَضَرُّعِي مَعَ غَايَةِ عَجْزِي ؛ وَالدَّاءُ لِي ؛ وَالدَّوَاءُ لِلْقُرْآنِ . .

﴿ خَاتِمَةُ الْمَسْأَلَةِ السَّابِعَةِ : ﴾ فِي بَيَانِ سِرٍّ عَظِيمٍ مِنَ الْعِنَايَةِ ، وَفِي إِزَالَةِ الْأَوْهَامِ الْوَارِدَةِ أَوِ الْمُحْتَمَلَةِ الْوُرُودِ ، عَلَى الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي صُورَةِ ثَمَانِي عِنَايَاتٍ إِلٰهِيَّةٍ . وَهٰذِهِ الْخَاتِمَةُ أَرْبَعُ نِكَاتٍ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : ﴾ قَدِ ادَّعَيْنَا فِي «الْمَسْأَلَةِ السَّابِعَةِ» مِنَ «الْمَكْتُوبِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ» ، مُشَاهَدَتَنَا لِجِلْوَةِ إِشَارَةٍ غَيْبِيَّةٍ ؛ وَأَحْسَسْنَاهَا مِنْ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانِي عِنَايَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ ؛ وَقَدْ شَاهَدْنَا جِلْوَةَ تِلْكَ الْإِشَارَةِ ، فِي النَّقْشِ ، تَحْتَ عُنْوَانِ «التَّوَافُقَاتِ» الْمُسَمَّاةِ بِالْعِنَايَةِ الثَّامِنَةِ ؛ وَنَدَّعِي أَنَّ هٰذِهِ الْعِنَايَاتِ الْكُلِّيَّةَ السَّبْعَ أَوِ الثَّمَانِيَ ، قَوِيَّةٌ وَقَطْعِيَّةٌ ، بِحَيْثُ تُثْبِتُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، عَلٰى حِدَتِهَا ، تِلْكَ الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةَ ؛ فَإِنْ تَرَاءٰى بَعْضُهَا ضَعِيفاً بِفَرْضِ الْمُحَالِ ؛ بَلْ لَوْ أُنْكِرَ ؛ لاَ يُخِلُّ بِقَطْعِيَّةِ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةِ . فَمَنْ لَمْ يُنْكِرْ تِلْكَ

الْعِنَايَاتِ الثَّمَانِيَ ؛ لَا يُنْكِرُ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ ؛ وَلٰكِنَّ طَبَقَاتِ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ ؛ وَطَبَقَةُ الْعَوَامِّ الَّتِي هِيَ الطَّبَقَةُ الْكَثِيرَةُ ، تَعْتَمِدُ عَلٰى عَيْنِهَا ، أَكْثَرَ مَا تَكُونُ ؛ فَلِذٰلِكَ اضْطُرِرْتُ إِلٰى بَيَانِ حَقِيقَةٍ ، مِنْ قَبِيلِ الْمُوَازَنَةِ ، بِقَصْدِ دَفْعِ الْأَوْهَامِ الْوَارِدَةِ عَلَى التَّوَافُقَاتِ ؛ لَا لِكَوْنِهَا أَقْوٰى ؛ بَلْ لِكَوْنِهَا أَظْهَرَ وَأَعَمَّ بَيْنَ تِلْكَ الْعِنَايَاتِ الثَّمَانِي ؛ وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَيَاتُ أَقْوٰى . وَذٰلِكَ أَنَّنَا قُلْنَا فِي حَقِّ تِلْكَ الْعِنَايَةِ الظَّاهِرَةِ : إِنَّ التَّوَافُقَاتِ تُشَاهَدُ فِي كَلِمَةِ **(الْقُرْآنِ)** ، وَفِي لَفْظِ **«الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ»** (عليه الصلاة والسلام) فِيمَا أَلَّفْنَاهَا مِنَ الرَّسَائِلِ ، بِحَيْثُ لَا تَتْرُكُ شُبْهَةً أَصْلاً ، أَنَّهَا تُنَظَّمُ بِقَصْدٍ ؛ فَتُعْطٰى كَيْفِيَّةً مُتَوَازِيَةً . **وَدَلِيلُنَا عَلٰى أَنَّ الْقَصْدَ وَالْإِرَادَةَ لَيْسَ لَنَا ، هُوَ اطِّلَاعُنَا عَلٰى تِلْكَ التَّوَافُقَاتِ ، بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ أَرْبَعٍ . فَإِذاً إِنَّ هٰذَا الْقَصْدَ وَالْإِرَادَةَ ، غَيْبِيٌّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَثَرُ عِنَايَةٍ .** وَأُعْطِيَتْ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ الْغَرِيبَةُ ، فِي صُورَةِ التَّوَافُقِ فِي تَيْنِكَ الْكَلِمَتَيْنِ ، بِصُورَةِ التَّأْيِيدِ لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِعْجَازِ الْأَحْمَدِيِّ ؛ فَقَطْ . وَصَارَتْ قُدُسِيَّةُ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ ، خَاتَمَ تَصْدِيقٍ لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِعْجَازِ الْأَحْمَدِيِّ ؛ مَعَ أَنَّ سَائِرَ الْكَلِمَاتِ الْمُتَمَاثِلَةِ أَيْضاً ، صَارَتْ مَظْهَراً لِلتَّوَافُقِ بِأَكْثَرِيَّةٍ عَظِيمَةٍ ؛ وَلٰكِنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِبَعْضِ الصَّحَائِفِ ؛ وَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ تُشَاهَدَانِ فِي رِسَالَتَيْنِ جَمِيعاً ، وَفِي أَكْثَرِ الرَّسَائِلِ ؛ وَلٰكِنْ ذَكَرْنَا مِرَاراً ، أَنَّ أَصْلَ هٰذَا التَّوَافُقِ ، يُوجَدُ كَثِيراً فِي سَائِرِ الْكُتُبِ أَيْضاً ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْغَرَابَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ الْعَالِيَةِ . وَالْآنَ أَنَّ دَعْوَانَا هٰذِهِ ، لَيْسَتْ قَابِلَةً لِلتَّزْيِيفِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُمْكِنُ فِي ظَاهِرِ الْأَنْظَارِ ، جِهَةٌ أَوْ جِهَتَانِ ، فِي مُشَاهَدَتِهَا كَأَنَّهَا مُزَيَّفَةٌ . .

إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولُوا : إِنَّكُمْ تَفَكَّرْتُمْ ؛ فَأَوْجَدْتُمْ تَوَافُقاً كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ صُنْعَ شَيْءٍ مِثْلِ هٰذَا ، إِذَا كَانَ بِقَصْدٍ ؛ فَهُوَ شَيْءٌ سَهْلٌ وَهَيِّنٌ . فَنَقُولُ إِزَاءَ هٰذَا : إِنَّ شَاهِدَيْنِ صَادِقَيْنِ ، يَكْفِيَانِ فِي دَعْوٰى ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ مِئَةُ شَاهِدٍ صَادِقٍ ، فِي دَعْوَانَا هٰذِهِ ، عَلٰى أَنَّنَا اطَّلَعْنَا عَلٰى هٰذَا ، بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ أَرْبَعٍ ، بِدُونِ أَنْ يَتَعَلَّقَ قَصْدُنَا وَإِرَادَتُنَا . فَأَذْكُرُ نُقْطَةً بِهٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ ؛ وَهِيَ : أَنَّ هٰذِهِ الْكَرَامَةَ الْإِعْجَازِيَّةَ ، لَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ كَوْنِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، فِي دَرَجَةِ الْإِعْجَازِ ، فِي جِهَةِ الْبَلَاغَةِ ؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ الْبَشَرِ ، لَا تَسْتَطِيعُ فِي إِعْجَازِ

الْقُرْآنِ ، أَنْ تَسْلُكَ فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ ؛ فَتَبْلُغَ تِلْكَ الدَّرَجَةَ . وَأَمَّا هٰذِهِ الْكَرَامَةُ الْإِعْجَازِيَّةُ ، فَإِنَّهَا لَا تَحْصُلُ بِقُدْرَةِ الْبَشَرِ ؛ وَلَا تُخَالِطُ الْقُدْرَةَ ، ذٰلِكَ الْأَمْرَ (١) . .

. . . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ نُشِيرُ بِمُنَاسَبَةِ الْإِشَارَةِ الْخَاصَّةِ ، وَالْإِشَارَةِ الْعَامَّةِ ، إِلَى سِرٍّ دَقِيقٍ مِنْ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالرَّحْمَانِيَّةِ ؛ وَإِنَّ لِوَاحِدٍ مِنْ إِخْوَانِنَا ، كَلَاماً جَمِيلاً ؛ فَأَجْعَلُ ذٰلِكَ الْكَلَامَ ، مَوْضُوعاً لِهٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنِّي عَرَضْتُ عَلَيْهِ يَوْماً ، تَوَافُقاً جَمِيلاً ؛ فَقَالَ : جَمِيلٌ ؛ إِذْ كُلُّ حَقِيقَةٍ جَمِيلَةٌ ؛ وَلٰكِنَّ التَّوْفِيقَ وَالتَّوَافُقَاتِ فِي هٰذِهِ الْمَقَالَاتِ ، أَجْمَلُ ؛ فَقُلْتُ أَيْضاً : نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، إِمَّا جَمِيلٌ حَقِيقَةً ، أَوْ جَمِيلٌ بِالذَّاتِ ، أَوْ جَمِيلٌ بِاعْتِبَارِ نَتَائِجِهِ . وَهٰذَا الْجَمَالُ يَنْظُرُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ ، وَشُمُولِ الرَّحْمَةِ ، وَالتَّجَلِّي الْعَامِّ . وَإِنَّ الْإِشَارَةَ الْغَيْبِيَّةَ فِي هٰذَا التَّوْفِيقِ ، أَجْمَلُ ؛ كَمَا قُلْتَ ؛ لِأَنَّ هٰذَا ، عَلَى وَجْهٍ يَنْظُرُ إِلَى الرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ ، وَالرُّبُوبِيَّةِ الْخَاصَّةِ ، وَالتَّجَلِّي الْخَاصِّ ؛ فَنُقَرِّبُ هٰذَا ، إِلَى الْفَهْمِ ، بِتَمْثِيلٍ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ سُلْطَاناً مَا ، يُمْكِنُ أَنْ تَشْمَلَ مَرْحَمَتُهُ السُّلْطَانِيَّةُ ، جَمِيعَ أَفْرَادِ الشَّعْبِ ، بِقَانُونِهِ وَسَلْطَنَتِهِ الْعُمُومِيَّةِ ؛ فَكُلُّ فَرْدٍ ، مَظْهَرٌ لِلُطْفِ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ ، وَسَلْطَنَتِهِ مُبَاشَرَةً . وَلِلْأَفْرَادِ ، مُنَاسَبَاتٌ خُصُوصِيَّةٌ كَثِيرَةٌ ، بِتِلْكَ الصُّورَةِ الْعُمُومِيَّةِ . .

وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ إِحْسَانَاتُهُ الْخُصُوصِيَّةُ ، وَأَوَامِرُهُ الْخَاصَّةُ ؛ فَيُحْسِنُ إِلَى فَرْدٍ ؛ وَيَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ؛ وَيَأْمُرُهُ فَوْقَ الْقَانُونِ الْعُمُومِيِّ ؛ فَهٰكَذَا مِثْلُ هٰذَا التَّمْثِيلِ : فَإِنَّ الذَّاتَ

---

(١) لَقَدْ خَطَطْنَا عَلَى تِسْعِ كَلِمَاتٍ ، مِنْ لَفْظِ (الْقُرْآنِ) ؛ وَكَانَتْ عَلَى صُورَةِ التَّوَافُقِ ، فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي نُسْخَةٍ مَّا ، فِي «الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ» مِنَ «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ» ؛ وَفِي مَجْمُوعِهَا خَرَجَ لَفْظُ (مُحَمَّدٍ) ؛ وَفِي الصَّحِيفَةِ الْمُقَابِلَةِ لَهَا ، تَوَافَقَتْ ثَمَانِي كَلِمَاتٍ ، مِنْ لَفْظِ (الْقُرْآنِ) ؛ وَفِي مَجْمُوعِهَا خَرَجَتْ لَفْظَةُ (اللهِ) . فَمِثْلُ هٰذِهِ الْأُمُورِ الْبَدِيعَةِ ، يُوجَدُ فِي التَّوَافُقَاتِ كَثِيراً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

وَقَدْ شَاهَدْنَا مَآلَ هٰذِهِ الْحَاشِيَةِ ، بِأَعْيُنِنَا : (بَكْرٌ ، تَوْفِيقٌ ، سُلَيْمَانُ ، غَالِبٌ ، سَعِيدٌ) . .

الْوَاجِبَ الْوُجُودِ ، وَالْخَالِقَ الْحَكِيمَ الرَّحِيمَ ، يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ ، ذَا حِصَّةٍ ، فِي جِهَةِ عُمُومِ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَشُمُولِ رَحْمَتِهِ ؛ وَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ ، ذَا مُنَاسَبَةٍ خَاصَّةٍ مَعَهُ ، فِي جِهَةِ حِصَّتِهِ الَّتِي أَصَابَتْهُ ؛ وَلَهُ تَصَرُّفَاتٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَتَدَخُّلٌ وَرُبُوبِيَّةٌ ، فِي أَصْغَرِ شُؤُونِ كُلِّ شَيْءٍ ، بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، وَعِلْمِهِ الْمُحِيطِ ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ ، يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِهِ ؛ فَتُقْضَى أُمُورُهَا ؛ وَتُنَظَّمُ شُؤُونُهَا ، بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ؛ فَلَيْسَ لِلطَّبِيعَةِ حَدٌّ ، أَنْ تَخْتَفِيَ فِي دَائِرَةِ تَصَرُّفِ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ وَأَنْ تَكُونَ مَالِكَةً لِلتَّأْثِيرِ ؛ فَتَتَدَخَّلَ فِي تِلْكَ الدَّائِرَةِ ؛ وَلَا لِلتَّصَادُفِ حَقٌّ ، أَنْ يُخَالِطَ شُؤُونَهُ الَّتِي فِي دَائِرَةِ مِيزَانِ الْحِكْمَةِ ، ذٰلِكَ الْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ . وَقَدْ نَفَيْنَا التَّصَادُفَ وَالطَّبِيعَةَ ؛ وَأَعْدَمْنَاهُمَا بِسَيْفِ الْقُرْآنِ ؛ وَأَثْبَتْنَا تَدَخُّلَهُمَا مُحَالاً ، بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ ، فِي الرَّسَائِلِ ، فِي عِشْرِينَ مَوْضِعاً ؛ وَلٰكِنَّ أَهْلَ الْغَفْلَةِ أَطْلَقُوا اسْمَ التَّصَادُفِ ، فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُعْلَمُ أَسْبَابُهَا وَحِكَمُهَا ، فِي نَظَرِهِمْ ، فِي دَائِرَةِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ ؛ وَاخْتَفَتْ قَوَانِينُ بَعْضِ الْأَفْعَالِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي لَا يُحَاطُ بِحِكَمِهَا ، تَحْتَ غِطَاءِ الطَّبِيعَةِ ؛ فَلَمْ يَرَوْهَا ؛ وَرَاجَعُوا الطَّبِيعَةَ . .

وَالثَّانِيَةُ : هِيَ رُبُوبِيَّتُهُ الْخُصُوصِيَّةُ ، وَالْتِفَاتُهُ وَإِمْدَادُهُ الرَّحْمَانِيُّ الْخَاصُّ ؛ فَيُدْرِكُ اسْمُ «الرَّحْمٰنِ وَالرَّحِيمِ» ، إِلَى إِمْدَادِ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَ التَّحَمُّلَ تَحْتَ تَضْيِيقَاتِ الْقَوَانِينِ الْعُمُومِيَّةِ ؛ وَيُعَاوِنَانِهِمْ بِصُورَةٍ خُصُوصِيَّةٍ ؛ وَيُنْقِذَانِهِمْ عَنْ تِلْكَ التَّضْيِيقَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ ، كُلُّ حَيٍّ ، وَلَاسِيَّمَا الْإِنْسَانُ ؛ وَيَأْخُذُ مِنْهُ الْمَدَدَ ، كُلَّ آنٍ . فَإِحْسَانَاتُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ الْخُصُوصِيَّةِ هٰذِهِ ، لَا تَخْتَفِي تَحْتَ التَّصَادُفِ ؛ وَلَا تُسْنَدُ إِلَى الطَّبِيعَةِ ، إِزَاءَ أَهْلِ الْغَفْلَةِ أَيْضاً . فَبِنَاءً عَلَى هٰذَا السِّرِّ ، تَلَقَّيْنَا الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةَ ، فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِعْجَازِ الْأَحْمَدِيِّ ؛ وَاعْتَقَدْنَاهَا إِشَارَةً خُصُوصِيَّةً ؛ وَأَيْقَنَّا أَنَّهَا إِمْدَادٌ خُصُوصِيٌّ ، وَعِنَايَةٌ خَاصَّةٌ ، تُظْهِرُ نَفْسَهَا ضِدَّ الْمُعَانِدِينَ ؛ وَأَعْلَنَّاهَا لِمَحْضِ رِضَاءِ اللهِ تَعَالَى . عَفَا اللهُ ذٰلِكَ ؛ إِنْ قَصَّرْنَا فِيهِ ، آمِينَ . .

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ الَّتِي هِيَ الرِّسَالَةُ الثَّامِنَةُ :

إِنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ ثَمَانِي نِكَاتٍ تَكُونُ جَوَابَ سِتَّةِ أَسْئِلَةٍ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : ﴾ أَنَّا أَحْسَسْنَا أَنْوَاعاً كَثِيرَةً ، مِنَ الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةِ ، حَوْلَ اسْتِخْدَامِنَا فِي الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، تَحْتَ يَدٍ مِنَ الْعِنَايَةِ ؛ وَبَيَّنَّا بَعْضاً مِنْهَا ؛ وَالْآنَ أَنَّ وَاحِدَةً جَدِيدَةً مِنْ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ ، هِيَ هٰذِهِ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُ تُوجَدُ التَّوَافُقَاتُ الْغَيْبِيَّةُ ، فِي أَكْثَرِ «الْمَقَالَاتِ» [(١)] . .

فَمِنْهَا : أَنَّ فِي كَلِمَةِ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ) ، وَفِي عِبَارَةِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَفِي لَفْظِ (الْقُرْآنِ) الْمُبَارَكِ ، إِشَارَةً إِلٰى أَنَّهَا تُمَثِّلُ نَوْعاً مِنْ جِلْوَةِ الْإِعْجَازِ . وَالْإِشَارَاتُ الْغَيْبِيَّةُ ، مَهْمَا كَانَتْ خَفِيَّةً وَضَعِيفَةً أَيْضاً ؛ فَهِيَ أَهَمُّ جِدّاً ، وَأَقْوٰى كَثِيراً عِنْدِي ؛ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلٰى قَبُولِ الْخِدْمَةِ ، وَحَقَّانِيَّةِ الْمَسَائِلِ ؛ وَتَنْقُضُ غُرُورِي ؛ وَتُثْبِتُ لِي قَطْعاً : أَنِّي تَرْجُمَانٌ فَقَطْ ؛ وَأَيْضاً لَا تَتْرُكُ لِي مَا يَكُونُ مَدَارَ الْفَخْرِ ؛ وَإِنَّمَا تُظْهِرُ مَا يَكُونُ مَدَارَ الشُّكْرِ فَقَطْ ؛ وَأَيْضاً أَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ عَائِدَةً إِلَى الْقُرْآنِ ؛ وَتَكُونُ بِحِسَابِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ؛ وَلَا يُخَالِطُهَا جُزْءُ اخْتِيَارِنَا قَطْعاً ؛ وَتُشَوِّقُ الْمُتَكَاسِلِينَ ؛ وَتُقْنِعُ أَنَّ الرَّسَائِلَ حَقٌّ ؛ وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْإِكْرَامِ الْإِلٰهِيِّ لَنَا ؛ وَإِظْهَارُهَا تَحْدِيثُ النِّعْمَةِ ؛ وَتُسْكِتُ الْمُتَمَرِّدِينَ الَّذِينَ انْحَدَرَتْ عُقُولُهُمْ إِلٰى عُيُونِهِمْ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ إِظْهَارَهَا لَازِمٌ ، وَغَيْرُ ضَارٍّ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

فَإِحْدٰى تِلْكَ الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةِ ، هِيَ هٰذِهِ أَيْضاً ؛ وَهِيَ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، أَحْسَنَ مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ ، بِلَطَافَةٍ مِنْ قَبِيلِ الْإِشَارَةِ الْغَيْبِيَّةِ ، إِلٰى أَنَّ مَا أَلَّفْنَاهَا حَقٌّ ، وَمِنْ قَبِيلِ الْعَلَامَةِ لِقَبُولِ خِدْمَتِنَا ، بِصُورَةِ إِكْرَامٍ رَبَّانِيٍّ ، وَإِحْسَانٍ إِلٰهِيٍّ ، لِتَسْكِينِ قُلُوبِنَا ، وَلِتَحْرِيضِنَا

---

(١) إِنَّ التَّوَافُقَاتِ إِشَارَةٌ إِلَى الْاِتِّفَاقِ . وَالْاِتِّفَاقُ أَمَارَةٌ لِلْاِتِّحَادِ ، وَعَلَامَةٌ لِلْوَحْدَةِ . وَالْوَحْدَةُ تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ . وَالتَّوْحِيدُ أَعْظَمُ أَسَاسٍ مِنْ أُسُسِ الْقُرْآنِ الْأَرْبَعَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

نَحْنُ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْخِدْمَةِ لِلْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ قَبِيلِ التَّوَافُقَاتِ الْغَيْبِيَّةِ ، فِي جَمِيعِ رَسَائِلِنَا ، لَاسِيَّمَا فِي «رِسَالَةِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَالنَّوَافِذِ» ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يَجْعَلُ الْكَلِمَاتِ الْمُتَمَاثِلَةَ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ، تَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ ؛ فَيُشَارُ إِشَارَةً غَيْبِيَّةً فِي هٰذِهِ ، إِلٰى أَنَّهَا تُنَظَّمُ بِإِرَادَةٍ غَيْبِيَّةٍ ؛ فَلَا تَعْتَمِدُوا عَلٰى شُعُورِكُمْ وَاخْتِيَارِكُمْ ؛ وَتُصْنَعُ انْتِظَامَاتٌ وَنُقُوشٌ خَارِقَةٌ ، بِدُونِ أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ لِاخْتِيَارِكُمْ ؛ وَيَنَالَ إِلَيْهَا شُعُورُكُمْ ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ لَفْظَةَ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ) ، وَلَفْظَةَ (الصَّلَوَاتِ) فِي «رِسَالَةِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ» ، صَارَتْ فِي حُكْمِ مِرْآةٍ تُظْهِرُ تِلْكَ التَّوَافُقَاتِ الْغَيْبِيَّةَ صَرِيحَةً ؛ فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الشَّرِيفَةَ الَّتِي تَزِيدُ عَلٰى مِئَتَيْنِ ، تَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ ، مُتَوَازِيَةً فِي نُسْخَةِ كَاتِبٍ غِرٍّ جَدِيدٍ ؛ مَا عَدَا خَمْسَ صَفَحَاتٍ . فَهٰذِهِ التَّوَافُقَاتُ ؛ كَمَا لَا تَكُونُ مِنْ شَأْنِ التَّصَادُفِ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَبَباً لِتَوَافُقٍ أَوْ تَوَافُقَيْنِ فِي الْعَشَرَةِ فَقَطْ ، بِدُونِ شُعُورٍ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهَا لَيْسَتْ أَيْضاً مِنْ تَفْكِيرِ بَائِسٍ مِثْلِي ، غَيْرِ حَاذِقٍ ، يَحْصُرُ النَّظَرَ ، فِي الْمَعْنٰى فَقَطْ ؛ وَيَكْتَتِبُ ؛ وَلَا يَكْتُبُ بِنَفْسِهِ ؛ وَيُؤَلِّفُ بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ، ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ صَحِيفَةً ، فِي سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ . فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهَا ، بَعْدَ سِتِّ سَنَوَاتٍ ، بِإِرْشَادِ الْقُرْآنِ أَيْضاً ، وَبِإِرْشَادِ تَفْسِيرِ «إِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ» ، الْوَارِدِ بِصُورَةِ تَوَافُقِ تِسْعَةٍ مِنْ لَفْظِ (إِنَّا) . وَأَمَّا الْمُسْتَنْسِخُونَ ، فَإِنَّهُمْ حِينَمَا سَمِعُوا مِنِّي ، بَقُوا فِي حَيْرَةٍ عَلٰى حَيْرَةٍ . .

فَكَمَا أَنَّ لَفْظَةَ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ) ، وَلَفْظَةَ (الصَّلَوَاتِ) صَارَتَا فِي حُكْمِ مِرْآةٍ صَغِيرَةٍ ، لِنَوْعٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، فِي الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ لَفْظَ (الْقُرْآنِ) فِي رِسَالَةِ «إِعْجَازِ الْقُرْآنِ» ، الَّتِي هِيَ الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ ، وَفِي «الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ» مِنَ الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ ؛ مَعَ أَنَّهُ تَجَلّٰى فِي جَمِيعِ الرَّسَائِلِ ، بِصُورَةِ التَّوَافُقَاتِ الْغَيْبِيَّةِ ، جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءاً ، مِنْ نَوْعِ الْمُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، إِزَاءَ الطَّبَقَةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلٰى بَصَرِهَا فَقَطْ ، مِنْ أَرْبَعِينَ طَبَقَةً ، تَظَاهَرَ فِي لَفْظِ (الْقُرْآنِ) ، جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنْ ذٰلِكَ الْجُزْءِ . .

وَذٰلِكَ : أَنَّ لَفْظَ (الْقُرْآنِ) ، قَدْ تَكَرَّرَ مِئَةَ مَرَّةٍ ، فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَفِي «الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ» ، مِنَ الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ ؛ وَقَلَّمَا بَقِيَتْ كَلِمَةٌ أَوْ كَلِمَتَانِ ، خَارِجَةً ؛ وَالْبَوَاقِي تَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ جَمِيعاً ؛ فَفِي الصَّحِيفَةِ الثَّالِثَةِ وَالْأَرْبَعِينَ مَثَلاً ، مِنَ «الشُّعَاعِ الثَّانِي» تُوجَدُ سَبْعَةٌ مِنْ لَفْظِ (الْقُرْآنِ) يَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ ؛ وَفِي الصَّحِيفَةِ السَّادِسَةِ وَالْخَمْسِينَ ، تَنْظُرُ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُ ، بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ ؛ وَبَقِيَتِ التَّاسِعَةُ مُسْتَثْنَاةً فَقَطْ . فَهٰذِهِ الصَّحِيفَةُ التَّاسِعَةُ وَالسِّتُّونَ ، الَّتِي أَمَامَ أَعْيُنِنَا الْآنَ ، يَنْظُرُ مَا فِيهَا مِنْ خَمْسَةِ أَلْفَاظٍ مِنَ لَفْظِ (الْقُرْآنِ) يَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ؛ وَهٰكَذَا يَنْظُرُ لَفْظُ (الْقُرْآنِ) الْمُكَرَّرُ الْوَارِدُ فِي جَمِيعِ الصَّفَحَاتِ ، بَعْضُهُ إِلٰى بَعْضٍ ؛ وَقَلَّمَا يَبْقٰى وَاحِدٌ مِنْ خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةٍ ، خَارِجاً . وَأَمَّا سَائِرُ التَّوَافُقَاتِ ، فَفِي الصَّحِيفَةِ الثَّالِثَةِ وَالثَّلَاثِينَ ، الَّتِي أَمَامَ أَبْصَارِنَا ، خَمْسَةَ عَشَرَ عَدَداً مِنْ لَفْظِ (أَمْ) ، تَنْظُرُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنْهَا ، بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ . .

وَكَذَا فِي هٰذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي أَمَامَ أَبْصَارِنَا ، تِسْعَةٌ مِنْ لَفْظِ (الْإِيمَانِ) ، تَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلٰى بَعْضٍ ؛ وَانْحَرَفَ قَلِيلاً ، وَاحِدٌ مِنْهَا فَقَطْ ، بِوَضْعِ الْكَاتِبِ فَاصِلَةً . .

وَكَذَا فِي هٰذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي أَمَامَ أَعْيُنِنَا ، لَفْظَانِ مِنَ (الْمَحْبُوبِ) ، أَحَدُهُمَا فِي السَّطْرِ الثَّالِثِ ، وَالْآخَرُ فِي السَّطْرِ الْخَامِسَ عَشَرَ ، يَتَنَاظَرَانِ بِكَمَالِ الْمِيزَانِ ؛ وَرُتِّبَتْ بَيْنَهُمَا أَرْبَعَةٌ مِنْ لَفْظِ (الْعِشْقِ) يَنْظُرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ . وَهٰكَذَا ؛ فَلْيُقَسْ سَائِرُ التَّوَافُقَاتِ ، عَلٰى هٰؤُلَاءِ . .

فَهٰذِهِ التَّوَافُقَاتُ الْغَيْبِيَّةُ ، أَيّاً كَانَ الْكَاتِبُ ، وَعَلٰى أَيِّ شَكْلٍ كَانَتِ السُّطُورُ وَالصَّحَائِفُ ؛ فَإِنَّهَا تُوجَدُ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ، بِحَيْثُ لَا تَتْرُكُ الشُّبْهَةَ : أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِ التَّصَادُفِ ، وَلَا مِنْ تَفْكِيرِ الْمُؤَلِّفِ وَالْكُتَّابِ ؛ وَلٰكِنَّ التَّوَافُقَاتِ تُلَاقِي النَّظَرَ أَكْثَرَ ، فِي بَعْضِ الْخُطُوطِ . فَإِذاً إِنَّ لِهٰذِهِ الرَّسَائِلِ ، خَطّاً حَقِيقِيّاً مَخْصُوصاً بِهَا ، يَقْتَرِبُ بَعْضُهُمْ إِلٰى ذٰلِكَ الْخَطِّ . وَمِنَ الْغَرَائِبِ : أَنَّهَا أَكْثَرَ مَا تُشَاهَدُ ، لَيْسَتْ فِي خَطِّ حُذَّاقِ الْكَاتِبِينَ ، بَلْ فِي خَطِّ غَيْرِ الْمُتَدَرِّبِينَ ؛ فَيُفْهَمُ مِنْ هٰذَا : أَنَّ الصِّنَاعَةَ وَالظَّرَافَةَ وَالْمَزِيَّةَ

فِي «الْمَقَالاَتِ» الَّتِي هِيَ نَوْعٌ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، لَيْسَتْ لِأَحَدٍ ؛ بَلْ إِنَّ مَلاَبِسَ الْأَسَالِيبِ الْمَوْزُونَةِ الْمُنْتَظِمَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ الْقَامَةَ الْمُبَارَكَةَ ، قَامَةَ الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُنْتَظِمَةِ الْجَمِيلَةِ ، لاَ تُقَصُّ وَلاَ تُخَاطُ بِاخْتِيَارِ أَحَدٍ وَبِشُعُورِهِ ؛ بَلْ إِنَّ بَدَنَهَا ، هُوَ الَّذِي يَقْتَضِي كَذٰلِكَ ؛ وَإِنَّ يَداً غَيْبِيَّةً ، هِيَ الَّتِي تَقُصُّهَا وَتَخِيطُهَا وَتُلْبِسُهَا ، حَسَبَ تِلْكَ الْقَامَةِ ؛ وَأَمَّا نَحْنُ ، فَتَرْجُمَانٌ وَخَادِمٌ فِيهَا . .

. . . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ فِي سُؤَالِكُمُ الْأَوَّلِ الْمُتَضَمِّنِ لِخَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةِ أَسْئِلَةٍ : كَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ وَالْجَمْعُ إِلٰى مَيْدَانِ الْحَشْرِ ؟ وَهَلْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ عُرْيَاناً ؟ وَكَيْفَ نَجِدُ الْأَصْدِقَاءَ ، لِلاِجْتِمَاعِ بِهِمْ ؛ وَكَيْفَ نَجِدُ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) لِأَجْلِ الشَّفَاعَةِ ؟ وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ ، بِمَنْ لاَ حَدَّ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ مَلاَبِسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَجَهَنَّمَ ؟ وَمَنِ الَّذِي يَدُلُّنَا عَلَى الطَّرِيقِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ جَوَابَ هٰذَا السُّؤَالِ ، يُوجَدُ مُكَمَّلاً وَاضِحاً لِلْغَايَةِ ، فِي كُتُبِ الْأَحَادِيثِ ؛ وَسَنَذْكُرُ مَا يَعُودُ إِلٰى مَشْرَبِنَا وَمَسْلَكِنَا ، مِنْ نُكْتَةٍ أَوْ نُكْتَتَيْنِ فَقَطْ . .

أَوَّلاً : قَدْ بُيِّنَ فِي مَكْتُوبٍ مَّا : أَنَّ مَيْدَانَ الْحَشْرِ ، يَكُونُ فِي الْمَدَارِ السَّنَوِيِّ لِكُرَةِ الْأَرْضِ ؛ وَأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ؛ كَمَا تَبْعَثُ مِنْ هٰذَا الْحِينِ ، مَحْصُولاَتِهَا الْمَعْنَوِيَّةَ ، إِلٰى أَلْوَاحِ ذٰلِكَ الْمَيْدَانِ ؛ تَكُونُ هِيَ مَبْدَأً لِتَمَثُّلِ دَائِرَةِ وُجُودٍ مَّا ، بِحَرَكَتِهَا السَّنَوِيَّةِ ، وَلِتَشَكُّلِ مَيْدَانِ حَشْرٍ مَّا ، بِمَحْصُولاَتِ تِلْكَ الدَّائِرَةِ الْوُجُودِيَّةِ ؛ وَأَنَّ هٰذِهِ السَّفِينَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا كُرَةُ الْأَرْضِ ؛ كَمَا تُفْرِغُ مَا فِي مَرْكَزِهَا ، مِنْ جَهَنَّمَ الصُّغْرٰى ، فِي جَهَنَّمَ الْكُبْرٰى ؛ سَتُفْرِغُ سُكَّانَهَا ، فِي مَيْدَانِ الْحَشْرِ أَيْضاً . .

ثَانِياً : قَدْ أُثْبِتَ قَطْعاً ، وُجُودُ ذٰلِكَ الْحَشْرِ مَعَ مَيْدَانِهِ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ لِلْغَايَةِ ، فِي سَائِرِ «الْمَقَالاَتِ» ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الْمَقَالَةُ الْعَاشِرَةُ ، وَالتَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ . .

ثَالِثاً : أَمَّا الاِجْتِمَاعُ بِالْأَصْدِقَاءِ ، فَقَدْ أُثْبِتَ قَطْعاً ، فِي الْمَقَالَةِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ ،

وَالْحَادِيَةِ وَالثَّلاثِينَ ، وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ : أَنَّ شَخْصاً وَاحِداً يُوجَدُ فِي آلافِ الْأَمَاكِنِ ؛ وَيَجْتَمِعُ بِمَلايِينِ الْأَشْخَاصِ ، فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِسِرِّ النُّورَانِيَّةِ . .

رَابِعاً : أَنَّ مِنْ مُقْتَضَى اسْمِ «الْحَكِيمِ» ، أَنْ يُلْبِسَ اللهُ تَعَالَى ، عَلَى الْإِنْسَانِ ، فِي مَيْدَانِ الْحَشْرِ لِبَاساً فِطْرِيّاً فَقَطْ ؛ وَيَكُونُ عُرْيَاناً عَنِ الثِّيَابِ الصُّنْعِيَّةِ ؛ كَمَا أَلْبَسَ عَلَى ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ غَيْرِ الْإِنْسَانِ ، مَلابِسَ فِطْرِيَّةً . وَحِكْمَةُ اللِّبَاسِ الصِّنَاعِيِّ فِي الدُّنْيَا ، لَيْسَتْ مُنْحَصِرَةً فِي الزِّينَةِ ، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ ، وَالْوِقَايَةِ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّ حِكْمَةً مُهِمَّةً لَهَا ، هِيَ : أَنَّهُ فِي حُكْمِ فِهْرِسَةٍ وَلائِحَةٍ تُشِيرُ إِلَى قِيَادَةِ الْإِنْسَانِ ، وَمُنَاسَبَتِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي سَائِرِ الْأَنْوَاعِ . وَإِلَّا فَكَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلْبِسَهُ لِبَاساً فِطْرِيّاً ، هَيِّناً وَرَخِيصاً ؛ إِذْ لَوْ لَمْ تَكُنْ هٰذِهِ الْحِكْمَةُ ؛ يَصِيرُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَلْبَسُ وَيَلُفُّ عَلَى بَدَنِهِ ، لَفَائِفَ مُخْتَلِفَةً ، يَصِيرُ مَسْخَرَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَيَوَانَاتٍ ذَاتِ شُعُورٍ ، وَسُخْرِيّاً فِي نَظَرِهَا ، يُضْحِكُهَا مَعْنَوِيّاً ؛ وَلَا تُوجَدُ تِلْكَ الْحِكْمَةُ وَالْمُنَاسَبَةُ ، فِي مَيْدَانِ الْحَشْرِ ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ لَا تُوجَدَ تِلْكَ اللَّائِحَةُ أَيْضاً . .

خَامِساً : أَمَّا الدَّلِيلُ ، فَهُوَ الْقُرْآنُ ، لِمِثْلِكَ مِمَّنْ دَخَلُوا تَحْتَ نُورِ الْقُرْآنِ . فَانْظُرْ إِلَى أَوَائِلِ سُوَرِ (الٓمٓ ، وَالٓر ، وَحٰمٓ) ؛ وَافْهَمْ وَأَبْصِرْ : أَنَّ الْقُرْآنَ أَيُّ شَفِيعٍ مُشَفَّعٍ ، وَدَلِيلٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَنُورٍ مُقَدَّسٍ . .

سَادِساً : أَمَّا مَلابِسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَهْلِ جَهَنَّمَ ؛ فَإِنَّ الدُّسْتُورَ الَّذِي بُيِّنَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّامِنَةِ وَالْعِشْرِينَ ، فِي حَقِّ لُبْسِ الْحُورِ ، سَبْعِينَ حُلَّةً ، يَجْرِي هٰهُنَا أَيْضاً ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ إِنْسَاناً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يَشْتَهِي بِلا شَكٍّ ، أَنْ يَسْتَفِيدَ عَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْجَنَّةِ ، كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَالْجَنَّةُ لَهَا أَنْوَاعُ مَحَاسِنَ مُخْتَلِفَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَإِنَّهُ يُخَالِطُ كُلَّ وَقْتٍ ، بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْجَنَّةِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ يُلْبِسُ عَلَيْهِ وَعَلَى حُورِهِ ، نَمَاذِجَ مَحَاسِنِ الْجَنَّةِ ، فِي مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ؛ فَيَصِيرُ هُوَ وَحُورُهُ ، بِمَثَابَةِ جِنَانٍ صَغِيرَةٍ . فَكَمَا أَنَّ إِنْسَاناً مَّا ، يَجْمَعُ فِي مَعْرِضِ حَدِيقَةٍ صَغِيرَةٍ لَهُ ، أَنْوَاعَ أَزْهَارٍ مُنْتَشِرَةٍ فِي مَمْلَكَةٍ ؛ وَأَنَّ حَانُوتِيّاً مَّا ، يَجْمَعُ مَا فِي جَمِيعِ أَمْوَالِهِ ، مِنَ النَّمَاذِجِ ، فِي لائِحَةٍ ؛ وَأَنَّ

إِنْسَاناً مَّا ، يَجْعَلُ نَمَاذِجَ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي يَتَصَرَّفُ فِيهَا ؛ وَيَحْكُمُ عَلَيْهَا ؛ وَيَتَنَاسَبُ مَعَهَا ، مَلاَبِسَ وَأَمْتِعَةً بَيْتِيَّةً لَهُ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ إِنْسَاناً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لاَسِيَّمَا إِذَا كَانَ عَبَدَ بِجَمِيعِ حَوَاسِّهِ وَجِهَازَاتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَاسْتَحَقَّ بِلَذَائِذِ الْجَنَّةِ ؛ يُلْبَسُ عَلَيْهِ وَعَلٰى حُورِهِ ، مِنْ جَانِبِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، نَوْعٌ مِنَ اللِّبَاسِ ، يُظْهِرُ مَحَاسِنَ الْجَنَّةِ ، مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِهَا ؛ بِحَيْثُ تُرْضِي كُلَّ حَوَاسِّهِ ؛ وَتُمَتِّعُ كُلَّ جِهَازَاتِهِ ؛ وَتُذَوِّقُ كُلَّ لَطَائِفِهِ . وَالدَّلِيلُ عَلٰى أَنَّ تِلْكَ الْحُلَلَ الْمُتَعَدِّدَةَ ، لَيْسَتْ مِنْ جِنْسٍ ، وَمِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ ، هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي بِهٰذَا الْمَآلِ : وَهُوَ أَنَّ الْحُورَ يَلْبَسْنَ سَبْعِينَ حُلَّةً ؛ مَعَ أَنَّهُ يُرٰى مَا فِي سِيقَانِهِنَّ مِنَ النِّخَاعِ ؛ وَلاَ تَسْتُرُهُ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ تُوجَدُ مَرَاتِبُ تُذَوِّقُ وَتُمَتِّعُ الْحَوَاسَّ وَالْحِسِّيَّاتِ ، فِي وُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ ، بِمَحَاسِنَ مُتَنَوِّعَةٍ ، مِنْ أَعْلَى الْحُلَّةِ الَّتِي فَوْقَهَا ، إِلٰى أَدْنَى الْحُلَّةِ الَّتِي تَحْتَهَا . . وَأَمَّا أَهْلُ جَهَنَّمَ ؛ فَإِنَّهُمْ كَمَا ارْتَكَبُوا الذُّنُوبَ ، بِأَبْصَارِهِمْ وَآذَانِهِمْ ، وَبِعُقُولِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ ، وَبِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ ، وَهٰكَذَا بِجَمِيعِ جِهَازَاتِهِمْ ؛ فَلاَ شَكَّ أَنَّ إِلْبَاسَ مَلاَبِسَ مَصْنُوعَةٍ مِنْ قِطَعِ مُخْتَلِفَةِ الْجِنْسِ ، تُؤْلِمُهُمْ وَتُعَذِّبُهُمْ فِي جَهَنَّمَ ، حَسَبَ تِلْكَ الْجِهَازَاتِ ؛ وَتَصِيرُ بِمَثَابَةِ جَهَنَّمَ صَغِيرَةٍ لَهُمْ ، لاَ يُرٰى مُنَافِياً لِلْحِكْمَةِ وَالْعَدَالَةِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّكُمْ تَسْأَلُونَ : أَنَّهُ هَلْ كَانَ أَجْدَادُ النَّبِيِّ (عليه الصلاة والسلام) ، مُتَدَيِّنِينَ بِدِينٍ مَّا ، فِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : تُوجَدُ رِوَايَاتٌ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَدَيِّنِينَ بِبَقِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ، الَّذِي بَقِيَ تَحْتَ أَسْتَارِ الْغَفْلَةِ وَالظُّلُمَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَكَانَ يَدُومُ أَخِيراً ، فِي بَعْضِ النَّاسِ خَاصَّةً . فَلاَ رَيْبَ أَنَّ الْأَفْرَادَ الَّذِينَ انْحَدَرُوا عَنْ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ؛ وَشَكَّلُوا سِلْسِلَةً نَيِّرَةً أَنْتَجَتِ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عليه الصلاة والسلام) ، لَمْ يَكُونُوا لاَهِينَ عَنْ نُورِ الدِّينِ الْحَقِّ ؛ وَلَمْ يَقَعُوا فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ قَطْعاً ؛ وَلٰكِنَّ أَهْلَ الْفَتْرَةِ ، يَكُونُونَ أَهْلَ النَّجَاةِ ، فِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ ؛ وَلاَ يُؤَاخَذُونَ عَنْ خَطِيئَاتِهِمْ فِي الْفُرُوعِ ، بِالاتِّفَاقِ ؛ وَإِنَّهُمْ ، وَإِنْ وَقَعُوا فِي الْكُفْرِ ؛ وَلَمْ يُوجَدْ فِيهِمْ

أُصُولُ الْإِيمَانِ ؛ فَهُمْ أَهْلُ النَّجَاةِ أَيْضاً ، عِنْدَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَالْإِمَامِ الْأَشْعَرِيِّ ؛ فَإِنَّ التَّكْلِيفَ الْإِلٰهِيَّ ، يَكُونُ بِالْإِرْسَالِ ؛ وَالْإِرْسَالُ يَتَقَرَّرُ التَّكْلِيفُ بِهِ ، بِالِاطِّلَاعِ عَلَيْهِ . فَإِذَا كَانَتِ الْغَفْلَةُ ، وَعُبُورُ الزَّمَانِ ، قَدْ سَتَرَا عَلٰى أَدْيَانِ الْأَنْبِيَاءِ السَّالِفَةِ ؛ فَهِيَ لَا تَكُونُ حُجَّةً عَلٰى زَمَانِ أَهْلِ الْفَتْرَةِ ؛ فَإِنْ أَطَاعَ ، يَجِدُ الثَّوَابَ ؛ وَإِنْ لَمْ يُطِعْ ، لَا يُعَذَّبُ ؛ لِأَنَّهَا بَقِيَتْ مَخْفِيَّةً ؛ فَلَا تَكُونُ حُجَّةً . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : هَلْ جَاءَ الْأَنْبِيَاءُ ، مِنْ أَجْدَادِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهُ لَا نَصَّ قَاطِعاً ، مِنْ بَعْدِ إِسْمَاعِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . وَقَدْ جَاءَ نَبِيَّانِ فَقَطْ ، مِنْ غَيْرِ أَجْدَادِهِ ؛ وَهُمَا (خَالِدُ بْنُ سِنَانَ ، وَحَنْظَلَةُ) ؛ وَلٰكِنَّ قَوْلَ «كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ» ، مِنْ أَجْدَادِ النَّبِيِّ : (عَلٰى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقاً خَبِيرُهَا) يُشْبِهُ شِعْرُهُ هٰذَا الْمَشْهُورُ الصَّرِيحُ الْمَنْصُوصُ ، كَلَاماً عَلٰى وَجْهِ الْمُعْجِزَةِ وَالنُّبُوَّةِ . وَقَدْ قَالَ «الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ» ، مُسْتَنِداً إِلَى الدَّلِيلِ وَالْكَشْفِ : إِنَّهُ جَاءَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي بِلَادِ الْهِنْدِ ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَهُمْ ، إِمَّا لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أُمَّةٌ أَصْلاً ؛ أَوِ انْحَصَرَتْ فِي عِدَّةِ أَشْخَاصٍ مَحْدُودَةٍ ؛ فَلَمْ يَشْتَهِرُوا ؛ أَوْ لَمْ يُسَمَّوْا بِالْأَنْبِيَاءِ ؛ فَعَلٰى دُسْتُورِ «الْإِمَامِ» هٰذَا ، يُمْكِنُ وُجُودُ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، مِنْ أَجْدَادِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : أَيُّ قَوْلٍ أَقْوٰى وَأَصَحُّ ، فِي حَقِّ إِيمَانِ وَالِدِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَإِيمَانِ وَالِدَتِهِ وَجَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ «السَّعِيدَ الْجَدِيدَ» لَا يَقْتَنِي عِنْدَهُ كُتُباً أُخْرٰى ؛ وَيَقُولُ : «يَكْفِينِي الْقُرْآنُ» ؛ وَقَدْ أَصْبَحَ عَشْرَ سِنِينَ ؛ وَلَا يَسْمَحُ وَقْتِي أَنْ أُحَقِّقَ جَمِيعَ كُتُبِ الْأَحَادِيثِ ، فِي أَمْثَالِ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ الْفَرْعِيَّةِ ؛ فَأَكْتُبَ أَقْوَاهَا ؛ وَلٰكِنْ أَقُولُ هٰذَا الْقَدْرَ فَقَطْ ؛ وَهُوَ : أَنَّ وَالِدَيِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ ، وَأَصْحَابِ الْجَنَّةِ ، وَأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، لَا يُوجِعُ قَلْبَ «حَبِيبِهِ الْأَكْرَمِ» ، ذٰلِكَ الْقَلْبَ الْمُبَارَكَ ؛ وَلَا يُؤْلِمُ

شَفَقَتَهُ الْوَلَدِيَّةَ ، الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا ذٰلِكَ الْقَلْبُ . .

فَإِنْ قِيلَ : فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَلِمَاذَا لَمْ يُوَفَّقَا لِلْإِيمَانِ بِـ «**الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ**» (عليه الصلاة والسلام) ؟ وَلِمَاذَا لَمْ يُدْرِكَا بِعْثَتَهُ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، لَا يَجْعَلُ وَالِدَيْ «**حَبِيبِهِ الْأَكْرَمِ**» (عليه الصلاة والسلام) ، تَحْتَ الْمِنَّةِ ، بِكَرَمِهِ تَعَالٰى ، تَفْرِيحاً لِحِسِّهِ الْوَلَدِيِّ ؛ وَقَدِ اقْتَضَتْ رَحْمَتُهُ تَعَالٰى ، أَنْ يُرْضِيَ «**حَبِيبَهُ الْأَكْرَمَ**» ؛ وَيُسْعِدَ وَالِدَيْهِ ؛ وَيَجْعَلَهُمَا تَحْتَ مِنَّةِ رُبُوبِيَّتِهِ الْخَالِصَةِ ؛ لِئَلَّا يُنَزِّلَهُمَا مِنْ مَرْتَبَةِ الْوَالِدِيَّةِ ، إِلٰى مَرْتَبَةِ الْأَوْلَادِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يَجْعَلْ أَبَوَيْهِ وَجَدَّهُ ، أُمَّتَهُ ظَاهِراً ؛ وَلٰكِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، بِمَزِيَّةِ الْأُمَّةِ ، وَفَضِيلَتِهَا وَسَعَادَتِهَا . **نَعَمْ :** إِنَّ مُشِيراً عَالِياً ، إِذَا دَخَلَ فِي حَضْرَتِهِ ، وَالِدُهُ الَّذِي فِي رُتْبَةِ «**النَّقِيبِ**» ؛ يَقَعُ تَحْتَ تَأْثِيرِ حِسَّيْنِ مُتَضَادَّيْنِ ؛ فَلَا يُسَلِّمُ السُّلْطَانُ ، وَالِدَهُ إِلٰى مَعِيَّتِهِ ، رَحْمَةً بِمُسْتَشَارِهِ الْأَكْرَمِ ذٰلِكَ الْمُشِيرِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّامِنَةُ : ﴾ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا هُوَ الْأَصَحُّ فِي حَقِّ إِيمَانِ عَمِّهِ «**أَبِي طَالِبٍ**» ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ أَهْلَ التَّشَيُّعِ قَائِلُونَ بِإِيمَانِهِ . وَأَكْثَرُ **أَهْلِ السُّنَّةِ** لَيْسُوا قَائِلِينَ بِإِيمَانِهِ ؛ وَلٰكِنَّ الْوَارِدَ عَلٰى قَلْبِي ، هُوَ : أَنَّ «**أَبَا طَالِبٍ**» كَانَ يُحِبُّ جِدّاً ، شَخْصَ «**الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ**» (عليه الصلاة والسلام) ، وَذَاتَهُ ، لَا رِسَالَتَهُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ شَفَقَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةَ وَالْجِدِّيَّةَ لِلْغَايَةِ ، لَا تَذْهَبُ ضَائِعَةً . **نَعَمْ : إِنَّ «أَبَا طَالِبٍ» الَّذِي أَحَبَّ بِصُورَةٍ جَادَّةٍ ، «حَبِيبَهُ تَعَالَى الْأَكْرَمَ» ؛ وَحَمَاهُ وَوَالَاهُ جِدّاً ؛ لَوْ ذَهَبَ إِلٰى جَهَنَّمَ ، بِنَاءً عَلٰى أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِإِيمَانٍ مَقْبُولٍ ، لَا لِلْعِنَادِ وَالْإِنْكَارِ ، بَلْ بِنَاءً عَلٰى حِسِّيَّاتٍ مِثْلِ الْخَجَالَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ فِي جَهَنَّمَ أَيْضاً ، جَنَّةً خُصُوصِيَّةً ، مُكَافَأَةً لِحَسَنَاتِهِ . فَكَمَا أَنَّهُ تَعَالٰى يَخْلُقُ الرَّبِيعَ ، فِي الشِّتَاءِ ، فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ ؛ وَيُحَوِّلُ السِّجْنَ ، إِلَى الْقَصْرِ ، لِبَعْضِ الْأَشْخَاصِ ، بِوَاسِطَةِ النَّوْمِ فِي السِّجْنِ ؛ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَوِّلَ جَهَنَّمَهُ الْخُصُوصِيَّةَ ، إِلٰى جَنَّةٍ خَاصَّةٍ . .**

وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ؛ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

وَهُوَ تِسْعَةُ أَقْسَامٍ ..

وَهٰذَا ، هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ؛ وَهُوَ تِسْعُ نِكَاتٍ ..

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ..

أَخِي الْعَزِيزَ الصِّدِّيقَ ، وَصَاحِبِيَ الصَّمِيمَ جِدّاً ، فِي الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ! .

إِنَّكَ تَطْلُبُ فِي رِسَالَتِكَ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، الْجَوَابَ عَلٰى مَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ ، الَّذِي لَا يَسْمَحُ بِهِ وَقْتِي وَحَالِي ..

أَخِي ! لَقَدْ كَثُرَ جِدّاً ، هٰذِهِ السَّنَةَ ، الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الرَّسَائِلَ ؛ فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ؛ وَيَأْتِي إِلَيَّ التَّصْحِيحُ الثَّانِي ؛ فَأَشْتَغِلُ بِهِ ، بِوَجْهٍ سَرِيعٍ ، مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ ؛ وَيَتَأَخَّرُ كَثِيرٌ مِنْ أُمُورِيَ الْمُهِمَّةِ ؛ وَأَرٰى هٰذِهِ الْوَظِيفَةَ ، أَعْظَمَ مِنْهَا ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ الْقَلْبَ أَزْيَدُ حِصَّةً مِنَ الْعَقْلِ ، فِي (شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ) ؛ وَالرُّوحَ يَتَحَرَّكُ فِيهِمَا . فَنُؤَخِّرُ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْعَظِيمَةَ ، إِلٰى وَقْتٍ آخَرَ ؛ فَمَتٰى وَرَدَتِ السُّنُوحَاتُ ، عَلَى الْقَلْبِ ، مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ تُكْتَبُ لَكُمْ تَدْرِيجِيّاً . وَالْآنَ أُبَيِّنُ ثَلَاثَ (١) نِكَاتٍ ..

---

(١) ثُمَّ تَكَمَّلَتْ تِسْعَ نِكَاتٍ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : ﴾ أَنَّ الْفِكْرَ الَّذِي يُبَيِّنُ بِأَنَّ أَسْرَارَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، لَا تُعْلَمُ ؛ وَأَنَّ الْمُفَسِّرِينَ لَمْ يَعْلَمُوا حَقِيقَتَهُ ؛ لَهُ وَجْهَانِ ؛ وَأَنَّ الْقَائِلَ بِهِ ، فَرِيقَانِ . .

اَلْأَوَّلُ : هُمْ أَهْلُ الْحَقِّ ، وَأَهْلُ التَّدْقِيقِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ الْقُرْآنَ خَزِينَةٌ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنٰى ؛ وَإِنَّ كُلَّ عَصْرٍ ، يَأْخُذُ حَظَّهُ مِنْ حَقَائِقِهِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ قَبِيلِ التَّتِمَّاتِ ، مَعَ تَسْلِيمِ نُصُوصِهِ وَمُحْكَمَاتِهِ ، وَقَبُولِهَا ؛ وَلَا يَمَسُّ مَا بَقِيَ مَخْفِيّاً ، مِنْ حِصَّةِ غَيْرِهِ . نَعَمْ : كُلَّمَا مَضَى الزَّمَانُ ؛ يَزْدَادُ انْكِشَافُ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ . وَإِلَّا فَلَيْسَ ذٰلِكَ ، إِيرَاثَ الشُّبْهَةِ ، عَلَى الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ ، الظَّاهِرَةِ الَّتِي بَيَّنَهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ حَاشَاهَا وَكَلَّا ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهَا لَازِمٌ ؛ وَإِنَّهَا نُصُوصٌ وَأُصُولٌ وَأَرْكَانٌ قَاطِعَةٌ ؛ وَإِنَّ اللهَ تَعَالٰى يُعْلِنُ بِقَوْلِهِ : ﴿قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ : أَنَّ مَعْنَاهُ وَاضِحٌ ؛ وَإِنَّ الْخِطَابَ الْإِلٰهِيَّ ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلٰى آخِرِهِ ، يَدُورُ عَلٰى تِلْكَ الْمَعَانِي ؛ وَيُقَوِّيهَا وَيَجْعَلُهَا فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ؛ فَيَنْشَأُ عَنْ عَدَمِ قَبُولِ تِلْكَ الْمَعَانِي الْمَنْصُوصَةِ ، تَكْذِيبُ اللهِ تَعَالٰى ، وَتَزْيِيفُ فَهْمِ «صَاحِبِ الرِّسَالَةِ» ، حَاشَاهُمَا ، ثُمَّ حَاشَاهُمَا . فَإِذاً إِنَّ الْمَعَانِيَ الْمَنْصُوصَةَ ، أُخِذَتْ عَنْ مَنْبَعِ الرِّسَالَةِ مُتَسَلْسِلَةً ؛ حَتّٰى إِنَّ «ابْنَ جَرِيرِ الطَّبَرِيَّ» أَوْصَلَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ ، إِلٰى مَنْبَعِ الرِّسَالَةِ ، مُتَسَلْسِلَةً بِالْأَسَانِيدِ الْمُتَّصِلَةِ ؛ وَكَتَبَ تَفْسِيرَهُ الْكَبِيرَ الْقَيِّمَ ، عَلٰى ذٰلِكَ الْوَجْهِ . .

وَالْفَرِيقُ الثَّانِي : إِمَّا صَدِيقٌ بِلَا عَقْلٍ ، يَفْقَأُ الْعَيْنَ زَاعِماً أَنَّهُ يُحَلِّي الْحَوَاجِبَ ؛ أَوْ عَدُوٌّ عَاقِلٌ مُتَشَيْطِنٌ ، يُرِيدُ الْمُعَارَضَةَ لِلْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَيُرِيدُ أَنْ يَجِدَ الطَّرِيقَ ، بَيْنَ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، الْمُسَوَّرَةِ الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ حُصُونٍ فُولَاذِيَّةٍ ، عَلٰى حَدِّ تَعْبِيرِكَ ؛ فَيُشِيعُ أَمْثَالُ هٰؤُلَاءِ ، هٰذَا النَّوْعَ مِنَ الْأَقْوَالِ ، لِإِيرَاثِ الشُّبْهَةِ ، عَلَى الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ ، حَاشَاهَا . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، أَقْسَمَ بِأَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ ، فِي الْقُرْآنِ ؛ فَفِي الْقَسَمَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، نِكَاتٌ كَبِيرَةٌ جِدّاً ، وَأَسْرَارٌ كَثِيرَةٌ . فَمَثَلاً : إِنَّ الْقَسَمَ فِي ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ يُشِيرُ إِلٰى أَسَاسِ التَّمْثِيلِ الْمُحْتَشِمِ ، فِي الْمَقَالَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ ؛ وَيُظْهِرُ الْكَائِنَاتِ ، عَلٰى

صُورَةِ قَصْرٍ وَبَلَدٍ.. وَأَيْضاً أَنَّهُ تَعَالٰى، يُذَكِّرُ بِالْقَسَمِ فِي ﴿يٰسٓ ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞﴾، قُدُسِيَّةَ وُجُوهِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ؛ وَأَنَّهُ فِي دَرَجَةٍ مِنَ الْحُرْمَةِ؛ بِحَيْثُ يُقْسَمُ بِهِ.. وَإِنَّ الْقَسَمَ فِي ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوٰى ۞﴾ وَفِي ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۞﴾ يُشِيرُ إِلٰى أَنَّ النُّجُومَ بِسُقُوطِهَا، عَلَامَاتٌ لِانْقِطَاعِ الْأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّةِ، عَنِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ؛ لِئَلَّا تُورِثَ الشُّبْهَةَ عَلَى الْوَحْيِ؛ مَعَ أَنَّهُ يُذَكِّرُ بِذٰلِكَ الْقَسَمِ، عَظَمَةَ الْقُدْرَةِ، وَكَمَالَ الْحِكْمَةِ، فِي تَمْكِينِ النُّجُومِ فِي أَمَاكِنِهَا، وَتَدْوِيرِ السَّيَّارَاتِ، بِصُورَةٍ مُحَيِّرَةٍ، بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ، مَعَ عَظَمَتِهَا الْهَائِلَةِ.. وَإِنَّهُ يُلْفِتُ نَظَرَ الْإِمْعَانِ، بِالْقَسَمِ فِي ﴿وَالذَّارِيَاتِ.. وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، بِالْمَلَائِكَةِ الْمُوَظَّفِينَ عَلَى الرِّيَاحِ، لِتَذْكِيرِ الْحِكَمِ الْمُهِمَّةِ، فِي تَمَوُّجَاتِ الْهَوَاءِ، وَتَصْرِيفَاتِهَا، إِلٰى أَنَّ الْعَنَاصِرَ الَّتِي تُظَنُّ تَصَادُفِيَّةً، تُؤَدِّي حِكَماً لَطِيفَةً، وَوَظَائِفَ مُهِمَّةً جِدّاً؛ وَهٰكَذَا.. فَلِكُلِّ مَوْقِعٍ، نِكَاتٌ وَفَوَائِدُ مُخْتَلِفَةٌ..

وَنُشِيرُ إِلٰى نُكْتَةٍ وَاحِدَةٍ، مِنْ نِكَاتٍ كَثِيرَةٍ، فِي قَسَمِ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، إِشَارَةً إِجْمَالِيَّةً فَقَطْ، لِعَدَمِ مُسَاعَدَةِ الْوَقْتِ. وَذٰلِكَ: أَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يُذَكِّرُ بِالْقَسَمِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، عَظَمَةَ قُدْرَتِهِ، وَكَمَالَ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمَ نِعْمَتِهِ؛ فَيُحَوِّلُ وَجْهَ الْإِنْسَانِ الْهَابِطِ إِلٰى جَانِبِ الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ، عَنْ ذٰلِكَ الْجَانِبِ؛ وَيُشِيرُ أَنَّهُ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ، أَنْ يَنَالَ إِلٰى تَرَقِّيَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ، إِلٰى أَعْلٰى عِلِّيِّينَ، بِالشُّكْرِ وَالْفِكْرِ، وَبِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَسَبَبُ تَخْصِيصِ «التِّينِ وَالزَّيْتُونِ» مِنْ بَيْنِ النِّعَمِ، هُوَ كَوْنُ ذَيْنِكَ الثَّمَرَيْنِ، نَافِعَيْنِ وَمُبَارَكَيْنِ كَثِيراً، وَوُجُودُ أَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ، فِي خِلْقَتِهِمَا، مِمَّا تَكُونُ مَدَارَ الدِّقَّةِ وَالنِّعْمَةِ؛ فَإِنَّ الزَّيْتُونَ يُشَكِّلُ أَعْظَمَ أَسَاسٍ لِلْغِذَاءِ الْإِنْسَانِيِّ، وَلِلْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ وَالتَّنْوِيرِيَّةِ؛ كَمَا أَنَّ خِلْقَةَ التِّينِ تُظْهِرُ مُعْجِزَةً خَارِقَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُدْرَةِ، كَدَرْجِ جِهَازَاتِ شَجَرَةِ التِّينِ الْجَسِيمَةِ، وَحِفْظِهَا فِي نَوَاةٍ مِثْلِ ذَرَّةٍ؛ كَمَا يُذَكِّرُ بِالْقَسَمِ، النِّعْمَةَ الْإِلٰهِيَّةَ، فِي طَعْمِهَا وَنَفْعِهَا وَدَوَامِهَا خِلَافَ أَكْثَرِ الثِّمَارِ، وَفِي سَائِرِ مَنَافِعِهَا؛ وَيُلْقِي دَرْساً لِعَدَمِ إِسْقَاطِ الْإِنْسَانِ إِلٰى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَإِصْعَادِهِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، إِزَاءَ هٰذِهِ النِّعْمَةِ..

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ مَا فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ ، مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ ، رَمْزٌ إِلٰهِيٌّ ؛ فَيُلْقِي بِهَا إِلٰى عَبْدِهِ الْخَاصِّ ، بَعْضَ إِشَارَاتٍ غَيْبِيَّةٍ ؛ وَأَنَّ مِفْتَاحَ ذٰلِكَ الرَّمْزِ ، عِنْدَ ذٰلِكَ الْعَبْدِ الْخَاصِّ ، وَعِنْدَ وَرَثَتِهِ ؛ فَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، إِذَا كَانَ يُخَاطِبُ كُلَّ زَمَانٍ ، وَكُلَّ طَائِفَةٍ ، يَكُونُ لَهُ مَعَانٍ وَوُجُوهٌ مُتَنَوِّعَةٌ جِدّاً ، جَامِعَةٌ لِحِصَّةِ كُلِّ عَصْرٍ ، وَكُلِّ طَبَقَةٍ ؛ فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ ، لَهُمُ الْقِسْمُ الْأَصْفَى الَّذِي بَيَّنُوهُ . وَقَدْ وَجَدَ فِيهَا ، أَهْلُ الْوِلَايَةِ وَالتَّحْقِيقِ ، إِشَارَاتِ مُعَامَلَاتٍ غَيْبِيَّةٍ كَثِيرَةٍ ، تَعُودُ إِلَى السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ الرُّوحَانِيِّ . . وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْهَا نُبْذَةً ، فِي جِهَةِ إِعْجَازِ الْبَلَاغَةِ ، فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، فِي تَفْسِيرِ «إِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ» ؛ فَلْيُرَاجِعْ إِلَيْهِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ لَقَدْ أَثْبَتَتِ الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ : أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَرْجَمَةُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، تَرْجَمَةً حَقِيقِيَّةً ؛ وَأَيْضاً أَنَّ مَا فِي إِعْجَازِهِ ، مِنْ عُلُوِّ الْأُسْلُوبِ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَرْجَمَ ؛ وَإِنَّ بَيَانَ الذَّوْقِ الْوَارِدِ عَنْ جِهَةِ عُلُوِّ الْأُسْلُوبِ ، فِي إِعْجَازِهِ الْمَعْنَوِيِّ ، وَإِفْهَامَ حَقِيقَتِهِ ، مُشْكِلٌ جِدّاً ؛ وَلٰكِنْ نُشِيرُ إِلٰى جِهَةٍ أَوْ جِهَتَيْنِ ، لِإِرَاءَةِ الطَّرِيقِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، يُصَوِّرُ حَقِيقَةَ الْخَلَّاقِيَّةِ ؛ وَيُرِيهَا لِلْخَيَالِ ، بِآيَاتٍ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ . . وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ . . يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ . . خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ . . لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ . . يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ، فِي أُسْلُوبٍ عَالٍ ، وَجَمْعٍ مُعْجِزٍ خَارِقٍ ؛ بِحَيْثُ يُفِيدُ أَنَّ بَانِيَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَصَانِعَ الْعَالَمِ ؛ وَهُوَ مُبَاشِرٌ بِالْعَمَلِ ، بِأَيِّ مِطْرَقٍ ، يُسَمِّرُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، فِي مَكَانِهِمَا ؛ يُمَكِّنُ الذَّرَّاتِ ، بِعَيْنِ الْمِطْرَقِ ، فِي نَفْسِ الْآنِ ، فِي أَمَاكِنِهَا ، فِي أَحْدَاقِ ذَوِي الْحَيَاةِ مَثَلاً ؛ وَأَنَّهُ بِأَيِّ مِقْيَاسٍ ، وَبِأَيِّ آلَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، يُرَتِّبُ السَّمَاوَاتِ وَيَفْتَحُهَا ؛ يَفْتَحُ أَغْطِيَةَ الْعَيْنِ ؛ وَيَصْنَعُهَا وَيُرَتِّبُهَا وَيُمَكِّنُهَا ، بِعَيْنِ التَّرْتِيبِ ، فِي عَيْنِ الْآنِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الصَّانِعَ الْجَلِيلَ ، بِأَيِّ مِطْرَقٍ مَعْنَوِيٍّ ، مِنْ مِطْرَقِ الْقُدْرَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، يُسَمِّرُ النُّجُومَ ، عَلَى السَّمَاوَاتِ ؛ يُنَقِّشُ بِنَفْسِ ذٰلِكَ الْمِطْرَقِ ،

مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ نِقَاطِ الْعَلَامَاتِ الْفَارِقَةِ ، فِي سِيمَا الْبَشَرِ ؛ وَيُنَقِّشُ حَوَاسَّهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ ، فِي مَوَاضِعِهَا . فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الصَّانِعَ الْجَلِيلَ ، يُظْهِرُ الْوَحْدَانِيَّةَ ، فِي عَيْنِ الْأَحَدِيَّةِ ، وَنِهَايَةَ الْجَلَالِ ، فِي نِهَايَةِ الْجَمَالِ ، وَنِهَايَةَ الْعَظَمَةِ ، فِي نِهَايَةِ الْخَفَاءِ ، وَنِهَايَةَ الْوُسْعَةِ ، فِي نِهَايَةِ الدِّقَّةِ ، وَنِهَايَةَ الْحِشْمَةِ ، فِي نِهَايَةِ الرَّحْمَةِ ، وَنِهَايَةَ الْبُعْدِ ، فِي نِهَايَةِ الْقُرْبِ ؛ وَيُبَيِّنُ أَبْعَدَ مَرَاتِبِ جَمْعِ الْأَضْدَادِ ، الَّذِي يُعَدُّ مُحَالاً ؛ وَيُفِيدُ صُورَةً مِنْهُ ، فِي دَرَجَةِ الْوَاجِبِ ؛ وَيُثْبِتُهَا وَيُظْهِرُهَا بِأُسْلُوبٍ عَالٍ ؛ كَأَنَّهُ يَضْرِبُ بِمِطْرَقٍ ، عَلَى الذَّرَّةِ ، بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَيَضْرِبُ بِنَفْسِ ذٰلِكَ الْمِطْرَقِ ، عَلَى الشَّمْسِ ، بِكَلِمَةٍ أُخْرٰى ، مِنْ نَفْسِ الْآيَةِ ؛ فَيُسَمِّرُهَا فِي مَرْكَزِهَا ؛ وَذٰلِكَ لِيُرِيَ أَفْعَالَهُ ، لِلْعَيْنِ وَالْأُذُنِ ؛ وَهُوَ مُبَاشِرٌ بِالْعَمَلِ . فَهٰذَا الْوَجْهُ مِنْ إِفَادَتِهِ وَأُسْلُوبِهِ ، هُوَ الَّذِي أَجْبَرَ أَكْبَرَ الْأُدَبَاءِ ، عَلَى السُّجُودِ لِبَلَاغَتِهِ . .

وَكَذَا أَنَّهُ يُظْهِرُ مَا فِي سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ، مِنَ الْحِشْمَةِ ، بِآيَةِ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَآ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ مَثَلاً ، بِأُسْلُوبٍ عَالٍ هٰكَذَا ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، بِمَثَابَةِ مُعَسْكَرَيْنِ مُطِيعَيْنِ ، وَعَلٰى صُورَةِ مَرْكَزِ جَيْشَيْنِ مُنْتَظِمَيْنِ ، تُلَبِّي الْمَوْجُودَاتُ النَّائِمَةُ فِي غِطَاءِ الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ ، فِي ذَيْنِكَ الْمُعَسْكَرَيْنِ ، بِأَمْرٍ وَاحِدٍ ، أَوْ بِإِشَارَةٍ وَاحِدَةٍ كَالصُّورِ ، تُلَبِّي لِذٰلِكَ الْأَمْرِ ، بِكَمَالِ السُّرْعَةِ وَالْإِطَاعَةِ ؛ فَتَخْرُجُ إِلٰى مَيْدَانِ الْحَشْرِ وَالِامْتِحَانِ ؛ فَيُفِيدُ الْحَشْرَ وَالْقِيَامَةَ ، بِأَيِّ أُسْلُوبٍ عَالٍ مُعْجِزٍ ؛ وَيُشِيرُ فِي الْمُدَّعٰى ، إِلٰى دَلِيلٍ إِقْنَاعِيٍّ ؛ وَذٰلِكَ : فَكَمَا أَنَّ الْبُذُورَ الَّتِي اخْتَفَتْ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ ؛ وَكَأَنَّهَا مَاتَتْ ؛ وَأَنَّ الْقَطَرَاتِ الَّتِي انْتَشَرَتْ وَاخْتَفَتْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ، وَفِي الْعَدَمِ ، وَكُرَةِ الْهَوَاءِ ، تُحْشَرُ بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالسُّرْعَةِ ؛ وَتَخْرُجُ إِلٰى مَيْدَانِ التَّجْرِبَةِ وَالِامْتِحَانِ ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ؛ وَتَتَّخِذُ الْحُبُوبَاتُ فِي الْأَرْضِ ؛ وَالْقَطَرَاتُ فِي السَّمَاءِ ، صُورَةَ مِثَالِ مَحْشَرٍ ، كُلَّ وَقْتٍ ، بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْحَشْرَ الْأَكْبَرَ ، يَظْهَرُ هَيِّناً كَذٰلِكَ ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ تَرَوْنَ هٰذَا الْحَشْرَ ؛ فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُنْكِرُوا ذٰلِكَ الْحَشْرَ أَيْضاً ؛ وَهٰكَذَا ؛ فَلَكُمْ أَنْ تَقِيسُوا عَلٰى هٰذِهِ الْآيَاتِ ، مَا فِي سَائِرِ الْآيَاتِ ، مِنْ دَرَجَةِ الْبَلَاغَةِ . .

فَيَا عَجَباً ! هَلْ يُمْكِنُ تَرْجَمَةُ الْآيَاتِ الَّتِي عَلَىٰ هٰذَا الْوَجْهِ ، تَرْجَمَةً حَقِيقِيَّةً ؟ وَلَا شَكَّ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُمْكِنَةً ؛ فَإِنْ كَانَتْ ؛ فَإِمَّا تَكُونُ مَآلاً إِجْمَالِيّاً مُخْتَصَراً ؛ أَوْ يَلْزَمُ لِكُلِّ جُمْلَةٍ مِنَ الْآيَةِ ، خَمْسَةُ أَسْطُرٍ أَوْ سِتَّةٌ ، مِنَ التَّفْسِيرِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ (الْحَمْدُ لِلّٰهِ) مَثَلاً ، جُمْلَةٌ قُرْآنِيَّةٌ ؛ وَأَنَّ أَقْصَرَ مَعْنًى هٰذِهِ الْجُمْلَةِ ، مِمَّا تَقْتَضِيهِ قَوَاعِدُ عِلْمَيِ «النَّحْوِ وَالْبَيَانِ» ، هُوَ : «أَنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْحَمْدِ ، مِنْ أَيِّ حَامِدٍ صَدَرَ ؛ وَعَلَىٰ أَيِّ مَحْمُودٍ وَقَعَ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ ، خَاصٌّ وَمُسْتَحَقٌّ لِلذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، الْمُسَمَّى بِاللّٰهِ» ؛ يَعْنِي : مَاذَا وُجِدَ مِنَ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ ، مِنْ أَيٍّ صَدَرَ ، وَعَلَىٰ مَنْ كَانَ ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ ؛ فَهُوَ خَاصٌّ وَلَائِقٌ بِذٰلِكَ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ : «اللّٰهُ» ؛ فَقَوْلُنَا (كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْحَمْدِ) ، يَخْرُجُ عَنْ «أَلِ» الِاسْتِغْرَاقِ ؛ وَقَيْدُ (مِنْ أَيِّ حَامِدٍ كَانَ) ، صَدَرَ عَنْ كَوْنِ الْحَمْدِ مَصْدَراً ؛ لِأَنَّهُ يُفِيدُ الْعُمُومَ ، فِي مِثْلِ هٰذَا الْمَقَامِ ، لِتَرْكِ فَاعِلِهِ ؛ وَيُفِيدُ أَيْضاً قَيْدَ (عَلَىٰ أَيِّ مَحْمُودٍ وَقَعَ) لِإِفَادَتِهِ الْعُمُومَ وَالْكُلِّيَّةَ ، فِي تَرْكِ الْمَفْعُولِ ، فِي الْمَقَامِ الْخِطَابِيِّ أَيْضاً ؛ وَأَمَّا قَيْدُ (مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ) ، فَإِنَّ قَاعِدَةَ الِانْتِقَالِ مِنَ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ ، إِلَى الْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ ، تَدُلُّ عَلَى الثَّبَاتِ وَالدَّوَامِ ؛ فَتُفِيدُ ذٰلِكَ الْمَعْنَىٰ ؛ وَإِنَّ لَامَ الْجَرِّ فِي «لِلّٰهِ» تُفِيدُ مَعْنَىٰ (خَاصٌّ وَمُسْتَحَقٌّ) لِأَنَّ تِلْكَ اللَّامَ ، هِيَ لِلِاخْتِصَاصِ وَالِاسْتِحْقَاقِ ؛ وَأَمَّا قَيْدُ (الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ) ، فَإِنَّ لَفْظَ (اللّٰهِ) يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلَالَةً الْتِزَامِيَّةً ، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ جَامِعٌ لِسَائِرِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ؛ وَأَنَّهُ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ ؛ كَمَا يَدُلُّ عَلَىٰ عُنْوَانِ (الْوَاجِبِ الْوُجُودِ) أَيْضاً ، بِتِلْكَ الدَّلَالَةِ الِالْتِزَامِيَّةِ ؛ لِأَنَّ وُجُوبَ الْوُجُودِ ، لَازِمٌ ضَرُورِيٌّ لِلْأُلُوهِيَّةِ ، وَعُنْوَانٌ لِمُلَاحَظَةِ «الذَّاتِ ذِي الْجَلَالِ» . .

هٰذَا ؛ فَإِذَا كَانَ مَعْنًى ظَاهِرٌ ، وَمُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لَدَىٰ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ ، لِجُمْلَةِ (الْحَمْدُ لِلّٰهِ) ، هٰكَذَا ؛ فَكَيْفَ يُتَرْجَمُ الْقُرْآنُ ، إِلَىٰ لِسَانٍ آخَرَ ، وَبِإِيجَازٍ وَقُوَّةٍ ؟ وَأَيْضاً أَنَّ بَيْنَ أَلْسِنَةِ الْعَالَمِ ، لِسَاناً وَاحِداً نَحْوِيّاً ، غَيْرَ «اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ النَّحْوِيِّ» ؛ وَهُوَ لَا يُدْرِكُ جَمْعَ «لِسَانِ الْعَرَبِ» أَبَداً . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِنَّ الْكَلِمَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي صُورَةٍ مُعْجِزَةٍ ، بِذٰلِكَ اللِّسَانِ النَّحْوِيِّ الْجَامِعِ الْمُعْجِزِ ، وَبَيْنَ عِلْمٍ مُحِيطٍ ، يَعْلَمُ كُلَّ الْجِهَاتِ ؛ وَيُدِيرُهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً ، كَيْفَ تَسُدُّ مَسَدَّ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمُقَدَّسَةِ ، كَلِمَاتُ بَعْضِ النَّاسِ ، مِمَّنْ ذِهْنُهُ جُزْئِيٌّ ؛ وَشُعُورُهُ قَاصِرٌ ؛ وَفِكْرُهُ مُشَوَّشٌ ؛ وَقَلْبُهُ مُظْلِمٌ ، الْمُتَرْجَمَةُ بِوَاسِطَةِ سَائِرِ الْأَلْسِنَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَالتَّصْرِيفِيَّةِ ؟ حَتّٰى إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ ؛ بَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُثْبِتَ : أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، يَصِيرُ بِمَثَابَةِ خَزِينَةٍ لِلْحَقَائِقِ ؛ فَقَدْ يُدَرِّسُ حَرْفٌ وَاحِدٌ فَقَطْ ، مِقْدَارَ صَحِيفَةٍ مِنَ الْحَقَائِقِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ أَنِّي أَذْكُرُ لِتَنْوِيرِ هٰذَا الْمَعْنٰى ، حَالاً نُورَانِيّاً ، وَخَيَالاً حَقِيقِيّاً ، مَضٰى عَلَيَّ ؛ وَذٰلِكَ : أَنِّي تَصَوَّرْتُ فِي وَقْتٍ مَّا ، نُونَ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ الْغَيْرِ ، فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؛ فَتَحَرّٰى قَلْبِي ، سَبَبَ الِانْتِقَالِ مِنْ صِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَحْدَهُ ، إِلٰى صِيغَةِ (نَعْبُدُ) الْمُتَكَلِّمِ مَعَ الْغَيْرِ ؛ فَانْكَشَفَ فَجْأَةً ، مِنْ ذٰلِكَ النُّونِ ، سِرُّ الْجَمَاعَةِ ، وَفَضِيلَتُهَا فِي الصَّلَاةِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ اشْتِرَاكِي مَعَ الْجَمَاعَةِ ، فِي جَامِعِ «بَايَزِيدَ» الَّذِي أُصَلِّي فِيهِ ؛ وَكُلَّ فَرْدٍ مِنْهَا ، يَكُونُ بِمَثَابَةِ شَفِيعٍ لِي ؛ وَرَأَيْتُهُمْ شُهَدَاءَ وَمُؤَيِّدِينَ لِمَا أُظْهِرُهَا فِي قِرَاءَتِي ، مِنَ الْأَحْكَامِ وَالدَّعَاوٰى ؛ فَحَصَلَتِ الْجَسَارَةُ عَلٰى تَقْدِيمِ عِبَادَتِيَ النَّاقِصَةِ ، عَلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، بَيْنَ عِبَادَاتِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ ، عِبَادَاتِهَا الْعَظِيمَةِ الْكَثِيرَةِ ؛ وَانْكَشَفَ فَجْأَةً حِجَابٌ آخَرُ ؛ يَعْنِي : أَنَّ جَمِيعَ مَسَاجِدِ «إِسْطَنْبُولَ» اتَّصَلَتْ ؛ وَصَارَتْ تِلْكَ الْمَدِينَةُ ، بِمَثَابَةِ جَامِعِ «بَايَزِيدَ» ذٰلِكَ ؛ فَإِذَا بِي شَعَرْتُ بِنَوْعٍ مَظْهَرِيَّةٍ لِتَصْدِيقِهِمْ وَدَعَوَاتِهِمْ ؛ وَفِي ذٰلِكَ الْحَالِ أَيْضاً ، رَأَيْتُ نَفْسِي ، بَيْنَ صُفُوفٍ دَائِرِيَّةٍ حَوْلَ «الْكَعْبَةِ الْمُكَرَّمَةِ» فِي مَسْجِدِ «سَطْحِ الْأَرْضِ» ؛ فَقُلْتُ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَنَّ لِي هٰذَا الْمِقْدَارَ مِنَ الشُّفَعَاءِ ؛ يَذْكُرُونَ نَفْسَ مَا أَقُولُهُ فِي الصَّلَاةِ ، مِنْ كُلِّ قَوْلٍ ؛ وَيُصَدِّقُونَهَا» ؛ وَلَمَّا قُلْتُ : إِنَّهُ إِذَا انْفَتَحَ هٰذَا الْحِجَابُ خَيَالِيّاً ، وَصَارَتِ «الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ» بِمَثَابَةِ الْمِحْرَابِ ؛ أَسْتَفِيدُ مِنْ هٰذِهِ الْفُرْصَةِ ؛ فَأَسْتَشْهِدُ تِلْكَ الصُّفُوفَ ؛ وَأُودِعُ تَرْجُمَانَ الْإِيمَانِ ، الَّذِي أَذْكُرُهُ فِي التَّشَهُّدِ ، بِقَوْلِي : ﴿أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلٰهَ

إِلَّا اللهُ ﴾ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ﴾ ، إِلَى «الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ» الْمُبَارَكِ ؛ وَأَتْرُكُهُ أَمَانَةً عِنْدَهُ ؛ إِذَا بِكَيْفِيَّةٍ أُخْرَى انْفَتَحَتْ لِي ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الْجَمَاعَةَ الَّتِي دَخَلْتُهَا ، تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثِ دَوَائِرَ . .

اَلدَّائِرَةُ الْأُولٰى : هِيَ الْجَمَاعَةُ الْعُظْمٰى لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُوَحِّدِينَ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ . .

وَالدَّائِرَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ جَمَاعَةُ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي رَأَيْتُهَا فِي صَلَاةٍ كُبْرٰى ، وَتَسْبِيحَاتٍ عُظْمٰى ؛ وَكُلُّ طَائِفَةٍ مُشْتَغِلَةٌ بِمَا يَخُصُّهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْبِيحَاتِ ؛ وَأَنَا بَيْنَهَا ؛ وَرَأَيْتُ أَنَّ الْخِدَمَاتِ الْمَشْهُودَةَ الْمُعَبَّرَ عَنْهَا بِوَظَائِفِ الْأَشْيَاءِ ، هِيَ عَنَاوِينُ عِبَادَاتِهَا ؛ فَأَحْنَيْتُ رَأْسِي قَائِلاً : (اللهُ أَكْبَرُ) ؛ وَنَظَرْتُ إِلٰى نَفْسِي ، فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ؛ فَرَأَيْتُ فِي دَائِرَةٍ ثَالِثَةٍ ، عَالَماً مُحَيِّرًا صَغِيراً حَسَبَ الظَّاهِرِ وَالْكَيْفِيَّةِ ، كَبِيراً حَسَبَ الْحَقِيقَةِ وَالْوَظِيفَةِ وَالْكَمِّيَّةِ ؛ وَرَأَيْتُ جَمَاعَةً مُشْتَغِلَةً بِوَظِيفَةِ الشُّكْرِ وَالْعُبُودِيَّةِ ، طَائِفَةً فَطَائِفَةً ، مِنْ ذَرَّاتِ بَدَنِي ، إِلٰى حَوَاسِّيَ الظَّاهِرَةِ ؛ فَفِي هٰذِهِ الدَّائِرَةِ ، تَقُولُ «لَطِيفَتِي الرَّبَّانِيَّةُ» الَّتِي فِي قَلْبِي ، بِاسْمِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؛ كَمَا كَانَ لِسَانِي قَالَ كَذٰلِكَ ، فِي الْجَمَاعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ ، نَاوِياً تَيْنِكَ الْجَمَاعَتَيْنِ الْعُظْمَيَيْنِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ نُونَ (نَعْبُدُ) تُشِيرُ إِلٰى هٰذِهِ الْجَمَاعَاتِ الثَّلَاثِ . هٰذَا ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ ، إِذَا بِـ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» تَرْجُمَانِ «الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» ، وَمُبَلِّغِهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، قَدْ تَمَثَّلَتْ شَخْصِيَّتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ بِحِشْمَتِهَا ، عَلٰى مِنْبَرِهِ الْمَعْنَوِيِّ الْمُسَمّٰى بِـ «الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ» ؛ فَسَمِعْتُ أَنَا مَعْنًى ، كَكُلِّ أَحَدٍ ، خِطَابَهُ بِـ ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ؛ وَتَخَيَّلْتُ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ فِي تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ الثَّلَاثِ ، يُقَابِلُهُ بِـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ؛ فَتَظَاهَرَتْ لِفِكْرِي ، بِقَاعِدَةِ (إِذَا ثَبَتَ الشَّيْءُ ؛ ثَبَتَ بِلَوَازِمِهِ) حَقِيقَةٌ هٰكَذَا ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّهُ لَمَّا كَانَ رَبُّ جَمِيعِ الْعَوَالِمِ ، يَتَّخِذُ النَّاسَ مُخَاطَبِينَ لَهُ ؛ فَيَتَكَلَّمُ مَعَ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَكَانَ هٰذَا «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) يُبَلِّغُ خِطَابَ الْعِزَّةِ ذٰلِكَ ، إِلٰى نَوْعِ الْبَشَرِ ، بَلْ إِلٰى جَمِيعِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، وَذَوِي الشُّعُورِ ؛ صَارَتْ جَمِيعُ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ، فِي حُكْمِ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ؛

وَصَارَ جَمِيعُ نَوْعِ الْبَشَرِ ، فِي شَكْلِ جَمَاعَةٍ مُخْتَلِفَةِ الصُّفُوفِ ، فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ؛ فَيُورِدُ ذٰلِكَ الْخِطَابُ ، عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الصُّورَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ رَأَيْتُ كُلَّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، بَيْنَ نُورٍ مُشْرِقٍ وَلَامِعٍ جِدّاً ، مِنْ نُورِ الْإِعْجَازِ ، وَبَيْنَ قُوَّةٍ وَرِفْعَةٍ ، وَجَزَالَةٍ وَبَلَاغَةٍ ، تَسْتَفِيدُهَا مِنْ مَقَامٍ وَاسِعٍ مُحْتَشِمٍ لِلْغَايَةِ ، مِنْ مُخَاطَبِيهَا الْكَثِيرِينَ الْمُخْتَلِفِينَ الْقَيِّمِينَ ، وَمِنَ الْمُتَكَلِّمِ الْأَزَلِيِّ صَاحِبِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَمِنْ تَرْجُمَانِهَا الْعَالِي الشَّأْنِ ، صَاحِبِ مَقَامِ «الْمَحْبُوبِيَّةِ الْعُظْمٰى» ؛ فَحِينَئِذٍ لَيْسَ عُمُومُ الْقُرْآنِ ، أَوْ سُورَةٌ ، أَوْ آيَةٌ مِنْهُ ، بَلْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُ ، صَارَتْ بِمَثَابَةِ مُعْجِزَةٍ ؛ فَقُلْتُ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ» ؛ فَخَرَجْتُ عَنْ ذٰلِكَ الْخَيَالِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ ؛ كَمَا دَخَلْتُ فِي نُونِ **(نَعْبُدُ)** ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، وَكَلِمَاتِهِ ، بَلْ وَبَعْضَ حُرُوفِهِ ، كَنُونِ **(نَعْبُدُ)** ، مَفَاتِيحُ نَيِّرَةٌ ، لِحَقَائِقَ مُهِمَّةٍ ؛ وَبَعْدَمَا خَرَجَ الْقَلْبُ وَالْخَيَالُ ، عَنْ ذٰلِكَ **«النُّونِ»** ، اسْتَقْبَلَهُمَا الْعَقْلُ ؛ فَقَالَ : إِنَّنِي أَيْضاً أَطْلُبُ الْحِصَّةَ ؛ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَطِيرَ مِثْلَكُمَا ؛ وَإِنَّ رِجْلَيَّ الدَّلِيلُ وَالْحُجَّةُ ؛ فَيَلْزَمُ إِرَاءَةُ الطَّرِيقِ الْوَاصِلِ إِلَى الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ وَالْمُسْتَعَانِ ، فِي نَفْسِ قَوْلِهِ **(نَعْبُدُ وَنَسْتَعِينُ)** ؛ حَتّٰى أَسْتَطِيعَ أَنْ أَجِيءَ مَعَكُمَا ؛ فَحِينَئِذٍ وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ : أَنْ قُلْ لِذٰلِكَ الْعَقْلِ الْمُتَحَيِّرِ : «انْظُرْ إِلٰى مَا فِي الْكَائِنَاتِ ، مِنْ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، حَيَّةً كَانَتْ أَوْ جَامِدَةً ؛ فَإِنَّ لَهَا عُبُودِيَّةً عَلٰى صُورَةِ الْوَظِيفَةِ ، بِكَمَالِ الْإِطَاعَةِ وَالِانْتِظَامِ ؛ فَإِنَّ قِسْماً مِنْهَا ، لَا شُعُورَ وَلَا حِسَّ لَهَا ؛ مَعَ أَنَّهَا تُؤَدِّي وَظَائِفَ شُعُورِيَّةً مُنْتَظِمَةً ، عَلٰى وَجْهِ الْعِبَادَةِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ يُوجَدُ مَعْبُودٌ حَقٌّ ، وَآمِرٌ مُطْلَقٌ ، يَسُوقُ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَيَسْتَخْدِمُهَا ؛ وَانْظُرْ أَيْضاً إِلٰى جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، لَاسِيَّمَا ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ؛ فَإِنَّ لِكُلٍّ مِنْهَا ، حَاجَاتٍ مُتَنَوِّعَةً جِدّاً ، وَكَثِيرَةً لِلْغَايَةِ ، وَمَطَالِبَ مُخْتَلِفَةً كَثِيرَةً جِدّاً ، لَازِمَةً لِوُجُودِهَا وَبَقَائِهَا ؛ وَلَا تَنَالُ أَيْدِيهَا ؛ وَلَا تَصِلُ قُدْرَتُهَا ، إِلٰى أَصْغَرِهَا ؛ مَعَ أَنَّ تِلْكَ الْمَطَالِبَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، تُعْطٰى لِأَيْدِيهَا ، مُنْتَظِمَةً ، فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ، مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ ؛ وَيُرٰى ذٰلِكَ بِالْمُشَاهَدَةِ . فَهٰذِهِ الِافْتِقَارَاتُ وَالِاحْتِيَاجَاتُ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، لِهٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَهٰذِهِ الْإِعَانَاتُ الْغَيْبِيَّةُ ، وَالْإِمْدَادَاتُ

الرَّحْمانِيَّةِ فوْقَ العَادَةِ ، تدُلُّ على أَنَّ لَهَا ، حامِياً وَرازِقاً ، غَنِيّاً مُطْلَقاً ، وَكَرِيماً مُطْلَقاً ، وَقَدِيراً مُطْلَقاً ؛ فَيَسْتَعِينُ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ ؛ وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُ كُلُّ ذِي حَيَاةٍ ؛ وَيَقُولُ مَعْنًى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ؛ فَحِينَئِذٍ قَالَ الْعَقْلُ : آمَنَّا وَصَدَّقْنَا . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ ثُمَّ إِنِّي لَمَّا قُلْتُ فِي ذٰلِكَ الْحَالِ : ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ؛ نَظَرْتُ إِلَى جَانِبِ الْمَاضِي ؛ فَرَأَيْتُ قَوَافِلَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ، وَالشُّهَدَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، النَّيِّرَةَ الْمُشْرِقَةَ لِلْغَايَةِ ، بَيْنَ رَكْبِ الْبَشَرِ الَّذِي يَرْتَحِلُ ذَاهِباً إِلَى جَانِبِ الْمَاضِي ؛ رَأَيْتُهَا تُفَرِّقُ ظُلُمَاتِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَيَذْهَبُونَ فِي جَادَّةٍ مُسْتَقِيمَةٍ كُبْرَى ، فِي الطَّرِيقِ الذَّاهِبِ إِلَى الْأَبَدِ ؛ وَهٰذِهِ الْجُمْلَةُ تُرِينِي الطَّرِيقَ لِلِالْتِحَاقِ بِتِلْكَ الْقَافِلَةِ ؛ بَلْ تُلْحِقُنِي بِهَا ؛ فَقُلْتُ فَجْأَةً : «فَسُبْحَانَ اللهِ ! مَنْ كَانَ لَهُ ذَرَّةٌ مِنَ الشُّعُورِ ، يَلْزَمُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ تَرْكَ الِالْتِحَاقِ بِهٰذِهِ الْقَافِلَةِ الْعُظْمَى النَّيِّرَةِ الرَّاحِلَةِ بِكَمَالِ السَّلَامَةِ ، وَالْمُنَوِّرَةِ لِظُلُمَاتِ الْمُسْتَقْبَلِ ، أَيُّ خَسَارٍ وَهَلَاكٍ» . فَيَا عَجَباً ! إِنَّ مَنْ يَنْحَرِفُ عَنْ تِلْكَ الْقَافِلَةِ الْعُظْمَى ، بِإِيجَادِ الْبِدَعِ ، مِنْ أَيْنَ يَجِدُ النُّورَ ؛ وَمِنْ أَيِّ طَرِيقٍ يَذْهَبُ ؟ وَلَقَدْ قَالَ مُرْشِدُنَا «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : ﴿كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ؛ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ﴾ ؛ فَيَا عَجَباً ! إِنَّ بَعْضَ أَشْقِيَاءَ يَلِيقُونَ بِتَعْبِيرِ «عُلَمَاءِ السُّوءِ» ، أَيَّ مَصْلَحَةٍ يَجِدُونَ ؛ وَبِأَيِّ فَتْوَى يُفْتُونَ ، أَمَامَ هٰذَا الْحَدِيثِ الْقَطْعِيِّ ؟ فَيُعَارِضُونَ بَدِيهِيَّاتِ الشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، بِصُورَةٍ ضَارَّةٍ غَيْرِ لَازِمَةٍ ؛ وَيَرَوْنَهَا قَابِلَةً لِلتَّبْدِيلِ ؛ فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ ؛ فَإِنَّ انْتِبَاهاً مُؤَقَّتاً ، نَاشِئاً عَنْ جِلْوَةٍ مُؤَقَّتَةٍ ، مِنَ الْمَعْنَى ، غَرَّ الْعُلَمَاءَ السُّوءَ أُولَائِكَ . فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّهُ إِذَا سُلِخَ جِلْدُ حَيَوَانٍ أَوْ ثَمَرَةٍ ؛ يُبْدِي طَرَافَةً مُؤَقَّتَةً ؛ وَلٰكِنْ يَسْوَدُّ ذٰلِكَ اللَّحْمُ الطَّرِيفُ ، وَالثَّمَرُ اللَّطِيفُ ، فِي زَمَنٍ يَسِيرٍ ؛ وَيَتَعَفَّنَانِ تَحْتَ ذٰلِكَ الْجِلْدِ الْأَجْنَبِيِّ ، الْمُتَلَوِّثِ الْكَثِيفِ الْعَارِضِيِّ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ التَّعْبِيرَاتِ النَّبَوِيَّةَ وَالْإِلٰهِيَّةَ ، فِي الشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، بِمَثَابَةِ جِلْدٍ حَيٍّ ذِي ثَوَابٍ ؛ فَيُرَى بِدَرَجَةٍ مَّا بِسَلْخِهَا ، مَا فِي مَعَانِيهَا مِنَ النُّورَانِيَّةِ ، مُجَرَّدَةً فِي زَمَنٍ مُؤَقَّتٍ ؛ وَلٰكِنْ تَطِيرُ أَرْوَاحُ تِلْكَ الْمَعَانِي الْمُبَارَكَةِ ، كَثَمَرَةٍ انْسَلَخَتْ عَنْ جِلْدِهَا ؛ وَتَتْرُكُ جِلْدَهَا الْبَشَرِيَّ ،

فِي الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ الْمُظْلِمَةِ ؛ فَتَذْهَبُ ؛ وَيَطِيرُ النُّورُ ؛ وَيَبْقٰى دُخَانُهُ. وَمَهْمَا كَانَ..

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّامِنَةُ : ﴾ يَلْزَمُ بَيَانُ دُسْتُورٍ مِنْ دَسَاتِيرِ الْحَقِيقَةِ ، فِي حَقِّ هٰذَا الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ ؛ وَذٰلِكَ : فَكَمَا أَنَّهُ يُوجَدُ نَوْعَانِ مِنَ الْحُقُوقِ ، يُسَمّٰى أَحَدُهُمَا بِالْحُقُوقِ الشَّخْصِيَّةِ ؛ وَالْآخَرُ بِالْحُقُوقِ الْعُمُومِيَّةِ الَّتِي تُعَدُّ نَوْعاً مِنْ حُقُوقِ اللهِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ فِي الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ ، قِسْماً يَتَعَلَّقُ بِالْأَشْخَاصِ ؛ وَقِسْماً يَتَعَلَّقُ بِالْعَامَّةِ ، بِاعْتِبَارِ الْعُمُومِ ؛ وَيُعَبَّرُ عَنْهَا بِالشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَإِنَّ عُمُومَ النَّاسِ ، ذَوُو حِصَّةٍ ، فِي هٰذِهِ الشَّعَائِرِ ، بِجِهَةِ تَعَلُّقِهَا بِالْعُمُومِ ؛ فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ رِضَا الْعُمُومِ ؛ يَكُونُ التَّدَخُّلُ فِيهَا ، تَجَاوُزاً عَلٰى حُقُوقِ الْعُمُومِ ؛ وَإِنَّ أَصْغَرَ مَسْأَلَةٍ مِنْ قَبِيلِ السُّنَّةِ ، مِنْ تِلْكَ الشَّعَائِرِ ، هِيَ فِي حُكْمِ أَكْبَرِ مَسْأَلَةٍ ، فِي نَظَرِ الْأَهَمِّيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ مُبَاشَرَةً ، بِعُمُومِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ فَلْيَتَفَكَّرِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ لِقَطْعِ تِلْكَ السَّلَاسِلِ النَّيِّرَةِ الَّتِي ارْتَبَطَ بِهَا جَمِيعُ أَعَاظِمِ الْإِسْلَامِ ، مِنْ عَصْرِ السَّعَادَةِ ، إِلَى الْآنِ ، وَلِتَخْرِيبِهَا وَتَحْرِيفِهَا ، وَالَّذِينَ يُعِينُونَهُمْ : أَنَّهُمْ يَقَعُونَ فِي أَيِّ خَطَإٍ هَائِلٍ ؛ وَلْيَرْتَعِدُوا ؛ إِنْ كَانَ لَهُمْ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الشُّعُورِ..

﴿ اَلنُّكْتَةُ التَّاسِعَةُ : ﴾ أَنَّ مِنْ مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ ، قِسْماً يُقَالُ لَهُ : التَّعَبُّدِيُّ ؛ وَلَيْسَ مُتَعَلِّقاً بِمُحَاكَمَةِ الْعَقْلِ ؛ فَيُفْعَلُ لِلْأَمْرِ بِهِ ؛ وَعِلَّتُهُ الْأَمْرُ ؛ وَأَنَّ قِسْماً مِنْهَا ، يُعَبَّرُ عَنْهُ بِمَعْقُولِ الْمَعْنٰى : أَيْ أَنَّ لَهُ حِكْمَةً وَمَصْلَحَةً ، صَارَتْ مُرَجِّحَةً لِتَشْرِيعِ ذٰلِكَ الْحُكْمِ ؛ وَلٰكِنَّهَا لَيْسَتْ سَبَباً وَعِلَّةً لَهُ ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، هِيَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْإِلٰهِيَّانِ ؛ وَإِنَّ الْقِسْمَ التَّعَبُّدِيَّ مِنَ الشَّعَائِرِ ، لَا تُغَيِّرُهُ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ ؛ وَيَتَرَجَّحُ جِهَةُ التَّعَبُّدِ ؛ وَلَا يُتَدَخَّلُ فِيهِ ؛ وَلَوْ أَتَتْ مِئَةُ أَلْفِ مَصْلَحَةٍ ؛ لَمَا غَيَّرَتْهُ ؛ كَذٰلِكَ لَا يُقَالُ : إِنَّ فَوَائِدَ الشَّعَائِرِ ، هِيَ الْمَصَالِحُ الْمَعْلُومَةُ فَقَطْ ؛ وَإِنَّ الْعِلْمَ بِهَا كَذٰلِكَ ، خَطَأٌ ؛ بَلْ إِنَّ تِلْكَ الْمَصَالِحَ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ فَائِدَةً وَاحِدَةً ، مِنْ حِكَمِهَا الْكَثِيرَةِ. فَمَثَلاً : يَقُولُ أَحَدٌ : إِنَّ حِكْمَةَ الْأَذَانِ ، هِيَ دَعْوَةُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الصَّلَاةِ ؛ فَإِذاً يَكْفِي إِطْلَاقُ بُنْدُقِيَّةٍ. وَالْحَالُ : أَنَّ ذٰلِكَ الْمَجْنُونَ ، لَا يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ ، هِيَ مَصْلَحَةٌ وَاحِدَةٌ ، بَيْنَ الْآلَافِ مَصَالِحَ أَذَانِيَّةٍ ؛ فَإِنْ أَنْتَجَ صَوْتُ

الْبُنْدُقِيَّة ، تِلْكَ الْمَصْلَحَة ؛ فَيَا عَجَباً ! كَيْفَ يَسُدُّ مَسَدَّ الْأَذَانِ الَّذِي هُوَ وَاسِطَةٌ لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ ، إِزَاءَ الرُّبُوبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَلِإِعْلَانِ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ خِلْقَةِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَالنَّتِيجَةُ الْعُظْمٰى لِخِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، بِاسْمِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، أَوْ بِاسْمِ أَهْلِ ذٰلِكَ الْبَلَدِ ؟.

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ جَهَنَّمَ لَيْسَتْ بَاطِلَةً ؛ فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأُمُورِ ، تَقُولُ بِكُلِّ قُوَّتِهَا : عَاشَتْ جَهَنَّمُ ؛ وَأَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَتْ رَخِيصَةً أَيْضاً ؛ فَإِنَّهَا تَقْتَضِي ثَمَناً مُهِمّاً . .

﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴾

اَلْقِسْمُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ الرِّسَالَةُ الثَّانِيَةُ :

فِي حَقِّ «رَمَضَانَ الشَّرِيفِ» . .

وَقَدْ بُحِثَ نُبْذَةٌ ، عَنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، فِي آخِرِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُذْكَرُ بَعْضٌ مِنْ حِكَمِ «رَمَضَانَ» ، فِي هٰذَا الْقِسْمِ الثَّانِي الْبَاحِثِ عَنْ «رَمَضَانَ الشَّرِيفِ» الَّذِي هُوَ أَشْرَقُ وَأَزْيَدُ احْتِشَاماً ، بَيْنَ الشَّعَائِرِ . وَهٰذَا الْقِسْمُ الثَّانِي ، تِسْعُ نِكَاتٍ تُبَيِّنُ تِسْعَ حِكَمٍ «لِرَمَضَانَ الشَّرِيفِ» ، مِنْ حِكَمِهِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدٰى وَالْفُرْقَانِ﴾

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : ﴾ أَنَّ الصَّوْمَ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، مِنْ أَعْلٰى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ ، وَمِنْ أَعْظَمِ الشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ . فَلِلصَّوْمِ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، حِكَمٌ كَثِيرَةٌ تَنْظُرُ إِلٰى رُبُوبِيَّةِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، وَإِلٰى حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ ، وَإِلٰى حَيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَإِلٰى تَرْبِيَةِ النَّفْسِ ، وَإِلٰى شُكْرِ نِعَمِ اللّٰهِ تَعَالٰى . .

فَإِنَّ حِكْمَةً وَاحِدَةً ، مِنْ حِكَمِ الصَّوْمِ الْكَثِيرَةِ ، فِي نُقْطَةِ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالٰى ، هِيَ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، خَلَقَ وَجْهَ الْأَرْضِ ، عَلٰى صُورَةِ مَائِدَةٍ مِنَ النِّعْمَةِ ؛ وَرَتَّبَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ النِّعَمِ ، فِي تِلْكَ الْمَائِدَةِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ ؛ فَيُفِيدُ بِتِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ ، كَمَالَ رُبُوبِيَّتِهِ وَرَحْمَانِيَّتِهِ وَرَحِيمِيَّتِهِ ؛ وَالْإِنْسَانُ لَا يَرَى تَمَاماً ، تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الَّتِي تُفِيدُهَا تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ ؛ وَقَدْ يَنْسَاهَا فِي دَائِرَةِ الْأَسْبَابِ ، تَحْتَ غِطَاءِ الْغَفْلَةِ . فَفِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، يَصِيرُ أَهْلُ الْإِيمَانِ دَفْعَةً ، فِي حُكْمِ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ ؛ فَيُظْهِرُونَ طَوْراً عَلٰى وَجْهِ الْعُبُودِيَّةِ ؛ كَأَنَّهُمْ دُعُوا إِلٰى ضِيَافَةِ السُّلْطَانِ الْأَزَلِيِّ ؛ فَيَنْتَظِرُونَ قُبَيْلَ الْمَغْرِبِ ، الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ : «تَفَضَّلُوا» ؛ فَيَسْتَقْبِلُونَ تِلْكَ الرَّحْمَانِيَّةَ الْكُلِّيَّةَ الْمُحْتَشِمَةَ الْمُشْفِقَةَ ، بِعُبُودِيَّةٍ وَاسِعَةٍ عَظِيمَةٍ مُنْتَظِمَةٍ . .

فَيَا عَجَباً ! هَلْ يَلِيقُ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَشْتَرِكُ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْعُبُودِيَّةِ الْعَالِيَةِ ، وَشَرَفِ الْكَرَامَةِ ، أَنْ يُسَمّٰى بِاسْمِ الْإِنْسَانِ ؟ .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ حِكْمَةً وَاحِدَةً لِصَوْمِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ ، مِنْ حِكَمِهِ الْكَثِيرَةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَنْظُرُ إِلٰى شُكْرِ نِعَمِ اللهِ تَعَالٰى ، هِيَ : أَنَّ الْأَطْعِمَةَ الَّتِي يَأْتِي بِهَا خَادِمٌ ، مِنْ مَطْبَخِ السُّلْطَانِ ، تَقْتَضِي ثَمَناً ؛ فَإِذَا أَعْطَى الْهَدِيَّةَ لِلْخَادِمِ ؛ وَظَنَّ تِلْكَ النِّعَمَ الْقَيِّمَةَ ، بِدُونِ قِيمَةٍ ؛ وَلَمْ يَعْرِفْ مُنْعِمَهَا ؛ يَكُونُ ذٰلِكَ بَلَاهَةً فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي الْمَقَالَةِ الْأُولٰى ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، نَشَرَ لِنَوْعِ الْبَشَرِ ، مَا لَا حَدَّ لَهُ ، مِنْ أَنْوَاعِ نِعَمِهِ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَيَطْلُبُ الشُّكْرَ إِزَاءَ ذٰلِكَ ، ثَمَناً لِتِلْكَ النِّعَمِ ؛ وَإِنَّ أَصْحَابَ تِلْكَ النِّعَمِ ، وَأَسْبَابَهَا الظَّاهِرَةَ ، هُمْ فِي حُكْمِ الْخُدَّامِ ؛ فَنُعْطِيهِمْ ثَمَناً ؛ وَنَمْتَنُّ لَهُمْ ؛ حَتّٰى إِنَّنَا نَحْتَرِمُهُمْ ؛ وَنَشْكُرُ لَهُمْ ، أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّونَهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْمُنْعِمَ الْحَقِيقِيَّ ، أَلْيَقُ بِالشُّكْرِ ، مِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ ، فِي دَرَجَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ النِّعْمَةِ ؛ هٰذَا ؛ فَالشُّكْرُ لَهُ تَعَالٰى ، إِنَّمَا يَحْصُلُ بِأَنْ يَعْلَمَ تِلْكَ النِّعَمَ مِنْهُ مُبَاشَرَةً ؛ وَأَنْ يَقْدِرَ قَدْرَهَا ؛ وَيُحِسَّ بِاحْتِيَاجِهِ إِلَيْهَا . فَالصَّوْمُ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، مِفْتَاحُ شُكْرٍ حَقِيقِيٍّ وَعُمُومِيٍّ ، خَالِصٍ وَعَظِيمٍ ؛ لِأَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَيْسُوا تَحْتَ الْإِجْبَارِ ، فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، لَا يُدْرِكُونَ قِيمَةَ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ ، حِينَ لَا يُحِسُّونَ بِالْجُوعِ

الْحَقِيقِيِّ . فَلا تُفْهَمُ دَرَجَةُ النِّعْمَةِ ، فِي كَسْرَةِ الْخُبْزِ الْيَابِسِ ، لِلشِّبَاعِ ، لاسِيَّمَا إِذَا كَانُوا أَغْنِيَاءَ ؛ مَعَ أَنَّ ذٰلِكَ الْخُبْزَ الْيَابِسَ ، نِعْمَةٌ إِلٰهِيَّةٌ قَيِّمَةٌ جِدّاً ، حِينَ الْإِفْطَارِ ، فِي نَظَرِ مُؤْمِنٍ صَائِمٍ ؛ يَشْهَدُ بِذٰلِكَ قُوَّتُهُ الذَّائِقَةُ ؛ فَكُلُّ أَحَدٍ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَى الْفَقِيرِ ، يَفْهَمُ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، قِيمَةَ تِلْكَ النِّعَمِ ؛ فَبِذٰلِكَ يَصِيرُ مَظْهَراً لِشُكْرٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ وَكَذَا يَقُولُ بِجِهَةِ إِمْسَاكِهِ عَنِ الطَّعَامِ ، فِي النَّهَارِ : «إِنَّ تِلْكَ النِّعَمَ لَيْسَتْ مُلْكِي ؛ وَإِنِّي لَسْتُ حُرّاً فِي تَنَاوُلِ هٰذِهِ النِّعَمِ ؛ فَإِذاً إِنَّهَا مُلْكُ الْغَيْرِ وَإِنْعَامُهُ ؛ فَأَنْتَظِرُ أَمْرَهُ» ؛ فَيَعْلَمُ النِّعْمَةَ نِعْمَةً ؛ وَيَشْكُرُ شُكْراً مَعْنَوِيّاً ؛ فَبِهٰذِهِ الصُّورَةِ يَصِيرُ الصَّوْمُ فِي حُكْمِ مِفْتَاحِ الشُّكْرِ الَّذِي هُوَ الْوَظِيفَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ ، بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ حِكْمَةً وَاحِدَةً ، مِنْ حِكَمِ الصَّوْمِ الْكَثِيرَةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، هِيَ : أَنَّ النَّاسَ خُلِقُوا عَلٰى صُوَرٍ شَتّٰى ، فِي جِهَةِ الْمَعِيشَةِ ؛ فَاللّٰهُ تَعَالٰى ، يَدْعُو الْأَغْنِيَاءَ ، إِلٰى مُعَاوَنَةِ الْفُقَرَاءِ ، بِنَاءً عَلٰى ذٰلِكَ الاخْتِلافِ ؛ مَعَ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ إِنَّمَا يُحِسُّونَ بِأَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ ، وَمَجَاعَتِهِمُ الْأَلِيمَةِ الْمَرِيرَةِ ، حِسّاً تَامّاً ، بِالْجُوعِ فِي الصَّوْمِ . فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الصَّوْمُ ؛ يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْ عُبَّادِ النَّفْسِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ، لا يُدْرِكُ مِقْدَارَ أَلَمِ الْجُوعِ وَالْفَقْرِ ، وَمَدَى احْتِيَاجِهِمْ إِلَى الشَّفَقَةِ . فَالشَّفَقَةُ فِي هٰذِهِ الْجِهَةِ ، لِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ ، أَسَاسٌ لِلشُّكْرِ الْحَقِيقِيِّ ؛ وَإِنَّ أَيَّ فَرْدٍ كَانَ ، يَجِدُ أَفْقَرَ مِنْهُ ، فِي جِهَةٍ مَّا ؛ فَهُوَ مُكَلَّفٌ بِالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ ؛ فَلَوْلا إِجْبَارُهُ نَفْسَهُ ، عَلٰى مُقَاسَاةِ الْجُوعِ ؛ لَمَا فَعَلَ الْإِحْسَانَ وَالْعَوْنَ الْمُكَلَّفَ بِهِمَا ، بِسَبَبِ الشَّفَقَةِ . وَإِذَا فَعَلَهُ ؛ لا يَفْعَلُهُ تَامّاً ؛ لِأَنَّهُ لا يُحِسُّ بِتِلْكَ الْحَالَةِ ، فِي نَفْسِهِ ، حَقِيقِيّاً . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ حِكْمَةً وَاحِدَةً ، مِنَ الْحِكَمِ الْكَثِيرَةِ لِلصَّوْمِ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، فِي جِهَةِ نَظَرِهِ إِلٰى تَرْبِيَةِ النَّفْسِ ، هِيَ : أَنَّ النَّفْسَ تُرِيدُ نَفْسَهَا حُرَّةً وَمُطْلَقَةً ؛ وَتَتَلَقّٰى كَذٰلِكَ ؛ حَتّٰى إِنَّهَا تَطْلُبُ حَسَبَ الْفِطْرَةِ ، رُبُوبِيَّةً مَوْهُومَةً ، وَحَرَكَةً كَيْفَمَا تَشَاءُ ؛ وَلا تُحِبُّ تَصَوُّرَ تَرْبِيَتِهَا بِنِعَمٍ لا حَدَّ لَهَا ؛ لاسِيَّمَا إِذَا كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، ثَرْوَةٌ وَقُوَّةٌ ؛ وَأَعَانَهُ

الْغَفْلَةُ أَيْضاً ؛ فَإِنَّهُ يَبْتَلِعُ نِعَمَ اللهِ تَعَالٰى ، كَالْحَيَوَانِ ، ابْتِلاعَ نَهْبٍ وَسَرِقَةٍ كُلِّيّاً . هٰذَا ؛ فَفِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، تَفْهَمُ نَفْسُ كُلِّ أَحَدٍ ، مِنَ الْأَغْنٰى إِلَى الْأَفْقَرِ : أَنَّهَا مَمْلُوكَةٌ ؛ وَلَيْسَتْ مَالِكَةً ؛ وَعَبْدٌ وَلَيْسَتْ حُرّاً ؛ وَأَنَّهُ إِذَا لَمْ تُؤْمَرْ ؛ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ أَدْنٰى شَيْءٍ وَأَهْوَنَهُ ؛ وَلَا أَنْ تَمُدَّ يَدَهَا إِلَى الْمَاءِ ؛ فَتَنْكَسِرُ رُبُوبِيَّتُهَا الْمَوْهُومَةُ ؛ وَتَتَلَبَّسُ بِالْعُبُودِيَّةِ ؛ وَتَدْخُلُ فِي الشُّكْرِ الَّذِي هُوَ وَظِيفَتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ وَاحِدَةً مِنْ حِكَمِ صَوْمِ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَنْظُرُ إِلٰى تَهْذِيبِ أَخْلَاقِ النَّفْسِ ، وَإِلٰى جِهَةِ إِعْرَاضِهَا عَنْ أَعْمَالِهَا الْجَامِحَةِ ، هِيَ : أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَنْسٰى نَفْسَهَا بِالْغَفْلَةِ ؛ فَلَا تَرٰى مَا فِي مَاهِيَّتِهَا ، مِنْ عَجْزٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ ، وَفَقْرٍ غَيْرِ مُتَنَاهٍ ؛ وَلَا تَرٰى قُصُورَهَا فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَلَا تُرِيدُ أَنْ تَرَاهَا ؛ وَلَا تَتَفَكَّرُ أَنَّهَا ضَعِيفَةٌ وَمَعْرُوضَةٌ لِلزَّوَالِ ، وَهَدَفٌ لِلْمَصَائِبِ ؛ وَأَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ يَفْسُدَانِ وَيَتَمَزَّقَانِ سَرِيعاً ؛ فَتَصُولُ عَلَى الدُّنْيَا ؛ وَتُلْقِي بِنَفْسِهَا فِيهَا ، بِحِرْصٍ وَطَمَعٍ شَدِيدٍ ، وَبِعَلَاقَةٍ وَمَحَبَّةٍ شَدِيدَةٍ ؛ وَتَتَعَلَّقُ بِكُلِّ أَشْيَاءِ ذَاتِ لَذَّةٍ وَمَنْفَعَةٍ ؛ كَأَنَّهَا تَتَخَيَّلُ نَفْسَهَا ، أَبَدِيَّةً لَا تَمُوتُ ؛ كَأَنَّ لَهَا وُجُوداً مِنَ الْفُولَاذِ ؛ وَتَنْسٰى خَالِقَهَا الَّذِي رَبَّاهَا بِكَمَالِ الشَّفَقَةِ ؛ وَلَا تَتَصَوَّرُ نَتِيجَةَ حَيَاتِهَا ، وَلَا حَيَاتَهَا الْأُخْرَوِيَّةَ ؛ فَتَتَمَرَّغُ بَيْنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ . هٰذَا ، فَالصَّوْمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، يُشْعِرُ لِأَشَدِّ الْغَافِلِينَ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، بِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ وَفَقْرِهِ ؛ فَيَتَصَوَّرُ مَعِدَتَهُ ، بِسَبَبِ الْجُوعِ ؛ وَيَفْهَمُ مَا فِي مَعِدَتِهِ مِنَ الاحْتِيَاجِ ؛ وَيَتَذَكَّرُ مَدٰى رِمَّةِ وُجُودِهِ الضَّعِيفِ ؛ وَيُدْرِكُ مِقْدَارَ احْتِيَاجِهِ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ ؛ وَيَتْرُكُ فِرْعَوْنِيَّةَ النَّفْسِ ؛ فَيَشْعُرُ بِطَلَبٍ لِلالْتِجَاءِ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، بِكَمَالِ الْعَجْزِ وَالْفَقْرِ ؛ وَيَسْتَعِدُّ لِيَقْرَعَ بَابَ الرَّحْمَةِ ، بِيَدِ شُكْرٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ إِنْ لَمْ تُفْسِدِ الْغَفْلَةُ قَلْبَهُ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ أَنَّ وَاحِدَةً مِنَ الْحِكَمِ الْكَثِيرَةِ ، لِصِيَامِ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَنْظُرُ إِلٰى نُزُولِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَفِي جِهَةِ كَوْنِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، أَهَمَّ زَمَانِ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، هِيَ : أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، نَزَلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ يَلْزَمُ

أَنْ يَتَجَرَّدَ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، عَنْ حَاجَاتٍ سُفْلِيَّةٍ لِلنَّفْسِ ، وَعَنْ حَالاَتٍ لاَ تَعْنِيهَا ؛ وَأَنْ يَتْرُكَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ فِيهِ ؛ لِيَسْتَقْبِلَ ذٰلِكَ الْخِطَابَ السَّمَاوِيَّ ، حُسْنَ اسْتِقْبَالٍ ، بِاسْتِحْضَارِ زَمَانِ نُزُولِ ذٰلِكَ الْقُرْآنِ ؛ فَبِذٰلِكَ يَصِيرُ مَظْهَراً لِحَالَةٍ قُدْسِيَّةٍ ؛ كَأَنَّهُ يَتَشَبَّهُ بِكَيْفِيَّةٍ مَلَكِيَّةٍ ؛ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ وَيَسْتَمِعُ إِلَيْهِ ؛ كَأَنَّهُ يَنْزِلُ مِنْ جَدِيدٍ ؛ وَكَأَنَّهُ يَسْتَمِعُ مَا فِيهِ مِنَ الْخِطَابَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي آنِ نُزُولِهِ ؛ وَكَأَنَّهُ يَسْمَعُ ذٰلِكَ الْخِطَابَ ، مِنَ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ، بَلْ عَنْ جِبْرِيلَ ، بَلْ عَنِ الْمُتَكَلِّمِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَيُتَرْجِمُهُ هُوَ ؛ وَيُسْمِعُهُ غَيْرَهُ ؛ وَيُظْهِرُ بِدَرَجَةٍ مَّا ، حِكْمَةَ نُزُولِ الْقُرْآنِ . نَعَمْ : إِنَّ عَالَمَ الْإِسْلاَمِ ، كَأَنَّهُ يَصِيرُ بِمَثَابَةِ مَسْجِدٍ ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، بِحَيْثُ يُسْمِعُ مَلاَيِينُ الْحُفَّاظِ ، ذٰلِكَ الْخِطَابَ السَّمَاوِيَّ ، لِلْأَرْضِيِّينَ ، فِي أَقْطَارِ ذٰلِكَ الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ ؛ فَكُلُّ شَهْرٍ مِنْ رَمَضَانَ ، يُظْهِرُ آيَةَ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ بِوَجْهٍ مُشْرِقٍ نَيِّرٍ؛ وَيُثْبِتُ أَنَّهُ شَهْرُ الْقُرْآنِ ؛ وَإِنَّ سَائِرَ أَفْرَادِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ الْعُظْمٰى ، يَسْتَمِعُ بَعْضُهُمْ إِلٰى أُولاَئِكَ الْحُفَّاظِ بِالْخُشُوعِ ؛ وَيَقْرَأُ الْآخَرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ . فَالْخُرُوجُ عَنْ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ النُّورَانِيَّةِ ، بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، تَابِعاً لِهَوَسَاتِ النَّفْسِ السُّفْلِيَّةِ ، فِي مَسْجِدٍ مُقَدَّسٍ عَلٰى كَيْفِيَّةٍ كَذٰلِكَ ، مَهْمَا كَانَ شَنِيعاً ، وَهَدَفاً لِلاِسْتِنْكَارِ الْمَعْنَوِيِّ مِنَ الْجَمَاعَةِ فِي ذٰلِكَ الْمَسْجِدِ ؛ فَكَذٰلِكَ يَكُونُ الْمُخَالِفُونَ لِأَهْلِ الصِّيَامِ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، هَدَفاً لِتَحْقِيرِ جَمِيعِ عَالَمِ الْإِسْلاَمِ ، وَلِاسْتِنْكَارِهِمُ الْمَعْنَوِيِّ ، بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ حِكْمَةً وَاحِدَةً لِصِيَامِ رَمَضَانَ ، مِنْ حِكَمِهِ الْكَثِيرَةِ ، فِي الْجِهَةِ الَّتِي تَنْظُرُ إِلٰى رِبْحِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَدِمَ لِيَزْرَعَ وَيَتَّجِرَ فِي الدُّنْيَا ، لِأَجْلِ الْآخِرَةِ ، هِيَ : أَنَّ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، أَلْفُ ثَوَابٍ ، عَلٰى عَمَلٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، عَشْرَ مَثُوبَاتٍ ؛ وَيُعَدُّ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ؛ وَيُثْمِرُ عَشْرَ ثَمَرَاتٍ مِنْ ثَمَرَاتِ الْجَنَّةِ ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ ؛ فَفِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، كُلُّ حَرْفٍ ، أَلْفُ حَسَنَةٍ ، لاَ عَشْرٌ ؛ وَكُلُّ حَرْفٍ مِنْ أَمْثَالِ (آيَةِ الْكُرْسِيِّ) ، آلاَفٌ ؛ وَفِي جُمُعَاتِ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ أَزْيَدُ ؛ وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُعَدُّ ثَلاَثِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ . .

نَعَمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ الَّذِي يُثْمِرُ كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ، ثَلاثِينَ أَلْفَ ثَمَرَةٍ بَاقِيَةٍ، يَصِيرُ فِي حُكْمِ شَجَرَةٍ نَيِّرَةٍ مِنْ شَجَرَةِ «طُوبٰى»؛ بِحَيْثُ يُرْبِحُ لِلْمُؤْمِنِينَ، مَلايِينَ ثَمَرَةٍ مِنْ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ الْبَاقِيَةِ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ..

فَتَعَالَ انْظُرْ إِلَى هٰذِهِ التِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ الْقُدُسِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ؛ وَتَفَرَّجْ عَلَيْهَا؛ وَتَفَكَّرْ وَافْهَمْ أَنَّ الَّذِينَ لا يَقْدِرُونَ قَدْرَ هٰذِهِ الْحُرُوفِ، هُمْ فِي أَيِّ خَسَارَةٍ بِلا حَدٍّ. فَرَمَضَانُ الشَّرِيفُ، كَأَنَّهُ مَشْهَرٌ وَمَعْرِضٌ رَابِحٌ غَايَةَ الرِّبْحِ، لِتِجَارَةِ الْآخِرَةِ، وَأَرْضٌ مُنْبِتَةٌ غَايَةَ الْإِنْبَاتِ، لِلْحَاصِلاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَشَهْرُ «نَيْسَانَ» فِي الرَّبِيعِ، لِنَشْءِ الْأَعْمَالِ وَنَمَائِهَا، وَبِمَثَابَةِ أَشْرَقِ عِيدٍ قُدُسِيٍّ، لِعَرْضِ الْعُبُودِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ، إِزَاءَ سَلْطَنَةِ الرُّبُوبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ؛ وَلِأَنَّهُ كَانَ كَذٰلِكَ؛ صَارَ الْإِنْسَانُ، مُكَلَّفاً بِالصَّوْمِ؛ لِئَلّا يَدْخُلَ بِالْغَفْلَةِ، فِي أَهْوَاءِ النَّفْسِ، وَمُشْتَهَيَاتِهَا الْفُضُولِيَّةِ، وَحَاجَاتِهَا الْحَيَوَانِيَّةِ، كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ؛ فَكَأَنَّهُ يَخْرُجُ مُؤَقَّتاً، عَنِ الْحَيَوَانِيَّةِ؛ فَيَدْخُلُ فِي الْكَيْفِيَّةِ الْمَلَكِيَّةِ؛ أَوْ يَدْخُلُ فِي كَيْفِيَّةِ شَخْصٍ أُخْرَوِيٍّ، وَرُوحٍ مُتَجَسِّدٍ، بِتَرْكِ حَاجَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ مُؤَقَّتاً؛ لِيَدْخُلَ فِي تِجَارَةِ الْآخِرَةِ؛ فَيَصِيرَ مِرْآةً لِلصَّمَدِيَّةِ بِصَوْمِهِ. نَعَمْ: إِنَّ رَمَضَانَ الشَّرِيفَ، يَتَضَمَّنُ عُمْراً بَاقِياً؛ وَيُكْسِبُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، فِي عُمْرٍ فَانٍ، وَفِي حَيَاةٍ قَصِيرَةٍ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ. نَعَمْ: إِنَّ رَمَضَاناً وَاحِداً، يُكْسِبُ ثَمَرَاتِ ثَمَانِينَ سَنَةً مِنَ الْعُمُرِ. وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ، حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ لِهٰذَا السِّرِّ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، بِنَصِّ الْقُرْآنِ. نَعَمْ: فَكَمَا أَنَّ سُلْطَاناً مَا، يَجْعَلُ بَعْضَ الْأَيَّامِ، عِيداً فِي مُدَّةِ سَلْطَنَتِهِ، بَلْ فِي كُلِّ سَنَةٍ، إِمَّا بِاسْمِ جُلُوسِهِ الْمَيْمُونِ، أَوْ لِمَظْهَرِيَّتِهِ لِجِلْوَةٍ مُشْرِقَةٍ أُخْرٰى، مِنْ جَلَوَاتِ سَلْطَنَتِهِ؛ فَيَجْعَلُ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ، رَعِيَّتَهُ وَمِلَّتَهُ الصَّادِقَةَ اللَّائِقَةَ، مَظْهَراً لِتَوَجُّهِهِ الْخَاصِّ مُبَاشَرَةً، وَلِإِجْرَاءَاتِهِ الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ، وَلِالْتِفَاتِهِ الْخَاصِّ، وَلِحُضُورِهِ بِلا حِجَابٍ، وَلِإِحْسَانَاتِهِ الْخُصُوصِيَّةِ، لا فِي دَائِرَةِ قَوَانِينِهِ الْعُمُومِيَّةِ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَلِكَ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ عَالَمٍ، الْمَلِكَ ذَا الْجَلالِ، سُلْطَانَ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ، قَدْ أَنْزَلَ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ، الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ، مَنْشُورَهُ الْعَالِيَ الشَّأْنِ، الْمُتَوَجِّهَ إِلَى تِلْكَ الْعَوَالِمِ الثَّمَانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ أَلْفَ عَالَمٍ؛ فَلا شَكَّ أَنَّ

مِنْ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ ، أَنْ يَصِيرَ ذٰلِكَ الشَّهْرُ ، عِيداً إِلٰهِيّاً ، وَمَشْهَراً رَبَّانِيّاً ، وَمَجْلِساً رُوحَانِيّاً مَخْصُوصاً . فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ ، ذٰلِكَ الْعِيدَ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِالصِّيَامِ ، لِصَدِّ الْإِنْسَانِ ، عَنْ مَشَاغِلَ سُفْلِيَّةٍ وَحَيَوَانِيَّةٍ بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ وَإِنَّ أَكْمَلَ ذٰلِكَ الصَّوْمِ ، هُوَ أَنْ يُمْسِكَ جَمِيعَ الْجِهَازَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَجَمِيعَ الْحَوَاسِّ ، كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَالْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ، وَالْفِكْرِ وَالْخَيَالِ ، مِثْلَ الْمَعِدَةِ : أَيْ يَمْنَعَهَا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْأَهْوَاءِ ؛ وَيَسُوقَ كُلّاً مِنْهَا ، إِلٰى عِبَادَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِهِ ؛ كَأَنْ يُمْسِكَ لِسَانَهُ مَثَلاً ، عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ ، وَالتَّعْبِيرَاتِ الْغَلِيظَةِ ؛ وَيُشْغِلَ ذٰلِكَ اللِّسَانَ ، بِأَمْثَالِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَالذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَالصَّلَوَاتِ وَالِاسْتِغْفَارِ ؛ وَأَنْ يَمْنَعَ عَيْنَهُ ، عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمَحَارِمِ ؛ وَأُذُنَهُ عَنْ سَمَاعِ الْمُحَرَّمَاتِ ؛ فَيَصْرِفَ عَيْنَهُ فِي الْعِبْرَةِ ؛ وَأُذُنَهُ فِي سَمَاعِ الْقُرْآنِ ، وَالْكَلَامِ الْحَقِّ ؛ وَيُمْسِكَ سَائِرَ الْجِهَازَاتِ أَيْضاً ، بَعْضَ إِمْسَاكٍ ؛ عَلٰى أَنَّ الْمَعِدَةَ ، إِذَا عُطِّلَتْ بِالصَّوْمِ ، عَنِ الْأَشْغَالِ ؛ يَسْهُلُ إِتْبَاعُ سَائِرِ الْمَعَامِلِ الصَّغِيرَةِ ، لَهَا ، لِكَوْنِهَا أَكْبَرَ مَصْنَعٍ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّامِنَةُ : ﴾ أَنَّ حِكْمَةً وَاحِدَةً لِرَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، مِنْ حِكَمِهِ الْكَثِيرَةِ فِي الْجِهَةِ الَّتِي تَنْظُرُ إِلٰى حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الشَّخْصِيَّةِ ، هِيَ : أَنَّ صَوْمَهُ ، حِمْيَةٌ طِبّاً ، وَاتِّقَاءٌ مَادِّيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ ، مِنْ قَبِيلِ عِلَاجٍ أَهَمَّ لِلْإِنْسَانِ ؛ فَإِنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ ، كُلَّمَا تَحَرَّكَتْ كَيْفَمَا شَاءَتْ ، فِي خُصُوصِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ؛ يَضُرُّ ذٰلِكَ طِبّاً ، بِحَيَاةِ الشَّخْصِ الْمَادِّيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّهُ يَصُولُ عَلٰى مَا يُصَادِفُهُ ، دُونَ تَمْيِيزٍ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ؛ فَيُسَمِّمُ حَيَاتَهُ الْمَعْنَوِيَّةَ أَيْضاً ؛ فَيَثْقُلُ عَلٰى تِلْكَ النَّفْسِ ، الْإِطَاعَةُ لِلْقَلْبِ وَالرُّوحِ ؛ فَتَأْخُذُ عِنَانَهَا الْجَامِحَ بِيَدِهَا ؛ فَلَا يَرْكَبُهَا الْإِنْسَانُ ؛ بَلْ هِيَ تَرْكَبُهُ . فَفِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، تَأْلَفُ نَوْعاً مِنَ الْحِمْيَةِ ، بِوَاسِطَةِ الصَّوْمِ ؛ وَتَجْهَدُ لِلرِّيَاضَةِ ؛ وَتَتَعَلَّمُ اسْتِمَاعَ الْأَمْرِ ؛ وَلَا تَجْتَلِبُ الْأَمْرَاضَ ، إِلَى الْمَعِدَةِ الْبَائِسَةِ الضَّعِيفَةِ ، بِإِدْخَالِ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ قَبْلَ الْهَضْمِ ؛ وَتَسْتَعِدُّ لِقَبُولِ سَمَاعِ الْأَمْرِ الْوَارِدِ عَنِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ ، لِلِاجْتِنَابِ عَنِ الْحَرَامِ ، بِجِهَةِ تَرْكِهِ لِلْحَلَالِ بِسَبَبِ الْأَمْرِ ؛ فَتَسْعَى أَنْ لَا تُفْسِدَ حَيَاتَهُ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ وَكَذَا أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُبْتَلٰى بِالْجُوعِ كَثِيراً ؛ فَيَحْتَاجُ لِأَجْلِ الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ ، إِلٰى رِيَاضَةِ الْجُوعِ الْمُنْتِجَةِ لِلْإِدْمَانِ . فَالصَّوْمُ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، لِمُدَّةِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، أَوْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ

سَاعَةً ؛ إِنْ كَانَ بِدُونِ السَّحُورِ ، رِيَاضَةٌ وَإِدْمَانٌ لِلصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ عَلَى الْجُوعِ ؛ فَإِذاً إِنَّ عِلاَجَ الْجَزَعِ الَّذِي يُضَاعِفُ مُصِيبَةَ الْبَشَرِ ، إِنَّمَا هُوَ الصَّوْمُ ؛ وَكَذَا أَنَّ لِمَصْنَعِ الْمَعِدَةِ ، خُدَّاماً كَثِيرَةً ، وَلِلْإِنْسَانِ جِهَازَاتٍ كَثِيرَةً مُتَعَلِّقَةً بِذٰلِكَ الْمَصْنَعِ ؛ فَإِذَا لَمْ تُعَطِّلِ النَّفْسُ ، الْأَشْغَالَ مُؤَقَّتاً ، فِي نَهَارِ شَهْرٍ ؛ تُنْسِي تِلْكَ الْخُدَّامَ وَالْجِهَازَاتِ ، عِبَادَاتِهَا الْخَاصَّةَ بِهَا ؛ وَتُشْغِلُهَا بِنَفْسِهَا ؛ وَتَتْرُكُهَا تَحْتَ تَحَكُّمِهَا ؛ وَتُشَوِّشُ سَائِرَ تِلْكَ الْجِهَازَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، بِدَوِيِّ آلاَتِ ذٰلِكَ الْمَصْنَعِ الْمَعْنَوِيِّ ، وَبِدُخَانِهَا ؛ وَتَجْذِبُ إِلَيْهَا ، نَظَرَ تِلْكَ الْجِهَازَاتِ ؛ فَتُنْسِيهَا مُؤَقَّتاً ، وَظَائِفَهَا الْعَالِيَةَ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ كَانَ كَثِيرُونَ مِنْ أَهْلِ الْوِلاَيَةِ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ، دَرَّبُوا أَنْفُسَهُمْ ، عَلَى الرِّيَاضَةِ ، وَقِلَّةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، لِأَجْلِ التَّكَمُّلِ ؛ وَلٰكِنْ بِصَوْمِ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، يَفْهَمُ خُدَّامُ ذٰلِكَ الْمَصْنَعِ ، أَنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ لِذٰلِكَ الْمَصْنَعِ فَقَطْ ؛ وَيَتَلَذَّذُ سَائِرُ الْجِهَازَاتِ ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، فِي الْمَلاَهِي الْمَلَكِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ ؛ وَتَطْمَحُ بِأَنْظَارِهَا ، إِلَى تِلْكَ الْمَلاَهِي ، بَدَلاً عَنْ مَلاَهِي ذٰلِكَ الْمَصْنَعِ السُّفْلِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَصِيرُ الْمُؤْمِنُونَ ، حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ ، مَظْهَراً لِأَنْوَارٍ وَفُيُوضٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَفَرَحَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ . وَلِلَّطَائِفِ مِثْلِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ ، وَالْعَقْلِ وَالسِّرِّ ، تَرَقِّيَاتٌ وَتَفَيُّضَاتٌ كَثِيرَةٌ ، بِوَاسِطَةِ الصَّوْمِ فِي ذٰلِكَ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ ؛ فَتِلْكَ اللَّطَائِفُ تَضْحَكُ مَعْصُومَةً ، رَغْماً عَلَى بُكَاءِ الْمَعِدَةِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ التَّاسِعَةُ : ﴾ أَنَّ حِكْمَةً وَاحِدَةً لِصَوْمِ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ مِنْ حِكَمِهِ الْكَثِيرَةِ ، فِي جِهَةِ **كَسْرِ رُبُوبِيَّةِ النَّفْسِ ، الْمَوْهُومَةِ ، وَإِعْلاَمِ عُبُودِيَّتِهَا ، بِإِظْهَارِ عَجْزِهَا** ، هِيَ : أَنَّ النَّفْسَ لاَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا ؛ وَهِيَ نَفْسُهَا تُرِيدُ رُبُوبِيَّةً فِرْعَوْنِيَّةً ؛ فَمَهْمَا عُذِّبَتْ ؛ يَبْقَى فِيهَا ذٰلِكَ الْعَصَبُ ؛ وَلٰكِنْ يَنْكَسِرُ ذٰلِكَ الْعَصَبُ ، بِالْجُوعِ . فَالصَّوْمُ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، يَضْرِبُ جَبْهَةَ فِرْعَوْنِيَّةِ النَّفْسِ مُبَاشَرَةً ؛ فَيَكْسِرُهَا ؛ وَيُظْهِرُ عَجْزَهَا وَضَعْفَهَا وَفَقْرَهَا ؛ وَيُعْلِمُهَا أَنَّهَا عَبْدٌ . . **وَفِي رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ : أَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى ، قَالَ لِلنَّفْسِ : «مَنْ أَنَا ؟ وَمَنْ أَنْتِ ؟» فَقَالَتِ النَّفْسُ : «أَنَا أَنَا ؛ وَأَنْتَ أَنْتَ» ؛ فَعَذَّبَهَا وَأَلْقَاهَا فِي جَهَنَّمَ ؛ فَسَأَلَهَا أَيْضاً ؛ فَقَالَتْ أَيْضاً : «أَنَا أَنَا ؛ وَأَنْتَ أَنْتَ» ؛ فَمَهْمَا عَذَّبَهَا مِنْ نَوْعِ الْعَذَابِ ؛ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْكِبْرِ ؛ ثُمَّ**

عَذَّبَهَا بِالْجُوعِ : أَيْ تَرَكَهَا جَائِعَةً ؛ وَسَأَلَهَا أَيْضاً : «مَنْ أَنَا ؟ وَمَا أَنْتِ ؟» ؛ فَقَالَتِ النَّفْسُ : «أَنْتَ رَبِّي الرَّحِيمُ ؛ وَأَنَا عَبْدُكَ الْعَاجِزُ» . .

﴿اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً ؛ وَلِحَقِّهِ أَدَاءً ؛ بِعَدَدِ حُرُوفِ الْقُرْآنِ ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ ۞﴾ . .

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞﴾ . .

اِعْتِذَارٌ :

مِنْ أَجْلِ أَنَّ هٰذَا الْقِسْمَ الثَّانِيَ ، كُتِبَ بِسُرْعَةٍ ، فِي أَرْبَعِينَ دَقِيقَةً ؛ وَمِنْ أَجْلِ أَنِّي أَنَا وَالْكَاتِبَ الَّذِي كَتَبَ الْمُسَوَّدَةَ كُنَّا مَرِيضَيْنِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ يُوجَدُ فِيهِ التَّشْوِيشُ وَالتَّقْصِيرُ قَطْعاً ؛ فَنَرْجُو مِنْ إِخْوَانِنَا ، أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ بِنَظَرِ الْمُسَامَحَةِ ؛ وَلَهُمْ أَنْ يُصَحِّحُوا مَا رَأَوْهُ مُنَاسِباً بِالتَّصْحِيحِ . .

اَلْقِسْمُ الثَّالِثُ الَّذِي هُوَ الرِّسَالَةُ الثَّالِثَةُ :

لَقَدْ كَتَبْتُ هٰذَا الْقِسْمَ ؛ لِأُشَاوِرَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ هُمْ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ فَأَعْرِضَ عَلٰى أَنْظَارِهِمْ ، نِيَّةً مُهِمَّةً لِي ، حَوْلَ كِتَابَةِ «مُصْحَفٍ» ، عَلٰى وَجْهٍ يُظْهِرُ قِسْماً نَقْشِيّاً ، مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، مِنْ مِئَتَيْ قِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِهِ الْإِعْجَازِيَّةِ . وَإِنِّي أُرَاجِعُهُمْ لِاسْتِخْرَاجِ أَفْكَارِهِمْ ، وَلِإِيقَاظِهِمْ إِيَّايَ ، فِي كِتَابَةِ «مُصْحَفٍ» يُظْهِرُ ذٰلِكَ النَّقْشَ الْإِعْجَازِيَّ ، مَعَ الْحِفَاظِ عَلَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ ، وَعَلَى الصَّحَائِفِ الَّتِي تَعَيَّنَتْ بِخَطِّ «الْحَافِظِ عُثْمَانَ» ؛ وَاتُّخِذَتْ «آيَةُ الْمُدَايَنَةِ» مِقْيَاساً لَهَا ، وَعَلَى السُّطُورِ الَّتِي جُعِلَتْ «سُورَةُ الْإِخْلَاصِ» وَاحِداً قِيَاسِيّاً لَهَا . .

وَهٰذَا الْقِسْمُ الثَّالِثُ ، تِسْعُ مَسَائِلَ . .

﴿ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : ﴾ لَقَدْ أُثْبِتَ فِي «الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، بِبَرَاهِينِهِ : أَنَّ أَنْوَاعَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ ، تَبْلُغُ أَرْبَعِينَ نَوْعاً ؛ وَقَدْ بُيِّنَ بَعْضُ أَنْوَاعِهِ مُفَصَّلاً ؛ وَبَعْضُهَا مُجْمَلاً ، إِزَاءَ الْمُعَانِدِينَ أَيْضاً ؛ وَكَذَا بُيِّنَ فِي «الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ» مِنَ «الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ» : «أَنَّ الْقُرْآنَ يُظْهِرُ إِعْجَازَهُ ، عَلٰى وُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ ، تِجَاهَ أَرْبَعِينَ طَبَقَةً فِي الطَّبَقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ» ؛ وَقَدْ أَثْبَتَتْ تِلْكَ الْإِشَارَةُ ، الْحِصَصَ الْإِعْجَازِيَّةَ الْمُخْتَلِفَةَ ، مِنْ حِصَصِ عَشَرَةِ أَقْسَامٍ ، مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَاتِ . . وَإِنَّ بَاقِيَ الطَّبَقَاتِ الثَّلاثِينَ الْأُخْرٰى ، مِنْ أَصْحَابِ الْمَشَارِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ، مِنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ، وَمِنْ مُخْتَلِفِي أَرْبَابِ الْعُلُومِ الْمُتَنَوِّعَةِ ؛ فَإِنَّ إِيمَانَهُمُ التَّحْقِيقِيَّ بِـ «أَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ حَقّاً» ، فِي دَرَجَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ ، وَعَيْنِ الْيَقِينِ ، وَحَقِّ الْيَقِينِ ، أَثْبَتَ أَنَّ الْقُرْآنَ أَظْهَرَ لَهُمْ ، وُجُوهَ إِعْجَازِهِ الْمُخْتَلِفَةَ . فَإِذاً إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، رَأٰى وَجْهاً مِنْ إِعْجَازِهِ ، فِي شَكْلٍ آخَرَ . نَعَمْ : تَخْتَلِفُ جَلَوَاتُ «جَمَالِ الْإِعْجَازِ» ، حَسَبَ الْمَشَارِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ ذٰلِكَ كَمَا أَنَّ الْإِعْجَازَ الَّذِي يَفْهَمُهُ وَلِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ، لَا يَتَسَاوٰى مَعَ «جَمَالِ الْإِعْجَازِ» الَّذِي يُشَاهِدُهُ وَلِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْعِشْقِ ؛ وَأَنَّ «وَجْهَ الْإِعْجَازِ» الَّذِي يَرَاهُ عَلّامَةٌ وَإِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ أُصُولِ الدِّينِ ، لَيْسَ مُتَسَاوِياً مَعَ «وَجْهِ الْإِعْجَازِ» الَّذِي يَرَاهُ مُجْتَهِدٌ فِي فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَهٰكَذَا . . فَلا يَتَأَتّٰى مِنِّي إِظْهَارُ «وُجُوهِ إِعْجَازِ» هٰؤُلاءِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَعَلٰى وَجْهِ التَّفْصِيلِ ؛ فَإِنَّ حَوْصَلَتِي ، ضَيِّقَةٌ لَا تُحِيطُ بِهَا ؛ وَإِنَّ نَظَرِي ، قَاصِرٌ لَا يَرَاهَا ؛ فَلِذٰلِكَ بُيِّنَتْ عَشْرُ طَبَقَاتٍ فَقَطْ ؛ وَأُشِيرَتْ إِلَى الْبَوَاقِي إِجْمَالاً . وَالْآنَ ، فَقَدْ كَانَتْ طَبَقَتَانِ مِنْهَا ، مُحْتَاجَتَيْنِ إِلٰى مَزِيدٍ مِنَ الْإِيضَاحِ ، فِي «رِسَالَةِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ» ؛ فَبَقِيَتَا حِينَئِذٍ نَاقِصَتَيْنِ جِدّاً . .

اَلطَّبَقَةُ الْأُولٰى : «اَلْعَوَامُّ الْعَامِّيُّونَ» الَّذِينَ نُعَبِّرُ عَنْهُمْ بِـ «طَبَقَةِ ذَوِي الْآذَانِ» ؛ فَإِنَّ الْعَامِّيَّ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ بِالسَّمْعِ فَقَطْ ؛ وَيَفْهَمُ إِعْجَازَهُ بِوَاسِطَةِ الْأُذُنِ : أَيْ إِنَّهُ يَقُولُ : «إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَسْمَعُهُ ، لَا يُشْبِهُ الْكُتُبَ الْأُخْرٰى ؛ فَإِمَّا أَنَّهُ يَكُونُ تَحْتَ جَمِيعِهَا ؛ أَوْ يَكُونُ فَوْقَ كُلِّهَا ؛ فَأَمَّا شِقُّ كَوْنِهِ تَحْتَ الْجَمِيعِ ، فَلَنْ يَقُولَهُ أَحَدٌ ؛ وَلَمَّا يَقُلْهُ ؛ وَلَنْ

يَقُولَهُ الشَّيْطَانُ أَيْضاً ؛ فَإِذاً إِنَّهُ فَوْقَ الْجَمِيعِ» ؛ فَقَدْ كُتِبَ بِهٰذَا الْقَدَرِ مِنَ الْإِجْمَالِ ، فِي «الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ» ؛ ثُمَّ إِنَّ الْمَبْحَثَ الْأَوَّلَ الْمُسَمّٰى بِـ «حُجَّةِ الْقُرْآنِ عَلٰى حِزْبِ الشَّيْطَانِ» ، مِنَ «الْمَكْتُوبِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ» ، الَّذِي كُتِبَ لِإِيضَاحِ ذٰلِكَ الْإِجْمَالِ ، يُصَوِّرُ فَهْمَ تِلْكَ الطَّبَقَةِ ، فِي الْإِعْجَازِ ؛ وَيُثْبِتُهُ . .

اَلطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ «طَبَقَةُ ذَوِي الْأَبْصَارِ» : أَيْ مِنَ الْعَوَامِّ الْعَامِّيِّينَ ، أَوْ مِنْ طَبَقَةِ الْمَادِّيِّينَ ، الَّتِي هَبَطَتْ عُقُولُهُمْ إِلٰى عُيُونِهِمْ ؛ فَقَدِ ادُّعِيَ فِي «الْإِشَارَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ» : أَنَّ لِلْقُرْآنِ ، إِزَاءَ تِلْكَ الطَّبَقَةِ ، «إِشَارَةً إِعْجَازِيَّةً» تُرٰى بِالْبَصَرِ . وَقَدْ كَانَ يُوجَدُ اللُّزُومُ لِإِيضَاحٍ كَثِيرٍ ، لِتَنْوِيرِ تِلْكَ الدَّعْوٰى وَإِثْبَاتِهَا ؛ وَلَمْ يُسْمَحْ بِذٰلِكَ الْإِيضَاحِ ، لِحِكْمَةٍ رَبَّانِيَّةٍ مُهِمَّةٍ فَهِمْنَاهَا الْآنَ ؛ فَكَانَ أُشِيرَ إِلٰى عِدَّةِ جُزْئِيَّاتٍ طَفِيفَةٍ جِدّاً مِنْهُ ؛ وَقَدْ فُهِمَ الْآنَ سِرُّ تِلْكَ الْحِكْمَةِ ؛ وَحَصَلَتْ قَنَاعَتُنَا الْقَطْعِيَّةُ ، بِأَنَّ تَأْخِيرَهُ كَانَ أَوْلٰى ؛ وَالْآنَ قَدِ اكْتَتَبْنَا «مُصْحَفاً» لِيُظْهِرَ وَجْهاً يُرٰى بِالْعَيْنِ ، مِنْ أَرْبَعِينَ وَجْهاً إِعْجَازِيّاً ، تَسْهِيلاً لِفَهْمِ تِلْكَ الطَّبَقَةِ ، وَذَوْقِهَا . .

إِنَّ الْمَسَائِلَ الْبَاقِيَةَ مِنْ هٰذَا «الْقِسْمِ الثَّالِثِ» ، مَعَ «الْقِسْمِ الرَّابِعِ» ، عَائِدَةٌ إِلَى التَّوَافُقَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ اكْتُفِيَ بِالْفِهْرِسِ الْعَائِدِ إِلَى التَّوَافُقَاتِ ؛ فَلَمْ يُكْتَبَا هُنَا ؛ وَإِنَّمَا كُتِبَتِ «النُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ» مِنَ «الْقِسْمِ الرَّابِعِ» ، مَعَ إِخْطَارٍ عَائِدٍ إِلَيْهِ . .

اَلْقِسْمُ الرَّابِعُ الَّذِي هُوَ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَةُ :

إِخْطَارٌ :

قَدْ كُتِبَتْ مِئَةٌ وَسِتُّونَ آيَةً ، فِي بَيَانِ النُّكْتَةِ الْعَظِيمَةِ ، فِي لَفْظِ «الرَّسُولِ» . فَهٰذِهِ الْآيَاتُ لَهَا خَاصِّيَّةٌ عَظِيمَةٌ جِدّاً ؛ مَعَ أَنَّهَا مُفِيدَةٌ جِدّاً ، لِكَوْنِهَا يُثْبِتُ وَيُكَمِّلُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، بِجِهَةِ الْمَعْنٰى ؛ فَلِذٰلِكَ تَكُونُ «وِرْداً قُرْآنِيّاً» ، لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْفَظُوا أَوْ يَقْرَؤُوا آيَاتِ

مُخْتَلِفَةً ؛ كَمَا أَنَّ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةَ التِّسْعَ وَالسِّتِّينَ ، فِي بَيَانِ النُّكْتَةِ الْعَظِيمَةِ فِي كَلِمَةِ «الْقُرْآنِ» ، دَرَجَةُ بَلَاغَتِهَا ، فَائِقَةٌ عَلَى الْعَادَةِ جِدّاً ؛ وَقُوَّةُ جَزَالَتِهَا عَالِيَةٌ جِدّاً ؛ فَهٰذِهِ أَيْضاً «وِرْدٌ قُرْآنِيٌّ» ثَانٍ يُوصٰى بِهِ لِلْإِخْوَانِ ؛ وَلٰكِنَّ كَلِمَةَ «الْقُرْآنِ» تُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ ، سَبْعَ سَلَاسِلَ احْتَوَتْ تِلْكَ الْكَلِمَةَ كُلَّهَا ؛ وَبَقِيَتْ كَلِمَتَانِ ، خَارِجَتَيْنِ عَنْهَا ؛ وَكَانَتْ تَانِكَ الْكَلِمَتَانِ ، بِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ ؛ فَأَيَّدَ ذٰلِكَ الْخُرُوجُ ، النُّكْتَةَ ؛ وَأَمَّا لَفْظُ «الرَّسُولِ» ، فَإِنَّ السُّورَةَ الَّتِي لَهَا أَزْيَدُ مُنَاسَبَةٍ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ ، بَيْنَ السُّوَرِ ، هِيَ «سُورَةُ الْفَتْحِ» مَعَ «سُورَةِ مُحَمَّدٍ» ؛ فَلِذٰلِكَ حَصَرْنَاهَا فِي السَّلَاسِلِ الْمُتَظَاهِرَةِ عَنْ تَيْنِكَ السُّورَتَيْنِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يُدْرَجْ فِيهَا ، مَا بَقِيَ خَارِجاً عَنْهَا ، مِنْ لَفْظِ «الرَّسُولِ» ؛ فَإِنْ سَاعَدَ الزَّمَانُ ؛ فَسَيُكْتَبُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

. . . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : هِيَ أَرْبَعُ نِكَاتٍ

اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : أَنَّ لَفْظَ «اللهِ» ذُكِرَ فِي مَجْمُوعِ الْقُرْآنِ ، أَلْفَيْنِ وَثَمَانِيمِئَةٍ وَسِتَّ مَرَّاتٍ ؛ وَذُكِرَ لَفْظُ «الرَّحْمٰنِ» مَعَ مَا فِي الْبَسْمَلَةِ ، مِئَةً وَتِسْعَةً وَخَمْسِينَ مَرَّةً ؛ وَلَفْظُ «الرَّحِيمِ» مِئَتَيْنِ وَعِشْرِينَ مَرَّةً ؛ وَلَفْظُ «الْغَفُورِ» إِحْدٰى وَسِتِّينَ مَرَّةً ؛ وَلَفْظُ «الرَّبِّ» ثَمَانِيمِئَةٍ وَسِتّاً وَأَرْبَعِينَ ؛ وَلَفْظُ «الْحَكِيمِ» سِتّاً وَثَمَانِينَ ؛ وَلَفْظُ «الْعَلِيمِ» مِئَةً وَسِتّاً وَعِشْرِينَ ؛ وَلَفْظُ «الْقَدِيرِ» إِحْدٰى وَثَلَاثِينَ ؛ وَلَفْظُ «هُوَ» فِي (لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ) سِتّاً وَعِشْرِينَ مَرَّةً . . وَفِي عَدَدِ لَفْظِ «اللهِ» أَسْرَارٌ وَنِكَاتٌ كَثِيرَةٌ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ لَفْظَةَ (اللهِ) مَعَ لَفْظَةِ (الرَّحْمٰنِ وَالرَّحِيمِ وَالْغَفُورِ وَالْحَكِيمِ) الَّتِي هِيَ أَزْيَدُ مَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ ، بَعْدَ لَفْظَتَيِ (اللهِ وَالرَّبِّ) ، هِيَ نِصْفُ آيَاتِ الْقُرْآنِ ؛ وَكَذَا أَنَّ لَفْظَ (اللهِ) مَعَ لَفْظِ (الرَّبِّ) الْمَذْكُورِ فِي مَكَانِ لَفْظِ (اللهِ) ، نِصْفُهَا أَيْضاً ؛ فَإِنَّ لَفْظَ (الرَّبِّ) ؛ وَإِنْ ذُكِرَ ثَمَانِيمِئَةٍ وَسِتّاً وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا أُمْعِنَ فِيهِ ؛ يُرٰى أَنَّهُ ذُكِرَ خَمْسُمِئَةٍ وَبِضْعٌ مِنْهُ ، بَدَلاً عَنْ لَفْظِ (اللهِ) ؛ وَمِئَتَانِ وَبِضْعٌ مِنْهُ ، لَيْسَتْ كَذٰلِكَ ؛ وَكَذَا أَنَّ لَفْظَ (اللهِ) مَعَ عَدَدِ (الرَّحْمٰنِ وَالرَّحِيمِ وَالْعَلِيمِ) وَمَعَ عَدَدِ (هُوَ) فِي (لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ)

أَيْضاً ، نِصْفُهَا ؛ وَالْفَرْقُ أَرْبَعَةٌ فَقَطْ ؛ وَمَعَ لَفْظِ (الْقَدِيرِ) ، عِوَضاً عَنْ لَفْظِ (هُوَ) ، نِصْفُ مَجْمُوعِ الْآيَاتِ أَيْضاً ؛ وَالْفَرْقُ تِسْعَةٌ . . فَالنِّكَاتُ فِي مَجْمُوعِ لَفْظِ «الْجَلاَلَةِ» كَثِيرَةٌ ؛ وَلٰكِنْ نَكْتَفِي الْآنَ بِهٰذِهِ النُّكْتَةِ . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ بِاعْتِبَارِ السُّوَرِ ؛ وَلَهَا نِكَاتٌ كَثِيرَةٌ أَيْضاً ؛ وَلَهَا تَوَافُقَاتٌ عَلٰى وَجْهٍ يَدُلُّ عَلَى انْتِظَامٍ وَقَصْدٍ وَإِرَادَةٍ . . فَمِنْهَا : أَنَّ عَدَدَ لَفْظِ «الْجَلاَلِ» مُتَسَاوٍ مَعَ آيَاتِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ؛ وَالْفَرْقُ أَرْبَعَةٌ ؛ فَتُوجَدُ أَرْبَعَةٌ مِنْ لَفْظِ (هُوَ) ، بَدَلاً عَنْ لَفْظِ (اللّٰهُ) ، مِثْلُ (هُوَ) فِي (لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ) ؛ فَيَتِمُّ بِهَا الْمُوَافَقَةُ ؛ وَلَفْظُ «الْجَلاَلِ» فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، مُتَوَافِقٌ وَمُتَسَاوٍ مَعَ آيَاتِهَا أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّ لَفْظَ «الْجَلاَلِ» مِئَتَانِ وَتِسْعَةٌ ؛ وَالْآيَاتُ مِئَتَانِ ؛ فَالْفَرْقُ تِسْعَةٌ ؛ وَلَا تَضُرُّ الْفُرُوقُ الصَّغِيرَةُ ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْمَزَايَا الْكَلَامِيَّةِ ، وَنِكَاتِ الْبَلَاغَةِ ؛ فَتَكْفِي التَّوَافُقَاتُ التَّقْرِيبِيَّةُ ؛ وَأَنَّ مَجْمُوعَ آيَاتِ السُّوَرِ الثَّلَاثِ (النِّسَاءِ وَالْمَائِدَةِ وَالْأَنْعَامِ) ، تُوَافِقُ أَيْضاً ، عَدَدَ مَا فِي مَجْمُوعِهَا ، مِنْ لَفْظِ «الْجَلاَلِ» ؛ فَإِنَّ عَدَدَ الْآيَاتِ ، أَرْبَعُمِئَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ ؛ وَعَدَدُ لَفْظِ «الْجَلاَلِ» أَرْبَعُمِئَةٍ وَوَاحِدٌ وَسِتُّونَ ؛ وَهُمَا مُتَوَافِقَانِ مَعَ لَفْظِ «الْجَلاَلِ» فِي (بِسْمِ اللّٰهِ) . . وَكَذَا أَنَّ عَدَدَ لَفْظِ «الْجَلاَلِ» فِي السُّوَرِ الْخَمْسِ الْأُولٰى ، ضِعْفَا عَدَدِ لَفْظِ «الْجَلاَلِ» فِي سُورَةِ (الْأَعْرَافِ وَالْأَنْفَالِ وَالتَّوْبَةِ وَيُونُسَ وَهُودٍ) ؛ فَإِذاً إِنَّ هٰذِهِ الْخَمْسَ الْأَخِيرَةَ ، نِصْفُ الْخَمْسِ الْأُولٰى . . وَإِنَّ عَدَدَ لَفْظِ «الْجَلاَلِ» فِي سُورَةِ (يُوسُفَ وَالرَّعْدِ وَإِبْرَاهِيمَ وَالْحِجْرِ وَالنَّحْلِ) الْوَارِدَةِ بَعْدَهَا ، نِصْفُ ذٰلِكَ النِّصْفِ . . ثُمَّ إِنَّ سُورَةَ (الْإِسْرَاءِ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطٰهٰ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْحَجِّ)(١) ، نِصْفُ نِصْفِ ذٰلِكَ النِّصْفِ . . وَإِنَّ السُّوَرَ الْقَادِمَةَ بَعْدَهَا ، تَدُومُ بِتِلْكَ النِّسْبَةِ تَقْرِيباً ، خَمْساً فَخَمْساً ؛ وَلٰكِنْ يُوجَدُ الْفَرْقُ بِبَعْضِ الْكُسُورِ ؛ وَلَا يَضُرُّ مِثْلُ تِلْكَ الْفُرُوقِ ، فِي مِثْلِ هٰذَا الْمَقَامِ الْخِطَابِيِّ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ

---

(١) لَقَدِ انْكَشَفَ سِرٌّ ، عَلٰى هٰذِهِ التَّقْسِيمَاتِ الْخُمَاسِيَّةِ ؛ فَقَدْ سُجِّلَتْ هُنَا سِتُّ سُوَرٍ ، بِدُونِ خَبَرِ أَحَدٍ مِنَّا ؛ فَلَمْ تَبْقَ لَنَا شُبْهَةٌ : أَنَّ السَّادِسَةَ دَخَلَتْهَا مِنَ الْغَيْبِ ، خَارِجَةً عَنِ اخْتِيَارِنَا ؛ حَتّٰى لَا يَضِيعَ هٰذَا السِّرُّ الْمُهِمُّ ، مِنَ النِّصْفِيَّةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

بَعْضاً مِنْهَا ، مِئَةٌ وَإِحْدٰى وَعِشْرُونَ ؛ وَبَعْضاً مِنْهَا ، مِئَةٌ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ ؛ وَبَعْضَهَا مِئَةٌ وَاثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ .. ثُمَّ إِنَّ السُّوَرَ الْخَمْسَ الَّتِي تَبْدَأُ مِنْ سُورَةِ (النَّجْمِ) ، هِيَ نِصْفُ نِصْفِ نِصْفِ نِصْفِ ذٰلِكَ النِّصْفِ ؛ لٰكِنَّهَا تَقْرِيبِيَّةٌ ؛ وَلَا تَضُرُّ فُرُوقُ كُسُورَاتٍ صَغِيرَةٍ ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْمَقَامَاتِ الْخِطَابِيَّةِ . وَإِنَّ لِثَلَاثِ خُمَاسِيَّاتٍ بَيْنَ الْخُمَاسِيَّاتِ الصَّغِيرَةِ الْوَارِدَةِ بَعْدَهَا ، ثَلَاثَةَ أَعْدَادٍ مِنْ لَفْظَةِ «الْجَلَالَةِ» ؛ فَهٰذِهِ الْكَيْفِيَّةُ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ التَّصَادُفَ لَمْ يُخَالِطْ أَعْدَادَ لَفْظَةِ «الْجَلَالَةِ» ؛ وَأَنَّهَا عُيِّنَتْ بِحِكْمَةٍ وَانْتِظَامٍ ..

اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : لِلَفْظِ (اللّٰهُ) : تَنْظُرُ إِلٰى نِسْبَةِ الصَّحَائِفِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ عَدَدَ لَفْظَةِ «الْجَلَالَةِ» فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ، يَنْظُرُ إِلٰى وَجْهِ تِلْكَ الصَّحِيفَةِ الْيُمْنٰى ، وَإِلَى الصَّحِيفَةِ الْمُقَابِلَةِ لِذٰلِكَ الْوَجْهِ ؛ وَيَنْظُرُ أَحْيَاناً إِلَى الصَّحِيفَةِ الْمُقَابِلَةِ لَهَا ، فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ ، وَإِلٰى وَجْهِ مَا وَرَاءَهَا . وَقَدْ تَتَبَّعْتُ هٰذَا التَّوَافُقَ ، فِي نُسْخَةِ مُصْحَفِي ؛ فَرَأَيْتُ تَوَافُقاً بِنِسْبَةٍ عَدَدِيَّةٍ جَمِيلَةٍ لِلْغَايَةِ ، بِالْأَكْثَرِيَّةِ ؛ وَوَضَعْتُ إِشَارَاتٍ ، فِي نُسْخَتِي ؛ فَكَثِيراً مَّا تَتَسَاوٰى ؛ وَأَحْيَاناً تَصِيرُ نِصْفاً أَوْ ثُلُثاً ؛ وَفِيهَا كَيْفِيَّةٌ تُشْعِرُ بِحِكْمَةٍ وَانْتِظَامٍ ..

اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : هِيَ التَّوَافُقَاتُ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَقَدْ قَابَلْتُ مَعَ إِخْوَانِي ، ثَلَاثَ أَوْ أَرْبَعَ نُسَخٍ مُخْتَلِفَةٍ ، بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ؛ فَاعْتَقَدْنَا أَنَّ التَّوَافُقَاتِ ، مَطْلُوبَةٌ فِي جَمِيعِهَا ؛ لٰكِنْ وَقَعَ بَعْضُ خَلَلٍ ، فِي التَّوَافُقَاتِ ؛ حَيْثُ رَاعٰى مُسْتَنْسِخُو الْمَطَابِعِ ، مَقَاصِدَ أُخْرٰى ؛ فَإِذَا نُظِّمَتْ ؛ تُشَاهَدُ التَّوَافُقَاتُ ، فِي مَجْمُوعِ الْقُرْآنِ ، فِي عَدَدِ لَفْظَةِ «الْجَلَالَةِ» ، أَلْفَيْنِ وَثَمَانِيمِئَةٍ وَسِتَّةً ، بِاسْتِثْنَاءٍ نَادِرٍ جِدّاً ؛ وَتُشْرِقُ فِي هٰذَا ، شُعْلَةُ إِعْجَازٍ ؛ لِأَنَّ فِكْرَ الْبَشَرِ ، لَا يُحِيطُ بِهٰذِهِ الصَّحِيفَةِ الْوَاسِعَةِ جِدّاً ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَالِطَهَا ؛ وَأَمَّا التَّصَادُفُ ، فَلَا تَنَالُ يَدُهُ ، إِلٰى هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةِ الْمُفِيدَةِ الْحَكِيمَةِ .. وَإِنَّنَا نَسْتَكْتِبُ **مُصْحَفاً جَدِيداً** ؛ لِيُظْهِرَ «النُّكْتَةَ الرَّابِعَةَ» بَعْضَ إِظْهَارٍ ؛ فَمَعَ الْحِفَاظِ عَلٰى عَيْنِ صَحَائِفِ «مَصَاحِفَ» أَكْثَرَ انْتِشَاراً ، وَعَلٰى عَيْنِ سُطُورِهَا ، تُنَظَّمُ مَوَاضِعُ تَعَرَّضَتْ لِعَدَمِ الِانْتِظَامِ ، بِتَأْثِيرِ تَهَاوُنِ أَرْبَابِ الصِّنَاعَةِ ؛ فَسَيُظْهِرُ انْتِظَامُ التَّوَافُقَاتِ الْحَقِيقِيُّ ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ؛ وَقَدْ أُظْهِرَ ..

﴿اَللّٰهُمَّ يَا مُنَزِّلَ الْقُرْآنِ ! بِحَقِّ الْقُرْآنِ ، فَهِّمْنَا أَسْرَارَ الْقُرْآنِ ، مَا دَامَ الْقَمَرَانِ ۞ وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى مَنْ أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ۞ آمِينَ ۞﴾ . .

اَلْقِسْمُ الْخَامِسُ الَّذِي هُوَ الرِّسَالَةُ الْخَامِسَةُ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِلٰى آخِرِ الْآيَةِ . .

لَقَدْ أَحْسَسْتُ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، فِي حَالَةٍ رُوحَانِيَّةٍ ، نُوراً مِنْ أَنْوَارِ أَسْرَارِ هٰذِهِ الْآيَةِ الْكَثِيرَةِ الْأَنْوَارِ ؛ وَرَأَيْتُ الْخَيَالَ وَشِبْهَ الْخَيَالِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنِّي رَأَيْتُ وَاقِعَةً قَلْبِيَّةً خَيَالِيَّةً ، أَقْنَعَتْنِي أَنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ ، وَذَوِي الْحَيَاةِ ، تُنَاجِي اللّٰهَ تَعَالٰى ، مِنْ نَوْعِ مُنَاجَاةِ «أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ» الْمَشْهُورَةِ عَيْنِهَا ؛ وَهِيَ : (إِلٰهِي أَنْتَ رَبِّي ؛ وَأَنَا الْعَبْدُ ۞ وَأَنْتَ الْخَالِقُ ؛ وَأَنَا الْمَخْلُوقُ) إِلٰى آخِرِهَا ؛ وَأَنَّ نُورَ كُلِّ عَالَمٍ مِنَ الْعَوَالِمِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفاً ، اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءٍ إِلٰهِيَّةٍ ؛ وَذٰلِكَ : أَنِّي رَأَيْتُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ الشَّبِيهِ بِزَهْرَةٍ وَرْدَةٍ كَثِيرَةِ الْأَوْرَاقِ ، مُلْتَفٍّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، عَوَالِمَ مَسْتُوراً بَعْضُهَا ، تَحْتَ بَعْضٍ ، مَلْفُوفَةً فِي آلَافِ حِجَابٍ فِي حِجَابٍ ؛ فَكُلَّمَا انْفَتَحَ حِجَابٌ ؛ كُنْتُ أَرٰى عَالَماً آخَرَ ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الْعَالَمُ ، يَتَرَاءٰى لِي ، بَيْنَ ظُلْمَةٍ وَحْشَةٍ ، وَدَهْشَةٍ وَظُلُمَاتٍ ؛ كَمَا تُصَوِّرُهَا الْآيَةُ الَّتِي عَقِبَ آيَةِ النُّورِ ؛ وَهِيَ : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ۞﴾ ، فَإِذَا بِجِلْوَةِ اسْمٍ إِلٰهِيٍّ ، تُرٰى كَنُورٍ عَظِيمٍ ؛ فَتُضِيءُ ذٰلِكَ الْعَالَمَ ؛ فَأَيُّ حِجَابٍ انْكَشَفَ أَمَامَ الْعَقْلِ ؛ كَانَ يُرٰى أَمَامَ الْخَيَالِ عَالَمٌ آخَرُ ؛ لٰكِنَّهُ مُظْلِمٌ بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ ؛ فَإِذَا بِاسْمٍ إِلٰهِيٍّ يَتَجَلّٰى كَالشَّمْسِ ؛ فَيُنَوِّرُ ذٰلِكَ الْعَالَمَ ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلٰى آخِرِهِ ؛ وَهٰكَذَا دَامَ كَثِيراً ، هٰذَا السَّيْرُ الْقَلْبِيُّ ، وَالسِّيَاحَةُ الْخَيَالِيَّةُ . .

فَمِنْهَا : أَنِّي لَمَّا رَأَيْتُ عَالَمَ الْحَيَوَانَاتِ ؛ أَرَانِي ضَعْفُهَا وَعَجْزُهَا ، مَعَ احْتِيَاجَاتِهَا بِلَا

حَدٍّ، وَمَجَاعَاتِهَا الشَّدِيدَةِ، ذٰلِكَ الْعَالَمَ، حَزِيناً وَمُظْلِماً جِدّاً؛ فَإِذَا بِاسْمِ (الرَّحْمٰنِ) طَلَعَ كَشَمْسٍ مُشْرِقَةٍ، فِي بُرْجِ اسْمِ (الرَّزَّاقِ): أَيْ فِي مَعْنَاهُ؛ فَذَهَّبَ ذٰلِكَ الْعَالَمَ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، بِضِيَاءِ الرَّحْمَةِ..

ثُمَّ رَأَيْتُ بَيْنَ ذٰلِكَ الْعَالَمِ الْحَيَوَانِيِّ، عَالَماً آخَرَ حَزِيناً، بَيْنَ ظُلْمَةٍ تَجُرُّ كُلَّ أَحَدٍ، إِلَى الرِّقَّةِ؛ فَيَضْطَرِبُ الْأَطْفَالُ وَالْأَوْلَادُ الصِّغَارُ، بَيْنَ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ وَالِاحْتِيَاجِ؛ فَإِذَا بِاسْمِ (الرَّحِيمِ) طَلَعَ فِي بُرْجِ الشَّفَقَةِ؛ فَأَضَاءَ ذٰلِكَ الْعَالَمَ، بِوَجْهٍ لَطِيفٍ حُلْوٍ؛ بِحَيْثُ حَوَّلَ قَطَرَاتِ دُمُوعٍ تَرِدُ عَنِ الشَّكْوٰى وَالرِّقَّةِ وَالْحُزْنِ، إِلَى الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَإِلَى قَطَرَاتٍ تَنْدَفِقُ مِنْ لَذَّةِ الشُّكْرِ..

ثُمَّ انْفَتَحَ حِجَابٌ آخَرُ، كَحِجَابِ السِّينَمَا؛ فَتَرَاءٰى لِي عَالَمُ الْإِنْسَانِ؛ فَرَأَيْتُ ذٰلِكَ الْعَالَمَ، مُظْلِماً وَمُدْهِشاً؛ بِحَيْثُ اسْتَغَثْتُ وَتَأَوَّهْتُ مِنْ دَهْشَتِي؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْقَبْرِ وَالْمَقْبَرَةِ الَّتِي تُرٰى فِي صُورَةِ بَابٍ لِلظُّلُمَاتِ الْأَبَدِيَّةِ، لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ؛ وَيُلْقَوْنَ وَاحِداً فَوَاحِداً، طَائِفَةً فَطَائِفَةً، إِلَى جُبِّ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، بَيْنَ بَلَاءِ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ الْمُتَمَادِي، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ حَالَةٍ مُؤْلِمَةٍ وَمُدْهِشَةٍ لِلْقَلْبِ، وَبَيْنَ عُمُرٍ قَصِيرٍ جِدّاً، وَحَيَاةٍ مُضْطَرِبَةٍ لِلْغَايَةِ، وَمَعِيشَةٍ ذَلِيلَةٍ جِدّاً، مَعَ مَصَائِبِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ بِلَا حَدٍّ، الَّتِي يَتَعَرَّضُونَ لِهُجُومِهَا، وَمَعَ مَا فِيهِمْ مِنْ مَطَالِبِهِمْ وَآمَالِهِمُ الْمُمْتَدَّةِ إِلَى الْأَبَدِ، وَتَصَوُّرَاتِهِمْ وَأَفْكَارِهِمُ الْمُحِيطَةِ بِالْكَائِنَاتِ، وَهِمَمِهِمْ وَاسْتِعْدَادَاتِهِمُ الطَّالِبَةِ جِدّاً لِلْبَقَاءِ الدَّائِمِ، وَالْجَنَّةِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَعَجْزِهِمْ وَضَعْفِهِمْ، وَفَقْرِهِمْ وَاحْتِيَاجِهِمُ، الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى مَقَاصِدَ وَمَطَالِبَ لَا حَدَّ لَهَا؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ هٰذَا الْعَالَمَ، بَيْنَ هٰذِهِ الظُّلُمَاتِ؛ كَانَتْ جَمِيعُ لَطَائِفِيَ الْإِنْسَانِيَّةِ، بَلْ جَمِيعُ ذَرَّاتِ وُجُودِي، مَعَ قَلْبِي وَرُوحِي وَعَقْلِي، مُتَهَيِّئَةً لِلْبُكَاءِ مَعَ الِاسْتِغَاثَةِ؛ فَإِذَا بِاسْمِ اللهِ تَعَالَى، (الْعَادِلِ) طَلَعَ فِي بُرْجِ (الْحَكِيمِ)، وَبِاسْمِ (الرَّحْمٰنِ) طَلَعَ فِي بُرْجِ (الْكَرِيمِ)، وَبِاسْمِ (الرَّحِيمِ) طَلَعَ فِي بُرْجِ (الْغَفُورِ): أَيْ فِي مَعْنَاهُ، وَبِاسْمِ (الْبَاعِثِ) طَلَعَ فِي بُرْجِ (الْوَارِثِ)، وَبِاسْمِ (الْمُحْيِي) طَلَعَ فِي بُرْجِ (الْمُحْسِنِ)، وَبِاسْمِ (الرَّبِّ) طَلَعَ فِي بُرْجِ

(الْمَالِكِ) ؛ فَنَوَّرَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ ، عَوَالِمَ كَثِيرَةً ، فِي ذٰلِكَ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ ؛ وَفَتَحَتْ نَوَافِذَ مِنْ عَالَمِ الْآخِرَةِ النَّيِّرَةِ ؛ فَنَثَرَتْ أَنْوَاراً ، عَلٰى دُنْيَا الْإِنْسَانِ ، تِلْكَ الدُّنْيَا الْمُظْلِمَةِ . .

ثُمَّ انْكَشَفَ حِجَابٌ عَظِيمٌ آخَرُ ؛ فَتَظَاهَرَ عَالَمُ الْأَرْضِ ؛ فَأَرَتِ الْقَوَانِينُ الْعِلْمِيَّةُ الْمُظْلِمَةُ ، مِنْ قَوَانِينِ الْفَلْسَفَةِ ، عَالَماً مُدْهِشاً لِلْخَيَالِ ؛ فَتَرَاءَتْ لِي بَيْنَ ظُلْمَةٍ مُتَوَحِّشَةٍ ، كَيْفِيَّةُ نَوْعِ الْإِنْسَانِ الْبَائِسِ السَّائِحِ فِي فَضَاءِ الْعَالَمِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، فِي كُرَةِ الْأَرْضِ الْهَرِمَةِ الْمُسِنَّةِ جِدّاً ، الْمُتَزَلْزِلَةِ الْبَاطِنِ ، وَالْمُسْتَعِدَّةِ كُلَّ وَقْتٍ لِلتَّمَزُّقِ وَالتَّجَزُّؤِ ، الَّتِي تَدُورُ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، مَسَافَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، بِحَرَكَةٍ أَسْرَعَ مِنْ قَذِيفَةِ الْمِدْفَعِ سَبْعِينَ مَرَّةً ؛ فَدَارَ رَأْسِي ؛ وَأَظْلَمَ بَصَرِي ؛ فَإِذَا بِأَسْمَاءِ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، مِنَ (الْقَدِيرِ وَالْعَلِيمِ ، وَالرَّبِّ وَاللهِ ، وَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمُسَخِّرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ) ، طَلَعَتْ فِي بُرْجِ الرَّحْمَةِ وَالْعَظَمَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ؛ فَنَوَّرَتْ ذٰلِكَ الْعَالَمَ ؛ بِحَيْثُ رَأَيْتُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، كُرَةَ الْأَرْضِ ، عَلٰى شَكْلِ سَفِينَةٍ سِيَاحِيَّةٍ مُنْتَظِمَةٍ مُسَخَّرَةٍ ، مُكَمَّلَةٍ طَيِّبَةٍ وَآمِنَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ هُيِّئَتْ لِلتَّنَزُّهِ وَالسُّرُورِ وَالتِّجَارَةِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ الْأَلْفِ وَالْوَاحِدِ ، الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى الْكَائِنَاتِ ، هُوَ فِي حُكْمِ شَمْسٍ ، يُنَوِّرُ عَالَماً وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَوَالِمِ ؛ وَكَانَتْ جَلَوَاتُ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ ، تُرٰى فِي جِلْوَةِ كُلِّ اسْمٍ ، بِسِرِّ الْأَحَدِيَّةِ . .

ثُمَّ إِنَّ الْقَلْبَ كَانَ يَنْبَسِطُ اشْتِهَاؤُهُ لِلسِّيَاحَةِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرٰى وَرَاءَ كُلِّ ظُلْمَةٍ ، أَنْوَاراً مُخْتَلِفَةً ؛ فَرَكِبَ الْخَيَالَ ؛ وَأَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ إِلَى السَّمَاءِ ؛ فَانْفَتَحَ حِينَئِذٍ ، حِجَابٌ آخَرُ وَاسِعٌ جِدّاً ؛ فَدَخَلَ الْقَلْبُ ، عَالَمَ السَّمَاوَاتِ ؛ فَرَأٰى أَنَّ تِلْكَ النُّجُومَ الْمَشْهُودَةَ عَلٰى صُورَةِ نَيِّرَاتٍ مُتَبَسِّمَةٍ ، هِيَ أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ ، تَسْبَحُ وَتَدُورُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، بِوَجْهٍ أَسْرَعَ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنْ ضَلَّتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا ، طَرِيقَهَا دَقِيقَةً وَاحِدَةً ؛ تُصَادِمُ غَيْرَهَا ؛ فَتُفَجِّرُ تَفْجِيراً بِحَيْثُ تُمَزِّقُ الْعَالَمَ ؛ وَتَنْفَجِرُ أَحْشَاءُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَنَّهَا تَفُورُ بِالنَّارِ لَا النُّورِ ؛ وَتَنْظُرُ إِلَيَّ ، بِالْوَحْشَةِ لَا بِالتَّبَسُّمِ ؛ وَرَأَيْتُ السَّمَاوَاتِ ، خَالِيَةً وَفَارِغَةً ، وَاسِعَةً وَعَظِيمَةً بِلَا حَدٍّ ، بَيْنَ

ظُلُمَاتِ الدَّهْشَةِ وَالْحَيْرَةِ ؛ فَنَدِمْتُ عَلٰى مَجِيئِي ، أَلْفَ نَدَامَةٍ ؛ فَإِذَا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، مِنْ (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَرَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ) ، ظَهَرَتْ بِجَلَوَاتِهَا ، فِي بُرْجِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ .. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ؛ فَاقْتَبَسَتِ النُّجُومُ الَّتِي طَمَسَتْ عَلَيْهَا الظُّلْمَةُ ، بِجِهَةِ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى ، لَمَعَاتٍ مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَارِ الْعَظِيمَةِ ؛ فَتَنَوَّرَ عَالَمُ السَّمَاءِ ؛ كَأَنَّهُ تَوَقَّدَتْ سُرُجُ الْكَهْرَبَاءِ ، بِعَدَدِ النُّجُومِ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ السَّمَاوَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُتَوَهَّمُ خَالِيَةً وَفَارِغَةً ، امْتَلَأَتْ بِالْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ ؛ وَعَمُرَتْ بِهِمْ ؛ وَرَأَيْتُ الشُّمُوسَ وَالنُّجُومَ الْمُتَحَرِّكَةَ بِمَثَابَةِ جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، رَأَيْتُهَا عَلٰى وَجْهٍ تُؤَدِّي مُنَاوَرَاتٍ عُلْوِيَّةً ؛ كَأَنَّهَا تُظْهِرُ حِشْمَةَ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ الْجَلِيلِ ، وَشَعْشَعَةَ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ فَقُلْتُ بِكُلِّ قُوَّتِي ؛ ــ وَكُنْتُ أَقُولُ بِجَمِيعِ ذَرَّاتِي ؛ لَوْ كَانَ مُمْكِناً ، وَبِأَلْسِنَةِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ لَوِ اسْتَمَعُوا إِلَيَّ ــ قُلْتُ بِاسْمِ أُولَائِكَ أَجْمَعِينَ : ﴿اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلٰى نُورٍ يَهْدِي اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَآءُ..﴾ ؛ وَقَرَأْتُ هٰذِهِ الْآيَةَ ؛ فَرَجَعْتُ وَنَزَلْتُ ؛ فَأَفَقْتُ وَقُلْتُ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ» . .

اَلْقِسْمُ السَّادِسُ الَّذِي هُوَ الرِّسَالَةُ السَّادِسَةُ :

لَقَدْ كُتِبَ هٰذَا الْقِسْمُ ؛ لِيُوقِظَ تَلَامِذَةَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَخُدَّامَهُ ؛ وَلِئَلَّا يَغْتَرُّوا . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ . .

إِنَّ هٰذَا الْقِسْمَ السَّادِسَ ، يُبْطِلُ سِتّاً مِنْ دَسَائِسِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؛ وَيَسُدُّ سِتَّةً مِنْ طُرُقِ هَجَمَاتِهِمْ ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ . .

﴿ اَلدَّسِيسَةُ الْأُولٰى : ﴾ أَنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْدَعُوا الْخُدَّامَ الْفِدَائِيِّينَ ، مِنْ «حِزْبِ الْقُرْآنِ» ؛ وَأَنْ يُعْرِضُوا بِهِمْ ، عَنْ تِلْكَ الْخِدْمَةِ الْقُدُسِيَّةِ ، وَعَنْ ذٰلِكَ الْجِهَادِ الْعُلْوِيِّ الْمَعْنَوِيِّ ، بِوَاسِطَةِ حُبِّ الْجَاهِ ، بِنَاءً عَلَى الدَّرْسِ الَّذِي يَتَلَقَّوْنَهُ عَنِ الشَّيْطَانِ الْجِنِّيِّ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ فِي كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، تَشَهِّيًا جُزْئِيًّا أَوْ كُلِّيًّا ، لِحِرْصِ الاِشْتِهَارِ وَالتَّصَنُّعِ ، الْمُسَمّٰى بِحُبِّ الْجَاهِ ، وَالْمُرَاءَاةِ لِلْخَلْقِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ صَاحِبَ مَقَامٍ ، فِي نَظَرِ الْعَامَّةِ ، الْمُسَمّٰى بِالشَّأْنِ وَالشَّرَفِ ، مِمَّا يُوجَدُ فِي الْإِنْسَانِ ، بِاعْتِبَارِ الْأَكْثَرِيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ حِسَّ الاِشْتِهَارِ يَسُوقُهُ إِلٰى دَرَجَةٍ يَفْدِي بِحَيَاتِهِ ، لِذٰلِكَ التَّشَهِّي . وَهٰذَا الْحِسُّ خَطَرٌ جِدًّا ، لِأَهْلِ الْآخِرَةِ ، وَمُضْطَرِبٌ جِدًّا ، لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، وَمَنْشَأٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ ، وَأَضْعَفُ عَصَبٍ فِي الْإِنْسَانِ : أَيْ أَنَّ الْقَبْضَ عَلٰى إِنْسَانٍ ، وَجَرَّهُ إِلٰى نَفْسِهِ ، يَكُونُ بِتَهْيِيجِ ذٰلِكَ الْحِسِّ ؛ فَيَرْبِطُهُ بِنَفْسِهِ ؛ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ ، بِذٰلِكَ الْحِسِّ ؛ وَإِنَّ أَزْيَدَ مَا أَخَافُ مِنْهُ ، فِي حَقِّ إِخْوَانِي ، هُوَ احْتِمَالُ اسْتِفَادَةِ أَهْلِ الْإِلْحَادِ ، مِنْ عَصَبِهِمُ الضَّعِيفِ هٰذَا ؛ وَإِنَّ هٰذَا الْحَالَ يُفَكِّرُنِي كَثِيرًا ؛ فَإِنَّهُمْ جَرُّوا بِتِلْكَ الصُّورَةِ ، بَعْضَ الْبَائِسِينَ ، مِنْ أَصْدِقَائِي غَيْرِ الْحَقِيقِيِّينَ ؛ وَأَلْقَوْهُمْ مَعْنًى إِلَى التَّهْلُكَةِ(١) . .

فَيَا إِخْوَانِي ، وَيَا أَصْحَابِي فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ! قُولُوا لِجَوَاسِيسِ أَهْلِ الدُّنْيَا الدَّسَّاسِينَ ، أَوْ لِدُعَاةِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، أَوْ لِتَلَامِذَةِ الشَّيْطَانِ ، الْقَادِمِينَ مِنْ جِهَةِ حُبِّ الْجَاهِ هٰذَا : أَوَّلًا : أَنَّ الرِّضَا الْإِلٰهِيَّ ، وَالاِلْتِفَاتَ الرَّحْمَانِيَّ ، وَالْقَبُولَ الرَّبَّانِيَّ ، مَقَامٌ بِحَيْثُ يَكُونُ تَوَجُّهُ النَّاسِ وَاسْتِحْسَانُهُمْ ، بِمَثَابَةِ ذَرَّةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى ذٰلِكَ الْمَقَامِ . فَإِنْ وُجِدَ تَوَجُّهُ الرَّحْمَةِ ؛

---

(١) إِنَّ أُولٰئِكَ الْبَائِسِينَ ، يَظُنُّونَهُمْ غَيْرَ هَالِكِينَ ، زَاعِمِينَ أَنَّ قُلُوبَنَا مَعَ الْأُسْتَاذِ ؛ مَعَ أَنَّ مَنْ يُقَوِّي تَيَّارَ أَهْلِ الْإِلْحَادِ ؛ وَيَغْتَرُّ بِدِعَايَاتِهِمْ ؛ بَلْ يُوجَدُ فِيهِ ، خَطَرُ اسْتِعْمَالِهِ فِي التَّجَسُّسِ ، بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ ، يُشْبِهُ قَوْلُهُ : «إِنَّ قَلْبِي صَافٍ وَصَادِقٌ لِمَسْلَكِ أُسْتَاذِي» يُشْبِهُ هٰذَا الْمِثَالَ : وَهُوَ أَنَّ أَحَدًا ، لَا يُمْسِكُ مَا فِي بَطْنِهِ مِنَ الرِّيحِ ؛ فَتَخْرُجُ ؛ وَيَقَعُ الْحَدَثُ ؛ وَهُوَ يُصَلِّي ؛ فَحِينَمَا قِيلَ لَهُ : بَطَلَتْ صَلَاتُكَ ؛ يَقُولُ : لِمَاذَا تَبْطُلُ صَلَاتِي ؛ وَقَلْبِي صَافٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

فَإِنَّهُ يَكْفِي . وَإِنَّ تَوَجُّهَ النَّاسِ ، إِنَّمَا يَكُونُ مَقْبُولاً مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ انْعِكَاساً وَظِلّاً لِتَوَجُّهِ الرَّحْمَةِ ذٰلِكَ . وَإِلّا ؛ فَلَيْسَ مِمَّا يُطْلَبُ ؛ لِأَنَّهُ يَنْطَفِئُ بِبَابِ الْقَبْرِ ؛ وَلَا يُوَازِي خَمْسَةَ فُلُوسٍ . فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ إِسْكَاتُ حِسِّ حُبِّ الْجَاهِ ؛ وَلَمْ يُمْكِنْ إِزَالَتُهُ ؛ يَلْزَمُ صَرْفُ وَجْهِهِ ، إِلٰى جِهَةٍ أُخْرٰى ؛ وذٰلِكَ : أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ لِذٰلِكَ الْحِسِّ ، جِهَةٌ مَشْرُوعَةٌ ، لِأَجْلِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، بِنِيَّةِ كَسْبِ دَعَوَاتِهِمْ ، فِي نُقْطَةِ حُسْنِ تَأْثِيرِ الْخِدْمَةِ ، بِنَاءً عَلٰى مَا فِي التَّمْثِيلِ الْآتِي ، مِنَ السِّرِّ . فَمَثَلاً : إِذَا كَانَ جَامِعُ «آيَاصُوفِيَا» مُمْتَلِئاً بِأَشْخَاصٍ مُبَارَكَةٍ وَمُحْتَرَمَةٍ ، مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ؛ وَكَانَ فِي الصُّفَّةِ ، وَعَلَى الْبَابِ ، بَعْضُ صِبْيَانٍ سُفَهَاءَ ، وَوِقَاحٍ هُيَّامٍ ، وَعَلٰى نَوَافِذِ الْجَامِعِ وَبِقُرْبِهَا ، مُتَفَرِّجُو الْأَجَانِبِ اللّاهُونَ ؛ فَدَخَلَ شَخْصٌ ، ذٰلِكَ الْجَامِعَ ؛ وَدَخَلَ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ ؛ فَإِنْ قَرَأَ عُشْراً مِنَ الْقُرْآنِ ، بِأُسْلُوبٍ حُلْوٍ ، وَبِصَوْتٍ حَسَنٍ ؛ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ حِينَئِذٍ ، أَنْظَارُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَيُكْسِبُونَ ثَوَاباً ، لِذٰلِكَ الرَّجُلِ ، بِحُسْنِ تَوَجُّهٍ وَدُعَاءٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ وَلٰكِنْ لَا يَسْتَحْسِنُهُ مُجَّانُ الصِّبْيَانِ ، وَهُيَّامُ الْمُلْحِدِينَ ، وَقَلَائِلُ الْأَجَانِبِ . وَإِنْ صَاحَ ذٰلِكَ الشَّخْصُ ؛ وَصَرَخَ بِالْأَغَانِي السُّفْلِيَّةِ الْفَاجِرَةِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْفُحْشِ ، حِينَمَا دَخَلَ ذٰلِكَ الْجَامِعَ الْمُبَارَكَ ، وَبَيْنَ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ ؛ فَرَقَصَ وَاطَّرَبَ ؛ يُضْحِكُ حِينَئِذٍ أُولَائِكَ الصِّبْيَانَ الْمُجَّانَ ؛ وَيَسْتَطِيبُهُ أُولَائِكَ الْهُيَّامُ الْوِقَاحُ ، لِتَحْرِيضِهِمْ عَلَى الْفَحْشَاءِ ؛ وَسَيَجْتَلِبُ تَبَسُّمَ الْأَجَانِبِ ، عَلٰى وَجْهِ الِاسْتِهْزَاءِ ، الْمُتَلَذِّذِينَ بِرُؤْيَةِ نَقِيصَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَلٰكِنْ يَجْتَلِبُ إِلَيْهِ ، مِنْ جَمِيعِ أَفْرَادِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ ، نَظَرَ الْكَرَاهَةِ وَالتَّحْقِيرِ ؛ وَيُرٰى أَسْفَلَ فِي أَنْظَارِهِمْ ، فِي دَرَجَةِ سُقُوطِهِ إِلٰى أَسْفَلِ سَافِلِينَ . .

فَكَذٰلِكَ مِثْلُ هٰذَا الْمِثَالِ بِعَيْنِهِ : أَنَّ عَالَمَ الْإِسْلَامِ ، وَقَارَّةَ آسِيَا ، جَامِعٌ عَظِيمٌ ؛ وَأَنَّ مَنْ فِيهَا ، مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَأَصْحَابِ الْحَقِيقَةِ ، هُمُ الْجَمَاعَةُ الْمُحْتَرَمَةُ ، فِي ذٰلِكَ الْجَامِعِ ؛ وَأَمَّا أُولَائِكَ الصِّبْيَانُ الْمُجَّانُ ، فَهُمُ الْمُرَاؤُونَ أَصْحَابُ عُقُولِ الصِّبْيَانِ ؛ وَإِنَّ أُولَائِكَ الْهُيَّامَ الْوِقَاحَ ، هُمْ مُتَفَرْنِجُونَ لَا دِينَ وَلَا مِلَّةَ لَهُمْ ؛ وَأَمَّا مُتَفَرِّجُو الْأَجَانِبِ ، فَهُمْ صَحَفِيُّو الْأَجَانِبِ ، النَّاشِرُونَ لِأَفْكَارِهِمْ ؛ وَإِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ،

يَكُونُ لَهُ مَقَامٌ فِي ذٰلِكَ الْجَامِعِ ؛ يُرٰى فِيهِ ؛ وَيَلْتَفِتُ إِلَيْهِ نَظَرُ الدِّقَّةِ ، حَسَبَ دَرَجَتِهِ ؛ فَإِنْ صَدَرَ عَنْهُ أَعْمَالٌ وَأَفْعَالٌ تَعُودُ إِلَى الْأَحْكَامِ وَالْحَقَائِقِ الْقُدُسِيَّةِ ، الَّتِي يُدَرِّسُهَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ؛ وَتَلَا لِسَانُ حَالِهِ مَعْنَوِيّاً ، الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ ، مِنْ حَيْثُ الرِّضَا الْإِلٰهِيُّ وَالْإِخْلَاصُ الَّذِي هُوَ سِرٌّ أَسَاسِيٌّ لِلْإِسْلَامِ ؛ يَدْخُلُ حِينَئِذٍ فِي دُعَاءِ **(اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)** الَّذِي هُوَ وِرْدُ لِسَانِ كُلِّ فَرْدٍ ، مِنْ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، مَعْنَوِيّاً ؛ وَيَكُونُ ذَا حِصَّةٍ مِنْهُ ، وَذَا صِلَةٍ بِعُمُومِهِمْ ، عَلٰى وَجْهِ الْأُخُوَّةِ ؛ وَلٰكِنْ لَا تُرٰى قِيمَتُهُ ، فِي نَظَرِ بَعْضٍ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُضِرَّةِ ، وَبَعْضِ الْحَمَاقَى الَّذِينَ هُمْ بِمَثَابَةِ الصِّبْيَانِ الْمُلْتَحِينَ . .

وَإِنْ تَرَكَ ذٰلِكَ الشَّخْصُ ، جَمِيعَ أَجْدَادِهِ الَّذِينَ عَرَفَهُمْ مَدَارَ الشَّرَفِ ، وَجَمِيعَ أَسْلَافِهِ الَّذِينَ عَلِمَهُمْ مَدَارَ الْفَخْرِ ؛ وَتَرَكَ الْجَادَّةَ النَّيِّرَةَ ، لِلسَّلَفِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَتَلَقَّاهُمْ نُقْطَةَ الْاِسْتِنَادِ رُوحِيّاً ؛ وَبَاشَرَ بِأَعْمَالٍ وَحَرَكَاتٍ ، عَلٰى وَجْهِ الْهَوٰى وَالْهَوَسِ ، وَالرِّيَاءِ وَالشُّهْرَةِ وَالْبِدْعَةِ ؛ فَإِنَّهُ يَهْوِي مَعْنًى إِلَى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ ، فِي نَظَرِ جَمِيعِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، وَأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ **فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مَهْمَا كَانَ عَامِّيّاً وَجَاهِلاً ؛ إِذَا رَأٰى مِثْلَ ذٰلِكَ الْمُرَائِي ؛ يَرَاهُ قَلْبُهُ بَارِداً ؛ وَيَكْرَهُهُ مَعْنًى ؛ وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْ عَقْلُهُ ؛ وَذٰلِكَ بِسِرِّ حَدِيث ﴿اِتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ﴾** . .

هٰذَا ، فَالشَّخْصُ الثَّانِي وَهُوَ الْمَفْتُونُ بِحُبِّ الْجَاهِ ، وَالْمُبْتَلٰى بِحِرْصِ الشُّهْرَةِ ، يَهْوِي إِلٰى أَسْفَلِ سَافِلِينَ ، فِي نَظَرِ جَمَاعَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَيَفُوزُ بِمَقَامٍ مَنْحُوسٍ مُؤَقَّتٍ ، فِي نَظَرِ بَعْضِ سُفَهَاءَ مُسْتَهْزِئِينَ وَمُسْتَخِفِّينَ ، لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُمْ ؛ وَيَجِدُ بَعْضَ أَصْدِقَاءَ كَاذِبِينَ ، ضَرَراً فِي الدُّنْيَا ، وَعَذَاباً فِي الْبَرْزَخِ ، وَأَعْدَاءً فِي الْآخِرَةِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿اَلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝﴾ . .

وَإِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِي الصُّورَةِ الْأُولٰى ، إِنْ لَمْ يُخْرِجْ عَنْ قَلْبِهِ حُبَّ الْجَاهِ ؛ فَإِنَّهُ يَفُوزُ بِنَوْعٍ مِنْ مَقَامٍ مَعْنَوِيٍّ مُحْتَشِمٍ وَمَشْرُوعٍ ؛ وَلٰكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَتَّخِذَ الْإِخْلَاصَ وَالرِّضَا الْإِلٰهِيَّ أَسَاساً ؛ وَلَا يَتَّخِذَ حُبَّ الْجَاهِ هَدَفاً ؛ فَيُسَكِّنُ عَصَبَ حُبِّ الْجَاهِ بِكَمَالِهِ ؛

فَهٰذَا الرَّجُلُ يَفْقِدُ شَيْئاً قَلِيلاً ، وَأَقَلَّ جِدّاً ؛ لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُ ؛ وَيَجِدُ عِوَضاً عَنْهُ ، أَشْيَاءَ كَثِيرَةً وَقَيِّمَةً جِدّاً ، لَا ضَرَرَ فِيهَا ؛ بَلْ يُنَفِّرُ عَنْ نَفْسِهِ ، عِدَّةَ حَيَّاتٍ ؛ وَيَجِدُ بَدَلاً عَنْهَا ، كَثِيراً مِنْ مَخْلُوقَاتٍ مُبَارَكَةٍ ، رُفَقَاءَ لَهُ ؛ يَسْتَأْنِسُ بِهَا ؛ أَوْ يُنَفِّرُ الزَّنَابِيرَ الْوَحْشِيَّةَ اللَّذَّاعَةَ ؛ فَيَجْتَلِبُ إِلٰى نَفْسِهِ ، النَّحْلَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هِيَ سُقَاةُ شَرَابِ الرَّحْمَةِ ؛ وَيَجِدُ أَخِلَّاءَ كَأَنَّهُ يَذُوقُ الْعَسَلَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ؛ فَيُشْرِبُونَ رُوحَهُ ، فُيُوضَاتٍ كَمَاءِ الْكَوْثَرِ ، مِنْ جَوَانِبِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَتُسَجَّلُ فِي دَفْتَرِ أَعْمَالِهِ ، بِدَعَوَاتِهِمْ دَائِماً . .

وَإِنَّ إِنْسَاناً صَغِيراً كَانَ أَشْغَلَ مَقَاماً كَبِيراً مِنَ الدُّنْيَا ، فِي زَمَنٍ مَّا ؛ لَمَّا صَارَ مَسْخَرَةً فِي نَظَرِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، بِارْتِكَابِهِ خَطِيئَةً كَبِيرَةً ، فِي سَبِيلِ حِرْصِ الشُّهْرَةِ ؛ دَرَّسْتُهُ مَآلَ التَّمْثِيلِ السَّابِقِ ؛ وَضَرَبْتُ بِهِ عَلٰى رَأْسِهِ ؛ فَهَزَّهُ هَزّاً قَوِيّاً ؛ وَلٰكِنِّي مَا كُنْتُ أَنْقَذْتُ نَفْسِي ، عَنْ حُبِّ الْجَاهِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يُوقِظْهُ إِيقَاظِي ذٰلِكَ ، أَيْضاً . .

﴿ اَلدَّسِيسَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ أَهَمَّ حِسٍّ أَسَاسِيٍّ فِي الْإِنْسَانِ ، هُوَ حِسُّ الْخَوْفِ ؛ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ الدَّسَّاسِينَ يَسْتَفِيدُونَ كَثِيراً ، عَنْ عَصَبِ الْخَوْفِ هٰذَا ؛ وَيُلْجِمُونَ بِهِ الْجُبَنَاءَ ؛ وَإِنَّ جَوَاسِيسَ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَدُعَاةَ أَهْلِ الضَّلَالِ ، يَسْتَفِيدُونَ كَثِيراً ، عَنْ عَصَبِ الْعَوَامِّ هٰذَا ، وَالْعُلَمَاءِ خَاصَّةً ؛ فَيُخَوِّفُونَهُمْ وَيُحَرِّكُونَ أَوْهَامَهُمْ . فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ إِنْسَاناً دَسَّاساً ، يُرِي شَخْصاً وَهَّاماً عَلَى السَّقْفِ ، شَيْئاً يُرٰى ضَارّاً فِي نَظَرِ ذٰلِكَ الْوَهَّامِ ؛ فَيُهَيِّجُ وَهْمَهُ ؛ لِيُلْقِيَهُ إِلَى التَّهْلُكَةِ ؛ فَيَطْرُدُهُ شَيْئاً فَشَيْئاً ، إِلٰى أَنْ يَأْتِيَ إِلٰى حَافَّةِ السَّقْفِ ؛ فَيَهْوِي بِهِ مَنْكُوساً ؛ فَيَنْكَسِرُ جِيدُهُ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : فَإِنَّهُمْ يُجْبِرُونَهُمْ بِأَوْهَامٍ لَا أَهَمِّيَّةَ لَهَا ، عَلَى الْفِدَاءِ بِأُمُورٍ أَهَمَّ جِدّاً ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنْ لَا تَلْسَعَهُ ذُبَابَةٌ ؛ فَيَقَعُ فِي فَمِ الثُّعْبَانِ . .

وَقَدْ كَانَ فِي زَمَنٍ مَّا ، شَخْصٌ مُعْتَبَرٌ يَخَافُ عَنْ رُكُوبِ الزَّوْرَقِ ؛ فَأَتَيْنَا مَعَهُ مَسَاءً ، مِنْ إِسْطَنْبُولَ إِلَى الْجِسْرِ ؛ فَلَزِمَ رُكُوبُ الزَّوْرَقِ ؛ فَإِنَّهُ لَا سَيَّارَةَ ؛ وَنَحْنُ مُضْطَرُّونَ لِلِانْطِلَاقِ إِلٰى حَيِّ «السُّلْطَانِ أَيُّوبَ» ؛ فَأَصْرَرْتُ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : أَخَافُ ؛ لَعَلَّنَا نَغْرَقُ ؛ فَقُلْتُ : كَمْ زَوْرَقاً فِي هٰذَا الْخَلِيجِ ، حَسَبَ التَّقْدِيرِ ؟ فَقَالَ : لَعَلَّهُ يُوجَدُ أَلْفُ زَوْرَقٍ ؛ فَقُلْتُ : كَمْ زَوْرَقاً

يَغْرَقُ فِي السَّنَةِ ؟ . قَالَ : وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ ؛ وَقَدْ لا يَغْرَقُ ، فِي بَعْضِ السِّنِينَ ؛ فَقُلْتُ : كَمْ يَوْماً يَكُونُ السَّنَةُ ؟ . قَالَ : ثَلاثُمِئَةٍ وَسِتُّونَ يَوْماً ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ احْتِمَالَ الْغَرَقِ ، الَّذِي مَسَّ وَهْمَكَ ؛ وَلامَسَ خَوْفَكَ ، هُوَ احْتِمَالٌ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاثِمِئَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ احْتِمَالٍ ؛ فَمَنْ خَافَ مِنِ احْتِمَالٍ مِثْلِ هٰذَا ؛ فَلَيْسَ إِنْسَاناً ؛ بَلْ يَكُونُ حَيَوَاناً ؛ وَكَذَا قُلْتُ لَهُ : يَا لَلْعَجَبِ ! كَمْ سَنَةً تَظُنُّ الْعَيْشَ ؟ . فَقَالَ : إِنِّي هَرِمٌ ؛ فَلَعَلَّهُ يَحْتَمِلُ عَيْشِي عَشْرَ سِنِينَ أُخْرى ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ الْأَجَلَ خَفِيٌّ ؛ فَيُحْتَمَلُ الْمَوْتُ كُلَّ يَوْمٍ ؛ فَإِذاً إِنَّ مَوْتَكَ مُحْتَمَلٌ كُلَّ يَوْمٍ ، فِي ثَلاثَةِ آلافِ وَسِتِّمِئَةِ يَوْمٍ . فَمَوْتُكَ هٰذَا الْيَوْمَ ، لَيْسَ مُحْتَمَلاً بِاحْتِمَالٍ وَاحِدٍ مِنْ ثَلاثِمِئَةِ أَلْفٍ كَالزَّوْرَقِ ، بَلْ بِاحْتِمَالٍ وَاحِدٍ مِنْ ثَلاثَةِ آلافٍ ؛ فَقُلْتُ : «ارْتَعِدْ وَابْكِ وَأَوْصِ» ؛ فَعَادَ عَقْلُهُ إِلٰى رَأْسِهِ ؛ فَأَرْكَبْتُهُ الزَّوْرَقَ مُرْتَعِداً ؛ فَقُلْتُ لَهُ فِي الزَّوْرَقِ : إِنَّ اللهَ تَعَالٰى أَعْطٰى عَصَبَ الْخَوْفِ ، لِأَجْلِ حِفْظِ الْحَيَاةِ ؛ وَلَيْسَ لِتَخْرِيبِ الْحَيَاةِ ؛ وَلَمْ يُعْطِهِ لِيَجْعَلَ الْحَيَاةَ ثَقِيلَةً وَمُشْكِلَةً ، أَلِيمَةً وَعَذَاباً . فَإِنْ كَانَ الْخَوْفُ احْتِمَالاً وَاحِداً ، مِنِ احْتِمَالَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ ، بَلْ مِنْ سِتَّةٍ أَوْ سَبْعَةٍ ؛ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ خَوْفاً مَشْرُوعاً ، عَلٰى وَجْهِ الاحْتِيَاطِ ؛ وَلٰكِنَّ الْخَوْفَ بِاحْتِمَالٍ وَاحِدٍ مِنْ عِشْرِينَ أَوْ ثَلاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ احْتِمَالاً ، هُوَ أَوْهَامٌ تُحَوِّلُ الْحَيَاةَ إِلَى الْعَذَابِ . .

هٰذَا فَيَا إِخْوَانِي ! إِنْ هَجَمَ عَلَيْكُمُ الْمُرَاؤُونَ مِنْ أَهْلِ الْإِلْحَادِ ، لِلْإِعْرَاضِ بِكُمْ عَنْ جِهَادِكُمُ الْمَعْنَوِيِّ الْقُدُسِيِّ ، بِتَخْوِيفِكُمْ ؛ فَقُولُوا لَهُمْ : نَحْنُ «حِزْبُ الْقُرْآنِ» ؛ وَإِنَّنَا فِي حِصْنِ الْقُرْآنِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ؛ وَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ سُورٌ مُحْكَمٌ سُوِّرَ حَوْلَنَا ؛ فَلا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَسُوقُونَا بِاخْتِيَارِنَا ، إِلٰى طَرِيقٍ يَضُرُّ بِحَيَاتِنَا الْأَبَدِيَّةِ ، آلافَ ضَرَرٍ ، مِئَةً فِي الْمِئَةِ ، مِنْ مَخَافَةِ وُرُودِ ضَرَرٍ صَغِيرٍ ، عَلٰى هٰذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ الْقَصِيرَةِ ، بِاحْتِمَالٍ وَاحِدٍ مِنْ آلافِ احْتِمَالٍ ؛ وَقُولُوا : يَا لَلْعَجَبِ ! مَنْ رَأٰى ضَرَراً مِنْ أَجْلِ «سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ» الَّذِي هُوَ صَاحِبُنَا فِي الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَأُسْتَاذُنَا وَمُعَلِّمُنَا ذٰلِكَ ، فِي تَدْبِيرِ تِلْكَ الْخِدْمَةِ الْقُدُسِيَّةِ ، مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ الَّذِينَ هُمْ أَصْدِقَاؤُهُ مِثْلُنَا ، فِي طَرِيقِ الْحَقِّ ؟ وَمَنْ وَجَدَ الْبَلاءَ ، مِنْ خَوَاصِّ

تَلاَمِيذِهِ ؟ حَتّى نَرَاهُ نَحْنُ أَيْضاً ؛ وَنَخَافُ بِاحْتِمَالِ الرُّؤْيَةِ ذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ لِأَخِينَا هٰذَا ، آلاَفَ أَحْبَابٍ وَإِخْوَانٍ أُخْرَوِيِّينَ ؛ وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ أَحَداً مِنْ إِخْوَانِهِ ، رَأٰى ضَرَراً مِنْ أَجْلِهِ ؛ مَعَ أَنَّهُ صَارَ عِشْرِينَ أَوْ ثَلاَثِينَ سَنَةً ؛ وَهُوَ كَانَ يُخَالِطُ الْحَيَاةَ الاِجْتِمَاعِيَّةَ الدُّنْيَوِيَّةَ ، بِصُورَةٍ مُؤَثِّرَةٍ ، وَلاَسِيَّمَا أَنَّهُ كَانَ بِيَدِهِ حِينَذَاكَ هِرَاوَةُ السِّيَاسَةِ ؛ وَإِنَّ الْآنَ بِيَدِهِ نُورَ الْحَقِيقَةِ ، بَدَلاً عَنْ تِلْكَ الْهِرَاوَةِ ؛ وَإِنَّهُمْ وَإِنْ خَلَطُوهُ أَيْضاً ، فِي حَادِثَةِ «الْحَادِي وَالثَّلاَثِينَ» مِنْ آذَارَ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَسَحَقُوا بَعْضَ أَصْدِقَائِهِ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنْ ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ حَدَثَتْ مِنْ جَانِبِ الْآخَرِينَ ؛ وَأَنَّ أَصْدِقَاءَهُ لَمْ يُصَابُوا الْبَلاَءَ ، مِنْ أَجْلِهِ ، بَلْ مِنْ أَجْلِ أَعْدَائِهِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّهُ أَنْقَذَ حِينَئِذٍ كَثِيراً مِنْ أَصْدِقَائِهِ . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا ، عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْرُدُوا الْمُرَائِينَ مِنْ أَهْلِ الضَّلاَلِ ؛ وَتَضْرِبُوا عَلٰى أَفْوَاهِهِمْ ، قَائِلِينَ : إِنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ لاَ يَخْطُرَ بِبَالِ الشَّيَاطِينِ مِنْ أَمْثَالِكُمْ ، تَهْرِيبُ خَزِينَةٍ أَبَدِيَّةٍ عَنْ أَيْدِينَا ، بِخَوْفِ تَهْلُكَةِ احْتِمَالٍ وَاحِدٍ مِنْ آلاَفِ احْتِمَالٍ ، لاَ أَلْفِ احْتِمَالٍ ؛ وَقُولُوا أَيْضاً لِأُولاَئِكَ الْمُرَائِينَ : إِنَّهُ إِنْ نَزَلَ خَطَرٌ بِمِئَةِ احْتِمَالٍ مِنَ الْمِئَةِ ، لاَ بِاحْتِمَالٍ وَاحِدٍ مِنْ مِئَاتِ آلاَفِ احْتِمَالٍ ؛ وَكَانَ لَنَا مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَقْلِ ؛ فَلاَ نَخَافُ ؛ فَنَهْرُبُ وَنَتْرُكُهُ ، لِأَنَّهُ شُوهِدَ بِتَجَارِبَ مُكَرَّرَةٍ ؛ وَيُشَاهَدُ أَنَّ الْبَلاَءَ النَّازِلَ ، يَنْفَجِرُ أَوَّلاً عَلٰى رُؤُوسِ أُولاَئِكَ الَّذِينَ يُهِينُونَ «أَخَاهُمُ الْكَبِيرَ» أَوْ «أُسْتَاذَهُمْ» فِي زَمَنِ الْخَطَرِ ؛ وَقَدْ أُدِينُوا بِدُونِ مَرْحَمَةٍ ؛ وَنُظِرَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةَ السُّفَلاَءِ ؛ فَمَاتَتْ أَجْسَادُهُمْ ؛ وَمَاتَتْ أَرْوَاحُهُمْ مَعْنًى ، بَيْنَ الذِّلَّةِ ؛ وَإِنَّ الَّذِينَ يَجْزُونَهُمْ ، لاَ يُحِسُّونَ بِرَحْمَةٍ فِي قُلُوبِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ هٰؤُلاَءِ لَمَّا تَبَيَّنُوا خَائِنِينَ لِأُسْتَاذِهِمُ الصَّادِقِ الْمُشْفِقِ لَهُمْ ؛ فَلاَ شَكَّ أَنَّهُمْ سُفَلاَءُ جِدّاً ؛ وَأَنَّهُمْ لاَيَلِيقُونَ بِالتَّحْقِيرِ ، لاَ بِالْمَرْحَمَةِ . .

فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ ، هِيَ الْحَقِيقَةَ ؛ وَكَانَ ظَالِمٌ بِلاَ وِجْدَانٍ ، أَلْقٰى أَحَداً عَلَى الْأَرْضِ ؛ وَحَاوَلَ أَنْ يَسْحَقَ رَأْسَهُ ، بِرِجْلِهِ قَطْعاً ؛ فَإِنْ قَبَّلَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ الْمُسْتَلْقٰى عَلَى الْأَرْضِ ، رِجْلَ ذٰلِكَ الظَّالِمِ الْوَحْشِيِّ ؛ فَإِنَّهُ يُسْحَقُ قَلْبُهُ قَبْلَ رَأْسِهِ ؛ وَيَمُوتُ رُوحُهُ قَبْلَ جَسَدِهِ ، بِسَبَبِ ذٰلِكَ الذُّلِّ ؛ فَيَذْهَبُ رَأْسُهُ ؛ وَيَهْلِكُ عِزَّتُهُ وَشَرَفُهُ ؛ وَأَيْضاً أَنَّهُ يُشَجِّعُ ذٰلِكَ الظَّالِمَ

الْمُفْتَرِسَ الَّذِي لا وِجْدَانَ لَهُ ، عَلٰى إِسْحَاقِهِ لَهُ ، بِإِظْهَارِ الضَّعْفِ أَمَامَ ذٰلِكَ الظَّالِمِ . وَإِنْ بَصَقَ ذٰلِكَ الْمَظْلُومُ الَّذِي تَحْتَ رِجْلِهِ ، عَلٰى وَجْهِ ذٰلِكَ الظَّالِمِ ؛ فَإِنَّهُ يُنْقِذُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ ؛ وَيَصِيرُ جَسَدُهُ ، شَهِيداً مَظْلُوماً . . (نَعَمْ : اُبْصُقُوا عَلٰى وُجُوهِ الظَّالِمِينَ ، الَّتِي لَا حَيَاءَ لَهَا) . .

وَفِي زَمَنٍ مَّا دَمَّرَتْ دَوْلَةُ إِنْكِلْتِرَا ، مَدَافِعَ مَضِيقِ إِسْطَنْبُولَ ؛ وَاحْتَلَّتْ إِسْطَنْبُولَ ؛ فَسُئِلَتْ مِنْ طَرَفِ رَئِيسِ أَسَاقِفَةِ كَنِيسَةِ «آنْغلِيقَانَ» الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَائِرَةٍ دِينِيَّةٍ لِتِلْكَ الدَّوْلَةِ ، سِتَّةُ أَسْئِلَةٍ دِينِيَّةٍ ، عَنِ الْمَشْيَخَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَكُنْتُ حِينَئِذٍ عُضْواً لِدَارِ الْحِكْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَقَالُوا لِي : أَجِبْ عَلَيْهَا جَوَاباً مَّا ؛ فَإِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الْجَوَابَ عَلٰى أَسْئِلَتِهِمُ السِّتَّةِ ، بِسِتِّمِئَةِ كَلِمَةٍ ؛ فَقُلْتُ : «إِنِّي لَا أُجِيبُ عَلَيْهَا بِسِتِّمِئَةِ كَلِمَةٍ ، وَلَا بِستِّ كَلِمَاتٍ ، بَلْ وَلَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ بَلْ أُجِيبُ بِبَصْقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الدَّوْلَةَ ـ وَهَا أَنْتُمْ تُشَاهِدُونَ ـ وَطِئَتْ حَنْجَرَتَنَا بِرِجْلِهَا ؛ فَيَلْزَمُ الْبَصْقُ عَلٰى وَجْهِ أُسْقُفِهَا ، تِجَاهَ تَسَاؤُلِهِ فِي ذٰلِكَ الْحِينِ ، عَلٰى وَجْهِ الْغُرُورِ ؛ فَكُنْتُ قُلْتُ : «اِبْصُقُوا عَلٰى وُجُوهِ أُولَائِكَ الظَّالِمِينَ ، تِلْكَ الْوُجُوهِ الَّتِي لَا رَحْمَةَ فِيهَا» . .

وَالْآنَ أَقُولُ : يَا إِخْوَانِي ! لَقَدْ كَفَانِي حِفْظُ الْقُرْآنِ ؛ وَقَدْ كَانَتِ الْمُعَارَضَةُ بِلِسَانِ الطِّبَاعَةِ ، عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ، لِحُكُومَةٍ جَبَّارَةٍ مِثْلِ إِنْكِلْتِرَا ، فِي حِينِ احْتِلَالِهَا ، خَطَراً مِئَةً فِي الْمِئَةِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَكْفِيكُمْ أَيْضاً ، ذٰلِكَ الْحِفْظُ الْقُرْآنِيُّ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ، إِزَاءَ أَضْرَارٍ تَرِدُ بِاحْتِمَالٍ وَاحِدٍ فِي الْمِئَةِ ، عَنْ أَيْدِي ظَلَمَةٍ لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُمْ ؛ وَأَيْضاً ، يَا إِخْوَانِي ! إِنَّ أَكْثَرَكُمْ أَدَّيْتُمْ وَظِيفَةَ التَّجَنُّدِ ؛ وَالَّذِينَ لَمْ يَتَجَنَّدُوا ، سَمِعُوا قَطْعاً ؛ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا ؛ فَلْيَسْمَعُوا مِنِّي : أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ يُجْرَحُونَ ، هُمُ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ مَكْمَنَهُمْ وَيَفِرُّونَ ؛ وَأَنَّ الَّذِينَ يُجْرَحُونَ أَقَلَّ جُرْحٍ ، هُمُ الَّذِينَ يَثْبُتُونَ فِي كَمِينِهِمْ . وَقَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ يَدُلُّ بِمَعْنَاهُ الْإِشَارِيِّ ، عَلٰى أَنَّ الْفَارِّينَ عَنِ الْمَوْتِ ، يَسْتَقْبِلُونَهُ أَزْيَدَ اسْتِقْبَالٍ . .

﴿ اَلدَّسِيسَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّهُمْ يَصْطَادُونَ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ ، مِنْ أَجْلِ الطَّمَعِ . وَلَقَدْ أَثْبَتْنَا فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ، بِبَرَاهِينَ قَطْعِيَّةٍ اسْتَفَضْنَاهَا مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَبَيِّنَاتِهِ : أَنَّ الرِّزْقَ الْمَشْرُوعَ لَا يَرِدُ حَسَبَ دَرَجَةِ الاِقْتِدَارِ وَالاِخْتِيَارِ ، بَلْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَجْزِ وَالاِفْتِقَارِ . وَتُوجَدُ إِشَارَاتٌ وَأَمَارَاتٌ وَدَلَائِلُ لَا حَدَّ لَهَا ، تَدُلُّ عَلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ الْأَشْجَارَ الْمُحْتَاجَةَ إِلَى الرِّزْقِ ، الَّتِي هِيَ نَوْعٌ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، تَقِفُ فِي مَكَانِهَا ؛ فَتَأْتِي أَرْزَاقُهَا رَاكِضَةً إِلَيْهَا ؛ وَأَنَّ الْحَيَوَانَاتِ تَعْدُو بِالْحِرْصِ ، وَرَاءَ أَرْزَاقِهَا ؛ فَلَا تُرَبّٰى كَالْأَشْجَارِ تَرْبِيَةً كَامِلَةً . .

وَأَيْضاً أَنَّ تَغَذِّيَ الْأَسْمَاكِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ ، تَغَذِّياً كَامِلاً ؛ وَسَمَانَتَهَا بِعُمُومِهَا ، مَعَ كَوْنِهَا أَبْلَهَ ، وَلَا اقْتِدَارَ لَهَا ، وَبَيْنَ الرَّمْلِ ؛ وَهُزَالَ الْحَيَوَانَاتِ الذَّكِيَّةِ الْمُقْتَدِرَةِ كَالْقِرْدِ وَالثَّعْلَبِ ؛ وَضَعْفَهَا مِنْ سُوءِ مَعِيشَتِهَا ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ وَاسِطَةَ الرِّزْقِ ، هِيَ الاِفْتِقَارُ ، لَا الاِقْتِدَارُ . .

وَأَيْضاً أَنَّ حُسْنَ مَعِيشَةِ جَمِيعِ الْأَطْفَالِ ، إِنْسَانِيَّةً كَانَتْ أَوْ حَيَوَانِيَّةً ؛ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهَا بِأَلْطَفِ هَدِيَّةٍ مِثْلِ اللَّبَنِ ، مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ ، شَفَقَةً عَلٰى ضَعْفِهَا وَعَجْزِهَا ؛ وَضِيقَ مَعِيشَةِ الضَّوَارِي الْوَحْشِيَّةِ ، تَدُلُّ أَيْضاً عَلٰى أَنَّ وَسِيلَةَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ ، هِيَ الْعَجْزُ وَالاِفْتِقَارُ ؛ وَلَيْسَتِ الذَّكَاءَ وَالاِقْتِدَارَ . .

وَأَيْضاً أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَنْ يَرْكُضُ وَرَاءَ الرِّزْقِ ، أَزْيَدَ مِنْ شَعْبِ الْيَهُودِ ، الْمَشْهُورِ بِشِدَّةِ الْحِرْصِ ، بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي الدُّنْيَا ؛ مَعَ أَنَّهُمْ يَتَعَرَّضُونَ أَكْثَرَ تَعَرُّضٍ ، لِسُوءِ الْمَعِيشَةِ ، بَيْنَ الذِّلَّةِ وَالسَّفَالَةِ ؛ وَأَنَّ أَغْنِيَاءَهُمْ أَيْضاً ، يَعِيشُونَ سُفَلَاءَ ؛ عَلٰى أَنَّ الْمَالَ الَّذِي يَكْتَسِبُونَهُ بِطُرُقٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ مِثْلِ الرِّبَا ، لَيْسَ رِزْقاً حَلَالاً ؛ فَيَجْرَحَ مَسْأَلَتَنَا . .

وَأَيْضاً أَنَّ فَقْرَ حَالِ كَثِيرِينَ مِنَ الْأُدَبَاءِ ، وَكَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ؛ وَثَرْوَةَ الْكَثِيرِينَ مِنَ الْبُلْهِ وَغِنَاهُمْ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ مَدَارَ جَلْبِ الرِّزْقِ ، لَيْسَ الذَّكَاءَ وَالاِقْتِدَارَ ، بَلِ الْعَجْزُ وَالاِفْتِقَارُ ؛

وَالتَّسْلِيمُ عَلٰى وَجْهِ التَّوَكُّلِ ؛ وَالدُّعَاءُ بِلِسَانِ الْقَالِ ، وَلِسَانِ الْحَالِ ، وَلِسَانِ الْفِعْلِ . .

هٰذَا ؛ فَآيَةُ ﴿إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ الَّتِي تُعْلِنُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، هِيَ بُرْهَانٌ قَوِيٌّ وَمَتِينٌ ، لِدَعْوَانَا هٰذِهِ ، بِحَيْثُ تُتْلٰى بِأَلْسِنَةِ جَمِيعِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْأَطْفَالِ . وَإِنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ تَطْلُبُ الرِّزْقَ ، تَتْلُو هٰذِهِ الْآيَةَ ، بِلِسَانِ الْحَالِ . . فَإِذَا كَانَ الرِّزْقُ مُقَدَّراً ؛ وَيُعْطٰى إِحْسَاناً ؛ وَكَانَ الْمُحْسِنُ ، هُوَ اللّٰهُ تَعَالٰى ؛ وَهُوَ رَحِيمٌ وَكَرِيمٌ ؛ فَلْيَتَفَكَّرْ مَنْ يَقْبَلُ مَالاً مَنْحُوساً حَرَاماً ، لَا بَرَكَةَ فِيهِ ، رَاشِياً وِجْدَانَهُ ، بَلْ بَعْضَ مُقَدَّسَاتِهِ ، مَعَ صَبِّ مَاءِ وَجْهِهِ ، بِوَجْهٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ ، بِحَيْثُ يَتَّهِمُ رَحْمَةَ اللّٰهِ ؛ وَيَسْتَخِفُّ بِكَرَمِهِ ، فَلْيَتَفَكَّرْ أَنَّ ذٰلِكَ ، أَيُّ جُنُونٍ مُضَاعَفٍ . . نَعَمْ : إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا ، لَاسِيَّمَا أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، لَا يَدْفَعُونَ نُقُودَهُمْ رَخِيصَةً ؛ بَلْ يَبِيعُونَهَا غَالِيَةً جِدّاً ؛ فَإِنَّ مَالاً يُعِينُ سَنَةً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، بِدَرَجَةٍ مَّا ، قَدْ يَكُونُ وَسِيلَةً لِتَخْرِيبِ حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ بِلَا حَدٍّ ، مُقَابِلَ ذٰلِكَ الْمَالِ ؛ فَيَجْلِبُ إِلَيْهِ بِذٰلِكَ الْحِرْصِ ، غَضَبَ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ وَيَسْعٰى لِجَلْبِ رِضَا أَهْلِ الضَّلَالِ . .

فَيَا إِخْوَانِي ! إِنْ أَخَذَكُمُ الْمُرَاؤُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَالْمُنَافِقُونَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ ، مِنْ أَجْلِ هٰذَا الطَّمَعِ الَّذِي هُوَ عَصَبٌ ضَعِيفٌ لِلْإِنْسَانِ ؛ فَتَفَكَّرُوا فِي الْحَقِيقَةِ السَّابِقَةِ ؛ وَاجْعَلُوا «أَخَاكُمُ الْفَقِيرَ هٰذَا» ، مِثَالاً لِلِامْتِثَالِ ؛ وَإِنِّي أُومِنُكُمْ بِكُلِّ قُوَّتِي : أَنَّ الْقَنَاعَةَ وَالِاقْتِصَادَ يُدِيمَانِ حَيَاتَكُمْ ؛ وَيُؤَمِّنَانِ مُؤْنَتَكُمْ ؛ أَكْثَرَ مِنَ الرَّاتِبِ ؛ لَاسِيَّمَا أَنَّ تِلْكَ الدَّرَاهِمَ غَيْرَ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي دُفِعَتْ لَكُمْ ، سَتَطْلُبُ مِنْكُمْ عِوَضاً عَنْهَا ، ثَمَناً أَزْيَدَ مِنْهَا ، أَلْفَ ضِعْفٍ ؛ وَأَيْضاً يُمْكِنُ أَنْ تَسُدَّ أَمَامَ الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَصْلُحُ كُلُّ سَاعَةٍ مِنْهَا أَنْ تَفْتَحَ خَزِينَةً أَبَدِيَّةً لَكُمْ ؛ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ تُورِثَ الْفُتُورَ لَهَا ؛ وَإِنَّ هٰذَا ضَرَرٌ وَفَرَاغٌ ، لَوْ أُعْطِيتُمْ آلَافَ الرَّوَاتِبِ ، كُلَّ شَهْرٍ ؛ لَا يَمْلَأُ مَكَانَهُ . .

إِخْطَارٌ : أَنَّ أَهْلَ الضَّلَالَةِ ، لَا يَتَأَتّٰى مِنْ أَيْدِيهِمْ ، الْمُدَافَعَةُ وَالْمُقَابَلَةُ أَمَامَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي نَشَرْنَاهَا مُسْتَفِيدِينَ عَنِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْتَعْمِلُونَ فَخَّ الْمَكْرِ وَالْإِغْفَالِ ، عَلٰى وَجْهِ النِّفَاقِ وَالدَّسِيسَةِ ؛ فَيُرِيدُونَ أَنْ يَغُرُّوا أَحْبَابِي ، بِحُبِّ الْجَاهِ ، وَبِالطَّمَعِ

وَالْخَوْفِ ؛ وَأَنْ يُزَيِّفُونِي بِبَعْضِ إِسْنَادَاتٍ . وَإِنَّنَا نَتَحَرَّكُ دَائِماً ، فِي خِدْمَتِنَا الْقُدْسِيَّةِ ، حَرَكَةً إِيجَابِيَّةً ؛ وَلٰكِنَّ وَظِيفَةَ دَفْعِ الْمَوَانِعِ الْمَوْجُودَةِ فِي كُلِّ أَمْرٍ خَيْرٍ ، تَسُوقُنَا أَحْيَاناً ، إِلَى الْحَرَكَةِ السَّلْبِيَّةِ ، مَعَ التَّأَسُّفِ ؛ فَلِهٰذَا أُوقِظُ إِخْوَانِي ، بِالنِّقَاطِ الثَّلَاثِ السَّابِقَةِ ، أَمَامَ دِعَايَاتِ أَهْلِ النِّفَاقِ ، عَلَى وَجْهِ الِاحْتِيَالِ ؛ وَأَسْعَى لِدَفْعِ الْهُجُومِ الْوَارِدِ عَلَيْهِمْ . .

وَأَمَّا الْآنَ ؛ فَإِنَّ أَهَمَّ هُجُومٍ ، هُوَ عَلَى شَخْصِي ؛ فَيَقُولُونَ : «إِنَّ السَّعِيدَ كُرْدِيٌّ ؛ فَلِمَاذَا تَحْتَرِمُونَهُ هٰذَا الْقَدْرَ ؛ وَتَقْتَدُونَ بِهِ» ؟ . فَلِإِسْكَاتِ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ ، بِالِاضْطِرَارِ ؛ سَأَذْكُرُ الدَّسِيسَةَ الشَّيْطَانِيَّةَ الرَّابِعَةَ ، بِلِسَانِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، بِدُونِ الرِّضَا . .

﴿ اَلدَّسِيسَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ بَعْضَ الْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ يَشْغَلُونَ مَوَاقِعَ مُهِمَّةً ؛ وَيَهْجُمُونَ عَلَيَّ ، بِالدِّعَايَاتِ بِتَلْقِينِ الشَّيْطَانِ ، وَإِلْقَاءِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، يَقُولُونَ لِخِدَاعِ إِخْوَانِي ، وَتَهْيِيجِ عَصَبِيَّتِهِمُ الْقَوْمِيَّةِ : «إِنَّكُمْ أَتْرَاكٌ ؛ وَيُوجَدُ فِي الْأَتْرَاكِ ، كُلُّ نَوْعٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَأَهْلِ الْكَمَالِ ، إِلَى مَا شَاءَ اللهُ ؛ وَإِنَّ «السَّعِيدَ» كُرْدِيٌّ ؛ وَتَشْرِيكُ الْمَسَاعِي ، مَعَ أَحَدٍ لَيْسَ مِنْ قَوْمِيَّتِكُمْ ، يُنَافِي الْحَمِيَّةَ الْقَوْمِيَّةَ» . .

فَالْجَوَابُ : أَيُّهَا الْمُلْحِدُ الشَّقِيُّ ! إِنِّي ـ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ـ مُسْلِمٌ ؛ وَإِنَّ لِمِلَّتِي الْقُدْسِيَّةِ ، ثَلَاثَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً مِنَ الْأَفْرَادِ ؛ وَإِنِّي أَسْتَعِيذُ بِاللهِ ، مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ، أَنْ أَفْدِيَ فِكْرَ الْعُنْصُرِيَّةِ ، وَالْقَوْمِيَّةَ السَّلْبِيَّةَ ، بِثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً ، مِنَ الْإِخْوَانِ الَّذِينَ يُؤَسِّسُونَ مِثْلَ هٰذِهِ الْأُخُوَّةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيُعِينُونَنِي بِدَعَوَاتِهِمْ ؛ وَيُوجَدُ بَيْنَهُمُ «الْأَكْرَادُ» بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَأَنْ أَفُوزَ بِعِدَّةِ أَشْخَاصٍ مَحْدُودَةٍ ، دَخَلُوا فِي مَسْلَكٍ لَا دِينَ ، أَوْ لَا مَذْهَبَ لَهُمْ ؛ وَيَحْمِلُونَ اسْمَ الْكُرْدِ ؛ وَيُعَدُّونَ مِنْ عُنْصُرِ الْكُرْدِ ، بَدَلاً عَنْ أُولَائِكَ الْإِخْوَانِ الْمُبَارَكِينَ الَّذِينَ لَا حَدَّ لَهُمْ . .

فَيَا أَيُّهَا الْمُلْحِدُ ! فَلَا بُدَّ مِنْ حَمَاقَى مِثْلِكَ ؛ فَيَتْرُكَ الْأُخُوَّةَ الْبَاقِيَةَ ، أُخُوَّةَ جَمَاعَةٍ حَقِيقِيَّةٍ نَيِّرَةٍ نَافِعَةٍ ، مِنْ ثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً ، لِتَحْصِيلِ أُخُوَّةِ كُفَّارِ «الْمَجَرِ» ، أَوْ عِدَّةِ أَتْرَاكٍ مُلْحِدَةٍ مُتَفَرْنِجَةٍ ، أُخُوَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ لَا فَائِدَةَ فِيهَا ، حَسَبَ الدُّنْيَا أَيْضاً . .

وَلَقَدْ بَيَّنَّا مَاهِيَّةَ الْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، وَأَضْرَارَهَا ، بِدَلائِلِهَا ، فِي الْمَسْأَلَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْمَكْتُوبِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ ؛ فَنُحِيلُهَا عَلَيْهَا ؛ وَإِنَّمَا نُوضِحُ هُنَا ، بَعْضَ الْإِيضَاحِ ، حَقِيقَةً أُجْمِلَتْ فِي آخِرِ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ الثَّالِثَةِ . .

وَذٰلِكَ : أَنِّي أَقُولُ لِأُولائِكَ الْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ يَبِيعُونَ حَمِيَّتَهُمْ ؛ وَيَدْخُلُونَ تَحْتَ غِطَاءِ الْعُنْصُرِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ ؛ وَهُمْ أَعْدَاءُ التُّرْكِ حَقِيقَةً ، أَقُولُ : إِنِّي ذُو صِلَةٍ شَدِيدَةٍ وَحَقِيقِيَّةٍ جِدّاً ، بِأَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْ هٰذَا الْوَطَنِ ، الْمُسَمَّيْنَ بِـ «التُّرْكِ» ؛ وَذٰلِكَ بِحَمِيَّةِ دِينِ الْإِسْلامِ ، وَبِأُخُوَّةٍ أَبَدِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ ، وَذُو مَحَبَّةٍ عَلَى وَجْهِ الافْتِخَارِ وَالالْتِزَامِ ، بِحِسَابِ الْإِسْلامِيَّةِ ، لِأَوْلادِ هٰذَا الْوَطَنِ الَّذِينَ سَيَّرُوا «عَلَمَ الْقُرْآنِ» غَالِبِينَ ، فِي أَنْحَاءِ الْجِهَاتِ السِّتِّ مِنَ الْعَالَمِ ، زُهَاءَ أَلْفِ سَنَةٍ . . فَأَمَّا أَنْتَ ، أَيُّهَا الْمُتَصَنِّعُ الْعَمِيلُ ! فَإِنَّ لَكَ أُخُوَّةً مَجَازِيَّةً ، وَعُنْصُرِيَّةً مُؤَقَّتَةً ، ذَاتَ أَغْرَاضٍ ، بِحَيْثُ تُنْسِي مَفَاخِرَ «التُّرْكِ» الْحَقِيقِيَّةَ الْمِلِّيَّةَ . .

وَإِنِّي أَسْأَلُكَ : هَلِ الْقَوْمُ «التُّرْكُ» ، عِبَارَةٌ عَنِ الشُّبَّانِ الْغَافِلِينَ ، مِنْ أَهْلِ الْهَوَى ، بَيْنَ الْعِشْرِينَ وَالْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُمُرِ فَقَطْ ؟ وَأَنَّ مَصْلَحَتَهُمْ وَالْخِدْمَةَ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْحَمِيَّةُ الْقَوْمِيَّةُ فِي حَقِّهِمْ ، هَلْ هِيَ فِي التَّرْبِيَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ الَّتِي تَزِيدُهُمْ غَفْلَةً ؛ وَتُعَلِّمُهُمُ الْوَقَاحَاتِ ؛ وَتُشَجِّعُهُمْ عَلَى الْمَنْهِيَّاتِ ؟ وَفِي إِضْحَاكٍ مُؤَقَّتٍ يُبْكِيهِمْ فِي الشَّيْبِ ؟ . فَإِنْ كَانَتِ الْحَمِيَّةُ الْقَوْمِيَّةُ ، عِبَارَةً عَنْ هٰذِهِ ؛ وَكَانَ الرُّقِيُّ وَسَعَادَةُ الْحَيَاةِ ، هِيَ هٰذِهِ ؛ نَعَمْ : إِنْ كُنْتَ عُنْصُرِيّاً تُرْكِيّاً هٰكَذَا ؛ وَكُنْتَ وَطَنِيّاً مُتَحَمِّساً هٰكَذَا ؛ فَإِنِّي أَفِرُّ عَنْ تِلْكَ الْعُنْصُرِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ ؛ وَلَكَ أَنْ تَهْرُبَ عَنِّي . فَإِنْ كَانَ لَكَ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ ، مِنَ الْحَمِيَّةِ وَالشُّعُورِ وَالْإِنْصَافِ ؛ فَانْظُرْ إِلَى التَّقْسِيمَاتِ الْحَاضِرَةِ ؛ وَأَجِبْ عَلَيْهَا ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ أَوْلادَ هٰذَا الْوَطَنِ ، الَّذِينَ يُسَمَّوْنَ بِشَعْبِ التُّرْكِ ، سِتَّةُ أَقْسَامٍ . الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : أَهْلُ الصَّلاحِ وَالتَّقْوَى . وَالْقِسْمُ الثَّانِي : طَائِفَةُ الْمَرْضَى وَالْمُصَابِينَ . وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ : صِنْفُ الْكُهُولِ . وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ : طَائِفَةُ الصِّبْيَانِ . وَالْقِسْمُ الْخَامِسُ : طَائِفَةُ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ . وَالْقِسْمُ السَّادِسُ : هُمُ الشُّبَّانُ . .

فَيَا عَجَباً ! أَلَيْسَتْ جَمِيعُ الطَّوَائِفِ الْخَمْسِ الْأُولَى ، أَتْرَاكاً ؟ أَلَيْسَ لَهُمْ حِصَّةٌ

مِنَ الْحَمِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ؟ . وَيَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ مِنَ الْحَمِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ، إِيلَامُ تِلْكَ الطَّوَائِفِ الْخَمْسِ ، وَسَلْبُ رَاحَتِهِمْ ، وَنَقْضُ تَسَلِّيهِمْ ، فِي سَبِيلِ إِعْطَاءِ صَفَاءٍ سَكْرَانَ ، لِلطَّائِفَةِ السَّادِسَةِ ؟ أَمْ أَنَّ ذٰلِكَ ، عَدَاوَةٌ لِذٰلِكَ الشَّعْبِ ؟ فَإِنَّ مَنْ يَمَسُّ بِالْأَكْثَرِ ضَرَراً ؛ فَهُوَ عَدُوٌّ ؛ وَلَيْسَ صَدِيقاً ، بِسِرِّ «أَنَّ الْحُكْمَ لِلْأَكْثَرِ» . .

وَإِنِّي أَسْأَلُكَ : هَلِ الْمَصْلَحَةُ الْكُبْرَى ، لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَأَهْلِ التَّقْوَى الَّذِينَ هُمُ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ، هَلْ هِيَ ، فِي حَضَارَةٍ إِفْرِنْجِيَّةٍ ؟ أَمْ فِي السُّلُوكِ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ الَّذِي عَشِقُوهُ وَاشْتَاقُوهُ ، وَفِي التَّسَلِّي الْحَقِيقِيِّ ، بِأَنْوَارِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، مُتَفَكِّرِينَ فِي السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؟ . وَإِنَّ الْمَسْلَكَ الَّذِي اتَّخَذَهُ أَمْثَالُكَ مِنَ الْعُمَلَاءِ أَصْحَابِ الضَّلَالَةِ ، يُطْفِئُ الْأَنْوَارَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، لِأَهْلِ الْإِيمَانِ الْمُتَّقِينَ ؛ وَيُفْسِدُ تَسَلِّيَهُمُ الْحَقِيقِيَّ ؛ وَيُرِيهِمُ الْمَوْتَ إِعْدَاماً ؛ وَالْقَبْرَ بَابَ فِرَاقٍ دَائِمٍ لَا يَزَالُ . .

وَهَلْ مَصْلَحَةُ الْآيِسِينَ عَنِ الْحَيَاةِ ، وَالْمَرْضَى وَالْمُصَابِينَ الَّذِينَ هُمُ الْقِسْمُ الثَّانِي ، هَلْ هِيَ ، فِي تَرْبِيَةِ الْمَدَنِيَّةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ الْإِلْحَادِيَّةِ ؟ مَعَ أَنَّ أُولٰئِكَ الْبَائِسِينَ ، يَبْتَغُونَ نُوراً وَتَسَلِّياً ؛ وَيَطْلُبُونَ عَلَى مَصَائِبِهِمْ مُكَافَأَةً ؛ وَيَبْغُونَ أَخْذَ انْتِقَامِهِمْ ، عَمَّنْ ظَلَمُوهُمْ ؛ وَيَطْلُبُونَ دَفْعَ الدَّهْشَةِ الَّتِي فِي بَابِ الْقَبْرِ الَّذِي اقْتَرَبُوا مِنْهُ . وَإِنَّكُمْ تَغْرِزُونَ الْإِبْرَةَ ، فِي قُلُوبِ أُولٰئِكَ الْمُصَابِينَ الْبَائِسِينَ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ وَيَلِيقُونَ كَثِيراً ، بِالشَّفَقَةِ وَالتَّسْلِيَةِ وَالتَّهْنِئَةِ جِدّاً ؛ وَتَضْرِبُونَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ بِالْمِطْرَقَةِ ؛ وَتَنْقُضُونَ آمَالَهُمْ ، بِدُونِ رَحْمَةٍ ؛ وَتُلْقُونَهُمْ فِي الْيَأْسِ الْمُطْلَقِ ، بِحَمِيَّةِ أَمْثَالِكُمُ الْمُصْطَنَعَةِ ؛ فَهَلْ هٰذِهِ ، هِيَ الْحَمِيَّةُ الْقَوْمِيَّةُ ؟ وَهَلْ تَنْفَعُونَ الشَّعْبَ ، هٰكَذَا ؟ .

وَإِنَّ الْقِسْمَ الثَّالِثَ الَّذِينَ هُمُ الْكُهُولُ ، يُشَكِّلُونَ ثُلُثاً ؛ فَهٰؤُلَاءِ يَقْتَرِبُونَ إِلَى الْقَبْرِ ؛ وَيَقْرُبُونَ مِنَ الْمَوْتِ ؛ وَيَتَبَاعَدُونَ عَنِ الدُّنْيَا ؛ وَيَلْتَحِقُونَ بِالْآخِرَةِ ؛ فَهَلْ مَصْلَحَةُ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ ، وَنُورُهُمْ وَتَسَلِّيهِمْ ، هَلْ هِيَ ، فِي الِاسْتِمَاعِ إِلَى تَارِيخِ أَمْثَالِ «جَنْكِيزَ ، وَهُولَاكُو» مِنَ الظَّالِمِينَ الْغَدَّارِينَ ، وَفِي هٰذَا النَّوْعِ مِنْ حَرَكَاتِكُمُ الْحَاضِرَةِ الْمُسَمَّاةِ بِالتَّرَقِّي ظَاهِراً ،

وَالسُّقُوطِ مَعْنًى ، الَّتِي تُنْسِي الْآخِرَةَ ؛ وَتَرْبِطُ بِالدُّنْيَا ، مِمَّا لَا نَتِيجَةَ لَهُ ؟ وَهَلِ النُّورُ الْأُخْرَوِيُّ ، فِي السِّينَمَا ؛ وَالتَّسَلِّي الْحَقِيقِيُّ ، فِي الْمَسْرَحِ ؟ . فَتَلْقِينُهُمْ فِكْرَةَ أَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، وَتَحْوِيلُ بَابِ الْقَبْرِ الَّذِي يَتَصَوَّرُونَهُ بَابَ الرَّحْمَةِ ، إِلَى فَمِ الثُّعْبَانِ ، وَالنَّفْثُ فِي آذَانِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ ، بِأَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى هُنَالِكَ ، مِمَّا هُوَ مِنْ قَبِيلِ ذَبْحِ أُولَائِكَ الْكُهُولِ الْبَائِسِينَ ، بِالسِّكِّينِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَهؤُلَاءِ يَطْلُبُونَ الْاِحْتِرَامَ مِنَ الْحَمِيَّةِ ، إِنْ كَانَتْ هٰذِهِ ، حَمِيَّةً قَوْمِيَّةً ؛ فَالْعِيَاذُ بِاللهِ ، مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ الْحَمِيَّةِ ، مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ . .

وَإِنَّ الطَّائِفَةَ الرَّابِعَةَ الَّتِي هِيَ الصِّبْيَانُ ، يَطْلُبُونَ الرَّحْمَةَ ، مِنَ الْحَمِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ؛ وَيَنْتَظِرُونَ الشَّفَقَةَ مِنْهَا ؛ فَهؤُلَاءِ أَيْضاً ، تَنْبَسِطُ أَرْوَاحُهُمْ ؛ وَيَنْكَشِفُ اسْتِعْدَادُهُمْ مَسْعُوداً ، بِمَعْرِفَةِ خَالِقٍ ذِي مَرْحَمَةٍ ، وَصَاحِبِ قُدْرَةٍ ؛ وَذٰلِكَ فِي نُقْطَةِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ وَعَدَمِ الْاِقْتِدَارِ فِيهِمْ ؛ وَإِنَّ أُولَائِكَ الْمَعْصُومِينَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْظُرُوا مُشْتَاقِينَ إِلَى الْحَيَاةِ ، بِتَلْقِينِ تَوَكُّلٍ إِيمَانِيٍّ ، وَتَسْلِيمٍ إِسْلَامِيٍّ ، يُقَاوِمَانِ مَا فِي الدُّنْيَا ، مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأَحْوَالِ الرَّهِيبَةِ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ ذٰلِكَ ، فِي تَعْلِيمِ دُرُوسِ التَّرَقِّيَاتِ الْمَدَنِيَّةِ الَّتِي صِلَتُهُمْ بِهَا قَلِيلَةٌ جِدّاً ، وَفِي تَعْلِيمِ مَا لَا نُورَ فِيهَا ، مِنَ الدَّسَاتِيرِ الْفَلْسَفِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ الْمَحْضَةِ الَّتِي تُطْفِئُ أَرْوَاحَهُمْ ؛ وَتَكْسِرُ قُوَّتَهُمُ الْمَعْنَوِيَّةَ ؟ . فَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ ، عِبَارَةً عَنْ جَسَدٍ حَيَوَانِيٍّ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي رَأْسِهِ الْعَقْلُ ؛ لَاحْتُمِلَ أَنْ تَنْفَعَ هٰذِهِ الْأَسَالِيبُ الْإِفْرَنْجِيَّةُ الَّتِي تُعَبِّرُونَ عَنْهَا بِالتَّرْبِيَةِ الْمَدَنِيَّةِ ؛ وَتَصْبُغُونَهَا بِصِبْغَةِ التَّرْبِيَةِ الْقَوْمِيَّةِ ؛ وَتُلْهِيَ هؤُلَاءِ الصِّبْيَانَ الْمَعْصُومِينَ ، مُؤَقَّتاً ؛ وَأَنْ تُورِثَ نَفْعاً دُنْيَوِيّاً ، مِنْ قَبِيلِ أُلْعُوبَةٍ طُفُولِيَّةٍ لَهُمْ . وَلَمَّا كَانَ أُولَائِكَ الْمَعْصُومُونَ ؛ سَيُلْقَوْنَ فِي مُتَقَلَّبَاتِ الْحَيَاةِ ؛ وَكَانُوا إِنْسَاناً ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَتَكُونُ فِي قُلُوبِهِمُ الصَّغِيرَةِ ، مَطَالِبُ مَدِيدَةٌ جِدّاً ؛ وَسَتُولَدُ فِي رُؤُوسِهِمُ الصَّغِيرَةِ ، مَقَاصِدُ كَبِيرَةٌ . وَلَمَّا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ هٰكَذَا ؛ فَإِنَّ مُقْتَضَى الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ ، أَنَّهُ يَلْزَمُ تَمْكِينُ نُقْطَةِ اسْتِنَادٍ قَوِيَّةٍ لِلْغَايَةِ ، وَنُقْطَةِ اسْتِمْدَادٍ لَا تَنْفَدُ ، فِي قُلُوبِهِمْ ، بِصُورَةِ الْإِيمَانِ بِاللهِ ، وَالْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ، فِي فَقْرِهِمْ وَعَجْزِهِمْ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَتَكُونُ الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ بِهِمْ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ . وَإِلَّا ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ ، ذَبْحٌ

مَعْنَوِيٌّ لِأُولَائِكَ الْمَعْصُومِينَ الْبَائِسِينَ ، بِسُكْرِ الْحَمِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ، كَذَبْحِ وَالِدَةٍ مَجْنُونَةٍ ، وَلَدَهَا بِالسِّكِّينِ ؛ وَإِنَّهُ ظُلْمٌ وَغَدْرٌ وَحْشِيٌّ ، مِنْ قَبِيلِ إِخْرَاجِ دِمَاغِهِ وَقَلْبِهِ ؛ فَإِطْعَامِهِمَا لَهُ ، لِتَرْبِيَةِ جَسَدِهِ . .

وَالطَّائِفَةُ الْخَامِسَةُ : هِيَ طَائِفَةُ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ ؛ فَيَا لَلْعَجَبِ ! أَلَيْسَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ يُعَانُونَ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ الثَّقِيلَةَ ، بِوَاسِطَةِ الْفَقْرِ ، بِوَجْهٍ أَلِيمٍ ، وَلِلضُّعَفَاءِ الَّذِينَ يَتَأَثَّرُونَ كَثِيراً ، إِزَاءَ تَقَلُّبَاتِ الْحَيَاةِ الْهَائِلَةِ ، حِصَّةٌ مِنَ الْحَمِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ؟ . وَهَلْ هِيَ ، فِي أَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا تَحْتَ اسْمِ التَّمَدُّنِ بِمَدَنِيَّةٍ فِرْعَوْنِيَّةٍ مُتَشَرِّبَةٍ بِمَشْرَبِ الْإِفْرِنْجِ ، وَكَاشِفَةٍ لِحِجَابِ الْحَيَاءِ ، وَمَلْعَبَةٍ لِهَوَسَاتِ بَعْضِ الْأَغْنِيَاءِ السُّفَهَاءِ ، وَوَسِيلَةِ الشُّهْرَةِ وَالشَّقَاوَةِ لِبَعْضِ الظَّالِمِينَ الْأَقْوِيَاءِ ، وَالَّتِي تَزِيدُ فِي يَأْسِ هٰؤُلَاءِ الْبَائِسِينَ ، وَفِي أَلَمِهِمْ ؟ . وَإِنَّ الْعِلَاجَ لِجُرْحِ فَقْرِ هٰؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ الْبَائِسِينَ ، لَا يَخْرُجُ عَنْ فِكْرِ الْعُنْصُرِيَّةِ ، بَلْ عَنِ الصَّيْدَلِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَإِنَّ قُوَّةَ الضُّعَفَاءِ وَمُقَاوَمَتَهُمْ ، لَا تُؤْخَذُ مِنَ الْفَلْسَفَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي لَا شُعُورَ لَهَا ، الْمُظْلِمَةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالتَّصَادُفِ ؛ بَلْ تُؤْخَذُ مِنَ الْحَمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالْمِلِّيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ . .

وَالطَّائِفَةُ السَّادِسَةُ : هُمُ الشُّبَّانُ ؛ فَلَوْ كَانَ شَبَابُ هٰؤُلَاءِ الشُّبَّانِ ، دَائِماً ؛ لَكَانَ لِلْخَمْرِ الَّتِي أَشْرَبْتُمُوهُمْ إِيَّاهَا ، بِالْعُنْصُرِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، مَنْفَعَةٌ وَفَائِدَةٌ مُؤَقَّتَةٌ ؛ وَلٰكِنَّ خُمَارَ تِلْكَ الْخَمْرَةِ وَاضْطِرَابَهَا ، سَيُبْكِيهِ كَثِيراً ، بِإِفَاقَةِ ذٰلِكَ السُّكْرِ اللَّذِيذِ ، بِالشَّيْبِ وَالْأَلَمِ ، وَبِاسْتِيقَاظِ ذٰلِكَ النَّوْمِ الْحُلْوِ ، بِالْأَسَفِ ، فِي صَبَاحِ الْمَشِيبِ ؛ وَإِنَّ الْأَلَمَ فِي زَوَالِ تِلْكَ الرُّؤْيَا اللَّذِيذَةِ ، سَيُؤْسِفُهُ وَيُحْزِنُهُ كَثِيراً ؛ وَيُنْطِقُهُ مُتَأَوِّهاً بِأَنَّهُ مَضَى الشَّبَابُ ؛ وَرَاحَ الْعُمُرُ ؛ وَأَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ مُفْلِساً ؛ فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ أُعِيدُ عَقْلِي ، إِلٰى رَأْسِي . .

فَيَا عَجَباً ! إِنَّ حِصَّةَ هٰذِهِ الطَّائِفَةِ ، عَنِ الْحَمِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ، هَلْ هِيَ ، إِبْكَاؤُهُمْ بِتَأَسُّفٍ ، فِي زَمَنٍ طَوِيلٍ جِدّاً ، لِقَضَاءِ ذَوْقٍ مُؤَقَّتٍ ، فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ ؟ . أَمْ إِنَّ سَعَادَةَ دُنْيَاهُمْ ، وَلَذَّةَ حَيَاتِهِمْ ، هِيَ ، فِي إِبْقَاءِ ذٰلِكَ الشَّبَابِ الْفَانِي ، بَقَاءً مَعْنَوِيّاً بِالْعِبَادَةِ ، وَفِي تَحْصِيلِ شَبَابٍ أَبَدِيٍّ فِي دَارِ السَّعَادَةِ ، بِاسْتِقَامَةِ ذٰلِكَ الشَّبَابِ ؛ بِأَنْ لَا يَصْرِفَ

تِلْكَ النِّعْمَةَ ، فِي طَرِيقِ السَّفَاهَةِ ، بَلْ فِي سَبِيلِ الاِسْتِقَامَةِ ، بِصُورَةِ أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ ذٰلِكَ الشَّبَابِ اللَّطِيفِ الْحُلْوِ ؟ . فَاذْكُرْ إِنْ كَانَ لَكَ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الشُّعُورِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ «الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ» لَوْ كَانَ عِبَارَةً عَنِ الشُّبَّانِ الَّذِينَ هُمُ الطَّائِفَةُ السَّادِسَةُ فَقَطْ ؛ وَبَقِيَ شَبَابُهُمْ دَائِماً ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَكَانٌ غَيْرُ الدُّنْيَا ؛ لَعُدَّتْ أَعْمَالُكُمُ الْإِفْرَنْجِيَّةُ تَحْتَ غِطَاءِ الْعُنْصُرِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ ، مِنَ الْحَمِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ ؛ وَلَكَسَبْتُمْ حَقّاً ؛ وَكَانَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا لِرَجُلٍ مِثْلِي يَهْتَمُّ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ قَلِيلاً ؛ وَيَتَلَقَّى فِكْرَ الْعُنْصُرِيَّةِ ، مَرَضاً شَبِيهاً بِدَاءِ الفِرِنْجِ ؛ وَيَسْعٰى لِمَنْعِ الشُّبَّانِ ، عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْهَوَسَاتِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ ؛ وَوُلِدَ بِوَطَنٍ آخَرَ أَنْ تَقُولُوا : «إِنَّهُ كُرْدِيٌّ ؛ فَلَا تَتَّبِعُوهُ» ؛ وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَ أَوْلَادُ هٰذَا الْوَطَنِ ، الَّذِينَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ «اسْمُ التُّرْكِ» ، سِتَّةَ أَقْسَامٍ ؛ كَمَا بُيِّنَ سَابِقاً ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِضْرَارَ بِخَمْسَةِ أَقْسَامٍ ؛ وَسَلْبَ رَاحَتِهِمْ ؛ وَإِذَاقَةَ ذَوْقٍ مُؤَقَّتٍ دُنْيَوِيٍّ مَشْؤُومِ الْعَاقِبَةِ ، لِقِسْمٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، بَلْ إِسْكَارَهُمْ بِذٰلِكَ الذَّوْقِ ، لَيْسَتْ صَدَاقَةً لِذٰلِكَ الشَّعْبِ التُّرْكِيِّ ؛ بَلْ عَدَاوَةٌ لَهُمْ . .

نَعَمْ : إِنِّي لَا أُعَدُّ تُرْكِيّاً ، بِحَسَبِ الْعُنْصُرِ ؛ وَلٰكِنِّي اجْتَهَدْتُ ؛ وَأَجْتَهِدُ بِكُلِّ قُوَّتِي ، وَبِكَمَالِ الاِشْتِيَاقِ ، عَلٰى وَجْهِ الشَّفَقَةِ وَالْأُخُوَّةِ ، لِطَائِفَةِ أَهْلِ التَّقْوٰى ، وَلِقِسْمِ ذَوِي الْمَصَائِبِ ، وَصِنْفِ الْكُهُولِ ، وَطَائِفَةِ الصِّبْيَانِ ، وَزُمْرَةِ الضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ ، مِنَ الْأَتْرَاكِ ؛ وَأُرِيدُ أَنْ أَصُدَّ الشُّبَّانَ الَّذِينَ هُمُ الطَّائِفَةُ السَّادِسَةُ ، عَنْ حَرَكَاتٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ ، تُسَمِّمُ حَيَاتَهُمُ الدُّنْيَوِيَّةَ ؛ وَتَمْحُو حَيَاتَهُمُ الْأُخْرَوِيَّةَ ؛ وَتُنْتِجُ سَنَةً مِنَ الْبُكَاءِ ، عِوَضاً عَنْ سَاعَةٍ مِنَ الضَّحِكِ ؛ وَلَيْسَ هٰذِهِ السِّنِينَ السِّتَّ أَوِ السَّبْعَ فَقَطْ ؛ بَلْ صَارَ عِشْرِينَ سَنَةً ؛ فَإِنَّ مَا أَخَذْتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَنَشَرْتُهُ بِاللِّسَانِ التُّرْكِيِّ ، مِنَ الْآثَارِ ، فِي الْمَيْدَانِ . .

نَعَمْ : فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ : أَنَّ النُّورَ الَّذِي يَطْلُبُهُ الْكُهُولُ أَكْثَرَ ، يُعْرَضُ بِالْآثَارِ الَّتِي اقْتُبِسَتْ مِنْ مَعْدِنِ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَأَنَّ أَنْفَعَ عِلَاجِ الْمُصَابِينَ وَالْمَرْضَى ، الشَّبِيهِ بِالتِّرْيَاقِ ، يُعْرَضُ فِي الصَّيْدَلِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ ؛ وَأَنَّ بَابَ الْقَبْرِ الَّذِي يُفَكِّرُ الْكُهُولُ أَكْثَرَ ، قَدْ أُثْبِتَ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، أَنَّهُ بَابُ الرَّحْمَةِ ؛ وَلَيْسَ بَابَ الْإِعْدَامِ ؛ وَأَنَّ

نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ قَوِيَّةً جِدّاً ، فِي قُلُوبِ الصِّبْيَانِ اللَّطِيفَةِ ، تِجَاهَ مَا لاَ حَدَّ لَهَا ، مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْأَشْيَاءِ الضَّارَّةِ ؛ وَنُقْطَةَ اسْتِمْدَادٍ تَكُونُ مَدَاراً لِمَا لاَ حَدَّ لَهَا ، مِنْ آمَالِهِمْ وَمَطَالِبِهِمْ ، قَدْ أُخْرِجَتَا مِنْ مَعْدِنِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَعُرِضَتَا ؛ وَاسْتُفِيدَ مِنْهُمَا بِالْفِعْلِ ؛ وَأَنَّ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ الثَّقِيلَةَ ، الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي قِسْمِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ ؛ وَتَسْحَقُهُمْ أَكْثَرَ ، قَدْ خُفِّفَتْ بِالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، مِنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . .

فَهٰؤُلاَءِ الطَّوَائِفُ الْخَمْسُ الَّتِي هِيَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ ، مِنَ الْأَقْسَامِ السِّتَّةِ ، لِشَعْبِ التُّرْكِ ، نَسْعٰى لِمَنَافِعِهِمْ ؛ وَإِنَّ الْقِسْمَ السَّادِسَ الَّذِينَ هُمُ الشُّبَّانُ ، لَنَا أُخُوَّةٌ جَادَّةٌ ، تِجَاهَ الْمُحْسِنِينَ مِنْهُمْ . وَأَمَّا الْمُلْحِدُونَ مِنْ أَمْثَالِكَ ، فَلاَ صَدَاقَةَ لَنَا إِزَاءَهُمْ ، بِأَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي الْإِلْحَادِ ؛ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا عَنِ الْحَمِيَّةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ جَمِيعَ الْمَفَاخِرِ الْقَوْمِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلتُّرْكِ ؛ فَلاَ نَعْرِفُهُمْ أَتْرَاكاً ؛ وَنَحْسِبُهُمْ إِفْرَنْجَةً دَخَلُوا تَحْتَ غِطَاءِ التُّرْكِ ؛ لِأَنَّهُمْ إِنِ ادَّعَوْا ؛ فَقَالُوا مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ : إِنَّنَا قَوْمِيُّونَ تُرْكِيُّونَ ؛ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُغْفِلُوا أَهْلَ الْحَقِيقَةِ ؛ فَإِنَّ أَفْعَالَهُمْ وَحَرَكَاتِهِمْ تُكَذِّبُ دَعْوَاهُمْ . .

فَيَا أَيُّهَا الْمُتَشَرِّبِينَ بِمَشْرَبِ الْإِفْرِنْجِ ، وَالْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ تَسْعَوْنَ بِدِعَايَاتِكُمْ ، لِتَبْرِيدِ إِخْوَانِيَ الْحَقِيقِيِّينَ عَنِّي ! مَا هُوَ نَفْعُكُمْ لِهٰذَا الشَّعْبِ ؟ فَإِنَّكُمْ تُطْفِئُونَ نُورَ أَهْلِ الصَّلاَحِ وَالتَّقْوٰى ، مِنَ الطَّائِفَةِ الْأُولٰى ؛ وَتَنْثُرُونَ السُّمَّ ، عَلٰى جُرُوحِ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ اللاَّئِقَةِ بِالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ ؛ وَتَكْسِرُونَ أَمَلَ الطَّائِفَةِ الثَّالِثَةِ اللاَّئِقَةِ كَثِيراً بِالاِحْتِرَامِ ؛ وَتُلْقُونَهُمْ فِي الْيَأْسِ الْمُطْلَقِ ؛ وَتَنْقُضُونَ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ كُلِّيّاً ، قُوَّةَ الطَّائِفَةِ الرَّابِعَةِ الْمُحْتَاجَةِ كَثِيراً إِلَى الشَّفَقَةِ ؛ وَتُطْفِئُونَ إِنْسَانِيَّتَهُمُ الْحَقِيقِيَّةَ ؛ وَتَعْقِمُونَ آمَالَ الطَّائِفَةِ الْخَامِسَةِ الْمُحْتَاجَةِ كَثِيراً إِلَى الْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ وَالتَّسَلِّي ؛ وَتَجْعَلُونَ اسْتِمْدَادَهُمْ عَقِيماً ؛ فَتُحَوِّلُونَ الْحَيَاةَ إِلٰى صُورَةٍ أَفْزَعَ مِنَ الْمَوْتِ ، فِي نَظَرِهِمْ ؛ وَتُشْرِبُونَ الطَّائِفَةَ السَّادِسَةَ الْمُحْتَاجَةَ كَثِيراً إِلَى الْإِيقَاظِ وَالتَّيَقُّظِ ، خَمْرَةً بَيْنَ نَوْمَةِ الشَّبِيبَةِ ، يَكُونُ خُمَارُ تِلْكَ الْخَمْرَةِ ، أَلِيمَةً وَفَزِيعَةً جِدّاً . . فَيَا لَلْعَجَبِ ! فَهَلْ هٰذِهِ ، هِيَ الْحَمِيَّةُ الْقَوْمِيَّةُ الَّتِي تَفْتَدُونَ فِي سَبِيلِهَا ، بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُقَدَّسَاتِ ؟ وَهَلْ مَنْفَعَةُ

تِلْكَ الْعُنْصُرِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ ، لِلْأَتْرَاكِ ، هِيَ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ ؟ . اَلْعِيَاذُ بِاللهِ ، مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ . .

أَيُّهَا السَّادَةُ ! أَعْلَمُ أَنَّكُمْ إِذَا غُلِبْتُمْ فِي نُقْطَةِ الْحَقِّ ؛ تُرَاجِعُونَ الْقُوَّةَ ؛ فَبِسِرِّ «أَنَّ الْقُوَّةَ فِي الْحَقِّ ؛ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِي الْقُوَّةِ» ، إِنْ جَعَلْتُمُ الدُّنْيَا ، نَاراً عَلٰى رَأْسِي ؛ فَلَنْ يَخْضَعَ لَكُمْ ، هٰذَا الرَّأْسُ الَّذِي فُدِيَ بِهِ لِلْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ . وَكَذَا أُخْبِرُكُمْ هٰذَا الْخَبَرَ أَيْضاً : أَنَّهُ لَوْ عَادَانِي ـ لَا بَعْضُ أَشْخَاصٍ مَحْدُودَةٍ وَمَنْفُورَةٍ مَعْنًى ، فِي نَظَرِ الشَّعْبِ ، مِنْ أَمْثَالِكُمْ ـ بَلْ لَوْ عَادَانِي آلَافٌ مِنْ أَمْثَالِكُمْ ، عَدَاوَةً مَادِّيَّةً ؛ لَمَا اهْتَمَمْتُ بِهِمْ ؛ وَلَا أَقَمْتُ لَهُمْ قِيمَةً أَزْيَدَ مِنْ بَعْضِ حَيَوَانَاتٍ مُضِرَّةٍ ؛ لِأَنَّكُمْ مَاذَا تَفْعَلُونَ ضِدِّي ؟ فَإِنَّ مَا تَفْعَلُونَ ، إِمَّا يَكُونُ بِسَدِّ الْخَاتِمَةِ عَلٰى حَيَاتِي ، أَوْ بِصُورَةِ تَغْيِيرِ خِدْمَتِي ؛ فَإِنَّهُ لَا عَلَاقَةَ لِي فِي الدُّنْيَا ، بِشَيْءٍ مِنْ غَيْرِ هٰذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ . .

أَمَّا الْأَجَلُ النَّازِلُ بِالْحَيَاةِ ، فَقَدْ آمَنْتُ إِيمَاناً قَطْعِيّاً فِي دَرَجَةِ الشُّهُودِ ، أَنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ ؛ وَأَنَّهُ مُقَدَّرٌ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنْ أَمُتْ بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ ؛ فَإِنِّي أَنْتَظِرُهُ بِكَمَالِ الِاشْتِيَاقِ ، لَا الِاجْتِنَابِ ، وَلَاسِيَّمَا أَنِّي شِبْتُ ؛ فَلَا أَتَصَوَّرُ الْحَيَاةَ ، أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ ، إِلَّا عَسِيراً ؛ وَإِنَّ تَبْدِيلَ سَنَةٍ مِنَ الْعُمُرِ ، بِعُمُرٍ بَاقٍ بِلَا حَدٍّ ، يُكْسَبُ بِسَبَبِ الشَّهَادَةِ ، يَكُونُ أَعْلٰى مَقْصَدٍ وَغَايَةٍ ، لِأَمْثَالِي . .

وَأَمَّا الْخِدْمَةُ : فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ : لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ تَعَالٰى ، بِرَحْمَتِهِ ، فِي الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ ، إِخْوَاناً كَذٰلِكَ ؛ بِحَيْثُ سَتُؤَدّٰى تِلْكَ الْخِدْمَةُ ، فِي مَرَاكِزَ كَثِيرَةٍ ، بِوَفَاتِي ، بَدَلاً عَنْ أَدَائِهَا فِي مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنَّ لِسَانِي ، إِنْ أُسْكِتَ بِالْمَوْتِ ؛ فَإِنَّ أَلْسِنَةً قَوِيَّةً كَثِيرَةً جِدّاً ، سَتَنْطِقُ بَدَلاً عَنْ لِسَانِي ؛ وَتُدِيمُ تِلْكَ الْخِدْمَةَ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ أَقُولَ : كَمَا أَنَّ حَبَّةَ بَذْرٍ ، تَدْخُلُ تَحْتَ التُّرَابِ ؛ فَتُنْتِجُ بِمَوْتِهَا ، حَيَاةَ سُنْبُلَةٍ ؛ فَتُبَاشِرُ مِئَةُ حَبَّةٍ ، بِالْوَظِيفَةِ ، بَدَلاً عَنْ حَبَّةٍ وَاحِدَةٍ ؛ كَذٰلِكَ أَتَوَقَّعُ الْأَمَلَ ، بِأَنَّ مَوْتِي يَكُونُ وَاسِطَةً لِتِلْكَ الْخِدْمَةِ ، أَزْيَدَ مِنْ حَيَاتِي . .

﴿ اَلدَّسِيسَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ أَتْبَاعَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، يَسْتَفِيدُونَ مِنَ

الْأَنَانِيَّةِ ؛ فَيُرِيدُونَ أَنْ يَسْحَبُوا إِخْوَانِي عَنِّي . وَإِنَّ أَخْطَرَ عَصَبٍ فِي الْإِنْسَانِ ، هُوَ الْأَنَانِيَّةُ ؛ وَهِيَ أَضْعَفُ أَعْصَابِهِ حَقِيقَةً ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يُؤَدُّوا بِتَهْيِيجِهَا ، أُمُوراً سَيِّئَةً جِدّاً . .

فَيَا إِخْوَانِي ! اِحْذَرُوا أَنْ لَا يُصِيبُوكُمْ فِي الْأَنَانِيَّةِ ؛ وَلَا يَصْطَادُوكُمْ بِهَا ؛ وَاعْلَمُوا أَيْضاً ، أَنَّ أَهْلَ الضَّلَالَةِ ، رَكِبُوا الْكِبْرَ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ فَيَتَسَابَقُونَ فِي أَوْدِيَةِ الضَّلَالَةِ ؛ وَأَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْدُمُوا الْحَقَّ ، بِتَرْكِ الْكِبْرِ ، بِالضَّرُورَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا مُحِقِّينَ فِي اسْتِعْمَالِ الْكِبْرِ ؛ فَإِذَا كَانُوا يُشْبِهُونَ الْآخَرِينَ ؛ وَهُمْ يَظُنُّونَهُمْ مُتَكَبِّرِينَ مِثْلَهُمْ ؛ يَكُونُ ذٰلِكَ ، ظُلْماً عَلٰى خِدْمَةِ الْحَقِّ ؛ وَمَعَ هٰذَا ، فَإِنَّ الْخِدْمَةَ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي اجْتَمَعْنَا حَوْلَهَا ، لَا تَقْبَلُ التَّعْبِيرَ بِـ «أَنَا» ؛ وَتَقْتَضِي التَّعْبِيرَ بِـ «نَحْنُ» ؛ وَتَقُولُ : لَا تَقُولُوا : أَنَا ؛ وَقُولُوا : نَحْنُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ حَصَلَتْ قَنَاعَتُكُمْ بِأَنَّ «أَخَاكُمُ الْفَقِيرَ هٰذَا» لَمْ يَبْرُزْ إِلَى الْمَيْدَانِ بِالْأَنَانِيَّةِ ؛ وَلَا يَجْعَلُكُمْ خَادِمِينَ لِأَنَانِيَّتِهِ ؛ بَلْ أَرَاكُمْ نَفْسَهُ ، خَادِماً قُرْآنِيّاً بِلَا أَنَانِيَّةٍ ؛ وَقَدِ اتَّخَذَ عَدَمَ الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ ، وَرَفْضَ الْمُوَالَاةِ لِأَنَانِيَّتِهِ ، مَسْلَكاً لَهُ ؛ وَمَعَ هٰذَا ، فَقَدْ أَثْبَتَ لَكُمْ ، بِدَلَائِلَ قَطْعِيَّةٍ : أَنَّ الْآثَارَ الَّتِي وُضِعَتْ بِمَيْدَانِ الِاسْتِفَادَةِ ؛ هِيَ أَمْوَالٌ أَمِيرِيَّةٌ . يَعْنِي : أَنَّهَا تَرَشُّحَاتُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَصْلاً ، أَنْ يَمْتَلِكَهَا بِأَنَانِيَّتِهِ ؛ فَلْيُفْرَضْ فَرْضَ الْمُحَالِ : أَنِّي أَمْلِكُ تِلْكَ الْآثَارَ ، بِأَنَانِيَّتِي ؛ فَلَمَّا فُتِحَ بَابُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ كَمَا قَالَ أَحَدُ إِخْوَانِي ؛ فَعَلٰى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْكَمَالِ ، أَنْ لَا يَسْتَغْنُوا وَلَا يَجْتَنِبُوا عَنْ مُظَاهَرَتِي ، بِدُونِ النَّظَرِ إِلٰى نَقْصِي وَحَقَارَتِي . .

وَإِنَّ آثَارَ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ ، وَالْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ ؛ وَإِنْ كَانَتْ خَزِينَةً عَظِيمَةً ، كَافِيَةً وَوَافِيَةً بِكُلِّ دَاءٍ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ بَعْضَ أَزْمَانٍ ، يَكُونُ مِفْتَاحٌ ، أَهَمَّ مِنْ خَزِينَةٍ ؛ لِأَنَّ الْخَزِينَةَ مُقْفَلَةٌ ؛ وَلٰكِنَّ مِفْتَاحاً وَاحِداً ، يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَحَ خَزَائِنَ كَثِيرَةً . وَأَظُنُّ أَنَّ الْفُضَلَاءَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ تِلْكَ الْأَنَانِيَّةَ الْعِلْمِيَّةَ كَثِيراً ، فَهِمُوا أَيْضاً : أَنَّ «الْمَقَالَاتِ» الَّتِي نُشِرَتْ ، هِيَ مَفَاتِيحُ الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَأَنَّهَا سُيُوفٌ أَلْمَاسِيَّةٌ تَنْزِلُ عَلٰى رُؤُوسِ السَّاعِينَ لِإِنْكَارِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ . وَلْيَعْلَمْ أُولَائِكَ الرِّجَالُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ،

وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْأَنَانِيَّةَ الْعِلْمِيَّةَ الْقَوِيَّةَ : أَنَّهُمْ يَصِيرُونَ طَلَبَةً وَتَلامِذَةً لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، لَا لِي ؛ وَأَنَا أَيْضاً أَحَدٌ مِنْ رُفَقَاءِ الدَّرْسِ ؛ فَلْيُفْرَضْ فَرْضَ الْمُحَالِ : أَنِّي أَدَّعِي الْأُسْتَاذِيَّةَ ؛ فَلَمَّا اكْتَشَفْنَا وَسِيلَةَ إِنْقَاذِ طَبَقَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، مِنَ الْعَوَامِّ إِلَى الْخَوَاصِّ ، عَنْ أَوْهَامٍ وَشُبُهَاتٍ تَعَرَّضُوا لَهَا الْآنَ ؛ فَعَلَى أُولَائِكَ الْعُلَمَاءِ ، إِمَّا أَنْ يَجِدُوا وَسِيلَةً أَسْهَلَ لَهُ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَلْتَزِمُوا هٰذِهِ الْوَسِيلَةَ ؛ فَيُدَرِّسُوهَا وَيُوَالُوهَا ؛ فَإِنَّ فِي حَقِّ عُلَمَاءِ السُّوءِ ، تَهْدِيداً عَظِيماً ؛ فَعَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَحْذَرُوا كَثِيراً ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَلْتَفْتَرِضُوا أَنِّي أَعْمَلُ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْخِدْمَةِ ، بِحِسَابِ الْأَنَانِيَّةِ ؛ كَمَا يَظُنُّ أَعْدَاؤُنَا ؛ فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِذَا تَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ أَنَانِيَّتَهُمْ ؛ فَاجْتَمَعُوا بِكَمَالِ الصَّدَاقَةِ ، حَوْلَ رَجُلٍ فِرْعَوْنِيِّ الْمَشْرَبِ ؛ فَأَدَّوُا الْعَمَلَ بِتَسَانُدٍ شَدِيدٍ ، لِأَجْلِ مَقْصَدٍ دُنْيَوِيٍّ وَقَوْمِيٍّ ؛ أَفَلَيْسَ لِأَخِيكُمْ هٰذَا ، حَقٌّ أَنْ يَطْلُبَ مِنْكُمْ ، تَسَانُداً حَوْلَ الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ ، بِتَرْكِ الْأَنَانِيَّةِ ، كَعُرَفَاءِ تِلْكَ الْقِيَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ وَأَلَيْسَ أَكْبَرُ عُلَمَائِكُمْ ، غَيْرَ مُحِقٍّ فِي عَدَمِ التَّلْبِيَةِ لَهُ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَسْتُرُ أَنَانِيَّةَ نَفْسِهِ ، حَوْلَ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؟ .

فَيَا إِخْوَانِي ! إِنَّ أَخْطَرَ جِهَةِ الْأَنَانِيَّةِ فِي أَمْرِنَا ، هُوَ الْحَسَدُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَالِصاً لِلّٰهِ ؛ يَتَدَخَّلُهُ الْحَسَدُ ؛ فَيُفْسِدُهُ ؛ فَكَمَا أَنَّ إِحْدٰى يَدَيْ إِنْسَانٍ ، لَا تَحْسُدُ يَدَهُ الْأُخْرٰى ؛ وَلَا تُحَاسِدُ عَيْنُهُ أُذُنَهُ ؛ وَلَا يَغْبِطُ قَلْبُهُ عَقْلَهُ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، بِمَثَابَةِ حَاسَّةٍ وَعُضْوٍ فِي الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِهَيْئَتِنَا هٰذِهِ ؛ وَإِنَّ مِنْ وَظِيفَتِكُمُ الْوِجْدَانِيَّةِ ، أَنْ لَا يَتَحَاسَدَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ؛ بَلْ يَفْتَخِرَ وَيَتَلَذَّذَ بَعْضُكُمْ بِمَزَايَا بَعْضٍ . وَبَقِيَ شَيْءٌ آخَرُ ؛ وَهُوَ أَخْطَرُهَا ؛ فَإِنَّ وُجُودَ عَصَبٍ مِنَ الْحَسَدِ ، فِيكُمْ وَفِي أَحْبَابِكُمْ ، ضِدَّ «أَخِيكُمُ الْفَقِيرِ» هٰذَا ، أَخْطَرُ ؛ فَإِنَّ فِيكُمْ ، بَعْضاً مُهِمّاً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ وَتُوجَدُ فِي قِسْمٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَانِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ ؛ فَإِنْ كَانَ هُوَ نَفْسُهُ مُتَوَاضِعاً ؛ فَهُوَ ذُو أَنَانِيَّةٍ ، فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ؛ فَلَا يَتْرُكُ أَنَانِيَّتَهُ فَوْراً ؛ وَمَهْمَا تَمَسَّكَ قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ ؛ فَإِنَّ نَفْسَهُ ، تَطْلُبُ الِامْتِيَازَ ؛ وَتُرِيدُ تَشْهِيرَ نَفْسِهَا ، فِي جِهَةِ تِلْكَ الْأَنَانِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُرِيدُ الْمُعَارَضَةَ ضِدَّ الرَّسَائِلِ الْمُؤَلَّفَةِ ؛ وَإِنَّ قَلْبَهُ يُحِبُّ

الرَّسَائِلَ ؛ وَعَقْلَهُ يَسْتَحْسِنُهَا وَيَجِدُهَا عَالِيَةً ؛ مَعَ أَنَّ نَفْسَهُ ، كَأَنَّهَا تُضْمِرُ عَدَاوَةً ضِمْنِيَّةً ، فِي جِهَةِ الْحَسَدِ النَّاشِئِ عَنِ الْأَنَانِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ ؛ فَيَتَمَنّٰى تَنْزِيلَ قِيمَةِ «الْمَقَالَاتِ» ؛ حَتّٰى تَنَالَهَا مَحْصُولَاتُهُ الْفِكْرِيَّةُ ؛ فَتُبَاعَ مِثْلَهَا ؛ وَإِنِّي أُخْبِرُ هٰذَا ، بِالضَّرُورَةِ ؛ وَهُوَ : أَنَّ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي دَائِرَةِ هٰذِهِ الدُّرُوسِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَإِنْ كَانُوا مُتَبَحِّرِينَ وَمُجْتَهِدِينَ ؛ فَإِنَّ وَظِيفَتَهُمْ فِي جِهَةِ الْعُلُومِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ إِنَّمَا هِيَ ، شَرْحُ هٰذِهِ «الْمَقَالَاتِ» الْمُؤَلَّفَةِ ، وَإِيضَاحُهَا ، أَوْ تَنْظِيمُهَا ؛ لِأَنَّنَا قَدْ فَهِمْنَا بِأَمَارَاتٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّنَا مُوَظَّفُونَ بِوَظِيفَةِ الْفَتْوٰى ، فِي هٰذِهِ الْعُلُومِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ فَإِنْ كَتَبَ أَحَدٌ فِي دَائِرَتِنَا ، شَيْئاً خَارِجاً عَنِ الشَّرْحِ وَالْإِيضَاحِ ، بِحِسٍّ يَتَلَقَّاهُ عَنْ أَنَانِيَّةِ النَّفْسِ الْعِلْمِيَّةِ ؛ يَصِيرُ فِي حُكْمِ مُعَارَضَةٍ بَارِدَةٍ ، أَوْ تَقْلِيدٍ نَاقِصٍ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ بِدَلَائِلَ وَأَمَارَاتٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّ أَجْزَاءَ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، هِيَ تَرَشُّحَاتُ الْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّنَا تَعَهَّدَ كُلٌّ مِنَّا ، وَظِيفَةً مَا ، بِقَاعِدَةِ تَقْسِيمِ الْأَعْمَالِ ؛ فَنُوصِلُ إِلَى الْمُحْتَاجِينَ ، تَرَشُّحَاتِ مَاءِ الْحَيَاةِ ذٰلِكَ . .

﴿ اَلدَّسِيسَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ السَّادِسَةُ : ﴾ هِيَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَفِيدُ عَمَّا فِي الْإِنْسَانِ ، مِنْ عَصَبِ الْكَسَلِ ، وَتَرْبِيَةِ الْجَسَدِ ، وَتَلَبُّسِ الْوَظِيفَةِ . نَعَمْ : إِنَّ الشَّيْطَانَ الْإِنْسِيَّ وَالْجِنِّيَّ ، يَهْجُمَانِ فِي كُلِّ جِهَةٍ ؛ فَإِذَا رَأَيَا مِنْ إِخْوَانِنَا مَنْ هُوَ مَتِينُ الْقَلْبِ ، قَوِيُّ الصَّدَاقَةِ ، خَالِصُ النِّيَّةِ ، عَالِي الْهِمَّةِ ، يَهْجُمَانِ عَلَيْهِ مِنْ نِقَاطٍ أُخْرٰى ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّهُمَا يَسْتَفِيدَانِ عَنْ تَكَاسُلِهِمْ وَتَرْبِيَتِهِمْ لِلْجَسَدِ ، وَتَلَبُّسِهِمْ بِالْوَظِيفَةِ ؛ وَذٰلِكَ لِإِيرَاثِ السَّكْتَةِ وَالْفُتُورِ لِخِدْمَتِنَا ؛ وَإِنَّهُمَا يُعَوِّقَانِهِمْ عَنِ الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، بِدَسَائِسَ كَذٰلِكَ ؛ بِحَيْثُ يَجِدَانِ لِقِسْمٍ مِنْهُمْ عَمَلاً زَائِداً ، بِدُونِ خَبَرٍ مِنْهُمْ ؛ حَتّٰى لَا يَجِدَ الْوَقْتَ لِلْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَيُرِيَانِ بَعْضَهُمْ ، أُمُوراً جَاذِبَةً مِنَ الدُّنْيَا ؛ لِيَسْتَيْقِظَ هَوَسُهُ ؛ فَتَطْرَأَ غَفْلَةٌ تِجَاهَ الْخِدْمَةِ ؛ وَهٰكَذَا ؛ فَتَطُولُ طُرُقُ الْهُجُومِ هٰذِهِ ؛ فَاخْتَصَرْنَا فِي هٰذَا الطُّولِ ؛ وَنُحِيلُهُ عَلٰى فَهْمِكُمُ الدَّقِيقِ . .

فَيَا إِخْوَانِي ! تَدَبَّرُوا فَإِنَّ وَظِيفَتَكُمْ قُدُسِيَّةٌ ؛ وَخِدْمَتَكُمْ عَالِيَةٌ ؛ وَإِنَّ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ عُمُرِكُمْ ، فِي قِيمَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَصِيرَ فِي حُكْمِ يَوْمٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ فَاعْلَمُوهُ ؛ حَتّٰى لَا تَفُوتَ عَنْ

أَيْدِيكُمْ . .

﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . .

وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً . . ﴾

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞

وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، الْحَبِيبِ الْعَالِي الْقَدْرِ ، الْعَظِيمِ الْجَاهِ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَسَلِّمْ ؛ آمِينَ . .

تَارِيخٌ قُدُسِيٌّ :

إِنَّ تَارِيخَ السَّنَةِ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا سِرٌّ إِعْجَازِيٌّ مُهِمٌّ ، مِنْ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، هُوَ فِي لَفْظِ «الْقُرْآنِ» أَيْضاً ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ كَلِمَةَ «الْقُرْآنِ» ، ثَلَاثُمِئَةٍ وَوَاحِدٌ وَخَمْسُونَ ، بِالْحِسَابِ الْأَبْجَدِيِّ ؛ وَفِيهَا أَلِفَانِ ؛ فَإِذَا قُرِئَ الْأَلِفُ الْمَخْفِيُّ ، بِالسُّكُونِ[1] ؛ يَكُونُ بِمَعْنَى الْأَلْفِ ؛ فَإِذاً يَصِحُّ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْ سَنَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَوَاحِدٍ وَخَمْسِينَ ، بِالسَّنَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ لِأَنَّ السِّرَّ الْعَجِيبَ ، مِنْ أَسْرَارِ التَّوَافُقَاتِ فِي لَفْظِ «الْقُرْآنِ» ، ظَهَرَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، فِي أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّتِي هِيَ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ ؛ وَأَنَّ سِرَّ التَّوَافُقِ الْمُعْجِزِ ، لِلَفْظِ «الْجَلَالِ» فِي الْقُرْآنِ ، تَظَاهَرَ فِي عَيْنِ السَّنَةِ ؛ وَأَنَّ كِتَابَةَ قُرْآنٍ يُظْهِرُ نَقْشاً إِعْجَازِيّاً ، بِأُسْلُوبٍ جَدِيدٍ ، تَكُونُ فِي عَيْنِ السَّنَةِ ؛ وَأَنَّ سَعْيَ تَلَامِذَةِ الْقُرْآنِ ، بِجَمِيعِ قُوَّتِهِمْ ، لِلْحِفْظِ عَلَى الْخَطِّ الْقُرْآنِيِّ ، ضِدَّ تَبْدِيلِهِ ، كَانَ

---

(١) فَإِنَّ فِعلًا بِالْكَسْرِ ، يُقْرَأُ فِعْلًا بِالسُّكُونِ ، حَسَبَ قَاعِدَةِ عِلْمِ الصَّرْفِ ، كَكَتِفٍ وَكَتْفٍ ؛ فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا ، يُقْرَأُ أَلِفٌ بِالْكَسْرِ ، أَلْفاً بِالسُّكُونِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ أَلْفاً وَثَلَاثَمِئَةٍ وَوَاحِداً وَخَمْسِينَ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

فِي عَيْنِ السَّنَةِ ؛ وَأَنَّ أَذْوَاقاً إِعْجَازِيَّةً مُهِمَّةً ، مِنْ أَذْوَاقِ الْقُرْآنِ ، تَتَظَاهَرُ فِي عَيْنِ تِلْكَ السَّنَةِ ؛ وَأَيْضاً وَقَعَتْ فِي عَيْنِ السَّنَةِ ، حَادِثَاتٌ ذَاتُ مُنَاسَبَةٍ كَثِيرَةٍ بِالْقُرْآنِ ؛ وَكَأَنَّهَا سَتَقَعُ فِيهَا . .

اَلْأَسْئِلَةُ السِّتَّةُ :

ذَيْلُ الْقِسْمِ السَّادِسِ الَّذِي هُوَ الرِّسَالَةُ السَّادِسَةُ :

لَقَدْ كُتِبَ هٰذَا الذَّيْلُ الْمُحَرَّمُ ، لِلتَّوَقِّي عَمَّا سَيَأْتِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، مِنَ النَّفْرَةِ وَالتَّحْقِيرِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ كُتِبَ لِدَفْعِ بُصَاقِهِمْ ، أَوْ لِمَسْحِهِ عَنْ وُجُوهِنَا ، حِينَمَا يُقَالُ : «تُفّاً لِأَشْخَاصِ ذٰلِكَ الْعَصْرِ ، الَّذِينَ كَانُوا بِلَا غَيْرَةٍ» ؛ وَإِنَّهُ عَرِيضَةٌ كُتِبَتْ لِلضَّرْبِ عَلٰى رُؤُوسِ الْمُتَمَدِّنِينَ مَدَنِيَّةً سَاقِطَةَ الْمِيمِ ، الَّتِي تُنْطِقُ الْإِنْسَانَ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، مِنْ مِئَةِ أَلْفِ جِهَةٍ ، بِقَوْلِهِ : «عَاشَتْ جَهَنَّمُ» ؛ وَلِتَرِنَّ الْآذَانُ الصَّمَّاءُ ، آذَانُ رُؤَسَاءِ أُورُوبَّا الْوَحْشِيِّينَ تَحْتَ خُوذَةِ مُرَبِّي الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَلِتَدْخُلَ فِي الْأَبْصَارِ الْعَمْيَاءِ ، أَبْصَارِ أُولٰئِكَ الظَّالِمِينَ الْمُتَعَسِّفِينَ الَّذِينَ سَلَّطُوا عَلَيْنَا ، هٰؤُلَاءِ الْغَدَّارِينَ الَّذِينَ لَا وِجْدَانَ لَهُمْ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّٰهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلٰى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ . .

إِنَّ اعْتِدَاءَ أَهْلِ الْإِلْحَادِ ، تَحْتَ الْغِطَاءِ ، اتَّخَذَ صُورَةً شَنِيعَةً لِلْغَايَةِ ، فِي هٰذِهِ الْفَتَرَاتِ الْقَرِيبَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ تُدْخِلُ فِي أَذَانِنَا وَإِقَامَتِنَا السِّرِّيَّيْنِ ، وَفِي عِبَادَتِي الْخُصُوصِيَّةِ ، مَعَ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ ، مِنْ إِخْوَانِي الْخُصُوصِيِّينَ ، فِي مَعْبَدِيَ الْخُصُوصِيِّ غَيْرِ الرَّسْمِيِّ ، الَّذِي عَمَرْتُهُ بِنَفْسِي ؛ وَقِيلَ لِي : «لِمَاذَا تُقِيمُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ ؛ وَتَقْرَؤُونَ الْأَذَانَ سِرّاً ؟» ؛ وَذٰلِكَ مِنْ قَبِيلِ الِاعْتِدَاءِ عَلٰى كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَائِسِينَ ، اعْتِدَاءَ الظُّلْمِ وَالْإِلْحَادِ ؛ وَقَدْ نَفَدَ صَبْرِي فِي السُّكُوتِ ؛ فَلَا أَقُولُ لِأَمْثَالِ أُولٰئِكَ السُّفَلَاءِ غَيْرِ الْمُسْتَعِدِّينَ لِلْخِطَابِ ، الَّذِينَ لَا وِجْدَانَ لَهُمْ ؛ بَلْ

أَقُولُ لِرُؤَسَاءِ الْقِيَادَةِ ، الْمُتَشَرِّبِينَ بِمَشْرَبٍ فِرْعَوْنِيٍّ ، الَّذِينَ يَلْعَبُونَ بِمُقَدَّرَاتِ الشَّعْبِ ، بِاسْتِبْدَادٍ اخْتِيَارِيٍّ : «يَا أَهْلَ الْبِدْعَةِ وَالْإِلْحَادِ ! أَطْلُبُ الْجَوَابَ عَلٰى أَسْئِلَتِي السِّتَّةِ» . .

﴿ أَوَّلُهَا : ﴾ أَنَّ كُلَّ قَوْمٍ يَحْكُمُ وَيُدِيرُ الْحُكُومَةَ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى الْيَمْيَامِيَّةِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْإِنْسَانِ ، وَحَتّٰى رَئِيسِ سَرِيَّةِ سِبَاعٍ وَحْشِيَّةٍ ، لَهُ أُصُولٌ ؛ وَيَحْكُمُ بِدُسْتُورٍ ؛ فَأَنْتُمْ بِأَيِّ دُسْتُورٍ تَفْعَلُونَ هٰذَا الاِعْتِدَاءَ الْعَجِيبَ ؟ فَأَبْرِزُوا قَوَانِينَكُمْ ؛ أَمْ أَنْتُمْ تَقْبَلُونَ أَهْوَاءَ بَعْضِ الْمُوَظَّفِينَ السُّفَلَاءِ قَانُوناً ؛ إِذْ لَا يُصْنَعُ الْقَانُونُ ؛ وَلَا يُمْكِنُ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْعِبَادَاتِ الْخُصُوصِيَّةِ . .

﴿ ثَانِيهَا : ﴾ أَنَّكُمْ إِلٰى أَيِّ قُوَّةٍ تَسْتَنِدُونَ بِجُرْأَتِكُمْ إِلٰى حَيْثُ تَنْقُضُونَ دُسْتُورَ حُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِ الْحَاكِمَ بِالْعُمُومِيَّةِ تَقْرِيباً ، فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ، خُصُوصاً فِي عَصْرِ الْحُرِّيَّةِ هٰذَا ، وَخَاصَّةً فِي دَائِرَةِ الْمَدَنِيَّةِ ؛ وَتَسْتَخِفُّونَ بِذٰلِكَ الدُّسْتُورِ ؛ وَتَسْتَحْقِرُونَ نَوْعَ الْبَشَرِ بِتَبَعِهِ ؛ وَتَعُدُّونَ اعْتِرَاضَهُ عَبَثاً ؟ وَأَيُّ قُوَّةٍ لَكُمْ حَيْثُ أَعْلَنْتُمْ عَدَمَ التَّدَخُّلِ لَا فِي الدِّينِ ، وَلَا فِي الْإِلْحَادِ ، بِإِطْلَاقِ اسْمِ «اللّادِينِيَّةِ» عَلَيْكُمْ ؛ مَعَ أَنَّكُمْ تَتَجَاوَزُونَ عَلَى الدِّينِ وَأَهْلِهِ هٰكَذَا ، بِحَيْثُ تَتَّخِذُونَ الْإِلْحَادَ ، دِيناً لَكُمْ ، عَلٰى وَجْهِ التَّعَصُّبِ ؟ فَلَا شَكَّ أَنَّ مِثْلَ هٰذَا التَّجَاوُزِ ، لَنْ يَبْقٰى مَسْتُوراً ؛ وَسَتُسْأَلُونَ عَنْهُ ؛ فَمَاذَا تُجِيبُونَ ؟ . وَإِنَّكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تُعَارِضُوا اعْتِرَاضَ أَصْغَرِ حُكُومَةٍ ، مِنْ عِشْرِينَ حُكُومَةً ؛ فَكَيْفَ تَسْعَوْنَ لِتَغْيِيرِ الْحُرِّيَّةِ الْوِجْدَانِيَّةِ ، بِشَكْلٍ إِجْبَارِيٍّ ؛ كَأَنَّكُمْ تَعُدُّونَ اعْتِرَاضَ عِشْرِينَ حُكُومَةً ، عَبَثاً ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ؟ .

﴿ ثَالِثُهَا : ﴾ بِأَيِّ دُسْتُورٍ تُكَلِّفُونَ أَمْثَالِي مِنَ الشَّافِعِيِّينَ ، بِفَتْوٰى خَاطِئَةٍ ، لِبَعْضٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ السُّوءِ الَّذِينَ يَبِيعُونَ وِجْدَانَهُمْ بِالدُّنْيَا ، بِشَكْلٍ مُنَافٍ لِعُلُوِّ الْمَذْهَبِ الْحَنَفِيِّ ، وَصَفْوَتِهِ ؟ . فَبَعْدَ مَا أُزِيلَ الْمَذْهَبُ الشَّافِعِيُّ الَّذِي لَهُ مَلَايِينُ مِنَ الْأَتْبَاعِ ، فِي هٰذَا الْمَسْلَكِ ؛ وَاسْتُحْنِفَ جَمِيعُ الشَّافِعِيِّينَ ؛ فَكُلِّفْتُ بِهَا إِجْبَاراً عَلٰى وَجْهِ الظُّلْمِ ؛ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهُ دُسْتُورٌ لِأَمْثَالِكُمْ مِنَ الْمُلْحِدِينَ . وَإِلَّا ؛ فَدَنَاءَةٌ هَوَسِيَّةٌ ؛ لَسْنَا تَابِعِينَ لِهَوٰى أَمْثَالِهِمْ ؛ وَلَا نَعْرِفُهَا . .

﴿ رَابِعُهَا : ﴾ أَنَّ التَّكْلِيفَ لِأَمْثَالِي مِنْ شَعْبٍ آخَرَ ، «بِالْإِقَامَةِ» بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ ،

بِفَتْوى مُحَرَّفَةٍ وَمُبْتَدِعَةٍ ، بِاسْمِ الْعُنْصُرِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ الْمَعْنٰى ، بِوَجْهٍ مُضَادٍّ كُلِّيّاً ، لِلْقَوْمِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ الْمُمْتَزِجَةِ وَالْمُتَّحِدَةِ بِالْإِسْلَامِ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ، وَالْمُتَدَيِّنَةِ جِدّاً ، وَالْمُحْتَرِمَةِ لِدِينِهَا صَمِيماً ، بِأَيِّ دُسْتُورٍ هُوَ ؟ . نَعَمْ : إِنِّي ذُو مُنَاسَبَةٍ حَقِيقِيَّةٍ جِدّاً ، بِالْأَتْرَاكِ الْحَقِيقِيِّينَ ، عَلٰى وَجْهِ الصَّدَاقَةِ وَالْأُخُوَّةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا مُنَاسَبَةَ لِي ، بِأَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً ، مَعَ الْعُنْصُرِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ ، مِنْ عُنْصُرِيَّةِ أَمْثَالِكُمُ الْإِفْرَنْجِيِّ الْمَشَارِبِ هٰكَذَا ؛ فَكَيْفَ تُكَلِّفُونَنِي بِهَا ؟ وَبِأَيِّ قَانُونٍ ؟ . فَإِنْ أَزَلْتُمْ قَوْمِيَّةَ «الْأَكْرَادِ» الَّذِينَ يُوجَدُ أَفْرَادُهُمْ بِالْمَلَايِينِ ؛ وَلَمْ يَنْسَوْا قَوْمِيَّتَهُمْ وَلِسَانَهُمْ ، مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ ؛ وَهُمْ مُوَاطِنُونَ حَقِيقِيُّونَ لِلْأَتْرَاكِ ؛ وَرُفَقَاؤُهُمْ فِي الْجِهَادِ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَأَنْسَيْتُمُوهُمْ لِسَانَهُمْ ؛ فَلَعَلَّ تَكْلِيفَكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ ، لِأَمْثَالِنَا مِمَّنْ يُعَدُّونَ مِنْ عُنْصُرٍ آخَرَ ، يَكُونُ نَوْعاً مِنْ أَسَالِيبَ وَحْشِيَّةٍ . وَإِلَّا ؛ فَهُوَ مُجَرَّدُ هَوًى ؛ فَلَا يُتْبَعُ هَوَى الْأَشْخَاصِ ؛ وَلَا نَتْبَعُهَا . .

﴿ خَامِسُهَا : ﴾ أَنَّ حُكُومَةً ؛ وَإِنْ طَبَّقَتْ كُلَّ قَوَانِينِهَا ، عَلٰى رَعِيَّتِهَا ، وَعَلٰى أُنَاسٍ تَقْبَلُهُمْ رَعَايَا ؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُنَفِّذَ قَانُونَهَا ، عَلَى الَّذِينَ لَا تَقْبَلُهُمْ رَعَايَا ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقُولُوا : إِذَا لَمْ نَكُنْ رَعِيَّتَكُمْ ؛ فَأَنْتُمْ لَسْتُمْ حُكُومَتَنَا ؛ وَأَيْضاً أَنَّ أَيَّ حُكُومَةٍ ، لَا تُجْزِي جَزَاءَيْنِ مَعاً ؛ فَإِنَّهَا إِمَّا تُلْقِي قَاتِلاً فِي السِّجْنِ ؛ أَوْ تُعْدِمُهُ ؛ فَلَا يُوجَدُ فِي أَيِّ قَانُونٍ ، الْجَزَاءُ بِالْحَبْسِ ، وَالْجَزَاءُ بِالْإِعْدَامِ ، فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ . هٰذَا ، فَإِذَا لَمْ يَمَسَّ مِنِّي ضَرَرٌ ، بِالْوَطَنِ وَالشَّعْبِ ؛ مَعَ أَنَّكُمْ حَصَرْتُمُونِي مُنْذُ ثَمَانِي سِنِينَ ، تَحْتَ أَسْرٍ لَا يُفْعَلُ بِرَجُلٍ مُجْرِمٍ ، مِنْ قَوْمٍ أَجْنَبِيٍّ خَارِجٍ أَيْضاً ؛ وَعَفَوْتُمْ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ؛ مَعَ أَنَّكُمْ سَلَبْتُمْ حُرِّيَّتِي ؛ وَأَسْقَطْتُمُونِي عَنِ الْحُقُوقِ الْمَدَنِيَّةِ ؛ فَعَامَلْتُمْ كَذٰلِكَ ؛ وَلَمْ تَقُولُوا : إِنَّ هٰذَا أَيْضاً ، مِنْ أَوْلَادِ الْوَطَنِ ؛ فَبِأَيِّ دُسْتُورٍ ، وَبِأَيِّ قَانُونٍ تُكَلِّفُونَ رَجُلاً مِثْلِي ، أَجْنَبِيّاً لَكُمْ بِكُلِّ جِهَةٍ ، بِدَسَاتِيرِكُمْ هٰذِهِ الْهَادِمَةِ لِلْحُرِّيَّةِ ، وَالَّتِي طَبَّقْتُمْ عَلٰى شَعْبِكُمُ الْبَائِسِ ، خِلَافَ رِضَاهُمْ ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ حَسِبْتُمْ جِنَايَةً ، مَا صِرْنَا وَسِيلَةً لَهَا ، فِي الْحَرْبِ الْعُمُومِيَّةِ ، بِشَهَادَةِ أَرْكَانِ الْجَيْشِ ، مِنْ مُجَاهَدَاتٍ رُوحِيَّةٍ ، وَتَضْحِيَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ ؛ وَعَدَدْتُمْ جِنَايَةً ، السَّعْيَ لِحِفْظِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ ، لِلشَّعْبِ الْبَائِسِ ، وَالْعَمَلَ لِتَأْمِينِ سَعَادَتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ ، عَمَلاً جَادّاً وَمُؤَثِّراً ؛ وَجَزَيْتُمْ

ثَمَانِي سِنِينَ(١) ، رَجُلًا لَمْ يَقْبَلْ فِي نَفْسِهِ ، أَسَالِيبَ إِفْرِنْجِيَّةً ، كُفْرِيَّةً هَوَسِيَّةً ، خَطِرَةً ضَارَّةً ، لَا نَفْعَ فِيهَا مَعْنًى ؛ فَالْجَزَاءُ يَكُونُ وَاحِداً ؛ وَإِنِّي لَمْ أَقْبَلْ تَطْبِيقَهَا ؛ فَحَمَّلْتُمُونِي الْجَزَاءَ ؛ فَبِأَيِّ دُسْتُورٍ يَكُونُ تَطْبِيقُ جَزَاءٍ ثَانٍ ، بِإِجْبَارٍ . .

﴿ سَادِسُهَا : ﴾ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَنَا مُخَالَفَةٌ كُلِّيَّةٌ مَعَكُمْ ، حَسَبَ اعْتِقَادِكُمْ ، وَنَظَراً إِلَى الْمُعَامَلَةِ الَّتِي تُفْعَلُ بِي ؛ فَإِنَّكُمْ تَفْدُونَ بِدِينِكُمْ وَآخِرَتِكُمْ ، فِي سَبِيلِ دُنْيَاكُمْ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّا مُسْتَعِدُّونَ كُلَّ وَقْتٍ ، لِلْفِدَاءِ بِدُنْيَانَا ، فِي سَبِيلِ دِينِنَا ، وَلِآخِرَتِنَا ، خِلَافاً لَكُمْ ، بِسِرِّ الْمُخَالَفَةِ الَّتِي بَيْنَنَا ، حَسَبَ ظَنِّكُمْ ؛ فَإِنَّ فِدَاءَ سَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ ، مِنْ حَيَاتِنَا الَّتِي تَمْضِي ذَلِيلَةً ، تَحْتَ حُكْمِكُمُ الظَّالِمِ الْوَحْشِيِّ ، لِكَسْبِ شَهَادَةٍ قُدْسِيَّةٍ ، يَصِيرُ بِمَثَابَةِ مَاءِ الْكَوْثَرِ لَنَا ؛ وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ قَطْعاً ، إِرْجَافاً لَكُمْ ، مُسْتَنِداً إِلَى فَيْضِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَإِشَارَاتِهِ : «أَنَّكُمْ لَنْ تَعِيشُوا بَعْدَمَا تَقْتُلُونَنِي ؛ فَتُطْرَدُونَ بِيَدٍ قَهَّارَةٍ ، عَنِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ جَنَّتُكُمْ وَمَحْبُوبَتُكُمْ ؛ وَتُلْقَوْنَ فَوْراً ، إِلَى ظُلُمَاتٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ وَأَنَّ رُؤَسَاءَكُمُ الْمُتَجَبِّرِينَ كَنُمْرُوذَ ، سَيُقْتَلُونَ سَرِيعاً ؛ وَيُبْعَثُونَ إِلَيَّ ؛ فَأُمْسِكُ بِتَرَاقِيهِمْ ، فِي الْحُضُورِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَأَنْتَقِمُ مِنْهُمْ ، بِإِلْقَاءِ الْعَدَالَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، إِيَّاهُمْ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ . .

فَيَا أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ الَّذِينَ بَاعُوا دِينَهُمْ وَآخِرَتَهُمْ ، بِالدُّنْيَا ! إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَعِيشُوا ؛ فَلَا تَمَسُّونِي ؛ وَإِنْ مَسَسْتُمْ ؛ فَاعْلَمُوا أَنَّ انْتِقَامِي سَيُؤْخَذُ مِنْكُمْ ، بِصُورَةٍ مُضَاعَفَةٍ ؛ فَارْتَعِدُوا ؛ وَإِنِّي آمُلُ مِنَ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، أَنَّ مَمَاتِي سَيَخْدُمُ الدِّينَ أَكْثَرَ مِنْ حَيَاتِي ؛ وَإِنَّ مَوْتِي سَيَنْفَجِرُ عَلَى رُؤُوسِكُمْ كَالْقُنْبُلَةِ ؛ فَيُمَزِّقُ رُؤُوسَكُمْ ؛ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ جَسَارَةٌ ؛ فَمُسُّونِي ؛ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مَا سَتَفْعَلُونَ ؛ فَلَكُمْ مَا سَتُلَاقُونَ ؛ وَإِنِّي أَتْلُو هٰذِهِ الْآيَةَ ، بِكُلِّ قُوَّتِي ، أَمَامَ جَمِيعِ تَهْدِيدَاتِكُمْ : ﴿اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . .

---

(١) وَالْآنَ صَارَ الْجَزَاءُ ، ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ عَاماً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْقِسْمُ السَّابِعُ ، الْإِشَارَاتُ السَّبْعُ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ .. يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّٰهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّٰهُ إِلَّآ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝﴾ ..

[سَبْعُ إِشَارَاتٍ تَكُونُ جَوَاباً عَلٰى ثَلاثَةِ أَسْئِلَةٍ ..]

اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : أَرْبَعُ إِشَارَاتٍ :

﴿اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّ سَنَدَ الْمُتَشَبِّثِينَ بِتَغْيِيرِ الشَّعَائِرِ الْإِسْلامِيَّةِ ، وَحُجَّتَهُمْ ، تَنْشَأُ عَنِ التَّقْلِيدِ الْأَعْمٰى لِلْأَجَانِبِ ؛ كَمَا كَانَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ أَيْضاً ؛ فَيَقُولُونَ : إِنَّ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ فِي «لُنْدُنَ» ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنَ الْأَجَانِبِ ، يُتَرْجِمُونَ أُمُوراً كَثِيرَةً ، كَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ ، إِلٰى أَلْسِنَتِهِمْ ؛ وَيَفْعَلُونَهَا فِي بِلادِهِمْ ؛ فَيَسْكُتُ عَالَمُ الْإِسْلامِ تِجَاهَهُمْ ؛ وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ يُوجَدُ جَوَازٌ شَرْعِيٌّ ؛ فَلِذَا يَسْكُتُ ..

اَلْجَوَابُ : أَنَّ لِهٰذَا الْقِيَاسِ ، فَرْقاً ظَاهِراً بِحَيْثُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ ذَوِي الشُّعُورِ بِأَيِّ جِهَةٍ ، الْقِيَاسُ عَلَيْهِمْ ، وَالتَّقْلِيدُ لَهُمْ ؛ لِأَنَّ دِيَارَ الْأَجَانِبِ ، تُدْعٰى دَارَ الْحَرْبِ ، فِي لِسَانِ الشَّرِيعَةِ ؛ فَيُمْكِنُ الْجَوَازُ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ فِي دَارِ الْحَرْبِ ، لَا يُمْكِنُ الْمَسَاغُ لَهَا ، فِي دِيَارِ الْإِسْلامِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ دِيَارَ الْإِفْرِنْجِ ، دَائِرَةُ شَوْكَةِ النَّصْرَانِيَّةِ ؛ فَلَيْسَتْ إِقْلِيماً يُشْعِرُ وَيُلَقِّنُ بِلِسَانِ الْحَالِ ، مَعَانِيَ الْاِصْطِلاحَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَمَفَاهِيمَ الْكَلِمَاتِ الْقُدْسِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ رُجِّحَتِ الْمَعَانِي الْقُدْسِيَّةُ ، عَلَى الْأَلْفَاظِ الْمُقَدَّسَةِ ، بِالضَّرُورَةِ ؛ فَتُرِكَتِ الْأَلْفَاظُ ، لِأَجْلِ

الْمَعَانِي ؛ وَاخْتِيرَ أَهْوَنُ الشَّرِّ . وَأَمَّا فِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ ؛ فَإِنَّ الْإِقْلِيمَ يُدَرِّسُ بِلِسَانِ الْحَالِ ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، الْمَآلَ الْإِجْمَالِيَّ ، لِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمُقَدَّسَةِ ؛ وَإِنَّ مُحَاوَرَاتِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، الَّتِي تَعُودُ إِلَى الْعَنْعَنَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالتَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَإِنَّ عُمُومَ الشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَجَمِيعَ الْأَرْكَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، تُلَقِّنُ دَائِماً أَهْلَ الْإِيمَانِ ، الْمَعَانِيَ الْمُجْمَلَةَ ، لِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمُقَدَّسَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ حِجَارَةَ الْمَقَابِرِ أَيْضاً ، مَا عَدَا مَعَابِدَ هٰذِهِ الْبِلَادِ ، وَمَدَارِسَهَا الدِّينِيَّةَ ، كُلٌّ مِنْهَا ، بِمَثَابَةِ مُلَقِّنٍ وَمُعَلِّمٍ ؛ فَتُذَكِّرُ أَهْلَ الْإِيمَانِ ، تِلْكَ الْمَعَانِيَ الْمُقَدَّسَةَ . .

فَيَا عَجَباً ! إِنَّ مَنْ يَدْعُو نَفْسَهُ ، مُسْلِماً ؛ وَهُوَ يَتَعَلَّمُ مِنْ لُغَةِ الْإِفْرَنْجِ ، كُلَّ يَوْمٍ ، خَمْسِينَ كَلِمَةً ، لِمَصْلَحَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ ؛ إِذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي خَمْسِينَ سَنَةً ، مَا يُكَرِّرُهَا كُلَّ يَوْمٍ ، خَمْسِينَ مَرَّةً ، مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُقَدَّسَةِ ، مِثْلِ (سُبْحَانَ اللهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ؛ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ؛ وَاللهُ أَكْبَرُ) ؛ أَفَلَا يَكُونُ أَدْنٰى مِنَ الْحَيَوَانِ ، خَمْسِينَ مَرَّةً ؟ فَهٰذِهِ الْكَلِمَاتُ الْمُقَدَّسَةُ ، لَا تُتَرْجَمُ وَلَا تُحَرَّفُ وَلَا تُهَجَّرُ لِأَجْلِ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ الْحَيَوَانَاتِ . فَتَهْجِيرُهَا ، حَكٌّ لِجَمِيعِ أَحْجَارِ الْمَقَابِرِ ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِ الْقُبُورِ فِي الْمَقْبَرَةِ الْمُرْتَجِفَةِ أَمَامَ هٰذَا التَّحْقِيرِ ، إِلَى الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهِمْ . وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ السُّوءَ الَّذِينَ الْتَحَقُوا بِأَهْلِ الْإِلْحَادِ ، يَقُولُونَ لِمُخَادَعَةِ الشَّعْبِ : إِنَّ الْإِمَامَ الْأَعْظَمَ ، قَالَ مُخَالِفاً لِسَائِرِ الْأَئِمَّةِ : «**إِنْ حَصَلَ الِاحْتِيَاجُ ؛ تَجُوزُ بَدَلاً عَنِ الْفَاتِحَةِ ، تَرْجَمَتُهَا الْفَارِسِيَّةُ ، حَسَبَ دَرَجَةِ الِاحْتِيَاجِ ، لِمَنْ لَا يَعْرِفُونَ الْعَرَبِيَّةَ أَصْلاً ، فِي الدِّيَارِ الْبَعِيدَةِ**» . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ ؛ فَلَنَا أَنْ نَقْرَأَ بِالتُّرْكِيَّةِ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ أَهَمَّ الْأَئِمَّةِ الْأَعْظَمِيَّةِ أَوَّلاً ، وَسَائِرَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ الِاثْنَيْ عَشَرَ ، يُفْتُونَ ضِدَّ فَتْوَى «**الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ**» هٰذِهِ ، بِعَكْسِ تِلْكَ الْفَتْوٰى . **وَإِنَّ الْجَادَّةَ الْكُبْرٰى لِعَالَمِ الْإِسْلَامِ ، هِيَ جَادَّةُ عُمُومِ أُولَائِكَ الْأَئِمَّةِ ؛ وَإِنَّ مُعْظَمَ الْأُمَّةِ إِنَّمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْلُكَ فِي الْجَادَّةِ الْكُبْرٰى** ؛ وَإِنَّ الَّذِينَ يَسُوقُونَهَا إِلَى جَادَّةٍ أُخْرٰى ، خُصُوصِيَّةٍ وَضَيِّقَةٍ ، يُضِلُّونَهَا . .

وَإِنَّ فَتْوَى «**الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ**» خُصُوصِيَّةٌ ، بِخَمْسِ جِهَاتٍ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلَى الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي دِيَارٍ أُخْرٰى ، بَعِيدَةٍ عَنْ مَرْكَزِ الْإِسْلَامِ . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلٰى الِاحْتِيَاجِ الْحَقِيقِيِّ . .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِالتَّرْجَمَةِ بِاللِّسَانِ الْفَارِسِيِّ الْمَعْدُودِ مِنْ لِسَانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فِي رِوَايَةٍ مَّا . .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهُ حُكِمَ بِالْجَوَازِ ، مَخْصُوصاً بِالْفَاتِحَةِ ؛ حَتّٰى لَا يَتْرُكَ الصَّلَاةَ ، مَنْ لَا يَعْرِفُ الْفَاتِحَةَ . .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّهُ أُظْهِرَ الْجَوَازُ ؛ لِيَكُونَ مَدَاراً لِتَفَهُّمِ الْعَوَامِّ ، لِلْمَعَانِي الْمُقَدَّسَةِ ، بِحَمِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ نَاشِئَةٍ عَنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ ؛ مَعَ أَنَّ تَرْكَ أَصْلِهَا الْعَرَبِيِّ ، مُتَرْجِماً لَهَا بِسَائِقَةِ مَيْلِ التَّخْرِيبِ ، الْوَارِدِ عَنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ ، وَالنَّاشِئِ عَنْ فِكْرِ الْقَوْمِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، وَالْمُتَوَلِّدِ عَنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ ، وَعَنِ الْكَرَاهِيَةِ ضِدَّ «اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ» ، إِنَّمَا هُوَ تَرْكٌ لِلدِّينِ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعَةِ الَّذِينَ يُغَيِّرُونَ الشَّعَائِرَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، أَوَّلاً : طَلَبُوا الْفَتْوٰى ، عَنِ الْعُلَمَاءِ السُّوءِ ؛ فَأَظْهَرُوا الْفَتْوٰى الَّتِي بَيَّنَّا سَابِقاً ، أَنَّهَا خُصُوصِيَّةٌ ، بِخَمْسِ جِهَاتٍ . .

ثَانِياً : أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعَةِ ، أَخَذُوا عَنِ الِانْقِلَابِيِّينَ الْأَجَانِبِ ، فِكْراً مَشْؤُوماً هٰكَذَا ؛ وَهُوَ : أَنَّ أُورُوبَّا لَمْ يُعْجِبْهَا مَذْهَبُ الْكَاثُولِيكِ ؛ فَالْتَزَمَ أَوَّلاً ، الِاخْتِلَالِيُّونَ وَالِانْقِلَابِيُّونَ وَالْفَلَاسِفَةُ ، مَذْهَبَ الْپُرُوتِسْتَانِ ، الَّذِي يُعَدُّ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالِاعْتِزَالِ ، حَسَبَ مَذْهَبِ الْكَاثُولِيكِ ؛ فَاسْتَفَادُوا مِنَ الِاخْتِلَالِ الْكَبِيرِ الْفَرَنْسِيِّ ؛ وَهَدَّمُوا قِسْماً مِنْ مَذْهَبِ الْكَاثُولِيكِ ؛ فَأَعْلَنُوا الْپُرُوتِسْتَانِيَّةَ . .

هٰذَا ؛ فَالْعُمَلَاءُ هُنَا الَّذِينَ تَعَلَّمُوا التَّقْلِيدَ الْأَعْمٰى ، يَقُولُونَ : إِنَّهُ إِذَا وَقَعَ مِثْلُ هٰذَا الِانْقِلَابِ ، فِي دِينِ النَّصَارٰى ؛ وَدُعِيَ الِانْقِلَابِيُّونَ بِالْمُرْتَدِّ ، فِي الْبِدَايَةِ ؛ ثُمَّ قُبِلُوا نَصَارٰى أَيْضاً ؛ فَإِذاً يُمْكِنُ انْقِلَابٌ دِينِيٌّ هٰكَذَا ، فِي الْإِسْلَامِ أَيْضاً . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ فَرْقَ هٰذَا الْقِيَاسِ ، أَزْيَدُ ظُهُوراً ، عَمَّا فِي الْإِشَارَةِ الْأُولٰى ، مِنَ

الْقِيَاسِ ؛ لِأَنَّ الْأُسُسَ الدِّينِيَّةَ فَقَطْ ، أُخِذَتْ عَنْ «سَيِّدِنَا عِيسٰى» (عليه السلام) فِي الدِّينِ الْعِيسَوِيِّ ؛ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأَحْكَامِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالْفُرُوعَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، شُكِّلَتْ مِنْ جَانِبِ الْحَوَارِيِّينَ ، وَسَائِرِ الرُّؤَسَاءِ الرُّوحَانِيِّينَ ؛ وَأَنَّ قِسْمَهَا الْأَعْظَمَ اقْتُبِسَ مِنَ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ السَّابِقَةِ ؛ لِأَنَّ «سَيِّدَنَا عِيسٰى» (عليه السلام) لَمْ يَكُنْ حَاكِماً وَسُلْطَاناً ، حَسَبَ الدُّنْيَا ؛ وَلَمْ يَكُنْ مَرْجِعاً لِلْقَوَانِينِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ الْعُمُومِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ قُبِلَتِ الْقَوَانِينُ الْعُرْفِيَّةُ ، وَالدَّسَاتِيرُ الْمَدَنِيَّةُ ، بِاسْمِ الشَّرِيعَةِ النَّصْرَانِيَّةِ ؛ فَكَأَنَّ أُسُسَهَا الدِّينِيَّةَ ، أُلْبِسَتْ لِبَاساً عَنِ الْخَارِجِ ؛ فَأُعْطِيَتْ صُورَةً أُخْرٰى ؛ فَإِذَا بُدِّلَتْ هٰذِهِ الصُّورَةُ ؛ وَغُيِّرَ ذٰلِكَ اللِّبَاسُ ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَبْقٰى أَسَاسُ دِينِ «عِيسٰى» (عليه السلام) أَيْضاً ؛ فَلَا يَحْدُثُ إِنْكَارٌ وَتَكْذِيبٌ لِعِيسٰى (عليه السلام) ؛ مَعَ أَنَّ «فَخْرَ الْعَالَمِ» صَاحِبَ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (عليه الصلاة والسلام) ، كَانَ سُلْطَانَ الدَّارَيْنِ ؛ وَكَانَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ ، وَالْأَنْدَلُسُ وَالْهِنْدُ ، عُرُوشَ سَلْطَنَتِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُظْهِرُ هُوَ بِالذَّاتِ ، أُسُسَ دِينِ الْإِسْلَامِ ؛ كَمَا يَأْتِي هُوَ بِذَاتِهِ ، بِفُرُوعَاتِ ذٰلِكَ الدِّينِ ، وَسَائِرِ أَحْكَامِهِ ، حَتّٰى أَصْغَرِ آدَابِهِ أَيْضاً ؛ وَيُخْبِرُ هُوَ عَنْهَا ؛ وَيَأْمُرُ هُوَ بِهَا . . فَإِذاً إِنَّ الْفُرُوعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ ، لَيْسَتْ فِي حُكْمِ لِبَاسٍ قَابِلٍ لِلتَّبْدِيلِ ؛ حَتّٰى إِذَا بُدِّلَتْ هِيَ ؛ أَمْكَنَ أَنْ يَبْقٰى أَسَاسُ الدِّينِ ؛ بَلْ إِنَّهَا جَسَدٌ لِأَسَاسِ الدِّينِ ؛ وَلَا أَقَلَّ أَنَّهَا جِلْدٌ لَهُ ؛ فَامْتَزَجَتْ وَالْتَحَمَتْ بِهِ ؛ وَلَيْسَتْ قَابِلَةً لِلتَّفْرِيقِ عَنْهُ ؛ فَيَنْشَأُ مِنْ تَبْدِيلِهَا ، تَكْذِيبُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ ، وَإِنْكَارُهُ مُبَاشَرَةً . . أَمَّا اخْتِلَافُ الْمَذَاهِبِ : فَإِنَّهُ نَشَأَ مِنْ أُسْلُوبِ تَفَهُّمِ الدَّسَاتِيرِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي بَيَّنَهَا صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ . وَأَمَّا دَسَاتِيرُهَا الضَّرُورِيَّةُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : الْمُحْكَمَاتُ ؛ وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا الضَّرُورِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ ؛ وَلَا تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ قَابِلَةً لِلتَّبْدِيلِ ؛ وَلَنْ تَكُونَ مَدَاراً لِلاجْتِهَادِ ، فِي أَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً ؛ فَمَنْ بَدَّلَهَا ؛ يُخْرِجُ رَأْسَهُ عَنِ الدِّينِ ؛ وَيَدْخُلُ فِي قَاعِدَةِ ﴿يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الْقَوْسِ﴾ . .

وَإِنَّ أَهْلَ الْبِدْعَةِ ، يَجِدُونَ لِارْتِدَادِهِمْ وَإِلْحَادِهِمْ ، وَسِيلَةً هٰكَذَا ؛ فَيَقُولُونَ : إِنَّهُ هُجِمَ عَلَى الْقِسِّيسِينَ وَالرُّؤَسَاءِ الرُّوحَانِيِّينَ ، وَعَلٰى مَذْهَبِ الْكَاثُولِيكِ مَذْهَبِهِمُ الْخَاصِّ ؛

وَهُدِمَ فِي الإِخْتِلَالِ الْكَبِيرِ الْفَرَنْسِيِّ الْمُسَبِّبِ لِحَادِثَاتٍ مُتَسَلْسِلَةٍ لِعَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ ثُمَّ صُوِّبَ ذٰلِكَ مِنْ طَرَفِ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ ؛ فَتَرَقَّتِ الْفِرَنْجَةُ أَيْضاً ، مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ، أَكْثَرَ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ فَرْقَ هٰذَا الْقِيَاسِ ، ظَاهِرٌ أَيْضاً ، كَالْقِيَاسَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ؛ لِأَنَّ الدِّينَ النَّصْرَانِيَّ ، وَلَاسِيَّمَا مَذْهَبِ الْكَاثُولِيكِ ، صَارَ وَاسِطَةً لِلتَّحَكُّمِ وَالاسْتِبْدَادِ ، بِأَيْدِي الْخَوَاصِّ ، وَرِجَالِ الْحُكُومَةِ فِي الْفَرَنْسِيِّينَ ؛ فَكَانَ الْخَوَاصُّ يُدِيمُونَ نُفُوذَهُمْ ، عَلَى الْعَوَامِّ ، بِتِلْكَ الْوَاسِطَةِ ؛ وَكَانَ وَاسِطَةً لِسَحْقِ الْمُتَحَمِّسِينَ الْمُتَنَبِّهِينَ ، فِي طَبَقَةِ الْعَوَامِّ الْمُعَبَّرِ عَنْهُمْ بِالْفَوْضَوِيِّينَ ، وَلِسَحْقِ قِسْمِ الْمُفَكِّرِينَ الْمُتَحَرِّرِينَ الْهَاجِمِينَ ضِدَّ اسْتِبْدَادِ الْخَوَاصِّ الظَّالِمِينَ ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الْمَذْهَبُ ، يُتَلَقَّى سَبَباً لِإِفْسَادِ الرَّاحَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَلِهَرْجِ الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَمَرْجِهَا ، بِاخْتِلَالَاتٍ فِي بِلَادِ الْإِفْرِنْجِ ، قَرِيباً مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ عَامٍ ؛ لِذٰلِكَ هُجِمَ عَلَى ذٰلِكَ الْمَذْهَبِ ، لَا بِاسْمِ الْإِلْحَادِ ، بَلْ بِاسْمِ مَذْهَبٍ آخَرَ لِلنَّصْرَانِيَّةِ ؛ وَقَدْ كَانَ حَصَلَ غَيْظٌ وَعَدَاوَةٌ ، فِي طَبَقَةِ الْعَوَامِّ ، وَفِي طَبَقَةِ الْفَلَاسِفَةِ ؛ فَوَقَعَتِ الْحَادِثَةُ التَّارِيخِيَّةُ الْمَعْلُومَةُ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَيِّ مَظْلُومٍ ، وَلِأَيِّ مُتَفَكِّرٍ أَصْلاً ، ضِدَّ الدِّينِ الْمُحَمَّدِيِّ ، وَالشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، أَنْ يَشْتَكِيَ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ يَحْمِيهِمْ وَلَا يُغْضِبُهُمْ ؛ فَإِنَّ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ ، فِي الْمَيْدَانِ ؛ فَلَمْ تَقَعْ بَيْنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ، مُحَارَبَةٌ دِينِيَّةٌ دَاخِلِيَّةٌ ، سِوَى وَاقِعَةٍ أَوْ وَاقِعَتَيْنِ . أَمَّا مَذْهَبُ الْكَاثُولِيكِ ، فَقَدْ صَارَ سَبَباً لِاخْتِلَالَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ أَرْبَعَمِئَةَ عَامٍ . .

وَأَيْضاً أَنَّ الْإِسْلَامَ ، صَارَ حِصْنَ الْعَوَامِّ ، أَزْيَدَ مِنَ الْخَوَاصِّ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْعَلُ الْخَوَاصَّ مُسْتَبِدِّينَ عَلَى الْعَوَامِّ ؛ بَلْ يَجْعَلُهُمْ خُدَّاماً فِي جِهَةٍ مَّا ، بِوُجُوبِ الزَّكَاةِ ، وَحُرْمَةِ الرِّبَا ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : (سَيِّدُ الْقَوْمِ ، خَادِمُهُمْ . . وَخَيْرُ النَّاسِ ، أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ) ؛ وَإِنَّهُ يَسْتَشْهِدُ الْعَقْلَ وَيُوقِظُهُ ؛ وَيُحِيلُ عَلَى الْعَقْلِ ؛ وَيَسُوقُهُ إِلَى التَّحْقِيقِ ، بِحَوَالَاتٍ قُدُسِيَّةٍ ، بِلِسَانِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، مِثْلِ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ؟ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ؟ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ؟﴾ ؛ فَبِذٰلِكَ يُعْطِي أَهْلَ الْعِلْمِ ، وَأَصْحَابَ الْعَقْلِ ، مَقَاماً ؛ وَيُعْطِيهِمْ أَهَمِّيَّةً ، بِاسْمِ الدِّينِ ؛ وَلَا يَعْزِلُ الْعَقْلَ ؛ وَلَا يُسْكِتُ أَهْلَ التَّفَكُّرِ ؛ وَلَا يَطْلُبُ التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى ، كَمَذْهَبِ الْكَاثُولِيكِ ؛ فَإِنَّ أَسَاسَ

الْإِسْلَامِيَّةِ ، مَعَ أَسَاسِ النَّصْرَانِيَّةِ ـ لَا النَّصْرَانِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، بَلِ النَّصْرَانِيَّةِ الْحَاضِرَةِ ـ يَفْتَرِقَانِ مِنْ نُقْطَةٍ مُهِمَّةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْلُكَانِ مُخْتَلِفَيْنِ ، بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ، مِثْلِ الْفُرُوقِ السَّابِقَةِ . .

وَتِلْكَ النُّقْطَةُ الْمُهِمَّةُ ، هِيَ : أَنَّ الْإِسْلَامِيَّةَ دِينُ التَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ ؛ فَيُسْقِطُ الْوَسَائِطَ وَالْأَسْبَابَ ؛ وَيَكْسِرُ الْأَنَانِيَّةَ ؛ وَيُؤَسِّسُ الْعُبُودِيَّةَ الْخَالِصَةَ ؛ وَيَقْطَعُ رُبُوبِيَّاتٍ بَاطِلَةً ؛ وَيَرُدُّهَا ، مِنْ رُبُوبِيَّةِ النَّفْسِ ، إِلَىٰ كُلِّ نَوْعِ رُبُوبِيَّةٍ مِنْهَا . فَلِهٰذَا السِّرِّ ، إِذَا كَانَ إِنْسَانٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِّ ، دَيِّناً تَامّاً ؛ يُضْطَرُّ إِلَىٰ تَرْكِ الْأَنَانِيَّةِ ؛ وَمَنْ لَا يَتْرُكُ الْأَنَانِيَّةَ ؛ يَتْرُكُ الصَّلَابَةَ الدِّينِيَّةَ ، وَقِسْماً مِنَ الدِّينِ . .

أَمَّا دِينُ النَّصْرَانِيَّةِ الْحَاضِرَةِ ، فَإِنَّهُ ، لِقَبُولِهِ عَقِيدَةَ الْوَلَدِيَّةِ ، يُعْطِي الْوَسَائِطَ وَالْأَسْبَابَ ، تَأْثِيراً حَقِيقِيّاً ؛ وَلَا يَهْضِمُ الْأَنَانِيَّةَ بِاسْمِ الدِّينِ ؛ بَلْ يُعْطِي تِلْكَ الْأَنَانِيَّةَ ، قُدْسِيَّةً ، بِزَعْمِ أَنَّهُ وَكِيلٌ مُقَدَّسٌ لِعِيسَىٰ (عليه السلام) ؛ فَلِذٰلِكَ يُمْكِنُ لِخَوَاصِّ النَّصَارَىٰ ، الَّذِينَ يَشْغَلُونَ أَكْبَرَ مَقَامٍ حَسَبَ الدُّنْيَا ، أَنْ يَكُونُوا مُتَدَيِّنِينَ تَمَاماً ؛ حَتَّىٰ إِنَّ كَثِيرِينَ مِنْ أَمْثَالِ «وِيلْسُونَ» ، رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ الْأَسْبَقِ لِأَمْرِيكَا ، وَاللُّورْدِ «جُورْجَ» الرَّئِيسِ الْأَسْبَقِ لِنُوَّابِ الْإِنْكِلِيزِ ، كَانُوا مُتَدَيِّنِينَ بِمَثَابَةِ أَسَاقِفَةٍ مُتَعَصِّبَةٍ . . وَأَمَّا فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَقَلَّمَا يَبْقَى الدَّاخِلُونَ فِي أَمْثَالِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ ، مُتَدَيِّنِينَ وَمُتَصَلِّبِينَ تَمَاماً ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَتْرُكُونَ الْكِبْرَ وَالْغُرُورَ ؛ وَأَنَّ التَّقْوَىٰ الْحَقِيقِيَّةَ لَنْ تَجْتَمِعَ مَعَ الْكِبْرِ وَالْغُرُورِ . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ تَعَصُّبَ خَوَاصِّ النَّصَارَىٰ ، وَعَدَمَ صَلَابَةِ خَوَاصِّ الْمُسْلِمِينَ ، يَدُلُّ عَلَىٰ فَرْقٍ مُهِمٍّ ؛ كَذٰلِكَ : فَإِنَّ عَدَمَ تَقَيُّدِ الْفَلَاسِفَةِ الَّذِينَ ظَهَرُوا مِنَ النَّصَارَىٰ ، أَوِ اتِّخَاذَهُمْ وَضْعَ الْمُعَارِضِ ، ضِدَّ دِينِهِمْ ، وَبِنَاءَ الْقِسْمِ الْأَعْظَمِ ، مِنَ الْحُكَمَاءِ النَّابِغِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، حِكَمَهُمْ عَلَى الْأُسُسِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، يَدُلُّ عَلَىٰ فَرْقٍ مُهِمٍّ أَيْضاً . .

وَكَذَا أَنَّ عَوَامَّ النَّصَارَىٰ الْوَاقِعِينَ فِي السُّجُونِ وَالْمَصَائِبِ بِالْأَكْثَرِيَّةِ ، لَا يَتَوَقَّعُونَ الْمَدَدَ مِنَ الدِّينِ ؛ فَكَانَ أَكْثَرُهُمْ ؛ يَصِيرُونَ مُلْحِدِينَ مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الْانْقِلَابِيِّينَ الْمَشْهُورِينَ لَدَى التَّارِيخِ ، الْمُعَبَّرَ عَنْهُمْ بِالْمُلْحِدِينَ الْفَوْضَوِيِّينَ الَّذِينَ أَحْدَثُوا الْاخْتِلَالَ

الْكَبِيرَ الْفَرَنْسِيَّ ، هُمْ قِسْمُ الْعَوَامِّ مِنْ أُولٰئِكَ الْمُصَابِينَ . . وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّ الْوَاقِعِينَ فِي السِّجْنِ وَالْمُصِيبَةِ ، بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، يَنْتَظِرُونَ الْمَدَدَ ، مِنَ الدِّينِ ؛ وَيَصِيرُونَ مُتَدَيِّنِينَ . فَهٰذَا الْحَالُ أَيْضاً ، يَدُلُّ عَلٰى فَرْقٍ مُهِمٍّ . .

﴿ اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعَةِ ، يَقُولُونَ : إِنَّ هٰذَا التَّعَصُّبَ الدِّينِيَّ ، قَدْ أَخَّرَنَا ؛ وَإِنَّ الْحَيَاةَ فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، تَكُونُ بِتَرْكِ التَّعَصُّبِ ؛ وَإِنَّ أُورُوبَّا ، تَرَقَّتْ بَعْدَ أَنْ تَرَكَتِ التَّعَصُّبَ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّكُمْ مُخْطِئُونَ ؛ وَقَدِ اغْتَرَرْتُمْ ؛ أَوْ تَغُرُّونَ ؛ لِأَنَّ أُورُوبَّا ، مُتَعَصِّبَةٌ لِدِينِهَا ؛ حَتّٰى إِنَّهُ لَوْ قِيلَ لِبُلْغَارِيٍّ عَادِيٍّ ، أَوْ مُجَنَّدٍ إِنْكِلِيزِيٍّ ، أَوْ فَوْضَوِيٍّ فَرَنْسِيٍّ : لُفَّ الْعِمَامَةَ ؛ وَإِنْ لَمْ تَلُفَّهَا ؛ تُلْقَ فِي السِّجْنِ ؛ لَقَالَ بِمُقْتَضٰى تَعَصُّبِهِمْ : إِنَّكُمْ ، وَإِنْ قَتَلْتُمُونِي أَيْضاً ، لَا أَنْ تُلْقُونِي فِي السِّجْنِ ؛ فَلَنْ أَفْعَلَ هٰذَا التَّحْقِيرَ ، بِدِينِي وَقَوْمِيَّتِي . .

وَكَذَا أَنَّ التَّارِيخَ شَاهِدٌ أَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، مَتٰى تَمَسَّكُوا بِدِينِهِمْ تَمَاماً ؛ تَرَقَّوْا بِالنِّسْبَةِ إِلٰى ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ وَمَتٰى تَرَكُوا الصَّلَابَةَ ؛ تَدَنَّوْا . أَمَّا النَّصْرَانِيَّةُ ، فَبِالْعَكْسِ . فَهٰذَا أَيْضاً نَشَأَ عَنْ فَرْقٍ أَسَاسِيٍّ مُهِمٍّ . .

وَأَيْضاً أَنَّ الْإِسْلَامَ ، لَا يُقَاسُ عَلٰى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ؛ فَإِنَّ مُسْلِماً إِذَا خَرَجَ عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ وَتَرَكَ دِينَهُ ؛ فَلَا يَقْبَلُ نَبِيّاً أَبَداً ؛ بَلْ لَا يُقِرُّ بِاللهِ تَعَالٰى أَيْضاً ؛ بَلْ وَلَا يَعْرِفُ شَيْئاً مُقَدَّساً أَصْلاً ؛ بَلْ لَا يُوجَدُ فِيهِ ، وِجْدَانٌ يَكُونُ مَدَاراً لِلْكَمَالَاتِ ؛ وَيَتَفَسَّخُ ؛ فَلِذٰلِكَ يُوجَدُ حَقُّ الْحَيَاةِ لِلْكَافِرِ الْحَرْبِيِّ ، فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ . فَإِنْ كَانَ فِي الْخَارِجِ ؛ فَصَالَحَ ؛ أَوْ كَانَ فِي الدَّاخِلِ ؛ فَدَفَعَ الْجِزْيَةَ ؛ فَإِنَّ حَيَاتَهُ مَحْفُوظَةٌ لَدَى الْإِسْلَامِ ؛ وَلٰكِنَّ الْمُرْتَدَّ لَيْسَ لَهُ حَقُّ الْحَيَاةِ ؛ لِأَنَّهُ يَتَفَسَّخُ وِجْدَانُهُ ؛ فَيَصِيرُ بِمَثَابَةِ السُّمِّ لِلْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّ مُلْحِداً مِنَ النَّصَارٰى ، يُمْكِنُ أَنْ يَبْقٰى أَيْضاً ، فِي وَضْعٍ نَافِعٍ لِلْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ وَيَقْبَلُ بَعْضَ الْمُقَدَّسَاتِ ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يُؤْمِنَ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وَأَنْ يُصَدِّقَ بِاللهِ تَعَالٰى ، فِي جِهَةٍ مَّا . .

فَيَا عَجَباً ! إِنَّ هٰؤُلاءِ الْمُبْتَدِعِينَ ـ وَالْأَصَحُّ : الْمُلْحِدِينَ ـ أَيَّ نَفْعٍ يَجِدُونَ فِي هٰذَا الْإِلْحَادِ ؟ فَإِنْ كَانُوا يُلاحِظُونَ الْإِدَارَةَ وَالْأَمْنَ ؛ فَإِنَّ إِدَارَةَ عَشَرَةِ فَوْضَوِيِّينَ مُلْحِدِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللّٰهَ ، وَدَفْعَ شُرُورِهِمْ ، أَصْعَبُ مِنْ إِدَارَةِ أَلْفٍ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ . وَإِنْ كَانُوا يُلاحِظُونَ التَّرَقِّي ؛ فَإِنَّ أَمْثَالَ أُولٰٓئِكَ الْمُلْحِدِينَ ، مُضِرُّونَ بِإِدَارَةِ الْحُكُومَةِ ؛ كَمَا أَنَّهُمْ مَانِعُونَ لِلتَّرَقِّي أَيْضاً ؛ فَإِنَّهُمْ يَنْقُضُونَ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ التَّرَقِّي وَالتِّجَارَةِ . . وَالصَّحِيحُ : أَنَّهُمْ مُخَرِّبُونَ حَسَبَ مَسْلَكِهِمْ . . وَإِنَّ أَكْبَرَ أَحْمَقٍ فِي الدُّنْيَا ، هُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُ الرُّقِيَّ وَسَعَادَةَ الْحَيَاةِ ، عَنْ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ الْفَوْضَوِيِّينَ الْمُلْحِدِينَ . .

وَإِنَّ أَحَداً شَغَلَ مَوْقِعاً مُهِمّاً ، مِنْ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ الْحَمَاقَى ، قَالَ : إِنَّنَا قُلْنَا : «اَللّٰهُ اَللّٰهُ» ؛ فَتَخَلَّفْنَا ؛ وَإِنَّ أُورُوبَّا قَالَتِ : «الْمِدْفَعِيَّةُ ، الْبُنْدُقِيَّةُ» ؛ فَتَقَدَّمَتْ . .

فَالْجَوَابُ : لِأَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ ، هُوَ السُّكُوتُ ، بِقَاعِدَةِ «أَنَّ جَوَابَ الْأَحْمَقِ ، السُّكُوتُ» ؛ وَلٰكِنْ يُوجَدُ وَرَاءَ بَعْضِ الْحَمَاقَى ، عُقَلَاءُ أَشْقِيَاءُ ؛ لِذٰلِكَ نَقُولُ : أَيُّهَا الْبَائِسُونَ ! إِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا مَضِيفَةٌ . وَإِنَّ ثَلَاثِينَ أَلْفَ شَاهِدٍ ، يُوَقِّعُونَ كُلَّ يَوْمٍ ، بِجَنَائِزِهِمْ ، عَلٰى حُكْمِ أَنَّ «الْمَوْتَ حَقٌّ» ؛ وَيَشْهَدُونَ عَلٰى تِلْكَ الدَّعْوٰى ؛ فَهَلْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَقْتُلُوا الْمَوْتَ ؛ وَأَنْ تُكَذِّبُوا هٰؤُلَاءِ الشُّهَدَاءَ ؟ . فَإِذَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ يُنْطِقُ بِـ «اَللّٰهُ اَللّٰهُ» ؛ فَأَيُّ مِدْفَعِيَّتِكُمْ ، وَأَيُّ بُنْدُقِيَّتِكُمْ ، تُنَوِّرُ الظُّلُمَاتِ الْأَبَدِيَّةَ ، أَمَامَ ذٰلِكَ الْمُحْتَضِرِ فِي السَّكَرَاتِ ؛ وَيُحَوِّلُ يَأْسَهُ الْمُطْلَقَ ، إِلَى الرَّجَاءِ الْمُطْلَقِ ، فِي السَّكَرَاتِ ، عِوَضاً عَنْ «اَللّٰهُ اَللّٰهُ» ؟ . فَإِذَا كَانَ يُوجَدُ الْمَوْتُ ؛ وَيُدْخَلُ فِي الْقَبْرِ ؛ وَتَذْهَبُ هٰذِهِ الْحَيَاةُ ؛ وَتَأْتِي حَيَاةٌ بَاقِيَةٌ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا قِيلَ : «الْمِدْفَعِيَّةُ ، الْبُنْدُقِيَّةُ» مَرَّةً وَاحِدَةً ؛ يَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ : «اَللّٰهُ اَللّٰهُ» ، أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ وَأَيْضاً إِذَا كَانَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ؛ فَإِنَّ الْبُنْدُقِيَّةَ أَيْضاً ، تَقُولُ : «اَللّٰهُ» ؛ وَالْمِدْفَعِيَّةَ أَيْضاً ، تَصْرُخُ قَائِلَةً : «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» ؛ فَتَفْطِرُ وَتُمْسِكُ بِـ «اَللّٰهُ» . .

﴿ اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعَةِ الْمُخَرِّبِينَ ، قِسْمَانِ ؛ فَقِسْمٌ مِنْهُمْ ، يُظْهِرُونَ

وَضْعاً مُوَالِياً لِلدِّينِ ، قَائِلِينَ : إِنَّنَا نُرِيدُ أَنْ نَغْرِسَ فِي تُرْبَةِ الْقَوْمِيَّةِ ، شَجَرَةَ الدِّينِ النُّورَانِيَّةَ ، الَّتِي وَقَعَتْ فِي الضَّعْفِ ؛ فَكَأَنَّ ذٰلِكَ ، لِتَقْوِيَةِ الدِّينِ بِالْقَوْمِيَّةِ ؛ وَكَأَنَّهُ بِحِسَابِ الدِّينِ ، وَبِاسْمِ الصَّدَاقَةِ لِلْإِسْلَامِ . .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : يُحْدِثُونَ الْبِدَعَ ، قَائِلِينَ : إِنَّنَا نُرِيدُ تَلْقِيحَ الشَّعْبِ بِالْإِسْلَامِ ؛ وَذٰلِكَ بِنَاءً عَلٰى فِكْرِ تَقْوِيَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ ، وَبِاسْمِ الشَّعْبِ ، وَبِحِسَابِ الْقَوْمِيَّةِ . .

فَنَقُولُ لِلْقِسْمِ الْأَوَّلِ : أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ السُّوءُ الْبَائِسُونَ الَّذِينَ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ إِطْلَاقُ الصَّدِيقِ الْأَحْمَقِ ! أَوْ أَيُّهَا الصُّوفِيَّةُ الْجُهَلَاءُ الْمَجْذُوبُونَ الَّذِينَ لَا عَقْلَ لَهُمْ ! إِنَّ شَجَرَةَ طُوبَى الْإِسْلَامِ ، الَّتِي تَمَكَّنَتْ عُرُوقُهَا ، فِي حَقِيقَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَبَثَّتِ الْجُذُورَ ، إِلٰى حَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ ، لَا تُغْرَسُ فِي تُرْبَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ الْمَوْهُومَةِ الْمُؤَقَّتَةِ ، الْجُزْئِيَّةِ الْخُصُوصِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ ، بَلِ الَّتِي لَا أَسَاسَ لَهَا ، الْمُغْرِضَةِ الظَّالِمَةِ الْمُظْلِمَةِ ؛ وَإِنَّ السَّعْيَ لِغَرْسِهَا هُنَاكَ ، تَشَبُّثٌ عَلٰى وَجْهِ الْحُمْقِ وَالتَّخْرِيبِ وَالْبِدْعَةِ . .

وَنَقُولُ لِلْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْقَوْمِيِّينَ : أَيُّهَا الْعُمَلَاءُ السُّكَارٰى ! إِنَّ عَصْراً أَوَّلَ ، أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ عَصْرَ الْقَوْمِيَّةِ . وَهٰذَا الْعَصْرُ لَيْسَ عَصْرَ الْقَوْمِيَّةِ ؛ لِأَنَّ مَسْأَلَةَ الْبَلْشَفَةِ وَالِاشْتِرَاكِيَّةِ ، تَسْتَوْلِي ؛ وَتَنْقُضُ فِكْرَ الْعُنْصُرِيَّةِ ؛ وَيَمْضِي عَصْرُ الْعُنْصُرِيَّةِ ؛ وَإِنَّ الْحَمِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْأَبَدِيَّةَ الدَّائِمَةَ ، لَا تُرْبَطُ وَلَا تُلَقَّحُ بِالْعُنْصُرِيَّةِ الْمُؤَقَّتَةِ الْمُضْطَرِبَةِ ؛ وَإِنْ حَصَلَ التَّلْقِيحُ ؛ فَإِنَّهُ يُفْسِدُ مِلِّيَّةَ الْإِسْلَامِ ؛ كَمَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصْلِحَ مِلِّيَّةَ الْعُنْصُرِيَّةِ ؛ وَأَنْ يُبْقِيَهَا . نَعَمْ : يُرٰى فِي التَّلْقِيحِ الْمُؤَقَّتِ ، ذَوْقٌ وَقُوَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ ؛ لٰكِنَّهُ مُؤَقَّتٌ جِدّاً ؛ وَعَاقِبَتُهُ خَطَرٌ . . وَأَيْضاً يَقَعُ فِي (عُنْصُرِ التُّرْكِ) انْشِقَاقٌ أَبَدِيٌّ غَيْرُ قَابِلٍ لِلِالْتِئَامِ ؛ فَحِينَئِذٍ تَنْزِلُ قُوَّةُ الشَّعْبِ إِلَى الْعَدَمِ ؛ حَيْثُ يَكْسِرُ شِقٌّ ، قُوَّةَ شِقٍّ ؛ فَإِنَّ جَبَلَيْنِ ، إِذَا وُجِدَا مُتَقَابِلَيْنِ فِي كَفَّتَيْ مِيزَانٍ ؛ تَسْتَطِيعُ قُوَّةُ رَطْلٍ ، أَنْ تَلْعَبَ بِتَيْنِكَ الْقُوَّتَيْنِ ؛ فَتَرْفَعَ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأَعْلٰى ، وَتُنْزِلَ الْأُخْرٰى إِلَى الْأَسْفَلِ . .

اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : إِشَارَتَانِ :

﴿اَلْإِشَارَةُ الْأُولَى :﴾ الَّتِي هِيَ الْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ ، جَوَابٌ مُخْتَصَرٌ لِلْغَايَةِ ، عَلٰى سُؤَالٍ مُهِمٍّ . .

اَلسُّؤَالُ : تُوجَدُ رِوَايَاتٌ صَحِيحَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، فِي حَقِّ مَجِيءِ «السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ» ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ وَأَنَّهُ سَيُصْلِحُ الْعَالَمَ الَّذِي وَقَعَ فِي الْفَسَادِ ؛ مَعَ أَنَّ هٰذَا الزَّمَانَ ، زَمَانُ الْجَمَاعَةِ ؛ وَلَيْسَ زَمَانَ الْفَرْدِ ؛ فَمَهْمَا كَانَ الشَّخْصُ دَاهِيَةً ؛ وَلَوْ فِي دَرَجَةِ أَلْفِ دَاهِيَةٍ ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُمَثِّلَ جَمَاعَةٍ ؛ وَلَمْ يُمَثِّلْ شَخْصَهَا الْمَعْنَوِيَّ ؛ فَإِنَّهُ مَغْلُوبٌ أَمَامَ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِجَمَاعَةٍ مُخَالِفَةٍ ؛ وَمَهْمَا كَانَتْ قُوَّةُ وِلَايَتِهِ ، عَالِيَةً فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَكَيْفَ يُصْلِحُ خِلَالَ إِفْسَادَاتٍ عَظِيمَةٍ ، مِنْ إِفْسَادَاتِ مِثْلِ هٰذِهِ الْجَمَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ ؟ . فَإِنْ كَانَتْ جَمِيعُ أَعْمَالِ «الْمَهْدِيِّ» ، خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ؛ تَقَعُ مُخَالِفَةً لِلْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَلِقَوَانِينِ عَادَاتِ اللهِ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ فَنَطْلُبُ فَهْمَ سِرِّ مَسْأَلَةِ «الْمَهْدِيِّ» هٰذِهِ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى قَدْ بَعَثَ مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ ؛ وَذٰلِكَ لِيَكُونَ أَثَراً لِحِمَايَةِ أَبَدِيَّةِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، بَعَثَ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنْ فَسَادِ الْأُمَّةِ ، مُصْلِحاً ، أَوْ مُجَدِّداً ، أَوْ خَلِيفَةً ذَا شَأْنٍ ، أَوْ قُطْباً أَعْظَمَ ، أَوْ مُرْشِداً أَكْمَلَ ، أَوْ أَشْخَاصاً مُبَارَكَةً بِمَثَابَةِ نَوْعٍ مِنَ «الْمَهْدِيِّ» ؛ فَأَزَالَ بِهِمُ الْفَسَادَ ؛ وَأَصْلَحَ الْمِلَّةَ ؛ وَحَافَظَ عَلَى الدِّينِ الْأَحْمَدِيِّ ؛ **فَإِذَا كَانَتْ عَادَتُهُ تَجْرِي كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّهُ سَيَبْعَثُ فِي زَمَانِ أَكْبَرِ فَسَادِ آخِرِ الزَّمَانِ ، شَخْصاً نُورَانِيّاً ، يَكُونُ مُجْتَهِداً أَجَلَّ ، وَمُجَدِّداً أَكْبَرَ ، وَقُطْباً أَعْظَمَ ، وَحَاكِماً وَمَهْدِيّاً وَمُرْشِداً ؛ وَيَكُونُ ذٰلِكَ الشَّخْصُ ، مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ** ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، يَمْلَأُ عَالَمَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، بِالسَّحَابِ ؛ فَيُفْرِغُهُ خِلَالَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ كَمَا يُسَكِّنُ عَوَاصِفَ الْبَحْرِ ، فِي ثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَيُنْشِئُ الْقَدِيرُ الْجَلِيلُ ، مِثَالَ فَصْلِ الصَّيْفِ ، فِي الرَّبِيعِ ، فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَعَاصِفَةَ الشِّتَاءِ ، فِي الصَّيْفِ ،

فِي سَاعَةٍ ؛ فَإِنَّهُ يَقْتَدِرُ أَيْضاً ، أَنْ يُفَرِّقَ ظُلُمَاتِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ بِـ«الْمَهْدِيِّ» ؛ وَقَدْ وَعَدَ بِهِ ؛ فَسَيُوفِي بِوَعْدِهِ الْبَتَّةَ. فَإِذَا نُظِرَ إِلَيْهِ فِي نُقْطَةِ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَسَهْلٌ لِلْغَايَةِ . وَإِنْ تُصُوِّرَ فِي نُقْطَةِ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَدَائِرَةِ الْأَسْبَابِ ؛ فَمَعْقُولٌ وَلَائِقٌ بِالْوُقُوعِ أَيْضاً ، بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يُرْوَ عَنِ «الْمُخْبِرِ الصَّادِقِ» ، أَيْضاً ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كَذٰلِكَ ؛ وَسَيَقَعُ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ هٰكَذَا يَحْكُمُ أَهْلُ التَّفَكُّرِ . . وَذٰلِكَ : أَنَّ دُعَاءَ (اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلٰى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلٰى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلٰى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) الَّذِي يُكَرِّرُهُ عُمُومُ الْأُمَّةِ ، فِي عُمُومِ صَلَوَاتِهَا ، فِي الْيَوْمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ؛ قَدْ قُبِلَ هٰذَا الدُّعَاءُ ، بِالْمُشَاهَدَةِ ، فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ فَاتَّخَذَ آلُ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، كَآلِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، كَيْفِيَّةً كَذٰلِكَ ؛ بِحَيْثُ يَقُودُ الْقِيَادَةَ(١) ، أُولٰئِكَ الْأَشْخَاصُ النُّورَانِيُّونَ ، عَلٰى رَأْسِ عُمُومِ السَّلَاسِلِ الْمُبَارَكَةِ ، فِي مَجَامِعِ عُمُومِ الْأَقْطَارِ وَالْأَعْصَارِ ؛ وَإِنَّهُمْ عَلٰى كَثْرَةٍ كَذٰلِكَ ؛ بِحَيْثُ يُشَكِّلُ مَجْمُوعُ أُولٰئِكَ الْقَادَةِ ، جَيْشاً مُعَظَّماً ؛ فَإِنْ دَخَلُوا فِي شَكْلٍ مَادِّيٍّ ؛ وَاتَّخَذُوا كَيْفِيَّةَ فِرْقَةٍ ، بِتَسَانُدٍ ؛ وَجَعَلُوا دِينَ الْإِسْلَامِ ، رَابِطَةَ الْاِتِّفَاقِ وَالْاِنْتِبَاهِ ، فِي حُكْمِ مِلِّيَّةٍ مُقَدَّسَةٍ ؛ لَا يُقَاوِمُهُمْ جَيْشُ أَيِّ مِلَّةٍ أَصْلاً . . فَذٰلِكَ الْجَيْشُ الْجَرَّارُ وَالْمُقْتَدِرُ جِدّاً ، هُوَ «آلُ مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَأَخَصُّ «جَيْشِ السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ» . .

نَعَمْ : لَا يُوجَدُ الْيَوْمَ ، فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ ، نَسْلٌ مُتَّصِلٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، بِالشَّجَرَةِ وَالْعَنْعَنَةِ وَالْأَسَانِيدِ ، وَمُمْتَازٌ بِالشَّرَفِ السَّامِي ، وَالْحَسَبِ الْعَالِي ، وَالنَّسَبِ الْأَصِيلِ ، يَكُونُ أَهَمَّ وَأَقْوٰى بِقَدَرِ «نَسْلِ السَّادَاتِ» الْوَارِدِينَ مِنْ «آلِ الْبَيْتِ» ؛ وَإِنَّهُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي

---

(١) حَتّٰى إِنَّ (السَّيِّدَ أَحْمَدَ السُّنُوسِيَّ) الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، يَقُودُ مَلَايِينَ الْمُرِيدِينَ ؛ وَإِنَّ شَخْصاً آخَرَ مِثْلَ (السَّيِّدِ إِدْرِيسَ) ، يَقُودُ الْمُسْلِمِينَ أَزْيَدَ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ ؛ وَسَيِّداً آخَرَ مَثْلَ (السَّيِّدِ يَحْيٰى) ، يَتَأَمَّرُ عَلٰى مِئَاتِ آلَافِ إِنْسَانٍ ؛ وَهٰكَذَا . . فَكَمَا يُوجَدُ فِي أَفْرَادِ قَبِيلَةِ هٰؤُلَاءِ السَّادَاتِ ، كَثِيرُونَ مِنْ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ الظَّاهِرِيِّينَ ؛ فَقَدْ وُجِدَ مِنْهَا ، أَبْطَالُ الشُّجْعَانِ الْمَعْنَوِيِّينَ ، مِثْلِ (السَّيِّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْكَيْلَانِيِّ) ، وَ (السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ) ، وَ (السَّيِّدِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ) (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ) . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ) . .

مُقَدِّمَةِ جَمِيعِ فِرَقِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ الْمُشْتَهِرُونَ ، لِأَهْلِ الْكَمَالَاتِ أَيْضاً ؛ وَإِنَّهُمُ الْآنَ ، نَسْلٌ مُبَارَكٌ يَزِيدُ عَلَى الْمَلَايِينِ ، كَمِّيَّةً أَيْضاً ؛ وَهُمْ مُتَنَبِّهُونَ وَمُتَشَرِّفُونَ بِشَرَفِ الِانْتِسَابِ النَّبَوِيِّ الْغَالِي بِقَدَرِ الْعَالَمِ ؛ وَقُلُوبُهُمْ مُؤْمِنَةٌ وَمُمْتَلِئَةٌ بِالْمَحَبَّةِ النَّبَوِيَّةِ ؛ فَتَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ ، حَادِثَاتٌ عَظِيمَةٌ تُهَيِّجُ وَتُنَبِّهُ الْقُوَّةَ الْمُقَدَّسَةَ ، فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ مِثْلِ هٰذِهِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَفُورُ مَا فِي تِلْكَ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ ، مِنْ حَمِيَّةٍ عَالِيَةٍ ؛ وَيَتَقَدَّمُهَا «السَّيِّدُ الْمَهْدِيُّ» ؛ فَيَسُوقُهَا إِلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ . وَوُقُوعُهُ كَذٰلِكَ ، هُوَ كَقُدُومِ الرَّبِيعِ ، بَعْدَ هٰذَا الشِّتَاءِ ؛ وَنَرْجُو مِنْ سُنَّةِ اللهِ ، وَالرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، أَنْ يَقَعَ كَذٰلِكَ ؛ وَنَحْنُ مُحِقُّونَ فِي تَوَقُّعِهِ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ تَعْنِي الْإِشَارَةَ السَّادِسَةَ : هِيَ أَنَّ جَمْعِيَّةَ «السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ» النُّورَانِيَّةَ ، تُصْلِحُ حُكْمَ «قِيَادَةِ السُّفْيَانِيِّ» ، حُكْمَهَا الْمُخَرِّبَ الْمُبْتَدِعَ ؛ وَتُحْيِي السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ ؛ يَعْنِي : أَنَّ «قِيَادَةَ السُّفْيَانِيِّ» السَّاعِيَةَ لِتَخْرِيبِ الشَّرِيعَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، بِنِيَّةِ إِنْكَارِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ تُقَتَّلُ وَتُبَدَّدُ بِسَيْفِ جَمْعِيَّةِ «السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ» ، بِسَيْفِهَا الْمَعْنَوِيِّ الْمُعْجِزِ . .

وَكَذَا أَنَّ جَمْعِيَّةً تَلِيقُ بِعُنْوَانِ «الْعِيسَوِيِّينَ الْمُسْلِمِينَ» ؛ وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ «جَمَاعَةٍ عِيسَوِيَّةٍ» ذَاتِ حَمِيَّةٍ وَفِدَائِيَّةٍ ؛ وَتَسْعٰى لِتَوْحِيدِ دِينِ «سَيِّدِنَا عِيسٰى» (عليه السلام) ، دِينِهِ الْحَقِيقِيِّ ، مَعَ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ ؛ تُقَتِّلُ قِيَادَةَ الدَّجَّالِ ، الَّتِي تُدَمِّرُ الْمَدَنِيَّةَ وَالْمُقَدَّسَاتِ الْبَشَرِيَّةَ ، شَذَرَ مَذَرَ ، بِنِيَّةِ إِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ ، فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ ؛ وَتُفَكِّكُ هِيَ ، تِلْكَ الْقِيَادَةَ الدَّجَّالِيَّةَ ؛ وَتُنْقِذُ الْبَشَرَ ، عَنْ إِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ ، تَحْتَ رِئَاسَةِ «حَضْرَةِ عِيسٰى» (عليه السلام) . . وَهٰذَا السِّرُّ الْمُهِمُّ ، طَوِيلٌ جِدّاً ؛ فَنَكْتَفِي هٰهُنَا ، بِهٰذِهِ الْإِشَارَةِ الْمُخْتَصَرَةِ ؛ إِذْ بَحَثْنَا عَنْهُ نُبْذَةً ، فِي مَوَاضِعَ أُخْرٰى . .

﴿اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ :﴾ تَعْنِي السُّؤَالَ الثَّالِثَ ؛ يَقُولُونَ : إِنَّ مُدَافَعَاتِكَ فِي الزَّمَنِ

الْقَدِيمِ ، وَمُجَاهَدَاتِكَ فِي حَقِّ الْإِسْلَامِ ، لَيْسَتْ عَلَى الْوَجْهِ الْحَاضِرِ . وَأَيْضاً إِنَّكَ لَا تَسْلُكُ عَلٰى أُسْلُوبِ الْمُتَفَكِّرِينَ الَّذِينَ يُدَافِعُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، ضِدَّ أُورُوبَّا . فَلِمَاذَا بَدَّلْتَ وَضْعَ السَّعِيدِ الْقَدِيمِ ؟ . وَلِمَاذَا لَا تَعْمَلُ عَلٰى طِرَازِ مُجَاهِدِي الْإِسْلَامِ الْمَعْنَوِيِّينَ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ «السَّعِيدَ الْقَدِيمَ» وَقِسْمَ الْمُتَفَكِّرِينَ ، يَقْبَلُونَ قِسْماً مِنْ دَسَاتِيرِ الْفَلْسَفَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَالْحِكْمَةِ الْأُورُوبَّائِيَّةِ ؛ فَيُبَارِزُونَهُمْ بِأَسْلِحَتِهِمْ ؛ وَيَقْبَلُونَهَا بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضَ دَسَاتِيرِهِمْ ، فِي صُورَةِ الْفُنُونِ الْمُثْبَتَةِ ، تَسْلِيماً لَا يَتَزَلْزَلُ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُظْهِرُوا قِيمَةَ الْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيَّةَ ، بِتِلْكَ الصُّورَةِ ؛ فَهُمْ يُلَقِّحُونَ الْإِسْلَامَ عَادَةً ، بِأَغْصَانِ الْحِكْمَةِ الَّتِي يَظُنُّونَ عُرُوقَهَا عَمِيقَةً جِدّاً ؛ فَكَأَنَّهُمْ يُقَوُّونَهُ بِهَا ؛ فَكَانَتِ الْغَلَبَةُ ، قَلِيلَةً فِي هٰذَا الْأُسْلُوبِ ؛ وَكَانَ تَنْزِيلاً لِقِيمَةِ الْإِسْلَامِ ، بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ فَلِذٰلِكَ تَرَكْتُ ذٰلِكَ الْمَسْلَكَ ؛ وَأَيْضاً أَظْهَرْتُ فِعْلِيّاً ، أَنَّ أَسَاسَاتِ الْإِسْلَامِ ، عَمِيقَةٌ بِحَيْثُ لَا يَنَالُهَا أَعْمَقُ أُسُسِ الْفَلْسَفَةِ ؛ بَلْ يَبْقٰى سَطْحِيّاً . . وَقَدْ أَثْبَتَتِ «الْمَقَالَةُ الثَّلَاثُونَ» ، وَ«الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ» ، وَ«الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ» ، هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ؛ وَبَيَّنَتْهَا بِبَرَاهِينِهَا . وَكَانَ فِي الْمَسْلَكِ الْقَدِيمِ ، تَظُنُّ الْفَلْسَفَةُ عَمِيقَةً ؛ وَتُتَلَقَّى الْأَحْكَامُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، ظَاهِرِيَّةً ؛ فَكَانَ تُظَنُّ مُحَافَظَتُهَا وَتَثْبِيتُهَا ، حَاصِلَةً بِرَبْطِهَا بِأَغْصَانِ الْفَلْسَفَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَيُّ حَدٍّ لِدَسَاتِيرِ الْفَلْسَفَةِ ، أَنْ تَنَالَ تِلْكَ الْأَحْكَامَ ؟ .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلٰى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلٰى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلٰى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ ، فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . .

اَلْقِسْمُ الثَّامِنُ الَّذِي هُوَ الرُّمُوزَاتُ الثَّمَانِيَةُ :

وَهِيَ ثَمَانِي رَسَائِلَ صَغِيرَةٍ . .

وَأَسَاسُ هٰذِهِ الرُّمُوزِ ، هُوَ التَّوَافُقُ الَّذِي هُوَ دُسْتُورٌ مُهِمٌّ مِنْ عِلْمِ الْجَفْرِ ، وَمِفْتَاحٌ مُهِمٌّ لِلْعُلُومِ الْخَفِيَّةِ ، وَلِبَعْضِ الْأَسْرَارِ الْغَيْبِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ . وَسَتُنْشَرُ فِي مَجْمُوعَةٍ أُخْرٰى ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تُدْرَجْ هُنَا . .(١) اَلْمُؤَلِّفُ (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْقِسْمُ التَّاسِعُ ، التَّلْوِيحَاتُ التِّسْعَةُ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللّٰهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . .

إِنَّ هٰذَا الْقِسْمَ تِسْعَةُ تَلْوِيحَاتٍ تَكُونُ فِي حَقِّ طُرُقِ الْوَلَايَةِ . .

﴿اَلتَّلْوِيحُ الْأَوَّلُ :﴾ أَنَّ تَحْتَ أَسْمَاءِ «التَّصَوُّفِ وَالطَّرِيقَةِ ، وَالْوَلَايَةِ ، وَالسَّيْرِ وَالسُّلُوكِ» حَقِيقَةً قُدْسِيَّةً ، حُلْوَةً نُورَانِيَّةً ، نَاشِيَةً رُوحَانِيَّةً ؛ فَكَتَبَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الذَّوْقِ وَالْكَشْفِ ، آلَافَ جِلْدٍ مِنْ كُتُبٍ تُعْلِنُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْقُدْسِيَّةَ ؛ وَتُدَرِّسُهَا وَتُوَصِّفُهَا ؛ وَذَكَرُوا تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، لَنَا وَلِلْأُمَّةِ ؛ جَزَاهُمُ اللّٰهُ خَيْراً كَثِيراً . .

فَنَحْنُ نُبَيِّنُ مِنْ ذٰلِكَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، عِدَّةَ رَشَحَاتٍ مِنْهُ ، بِمَثَابَةِ عِدَّةِ قَطَرَاتٍ ، بِنَاءً عَلٰى بَعْضِ إِلْجَاءَاتِ هٰذَا الزَّمَانِ . .

سُؤَالٌ : مَا هِيَ الطَّرِيقَةُ ؟ .

---

(١) وَنُشِرَ قِسْمٌ مِنْ فِهْرِسِهَا ، فِي مَجْمُوعَةِ (ذِي الْفِقَارِ بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلْجَوَابُ: أَنَّ غَايَةَ مَقْصَدِ الطَّرِيقَةِ، مِنْ حَيْثُ الْمَعْرِفَةُ وَانْكِشَافُ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ، هِيَ الْمَظْهَرِيَّةُ لِلْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ، ذَوْقِيّاً وَحَالِيّاً، وَبِدَرَجَةٍ مَّا شُهُودِيّاً، فِي نَتِيجَةِ سَيْرٍ وَسُلُوكٍ رُوحَانِيٍّ، بِقَدَمِ الْقَلْبِ، فِي ظِلِّ الْمِعْرَاجِ الْأَحْمَدِيِّ، وَتَحْتَ فَيْئِهِ؛ وَهِيَ سِرٌّ إِنْسَانِيٌّ، وَكَمَالٌ بَشَرِيٌّ عُلْوِيٌّ، بِاسْمِ الطَّرِيقَةِ وَالتَّصَوُّفِ.. **نَعَمْ: إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، لِكَوْنِهِ فِهْرِسَةً جَامِعَةً؛ فَقَلْبُ الْإِنْسَانِ، فِي حُكْمِ خَرِيطَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ لِآلَافِ عَالَمٍ.. نَعَمْ**: فَكَمَا أَنَّ الْفُنُونَ وَالْعُلُومَ الْبَشَرِيَّةَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، هِيَ الدَّالَّةُ عَلٰى أَنَّ مَا فِي رَأْسِ الْإِنْسَانِ، مِنْ دِمَاغِهِ، نَوْعُ مَرْكَزٍ مَعْنَوِيٍّ لِلْكَائِنَاتِ، كَمَرْكَزِ اللَّاسِلْكِيَّاتِ وَالْبَرْقِيَّاتِ وَالْهَوَاتِفِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، الْمُسَمّٰى بِمَرْكَزِ الِاتِّصَالِ؛ فَإِنَّ الْكُتُبَ النُّورَانِيَّةَ بِالْمَلَايِينِ، الَّتِي كَتَبَهَا مَنْ لَا يُحَدُّ وَلَا يُحْصٰى مِنْ أَهْلِ الْوَلَايَةِ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ مَا فِي مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ، مِنْ قَلْبِهِ أَيْضاً، نَوَاةٌ وَمَدَارٌ لِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ حَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ..

هٰذَا؛ فَإِذَا كَانَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ وَدِمَاغُهُ، فِي هٰذَا الْمَرْكَزِ؛ وَيَتَضَمَّنَانِ جِهَازَاتِ شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ، فِي حَالَةِ النَّوَاةِ؛ وَأُدْرِجَ فِيهَا آلَاتُ وَأَدَوَاتُ جِهَازٍ مُحْتَشِمٍ أُخْرَوِيٍّ وَأَبَدِيٍّ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ فَاطِرَ ذٰلِكَ الْقَلْبِ، أَرَادَ إِعْمَالَ ذٰلِكَ الْقَلْبِ، وَإِخْرَاجَهُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ؛ وَأَرَادَ انْكِشَافَهُ وَحَرَكَتَهُ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ؛ فَخَلَقَهُ كَذٰلِكَ؛ وَإِذَا كَانَ أَرَادَ ذٰلِكَ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ ذٰلِكَ الْقَلْبَ أَيْضاً، يَعْمَلُ كَالْعَقْلِ؛ وَأَكْبَرُ وَاسِطَةٍ لِإِعْمَالِ الْقَلْبِ، هُوَ تَوْجِيهُهُ إِلَى الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ، بِالذِّكْرِ الْإِلٰهِيِّ، فِي مِنْهَاجِ الطَّرِيقَةِ، وَمَرَاتِبِ الْوَلَايَةِ..

﴿اَلتَّلْوِيحُ الثَّانِي:﴾ أَنَّ مِفْتَاحَ هٰذَا السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ الْقَلْبِيِّ، وَوَاسِطَةَ هٰذِهِ الْحَرَكَةِ الرُّوحَانِيَّةِ، هُمَا الذِّكْرُ الْإِلٰهِيُّ وَالتَّفَكُّرُ. وَإِنَّ مَحَاسِنَ هٰذَا الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، لَا تَنْتَهِي بِالتَّعْدَادِ. وَإِنَّ فَائِدَةً جُزْئِيَّةً عَائِدَةً إِلٰى هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمُضْطَرِبَةِ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْفَوَائِدِ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَالْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، هِيَ: أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ، يَطْلُبُ عَلٰى كُلِّ حَالٍ، تَسَلِّياً؛ وَيَقْصِدُ ذَوْقاً؛ وَيَتَحَرّٰى أُنْساً يُزِيلُ الْوَحْشَةَ؛ لِيَتَنَفَّسَ وَيَخْلُصَ بِدَرَجَةٍ مَّا، عَنِ اضْطِرَابِ الْحَيَاةِ، وَعَنْ تَكَالِيفِهَا الثَّقِيلَةِ. وَإِنَّ مَا فِي نَتِيجَةِ الْمَدَنِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، مِنْ

الاِجْتِمَاعَاتِ الْمُؤْنِسَةِ ، تُورِثُ فِي عَشَرَةِ أُنَاسٍ ، وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ ، أُنْساً وَأُلْفَةً وَتَسَلِّياً مُؤَقَّتاً ، بَلْ عَلٰى وَجْهِ الْغَفْلَةِ وَالسُّكْرِ ؛ وَلٰكِنَّ الثَّمَانِينَ فِي الْمِئَةِ ، إِمَّا يَعِيشُونَ مُنْفَرِدِينَ فِي الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ ؛ أَوْ يَسُوقُهُمْ بَلاءُ الْمَعِيشَةِ ، إِلَى النَّوَاحِي النَّائِيَةِ ؛ أَوْ أَنَّهُمْ مَحْرُومُونَ عَنِ الْأُنْسِ النَّاشِئِ عَنْ جَمَاعَاتِ النَّاسِ ، بِسَبَبِ الْوَسَائِطِ الْمُفَكِّرَةِ لِلْآخِرَةِ ، مِثْلِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ ؛ فَلَا يُورِثُهُمْ ذٰلِكَ الْحَالُ أُنْساً ؛ وَلَا يُسَلِّيهِمْ . هٰذَا ، فَالتَّسَلِّي الْحَقِيقِيُّ ، وَالْأُنْسُ الْجِدِّيُّ ، وَالذَّوْقُ الْحُلْوُ ، لِأَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ ، هُوَ أَنْ يُحَرِّكَ الْقَلْبَ ، بِوَاسِطَةِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ ؛ فَيَتَوَجَّهَ إِلٰى قَلْبِهِ ، فِي تِلْكَ النَّوَاحِي النَّائِيَةِ ، وَتِلْكَ الْجِبَالِ الْمُتَوَحِّشَةِ ، وَالْأَوْدِيَةِ الْمُزْعِجَةِ ؛ فَيَقُولَ : «اَللّٰهُ اَللّٰهُ» ؛ وَيَسْتَأْنِسَ بِقَلْبِهِ ؛ فَيَتَصَوَّرَ بِذٰلِكَ الْأُنْسِ ، مَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ النَّاظِرَةِ إِلَيْهِ بِالْوَحْشَةِ ، فِي حَالَةِ تَبَسُّمٍ مُؤْنِسٍ ؛ فَيَقُولَ : إِنَّ مَا لَا حَدَّ لَهُ ، مِنْ عِبَادِ خَالِقِي الَّذِي أَذْكُرُهُ ، كَثِيرٌ فِي مَكَانِيَ الْمُتَوَحِّشِ هٰذَا أَيْضاً ؛ كَمَا يُوجَدُ فِي كُلِّ جَانِبٍ ؛ فَلَسْتُ وَحِيداً ؛ وَلَا مَعْنٰى لِلتَّوَحُّشِ ؛ فَيَسْتَفِيدَ ذَوْقاً مُؤْنِساً ، مِنْ حَيَاةٍ مُؤْمِنَةٍ ؛ وَيَفْهَمَ مَعْنٰى سَعَادَةِ الْحَيَاةِ ؛ فَيَشْكُرَ اللّٰهَ تَعَالٰى . .

﴿اَلتَّلْوِيحُ الثَّالِثُ :﴾ أَنَّ الْوَلَايَةَ ، حُجَّةٌ لِلرِّسَالَةِ ؛ وَالطَّرِيقَةَ ، بُرْهَانٌ لِلشَّرِيعَةِ ؛ لِأَنَّ الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ الَّتِي تُبَلِّغُهَا الرِّسَالَةُ ، تَرَاهَا الْوَلَايَةُ فِي دَرَجَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ ، بِنَوْعٍ مِنَ الشُّهُودِ الْقَلْبِيِّ ، وَالذَّوْقِ الرُّوحِيِّ ؛ فَتُصَدِّقُ بِهَا ؛ فَتَصْدِيقُهَا ، حُجَّةٌ قَطْعِيَّةٌ عَلٰى حَقَّانِيَّةِ الرِّسَالَةِ ؛ وَأَنَّ الطَّرِيقَةَ بِذَوْقِهَا وَكَشْفِهَا لِحَقَائِقِ الْأَحْكَامِ الَّتِي تُدَرِّسُهَا الشَّرِيعَةُ ، وَبِاسْتِفَادَتِهَا وَاسْتِفَاضَتِهَا مِنْهَا ، بُرْهَانٌ بَاهِرٌ عَلٰى أَنَّ تِلْكَ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ حَقٌّ ؛ وَأَنَّهَا جَاءَتْ مِنَ الْحَقِّ . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ الْوَلَايَةَ وَالطَّرِيقَةَ ، حُجَّةُ الرِّسَالَةِ ، وَدَلِيلُ الشَّرِيعَةِ ؛ كَذٰلِكَ سِرٌّ لِكَمَالِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَمَدَارٌ لِأَنْوَارِهَا ، وَمَعْدِنٌ لِتَرَقِّيَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمَنْبَعٌ لِتَفَيُّضَاتِهَا ، بِسِرِّ الْإِسْلَامِيَّةِ . .

هٰذَا ؛ فَهٰذَا السِّرُّ الْعَظِيمُ ، مَعَ هٰذِهِ الدَّرَجَةِ مِنْ أَهَمِّيَّتِهِ ؛ فَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ ، إِلٰى جَانِبِ إِنْكَارِهِ ؛ فَصَارُوا سَبَباً لِحِرْمَانِ غَيْرِهِمْ ، عَنْ تِلْكَ الْأَنْوَارِ الَّتِي حُرِمُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ عَنْهَا . .

وَإِنَّ مَا هُوَ أَزْيَدُ مَدَارِ التَّأَسُّفِ ، هُوَ : أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ الظَّاهِرِيِّينَ ، مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَبَعْضَ الْغَافِلِينَ ، مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ الْمَنْسُوبِينَ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، يَجْعَلُونَ مَا يَرَوْنَهُ بَيْنَ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، مِنْ بَعْضِ الْخَطِيئَاتِ ، وَسُوءِ الاِسْتِعْمَالاتِ ، وَسِيلَةً ؛ فَيَسْعَوْنَ لِسَدِّ تِلْكَ الْخَزِينَةِ الْعُظْمَى ، بَلْ لِتَخْرِيبِهَا ، وَلِتَنْشِيفِ مَنْبَعِ ذٰلِكَ الْكَوْثَرِ النَّاثِرِ لِنَوْعٍ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ قَلَّمَا يُوجَدُ فِي الْأَشْيَاءِ ، أُمُورٌ وَمَشَارِبُ وَمَسَالِكُ بِلَا قُصُورٍ ، يَكُونُ كُلُّ جِهَاتِهَا خَيْراً ؛ فَإِنَّهُ يَقَعُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، بَعْضُ قُصُورَاتٍ ، وَسُوءُ اسْتِعْمَالَاتٍ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ لَيْسُوا أَهْلاً ، إِذَا دَخَلُوا أَمْراً ؛ يَعْمَلُونَ سُوءَ اسْتِعْمَالَاتٍ بَتَاتاً ؛ وَلٰكِنَّ اللهَ تَعَالَى ، يُظْهِرُ عَدَالَتَهُ الرَّبَّانِيَّةَ ، بِمُوَازَنَةِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، بِدُسْتُورِ مُحَاسَبَةِ الْأَعْمَالِ ، فِي الْآخِرَةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ إِذَا رَجَحَتِ الْحَسَنَاتُ وَثَقُلَتْ ؛ يُكَافِئُ عَلَيْهَا وَيَقْبَلُهَا ؛ وَإِذَا رَجَحَتِ السَّيِّئَاتُ ؛ يُجَازِي عَلَيْهَا وَيَرُدُّهَا . وَإِنَّ مُوَازَنَةَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، تَنْظُرُ إِلَى الْكَيْفِيَّةِ ؛ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْكَمِّيَّةِ ؛ فَقَدْ تَكُونُ أَحْيَاناً تَرْجَحُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ ، عَلَى أَلْفِ سَيِّئَةٍ ؛ فَتَعْفِيهَا . فَإِذَا كَانَتِ الْعَدَالَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، تَحْكُمُ هٰكَذَا ؛ وَكَانَتِ الْحَقِيقَةُ أَيْضاً ، تَرَى هٰذَا حَقّاً ؛ فَإِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ حَسَنَاتِ الطَّرِيقَةِ – تَعْنِي الطَّرِيقَةَ الَّتِي فِي دَائِرَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ – تَرْجَحُ عَلَى سَيِّئَاتِهَا قَطْعاً ، هُوَ : أَنَّ أَهْلَ الطَّرِيقَةِ يَحْفَظُونَ إِيمَانَهُمْ ، فِي زَمَنِ هُجُومِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ؛ فَإِنَّ مُخْلِصاً عَادِيّاً ، مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، يُحَافِظُ عَلَى نَفْسِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ مُتَفَنِّنٍ صُورِيٍّ وَظَاهِرِيٍّ ؛ وَيُنْقِذُ إِيمَانَهُ ، بِوَاسِطَةِ ذَوْقِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ ، وَمَحَبَّةِ أُولَائِكَ الْأَوْلِيَاءِ ؛ وَيَصِيرُ فَاسِقاً بِالْكَبَائِرِ ؛ وَلٰكِنْ لَا يَكُونُ كَافِراً ؛ وَلَا يُولَجُ بِهِ فِي الزَّنْدَقَةِ بِسُهُولَةٍ ؛ فَإِنَّ سِلْسِلَةً مِنَ الْمَشَايِخِ الَّذِينَ يَقْبَلُهُمْ أَقْطَاباً ، بِحُبٍّ شَدِيدٍ ، وَاعْتِقَادٍ مَتِينٍ ، لَا يَنْقُضُهَا أَيُّ قُوَّةٍ أَصْلاً ، فِي نَظَرِهِ ؛ وَلِأَنَّهُ لَا يَنْقُضُهَا ؛ لَا يَقْطَعُ عَنْهُمُ ، اعْتِمَادَهُ عَلَيْهِمْ ؛ وَإِذَا لَمْ يَقْطَعِ اعْتِمَادَهُ عَنْهُمْ ؛ لَا يَدْخُلُ الزَّنْدَقَةَ . وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حِصَّةٌ فِي الطَّرِيقَةِ ؛ وَلَمْ يَنْهَضْ قَلْبُهُ إِلَى الْحَرَكَةِ ؛ وَلَوْ كَانَ عَالِماً مُحَقِّقاً ؛ فَقَدْ أَشْكَلَ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى نَفْسِهِ تَامّاً ، ضِدَّ دَسَائِسِ الزَّنَادِقَةِ الْحَاضِرِينَ . .

وَيُوجَدُ شَيْءٌ آخَرُ ؛ وَهُوَ : أَنَّ بَعْضَ مَشَارِبَ اتَّخَذَتْ صُورَةً خَارِجَةً عَنْ دَائِرَةِ

التَّقْوى ، بَلْ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّ الَّذِينَ يُعَلِّقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ اسْمَ الطَّرِيقَةِ ، بِغَيْرِ حَقٍّ ، لَا تَكُونُ الطَّرِيقَةُ مَحْكُومَةً بِسَيِّئَاتِهِمَا . وَإِنَّ الطَّرِيقَةَ ، مَعَ صَرْفِ النَّظَرِ عَنْ نَتَائِجِهَا الدِّينِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ ، الْعُلْوِيَّةِ الْمُهِمَّةِ جِدّاً ؛ فَإِنَّ الْوَاسِطَةَ الْأُولَى الْمُؤَثِّرَةَ الْحَارَّةَ ، لِانْكِشَافِ الْأُخُوَّةِ وَانْبِسَاطِهَا ، الَّتِي هِيَ رَابِطَةٌ قُدُسِيَّةٌ ، بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ فَقَطْ ، هِيَ الطَّرَائِقُ ؛ كَمَا أَنَّهَا قَلْعَةٌ مِنَ الْقِلَاعِ الْإِسْلَامِيَّةِ الثَّلَاثِ الْمُهِمَّةِ الْمَتِينَةِ ، ضِدَّ الْهَجَمَاتِ الْمُدْهِشَةِ ، مِنْ هَجَمَاتِ عَالَمِ الْكُفْرِ ، وَالسِّيَاسَةِ النَّصْرَانِيَّةِ ، لِإِطْفَاءِ نُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَإِنَّ مَا أَدّٰى إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلٰى «إِسْطَنْبُولَ» الَّتِي كَانَتْ مَرْكَزَ الْخِلَافَةِ ، ضِدَّ جَمِيعِ الْعَالَمِ النَّصْرَانِيِّ ، خَمْسَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَاماً ، هِيَ أَنْوَارُ التَّوْحِيدِ الْفَوَّارَةُ فِي خَمْسِمِئَةِ مَكَانٍ ، فِي «إِسْطَنْبُولَ» ، وَقُوَّةُ إِيمَانِ الْقَائِلِينَ : «اَللّٰهُ اَللّٰهُ» ، فِي التَّكَايَا وَرَاءَ تِلْكَ الْجَوَامِعِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي هِيَ نُقْطَةٌ مُهِمَّةٌ لِاسْتِنَادِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، فِي ذٰلِكَ الْمَرْكَزِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَجَيَشَانُهُمْ وَهَيَجَانُهُمْ بِمَحَبَّةٍ رُوحَانِيَّةٍ نَاشِئَةٍ عَنِ الْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْعُمَلَاءُ الَّذِينَ لَا عَقْلَ لَهُمْ ، وَيَا دُعَاةَ الْقَوْمِيَّةِ الْمُتَصَنِّعِينَ ! اذْكُرُوا مَا هِيَ السَّيِّئَاتُ الَّتِي تَنْقُضُ حَسَنَةَ الطَّرِيقَةِ هٰذِهِ ، فِي حَيَاتِكُمُ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؟ .

﴿اَلتَّلْوِيحُ الرَّابِعُ :﴾ أَنَّ مَسْلَكَ الْوَلَايَةِ مُشْكِلٌ جِدّاً ، مَعَ كَوْنِهِ سَهْلاً لِلْغَايَةِ ؛ وَطَوِيلٌ جِدّاً ، مَعَ كَوْنِهِ قَصِيراً لِلْغَايَةِ ؛ وَخَطِرٌ جِدّاً ، مَعَ كَوْنِهِ قَيِّماً لِلْغَايَةِ ؛ وَضَيِّقٌ جِدّاً ، مَعَ كَوْنِهِ وَاسِعاً لِلْغَايَةِ . فَلِهٰذِهِ الْأَسْرَارِ يَغْرَقُ أَحْيَاناً ، السَّالِكُونَ فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ ؛ وَأَحْيَاناً يَقَعُ خَاسِراً ؛ وَأَحْيَاناً يَرْجِعُ ؛ فَيُضِلُّ غَيْرَهُ عَنِ الطَّرِيقِ . .

فَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ : أَنَّ فِي الطَّرِيقَةِ مَشْرَبَيْنِ ، تَحْتَ التَّعْبِيرِ «بِالسَّيْرِ الْأَنْفُسِيِّ ، وَالسَّيْرِ الْآفَاقِيِّ» . .

فَمَشْرَبُهَا الْأَنْفُسِيُّ ، يَبْدَأُ مِنَ النَّفْسِ ؛ فَيَسْحَبُ بَصَرَهُ ، عَنِ الْخَارِجِ ؛ وَيَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ ؛ وَيَنْقُبُ الْأَنَانِيَّةَ ؛ فَيَمُرُّ عَنْهَا ؛ وَيَفْتَحُ الطَّرِيقَ مِنَ الْقَلْبِ ؛ وَيَجِدُ الْحَقِيقَةَ ؛ ثُمَّ يَدْخُلُ الْآفَاقَ ؛ فَحِينَئِذٍ يَرَى الْآفَاقَ نُورَانِيَّةً ؛ وَيَقْضِي ذٰلِكَ السَّيْرَ سَرِيعاً ؛ وَيَرَى فِيهَا أَيْضاً ، فِي

مِقْيَاسٍ كَبِيرٍ ، الْحَقِيقَةَ الَّتِي رَآهَا فِي الدَّائِرَةِ الْأَنْفُسِيَّةِ . وَأَكْثَرُ الطُّرُقِ الْخَفِيَّةِ ، تَذْهَبُ بِهٰذَا السَّبِيلِ . وَأَهَمُّ أَسَاسِ هٰذَا الْمَشْرَبِ ، هَضْمُ الْأَنَانِيَّةِ ، وَتَرْكُ الْهَوىٰ ، وَإِمَاتَةُ النَّفْسِ . .

وَالْمَشْرَبُ الثَّانِي ، يَشْرَعُ مِنَ الْآفَاقِ ؛ فَيَتَفَرَّجُ عَلٰى جَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، فِي مَظَاهِرِ تِلْكَ الدَّائِرَةِ الْكُبْرىٰ ؛ ثُمَّ يَدْخُلُ الدَّائِرَةَ الْأَنْفُسِيَّةَ ؛ فَيُشَاهِدُ تِلْكَ الْأَنْوَارَ ، فِي دَائِرَةِ قَلْبِهِ ، فِي مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ؛ وَيَفْتَحُ فِيهَا الطَّرِيقَ الْأَقْرَبَ ؛ وَيَرَى الْقَلْبَ ، مِرْآةَ الصَّمَدِ ؛ وَيَصِلُ إِلَى الْمَقْصَدِ الَّذِي يَطْلُبُهُ . .

هٰذَا ، فَالسَّالِكُ فِي الْمَشْرَبِ الْأَوَّلِ ، إِذَا لَمْ يُوفَّقْ لِإِمَاتَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ؛ وَلَمْ يَتْرُكِ الْهَوىٰ ؛ فَلَمْ يَهْضِمِ الْأَنَانِيَّةَ ؛ يَسْقُطُ مِنْ مَقَامِ الشُّكْرِ ، إِلٰى مَقَامِ الْفَخْرِ ؛ وَيَهْبِطُ مِنَ الْفَخْرِ ، إِلَى الْغُرُورِ ؛ فَإِنْ كَانَ مَعَهُ انْجِذَابٌ نَاشِئٌ عَنِ الْحُبِّ ، وَنَوْعٌ مِنْ سُكْرٍ نَاشِئٍ عَنْ الِانْجِذَابِ ؛ تَصْدُرُ عَنْهُ دَعَاوىٰ زَائِدَةٌ عَنْ حَدِّهِ كَثِيراً ، بِاسْمِ الشَّطَحَاتِ ؛ فَيَخْسَرُ هُوَ نَفْسُهُ ؛ وَيَصِيرُ سَبَباً لِضَرَرِ غَيْرِهِ . .

فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ ضَابِطاً مُلَازِماً ، إِذَا اغْتَرَّ بِذَوْقِ الْقِيَادَةِ الَّتِي فِيهِ ، وَبِنَشْوَتِهَا ؛ يَظُنُّ نَفْسَهُ مُشِيراً ؛ فَيُلَبِّسُ دَائِرَتَهُ الصَّغِيرَةَ ، بِتِلْكَ الدَّائِرَةِ الْكُلِّيَّةِ ؛ وَأَنَّ شَمْساً تُشَاهَدُ فِي مِرْآةٍ صَغِيرَةٍ ؛ تُسَبِّبُ الْتِبَاسَهَا بِشَمْسٍ تُشَاهَدُ جَلَوَاتُهَا بِحِشْمَتِهَا ، فِي وَجْهِ الْبَحْرِ ، بِجِهَةٍ مَّا مِنَ الْمُشَابَهَةِ بِهَا ؛ كَذٰلِكَ يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْوَلَايَةِ ؛ يَرَى نَفْسَهُ ، أَكْبَرَ مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ مِنْهُ ، بِدَرَجَةٍ تَكُونُ نِسْبَتُهُ إِلَيْهِمْ ، كَنِسْبَةِ ذُبَابَةٍ إِلٰى طَاؤُوسٍ ؛ وَيُشَاهِدُ كَذٰلِكَ ؛ وَيَجِدُ نَفْسَهُ مُحِقَّةً ؛ حَتّٰى إِنِّي رَأَيْتُ مَنِ انْتَبَهَ قَلْبُهُ فَقَطْ ؛ وَشَعَرَ فِي نَفْسِهِ ، بِسِرِّ الْوَلَايَةِ ، مِنْ بَعِيدٍ ؛ كَانَ يَتَلَقّٰى نَفْسَهُ ، قُطْباً أَعْظَمَ ؛ فَيَتَزَيَّا بِذٰلِكَ الطَّوْرِ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَخِي ! **كَمَا أَنَّ لِقَانُونِ السَّلْطَنَةِ ، جَلَوَاتٍ جُزْئِيَّةً وَكُلِّيَّةً ، عَلٰى نَمَطٍ وَاحِدٍ ، مِنْ دَائِرَةِ «الصَّدْرِ الْأَعْظَمِ» ، إِلٰى دَائِرَةِ مُدِيرِ النَّاحِيَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ لِلْوَلَايَةِ وَالْقُطْبِيَّةِ أَيْضاً ، جَلَوَاتٍ وَدَوَائِرَ مُخْتَلِفَةً كَذٰلِكَ ؛ وَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ ، ظِلَالاً كَثِيرَةً ؛ فَإِنَّكَ رَأَيْتَ فِي دَائِرَتِكَ الَّتِي هِيَ ، فِي حُكْمِ دَائِرَةِ مُدِيرِ النَّاحِيَةِ ، جِلْوَةً عُظْمٰى مِنَ الْقُطْبِيَّةِ الشَّبِيهَةِ «بِالصَّدْرِ الْأَعْظَمِ» ؛ فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ؛ وَإِنَّ مَا رَأَيْتَ حَقٌّ ؛**

وَلٰكِنَّ حُكْمَكَ خَطأٌ ؛ فَإِنَّ إِنَاءً مِنَ الْمَاءِ ، بَحْرٌ صَغِيرٌ لِذُبَابَةٍ . . وَلَعَلَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ ، انْتَبَهَ مِنْ جَوَابِي هٰذَا ؛ وَنَجَا عَنْ تِلْكَ الْوَرْطَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

وَكَذَا أَنِّي رَأَيْتُ أُنَاساً مُتَعَدِّدَةً ، كَانُوا يَظُنُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، نَوْعاً مِنَ «الْمَهْدِيِّ» ؛ وَيَقُولُونَ : إِنِّي سَأَكُونُ «مَهْدِيّاً» ؛ وَلَيْسَ هٰؤُلاَءِ الرِّجَالُ ، كَذَبَةً وَخَدَعَةً ؛ بَلْ يَنْخَدِعُونَ ؛ وَيَظُنُّونَ مَا يَرَوْنَهُ ، حَقِيقَةً ؛ فَكَمَا أَنَّ لِلأَسْمَاءِ الإِلٰهِيَّةِ ، تَجَلِّيَاتٍ وَجَلَوَاتٍ ، مِنْ دَائِرَةِ الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ ، إِلٰى ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَتَتَفَاوَتُ فِي الْمَظْهَرِيَّةِ لِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ ، بِتِلْكَ النِّسْبَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَرَاتِبَ الْوَلاَيَةِ أَيْضاً ، الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ مَظْهَرِيَّةِ الْأَسْمَاءِ ، مُتَفَاوِتَةٌ كَذٰلِكَ . وَإِنَّ السَّبَبَ الْأَهَمَّ لِهٰذَا الالْتِبَاسِ ، هُوَ : أَنَّ مِنْ مَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، بَعْضَ مَقَامَاتٍ مُتَنَاسِبَةٍ بِبَعْضِ مَشَاهِيرِ الْأَوْلِيَاءِ ؛ كَمَا تُوجَدُ فِي بَعْضِ الْمَقَامَاتِ ، خُصُوصِيَّةُ وَظِيفَةِ «الْمَهْدِيِّ» ؛ وَتُرَى نِسْبَةٌ خَاصَّةٌ بِالْقُطْبِ الْأَعْظَمِ ؛ وَتَكُونُ مُنَاسَبَةٌ خَاصَّةٌ بِالسَّيِّدِ الْخِضْرِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُعَبَّرُ عَنْ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ ، بِمَقَامِ الْخِضْرِ ، وَمَقَامِ أُوَيْسٍ ، وَمَقَامِ الْمَهْدِيَّةِ . .

هٰذَا ؛ فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، أَنَّ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ ذٰلِكَ الْمَقَامَ ، وَمِثَالاً جُزْئِيّاً ، أَوْ ظِلّاً مِنْ ذٰلِكَ الْمَقَامِ ، يَظُنُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، الْمَشَاهِيرَ الْمُتَنَاسِبِينَ بِذٰلِكَ الْمَقَامِ ، مُنَاسَبَةً خَاصَّةً ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ نَفْسَهُ «خِضْراً» ؛ أَوْ يَعْتَقِدُهَا «مَهْدِيّاً» ؛ أَوْ يَتَخَيَّلُهَا قُطْباً أَعْظَمَ ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ طَالِباً لِلْجَاهِ ؛ وَلَيْسَ لَهُ أَنَانِيَّةٌ ؛ لاَ يَكُونُ مَحْكُوماً عَلَيْهِ ، فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ؛ وَإِنَّ دَعَاوَاهُ الْفَاضِلَةَ عَنْ حَدِّهِ ، تُعَدُّ شَطَحَاتٍ ؛ وَلَعَلَّهُ لاَ يَكُونُ مَسْؤُولاً بِهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ نَفْسُهُ ، مُتَوَجِّهَةً إِلٰى حُبِّ الْجَاهِ ، خَلْفَ السِّتَارِ ؛ فَغُلِبَ لِنَفْسِهِ ؛ وَتَرَكَ الشُّكْرَ ؛ فَدَخَلَ الْفَخْرَ ؛ فَإِنَّهُ يَسْقُطُ مِنَ الْفَخْرِ ، شَيْئاً فَشَيْئاً ، إِلَى الْغُرُورِ ؛ فَإِمَّا يَسْقُطُ إِلٰى دَرَجَةِ الْجُنُونِ ؛ أَوْ يَضِلُّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ؛ لِأَنَّهُ يَتَلَقَّى الْأَوْلِيَاءَ الْعِظَامَ ، مِثْلَ نَفْسِهِ ؛ فَيَنْتَقِضُ حُسْنُ ظَنِّهِ فِي حَقِّهِمْ ؛ إِذْ إِنَّ النَّفْسَ ، مَهْمَا كَانَتْ مَغْرُورَةً ؛ فَإِنَّهَا تُدْرِكُ قُصُورَ نَفْسِهَا ؛ فَيَقِيسُ أُولٰئِكَ الْعِظَامَ ، عَلٰى نَفْسِهِ ؛ فَيَتَوَهَّمُهُمْ قَاصِرِينَ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَنْتَقِصُ احْتِرَامُهُ ، فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ أَيْضاً . .

هٰذَا ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِهٰذَا الْحَالِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِمِيزَانِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَيَتَّخِذَ دَسَاتِيرَ عُلَمَاءِ أُصُولِ الدِّينِ ، مِقْيَاساً لِنَفْسِهِ ؛ وَيَجْعَلَ تَعَالِيمَ مُحَقِّقِي الْأَوْلِيَاءِ ، مِثْلِ «الْإِمَامِ الْغَزَّالِيِّ ، وَالْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ» ، دَلِيلاً لِنَفْسِهِ ؛ وَأَنْ يَتَّهِمَ نَفْسَهُ دَائِماً ؛ وَأَنْ لَا يُعْطِيَ بِيَدِ نَفْسِهِ ، سِوَى الْقُصُورِ ، وَغَيْرَ الْعَجْزِ وَالْفَقْرِ . . وَمَا فِي هٰذَا الْمَشْرَبِ مِنَ الشَّطَحَاتِ ، تَنْشَأُ عَنْ حُبِّ النَّفْسِ ؛ لِأَنَّ عَيْنَ الْمَحَبَّةِ ، لَا تَرَى الْقُصُورَ ؛ فَيَظُنُّ نَفْسَهُ الْقَاصِرَةَ غَيْرَ اللَّائِقَةِ ، كَقِطْعَةِ زُجَاجٍ ، زُمُرُّداً وَأَلْمَاساً ، لِحُبِّهِ لِتِلْكَ النَّفْسِ . . وَإِنَّ أَخْطَرَ خَطَإٍ بَيْنَ هٰذَا النَّوْعِ ، هُوَ : أَنَّهُ يَتَخَيَّلُ الْمَعَانِيَ الْجُزْئِيَّةَ الْوَارِدَةَ عَلٰى قَلْبِهِ ، بِوَجْهِ الْإِلْهَامِ ، كَلَامَ اللهِ ؛ فَيُعَبِّرُ عَنْهَا بِالْآيَاتِ ؛ وَبِذٰلِكَ يَطْرَأُ عَدَمُ احْتِرَامٍ ، عَلٰى مَرْتَبَةِ الْوَحْيِ ، الْعُلْيَا الْأَقْدَسِ . نَعَمْ : إِنَّ جَمِيعَ الْإِلْهَامَاتِ ، مِنْ إِلْهَامِ النَّحْلِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، إِلٰى إِلْهَامَاتِ عَوَامِّ النَّاسِ ، وَخَوَاصِّ الْبَشَرِ ، وَمِنْ إِلْهَامِ عَوَامِّ الْمَلَائِكَةِ ، إِلٰى إِلْهَامَاتِ خَوَاصِّ الْكَرُّوبِيِّينَ ، هِيَ نَوْعٌ مِنَ الْكَلِمَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ وَلٰكِنَّ الْكَلَامَ الرَّبَّانِيَّ حَسَبَ قَابِلِيَّةِ الْمَظَاهِرِ وَالْمَقَامَاتِ ، هُوَ جَلَوَاتُ الْخِطَابِ الرَّبَّانِيِّ ، الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي تَتَلَمَّعُ وَرَاءَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ . وَأَمَّا تَسْمِيَةُ أَمْثَالِ تِلْكَ الْإِلْهَامَاتِ ، بِاسْمِ «الْآيَةِ» الَّتِي هِيَ الِاسْمُ الْخَاصُّ ، لِنُجُومِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ الِاسْمُ الْخَاصُّ ، لِلْوَحْيِ وَكَلَامِ اللهِ ، وَمِثَالُهُ الْمُشَخَّصُ الْأَبْهَرُ ، فَخَطَأٌ مَحْضٌ ؛ فَإِنَّ مِثَالَ الشَّمْسِ ، الْمَسْتُورَ الطَّفِيءَ الْمَشْهُودَ فِي الْمِرْآةِ الْمُنْصَبِغَةِ الَّتِي بِأَيْدِينَا ، مَاذَا تَكُونُ نِسْبَتُهُ إِلَى الشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَا فِي قُلُوبِ أُولٰئِكَ الْمُدَّعِينَ ، مِنَ الْإِلْهَامِ ، نِسْبَتُهُ إِلٰى آيَاتِ شَمْسِ «الْقُرْآنِ» الَّذِي هُوَ الْكَلَامُ الْإِلٰهِيُّ مُبَاشَرَةً ، هِيَ فِي تِلْكَ الدَّرَجَةِ أَيْضاً ؛ كَمَا بُيِّنَ وَأُثْبِتَ فِي الْمَقَالَاتِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ ، وَالْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَالْحَادِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ . . نَعَمْ : إِذَا قِيلَ : إِنَّ أَمْثِلَتَهَا الْمَشْهُودَةَ فِي كُلِّ مِرْآةٍ ، هِيَ أَمْثِلَةُ الشَّمْسِ ؛ وَهِيَ مُتَنَاسِبَةٌ مَعَهَا ؛ فَذٰلِكَ حَقٌّ ؛ وَلٰكِنْ لَا تُعَلَّقُ كُرَةُ الْأَرْضِ ، بِمِرْآةِ تِلْكَ الشُّمَيْسَاتِ ؛ وَلَا تُرْبَطُ بِجَاذِبِيَّتِهَا . .

﴿ اَلتَّلْوِيحُ الْخَامِسُ : ﴾ أَنَّ «وَحْدَةَ الشُّهُودِ» ، الَّتِي هِيَ تَحْتَ اسْمِ «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» الَّتِي هِيَ مَشْرَبٌ لِلطَّرِيقَةِ ، هِيَ مَشْرَبٌ مُهِمٌّ لِلْغَايَةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يَحْصُرُ النَّظَرَ ،

عَلٰى وُجُودِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ فَيُشَاهِدُ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ ، ضَعِيفَةً وَظِلّاً ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى ذٰلِكَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ بِحَيْثُ يَحْكُمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ لَائِقَةً بِاسْمِ الْوُجُودِ ؛ فَيَلُفُّهَا بِغِطَاءِ الْخَيَالِ ؛ فَيَعُدُّهَا عَدَماً ، فِي مَقَامِ تَرْكِ مَا سِوَاهُ تَعَالٰى ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَتَقَدَّمُ إِلٰى حَيْثُ يَتَصَوَّرُهَا مَعْدُومَةً ؛ وَيُعْطِيهَا كَيْفِيَّةَ مِرْآةٍ خَيَالِيَّةٍ ، لِجَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ فَقَطْ . .

هٰذَا ؛ فَلِهٰذَا الْمَشْرَبِ ، حَقِيقَةٌ أَهَمُّ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُ يَرٰى وُجُودَ الْوَاجِبِ ، بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ ، وَبِانْكِشَافِ وَلَايَةٍ عَالِيَةٍ ، انْكِشَافاً فِي دَرَجَةِ حَقِّ الْيَقِينِ ؛ بِحَيْثُ يُنَزِّلُ وُجُودَ الْمُمْكِنَاتِ ، إِلٰى دَرَجَةٍ أَدْنٰى لَا يَبْقٰى لَهَا مَقَامٌ فِي نَظَرِهِ ، سِوَى الْخَيَالِ وَالْعَدَمِ ؛ فَيُنْكِرُ الْكَائِنَاتِ عَادَةً ، بِحِسَابِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ وَلٰكِنْ لِهٰذَا الْمَشْرَبِ مَهَالِكُ ؛ فَأَوَّلُهَا : أَنَّ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ سِتَّةٌ ؛ وَتُوجَدُ أَرْكَانٌ غَيْرُ الْإِيمَانِ بِاللهِ ، كَالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ؛ وَإِنَّ هٰذِهِ الْأَرْكَانَ تَقْتَضِي وُجُودَ الْمُمْكِنَاتِ ؛ وَلَا تُبْنٰى تِلْكَ الْأَرْكَانُ الْإِيمَانِيَّةُ الْمُحْكَمَةُ ، عَلَى الْخَيَالِ ؛ فَلِذٰلِكَ إِذَا دَخَلَ صَاحِبُ ذٰلِكَ الْمَشْرَبِ ، عَالَمَ الصَّحْوِ ، مِنْ عَالَمِ السُّكْرِ وَالْاِسْتِغْرَاقِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا يَأْخُذَ ذٰلِكَ الْمَشْرَبَ مَعَهُ ؛ وَيَلْزَمُ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِمُقْتَضٰى ذٰلِكَ الْمَشْرَبِ ؛ وَأَنْ لَا يُحَوِّلَ هٰذَا الْمَشْرَبَ الْقَلْبِيَّ الْحَالِيَّ الذَّوْقِيَّ ، إِلٰى صُورَةِ الْعَقْلِيِّ وَالْقَوْلِيِّ وَالْعِلْمِيِّ ؛ لِأَنَّ الدَّسَاتِيرَ الْعَقْلِيَّةَ ، وَالْقَوَانِينَ الْعِلْمِيَّةَ ، وَالْأُصُولَ الْكَلَامِيَّةَ ، الْوَارِدَةَ عَنِ «الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» ، لَا تَحْمِلُ ذٰلِكَ الْمَشْرَبَ ؛ وَلَا تَكُونُ قَابِلَةً لِلتَّطْبِيقِ عَلَيْهِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يُرٰى ذٰلِكَ الْمَشْرَبُ ، صَرِيحاً عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَكِبَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ لَيْسَ أَعْلٰى مَشْرَبٍ ؛ بَلْ مَشْرَبٌ عَالٍ ، لٰكِنْ نَاقِصٌ ؛ وَأَهَمُّ جِدّاً ، لٰكِنْ خَطِرٌ جِدّاً ؛ وَثَقِيلٌ جِدّاً ، لٰكِنْ ذَوْقِيٌّ جِدّاً ؛ فَلِأَجْلِ ذٰلِكَ الذَّوْقِ ، لَا يُرِيدُ الْخُرُوجَ عَنْهُ ، مَنْ يَدْخُلُونَهُ ؛ وَيَظُنُّونَهُ الْمَرْتَبَةَ الْعُلْيَا ، بِسَبَبِ الْعَجَبِ . .

وَقَدْ بَيَّنَّا أَسَاسَ هٰذَا الْمَشْرَبِ ، وَمَاهِيَّتَهُ ، بِدَرَجَةٍ مَّا ، فِي «رِسَالَةِ النُّقْطَةِ» ، وَفِي بَعْضِ «الْمَقَالَاتِ ، وَالْمَكْتُوبَاتِ» ؛ فَاكْتِفَاءً بِهَا ، نُبَيِّنُ هُنَا ، أَهَمَّ وَرْطَةٍ لِذٰلِكَ الْمَشْرَبِ الْمُهِمِّ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ ذٰلِكَ الْمَشْرَبَ ، مَشْرَبٌ صَالِحٌ يَصِيرُ أَخَصَّ الْخَوَاصِّ ، الَّذِينَ يَمُرُّونَ

عَنْ دَائِرَةِ الْأَسْبَابِ ؛ فَيَقْطَعُونَ عَلاَقَتَهُمْ ، عَنِ الْمُمْكِنَاتِ ، بِسِرِّ تَرْكِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى ؛ يَصِيرُونَ مَظْهَراً لَهُ ، فِي حَالَةِ الاِسْتِغْرَاقِ الْمُطْلَقِ . وَإِنَّ تَلَقِّينَ هٰذَا الْمَشْرَبِ ، بِصُورَةٍ عِلْمِيَّةٍ ، لِأَنْظَارِ الَّذِينَ غَرِقُوا بَيْنَ الْأَسْبَابِ ؛ وَعَشِقُوا الدُّنْيَا ؛ وَحَلُّوا فِي الطَّبِيعَةِ بِالْفَلْسَفَةِ الْمَادِّيَّةِ ، هُوَ إِغْرَاقٌ لَهُمْ فِي الطَّبِيعَةِ وَالْمَادَّةِ ، وَإِبْعَادٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ ؛ لِأَنَّ نَظَراً عَاشِقاً لِلدُّنْيَا ، وَمُتَعَلِّقاً بِدَائِرَةِ الْأَسْبَابِ ، يُرِيدُ إِعْطَاءَ نَوْعٍ مِنَ الْبَقَاءِ ، لِهٰذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ؛ وَلاَ يُرِيدُ تَفْوِيتَ تِلْكَ الدُّنْيَا الْمَحْبُوبَةِ لَهُ ، عَنْ يَدِهِ ؛ فَيَتَوَهَّمُ وُجُوداً بَاقِياً لَهَا ، بِوَسِيلَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ؛ فَيَصْعَدُ بِالدُّنْيَا ، إِلٰى دَرَجَةٍ مِنَ الْمَعْبُودِيَّةِ ، بِحِسَابِ تِلْكَ الدُّنْيَا الْمَحْبُوبَةِ لَهُ ، وَبِنَاءً عَلٰى تَمْلِيكِ الْبَقَاءِ وَالْأَبَدِيَّةِ لَهَا تَمَاماً ؛ فَيَفْتَحُ الطَّرِيقَ ، إِلٰى وَرْطَةِ إِنْكَارِ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْهَا ؛ فَإِنَّ فِكْرَ الْمَادِّيَّةِ ، اسْتَوْلٰى فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، بِحَيْثُ يَعْلَمُونَ الْمَادِّيَّاتِ ، مَرْجِعاً لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَإِنَّ خَوَاصَّ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، يَرَوْنَ الْمَادِّيَّاتِ ، بِدُونِ أَهَمِّيَّةٍ ؛ بِحَيْثُ يُعْدِمُونَهَا فِي عَصْرٍ هٰكَذَا ؛ فَلِذٰلِكَ إِذَا طُرِحَ بِمَشْرَبِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، بَيْنَ النَّاسِ ؛ يُحْتَمَلُ أَنْ يَتَمَلَّكَهُ الْمَادِّيُّونَ ؛ وَيَقُولُوا : «إِنَّنَا أَيْضاً نَقُولُ هٰكَذَا» ؛ مَعَ أَنَّ الْمَشْرَبَ الْأَبْعَدَ عَنْ مَسْلَكِ الْمَادِّيِّينَ وَالطَّبِيعِيِّينَ ، بَيْنَ الْمَشَارِبِ فِي الدُّنْيَا ، هُوَ مَشْرَبُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، يَهْتَمُّونَ بِالْوُجُودِ الْإِلٰهِيِّ ، بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ ؛ بِحَيْثُ يُنْكِرُونَ الْكَائِنَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ . أَمَّا الْمَادِّيُّونَ ، فَإِنَّهُمْ يَهْتَمُّونَ بِالْمَوْجُودَاتِ ؛ بِحَيْثُ يُنْكِرُونَ اللّٰهَ تَعَالٰى ، بِحِسَابِ الْكَائِنَاتِ . هٰذَا ؛ فَأَيْنَ هٰؤُلاَءِ ؟ وَأَيْنَ الْآخَرُونَ ؟ .

اَلتَّلْوِيحُ السَّادِسُ : ثَلاَثُ نِقَاطٍ :

اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى : أَنَّ الْأَحْسَنَ وَالْأَقْوَمَ ، وَالْأَبْرَقَ وَالْأَغْنٰى ، بَيْنَ طُرُقِ الْوِلاَيَةِ ، هُوَ الاِتِّبَاعُ لِلسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يَتَصَوَّرُ فِي أَعْمَالِهِ وَحَرَكَاتِهِ ، السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ ؛ فَيَتَّبِعُهَا وَيُقَلِّدُهَا ؛ وَيَتَصَوَّرُ فِي أَفْعَالِهِ وَمُعَامَلاَتِهِ ، الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ ؛ فَيَتَّخِذُهَا دَلِيلاً . هٰذَا ، فَأَحْوَالُهُ الْعَادِيَّةُ ، وَمُعَامَلاَتُهُ الْعُرْفِيَّةُ ، وَحَرَكَاتُهُ الْفِطْرِيَّةُ ، تَدْخُلُ فِي شَكْلِ الْعِبَادَاتِ ، بِوَاسِطَةِ

هٰذَا الاتِّبَاعِ وَالاقْتِدَاءِ ؛ مَعَ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَهُ ، يُنْتِجُ تَخَطُّرَ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ ، بِتَذْكِيرِ السُّنَّةِ وَالشَّرْعِ ، فِي نُقْطَةِ ذٰلِكَ الاتِّبَاعِ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ التَّخَطُّرَ ، يُذَكِّرُ صَاحِبَ الشَّرِيعَةِ ؛ وَذٰلِكَ التَّذَكُّرُ يُذَكِّرُ اللهَ تَعَالٰى ، لِلْخَاطِرِ ؛ وَتِلْكَ الْخَاطِرَةُ تُنْتِجُ نَوْعاً مِنَ الْحُضُورِ ؛ فَيُمْكِنُ فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ، أَنْ تُجْعَلَ دَقَائِقُ الْعُمُرِ ، فِي حُكْمِ عِبَادَةٍ بَيْنَ حُضُورٍ ، دَائِماً . فَهٰذِهِ الْجَادَّةُ الْكُبْرٰى ، هِيَ جَادَّةُ الصَّحَابَةِ ، وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، تِلْكَ الْوِرَاثَةِ الَّتِي هِيَ الْوِلَايَةُ الْكُبْرٰى . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ أَهَمَّ أَسَاسِ طُرُقِ الْوِلَايَةِ ، وَشُعَبِ الطَّرِيقَةِ ، هُوَ الْإِخْلَاصُ ؛ لِأَنَّهُ يَخْلُصُ بِالْإِخْلَاصِ ، عَنِ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ . فَمَنْ لَمْ يَكْسِبِ الْإِخْلَاصَ ؛ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسِيرَ فِي تِلْكَ الطُّرُقِ . وَإِنَّ الْقُوَّةَ الْأَقْطَعَ لِتِلْكَ الطُّرُقِ ، هِيَ الْمَحَبَّةُ . نَعَمْ : إِنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَطْلُبُ فِي مَحْبُوبِهَا ، وَسَائِلَ الانْتِقَادِ ؛ وَلَا تُرِيدُ رُؤْيَةَ قُصُورَاتِهِ ؛ وَإِنَّهَا تَرٰى أَمَارَاتٍ ضَعِيفَةً دَالَّةً عَلٰى كَمَالِ مَحْبُوبِهَا ، فِي حُكْمِ حُجَجٍ قَوِيَّةٍ ؛ وَإِنَّهَا مُوَالِيَةٌ لِمَحْبُوبِهَا دَائِماً . هٰذَا ، فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ : أَنَّ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلٰى مَعْرِفَةِ اللهِ ، بِقَدَمِ الْمَحَبَّةِ ، لَا يُلْقُونَ السَّمْعَ ، إِلَى الشُّبُهَاتِ وَالاعْتِرَاضَاتِ ؛ فَيَنْجُونَ رَخِيصاً ؛ وَلَئِنِ اجْتَمَعَتْ آلَافُ الشَّيَاطِينِ ؛ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُبْطِلُوا فِي أَنْظَارِهِمْ ، أَمَارَةً تُشِيرُ إِلٰى كَمَالِ مَحْبُوبِهِمُ الْحَقِيقِيِّ . وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَحَبَّةُ ؛ يَضْطَرِبُ حِينَئِذٍ كَثِيراً ، بَيْنَ اعْتِرَاضَاتٍ تَعْتَرِضُهَا نَفْسُهُ وَشَيْطَانُهُ ، وَالشَّيَاطِينُ الْخَارِجِيُّونَ ؛ فَتَلْزَمُ دِقَّةُ نَظَرٍ ، وَقُوَّةُ إِيمَانٍ ، وَمَتَانَةٌ بُطُولِيَّةٌ ؛ حَتّٰى يُنْقِذَ نَفْسَهُ . .

هٰذَا ، فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ : أَنَّ الْمَحَبَّةَ الْوَارِدَةَ عَنْ مَعْرِفَةِ اللهِ ، خَمِيرَةٌ وَإِكْسِيرٌ أَهَمُّ ، فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْوِلَايَةِ ؛ وَلٰكِنْ لِلْمَحَبَّةِ ، وَرْطَةٌ هِيَ : أَنَّهُ يَخْطُو عَمَّا هُوَ سِرُّ الْعُبُودِيَّةِ ، مِنَ التَّضَرُّعِ وَالْمَحْوِ ، إِلَى الدَّلِّ وَالدَّعْوٰى ؛ فَيَتَحَرَّكُ بِدُونِ مِيزَانٍ ؛ فَتَصِيرُ سُمّاً ؛ وَهِيَ تِرْيَاقٌ ؛ وَذٰلِكَ بِمُضِيِّهَا عَنِ الْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ ، إِلَى الْمَعْنَى الاسْمِيِّ ، حِينَ تَوَجُّهِهَا إِلٰى مَا سِوَاهُ تَعَالٰى ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ حِينَمَا يُحِبُّ غَيْرَ اللهِ تَعَالٰى ؛ كَانَ اللَّازِمُ رَبْطَ الْقَلْبِ بِهِ ، بِاسْمِ اللهِ تَعَالٰى ، وَبِحِسَابِهِ ، وَبِجِهَةِ كَوْنِهِ مِرْآةً لِأَسْمَائِهِ ؛ فَيَتَصَوَّرُ أَحْيَاناً ، ذٰلِكَ الشَّخْصَ ، بِحِسَابِ ذٰلِكَ

الشَّخْصِ ، وَبِاسْمِ كَمَالَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَجَمَالِهِ الذَّاتِيِّ ؛ فَيُحِبُّهُ بِالْمَعْنٰى الِاسْمِيِّ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُحِبَّهُمْ أَيْضاً ، بِدُونِ أَنْ يَتَصَوَّرَ اللهَ وَالنَّبِيَّ . فَهٰذِهِ الْمَحَبَّةُ لَيْسَتْ وَسِيلَةً لِمَحَبَّةِ اللهِ ؛ وَتَكُونُ حِجَاباً لَهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ بِالْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ ؛ تَكُونُ وَسِيلَةً لِمَحَبَّةِ اللهِ ؛ بَلْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهَا جِلْوَتُهَا . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، هِيَ دَارُ الْحِكْمَةِ ، وَدَارُ الْخِدْمَةِ ؛ وَلَيْسَتْ دَارَ الْأُجْرَةِ وَالْمُكَافَأَةِ ؛ وَأَنَّ أُجْرَةَ مَا هُنَا ، مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْخَدَمَاتِ ، هِيَ فِي الْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ ؛ وَأَنَّ الْأَعْمَالَ هُنَا ، تُثْمِرُ فِي الْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ . فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ ، هِيَ هٰذِهِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا يُطْلَبَ فِي الدُّنْيَا ، مَا يَعُودُ إِلَى الْأَعْمَالِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، مِنَ النَّتَائِجِ . وَإِنْ أُعْطِيَتْ ، يَلْزَمُ قَبُولُهَا عَلٰى وَجْهِ الْحُزْنِ ، لَا الِامْتِنَانِ ؛ لِأَنَّ ثَمَرَةَ الْعَمَلِ الْأُخْرَوِيِّ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ الْبَاقِيَةِ ، بِسِرِّ تَعَاوُضِهَا بِعَيْنِهَا ، كُلَّمَا اقْتُطِفَتْ ، كَثِمَارِ الْجَنَّةِ ؛ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ ، أَكْلُهَا بِصُورَةٍ فَانِيَةٍ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهُ كَمُبَادَلَةِ سِرَاجٍ بَاقٍ ، بِسِرَاجٍ يَعِيشُ وَيَنْطَفِئُ فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ . . **فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، يَسْتَطِيبُ أَهْلُ الْوَلَايَةِ ، الْخِدْمَةَ وَالْمَشَقَّةَ ، وَالْمُصِيبَةَ وَالْكُلْفَةَ ؛ وَلَا يَتَدَلَّلُونَ لَهَا ؛ وَلَا يَشْتَكُونَ مِنْهَا ؛ وَيَقُولُونَ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ» . وَإِذَا أُعْطِيَ الْكَشْفَ وَالْكَرَامَةَ ، وَالْأَذْوَاقَ وَالْأَنْوَارَ ؛ يَقْبَلُونَهَا مِنْ قَبِيلِ الْتِفَاتٍ إِلٰهِيٍّ ؛ فَيَسْعَوْنَ لِسَتْرِهَا ؛ وَلَا يَدْخُلُونَ فِي الْفَخْرِ ؛ بَلْ يَدْخُلُونَ فِي الشُّكْرِ وَالْعُبُودِيَّةِ أَكْثَرَ ؛ وَقَدْ طَلَبَ أَكْثَرُهُمْ ، اسْتِتَارَ تِلْكَ الْأَحْوَالِ ، وَانْقِطَاعَهَا ؛ حَتّٰى لَا يَخْتَلَّ مَا فِي أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْإِخْلَاصِ . نَعَمْ : إِنَّ أَهَمَّ إِحْسَانٍ إِلٰهِيٍّ ، فِي حَقِّ إِنْسَانٍ مَقْبُولٍ ، هُوَ عَدَمُ إِحْسَاسِ إِحْسَانِهِ لَهُ ؛ حَتّٰى لَا يَدْخُلَ مِنَ التَّضَرُّعِ ، إِلَى التَّدَلُّلِ ؛ وَمِنَ الشُّكْرِ إِلَى الْفَخْرِ . .** فَبِنَاءً عَلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ : أَنَّ طَالِبِي الْوَلَايَةِ وَالطَّرِيقَةِ ، إِذَا طَلَبُوا الْأَذْوَاقَ وَالْكَرَامَاتِ ، الَّتِي هِيَ تَرَشُّحَاتُ الْوَلَايَةِ ؛ وَكَانُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلَيْهَا ؛ وَاسْتَطَابُوا مِنْهَا ؛ يَكُونُ مِنْ قَبِيلِ أَكْلِ الثَّمَرَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ الْبَاقِيَةِ ، بِصُورَةٍ فَانِيَةٍ ، فِي دُنْيَا فَانِيَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَفْقِدُ الْإِخْلَاصَ الَّذِي هُوَ رَوْبَةُ الْوَلَايَةِ ؛ فَيَفْتَحُ الْمَجَالَ لِفِرَارِ الْوَلَايَةِ . .

اَلتَّلْوِيحُ السَّابِعُ : أَرْبَعُ نِكَاتٍ :

اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : أَنَّ الشَّرِيعَةَ هِيَ نَتِيجَةُ الْخِطَابِ الْإِلٰهِيِّ ، فِي نُقْطَةِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، بِسِرِّ الْأَحَدِيَّةِ ، مُبَاشَرَةً بِلَا ظِلٍّ ، وَبِدُونِ حِجَابٍ ؛ وَأَنَّ أَعْلٰى مَرَاتِبِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ ، تَصِيرُ فِي حُكْمِ أَجْزَاءِ الشَّرِيعَةِ . وَإِلَّا ؛ فَإِنَّهُمَا فِي حُكْمِ الْوَسِيلَةِ وَالْمُقَدِّمَةِ وَالْخَادِمِ دَائِماً ؛ وَإِنَّ نَتَائِجَهُمَا ، هِيَ مُحْكَمَاتُ الشَّرِيعَةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَسَالِكَ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ ، هِيَ فِي حُكْمِ الْوَسَائِلِ وَالْخُدَّامِ وَالْمَرَاقِي ، لِلْوُصُولِ إِلٰى حَقَائِقِ الشَّرِيعَةِ ؛ فَتَرْتَقِي إِلٰى أَنْ تَنْقَلِبَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا ، بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ ، وَسِرِّ الطَّرِيقَةِ ، الْمَوْجُودَيْنِ فِي نَفْسِ الشَّرِيعَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ أَجْزَاءَ الشَّرِيعَةِ الْكُبْرٰى . وَإِلَّا ؛ فَإِنَّ تَصَوُّرَ الشَّرِيعَةِ ، قِشْراً ظَاهِرِيّاً ؛ وَتَصَوُّرَ الْحَقِيقَةِ ، بَاطِنَهَا وَنَتِيجَتَهَا وَغَايَتَهَا ، لَيْسَ صَحِيحاً ؛ كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّصَوُّفِ . .

نَعَمْ : إِنَّ لِلشَّرِيعَةِ حَسَبَ طَبَقَاتِ النَّاسِ ، انْكِشَافَاتٍ مُخْتَلِفَةً . فَتَسْمِيَةُ مَرْتَبَةِ الشَّرِيعَةِ الْمُنْكَشِفَةِ لِلْخَوَاصِّ ، بِاسْمِ الْحَقِيقَةِ وَالطَّرِيقَةِ ، ظَانّاً أَنَّ حَقِيقَةَ الشَّرِيعَةِ ، هِيَ ظَاهِرُ الشَّرِيعَةِ حَسَبَ عَوَامِّ النَّاسِ ، خَطَأٌ ؛ فَإِنَّ لِلشَّرِيعَةِ ، مَرَاتِبَ تَنْظُرُ إِلٰى عُمُومِ الطَّبَقَاتِ . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ : كُلَّمَا تَقَدَّمَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ ، وَأَصْحَابُ الْحَقِيقَةِ ؛ يَزْدَادُ انْجِذَابُهُمْ وَاشْتِيَاقُهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ لِلشَّرِيعَةِ ؛ فَيَتَلَقَّوْنَ أَصْغَرَ سُنَّةٍ سَنِيَّةٍ ، كَأَكْبَرِ مَقْصَدٍ ؛ فَيَسْعَوْنَ لِاتِّبَاعِهَا ؛ وَيُقَلِّدُونَ بِهَا ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ ، مَهْمَا كَانَ أَعْلٰى مِنَ الْإِلْهَامِ ؛ فَإِنَّ الْآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ ، الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ الْوَحْيِ ، أَعْلٰى وَأَهَمُّ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ، مِنْ آدَابِ الطَّرِيقَةِ ، الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ الْإِلْهَامِ ؛ فَلِذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ أَهَمَّ أَسَاسِ الطَّرِيقَةِ ، هُوَ اتِّبَاعُ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الطَّرِيقَةَ وَالْحَقِيقَةَ ، لَا بُدَّ أَنْ لَا تَخْرُجَا عَنْ كَوْنِهِمَا وَسِيلَةً . فَإِنْ صَارَتَا فِي حُكْمِ الْمَقْصُودِ بِالذَّاتِ ؛ فَحِينَئِذٍ تَبْقٰى مُحْكَمَاتُ الشَّرِيعَةِ وَعَمَلِيَّاتُهَا ، وَالِاتِّبَاعُ لِلسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، فِي حُكْمِ أُمُورٍ رَسْمِيَّةٍ ؛ فَيَتَوَجَّهُ الْقَلْبُ ، إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يَتَصَوَّرُ حَلْقَةَ الذِّكْرِ ، أَزْيَدَ مِنَ الصَّلَاةِ ؛ وَيَنْجَذِبُ إِلٰى أَوْرَادِهِ ، أَزْيَدَ مِنَ الْفَرَائِضِ ؛ وَيَجْتَنِبُ عَنْ

مُخَالَفَةِ آدَابِ الطَّرِيقَةِ ، أَزْيَدَ مِنْ الِاجْتِنَابِ عَنِ الْكَبَائِرِ ؛ مَعَ أَنَّ أَوْرَادَ الطَّرِيقَةِ ، لَا تُقَابِلُ وَاحِدَةً مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي هِيَ مُحْكَمَاتُ الشَّرِيعَةِ ؛ وَلَا تَمْلَأُ مَكَانَهَا ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ آدَابُ الطَّرِيقَةِ ، وَأَوْرَادُ التَّصَوُّفِ ، مَدَارَ التَّسَلِّي لِلذَّوْقِ الْحَقِيقِيِّ ، فِي تِلْكَ الْفَرَائِضِ ؛ لَا أَنْ تَكُونَ مَنْشَأً لَهُ ؛ يَعْنِي : لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ تَكِيَّتُهُ ، وَسِيلَةً لِذَوْقِ الصَّلَاةِ فِي الْجَامِعِ ، وَلِتَعْدِيلِ أَرْكَانِهَا . وَإِلَّا ، فَإِنَّ مَنْ يُصَلِّي فِي الْجَامِعِ ، رَسْمِيّاً وَسَرِيعاً ، مُتَصَوِّراً كَمَالَهُ وَذَوْقَهُ الْحَقِيقِيَّ ، فِي التَّكِيَّةِ ؛ يَتَبَاعَدُ عَنِ الْحَقِيقَةِ . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : يُسْأَلُ أَنَّهُ هَلْ يُمْكِنُ الطَّرِيقَةُ ، فِي خَارِجِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهَا تُوجَدُ ؛ وَلَا تُوجَدُ . فَهِيَ تُوجَدُ ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ الْكَامِلِينَ ، أُعْدِمُوا بِسَيْفِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَلَا تُوجَدُ ؛ لِأَنَّ مُحَقِّقِي الْأَوْلِيَاءِ ، اتَّفَقُوا فِي دُسْتُورِ **«سَعْدِيِّ الشِّيرَازِيِّ»** هٰذَا ؛ وَهُوَ : **(مُحَالَسْتْ سَعْدِي ! بَرَاهِ صَفَا ❁ ظَفَرْ بُرْدَنْ جُزْ دَرْپَي مُصْطَفٰى ❁)** ؛ يَعْنِي : **أَنَّهُ مُحَالٌ ، أَنْ يَصِلَ إِلٰى أَنْوَارِ الْحَقِيقَةِ ، الْحَقِيقِيَّةِ ، الْخَارِجُ عَنْ جَادَّةِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَالَّذِي لَا يَتْبَعُهُ . .**

وَسِرُّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، هُوَ : أَنَّهُ لَمَّا كَانَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْمُخَاطَبَ الْإِلٰهِيَّ ، بِاسْمِ عُمُومِ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْلُكَ نَوْعُ الْبَشَرِ ، فِي خَارِجِ جَادَّتِهِ ؛ وَمِنَ الضَّرُورِيِّ ، أَنْ يُوجَدَ تَحْتَ لِوَائِهِ . وَلَمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَذْبَةِ ، وَأَهْلُ الِاسْتِغْرَاقِ ، لَا يَكُونُونَ مَسْؤُولِينَ عَنْ مُخَالَفَتِهِمْ ؛ وَكَانَ فِي الْإِنْسَانِ ، بَعْضُ لَطَائِفَ ، لَا تَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيفِ ؛ وَلَا يُتَّخَذُ مَسْؤُولاً ، بِمُخَالَفَتِهِ لِلتَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ حِينَمَا تَكُونُ تِلْكَ اللَّطِيفَةُ ، حَاكِمَةً عَلَيْهِ ؛ وَكَانَ فِي الْإِنْسَانِ ، بَعْضُ لَطَائِفَ ، لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الِاخْتِيَارِ أَيْضاً ؛ كَمَا لَا تَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيفِ ؛ حَتّٰى إِنَّهَا لَا تَدْخُلُ تَحْتَ تَدْبِيرِ الْعَقْلِ أَيْضاً ؛ وَلَا تُصْغِي تِلْكَ اللَّطِيفَةُ ، إِلَى الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ تِلْكَ اللَّطِيفَةَ ، إِذَا كَانَتْ حَاكِمَةً فِي إِنْسَانٍ مَّا ؛ لَا يَسْقُطُ ذٰلِكَ الشَّخْصُ ، عَنْ دَرَجَةِ الْوَلَايَةِ ، فِي مُخَالَفَتِهِ لِلشَّرِيعَةِ ؛

لٰكِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ وَيُعَدُّ مَعْذُوراً ؛ لٰكِنْ بِشَرْطِ أَنْ لَا يُوجَدَ إِنْكَارٌ وَتَزْيِيفٌ وَاسْتِخْفَافٌ ، ضِدَّ حَقَائِقِ الشَّرِيعَةِ ، وَالْقَوَاعِدِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْلَمَ الْأَحْكَامَ حَقّاً ؛ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا . وَإِلَّا ؛ فَإِنْ غَلَبَ لِذٰلِكَ الْحَالِ ؛ فَحَصَلَتْ كَيْفِيَّةٌ تُشِمُّ بِالْإِنْكَارِ وَالتَّكْذِيبِ ، ضِدَّ تِلْكَ الْحَقَائِقِ الْمُحْكَمَةِ ؛ فَهِيَ عَلَامَةٌ لِلسُّقُوطِ ؛ نَعُوذُ بِاللهِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ أَهْلَ الطَّرِيقَةِ ، الْمَوْجُودِينَ فِي خَارِجِ الشَّرِيعَةِ قِسْمَانِ . فَقِسْمٌ مِنْهُمْ ، إِمَّا يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحَالُ وَالِاسْتِغْرَاقُ ، وَالْجَذْبَةُ وَالسُّكْرُ ؛ وَإِمَّا تَحَكُّمُ عَلَيْهِ لَطَائِفُ لَا تَسْمَعُ إِلَى التَّكْلِيفِ ؛ أَوْ لَا تُصْغِي إِلَى الِاخْتِيَارِ ؛ فَيَخْرُجُ إِلَى خَارِجِ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ الْخُرُوجَ ، لَيْسَ عَنْ عَدَمِ تَقْدِيرِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، وَعَنْ عَدَمِ طَلَبِهَا ؛ بَلْ يَتْرُكُهَا بِالضَّرُورَةِ ، بِدُونِ الِاخْتِيَارِ . فَهٰذَا الْقِسْمُ مِنْ أَهْلِ الْوَلَايَةِ مَوْجُودٌ ؛ وَقَدْ وُجِدَ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ مُؤَقَّتاً ، أَوْلِيَاءُ قَيِّمُونَ ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضَ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، حَكَمُوا بِوُجُودِ بَعْضٍ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ ، خَارِجاً ، لَا عَنْ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ فَقَطْ ؛ بَلْ يُوجَدُ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَلٰكِنْ بِشَرْطِ أَنْ لَا يُكَذِّبَ أَيَّ حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي جَاءَ بِهَا «مُحَمَّدٌ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ بَلْ إِنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُهَا ؛ أَوْ لَا يَكُونُ مُتَوَجِّهاً إِلَيْهَا ؛ أَوْ لَا يَعْلَمُهَا ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْلَمَهَا . فَإِنْ عَلِمَهَا ؛ وَلَمْ يَقْبَلْهَا ؛ لَا يَجُوزُ . .

أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي : فَإِنَّهُ يَغْتَرُّ بِأَذْوَاقٍ مُشْرِقَةٍ ، مِنْ أَذْوَاقِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ ؛ فَلَا يَنَالُ دَرَجَةَ ذَوْقِ حَقَائِقِ الشَّرِيعَةِ ، الَّتِي هِيَ أَعْلٰى مِنْ مَذَاقِهِ بِكَثِيرٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يَتَلَقَّاهَا أَمْراً رَسْمِيّاً ؛ فَيَبْقٰى غَيْرَ مُتَقَيِّدٍ بِهَا ؛ فَيَتَقَدَّمُ إِلٰى أَنْ يَظُنَّ الشَّرِيعَةَ ، قِشْراً ظَاهِرِيّاً ؛ وَيَتَلَقّٰى مَا وَجَدَهُ مِنَ الْحَقِيقَةِ ، أَسَاساً وَمَقْصُوداً ؛ فَيَقُولُ : «لَقَدْ وَجَدْتُهَا ؛ فَهِيَ حَسْبِي» ؛ فَيَعْمَلُ مُخَالِفاً لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ . فَالَّذِينَ عُقُولُهُمْ فِي رُؤُوسِهِمْ ، مِنْ هٰذَا الْقِسْمِ ، هُمْ مَسْؤُولُونَ ؛ وَيَسْقُطُونَ ؛ بَلْ بَعْضُهُمْ يَكُونُونَ مَسْخَرَةً لِلشَّيْطَانِ . .

اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ بَعْضَ أَشْخَاصٍ ، مِنْ فِرَقِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالْبِدْعَةِ ، يَصِيرُونَ مَقْبُولِينَ فِي نَظَرِ الْأُمَّةِ ؛ وَتُوجَدُ أَشْخَاصٌ مِثْلُهُمْ بِعَيْنِهِمْ ؛ وَلَا يُوجَدُ أَيُّ فَرْقٍ ظَاهِرِيٍّ ؛

تَرُدُّهُمُ الْأُمَّةُ . فَكُنْتُ أَتَحَيَّرُ فِي هٰذَا ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ مِثْلَ «الزَّمَخْشَرِيِّ» فِي مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ ، مَعَ كَوْنِهِ أَشَدَّ فَرْدٍ مُتَعَصِّبٍ فِي الاِعْتِزَالِ ، لا يُكَفِّرُهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ وَلا يُضَلِّلُونَهُ ضِدَّ تِلْكَ الاِعْتِرَاضَاتِ الشَّدِيدَةِ لَهُ ؛ بَلْ يَطْلُبُونَ لَهُ طَرِيقاً مِنَ النَّجَاةِ ؛ وَإِنَّهُمْ يَعُدُّونَ أَئِمَّةَ الْمُعْتَزِلَةِ ، مِثْلَ «أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ» الَّذِي هُوَ أَدْنٰى بِكَثِيرٍ ، مِنْ دَرَجَةِ شِدَّةِ «الزَّمَخْشَرِيِّ» ، مَرْدُودِينَ وَمَطْرُودِينَ . فَكَثِيراً مَا كَانَ هٰذَا السِّرُّ ، يَمَسُّ تَطَلُّعِي ؛ ثُمَّ فَهِمْتُ بِاللُّطْفِ الْإِلٰهِيِّ : أَنَّ اعْتِرَاضَاتِ «الزَّمَخْشَرِيِّ» عَلٰى أَهْلِ السُّنَّةِ ، كَانَتْ تَنْشَأُ عَنْ مَحَبَّةِ الْحَقِّ ، فِي مَسْلَكِهِ الَّذِي يَظُنُّهُ حَقّاً ؛ يَعْنِي : أَنَّ التَّنْزِيهَ الْحَقِيقِيَّ مَثَلاً ، يَكُونُ فِي نَظَرِهِ ، بِكَوْنِ الْحَيَوَانَاتِ ، خَالِقَةً لِأَفْعَالِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ لا يَقْبَلُ دُسْتُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ الْأَفْعَالِ ، مِنْ مَحَبَّتِهِ لِتَنْزِيهِ اللهِ تَعَالٰى . وَإِنَّ سَائِرَ أَئِمَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ الْمَرْدُودِينَ ، هُمْ مَرْدُودُونَ مِنْ إِنْكَارِهِمْ لِدَسَاتِيرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَوَانِينِهِمْ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ عَدَمِ وُصُولِ عُقُولِهِمُ الْقَاصِرَةِ ، إِلٰى تِلْكَ الدَّسَاتِيرِ الْعَالِيَةِ ، وَمِنْ عَدَمِ تَمَكُّنِ تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْوَاسِعَةِ ، فِي أَفْكَارِهِمُ الضَّيِّقَةِ ، فَضْلاً عَنْ مَحَبَّةِ الْحَقِّ ؛ فَكَمَا أَنَّ لِأَهْلِ الاِعْتِزَالِ ، هٰذِهِ الْمُخَالَفَةَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فِي عِلْمِ الْكَلامِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : فَإِنَّ مُخَالَفَةَ بَعْضِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، الْمَوْجُودِينَ فِي خَارِجِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، هِيَ بِجِهَتَيْنِ أَيْضاً . .

إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُ يَبْقٰى غَيْرَ مُتَقَيِّدٍ دَرَجَةً مَّا ، ضِدَّ آدَابِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي لَمْ يَنَلْ بَعْدُ ، إِلٰى دَرَجَةِ ذَوْقِهَا ؛ وَذٰلِكَ بِجِهَةِ الاِفْتِتَانِ بِحَالِهِ وَمَشْرَبِهِ ، كَـ«الزَّمَخْشَرِيِّ» . .

أَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ : فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلٰى آدَابِ الشَّرِيعَةِ ، بِلا أَهَمِّيَّةٍ ، حَاشَاهَا ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى دَسَاتِيرِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ حَوْصَلَتَهُ الضَّيِّقَةَ ، لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحِيطَ بِتِلْكَ الْأَذْوَاقِ الْوَاسِعَةِ ؛ وَأَنَّ مَقَامَهُ الْقَاصِرَ لا يَقْدِرُ أَنْ يَنَالَ إِلٰى تِلْكَ الْآدَابِ الْعَالِيَةِ . .

اَلتَّلْوِيحُ الثَّامِنُ : يُبَيِّنُ ثَمَانِيَ وَرَطَاتٍ :

اَلْأُولٰى : أَنَّ قِسْماً مِنْ أَهْلِ السُّلُوكِ ، الَّذِينَ لا يُرَاعُونَ تَمَامَ الاِتِّبَاعِ لِلسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، يَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ ، بِتَرْجِيحِ الْوَلايَةِ ، عَلَى النُّبُوَّةِ . وَلَقَدْ أُثْبِتَ فِي الْمَقَالَتَيْنِ «الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ

وَالثَّلَاثِينَ» ، مَا هُوَ مِقْدَارُ عُلُوِّ النُّبُوَّةِ ، وَخُمُودِ الْوِلَايَةِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ قِسْماً مُفْرِطاً مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، يَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ ، بِتَرْجِيحِ أَوْلِيَائِهَا عَلَى الصَّحَابَةِ ، وَبِمُشَاهَدَتِهِمْ إِيَّاهُمْ ، حَتّٰى فِي دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ . وَلَقَدْ أُثْبِتَ قَطْعاً فِي الْمَقَالَتَيْنِ «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ وَالسَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» ، وَفِي ذَيْلِهَا فِي حَقِّ الصَّحَابَةِ : أَنَّ فِي الصَّحَابَةِ خَاصَّةً مِنَ الصُّحْبَةِ ؛ بِحَيْثُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهَا بِالْوِلَايَةِ ؛ وَلَا يُتَفَوَّقُ عَلَى الصَّحَابَةِ ؛ وَأَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا يَنَالُونَ الْأَنْبِيَاءَ ، أَيَّ وَقْتٍ . .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ قِسْماً مِنَ الْحَامِلِينَ لِتَعَصُّبِ الطَّرِيقَةِ ، بِالْإِفْرَاطِ ، يُخَالِفُ السُّنَّةَ ؛ فَيَتْرُكُ السُّنَّةَ ؛ وَلٰكِنْ لَا يَتْرُكُ وِرْدَهُ ؛ وَذٰلِكَ بِتَرْجِيحِ آدَابِ الطَّرِيقَةِ وَأَوْرَادِهَا ، عَلَى السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ؛ فَتَطَرأُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ ، حَالَةٌ مِنْ عَدَمِ التَّقَيُّدِ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ فَيَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ . وَقَدْ أُثْبِتَ فِي مَقَالَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَمَا أَنَّ أَمْثَالَ «الْإِمَامِ الْغَزَّالِيِّ ، وَالْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ» مِنْ مُحَقِّقِي أَهْلِ الطَّرِيقَةِ يَقُولُونَ : إِنَّ الْقَبُولَ الْحَاصِلَ فِي نُقْطَةِ الِاتِّبَاعِ لِسُنَّةٍ سَنِيَّةٍ وَاحِدَةٍ ، لَا يَحْصُلُ مِنْ مِئَةِ أَدَبٍ مِنَ الْآدَابِ وَالنَّوَافِلِ الْخُصُوصِيَّةِ ؛ وَقَالُوا : كَمَا أَنَّ فَرْضاً وَاحِداً ، مُرَجَّحٌ عَلٰى أَلْفِ سُنَّةٍ ؛ فَإِنَّ سُنَّةً سَنِيَّةً وَاحِدَةً ، مُرَجَّحَةٌ أَيْضاً ، عَلٰى أَلْفِ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ التَّصَوُّفِ . .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ قِسْماً مُفْرِطاً مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ ، يَظُنُّ الْإِلْهَامَ ، مِثْلَ الْوَحْيِ ؛ وَيَتَلَقَّى الْإِلْهَامَ ، مِنْ نَوْعِ الْوَحْيِ ؛ فَيَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ . وَلَقَدْ أُثْبِتَ بِغَايَةِ الْقَطْعِ ، فِي «الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ ، وَفِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ» الْعَائِدَةِ إِلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَفِي سَائِرِ الرَّسَائِلِ : مَا هُوَ مِقْدَارُ عُلُوِّ دَرَجَةِ الْوَحْيِ ، وَكُلِّيَّتِهَا وَقُدْسِيَّتِهَا ، وَمَا هِيَ دَرَجَةُ خُمُودِ الْإِلْهَامَاتِ ، وَجُزْئِيَّتِهَا . .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ قِسْماً مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الَّذِينَ لَا يَفْهَمُونَ سِرَّ الطَّرِيقَةِ ، يَسْتَطِيبُ الْأَذْوَاقَ وَالْأَنْوَارَ وَالْكَرَامَاتِ الْمَوْهُوبَةَ بِدُونِ الطَّلَبِ ، لِتَقْوِيَةِ الضُّعَفَاءِ ، وَتَشْجِيعِ الْكُسَالٰى ، وَتَخْفِيفِ السَّآمَةِ وَالْمَشَقَّةِ ، الْوَارِدَةِ عَنْ شِدَّةِ الْخِدْمَةِ ؛ فَيُفْتَنُ بِهَا ؛ وَيَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ ، بِتَرْجِيحِهَا عَلَى

الْعِبَادَاتِ وَالْخَدَمَاتِ وَالْأَوْرَادِ. وَلَقَدْ بُيِّنَ إِجْمَالاً، فِي **النُّقْطَةِ الثَّالِثَةِ** مِنَ **«التَّلْوِيحِ السَّادِسِ»** مِنْ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ؛ وَأُثْبِتَ قَطْعاً فِي سَائِرِ الْمَقَالَاتِ: **أَنَّ دَارَ الدُّنْيَا هٰذِهِ، دَارُ الْخِدْمَةِ؛ وَلَيْسَتْ دَارَ الْأُجْرَةِ؛ فَمَنْ يَطْلُبُ أُجْرَتَهُ هُنَا؛ يُحَوِّلُ الثِّمَارَ الْبَاقِيَةَ الدَّائِمَةَ، إِلَى صُورَةٍ فَانِيَةٍ مُؤَقَّتَةٍ؛ مَعَ أَنَّهُ يُذَوِّقُ إِلَيْهِ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْزَخِ نَظَرَ الاِشْتِيَاقِ؛ فَيُحِبُّ حَيَاةَ الدُّنْيَا، عَادَةً، بِجِهَةٍ مَّا؛ لِأَنَّهُ يَجِدُ فِيهَا، نَوْعاً مِنَ الْآخِرَةِ..**

اَلسَّادِسَةُ: أَنَّ قِسْماً مِنْ أَهْلِ السُّلُوكِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ، يَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ، بِتَلْبِيسِ ظِلَالِ مَقَامَاتِ الْوِلَايَةِ، وَفَيْئِهَا وَأَمْثِلَتِهَا الْجُزْئِيَّةِ، بِالْمَقَامَاتِ الْأَصْلِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ؛ وَلَقَدْ أُثْبِتَ قَطْعاً، فِي **الْغُصْنِ الثَّانِي** مِنَ **«الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ»**، وَفِي سَائِرِ الْمَقَالَاتِ: أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ تَتَعَدَّدُ بِوَاسِطَةِ الْمَرَايَا؛ فَتَكُونُ آلَافُ شُمُوسٍ مِثَالِيَّةٍ، مَالِكَةٍ لِلضِّيَاءِ وَالْحَرَارَةِ، كَالشَّمْسِ عَيْنِهَا؛ وَلٰكِنَّ تِلْكَ الشُّمُوسَ الْمِثَالِيَّةَ، ضَعِيفَةٌ جِدّاً، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشَّمْسِ الْحَقِيقِيَّةِ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ لِمَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَعَاظِمِ الْأَوْلِيَاءِ، بَعْضَ ظِلَالٍ؛ فَيَدْخُلُهَا أَهْلُ السُّلُوكِ؛ فَيَرَى نَفْسَهُ أَعْظَمَ مِنْ أُولَائِكَ الْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ؛ بَلْ يَظُنُّ سَبْقَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ؛ فَيَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ؛ وَلٰكِنْ تَكُونُ الْوَسِيلَةُ لِعَدَمِ التَّضَرُّرِ عَنْ عُمُومِ هٰذِهِ الْوَرَطَاتِ السَّابِقَةِ، بِاتِّخَاذِ الْأُصُولِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَأَسَاسَاتِ الشَّرِيعَةِ، دَلِيلاً وَأَسَاساً دَائِماً، وَاتِّهَامِ مَشْهُودِهِ وَذَوْقِهِ، فِي مُخَالَفَتِهِ لَهَا..

اَلسَّابِعَةُ: أَنَّ قِسْماً مِنْ أَهْلِ الذَّوْقِ وَالشَّوْقِ، يَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ، بِتَرْجِيحِ الْفَخْرِ وَالدَّلَالِ وَالشَّطَحَاتِ، وَتَوَجُّهِ النَّاسِ وَالْمَرْجِعِيَّةِ، عَلَى الشُّكْرِ وَالاِبْتِهَالِ، وَالتَّضَرُّعِ وَالاِسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ، فِي سُلُوكِهِ؛ مَعَ أَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْعُلْيَا، هِيَ الْعُبُودِيَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، الَّتِي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِعُنْوَانِ الْمَحْبُوبِيَّةِ؛ **وَأَنَّ الْعُبُودِيَّةَ، تَصِيرُ مَظْهَراً لِكَمَالِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ، بِجِهَةِ الاِبْتِهَالِ وَالشُّكْرِ، وَالتَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ، وَالْعَجْزِ وَالْفَقْرِ، وَالاِسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ، مِمَّا هُوَ سِرُّ أَسَاسِ الْعُبُودِيَّةِ. وَإِنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ، دَخَلُوا الْفَخْرَ وَالدَّلَالَ وَالشَّطَحَاتِ مُؤَقَّتاً،**

بِدُونِ اخْتِيَارٍ ؛ وَلٰكِنْ لَا يُقْتَدٰى بِهِمْ ، فِي تِلْكَ النُّقْطَةِ ، بِالِاخْتِيَارِ ؛ فَإِنَّهُمْ هَادُونَ ؛ وَلَيْسُوا مَهْدِيِّينَ ؛ فَلَا يُسْلَكُ مِنْ وَرَائِهِمْ . .

اَلْوَرْطَةُ الثَّامِنَةُ : أَنَّ قِسْماً عَجُولاً مُعْجَباً ، مِنْ أَهْلِ السُّلُوكِ ، يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ فِي الدُّنْيَا ، ثَمَرَاتِ الْوِلَايَةِ ، الَّتِي تُؤْخَذُ وَتُقْتَطَفُ فِي الْآخِرَةِ ؛ وَيَقَعُ فِي الْوَرْطَةِ ، بِطَلَبِهَا فِي سُلُوكِهِ ؛ مَعَ أَنَّهُ أُعْلِنَ بِآيَاتٍ مِثْلِ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ؛ كَمَا أُثْبِتَ قَطْعاً ، فِي مَقَالَاتٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّ ثَمَرَةً وَاحِدَةً ، فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ ، مُرَجَّحَةٌ عَلَى أَلْفِ حَدِيقَةٍ ، مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا بُدَّ أَنْ لَا يَأْكُلَ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ الْمُبَارَكَةَ هٰهُنَا ؛ فَإِنْ أُطْعِمَتْ بِدُونِ طَلَبٍ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُشْكَرَ عَلَيْهَا ؛ وَأَنْ يُتَلَقّٰى إِحْسَاناً إِلٰهِيّاً ، لَيْسَ لِلْمُكَافَأَةِ ، بَلْ لِلتَّشْوِيقِ . .

﴿اَلتَّلْوِيحُ التَّاسِعُ :﴾ نُبَيِّنُ إِجْمَالاً ، مِنْ فَوَائِدِ الطَّرِيقَةِ ، وَمِنْ ثَمَرَاتِهَا الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، تِسْعَ فَوَائِدَ مِنْهَا ، هٰهُنَا فَقَطْ . .

اَلْأُولٰى : هِيَ انْكِشَافُ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مَفَاتِيحُ الْخَزَائِنِ الْأَبَدِيَّةِ ، فِي السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَمَنَاشِئُهَا وَمَعَادِنُهَا ؛ وَوُضُوحُ تِلْكَ الْحَقَائِقِ ؛ وَظُهُورُهَا فِي دَرَجَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ ، بِوَاسِطَةِ الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ . .

اَلثَّانِيَةُ : هِيَ أَنْ تَكُونَ الطَّرِيقَةُ ، وَاسِطَةً لِتَدْوِيرِ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَرْكَزُ الْجِهَازِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَنَابِضُهُ ؛ وَأَنْ يُحَرِّكَ الْقَلْبُ بِذٰلِكَ التَّدْوِيرِ ، سَائِرَ اللَّطَائِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَيَسُوقَهَا إِلٰى نَتِيجَةِ فِطْرَتِهَا ؛ فَيَكُونَ إِنْسَاناً حَقِيقِيّاً . .

اَلثَّالِثَةُ : هِيَ أَنْ يَلْتَحِقَ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ سَلَاسِلِ الطَّرِيقَةِ ، فِي سَفَرِ عَالَمِ الْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ رَفِيقاً مَعَ تِلْكَ الْقَافِلَةِ النُّورَانِيَّةِ ، فِي طَرِيقِ أَبَدِ الْآبَادِ ؛ وَأَنْ يَخْلُصَ عَنْ وَحْشَةِ الْوَحْدَةِ ؛ وَأَنْ يَأْنَسَ بِهِمْ مَعْنًى ، فِي الدُّنْيَا وَالْبَرْزَخِ ؛ وَيَسْتَنِدَ إِلٰى إِجْمَاعِهِمْ وَاتِّفَاقِهِمْ ، ضِدَّ هُجُومِ الْأَوْهَامِ وَالشُّبُهَاتِ ؛ وَأَنْ يَرٰى كُلَّ أُسْتَاذٍ لَهُ ، فِي دَرَجَةِ سَنَدٍ قَوِيٍّ ، وَبُرْهَانٍ مَتِينٍ ؛ فَيَدْفَعَ بِهِمْ ، تِلْكَ الضَّلَالَاتِ وَالشُّبُهَاتِ ، الْوَارِدَةَ عَلَى الْخَاطِرِ . .

اَلرَّابِعَةُ : هِيَ أَنْ يَفْهَمَ بِوَاسِطَةِ الطَّرِيقَةِ الصَّافِيَةِ ، ذَوْقَ مَا فِي الْإِيمَانِ ، مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَمَا فِي تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ ، مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ ؛ وَأَنْ يَتَخَلَّصَ بِذٰلِكَ الْفَهْمِ ، عَنِ الْوَحْشَةِ الْمُطْلَقَةِ لِلدُّنْيَا ، وَعَنْ غُرْبَةِ الْإِنْسَانِ الْمُطْلَقَةِ فِي الْكَائِنَاتِ . وَقَدْ أَثْبَتْنَا فِي مَقَالَاتٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ ، وَاللَّذَّةَ بِدُونِ الْأَلَمِ ، وَالْأُنْسَ بِدُونِ الْوَحْشَةِ ، وَالذَّوْقَ الْحَقِيقِيَّ ، وَالسَّعَادَةَ الْجِدِّيَّةَ ، هِيَ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَتَضَمَّنُ نَوَاةً مِنْ شَجَرَةِ طُوبَى الْجَنَّةِ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي «الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ» . هٰذَا ؛ فَتِلْكَ النَّوَاةُ تَنْشَأُ وَتَنْمُو وَتَنْكَشِفُ بِتَرْبِيَةِ الطَّرِيقَةِ . .

اَلْخَامِسَةُ : هِيَ أَنْ يُحِسَّ الْحَقَائِقَ اللَّطِيفَةَ الْمَوْجُودَةَ فِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَأَنْ يُقَدِّرَهَا بِوَاسِطَةِ انْتِبَاهٍ قَلْبِيٍّ وَارِدٍ عَنِ الطَّرِيقَةِ ، وَالذِّكْرِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَحِينَئِذٍ لَا تُفْعَلُ الطَّاعَاتُ ، كَالسُّخْرَةِ ؛ بَلْ يُطِيعُ بِالاشْتِيَاقِ ؛ فَيُوفِي بِالْعُبُودِيَّةِ . .

اَلسَّادِسَةُ : هِيَ أَنْ يَكْسِبَ مَقَامَ التَّوَكُّلِ ، وَرُتْبَةَ التَّسْلِيمِ ، وَدَرَجَةَ الرِّضَا ، الَّتِي هِيَ وَاسِطَةٌ وَمَدَارٌ حَقِيقِيٌّ ، لِلذَّوْقِ الْحَقِيقِيِّ وَالتَّسَلِّي الْجِدِّيِّ ، وَاللَّذَّةِ بِدُونِ الْكَدَرِ ، وَالْأُنْسِ بِدُونِ الْوَحْشَةِ . .

اَلسَّابِعَةُ : هِيَ أَنْ يَتَخَلَّصَ بِوَاسِطَةِ الْإِخْلَاصِ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ شَرْطٍ ، وَأَهَمُّ نَتِيجَةٍ لِسُلُوكِ الطَّرِيقَةِ ، عَنِ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ ، وَعَنْ رَذَائِلَ مِثْلِ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ ؛ وَأَنْ يَنْجُوَ عَنْ مَهَالِكِ الْأَنَانِيَّةِ ، وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، بِوَاسِطَةِ التَّزْكِيَةِ الَّتِي هِيَ الْمَاهِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ لِلطَّرِيقَةِ . .

اَلثَّامِنَةُ : هِيَ أَنْ يُحَوِّلَ عَادَاتِهِ ، إِلٰى حُكْمِ الْعِبَادَةِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مُعَامَلَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةَ ، فِي حُكْمِ الْأَعْمَالِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، بِوَاسِطَةِ التَّوَجُّهِ وَالْحُضُورِ وَالنِّيَّاتِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا بِالذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ ، وَالتَّفَكُّرِ الْعَقْلِيِّ ، فِي الطَّرِيقَةِ ؛ فَيَجْعَلَ بِجِهَةِ حُسْنِ اسْتِعْمَالِهِ لِرَأْسِ مَالِ عُمُرِهِ ، دَقَائِقَ عُمُرِهِ ، فِي حُكْمِ نَوَايَا تُسَنْبِلُ سَنَابِلَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ . .

اَلتَّاسِعَةُ : هِيَ أَنْ يَعْمَلَ بِالسَّيْرِ وَالسُّلُوكِ الْقَلْبِيِّ ، وَالْمُجَاهَدَةِ الرُّوحِيَّةِ ، وَالتَّرَقِّيَاتِ

الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ لِيَكُونَ إِنْسَاناً كَامِلاً ، يَعْنِي : لِيَكُونَ مُؤْمِناً حَقِيقِيّاً ، وَمُسْلِماً تَامّاً ؛ يَعْنِي : أَنْ لَا يَكُونَ صُورِيّاً فَقَطْ ؛ بَلْ يَكْسِبَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ ، وَحَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ ؛ يَعْنِي : أَنْ يَكُونَ عَبْداً وَمُخَاطَباً ، وَصَدِيقاً وَخَلِيلاً ، لِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ ذِي الْجَلَالِ ، مُبَاشَرَةً ، بَيْنَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُمَثِّلُ الْكَائِنَاتِ بِجِهَةٍ مَّا ؛ وَأَنْ يُثْبِتَ رُجْحَانَ بَنِي آدَمَ ، عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، بِإِظْهَارِ أَنَّهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ؛ وَأَنْ يَطِيرَ فِي الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ ، بِجَنَاحَيِ الشَّرِيعَةِ ، الْإِيمَانِيِّ وَالْعَمَلِيِّ ؛ وَأَنْ يَنْظُرَ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ بَلْ وَيَدْخُلَ تِلْكَ السَّعَادَةَ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى الْغَوْثِ الْأَكْبَرِ فِي كُلِّ الْعُصُورِ ، وَالْقُطْبِ الْأَعْظَمِ فِي كُلِّ الدُّهُورِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي تَظَاهَرَتْ حِشْمَةُ وِلَايَتِهِ ، وَمَقَامُ مَحْبُوبِيَّتِهِ ، فِي مِعْرَاجِهِ ؛ وَانْدَرَجَ كُلُّ الْوِلَايَاتِ ، فِي ظِلِّ مِعْرَاجِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ؛ آمِينَ . .

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

دُعَاءُ الْإِمَامِ النُّورْسِيِّ ، (رضي الله تعالى عنه) :
لِلْخَادِمِينَ فِي شُؤُونِ مَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ ..(١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَا اَللّٰهُ يَا رَحْمٰنُ يَا رَحِيمُ ، يَا فَرْدُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ،
يَا حَكَمُ يَا عَدْلُ يَا قُدُّوسُ !.

بِحَقِّ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، وَبِحُرْمَةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، وَلِشَرَفِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ، (عليه الصلاة والسلام) ، اجْعَلِ النَّاشِرِينَ وَالطَّابِعِينَ لِمَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ هٰذِهِ ، وَأَعْوَانَهُمُ الْمُبَارَكِينَ ، وَطُلَّابَ رَسَائِلِ النُّورِ الصَّادِقِينَ ؛ اجْعَلْهُمْ مَظَاهِرَ لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ ، آمِينَ ؛ وَوَفِّقْهُمْ دَائِماً فِي الْخِدْمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ ، آمِينَ ؛ وَاكْتُبْ فِي دَفْتَرِ حَسَنَاتِهِمْ ، أَلْفَ حَسَنَةٍ ، مُقَابِلَ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ ، آمِينَ ؛ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ بِالثَّبَاتِ وَالدَّوَامِ وَالْإِخْلَاصِ ، فِي نَشْرِ الْأَنْوَارِ ، آمِينَ ..

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! اجْعَلْ جَمِيعَ طُلَّابِ رَسَائِلِ النُّورِ ، مَسْعُودِينَ فِي الدَّارَيْنِ ، آمِينَ ؛ وَاحْفَظْهُمْ مِنْ شُرُورِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، آمِينَ ؛ وَاعْفُ سَيِّئَاتِ هٰذَا «السَّعِيدِ» الْعَاجِزِ الْبَائِسِ ، آمِينَ ..

بِاسْمِ جَمِيعِ طُلَّابِ النُّورِ ، سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) ..

---

(١) اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله تعالى عنه) ..

اَلْمَكْتُوبُ الثَّلَاثُونَ :

وَهُوَ تَفْسِيرُ «إِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ» الْعَرَبِيُّ الْمَطْبُوعُ . .

اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ :

وَهُوَ إِحْدٰى وَثَلَاثُونَ لَمْعَةً ؛ وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ نُشِرَتْ عَلٰى حِدَتِهَا . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ :

وَهُوَ رِسَالَةُ «اللَّمَعَاتِ» الْمَطْبُوعَةُ ، مَعَ «الْقَطْرَةِ وَالذَّرَّةِ وَالشَّمَّةِ وَالزَّهْرَةِ» الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذُيُولِهَا . .

اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ :

وَهُوَ رِسَالَةُ النَّوَافِذِ الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ ، الَّتِي تَفْتَحُ النَّوَافِذَ ، لِلْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَهِيَ الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ مِنْ جِهَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ نُشِرَتْ فِي مَجْمُوعَةِ الْمَقَالَاتِ ؛ فَلَمْ تُدْرَجْ هٰهُنَا . .

تَنْبِيهٌ : سَتُنْشَرُ هٰذِهِ الْمَكْتُوبَاتُ الْأَرْبَعَةُ ، كُلٌّ عَلَى الْوَجْهِ الْمُنَاسِبِ بِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالٰى . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

كَلِمَةُ خِتَامٍ :

يَقُولُ الْمُتَرْجِمُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلٰى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْقَدِيرِ الْغَنِيِّ ، مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ ابْنُ مَلَّا عَبْدِ اللهِ ، ابْنِ مَلَّا قَاسِمِ الْمَلَازْكِرْدِيُّ : لَقَدْ تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالٰى ، وَبِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ ، تَبْيِيضُ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ النُّورِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ الْمُسَمَّاةِ بِمَجْمُوعَةِ «**الْمَكْتُوبَات**» ، لِلْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ (**بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدِ النُّورْسِيِّ**) (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

وَذٰلِكَ بِمَدْرَسَةِ «أَزْهَرِ لُبْنَانَ» عَلٰى طَرِيقِ (**عَرَمُون**) ؛ زَادَهَا اللهُ فَيْضاً وَبَرَكَةً ؛ وَوَفَّقَ أَسَاتِيذَهَا الْعِظَامَ ، وَتَلَامِيذَهَا الْكِرَامَ ، لِنَشْرِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ آمِينَ . .

وَوَافَقَ الْخِتَامُ بِرَحْمَةِ اللهِ ، وَعِنَايَتِهِ تَعَالٰى ، يَوْمَ الْأَحَدِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ (**شَعْبَانَ الشَّرِيفِ**) سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ ، مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَالْيَوْمَ السَّادِسَ مِنْ شَهْرِ (**حَزِيرَانَ**) ، عَامَ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ وَتِسْعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ ، مِنَ الْمِيلَادِ . .

اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا ! لَكَ الْحَمْدُ حَتّٰى تَرْضٰى ، عَلٰى مَا وَفَّقْتَنَا بِفَضْلِكَ وَلُطْفِكَ ، لِتَبْيِيضِ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْمُبَارَكَةِ ؛ فَوَفِّقْنَا كَذٰلِكَ ، يَا مُوَفِّقُ ! بِتَيْسِيرِكَ وَتَسْهِيلِكَ ، لِتَصْحِيحِ سَائِرِ أَجْزَاءِ رَسَائِلِ النُّورِ كُلِّهَا ، وَلِتَبْيِيضِهَا وَطَبْعِهَا وَنَشْرِهَا جَمِيعاً ، بِكَمَالِ الرَّوَاجِ بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ آمِينَ . .

اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ . . وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ . .

رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ . . رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ . .

اَللّٰهُمَّ زِدْنَا عِلْماً وَفَهْماً ، وَنُوراً وَحِلْماً ؛ وَآتِنَا نِعْمَةً ظَاهِرَةً ، وَنِعْمَةً بَاطِنَةً ۞ . .

اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِإِمَامِنَا (بَدِيعِ الزَّمَانِ سَعِيدِ النُّورْسِيِّ) (ﷺ) ، وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، وَلِجَمِيعِ طَلَبَةِ رَسَائِلِ النُّورِ الصَّادِقِينَ ، وَلِجَمِيعِ أَقَارِبِنَا وَأَحْبَابِنَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ ، وَلِسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ؛ آمِينَ يَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ ! .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلٰى مَنْ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ ، وَعَلٰى إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَعَلٰى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ كَافَّةً ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلٰى يَوْمِ الدِّينِ ، وَعَلٰى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرَضِينَ ؛ آمِينَ . .

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ . .

يَوْمَ الْأَحَدِ { شَعْبَانَ الشَّرِيفِ / ١٤ / ١٤٠٢ هـ . .
شَهْرَ حَزِيرَانَ / ٦ / ١٩٨٢ م . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ، عَفَا عَنْهُ اللهُ الْمُبْدِئُ . .

أَزْهَرَ لُبْنَانَ / دَوْحَةَ عَرَمُونَ ــ بَيْرُوتَ ــ لُبْنَانَ . .

اَلْكَاشِفُ الْوَاضِحُ

﴿لِمَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ﴾

اَلْمَكْتُوبَاتُ وَالْمَوْضُوعَاتُ :

٥ اَلْمَكْتُوبُ الْأَوَّلُ : جَوابٌ مُخْتَصَرٌ ، عَلٰى أَرْبَعَةِ أَسْئِلَةٍ . .

٥ اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : هَلِ الْخِضْرُ (عليه السلام) فِي الْحَيَاةِ أَمْ لَا ؟ . وَيُجِيبُ عَلَيْهِ : بِأَنَّهُ فِي الْحَيَاةِ ؛ وَلٰكِنَّ مَرَاتِبَ الْحَيَاةِ خَمْسٌ ؛ وَهُوَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْهَا ؛ كَمَا أَنَّ عِيسٰى (عليه السلام) فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ ؛ وَيُبَيِّنُ تَأْوِيلَ قَتْلِهِ الدَّجَّالَ . .

٨ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : فِيمَا يُفْهَمُ مِنْ آيَاتِ الْفُرْقَانِ الْحَكِيمِ ، مِنْ أَنَّ الْمَوْتَ مَخْلُوقٌ ؛ وَأَنَّهُ نِعْمَةٌ . وَيُجِيبُ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْمَوْتَ انْتِقَالٌ مِنْ طَبَقَةٍ أَدْنٰى ، إِلٰى طَبَقَةٍ أَعْلٰى ، مِنْ طَبَقَاتِ الْحَيَاةِ ، كَمَوْتِ النَّوَاةِ ظَاهِراً ، وَانْتِقَالِهَا إِلٰى حَيَاةِ السُّنْبُلَةِ ؛ وَيُبَيِّنُ مِنْ وُجُوهِ كَوْنِ الْمَوْتِ نِعْمَةً ، أَرْبَعَةَ أَوْجُهٍ . .

٩ اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : أَيْنَ جَهَنَّمُ ؟ . وَيُجِيبُ بِأَنَّهَا تَحْتَ الْأَرْضِ ، عَلٰى مَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ ؛ وَيُبَيِّنُ أَنَّ جَهَنَّمَ اثْنَتَانِ صُغْرٰى وَكُبْرٰى . فَالصُّغْرٰى فِي مَرْكَزِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ وَالْكُبْرٰى تَحْتَ مَدَارِهَا السَّنَوِيِّ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الدَّائِرَةَ الْعُظْمٰى ، سَتَكُونُ مَيْدَانَ الْحَشْرِ . فَكُرَةُ الْأَرْضِ تَصُبُّ سُكَّانَهَا ، فِي ذٰلِكَ الْمَيْدَانِ الْأَكْبَرِ ؛ كَمَا تُسَلِّمُ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالٰى ، جَهَنَّمَهَا الصُّغْرٰى ، إِلٰى جَهَنَّمَ الْكُبْرٰى ؛ وَتُصْبِحُ الْأَرْضُ نَفْسُهَا ، مَنْزِلاً مِنْ مَنَازِلِ الْعَوَالِمِ الْبَاقِيَةِ . .

١٢ اَلسُّؤَالُ الرَّابِعُ : هَلْ يَتَحَوَّلُ الْعِشْقُ الْمَجَازِيُّ لِلدُّنْيَا ، إِلَى الْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ ؟ .

فَيُجِيبُ عَلَيْهِ : بِأَنَّهُ يَحْصُلُ ذٰلِكَ ، بَعْدَ مَا يَرَى الْعَاشِقُ ، مَا عَلٰى وَجْهِهَا الْفَانِي ، مِنْ قُبْحِ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ؛ فَيَطْلُبُ مَحْبُوباً بَاقِياً ؛ فَيُوَفَّقُ لِلنَّظَرِ إِلٰى وَجْهَيْهَا الْآخَرَيْنِ الْجَمِيلَيْنِ ، النَّاظِرَيْنِ إِلَى الْآخِرَةِ وَالْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُثْبِتُ ذٰلِكَ بِتَمْثِيلٍ جَمِيلٍ . .

١٥ اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي : يُبَيِّنُ مُؤَلِّفُ النُّورِ ، قَاعِدَةً أَسَاسِيَّةً ، مِنْ حَيَاتِهِ ؛ وَهِيَ الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ النَّاسِ ؛ وَيَذْكُرُ سِتَّةَ أَسْبَابٍ لَهَا . .

١٨ اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ : يُبَيِّنُ نُوراً مِنَ الْإِعْجَازِ ، وَسِرّاً مِنَ الْبَلَاغَةِ ، فِي قَسَمِ آيَةِ : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۞﴾ ، وَنُوراً مُشْرِقاً ، مِنَ الْإِعْجَازِ ، فِي آيَةِ : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتّٰى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞﴾ ؛ وَيُبَيِّنُ سِرّاً مِنْ آيَةِ : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ ؛ وَيُبَيِّنُ بِمُنَاسَبَةِ ذٰلِكَ ، نُكْتَتَيْنِ إِيمَانِيَّتَيْنِ . .

٢٣ اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ : يُبَيِّنُ الْمُؤَلِّفُ ، لِتَلَامِيذِهِ ، بَعْضَ خَوَاطِرِهِ وَمَشَاعِرِهِ ، حِينَمَا كَانَ مُنْزَوِياً فِي مَنْزِلٍ عَلٰى ذُرْوَةِ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ ، فِي قِمَّةِ جَبَلِ الصَّنَوْبَرِ ، فِي مَنْفَاهُ بِالْأَنَاضُولِ . .

٢٦ اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ : يُبَيِّنُ تَرَجُّحَ انْكِشَافِ مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ ، مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، عَلٰى آلَافِ أَذْوَاقٍ وَمَوَاجِدَ وَكَرَامَاتٍ ؛ وَيُبَيِّنُ ثَلَاثَةَ حُجُبٍ لِلطَّرِيقَةِ النَّقْشِيَّةِ ، نَاقِلاً عَنِ «الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ» ؛ وَيَنْتَقِلُ بِمُنَاسَبَةِ ذٰلِكَ ، إِلٰى أَهَمِّيَّةِ دَرْسِ الْإِيمَانِ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ وَأَنَّ «الْمَقَالَاتِ الثَّلَاثَ وَالثَّلَاثِينَ» ، مِنْ رَسَائِلِ النُّورِ ، فَتَحَتْ طَرِيقاً لِلْوُصُولِ إِلٰى حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، فِي أَرْبَعِينَ دَقِيقَةً ، بَدَلاً عَنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً إِلٰى أَرْبَعِينَ عَاماً ، فِي سَائِرِ الطُّرُقِ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ «الْمَقَالَاتِ» أَنْسَبُ عِلَاجٍ لِجُرُوحِ هٰذَا الْعَصْرِ ، وَأَنْفَعُ نُورٍ لِهَيْئَةِ الْإِسْلَامِ ، وَأَقْوَمُ مُرْشِدٍ لِلْوَاقِعِينَ فِي الْحَيْرَةِ . .

٢٨ اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ : يُبَيِّنُ الْمُؤَلِّفُ لِتَلَامِذَتِهِ ، بَعْضَ مَشَاعِرِهِ فِي وُقُوعِهِ فِي خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْغُرْبَةِ ، فِي مَنْفَاهُ إِلٰى مَدِينَةِ «إِسْپَارْطَةَ» بِالْأَنَاضُولِ . .

اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ : يُجِيبُ عَلَى انْتِقَادِ الضَّالِّينَ فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، كَالْمُنَافِقِينَ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، عَلٰى تَزَوُّجِهِ (ﷺ) «بِزَيْنَبَ» ؛ وَيُبَيِّنُ سِرَّ ذٰلِكَ ، وَحِكْمَةَ تَشْرِيعِهِ ، بِأُسْلُوبٍ حَكِيمٍ .. ٣١

اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ : فِي بَيَانِ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ اسْمَيِ (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) ؛ وَيَذْكُرُ بِمُنَاسَبَةِ ذٰلِكَ ، أَنَّ حِسِّيَّاتِ «يَعْقُوبَ» (عليه السلام) مُقَابِلَ ابْنِهِ «يُوسُفَ» (عليه السلام) لَيْسَتْ مَحَبَّةً وَعِشْقاً ؛ بَلْ هِيَ شَفَقَةٌ ؛ لِأَنَّ الْعِشْقَ لَا يَلِيقُ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ ؛ وَإِنَّمَا الشَّفَقَةُ تُنَاسِبُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ الْعَالِيَ .. ٣٤

اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ : فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْإِكْرَامِ ، وَفِي بَيَانِ أَنَّ الدُّنْيَا كَمَضِيفٍ عَسْكَرِيٍّ ؛ وَأَنَّ الْأَسْعَدَ ، هُوَ مَنْ يَتَلَقَّاهَا كَذٰلِكَ ؛ وَلَا يَصْرِفُ مُعْظَمَ حِسِّيَّاتِهِ ، لِلْأُمُورِ الْفَانِيَةِ ، وَفِي بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ مَدْلُولِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، بِأَنَّ الْإِسْلَامَ الْتِزَامٌ وَوَلَاءٌ وَانْقِيَادٌ لِلْحَقِّ ؛ وَأَنَّ الْإِيمَانَ إِذْعَانٌ وَقَبُولٌ وَتَصْدِيقٌ لِلْحَقِّ .. ٣٧

اَلْمَكْتُوبُ الْعَاشِرُ : جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالَيْنِ .. ٤٢

اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : فِي حَقِّ «الْإِمَامِ الْمُبِينِ ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ» ؛ وَيُبَيِّنُ أَنَّهُمَا عُنْوَانَانِ لِنَوْعَيْنِ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ . فَالْإِمَامُ الْمُبِينُ ، يَنْظُرُ إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ ، أَزْيَدَ مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ فَهُوَ عُنْوَانٌ لِنَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَمْرِ الْإِلٰهِيِّ . وَأَمَّا الْكِتَابُ الْمُبِينُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ إِلٰى عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، أَكْثَرَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ فَهُوَ عُنْوَانٌ وَدَفْتَرٌ لِلْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ .. ٤٢

اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : أَيْنَ مَيْدَانُ الْحَشْرِ ؟ . وَيُجِيبُ بِأَنَّ الدَّائِرَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي تَخُطُّهَا كُرَةُ الْأَرْضِ ، تُمَثِّلُ ذٰلِكَ الْمَيْدَانَ ؛ وَتُرْسِلُ إِلَيْهَا ، مَحْصُولَاتِهَا الْمَعْنَوِيَّةَ .. ٤٤

اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِيَ عَشَرَ : أَرْبَعُ مَبَاحِثَ وَمَسَائِلَ .. ٤٦

اَلْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : فِي بَيَانِ جَوْهَرَةٍ مِنْ خَزِينَةِ آيَةِ ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ ، وَفِي بَيَانِ سِرِّ الْوَسْوَسَةِ .. ٤٦

٤٧ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : فِقْرَاتٌ فَارِسِيَّةٌ فِي إِفَادَةِ مَعَانِي الْعِبْرَةِ ، مِنَ النَّظَرِ إِلٰى صُوَرِ الْأَشْجَارِ وَهَيْئَاتِهَا الْمُحَيِّرَةِ ، فِي أَكَمَةِ مَصِيفِ (بَارْلَا) ؛ وَقَدْ تُرْجِمَتْ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ . .

٥٢ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : فِي بَيَانِ سِرِّ آيَةِ ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ ؛ وَهِيَ مِثَالٌ لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَعَجْزِ الْمَدَنِيَّةِ . .

٥٣ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : فِي بَيَانِ حُكْمِ آيَةِ ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ ، بِأَنَّهَا عَيْنُ الْحَقِّ وَمَحْضُ الْعَدْلِ ؛ كَمَا أَنَّ حُكْمَ الْمَدَنِيَّةِ الدَّنِيَّةِ ، بِتَحْرِيمِ الْوَالِدَةِ عَنْ إِرْثِ وَلَدِهَا ، ظُلْمٌ رَهِيبٌ ، وَعَمَلٌ وَحْشِيٌّ ، وَتَحْقِيرٌ مُجْرِمٌ ، وَكُفْرَانٌ يَهُزُّ عَرْشَ الرَّحْمَةِ . .

٥٤ اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ : فِي الْجَوَابِ عَلٰى ثَلَاثَةِ أَسْئِلَةٍ مُهِمَّةٍ . .

٥٤ اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : مَا هِيَ حِكْمَةُ إِخْرَاجِ آدَمَ (عليه السلام) مِنَ الْجَنَّةِ ، وَإِدْخَالِ بَعْضِ بَنِي آدَمَ ، فِي جَهَنَّمَ ؟ . وَيُجِيبُ عَلَيْهِ : بِأَنَّ حِكْمَتَهُ التَّوْظِيفُ ؛ فَانْكِشَافُ جَمِيعِ التَّرَقِّيَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَانْبِسَاطُ كُلِّ الِاسْتِعْدَادَاتِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَصَيْرُورَةُ الْمَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِرْآةً جَامِعَةً لِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، هِيَ مِنْ نَتَائِجِ تِلْكَ الْوَظِيفَةِ ؛ فَإِخْرَاجُهُ عَنْهَا ، عَيْنُ الْحِكْمَةِ ، وَمَحْضُ الرَّحْمَةِ . .

٥٥ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : لِمَاذَا خُلِقَ الشَّيَاطِينُ ؛ وَمَا هِيَ حِكْمَةُ خَلْقِ الشُّرُورِ ؟ . وَيُجِيبُ عَلَيْهِ : بِأَنَّ خَلْقَ الشَّرِّ ، لَيْسَ شَرّاً ؛ بَلْ كَسْبُ الشَّرِّ ، شَرٌّ ؛ وَأَنَّ خَلْقَ الشُّرُورِ وَالْبَلَايَا وَالشَّيَاطِينِ ، إِنَّمَا هُوَ لِنَتَائِجَ مُهِمَّةٍ كَثِيرَةٍ ؛ مِنْهَا فَتْحُ مَيْدَانِ امْتِحَانٍ وَمُسَابَقَةٍ ، لِانْكِشَافِ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ ، مِنْ مَرَاتِبِ التَّرَقِّي وَالتَّدَنِّي ، وَلِتَمْيِيزِ الْأَرْوَاحِ السَّافِلَةِ الْفَحْمِيَّةِ ، عَنِ الْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ الْأَلْمَاسِيَّةِ . .

٥٨ اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : أَلَيْسَ نُزُولُ الْمَصَائِبِ ، وَتَسْلِيطُ الْبَلَايَا عَلَى النَّاسِ ، لَاسِيَّمَا عَلَى الْأَبْرِيَاءِ ، حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ ، ظُلْماً ؟ . وَيُجِيبُ بِأَنَّ الْمُلْكَ لِلّٰهِ تَعَالٰى ؛ فَيَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ ؛ وَأَنَّ السُّكُونَ وَالتَّنَاسُقَ وَالتَّوَقُّفَ ، فِي طَوْرٍ ثَابِتٍ مِنَ الْحَيَاةِ ، مِنْ أَنْوَاعِ الْعَدَمِ وَالضَّرَرِ ؛ وَأَنَّ الْحَرَكَةَ وَالتَّبَدُّلَ ، وُجُودٌ وَخَيْرٌ ؛ فَتَتَكَامَلُ

الْحَيَاةُ بِالْحَرَكَاتِ ؛ وَتَتَرَقّى بِسَبَبِ الْبَلِيَّاتِ ؛ وَتَتَبَدَّلُ فِي مُخْتَلَفِ الْحَرَكَاتِ ؛ فَتَتَصَفّى وَتَتَقَوّى وَتَنْبَسِطُ . .

٦٠ اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِث عَشَرَ : فِي الْجَوَابِ عَلٰى ثَلاثَةِ أَسْئِلَةٍ . .

٦٠ اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : يَسْأَلُ بَعْضُ تَلامِيذِ الْمُؤَلِّفِ ، عَنْ رَاحَتِهِ وَحَالِهِ فِي الْمَنْفٰى ؛ فَيُجِيبُ الْمُؤَلِّفُ ، شَاكِراً لِلّٰهِ تَعَالٰى ؛ حَيْثُ حَوَّلَ ظُلْمَ أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ ، إِلٰى أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ ، مِنَ الْخَلْوَةِ وَصَفَاءِ الْفِكْرِ ، وَحَضْرِ الذِّهْنِ ، عَلَى التَّفَيُّضِ مِنْ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَأَسْرَارِهِ . .

٦١ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : يَقُولُونَ : لِمَاذَا لا تُطَالِبُ الْحُكُومَةَ ، لِلْحُصُولِ عَلَى الْوَثِيقَةِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْمَنْفِيِّينَ ؛ فَيُجِيبُ الْمُؤَلِّفُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : بِأَنَّهُ مَحْكُومٌ لِلْقَدَرِ ، فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ وَلَيْسَ مَحْكُوماً لِأَهْلِ الدُّنْيَا ؛ وَيُوضِحُ ذٰلِكَ ، بِسِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ الْقَدَرِ ؛ وَيَفْصِلُ بَيْنَ حُكْمِ الْقَدَرِ ، وَظُلْمِ الْبَشَرِ . .

٦٢ اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : يَقُولُونَ : لِمَاذَا لا تُبَالِي بِسِيَاسَةِ الدُّنْيَا ؛ وَلا تُغَيِّرُ طَوْرَكَ ، أَمَامَ صَفَحَاتِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ ؟ فَهَلْ تَسْتَحْسِنُهَا ؛ أَمْ تَخَافُ عَنِ التَّدَخُّلِ فِيهَا ؛ فَتَسْكُتُ عَنْهَا ؟ . فَيُجِيبُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : بِأَنَّ خِدْمَةَ الْقُرْآنِ ، مَنَعَتْنِي عَنْ عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، مَنْعاً شَدِيداً ؛ حَتّى أَنْسَتْنِي تَصَوُّرَهُ . وَإِلّا ، فَإِنَّ جَمِيعَ حَيَاتِيَ الْمَاضِيَةِ ، شَاهِدَةٌ عَلٰى أَنَّ الْخَوْفَ لَمْ يُمْسِكْ بِيَدِي ؛ وَلَمْ يَمْنَعْنِي عَنِ السُّلُوكِ فِي مَسْلَكِ الْحَقِّ ؛ وَيُوضِحُهُ إِيضَاحاً مُهِمّاً . .

٦٥ اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ : لَمْ يُؤَلَّفْ بَعْدُ . . (وَيَنْوِي الْمُتَرْجِمُ تَأْلِيفَهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالٰى) . . [وَلٰكِنْ تُوُفِّيَ (رَحِمَهُ اللهُ تَعَالٰى) وَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ ذٰلِكَ] [نا] . .

٦٦ اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسَ عَشَرَ : جَامِعٌ لِسِتَّةِ أَسْئِلَةٍ مُهِمَّةٍ . .

٦٦ اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : يَقُولُونَ : لِمَاذَا لَمْ يَكْشِفِ الصَّحَابَةُ بِنَظَرِ الْوَلايَةِ ، عَنِ الْمُفْسِدِينَ ؛ حَتّى أَدّى ذٰلِكَ إِلَى اسْتِشْهَادِ ثَلاثَةٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ؛ مَعَ أَنَّ أَصْغَرَ الصَّحَابَةِ ،

أَعْظَمُ مِنْ أَكْبَرِ الْأَوْلِيَاءِ ؛ فَيُجِيبُ (رضي الله عنه) ، عَلٰى هٰذَا السُّؤَالِ ، بِمَقَامَيْنِ . .

٦٦ اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ : يُبَيِّنُ سِرّاً دَقِيقاً مِنْ أَسْرَارِ الْوِلَايَةِ ؛ وَيَفْصِلُ بَيْنَ وِلَايَةِ الصَّحَابَةِ ، الْكُبْرَى الْوَارِدَةِ مِنْ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، وَالَّتِي يَكُونُ أَسَاسُهَا انْكِشَافَ الْأَقْرَبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَبَيْنَ وِلَايَةِ الْأَوْلِيَاءِ ، الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ فِي الْمَقَامَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَتَسْلُكُ عَلٰى أَسَاسِ الْقُرْبِيَّةِ . .

٦٨ اَلْمَقَامُ الثَّانِي : يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُسَبِّبَ لِتِلْكَ الْأَحْدَاثِ ، وَالْمُدَبِّرَ لِذٰلِكَ الْفَسَادِ ، لَمْ يَكُنْ عِبَارَةً عَنْ بَعْضِ الْيَهُودِ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّ الْمُجْتَمَعَ اخْتَلَّ بِتَمَوُّجِ تَيَّارَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَلَمْ يُمْكِنْ سَدُّ الْفَسَادِ ، إِلَّا بِإِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ ؛ وَذٰلِكَ كَانَ مُحْتَاجاً إِلَى الزَّمَانِ . .

٦٩ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : يَقُولُونَ : مَا هِيَ مَاهِيَّةُ الْمَعَارِكِ الَّتِي بَدَأَتْ فِي عَهْدِ (سَيِّدِنَا عَلِيٍّ) (كرم الله وجهه) ؟ وَبِمَ نُسَمِّي الْقَاتِلِينَ وَالْمَقْتُولِينَ فِيهَا ؟ . فَيُجِيبُ (رضي الله عنه) بِأَنَّ وَقْعَةَ الْجَمَلِ الَّتِي نَشَبَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ (طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ) رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، كَانَتْ مُجَادَلَةَ الْعَدَالَةِ الْمَحْضَةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا (الْإِمَامُ عَلِيٌّ) (كرم الله وجهه) ، أَسَاساً لَهُ ؛ وَاجْتَهَدَ عَلَيْهَا ، وَمُجَادَلَةَ الْعَدَالَةِ الْإِضَافِيَّةِ الَّتِي اجْتَهَدَ عَلَيْهَا مُعَارِضُوهُ ؛ وَلَمَّا دَخَلَ نِزَاعُ الِاجْتِهَادِ ، فِي السِّيَاسَةِ ؛ أَنْتَجَ الْقِتَالَ . فَإِذَا كَانَ الِاجْتِهَادُ ، حَاصِلاً لِرِضَاءِ اللهِ تَعَالٰى ، وَلِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ ؛ وَنَشَأَ مِنْهُ الْقِتَالُ ؛ نَحْكُمُ بِأَنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ كِلَيْهِمَا ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَهْلِ الثَّوَابِ . ثُمَّ يُوضِحُ الْمُؤَلِّفُ (رضي الله عنه) ، الْعَدَالَةَ الْمَحْضَةَ ، وَالْعَدَالَةَ الْإِضَافِيَّةَ ، إِيضَاحاً وَافِياً . .

٧١ وَأَمَّا مُحَارَبَةُ (الْإِمَامِ عَلِيٍّ) (رضي الله عنه) ، ضِدَّ أَتْبَاعِ (مُعَاوِيَةَ) فِي وَقْعَةِ «صِفِّينَ» ؛ فَهِيَ مُحَارَبَةُ الْخِلَافَةِ وَالسَّلْطَنَةِ ؛ فَإِنَّ (الْإِمَامَ عَلِيّاً) (كرم الله وجهه) اتَّخَذَ الْآخِرَةَ وَأَحْكَامَ الدِّينِ ، وَحَقَائِقَ الْإِسْلَامِ ، أَسَاساً ؛ فَكَانَ يَفْدِيهَا بَعْضَ قَوَانِينِ السَّلْطَنَةِ ، وَمُقْتَضَيَاتِ السِّيَاسَةِ الظَّالِمَةِ . وَأَمَّا (مُعَاوِيَةُ) وَأَتْبَاعُهُ ، فَتَرَكُوا الْعَزِيمَةَ ؛ وَالْتَزَمُوا الرُّخْصَةَ ، لِتَأْيِيدِ حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ ، بِسِيَاسَةِ السَّلْطَنَةِ ؛ وَظَنُّوا أَنْفُسَهُمْ ، مُرْغَمِينَ لِذٰلِكَ ، فِي

عَالَمِ السِّيَاسَةِ ؛ فَرَجَّحُوا الرُّخْصَةَ ؛ فَوَقَعُوا فِي الْخَطَأ . .

٧١ وَأَمَّا مُجَادَلَةُ (الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ) (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) ، ضِدَّ الْأَمَوِيِّينَ ، فَكَانَتْ صِرَاعَ الدِّينِ وَالْقَوْمِيَّةِ ؛ فَإِنَّ الْأَمَوِيِّينَ بَنَوُا الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، عَلَى الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَأَخَّرُوا الرَّابِطَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، عَنِ الرَّابِطَةِ الْقَوْمِيَّةِ ؛ وَإِنَّ سَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) اتَّخَذَ الرَّابِطَةَ الدِّينِيَّةَ أَسَاساً ؛ فَجَادَلَ ضِدَّهُمْ مُحِقّاً ؛ حَتَّى أَحْرَزَ مَقَامَ الشَّهَادَةِ . .

٧٢ اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : يَقُولُونَ : مَا هِيَ حِكْمَةُ تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ الْفَجِيعَةِ الْغَدَّارَةِ ؟ . فَيُجِيبُ بِأَنَّهُ كَانَ فِي سَلْطَنَةِ الْأَمَوِيِّينَ ، ثَلَاثَةُ أُسُسٍ تُنْتِجُ غَدْراً ظَالِماً ؛ هِيَ : أَنَّ مِنْ دَسَاتِيرِ السِّيَاسَةِ الظَّالِمَةِ ، فِدَاءَ الْأَفْرَادِ ، لِسَلَامَةِ الْحُكُومَةِ ، وَدَوَامِ الْأَمْنِ ؛ وَأَنَّ مِنْ دَسَاتِيرِ الْقَوْمِيَّةِ الْغَدَّارَةِ ، فِدَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، لِسَلَامَةِ الشَّعْبِ ؛ وَأَنَّ عَصَبِيَّةَ الْأَمَوِيِّينَ ، ضِدَّ الْهَاشِمِيِّينَ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي بَعْضِهِمْ مِثْلِ (يَزِيدَ) ؛ فَأَنْتَجَ غَدْراً بِلَا شَفَقَةٍ . وَالسَّبَبُ الرَّابِعُ : كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ (الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ) (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ؛ وَهُوَ الْتِحَاقُ سَائِرِ الشُّعُوبِ ، بِجَمَاعَةِ (الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ) ، بِنِيَّةٍ سَيِّئَةٍ ، حِقْداً عَلَى الْأَمَوِيِّينَ الْعُنْصُرِيِّينَ . .

٧٣ اَلسُّؤَالُ الرَّابِعُ : يَقُولُونَ : يَدْخُلُ أَكْثَرُ النَّاسِ ، فِي الدِّينِ الْحَقِّ ، بَعْدَ مَا يَقْتُلُ سَيِّدُنَا عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، الدَّجَّالَ ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ وَقَدْ جَاءَ فِي الرِّوَايَاتِ : أَنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ؛ وَيَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، مَنْ يَقُولُ : (اللهُ) ؛ فَكَيْفَ يَعُودُونَ إِلَى الْكُفْرِ عَامَّةً ، بَعْدَ أَنْ آمَنُوا كَافَّةً ؟ . فَيُجِيبُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : بِأَنَّ ضِعَافَ الْإِيمَانِ يَسْتَبْعِدُونَ نُزُولَ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَتْلَهُ الدَّجَّالَ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا مَجَالَ لِلِاسْتِبْعَادِ ، إِذَا أُوضِحَتْ حَقِيقَتُهُ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ مَعْنَى الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي حَقِّ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَالدَّجَّالِ ، وَفِي حَقِّ الْمَهْدِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وَالسُّفْيَانِيِّ ، يُفِيدُ أَنَّ تَيَّارَيْنِ مِنَ الْإِلْحَادِ يَتَقَوَّيَانِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ . .

أَحَدُهُمَا : تَيَّارُ (النِّفَاقِ) الْمُنْكِرِ لِلرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ فَيَتَزَعَّمُهُ السُّفْيَانِيُّ ؛ وَيَسْعَى لِتَخْرِيبِ الشَّرِيعَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَإِلْغَاءِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَيُعَارِضُهُ

شَخْصٌ نورانيٌّ ، مِنْ آلِ الْبَيْتِ ، يُدْعى بِـ «مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ» ؛ وَيَرْأَسُ أَهْلَ الْوِلَايَةِ ، وَأَصْحَابَ الْكَمَالِ ، الْمُتَّصِلِينَ بِسِلْسِلَةِ آلِ الْبَيْتِ النُّورانِيَّةِ ؛ فَيَقْتُلُ الْمَهْدِيُّ ، ذٰلِكَ التَّيَّارَ النِّفَاقِيَّ الَّذِي يُمَثِّلُهُ السُّفْيَانِيُّ . .

اَلثَّانِي : هُوَ تَيَّارُ (الْإِلْحَادِ) الَّذِي يَنْتَهِي إِلٰى دَرَجَةِ إِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ ، بِسَبَبِ الْفَلْسَفَةِ الْمَادِّيَّةِ ؛ فَيَتَزَعَّمُهُ الدَّجَّالُ ؛ وَيُؤَسِّسُ حُكُومَةً جَبَّارَةً ؛ وَيُعْلِنُ أُلُوهِيَّتَهُ . وَمَعْلُومٌ : أَنَّ ادِّعَاءَ إِنْسَانٍ لِلْأُلُوهِيَّةِ ؛ وَهُوَ مَغْلُوبٌ أَمَامَ ذُبَابٍ ، وَعَاجِزٌ عَنْ خَلْقِ جَناحٍ مِنْهُ ، سُخْرِيَّةٌ حَمَاقِيَّةٌ ؛ وَيَتَصَفّٰى ضِدَّ ذٰلِكَ الْإِلْحَادِ ، الدِّينُ الْعِيسَوِيُّ الْمُمَثِّلُ لِشَخْصِيَّتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَيَتَجَرَّدُ عَنِ الْخُرَافَاتِ ؛ وَيَتَّحِدُ مَعَ حَقَائِقِ الْإِسْلَامِ ؛ وَيَقْتَدِي بِالْقُرْآنِ ؛ فَحِينَمَا تَسْتَعِدُّ الْعِيسَوِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ ، لِلْغَلَبَةِ عَلٰى تَيَّارِ الْإِلْحَادِ ، فِي نَتِيجَةِ ذٰلِكَ الاتِّحَادِ ؛ يَنْزِلُ شَخْصُ عِيسٰى (عليه السلام) ، الْبَشَرِيُّ الْمَوْجُودُ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ ؛ فَيَرْأَسُ ذٰلِكَ التَّيَّارَ الدِّينِيَّ الْحَقَّ ؛ وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ : أَيْ يَقْتُلُ تَيَّارَهُ الْإِلْحَادِيَّ . .

٧٦ اَلسُّؤَالُ الْخَامِسُ : يُقَالُ : هَلْ يَتَأَثَّرُ الْأَرْوَاحُ الْبَاقِيَةُ مِنْ أَحْدَاثِ الْقِيَامَةِ ؟ . وَيُجِيبُ بِأَنَّ الْإِشَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ ، تَدُلُّ عَلٰى تَأَثُّرِهَا مِنْهَا . .

٧٧ اَلسُّؤَالُ السَّادِسُ : هَلْ تَشْمَلُ آيَةُ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ الْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَأَهْلَهَا ؟ . فَيُحِيلُ الْجَوَابَ ، عَلٰى كَلَامِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، وَأَصْحَابِ الْكَشْفِ وَالْوِلَايَةِ ، الَّذِينَ بَحَثُوا عَنْ هٰذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ؛ وَيُبَيِّنُ نُقْطَتَيْنِ وَرَدَتَا عَلٰى قَلْبِهِ ، مِنْ فَيْضِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى قَدِيرٌ مُطْلَقٌ ، يَسْتَوِي الْوُجُودُ وَالْعَدَمُ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، كَمَنْزِلَيْنِ ؛ وَأَنَّهُ لَا وُجُودَ لِلْعَدَمِ الْمُطْلَقِ ؛ حَيْثُ يُوجَدُ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ ؛ وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ الْقُدْرَةِ ؛ فَتَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ الْعِلْمِ . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مَعْدُومٌ بِالْمَعْنَى الاسْمِيِّ ، لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ مُسْتَقِلٌّ

بِذَاتِهِ ؛ وَلَا حَقِيقَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا . وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ الْحَرْفِيِّ ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ ، عَدَماً وَلَا مَعْدُوماً ؛ لِأَنَّ فِيهِ جَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْبَاقِيَةِ ؛ وَهُوَ ظِلُّ وُجُودٍ سَرْمَدِيٍّ ؛ وَلَهُ حَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ ؛ لِأَنَّهُ ظِلٌّ لِاسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْبَاقِيَةِ . .

٧٩ اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ : يُبَيِّنُ خَمْسَ نِقَاطٍ . .

٧٩ اَلنُّقْطَةُ الْأُولَى : تُجِيبُ عَلَى السُّؤَالِ مِنْ إِعْرَاضِهِ عَنِ السِّيَاسَةِ ؛ وَتُبَيِّنُ أَنَّهَا طَرِيقٌ مَشْكُوكٌ مَانِعٌ لِأَهَمِّ الْخِدَمَاتِ ؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَدَاةً لِأَصَابِعِ الْأَجَانِبِ ؛ وَأَنَّهُ تَوَضَّحَتِ الْمَسَائِلُ ؛ فَلَا مَعْنَى لِلتَّشَدُّقِ بِلَا طَائِلٍ . .

٨٠ اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : تُجِيبُ عَلَى السُّؤَالِ مِنْ تَجَنُّبِ «السَّعِيدِ الْجَدِيدِ» ، عَنِ السِّيَاسَةِ بِالشِّدَّةِ ؛ وَتُبَيِّنُ أَنَّهُ يَفِرُّ عَنِ السِّيَاسَةِ ؛ كَيْلَا يَفْدِيَ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ وَلِئَلَّا تَضُرَّ بِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ . .

٨٣ اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : تُجِيبُ عَنِ اسْتِغْرَابِ أَصْدِقَائِهِ ، لِسُكُوتِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى الْمَصَائِبِ ؛ وَتُفَسِّرُهُ بِذِكْرِ حِكَايَتَيْنِ مَضَتَا عَلَى رَأْسِهِ . .

٨٥ اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ : جَوَابٌ عَلَى عِدَّةِ أَسْئِلَةٍ مُوهِمَةٍ . .

٨٥ اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : يَقُولُ لَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا : بِمَ وَكَيْفَ تَعِيشُ بِلَا عَمَلٍ ؟ . فَيُجِيبُ عَلَيْهِ : بِأَنَّهُ يَعِيشُ بِالْبَرَكَةِ وَالِاقْتِصَادِ ؛ وَيَذْكُرُ عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ مِنْهَا . .

٨٨ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : يَقُولُ لَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا : كَيْفَ نَأْمَنُ مِنْكَ ، أَنَّكَ لَا تَمَسُّ دُنْيَانَا ؟ . فَيُجِيبُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ ، مِنْ مُدَافَعَاتِهِ فِي (دِيوَانِ الْحَرْبِ الْعُرْفِيِّ) بِصَرَاحَةٍ بِدُونِ خِدْعَةٍ . .

٨٩ اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : يَسْأَلُهُ أَهْلُ الدُّنْيَا : هَلْ تُحِبُّنَا ؟ . وَإِلَّا ، فَنَسْتَحِقُّ مُعَارِضَنَا ؛ فَيُجِيبُ بِأَنَّهُ لَا يُحِبُّهُمْ وَلَا يُحِبُّ دُنْيَاهُمْ ؛ وَلَكِنْ لَا يَمَسُّهُمْ . .

٨٩ اَلسُّؤَالُ الرَّابِعُ : يَقُولُ أَهْلُ الدُّنْيَا : لَمْ يَبْقَ لَنَا أَمْنٌ بِأَحَدٍ ؛ فَكَيْفَ نَأْمَنُ مِنْكَ ، أَنَّكَ لَا تُخَالِطُ شُؤُونَنَا ، إِذَا سَنَحَتْ لَكَ الْفُرْصَةُ ؟ . فَيُحِيلُ الْجَوَابَ ، عَلَى النِّقَاطِ

السَّابِقَةِ ؛ فَيَقُولُ : إِنِّي مَا خَالَطْتُ دُنْيَاكُمْ ؛ وَكُنْتُ فِي وَطَنِي ، وَبَيْنَ تَلامِيذِي وَأَقَارِبِي . .

٩٠ اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ : تَبْحَثُ عَنْ خَمْسِ مَسَائِلَ صَغِيرَةٍ . .

٩٠ اَلْأُولٰى : يَقُولُ أَهْلُ الدُّنْيَا ، لِلْمُؤَلِّفِ : لِمَاذَا لا تُجْرِي عَلٰى نَفْسِكَ ، آدَابَ مَدَنِيَّتِنَا ، وَطِرَازَ لُبْسِنَا ؟ . فَيُجِيبُ بِأَنَّكُمْ أَرْغَمْتُمُونِي عَلَى الْإِقَامَةِ فِي قَرْيَةٍ ، خَمْسَ سَنَوَاتٍ ، بِدُونِ مُرَاسَلَةٍ وَمُخَالَطَةٍ ؛ فَسَدَدْتُمْ عَلَيَّ ، بَابَ الدُّنْيَا ؛ فَقَرَعْتُ بَابَ الْآخِرَةِ ؛ فَفَتَحَتْهُ لِيَ الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ؛ فَكَيْفَ تُكَلِّفُونَنِي بِآدَابِ الدُّنْيَا ، وَأَسَالِيبِهَا الرَّدِيئَةِ ؟ .

٩٠ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : يَقُولُ لَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا : إِنَّ لَنَا دَائِرَةً رَسْمِيَّةً ، تُعَلِّمُنَا أَحْكَامَ الدِّينِ ، وَحَقَائِقَ الْإِسْلامِ ؛ فَمَا لَكَ تَقُومُ بِنَشَرَاتٍ دِينِيَّةٍ ؟ . فَيُجِيبُهُمْ بِأَنَّ الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ ، لا تُؤْخَذَانِ تَحْتَ الْحَصْرِ ؛ فَكَيْفَ يُؤْخَذُ الْإِيمَانُ وَالْقُرْآنُ ، تَحْتَ الْحَصْرِ ؟ . وَإِنَّ تِلْكَ الْأَسْرَارَ ، مَوْهِبَةٌ إِلٰهِيَّةٌ تَرِدُ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ ، وَبِالتَّجَرُّدِ عَنِ الدُّنْيَا ، وَحُظُوظَاتِ النَّفْسِ . .

٩١ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : إِنَّ بَعْضَ أَصْدِقَائِي ، يَتَبَرَّؤُونَ عَنِّي ؛ بَلْ يَنْتَقِدُونَنِي ؛ لِيَسْتَحْسِنَهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا ؛ فَأَقُولُ : يَا أَحْبَابِيَ الْأُخْرَوِيِّينَ ! لا تَهْرُبُوا ؛ فَتَبَرَّؤُوا عَنْ خِدْمَتِيَ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُ لا يُصِيبُكُمْ مِنِّي ، ضَرَرٌ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ وَأَيْضاً لا يُوجَدُ شَيْءٌ ؛ حَتّٰى تَقَعُونَ فِي الْأَوْهَامِ . .

٩٢ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : يَقُولُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : أَرٰى فِي فَتْرَةِ نَفْيِي هٰذَا ، أَنَّ بَعْضَ الْمُرَائِينَ السَّاقِطِينَ فِي وَحَلِ السِّيَاسَةِ ، يَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الرَّقِيبِ وَالْمُعَارِضِ ؛ كَأَنَّ لِي عَلاقَةً بِتَيَّارَاتِ الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ ؛ فَيَا أَيُّهَا السَّادَةُ ! إِنِّي فِي تَيَّارِ الْإِيمَانِ ؛ وَأَمَامِي تَيَّارُ الْإِلْحَادِ ؛ فَلا صِلَةَ لِي بِتَيَّارَاتٍ أُخْرٰى . .

٩٢ اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ : لَمَّا كَانَتِ الدُّنْيَا فَانِيَةً ؛ وَالْعُمْرُ قَصِيراً ؛ وَالْوَظَائِفُ اللّازِمَةُ كَثِيرَةً ؛ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ ، تُكْسَبُ هُنَا ؛ فَالْأَسْعَدُ هُوَ الَّذِي لا يَنْسَى الْآخِرَةَ ، لِأَجْلِ

الدُّنْيَا ؛ وَلَا يَفْدِي آخِرَتَهُ لِلدُّنْيَا ؛ وَلَا يُفْسِدُ حَيَاتَهُ الْأَبَدِيَّةَ ، لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؛ فَيَفْتَحُ بَابَ الْقَبْرِ بِالسَّلَامَةِ ؛ وَيَدْخُلُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ . .

٩٣ ذَيْلُ الْمَكْتُوبِ السَّادِسَ عَشَرَ : يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ (رضي الله عنه) : يَتَّقِي أَهْلُ الدُّنْيَا ، مِنْ إِنْسَانٍ غَرِيبٍ عَاجِزٍ مِثْلِي ؛ وَيَقُولُونَ : إِنَّ «السَّعِيدَ» فِي قُوَّةِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ ؛ فَأَقُولُ : يَا أَشْقِيَاءَ أَهْلِ الدُّنْيَا ! لِمَاذَا لَا تَعْلَمُونَ أُمُورَ الدُّنْيَا ؛ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَهَا بِكُلِّ قُوَّتِكُمْ ؛ فَإِنْ كَانَ خَوْفُكُمْ ، عَنْ شَخْصِي ؛ فَإِنَّ جُنْدِيّاً وَاحِداً ، أَقْوَى مِنِّي خَمْسِينَ مَرَّةً ؛ وَإِنْ كَانَ خَوْفُكُمْ ، عَنْ مَسْلَكِي ، وَعَنْ قُوَّتِيَ الْمَعْنَوِيَّةِ ، مِنَ الْإِيمَانِ ، وَعَنْ دَلَالَتِي عَلَى الْقُرْآنِ ؛ أَلَا فَأُنَبِّئُكُمْ أَنِّي فِي قُوَّةِ خَمْسِينَ مِلْيُوناً ، بِاعْتِبَارِ الْمَسْلَكِ ؛ إِذْ إِنِّي أَتَحَدَّى بِقُوَّةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، جَمِيعَ أُورُوبَّا ، بِمَنْ فِيهَا مِنْ مُلْحِدِيكُمْ ؛ فَإِنِّي دَمَّرْتُ بِجَمِيعِ الْأَنْوَارِ الْإِيمَانِيَّةِ ، الَّتِي نَشَرْتُهَا ، حُصُونَهُمُ الْحَصِينَةَ الَّتِي يَدْعُونَهَا بِـ «الطَّبِيعَةِ وَالْفُنُونِ الْمُثْبَتَةِ» ؛ وَقَدْ أَسْقَطْتُ أَكْبَرَ فَلَاسِفَتِهِمُ الْمُلْحِدِينَ ، إِلَى دَرَجَةٍ أَدْنَى مِنَ الْحَيَوَانِ ؛ وَلَئِنِ اجْتَمَعَتْ أُورُوبَّا كُلُّهَا ، بِمَنْ فِيهَا مِنْ مُلْحِدِيكُمْ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصْرِفُونِي عَنْ مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ ، مِنْ مَسْلَكِي ذَلِكَ ؛ وَلَنْ يَغْلِبُونِي ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . .

ثُمَّ يَذْكُرُ ثَمَانِيَةَ أَسْبَابٍ مُهِمَّةٍ ، لِتَرْكِ مُطَالَبَتِهِ لِلْحُكُومَةِ ، وَعَدَمِ تَقْدِيمِ الْعَرِيضَةِ عَلَيْهَا . .

٩٩ اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ : هُوَ رِسَالَةُ تَعْزِيَةِ الْأَطْفَالِ ، وَذَيْلُ اللَّمْعَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ، مِنْ مَجْمُوعَةِ اللَّمَعَاتِ ؛ يَكْتُبُهُ لِأَحَدِ إِخْوَتِهِ الْأُخْرَوِيِّينَ ؛ وَيُبَيِّنُ فِيهِ خَمْسَ نِقَاطٍ تَدُلُّ عَلَى بُشْرَى حَقِيقِيَّةٍ ، لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ . .

١٠٣ اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنَ عَشَرَ : ثَلَاثُ مَسَائِلَ مُهِمَّةٍ . .

١٠٣ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى الْمُهِمَّةُ : أَنَّ أَمْثَالَ (مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ) مِنْ مَشَاهِيرِ الْأَوْلِيَاءِ ، يَبْحَثُونَ عَنْ عَجَائِبَ لَا يَقْبَلُهَا فُنُونُ الْعَصْرِ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُونَ أَهْلَ الْحَقِيقَةِ ، إِذَا

كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ خِلافَ الْوَاقِعِ وَالْحَقِّ؟. فَيُجِيبُ (رضي الله عنه) بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ، وَأَصْحَابُ الشُّهُودِ وَالْوِلَايَةِ؛ وَأَنَّهُمْ رَأَوْا مَا رَأَوْا حَقّاً؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَ أَحْكَامِهِمْ وَتَعْبِيرَاتِهِمْ فِي حَالَةِ الشُّهُودِ، خَطَأٌ. وَإِنَّمَا الْأَصْفِيَاءُ مِنْ وَرَثَةِ النُّبُوَّةِ، هُمُ الَّذِينَ يُعَبِّرُونَ تِلْكَ الْأَحْكَامَ، تَعْبِيراً حَقّاً؛ وَيَذْكُرُ فِي صَدَدِ التَّوْضِيحِ، مَثَلاً رَائِعاً، وَتَمْثِيلاً بَدِيعاً، لِلْفَرْقِ بَيْنَ عَالَمِ الْمَادَّةِ، وَعَالَمِ الْمِثَالِ، وَعَالَمِ الشَّهَادَةِ، وَعَالَمِ الْأَرْوَاحِ..

١٠٦ خَاتِمَةٌ: يُفْهَمُ مِنْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ دَرَجَةَ الشُّهُودِ، أَدْنٰى كَثِيراً، مِنْ دَرَجَةِ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ؛ وَأَنَّ كَشْفِيَّاتِ الْأَوْلِيَاءِ، الَّتِي لا إِحَاطَةَ لَهَا، لا تَبْلُغُ دَرَجَةَ أَحْكَامِ الْأَصْفِيَاءِ وَالْمُحَقِّقِينَ، مِنْ وَرَثَةِ النُّبُوَّةِ؛ وَإِنَّ مِيزَانَ كُلِّ الْأَحْوَالِ وَالْكَشْفِيَّاتِ، هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ وَإِنَّ مِحَكَّهَا، هُوَ دَسَاتِيرُهُمَا الْقُدُسِيَّةُ، وَالْقَوَانِينُ الْقُدْسِيَّةُ، لِلْأَصْفِيَاءِ الْمُحَقِّقِينَ..

١٠٦ اَلْمَسْأَلَةُ الْمُهِمَّةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَسْأَلَةَ (وَحْدَةِ الْوُجُودِ)، تُعَدُّ أَعْلٰى مَقَامٍ، مِنْ طَرَفِ الْكَثِيرِينَ؛ مَعَ أَنَّ هٰذَا الْمَشْرَبَ، لَمْ يُشَاهَدْ صَرَاحَةً، مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَهْلِ الْبَيْتِ، وَمِنَ التَّابِعِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ؛ فَهَلْ سَبَقَهُمْ مَنْ تَلَوْهُمْ؟ وَهَلْ وَجَدُوا جَادَّةً كُبْرٰى، أَكْمَلَ مِنْ جَادَّتِهِمْ؟. وَيُجِيبُ (رضي الله عنه) بِأَنَّهُ لا حَدَّ لِأَحَدٍ، أَنْ يَسْبِقَ أُولٰئِكَ الْأَصْفِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ نُجُومِ شَمْسِ الرِّسَالَةِ؛ بَلْ إِنَّ الْجَادَّةَ الْكُبْرٰى، هِيَ جَادَّتُهُمْ. وَأَمَّا وَحْدَةُ الْوُجُودِ، فَهُوَ مَشْرَبٌ ذُو نَشْوَةٍ، وَحَالٌ ذُو ذَوْقٍ، لا يَخْرُجُ مِنْهُ مَنْ يَدْخُلُهُ؛ فَيَظُنُّهُ مُنْتَهَى الْمَرَاتِبِ. ثُمَّ يُقَرِّبُهَا إِلَى الْفَهْمِ، بِتَمْثِيلَيْنِ، بِمَا لا مَزِيدَ عَلَيْهِ..

١١٠ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ لَمْ يَحُلَّهَا الْعَقْلُ وَالْحِكْمَةُ؛ وَهِيَ سِرُّ هٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةِ الْمُحَيِّرَةِ الْمُتَمَادِيَةِ، وَحِكْمَةُ تَحَرُّكَاتِ هٰذِهِ الْمُتَحَرِّكَاتِ الْمُتَجَدِّدَةِ؛ يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ (رضي الله عنه): يَقْتَضِي إِيضَاحُ هٰذِهِ الْحِكْمَةِ، أَلْفَ صَحِيفَةٍ؛ فَنَتْرُكُ إِيضَاحَهَا؛ وَنُمَكِّنُ

إِجْمَالاً مُخْتَصَراً مِنْهَا لِلْغَايَةِ ، فِي صَحِيفَتَيْنِ . فَيُبَيِّنُ أَنَّ تِلْكَ الْفَعَّالِيَّةَ ، تَسْتَنِدُ إِلَى قِسْمَيْنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، لِحِكْمَتَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ . .

إِحْدَاهُمَا : أَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ ، تَقْتَضِي مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ ، مِنْ أَنْوَاعِ التَّجَلِّي وَالتَّظَاهُرِ بِشَكْلٍ دَائِمٍ . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ الشُّؤُونَ الْإِلٰهِيَّةَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، تَقْتَضِي فَعَّالِيَّةً بِلَا حَدٍّ ، بِشَكْلٍ بِدُونِ حَدٍّ . .

١١٢ اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ : فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ . .

١١٤ اَلْإِشَارَةُ الْأُولَى : فِي إِثْبَاتِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، بِبُرْهَانٍ مُؤَلَّفٍ مِنْ سِتِّ مُقَدِّمَاتٍ عَقْلِيَّةٍ وَحَدْسِيَّةٍ . .

١١٥ اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ : فِي إِثْبَاتِ وُجُودِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، بِالْبَدَاهَةِ . .

١١٧ اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : فِي تَنْوِيعِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَتَقْسِيمِهَا . .

١١٨ اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ : فِي بَيَانِ مُقَدِّمَةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ سِتَّةِ أُسُسٍ مُهِمَّةٍ . .

١٢٦ اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ : فِي ذِكْرِ عِدَّةِ أَمْثِلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ . .

١٢٧ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي سِرِّ تَأَخُّرِ (الْإِمَامِ عَلِيٍّ) (رضي الله عنه) ، وَعَدَمِ تَقَدُّمِهِ فِي الْخِلَافَةِ . .

١٢٨ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي سِرِّ عَدَمِ تَقَرُّرِ الْخِلَافَةِ ، فِي آلِ الْبَيْتِ ، مَعَ لَيَاقَتِهِمْ لَهَا . .

١٢٩ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي بَيَانِ حِكْمَةِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ الْهَائِلَةِ ، وَوَجْهِ رَحْمَتِهَا . .

١٣٣ اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةُ : فِي إِخْبَارِ الْأُمُورِ الاِسْتِقْبَالِيَّةِ . .

١٣٥ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي بَيَانِ الْحُبِّ الْمَشْرُوعِ ، وَغَيْرِ الْمَشْرُوعِ ، لِآلِ الْبَيْتِ . .

١٣٩ صَيْحَةٌ عَلَى الْمُلْحِدِ الْمُتَعَسِّفِ الَّذِي يَقُولُ : «إِنَّ (مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ) كَانَ رَجُلاً عَاقِلاً» . .

١٤١ اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ : فِي ذِكْرِ الْمُعْجِزَاتِ الطَّعَامِيَّةِ ؛ وَفِيهَا مُقَدِّمَةٌ رَادِعَةٌ لِوُرُودِ

الشُّبُهَاتِ عَلَى صِحَّةِ الرِّوَايَةِ ، فِي الْعُصُورِ الْمُتَتَالِيَةِ . .
١٥٠ نُكْتَةٌ مُهِمَّةٌ : فِي تَأَيُّدِ الرِّوَايَاتِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ . .
١٥١ اَلْإِشَارَةُ الثَّامِنَةُ : فِي بَيَانِ الْمُعْجِزَاتِ الْمَائِيَّةِ ؛ وَفِيهَا مُقَدِّمَةٌ تُثْبِتُ قُوَّةَ الرِّوَايَاتِ الْآحَادِيَّةِ الَّتِي لَمْ تُكَذِّبْهَا الْجَمَاعَةُ الْمُسْتَمِعَةُ . .
١٥٧ اَلْإِشَارَةُ التَّاسِعَةُ : فِي ذِكْرِ الْمُعْجِزَاتِ الشَّجَرِيَّةِ . .
١٦١ اَلْإِشَارَةُ الْعَاشِرَةُ : فِي بَيَانِ مُعْجِزَةِ حَنِينِ الْجِذْعِ . .
١٦٣ نُكْتَةٌ مُهِمَّةٌ : فِي بَيَانِ سِرِّ تَوَاتُرِ مُعْجِزَةِ حَنِينِ الْجِذْعِ ، وَعَدَمِ تَوَاتُرِ الْمُعْجِزَاتِ الطَّعَامِيَّةِ وَالْمَائِيَّةِ ، مَعَ وُقُوعِهَا فِي جَمَاعَةٍ أَكْثَرَ . .
١٦٤ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ فِي وُرُودِ الْمُعْجِزَاتِ ، بِعِدَّةِ طُرُقٍ لَا تَبْلُغُ دَرَجَةَ التَّوَاتُرِ ؛ وَفِي بَيَانِ كَثْرَةِ الرِّوَايَةِ عَنْ (أَنَسٍ ، وَجَابِرٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ) ، وَقِلَّةِ الرِّوَايَةِ عَنْ (أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ) ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُم) . .
١٦٥ اَلْإِشَارَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : فِي ذِكْرِ الْمُعْجِزَاتِ الْجَمَادِيَّةِ . .
١٦٨ اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : ثَلَاثَةُ أَمْثِلَةٍ مُهِمَّةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالْإِشَارَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ . .
١٧١ اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : فِي بَيَانِ نَوْعٍ مُتَوَاتِرٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَهُوَ شِفَاءُ الْمَرْضَى وَالْجَرْحَى ، بِنَفْثِهِ الْمُبَارَكِ . .
١٧٤ جُزْءٌ يَجْدُرُ أَنْ يُكْتَبَ بِالذَّهَبِ وَالْأَلْمَاسِ . .
١٧٥ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي حَقِّ الْأُمُورِ الْمُتَوَاتِرَةِ . .
١٧٨ اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : فِي بَيَانِ الْخَوَارِقِ الظَّاهِرَةِ بِدُعَائِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؛ وَهُوَ نَوْعٌ عَظِيمٌ ، مِنْ أَنْوَاعِ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ . .
١٨٨ اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : ثَلَاثُ شُعَبٍ . .
١٨٨ اَلشُّعْبَةُ الْأُولَى : فِي الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا جِنْسُ الْحَيَوَانَاتِ . .

١٩١ اَلشُّعْبَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الْجَنَائِزَ وَالْجِنَّ وَالْمَلائِكَةَ ، تَعْرِفُ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . .

١٩٦ اَلشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ : فِي بَيَانِ حِفْظِهِ وَعِصْمَتِهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . .

٢٠٠ اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : فِي الْخَوَارِقِ الَّتِي ظَهَرَتْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، الَّتِي تُسَمّٰى بِالْإِرْهَاصَاتِ ؛ وَهِيَ ثَلاثَةُ أَقْسَامٍ . .

٢٠٠ اَلْقِسْمُ الْأَوَّلُ : مَا أَخْبَرَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ ، وَصُحُفُ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، بِنَصِّ الْقُرْآنِ ؛ وَفِيهِ ثَلاثُ حُجَجٍ . .

٢٠١ اَلْحُجَّةُ الْأُولٰى : التَّحَدِّي بِتَصْدِيقِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ السَّالِفَةِ . .

٢٠١ اَلْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ : اسْتِنْبَاطُ (الْحُسَيْنِ الْجِسْرِيِّ) (رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ) ، مِئَةً وَعَشَرَةَ دَلَائِلَ لِلنُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، فِي تِلْكَ الْكُتُبِ الْمَذْكُورَةِ ، وَاعْتِرَافُ كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارٰى ، بِوُجُودِ الْأَوْصَافِ النَّبَوِيَّةِ ، فِي كُتُبِهِمْ . .

٢٠٤ اَلْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ : فِي ذِكْرِ عِدَّةِ أَمْثِلَةٍ مِنْ آيَاتِ (التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ) ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِنَبِيِّنَا (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . .

٢١٠ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي سِرِّ تَبْشِيرِ عِيسٰى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، بِمَجِيءِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . .

٢١١ اَلْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْإِرْهَاصَاتِ : إِخْبَارُ الْكُهَّانِ وَالْعَارِفِينَ بِاللهِ . .

٢١٥ اَلْقِسْمُ الثَّالِثُ مِنَ الْإِرْهَاصَاتِ : مَا حَدَثَ مِنَ الْخَوَارِقِ ، حِينَ الْوِلَادَةِ النَّبَوِيَّةِ . .

٢١٨ اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : مِنْ أَعْظَمِ مُعْجِزَاتِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، بَعْدَ الْقُرْآنِ ، هِيَ ذَاتُهُ وَمَا فِيهَا ، مِنَ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ . . وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْعُظْمٰى ، شَرِيعَتُهُ الْكُبْرٰى الَّتِي لَمْ يَأْتِ مِثْلُهَا ؛ وَلَنْ يَأْتِيَ . . وَمِنْهَا شَقُّ الْقَمَرِ ؛ وَهِيَ مُعْجِزَةٌ كُبْرٰى مُتَوَاتِرَةٌ وَقَاطِعَةٌ . .

٢٢٠ اَلْإِشَارَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، (الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ) الَّذِي هُوَ

أَعْظَمُ مُعْجِزَةٍ أَبَدِيَّةٍ جَامِعَةٍ ؛ وَفِيهَا ثَلاثُ نِكَاتٍ . .
٢٢٠ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : فِي إِظْهَارِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ فِي الْبَلاغَةِ ، إِزَاءَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ طَبَقَةً ، مِنْ أَرْبَعِينَ طَبَقَةً مِنَ النَّاسِ . .
٢٢٦ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : فِي إِفْحَامِ الْقُرْآنِ ، جَمِيعَ الطَّوَائِفِ الْمُعَارِضَةِ ، بِالتَّحَدِّي بِإِتْيَانِ مِثْلِهِ أَوْ بَعْضٍ مِنْهُ ، بِثَمَانِي مَرَاتِبَ مِنَ التَّحَدِّي ، لِإِظْهَارِ آخِرِ عَجْزِهِمْ . .
٢٣٠ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : إِجْمَالٌ مُلَخَّصٌ ، لِمَاهِيَّةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ . .
٢٣٣ اَلْإِشَارَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : إِجْمَالٌ مُلَخَّصٌ ، لِخُلاصَةِ مَعْرِفَةِ ذَاتِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) ، فِي خَمْسَةَ عَشَرَ أَسَاساً . .
٢٣٨ إِكْرَامٌ إِلٰهِيٌّ فِي تَأْلِيفِ هٰذَا الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ فِي الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ . .
٢٤٠ اَلْمَكْتُوبُ الْعِشْرُونَ : فِيهِ مُقَدِّمَةٌ وَمَقَامَانِ . .
٢٤٠ اَلْمُقَدِّمَةُ : فِي بَيَانِ دَرَجَةِ قِيمَةِ الْإِيمَانِ بِاللهِ ، وَمَعْرِفَةِ اللهِ ، وَمَحَبَّةِ اللهِ ، وَمَا فِي تِلْكَ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللَّذَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ . .
٢٤١ اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ : فِي بَيَانِ مَا فِي الْكَلِمَاتِ الْإِحْدٰى عَشْرَةَ ، مِنْ (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ) إِلٰى آخِرِهَا ، مِنَ الْبِشَارَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الشِّفَاءِ ، وَمَا فِيهِ مِنَ اللَّذَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ . .
٢٤٨ اَلْمَقَامُ الثَّانِي : يُشِيرُ بِاخْتِصَارٍ ، إِلٰى إِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ ، بِاعْتِبَارِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ . .
٢٤٨ اَلْكَلِمَةُ الْأُولٰى : (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) ؛ فِيهَا تَوْحِيدُ أُلُوهِيَّةٍ وَعُبُودِيَّةٍ . .
٢٤٩ اَلْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ : (وَحْدَهُ) ؛ يُشِيرُ فِيهَا إِلٰى بُرْهَانٍ قَوِيٍّ لِمَرْتَبَةِ التَّوْحِيدِ . .
٢٥٠ اَلْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ : (لَا شَرِيكَ لَهُ) ؛ أَثْبَتَهَا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ . .
٢٥٠ اَلْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ : (لَهُ الْمُلْكُ) ؛ يَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ ، لِهٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ ، حُجَّةً كُبْرٰى . .
٢٥٦ اَلْكَلِمَةُ الْخَامِسَةُ : (لَهُ الْحَمْدُ) ؛ يَذْكُرُ بُرْهَاناً أَعْظَمَ ، لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ . .
٢٥٩ اَلْكَلِمَةُ السَّادِسَةُ : (يُحْيِي) ؛ يَذْكُرُ لِهٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ ، بُرْهَاناً أَعْظَمَ . .

٢٦٠ اَلْكَلِمَةُ السَّابِعَةُ : (يُمِيتُ) ؛ يُشِيرُ الْمُؤَلِّفُ ، إِلَى بُرْهَانٍ قَوِيٍّ ، لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ . .

٢٦١ اَلْكَلِمَةُ الثَّامِنَةُ : (وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ) ؛ يُثْبِتُ الْمُؤَلِّفُ ، حَيَاةَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، بِبُرْهَانٍ مُؤَلَّفٍ مِنْ مُقَدِّمَاتٍ حَدْسِيَّةٍ مُتَسَلْسِلَةٍ . .

٢٦٣ اَلْكَلِمَةُ التَّاسِعَةُ : (بِيَدِهِ الْخَيْرُ) ؛ يَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ ، عِدَّةَ أَمَارَاتٍ تُشِيرُ إِلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ . .

٢٦٦ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي لُزُومِ الْإِرَادَةِ مَعَ الْعِلْمِ ؛ وَإِثْبَاتِ الْإِرَادَةِ بِالدَّلَائِلِ . .

٢٦٧ اَلْكَلِمَةُ الْعَاشِرَةُ : (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ؛ يُبَيِّنُ الْمُؤَلِّفُ (رضي الله عنه) ، مِنْ أَسْرَارِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعُظْمَى ، خَمْسَةَ أَسْرَارٍ ، فِي خَمْسِ نِكَاتٍ ؛ وَيَذْكُرُ فِي النُّكْتَةِ الثَّالِثَةِ ، ثَلَاثَةَ مَنَابِعَ ؛ وَهِيَ إِمْدَادُ الْوَاحِدِيَّةِ ، وَيُسْرُ الْوَحْدَةِ ، وَتَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ ؛ وَهِيَ مِمَّا اخْتُصَّتْ بِهَا ، رَسَائِلُ النُّورِ ، مِنَ الْاِكْتِشَافَاتِ ؛ وَيُبَيِّنُ فِي النُّكْتَةِ الرَّابِعَةِ ، ثَلَاثَةَ أَسْرَارٍ ؛ وَهِيَ الْوُجُوبُ مَعَ التَّجَرُّدِ ، وَمُبَايَنَةُ الْمَاهِيَّةِ مَعَ عَدَمِ التَّقَيُّدِ ، وَعَدَمُ التَّحَيُّزِ مَعَ عَدَمِ التَّجَزُّؤِ ؛ وَهٰذِهِ الْأَسْرَارُ أَيْضاً ، كَشْفِيَّاتٌ جَدِيدَةٌ ، لِرَسَائِلِ النُّورِ وَحْدَهَا . .

٢٧٦ اَلْكَلِمَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) ؛ يُفَوِّضُ الْكَلَامَ فِي إِثْبَاتِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، إِلَى الْمَقَالَتَيْنِ الْعَاشِرَةِ ، وَالتَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ وَيُلَخِّصُ حُجَّةً جَامِعَةً . .

٢٧٨ ذَيْلُ الْكَلِمَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ ؛ وَهِيَ رِسَالَةٌ قَوِيَّةٌ فِي التَّوْحِيدِ ؛ تُثْبِتُ بِثَلَاثَةِ تَمْثِيلَاتٍ ، وَجْهَ السُّهُولَةِ فِي التَّوْحِيدِ ، وَسِرَّ الصُّعُوبَةِ فِي الشِّرْكِ . .

٢٨٤ اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ : يُفَسِّرُ آيَةَ ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، تَفْسِيراً بَدِيعاً ؛ وَيُبَيِّنُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْعُلْيَا فِي الدُّنْيَا ، هِيَ شَفَقَةُ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ؛ وَأَنَّ أَعْلَى الْحُقُوقِ ، هُوَ حَقُّ حُرْمَتِهِمْ ، لِتِلْكَ الشَّفَقَةِ . .

٢٨٨ اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ : مَبْحَثَانِ . .

٢٨٨ اَلْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : يَدْعُو أَهْلَ الْإِيمَانِ ، إِلَى الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ ؛ وَيُبَيِّنُ أَنَّ التَّحَزُّبَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعَدَاءِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، ظُلْمٌ وَسُمٌّ لِلْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ وَيَذْكُرُ مِنْ وُجُوهِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، خَمْسَةَ أَوْجُهٍ . .

٢٨٩ اَلْوَجْهُ الْأَوَّلُ : يُثْبِتُ أَنَّهُ ظُلْمٌ فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَيَذْكُرُ لِذٰلِكَ ، تَمْثِيلاً بَدِيعاً . .

٢٨٩ اَلْوَجْهُ الثَّانِي : يُثْبِتُ أَنَّهُ ظُلْمٌ فِي نَظَرِ الْحِكْمَةِ أَيْضاً ؛ وَيَذْكُرُ لِذٰلِكَ ، دَلِيلاً قَوِيّاً ، وَتَمْثِيلاً عَجِيباً ، يُقْنِعَانِ الْقَلْبَ وَالْعَقْلَ . .

٢٩٠ اَلْوَجْهُ الثَّالِثُ : يُبَيِّنُ أَنَّ تَعْمِيمَ الْعَدَاوَةِ لِصِفَةٍ مُجْرِمَةٍ ، عَلٰى سَائِرِ الصِّفَاتِ الْمَعْصُومَةِ فِي الْمُؤْمِنِ ، ظُلْمٌ مُبَالَغٌ . .

٢٩١ اَلْوَجْهُ الرَّابِعُ : يُبَيِّنُ أَنَّهُ ظُلْمٌ أَيْضاً ، فِي نَظَرِ الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ ؛ وَيَذْكُرُ لِبَيَانِهِ ، عِدَّةَ دَسَاتِيرَ مُهِمَّةٍ تَكُونُ أَسَاساً لِهٰذَا الْوَجْهِ . .

٢٩٤ حَادِثَةٌ هِيَ مَحَلُّ تَدَبُّرٍ . .

٢٩٤ اَلْوَجْهُ الْخَامِسُ : يُبَيِّنُ أَنَّ الْعِنَادَ وَالتَّحَزُّبَ ضَارٌّ جِدّاً ، حَسَبَ الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ . .

٢٩٤ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي حَقِّ الاِخْتِلَافِ الْإِيجَابِيِّ وَالسَّلْبِيِّ ، وَالاِخْتِلَافِ بِاسْمِ الْحَقِّ ، وَالاِخْتِلَافِ بِاسْمِ النَّفْسِ . .

٢٩٦ حَادِثَةٌ هِيَ مَحَلُّ عِبْرَةٍ . .

٢٩٦ قِصَّةٌ هِيَ مَدَارُ دِقَّةٍ . .

٢٩٦ حَالَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ هِيَ مَحَلُّ تَأَسُّفٍ ؛ وَمَرَضٌ اجْتِمَاعِيٌّ مُدْهِشٌ يُبْكِي قَلْبَ الْإِسْلَامِ . .

٢٩٦ حِكَايَةٌ هِيَ مَدَارُ عِبْرَةٍ . .

٢٩٧ نِدَاءُ الْمُؤَلِّفِ ، لِلْمُؤْمِنِينَ لِلتَّيَقُّظِ وَالْحَذَرِ . .

٢٩٨ اَلْوَجْهُ السَّادِسُ : يُبَيِّنُ أَنَّ الْعَدَاوَةَ تُزَلْزِلُ الْحَيَاةَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، وَصِحَّةَ الْعُبُودِيَّةِ . .

٢٩٩ اَلْمَبْحَثُ الثَّانِي : يُبَيِّنُ مَدٰى ضَرَرِ الْحِرْصِ ، لِحَيَاةِ الْإِسْلَامِ ، بِقَدَرِ الْعَدَاوَةِ ؛ وَيَذْكُرُ

لِلتَّوْضِيحِ ، حِرْصَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَحِرْصَ السِّبَاعِ الْمُفْتَرِسَةِ ، الْمُوجِبَ لِمَتَاعِبَ كَثِيرَةٍ ، وَلِرِزْقٍ خَبِيثٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ ؛ وَكَذَا حِرْصُ قَوْمِ الْيَهُودِ ، الْمُوجِبُ لِذِلَّتِهِمْ وَمَسْكَنَتِهِمْ ؛ ثُمَّ يَذْكُرُ رُؤْيَا عَجِيبَةً ، فِي حَقِّ الزَّكَاةِ ، رَآهَا الْمُؤَلِّفُ ، فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى . .

٣٠٤ خَاتِمَةٌ : فِي حَقِّ الْغِيبَةِ ؛ تُبَيِّنُ زَجْرَ الْآيَةِ ، عَنِ الْغِيبَةِ ، فِي سِتَّةِ أَوْجُهٍ ، بِصُورَةٍ مُعْجِزَةٍ ؛ وَأَنَّ الْغِيبَةَ أَمْرٌ شَنِيعٌ فِي نَظَرِ الْقُرْآنِ . .

٣٠٧ اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ : فِيهِ سَبْعَةُ أَسْئِلَةٍ . .

٣٠٨ اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : فِي كَيْفِيَّةِ أَحْسَنِ مَا يَدْعُو الْمُؤْمِنُ ، لِلْمُؤْمِنِ . .

٣٠٩ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : هَلْ يُقَالُ : (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، لِغَيْرِ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ ؟ . فَيُجِيبُ بِأَنَّ ذٰلِكَ ، لَيْسَ شِعَاراً مَخْصُوصاً بِالْأَصْحَابِ ؛ بَلْ يَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ ، لِلْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ ، وَالشَّيْخِ الْكِيلَانِيِّ ، وَالْإِمَامِ الْغَزَّالِيِّ ، وَالْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ ، وَأَمْثَالِهِمْ ؛ (رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُمْ) . .

٣٠٩ اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : هَلْ أَئِمَّةُ الْمُجْتَهِدِينَ أَفْضَلُ ، أَمْ أَقْطَابُ الطُّرُقِ ؟ . فَيُجِيبُ بِأَنَّ الْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ ، أَفْضَلُ بَعْدَ الصَّحَابَةِ وَالْمَهْدِيِّ . .

٣١٠ اَلسُّؤَالُ الرَّابِعُ : مَا هِيَ حِكْمَةُ الْمَعِيَّةِ فِي آيَةِ ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ؟ . فَيُجِيبُ بِأَنَّ الصَّابِرَ يُرَاعِي حِكْمَةَ التَّرْتِيبِ وَالتَّأَنِّي فِي الْأُمُورِ ؛ فَيَكُونُ تَوْفِيقُ اللهِ تَعَالٰى مَعَهُ ؛ وَيُبَيِّنُ أَنَّ الصَّبْرَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : الصَّبْرُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ؛ وَهُوَ التَّقْوٰى ؛ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ ؛ وَهُوَ التَّوَكُّلُ وَالتَّسْلِيمُ ؛ وَالصَّبْرُ عَلَى الْعِبَادَةِ ؛ وَهُوَ مَقَامُ الْمَحْبُوبِ . .

٣١٠ اَلسُّؤَالُ الْخَامِسُ : كَيْفَ كَانَ يَعْبُدُ «النَّبِيُّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) قَبْلَ النُّبُوَّةِ ؟ . فَيُجِيبُ بِأَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ بِبَقِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، عَلٰى وَجْهِ النَّدْبِ . .

٣١١ اَلسُّؤَالُ السَّادِسُ : مَا هِيَ حِكْمَةُ الْبِعْثَةِ عَلٰى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ ؟ . فَيُجِيبُ بِأَنَّ لَهَا

حِكَماً كَثِيرَةً ؛ مِنْهَا : أَنَّ الْمَلَكَاتِ الْعَقْلِيَّةَ ، وَالِاسْتِعْدَادَاتِ الْقَلْبِيَّةَ ، تَنْكَشِفُ وَتَكْمُلُ فِي سِنِّ الْأَرْبَعِينَ ؛ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَ أَعْبَاءَ الرِّسَالَةِ . .

٣١٢ اَلسُّؤَالُ السَّابِعُ : فِي حَقِّ حَدِيثِ ﴿خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُولِكُمْ﴾ إِلَى آخِرِهِ ؛ فَيُبَيِّنُ الْمُرَادَ مِنَ الْحَدِيثِ ؛ وَيُلْحِقُ الْمُؤَلِّفُ ، بِهٰذَا السُّؤَالِ السَّابِعِ ، مَسْأَلَةً ثَامِنَةً فِي بَيَانِ نُكْتَةٍ إِعْجَازِيَّةٍ ، فِي دُعَاءِ يُوسُفَ (عليه السلام) فِي آيَةِ ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ، وَإِظْهَارِ صِدِّيقِيَّتِهِ ، بِتَرْجِيحِهِ الْوَفَاةَ ، عَلَى الْحَيَاةِ . .

٣١٤ اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : يَحُلُّ أَغْمَضَ مُعَمَّى الْكَوْنِ ؛ وَهُوَ تَحَوُّلُ الْمَخْلُوقَاتِ ، بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ؛ وَتَقَلُّبُ الْمَوْجُودَاتِ ، فِي الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ؛ وَيَفْتَحُ تِلْكَ الْعُقْدَةَ الْمُعْضِلَةَ ، بِخَمْسَةِ رُمُوزٍ تُظْهِرُ الدَّاعِيَ وَالْمُقْتَضِيَ ، وَبِخَمْسِ إِشَارَاتٍ تُبَيِّنُ الْغَايَاتِ وَالْفَوَائِدَ ؛ وَهُوَ مَقَامَانِ . .

٣١٥ اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ : خَمْسَةُ رُمُوزٍ . .

٣١٥ اَلرَّمْزُ الْأَوَّلُ : يُبَيِّنُ أَنَّ الصَّانِعَ ذَا الْجَلَالِ ، اتَّخَذَ مَاهِيَّةَ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ، مِقْيَاساً ؛ فَيُلْبِسُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، لَاسِيَّمَا ذِي حَيَاةٍ ، لِبَاسَ بَدَنٍ مُرَصَّعٍ بِالْحَوَاسِّ ، لِإِظْهَارِ كَمَالَاتِ صَنْعَتِهِ ، بِنُقُوشِ أَسْمَائِهِ ؛ فَيَصْنَعُ عَلَيْهِ ، نُقُوشاً بِقَلَمِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ؛ فَيُظْهِرُ جَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ ؛ وَيُعْطِي كُلَّ مَوْجُودٍ ، كَمَالاً وَلَذَّةً وَفَيْضاً يَلِيقُ بِهِ ؛ لِيَكُونَ أَجْراً لَهُ . .

٣١٦ اَلرَّمْزُ الثَّانِي : يُثْبِتُ بِاسْتِنْتَاجٍ حَدْسِيٍّ : أَنَّ الشُّؤُونَ الْإِلٰهِيَّةَ الَّتِي يَضِيقُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا ، مِنَ الشَّفَقَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَالْمَحَبَّةِ الْمُنَزَّهَةِ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُمَا ، مِنَ الشَّوْقِ الْمُقَدَّسِ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ ، مِنَ السُّرُورِ الْمُقَدَّسِ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ ، مِنَ اللَّذَّةِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَمَا يَتْبَعُهَا ، مِنَ الِامْتِنَانِ وَالِافْتِخَارِ الْمُقَدَّسَيْنِ ـ إِنْ جَازَ التَّعْبِيرُ ـ تَقْتَضِي تِلْكَ الشُّؤُونُ الْمُقَدَّسَةُ ، فَعَّالِيَّةً لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَتَقْتَضِي تِلْكَ الْفَعَّالِيَّةُ ، تَبْدِيلاً وَتَغْيِيراً ، وَتَحْوِيلاً وَتَخْرِيباً ؛ وَهٰذِهِ تَقْتَضِي الْمَوْتَ وَالزَّوَالَ . . ثُمَّ يُبَيِّنُ

الْمُؤَلِّفُ ، إفْلاَسَ حِكْمَةِ الْفَلْسَفَةِ ؛ وَيَقُولُ : ثُمَّ أَمَدَّنِي اسْمُ الْحَكِيمِ ، بِإرَاءَةِ الْمُقْتَضِيَاتِ وَالْغَايَاتِ الْمُقْتَضِيَةِ وَالْمُسْتَدْعِيَةِ لِهٰذَا التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ السَّرِيعِ ، بَيْنَ الْفَعَّالِيَّةِ الْمُحَيِّرَةِ ، فِي صَنْعَةِ الْأَشْيَاءِ وَإِيجَادِهَا . .

٣١٨ اَلرَّمْزُ الثَّالِثُ : يُبَيِّنُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ ، لاَ تَسِيرُ إِلَى الزَّوَالِ وَالْعَدَمِ ؛ بَلْ تَمْضِي مِنْ دَائِرَةِ الْقُدْرَةِ ، إِلٰى دَائِرَةِ الْعِلْمِ ؛ وَتَذْهَبُ مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ وَتَتَوَجَّهُ مِنْ عَالَمِ التَّغْيِيرِ وَالْفَنَاءِ ، إِلٰى عَالَمِ النُّورِ وَالْبَقَاءِ . .

٣٢٠ اَلرَّمْزُ الرَّابِعُ : يُبَيِّنُ أَنَّ لِأَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنٰى ، تَجَلِّيَاتٍ مُتَنَوِّعَةً لاَ يَحْصُرُهَا الْحَدُّ وَالْحِسَابُ ؛ وَأَنَّ تَنَوُّعَ الْمَخْلُوقَاتِ ، يَنْشَأُ عَنْ تَنَوُّعِ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ . .

٣٢٠ اَلرَّمْزُ الْخَامِسُ : نُكْتَتَانِ . .

٣٢٠ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : تُبَيِّنُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْحَقُّ تَعَالٰى مَوْجُوداً ؛ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُوداً ؛ وَإِذَا وُجِدَ الاِنْتِسَابُ إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ يَكُونُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ ، مَوْجُودَةً لِكُلِّ شَيْءٍ ، بِسِرِّ وَحْدَةِ الاِنْتِسَابِ ؛ فَتَكُونُ الْكَائِنَاتُ ، مَالِئَةً بِأَنْوَارِ الْوُجُودِ . .

٣٢٢ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ لِلدُّنْيَا وَالْأَشْيَاءِ ، ثَلاَثَةَ أَوْجُهٍ : الْأَوَّلُ يَنْظُرُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَالثَّانِي يَنْظُرُ إِلَى الْآخِرَةِ وَعَالَمِ الْبَقَاءِ ؛ وَالثَّالِثُ يَنْظُرُ إِلَى الْفَانِينَ . .

٣٢٣ اَلْمَقَامُ الثَّانِي : مُقَدِّمَةٌ وَخَمْسُ إِشَارَاتٍ . وَالْمُقَدِّمَةُ مَبْحَثَانِ . .

٣٢٣ اَلْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : يَبْحَثُ أَنَّ بَعْضَ تَمْثِيلاَتٍ ، مِنْ قَبِيلِ نَظَّارَاتٍ صَغِيرَةٍ ، لِرَصْدِ شُؤُونِ الرُّبُوبِيَّةِ ، لاَ تَحْوِي حَقِيقَةَ تِلْكَ الشُّؤُونِ ؛ وَلاَ تُحِيطُ بِهَا ؛ وَلٰكِنْ تَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ وَإِنَّ مَا لاَ يُنَاسِبُ شُؤُونَ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، مِنَ التَّعْبِيرَاتِ ، عَائِدَةٌ إِلٰى قِصَرِ التَّمْثِيلاَتِ . .

٣٢٤ اَلْمَبْحَثُ الثَّانِي : يَذْكُرُ أَنَّ لِكُلِّ ثَمَرَةٍ وَزَهْرَةٍ ، غَايَاتٍ وَحِكَماً ، مِقْدَارَ أَثْمَارِ الشَّجَرَةِ وَأَزْهَارِهَا ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْحِكَمَ ، ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ : قِسْمٌ يَنْظُرُ إِلَى الصَّانِعِ ؛ وَقِسْمٌ يَنْظُرُ إِلَى ذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَقِسْمٌ يَنْظُرُ إِلٰى نَفْسِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ . وَفِيهِ خَمْسُ

إِشَارَاتٍ . .
اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى : تُفِيدُ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ ، بَعْدَ انْطِلاقِهِ عَنِ الْوُجُودِ ، يَذْهَبُ إِلَى الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ ظَاهِراً ؛ وَلٰكِنْ تَبْقَى وَتُحْفَظُ الْمَعَانِي الَّتِي أَفَادَهَا ؛ فَيَفْقِدُ وُجُوداً صُورِيّاً ؛ وَيَكْسِبُ مِئَاتِ وُجُودٍ مَعْنَوِيٍّ وَعِلْمِيٍّ . . ٣٢٥
اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ : تُشِيرُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، جُزْئِيّاً أَوْ كُلِّيّاً ، يُنْتِجُ كَثِيراً مِنَ الْحَقَائِقِ الْغَيْبِيَّةِ ، مَعَ الصُّوَرِ الَّتِي يَتْرُكُهَا بِعَدَدِ أَطْوَارِ حَيَاتِهِ ، عَلَى الْأَلْوَاحِ الْمِثَالِيَّةِ . . ٣٢٦
اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : تُفِيدُ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْمَلٌ وَمَزْرَعَةٌ ، تُنْتِجُ مَحْصُولاتٍ مُنَاسِبَةً بِسُوقِ الْآخِرَةِ . . ٣٢٦
اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ : تُفِيدُ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ ، تُسَبِّحُ بِأَطْوَارِ حَيَاتِهَا ، أَنْوَاعاً عَدِيدَةً مِنَ التَّسْبِيحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ وَأَنَّهَا تُظْهِرُ أَحْوَالاً تَقْتَضِيهَا الْأَسْمَاءُ الْإِلٰهِيَّةُ . . ٣٢٧
اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ : تُفِيدُ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ ، وَذَوِي الْحَيَاةِ خَاصَّةً ، تُنْتِجُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً بَاقِيَةً ؛ وَتَتْرُكُ أَحْوَالاً وَأَطْوَاراً مُفَصَّلَةً تُمَثِّلُ وُجُودَهَا الْخَارِجِيَّ ، فِي دَوَائِرِ الْوُجُودِ الْعِلْمِيِّ ، كَـ «الْإِمَامِ الْمُبِينِ ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، وَاللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ» . . ٣٢٨
اَلذَّيْلُ الْأَوَّلُ لِلْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ : يُبَيِّنُ خَمْسَ نُكَتٍ ، مِنْ آيَةِ ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ . . ٣٣٢
اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : تُبَيِّنُ أَنَّ الدُّعَاءَ سِرٌّ عَظِيمٌ لِلْعُبُودِيَّةِ ، بَلْ فِي حُكْمِ رُوحِهَا ؛ وَأَنَّ الدُّعَاءَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ : الْأَوَّلُ : مَا يَكُونُ بِلِسَانِ الْاِسْتِعْدَادِ ، كَدُعَاءِ الْحُبُوبِ وَالْبُذُورِ ؛ وَالثَّانِي : مَا يَكُونُ بِلِسَانِ الْاِحْتِيَاجِ الْفِطْرِيِّ ، كَدُعَاءِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَالثَّالِثُ : دُعَاءُ ذَوِي الشُّعُورِ ، فِي دَائِرَةِ الْاِحْتِيَاجِ . . ٣٣٢
اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : تُبَيِّنُ عَظَمَةَ تَأْثِيرِ الدُّعَاءِ ، لَاسِيَّمَا إِذَا دَامَ وَاكْتَسَبَ كُلِّيَّةً . . ٣٣٣
سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي لُزُومِ زِيَادَةِ الصَّلَوَاتِ وَالدَّعَوَاتِ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) . . ٣٣٤
سُؤَالٌ وَجَوَابٌ : فِي الدُّعَاءِ لِمَا يَقَعُ قَطْعاً ، كَمَا فِي الْخُسُوفَيْنِ . . ٣٣٥

٣٣٥ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : فِي قَبُولِ الدُّعَاءِ الْقَوْلِيِّ الِاخْتِيَارِيِّ . .
٣٣٥ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : فِيمَا هُوَ أَحْسَنُ ثَمَرَاتِ الدُّعَاءِ ، وَأَلْطَفُهَا . .
٣٣٦ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : فِي بَيَانِ كَوْنِ الدُّعَاءِ ، رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ ، وَنَتِيجَةَ إِيمَانٍ خَالِصٍ . .
٣٣٧ اَلذَّيْلُ الثَّانِي ، لِلْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ : فِي حَقِّ الْمِعْرَاجِ النَّبَوِيِّ ، فِيمَا كَتَبَهُ «سُلَيْمَانُ الْفَاضِلُ» ، مِنَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ . وَفِيهِ خَمْسُ نِكَاتٍ . .
٣٣٧ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : فِي تَأْوِيلِ قِصَّةِ عِشْقِ الْبُرَاقِ ، لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (ﷺ) . .
٣٣٨ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : فِي تَأْوِيلِ التَّعْبِيرِ بِالْعِشْقِ عَنْ مَحَبَّةِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، وَبَيَانِ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ لِمَحَبَّتِهِ تَعَالٰى ؛ وَأَنَّ «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عليه الصلاة والسلام) فِي الْمَقَامِ الْأَعْلٰى مِنْهَا . .
٣٤٠ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ تِلْكَ الْقِصَصَ الْمَذْكُورَةَ فِي قِسْمِ الْمِعْرَاجِ ، لَا تُفِيدُ الْحَقَائِقَ الْقُدُسِيَّةَ ، بِالْمَعَانِي الْمَعْلُومَةِ ؛ بَلْ هِيَ عَنَاوِينُ الْمُلَاحَظَةِ ، وَمَرَاصِيدُ التَّفَكُّرِ ، تُفِيدُ ذَوْقاً إِيمَانِيّاً ، وَنَشْوَةً رُوحِيَّةً لِلْقُلُوبِ ؛ فَهِيَ مِنْ قَبِيلِ الْمُتَشَابِهَاتِ . .
٣٤٠ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : فِي تَحْقِيقِ سِرِّ التَّوْفِيقِ بَيْنَ الْبُعْدِ الْبَعِيدِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ ، وَبَيْنَ الْقُرْبِ الْأَقْرَبِ إِلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، مِنْ نَفْسِهِ . .
٣٤١ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : فِي بَيَانِ كَوْنِ تِلَاوَةِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ ، عَادَةً إِسْلَامِيَّةً حَسَنَةً وَنَافِعَةً ، وَمَدَارَ صُحْبَةٍ حُلْوَةٍ ، لِلْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . .
٣٤٢ اَلْخَاتِمَةُ : تُثْبِتُ بِبُرْهَانٍ مُسَلْسَلٍ : أَنَّ الْفَرْدَ الْأَكْمَلَ فِي الْعَالَمِ ، وَالْمَظْهَرَ لِتَجَلِّي الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، وَالْجَامِعَ لِلْكَمَالَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْكَوْنِ ، هُوَ «مُحَمَّدٌ» (عليه الصلاة والسلام) . .
٣٤٤ اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ : كَانَ مَنْوِيّاً أَنْ يُؤَلَّفَ فِي حَقِّ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ نُكْتَةً ، مِنْ سُورَةِ (يٰسٓ) ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يُحْسَنْ بِهَا . .
٣٤٥ اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ : أَرْبَعَةُ مَبَاحِثَ . .

٣٤٥ اَلْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : وَاقِعَةٌ فِكْرِيَّةٌ تَرُدُّ عَلٰى دَسِيسَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ ، بَيْنَ الْمُحَاكَمَةِ الْحِيَادِيَّةِ ، فِي حَقِّ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ نَاظَرَ فِيهَا الْمُؤَلِّفُ ، هَاتِفاً شَيْطَانِيّاً ؛ وَأَفْحَمَهُ فِيهَا . .

٣٥٤ إِعْتِرَاضٌ صَغِيرٌ لِلشَّيْطَانِ ، فِي حَقِّ هٰذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ، فِي سُورَةِ قٓ : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ إِلٰى قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ، وَيُجِيبُ عَلَيْهِ بِأَنَّ أَهَمَّ أُسُسِ الْإِعْجَازِ ، بَعْدَ الْبَلَاغَةِ ، هُوَ الْإِيجَازُ ، لِتَسْيِيرِ الْفِكْرِ عَلٰى تِلْكَ الْاِنْقِلَابَاتِ الْهَائِلَةِ . .

٣٥٦ اَلْمَبْحَثُ الثَّانِي : يَبْحَثُ عَنْ تَأْثِيرِ قُوَّةِ قُدُسِيَّةِ الْمَأْخَذِ ، فِي قُوَّةِ بَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ ؛ وَإِذَا أَظَلَّ الدَّلَّالُ وَالْوَكِيلُ ؛ يَغِيبُ ذٰلِكَ التَّأْثِيرُ الْقُدُسِيُّ ؛ وَيُبَيِّنُ ثَلَاثَ شَخْصِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ لِلْمُؤَلِّفِ . . الْأُولٰى : شَخْصِيَّةُ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَالثَّانِيَةُ : شَخْصِيَّةُ الْعُبُودِيَّةِ ؛ وَالثَّالِثَةُ : الشَّخْصِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ . .

٣٥٨ اَلْمَبْحَثُ الثَّالِثُ : يُفَسِّرُ آيَةَ ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثٰى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ وَهُوَ سَبْعُ مَسَائِلَ . .

٣٥٩ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : تُبَيِّنُ اضْطِرَارَ الْمُؤَلِّفِ ، إِلٰى كِتَابَةِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْعَالِيَةِ ، لِهٰذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ؛ وَذٰلِكَ لِدَفْعِ هَجَمَاتٍ ظَالِمَةٍ . .

٣٥٩ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : تُبَيِّنُ سِرَّ انْقِسَامِ الْهَيْئَةِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الطَّوَائِفِ وَالْقَبَائِلِ ، كَتَقْسِيمِ الْجَيْشِ إِلَى الْأَلْوِيَةِ حَتَّى الْفَصَائِلِ . .

٣٥٩ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ ظَلَمَةَ أُورُوبَّا ، يُوقِظُونَ فِكْرَ الْقَوْمِيَّةِ ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِشَكْلٍ سَلْبِيٍّ ؛ لِيُفَرِّقُوهُمْ فَيَبْتَلِعُوهُمْ ؛ وَأَنَّ فِي فِكْرِ الْقَوْمِيَّةِ ، ذَوْقاً نَفْسِيّاً ، وَلَذَّةً غَافِلَةً ، وَقُوَّةً شَائِمَةً ؛ فَلَا يَتْرُكُهُ أَصْحَابُهُ ؛ وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ الْفِكْرَ قِسْمَانِ : سَلْبِيٌّ ضَارٌّ يَبْتَلِعُ وَيُعَادِي غَيْرَهُ ؛ وَهٰذَا سَبَبٌ لِلْخُصُومَةِ وَالْاِخْتِلَافِ ؛ وَهُوَ مَرْدُودٌ بِالْحَدِيثِ وَالْآيَةِ . وَمِنْ أَضْرَارِ هٰذَا الْقِسْمِ السَّلْبِيِّ ، مَا مَضٰى فِي التَّارِيخِ ، مِمَّا نَزَلَ بِالْأَمَوِيِّينَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ ، وَمَا حَدَثَ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ ، مِنَ الْمَهَالِكِ ، وَمَا أَصَابَ

الشُّعُوبَ الْمُتَفَتِّتَةَ الْمُنْشَقَّةَ مِنَ الْخِلافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ . .

٣٦١ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : تُبَيِّنُ الْقِسْمَ الإِيجَابِيَّ مِنَ الْقَوْمِيَّةِ ؛ وَهُوَ مَا يَنْشَأُ عَنِ احْتِيَاجٍ دَاخِلِيٍّ لِلْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ ؛ وَيَكُونُ سَبَبَ التَّعَاوُنِ ، وَوَاسِطَةَ الأُخُوَّةِ الإِسْلامِيَّةِ ؛ وَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هٰذَا الْقِسْمُ ، خَادِماً لِلإِسْلامِ ؛ لا أَنْ يَقَعَ مَوْقِعَهُ . .

٣٦١ نِدَاءُ الْمُؤَلِّفِ ، لِأَبْنَاءِ الْوَطَنِ ، مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَلِلأَتْرَاكِ خَاصَّةً . .

٣٦٢ اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ : تُبَيِّنُ الْفَارِقَ بَيْنَ أَقْوَامِ آسِيَا وَأُورُوبَّا ؛ وَأَنَّ أُورُوبَّا دُكَّانٌ وَمُعَسْكَرٌ ؛ وَآسِيَا ، بِمَثَابَةِ مَزْرَعَةٍ وَجَامِعٍ ؛ وَأَنَّ الْحَاكِمَ فِي أُورُوبَّا ، الْفَلْسَفَةُ وَالْحِكْمَةُ ؛ وَفِي آسِيَا ، الدِّينُ وَالْقَلْبُ ؛ وَتُبَيِّنُ أَنَّ قِيَاسَ آسِيَا ، عَلٰى أُورُوبَّا ، فِي جِهَةِ الدِّينِ ، قِيَاسٌ مَعَ الْفَارِقِ ؛ وَتُبَيِّنُ سِرَّ الْفَرْقِ بَيْنَ الإِسْلامِ ، وَبَيْنَ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَسَائِرِ الأَدْيَانِ . .

٣٦٤ اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ بِنَاءَ الْجَمْعِيَّةِ عَلَى الْعُنْصُرِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، لا مَعْنٰى لَهُ ، بِسَبَبِ اخْتِلاطِ الأَقْوَامِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، لاسِيَّمَا فِي وَطَنِ الْخِلافَةِ الإِسْلامِيَّةِ . فَإِذاً يُنْظَرُ إِلٰى مُنَاسَبَاتِ «اللِّسَانِ وَالدِّينِ وَالْوَطَنِ» . . وَتُبَيِّنُ فَائِدَتَيْنِ مِنْ فَوَائِدِ الْحَمِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ ، لِأَبْنَاءِ وَطَنِ الإِسْلامِ . .

٣٦٥ اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ : تَدْعُو الْمُتَحَمِّسِينَ فِي الْقَوْمِيَّةِ ، إِلٰى حَمِيَّةٍ تُعَدُّ شَفَقَةً عَلٰى أَكْثَرِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ الْخِدْمَةَ لِحَيَاةِ الْقِسْمِ الْقَلِيلِ ، لَيْسَتْ حَمِيَّةً . .

٣٦٦ اَلْمَبْحَثُ الرَّابِعُ : يَبْحَثُ عَنْ عَشْرِ مَسَائِلَ شَتّٰى . .

٣٦٦ اَلْمَسْأَلَةُ الأُولٰى : فِي تَفْسِيرِ لَفْظِ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، وَشُمُولِهِ عَلٰى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ ؛ بَلْ وَأَكْثَرَ مِنْهَا ؛ وَفِي بَيَانِ حَدِيثِ ﴿إِذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ خَيْراً أَبْصَرَهُمْ بِعُيُوبِ أَنْفُسِهِمْ﴾ . .

٣٦٨ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : فِي بَيَانِ مُرَادِ (مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ) فِيمَا قَالَهُ لِـ (فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ) ، مِنْ «أَنَّ الْعِلْمَ بِاللّٰهِ ، غَيْرُ الْعِلْمِ بِوُجُودِهِ» ؛ وَفِي بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ

مَسْلَكِ عِلْمِ الْكَلاَمِ ، وَالْمِنْهَاجِ الْحَقِيقِيِّ الْمُسْتَفَادِ مِنَ الْقُرْآنِ . .

٣٧٠ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : فِي بَيَانِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ آيَةِ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ، وَآيَةِ ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ . .

٣٧١ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : فِي بَيَانِ حِكْمَةِ الْأَمْرِ بِتَجْدِيدِ الْإِيمَانِ بِـ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ . .

٣٧٢ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ ، فِي حَقِّ مَسْلَكِ عِلْمِ الْكَلاَمِ ، وَوَحْدَةِ الْوُجُودِ ، وَوَحْدَةِ الشُّهُودِ ، وَالْجَادَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي أَظْهَرَهَا مُؤَلِّفُ رَسَائِلِ النُّورِ . .

٣٧٤ اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ : فِي حَلِّ السُّؤَالِ عَنْ كِفَايَةِ الشَّهَادَةِ الْأُولٰى ، عَنِ الشَّهَادَةِ الثَّانِيَةِ ، أَوْ لاَ . .

٣٧٥ اَلْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ : فِي بَيَانِ بَعْضِ تَعْبِيرَاتٍ مِنْ مَسْلَكِ الشَّيْطَانِ ، فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ . .

٣٧٨ اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ : فِي ذِكْرِ سَبْعِ أَمَارَاتٍ تَدُلُّ عَلَى الْإِكْرَامِ الْإِلٰهِيِّ ، لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَتُشَجِّعُ أَصْدِقَاءَ الْمُؤَلِّفِ (رضي الله عنه) . .

٣٨٠ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ : تَعُودُ إِلٰى سُؤَالٍ عَنْ تَرْجَمَةِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ وَالتَّسَابِيحِ ، مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، إِلٰى لُغَاتٍ أُخْرٰى ؛ وَيُجِيبُ الْمُؤَلِّفُ (رضي الله عنه) بِأَنَّ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ وَالتَّسْبِيحَاتِ النَّبَوِيَّةِ ، لَيْسَتْ لِبَاساً جَامِداً يَقْبَلُ التَّبْدِيلَ ؛ وَإِنَّمَا هِيَ مِثْلُ جِلْدِ ذِي حَيَاةٍ ؛ بَلْ صَارَتْ جِلْداً ، بِمُرُورِ الزَّمَانِ ؛ وَيُبَيِّنُ سِرَّ ذٰلِكَ ، بِحَالَةٍ جَرَّبَهَا الْمُؤَلِّفُ ، مَرَّاتٍ عَدِيدَةً . .

٣٨٢ اَلْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ : تُبَيِّنُ سِرّاً مُهِمّاً مِنْ أَسْرَارِ الْوِلاَيَةِ ، فِي وُجُودِ قِسْمٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، فِي خَارِجِ مَسْلَكِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، بَلْ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ . .

٣٨٤ اَلْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ الْمُنْتَسِبِينَ إِلٰى مَسْلَكِ رِسَالَةِ النُّورِ ، ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ : إِمَّا صَدِيقٌ ، أَوْ أَخٌ ، أَوْ تِلْمِيذٌ ؛ وَلَهُمْ شُرُوطٌ وَخَوَاصُّ . .

٣٨٧ اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : هُوَ اللَّوَاحِقُ النُّورِيَّةُ ؛ نُشِرَتْ مَوْسُوعَةً مُسْتَقِلَّةً . .

٣٨٨ اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ : ثَمَانِي مَسَائِلَ . .

٣٨٨ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : رِسَالَةٌ تُفَسِّرُ آيَةَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ، فِي سَبْعِ نِكَاتٍ عِلْمِيَّةٍ ، تَعُودُ إِلَى النَّوْمِ . .

٣٩٣ اَلرِّسَالَةُ الثَّانِيَةُ : تُزِيلُ مُنَاقَشَةً حَوْلَ الْحَدِيثِ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّ مُوسٰى (عليه السلام) ، صَفَعَ عَلٰى عَيْنِ عَزْرَائِيلَ (عليه السلام) ؛ وَيَذْكُرُ فِي ذٰلِكَ ، ثَلَاثَةَ مَسَالِكَ فِي حَقِّ قَبْضِ الْأَرْوَاحِ . .

٣٩٧ اَلرِّسَالَةُ الثَّالِثَةُ : فِي بَيَانِ سُؤَالٍ عُمُومِيٍّ وَجَوَابٍ مُحَرَّمٍ خُصُوصِيٍّ ؛ وَيَذْكُرُ فِي ذٰلِكَ ، خَمْسَ نِقَاطٍ تَحُلُّ السُّؤَالَ . .

٤٠٤ رِسَالَةٌ صَغِيرَةٌ تَكُونُ تَتِمَّةً لِلْمَسْأَلَةِ الثَّالِثَةِ . .

٤٠٥ اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالٍ فِي حَقِّ حَادِثَةٍ جُزْئِيَّةٍ تَكُونُ مَدَارَ الِانْتِبَاهِ لِإِخْوَانِ الْمُؤَلِّفِ ؛ وَيَذْكُرُ فِيهَا ، أَرْبَعَ نِقَاطٍ مُهِمَّةٍ . .

٤١٠ اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ : هِيَ رِسَالَةُ الشُّكْرِ ؛ تُبَيِّنُ أَنَّ الرِّزْقَ وُضِعَ فِي النُّقْطَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ ، مِنْ دَوَائِرِ الْعَوَالِمِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ وَأَنَّ الرِّزْقَ قَائِمٌ بِالشُّكْرِ مَادَّةً وَمَعْنًى ، قَالاً وَحَالاً ؛ وَأَنَّ مِقْيَاسَ الشُّكْرِ ، الْقَنَاعَةُ وَالرِّضَا ؛ وَمِيزَانَ عَدَمِ الشُّكْرِ ، الْحِرْصُ وَالْإِسْرَافُ ؛ وَأَنَّ الشُّكْرَ هُوَ الْأَسَاسُ الْأَعْظَمُ ، مِنَ الْأُسُسِ الْأَرْبَعَةِ ، لِطَرِيقِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحْبُوبِيَّةِ . .

٤١٥ اَلْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ : سَبْعُ إِشَارَاتٍ مِنَ الْعِنَايَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ وَفِيهَا سَبْعَةُ أَسْبَابٍ تَدُلُّ عَلٰى عِدَّةِ أَسْرَارٍ مِنَ الْعِنَايَاتِ . .

٤٢٥ جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالٍ مُحَرَّمٍ ، عَنْ سِرِّ تَأْثِيرِ الْأَنْوَارِ وَقُوَّتِهَا . .

٤٢٦ خَاتِمَةُ الْمَسْأَلَةِ السَّابِعَةِ : فِي بَيَانِ سِرٍّ عَظِيمٍ مِنَ الْعِنَايَةِ ، وَفِي إِزَالَةِ الْأَوْهَامِ الْوَارِدَةِ عَلَى الْإِشَارَاتِ الْغَيْبِيَّةِ . .

٤٣٠ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ : جَوَابٌ عَلٰى سِتَّةِ أَسْئِلَةٍ ؛ وَهِيَ ثَمَانِي نُكَتٍ . .

٤٣٠ اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى : فِي بَيَانِ التَّوَافُقَاتِ فِي لَفْظِ (الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ) (عليه الصلاة والسلام) وَفِي لَفْظِ (الْقُرْآنِ) . .

٤٣٣ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : تُجِيبُ عَلَى سِتَّةِ أَسْئِلَةٍ مُهِمَّةٍ . .

٤٣٥ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : تُجِيبُ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ تَدَيُّنِ أَجْدَادِ النَّبِيِّ (عليه الصلاة والسلام) ، فِي زَمَانِ الْفَتْرَةِ . .

٤٣٦ اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ : تُجِيبُ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ وُجُودِ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي أَجْدَادِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) . .

٤٣٦ اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ : تُجِيبُ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ إِيمَانِ وَالِدَيِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) ، وَإِيمَانِ جَدِّهِ (عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) . .

٤٣٧ جَوَابٌ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ سَبَبِ عَدَمِ إِدْرَاكِ وَالِدَيْهِ ، الْبِعْثَةَ . .

٤٣٧ اَلنُّكْتَةُ الثَّامِنَةُ : تُجِيبُ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ إِيمَانِ عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) . .

٤٣٨ اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ : تِسْعَةُ أَقْسَامٍ . .

٤٣٨ اَلْقِسْمُ الْأَوَّلُ : تِسْعُ نِكَاتٍ تُبَيِّنُ أَسْرَاراً مُهِمَّةً ، مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ . .

٤٤٩ اَلْقِسْمُ الثَّانِي : فِي حَقِّ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ؛ يُبَيِّنُ تِسْعَ حِكَمٍ ، فِي تِسْعِ نُكَتٍ . .

٤٥٧ اَلْقِسْمُ الثَّالِثُ : فِي عَرْضِ الْمُؤَلِّفِ فِكْرَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ ، فِي حَقِّ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ ، عَلَى وَجْهٍ يُظْهِرُ إِعْجَازَ نَقْشِهِ فِي لَفْظَةِ «الْجَلَالِ» ؛ وَفِيهِ تِسْعُ مَسَائِلَ ؛ طُوِيَتْ ثَمَانٍ مِنْهَا . .

٤٥٩ اَلْقِسْمُ الرَّابِعُ : فِي حَقِّ التَّوَافُقَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ طَوَى الْمُؤَلِّفُ ، قِسْماً مِنْهُ . .

٤٦٣ اَلْقِسْمُ الْخَامِسُ : فِي إِظْهَارِ نُورٍ مِنْ أَنْوَارِ آيَةِ النُّورِ ، فِي سُورَةِ النُّورِ ، أَحَسَّهُ الْمُؤَلِّفُ ، فِي حَالَةٍ رُوحَانِيَّةٍ ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ . .

٤٦٦ اَلْقِسْمُ السَّادِسُ : فِي إِبْطَالِ سِتِّ دَسَائِسَ ، مِنْ دَسَائِسِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؛ كَتَبَهَا الْمُؤَلِّفُ ، لِإِيقَاظِ تَلَامِذَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . .

٤٦٧ اَلدَّسِيسَةُ الْأُولٰى : حِرْصُ الاِشْتِهَارِ وَالتَّصَنُّعِ . .
٤٧٠ اَلدَّسِيسَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ حِسُّ الْخَوْفِ . .
٤٧٤ اَلدَّسِيسَةُ الثَّالِثَةُ : هِيَ الطَّمَعُ . .
٤٧٦ اَلدَّسِيسَةُ الرَّابِعَةُ : دِعَايَةٌ لِلْمُلْحِدِينَ ، لِإِيقَاعِ الشِّقَاقِ بَيْنَ الْإِمَامِ الْأُسْتَاذِ (رضي الله عنه) وَبَيْنَ تَلَامِيذِهِ ، بِأَنَّهُ كُرْدِيٌّ ؛ وَلَيْسَ تُرْكِيّاً . .
٤٨٣ اَلدَّسِيسَةُ الْخَامِسَةُ : التَّكَبُّرُ وَالْأَنَانِيَّةُ . .
٤٨٦ اَلدَّسِيسَةُ السَّادِسَةُ : عَصَبُ الْكَسَلِ ، وَتَرْبِيَةِ الْبَدَنِ . .
٤٨٧ تَارِيخٌ قُدُسِيٌّ فِي لَفْظِ (الْقُرْآنِ) . .
٤٨٨ ذَيْلُ الْقِسْمِ السَّادِسِ : سِتَّةُ أَسْئِلَةٍ شَدِيدَةٍ ، يَسْأَلُهَا الْمُؤَلِّفُ ، رُؤَسَاءَ الْقِيَادَةِ الْمُتَفَرْعِنَةِ اللَّاعِبَةِ بِمُقَدَّرَاتِ الشَّعْبِ ، بِالاِسْتِبْدَادِ . .
٤٩٢ اَلْقِسْمُ السَّابِعُ : سَبْعُ إِشَارَاتٍ تَكُونُ جَوَاباً عَلٰى ثَلَاثَةِ أَسْئِلَةٍ . .
٤٩٢ اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى : فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ ، فِي تَغْيِيرِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ . .
٤٩٤ اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ : فِي الرَّدِّ عَلٰى تَقْلِيدِ الْمُبْتَدِعَةِ ، لِأُورُوبَّا . .
٤٩٨ اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : فِي الرَّدِّ عَلَى ادِّعَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ ، بِأَنَّ التَّعَصُّبَ الدِّينِيَّ أَخَّرَنَا عَنِ الرُّقِيِّ ؛ وَأَنَّ الْحَيَاةَ فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، إِنَّمَا تَكُونُ بِتَرْكِ التَّعَصُّبِ . .
٤٩٩ اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ : فِي الرَّدِّ عَلٰى قِسْمَيِ الْمُبْتَدِعَةِ الْمُخَرِّبِينَ . .
٥٠١ اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ : فِي الْجَوَابِ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ كَيْفِيَّةِ مَجِيءِ (السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ) فِي آخِرِ الزَّمَانِ . .
٥٠٣ اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ جَمْعِيَّةَ (السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ) ، تُصْلِحُ حُكْمَ قِيَادَةِ السُّفْيَانِيِّ ؛ وَتُحْيِي السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ ؛ وَأَنَّ جَمْعِيَّةَ الرُّوحَانِيِّينَ الْمَسِيحِيِّينَ السَّاعِينَ لِتَوْحِيدِ الدِّينِ الْعِيسَوِيِّ الْحَقِيقِيِّ ، مَعَ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ ، تَقْتُلُ قِيَادَةَ الدَّجَّالِ

وَتفككّهَا ؛ وَتُنْقِذُ الْبَشَرِيَّةَ عَنْ إِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ . .
٥٠٣ اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ : فِي الْإِجَابَةِ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ تَغْيِيرِ «السَّعِيدِ الْجَدِيدِ» ، مَنْهَجَهُ عَنْ مَنْهَجِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، وَسَائِرِ الْمُجَاهِدِينَ الْمَعْنَوِيِّينَ . .
٥٠٥ اَلْقِسْمُ التَّاسِعُ : تِسْعَةُ تَلْوِيحَاتٍ فِي حَقِّ طُرُقِ الْوَلَايَةِ . .
٥٠٥ اَلتَّلْوِيحُ الْأَوَّلُ : يُبَيِّنُ غَايَةَ مَقْصَدِ الطَّرِيقَةِ ، وَسِرَّ سُلُوكِ الرُّوحِ ، بِقَدَمِ الْقَلْبِ فِي ظِلِّ الْمِعْرَاجِ الْأَحْمَدِيِّ . .
٥٠٦ اَلتَّلْوِيحُ الثَّانِي : يَذْكُرُ فَائِدَةً جُزْئِيَّةً ، لِحَيَاةِ الدُّنْيَا ، مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِفْتَاحَا السَّيْرِ الْقَلْبِيِّ ، وَالسُّلُوكِ الرُّوحِيِّ . .
٥٠٧ اَلتَّلْوِيحُ الثَّالِثُ : يُصَرِّحُ بِأَنَّ الْوَلَايَةَ حُجَّةٌ لِلرِّسَالَةِ ؛ وَأَنَّ الطَّرِيقَةَ بُرْهَانٌ لِلشَّرِيعَةِ ؛ وَيَرُدُّ عَلَى مُنْكِرِي الطَّرِيقَةِ ، بِتَرَجُّحِ حَسَنَاتِهَا ، عَلَى سَيِّئَاتِهَا ، لِلْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ . .
٥٠٩ اَلتَّلْوِيحُ الرَّابِعُ : يُبَيِّنُ مَشْرَبَيِ الطَّرِيقَةِ (الْأَنْفُسِيَّ وَالْآفَاقِيَّ) ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمَا ، مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَخَاطِرِ . .
٥١٢ اَلتَّلْوِيحُ الْخَامِسُ : يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ أَهَمِّ لِمَشْرَبِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، وَضَرَرَ طَرْحِ هٰذَا الْمَشْرَبِ ، عَلَى الْعَامَّةِ ، وَبُعْدَهُ عَنْ أَفْكَارِ الطَّبِيعِيِّينَ . .
٥١٤ اَلتَّلْوِيحُ السَّادِسُ : ثَلَاثُ نِقَاطٍ . .
٥١٤ اَلنُّقْطَةُ الْأُولَى : تُبَيِّنُ أَنَّ الطَّرِيقَ الْأَحْسَنَ وَالْأَقْوَمَ ، بَيْنَ طُرُقِ الْوَلَايَةِ ، هُوَ طَرِيقُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ . .
٥١٥ اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : تُبَيِّنُ أَهَمِّيَّةَ الْإِخْلَاصِ ، وَقُوَّةَ الْمَحَبَّةِ ، فِي شُعَبِ الطَّرِيقَةِ ، وَفَائِدَةَ الْمَحَبَّةِ وَخَطَرَهَا . .
٥١٦ اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ لَا تُطْلَبَ فِي الدُّنْيَا ، فَوَائِدُ الْأَعْمَالِ الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا ، دَارُ الْخِدْمَةِ ؛ وَلَيْسَتْ دَارَ أُجْرَةٍ . .

٥١٧ اَلتَّلْوِيحُ السَّابِعُ : أَرْبَعُ نِكَاتٍ . .
٥١٧ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : فِي بَيَانِ عُلُوِّ الشَّرِيعَةِ ، عَلَى الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ اللَّتَيْنِ هُمَا بِمَثَابَةِ الْوَسِيلَةِ وَالْخَادِمِ لَهَا . .
٥١٧ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : فِي بَيَانِ الضَّرَرِ الْمُتَرَتِّبِ عَلٰى خُرُوجِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ ، عَنْ كَوْنِهِمَا وَسِيلَتَيْنِ لِلشَّرِيعَةِ . .
٥١٨ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : فِي الْإِجَابَةِ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ وُجُودِ الطَّرِيقَةِ ، فِي خَارِجِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، أَمْ لَا ؟ . وَتَقْسِيمِ الْخَارِجِينَ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، عَنْ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ ، إِلٰى مُضْطَرٍّ مَقْبُولٍ ، وَمُخْتَارٍ مَرْدُودٍ . .
٥١٩ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : فِي بَيَانِ سِرِّ قَبُولِ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ ، مِنْ فِرَقِ الْبِدْعَةِ ، فِي نَظَرِ الْأُمَّةِ ، وَرَدِّ الْآخَرِينَ ، فِي نَظَرِهَا . .
٥٢٠ اَلتَّلْوِيحُ الثَّامِنُ : يُبَيِّنُ ثَمَانِيَ وَرَطَاتٍ لِلطَّرِيقَةِ . .
٥٢٣ اَلتَّلْوِيحُ التَّاسِعُ : يُبَيِّنُ تِسْعَ فَوَائِدَ مِنْ ثَمَرَاتِ الطَّرِيقَةِ . .
٥٢٦ دُعَاءُ الْإِمَامِ النُّورْسِيِّ (رضي الله عنه) ، لِلْخَادِمِينَ فِي شُؤُونِ مَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ . .
٥٢٨ كَلِمَةُ خِتَامٍ لِلْمُتَرْجِمِ . .
٥٣٠ اَلْكَاشِفُ الْوَاضِحُ لِمَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ . .

يَقُولُ الْمُتَرْجِمُ : لَقَدْ تَمَّ تَنْظِيمُ هٰذَا الْفِهْرِسِ الْمُبَارَكِ ، فِي فَتْرَةِ هُدْنَةِ حَرْبِ الْيَهُودِ ، عَلٰى بَيْرُوتَ الْغَرْبِيَّةِ ؛ وَنَحْنُ مُحَاصَرُونَ فِيهَا ، فِي عَامِ أَلْفٍ وَتِسْعِمِئَةٍ وَاثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ . لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ . .

٣٠ / آبَ / الِاثْنَيْنِ / ١٩٨٢ م . . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ، (عَفَا عَنْهُ اللّٰهُ الْمُبْدِئُ) . . بَيْرُوت ـ لُبْنَان . .